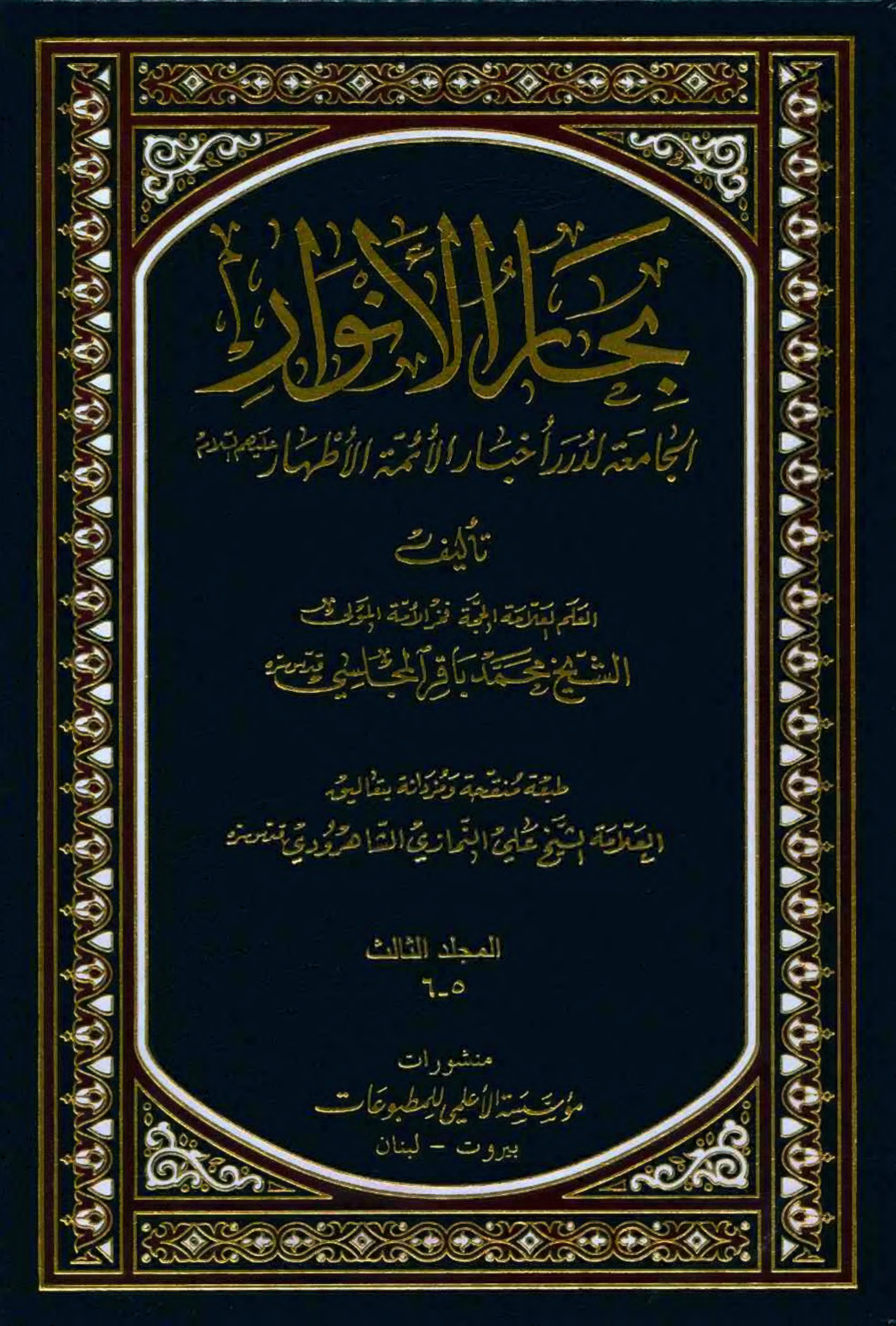

بحار الأنوار
الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام
تأليف
العلم العلامة الحجة فخر الأمة المولى
الشيخ محمد باقر المجلسي قدس سره
طبعة منقحة ومزدانة بتعاليق
العلامة الشيخ علي النمازي الشاهرودي قدس سره
المجلد الثالث
٥-٦
منشورات
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - لبنان




بحار الأنوار
الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام

٥ - ٦

بحار الأنوار

الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام

تأليف

العلم العلامة الحجة فخر الأمة المولى

الشيخ محمد باقر المجلسي قدس سره

تحقيق وتصحيح

لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين

طبعة منقحة ومزدانة بتعاليق

العلامة الشيخ علي النمازي الشاهرودي قدس سره

الجزء الخامس

منشورات

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات

بيروت - لبنان

ص ب : ٧١٢٠

الطبعة الأولى

١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م



مؤسسة الأعلمي للمطبوعات

بيروت - طريق المطار - قرب سنتر زعرور

هاتف:٤٥٠٤٢٦ / ٠١ - فاكس:٤٥٠٤٢٧ / ٠١

صندوق بريد: ٧١٢٠

Published by Aalami Est.

Beirut Airport Road

Tel:01/450426 Fax:01/450427

P.O.Box.7120

E-mail:alaalami@yahoo.com

http://www.alaalami.com

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أبواب العدل

١ - باب نفي الظلم والجور عنه تعالى، وابطال الجبر والتفويض واثبات الأمر بين الأمرين، واثبات الاختيار والاستطاعة

الآيات: آل عمران «٣»: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ «١٨٢».

النساء «٤»: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ «٤٠» «وقال»: ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ «٤٩» «وقال»: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ «٧٩» «وقال»: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ «١٤٧».

الأنعام «٦»: ﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ ﴿١٣١﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾﴾.

الأعراف «٧»: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ﴿٢٨﴾﴾.

الأنفال «٨»: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ «٥١».

التوبة «٩»: ﴿فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ «٧٠».

يونس «١٠»: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ «٤٤» «وقال تعالى»: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾ «١٠٨».

النحل «١٦»: ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ ﴿٣٤﴾﴾.

الحج «٢٢»: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ «١٠».

المؤمنون «٢٣»: ﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ «٦٢».

النور «٢٤»: ﴿لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ﴾ «١١».

سبأ «٣٤» ﴿قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ «٢٥».

فاطر «٣٥»: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَىْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ﴾ «١٨».

ص «٣٨»: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ «٢٨».

الزمر «٣٩»: ﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ «٧».

المؤمن [غافر] «٤٠»: ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ﴾ «٣١» «وقال تعالى»: ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا﴾ «٤٠» «وقال تعالى»: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ «١٧».

[فصلت] «٤١»: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ «٤٦».

الزخرف «٤٣»: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾ «٧٦».

ق: ﴿لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾﴾.

الطور «٥٢»: ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ «١٦» «وقال تعالى»: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ «١٩» «وقال سبحانه»: ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ «٢١».

النجم: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴿٣١﴾﴾ «إلى قوله تعالى»: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ﴾.

الواقعة «٥٦» ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ «٢٤».

تفسير: المبالغة في قوله تعالى: ﴿بِظَلَّامٍ﴾ إمّا غير مقصودة، أو هي لكثرة العبيد أو لبيان أن ما ينسبون إليه تعالى من جبرهم على المعاصي وتعذيبهم عليها غاية الظلم، أو لبيان أنّه لو اتّصف تعالى به لكان صفة كمال فيجب كماله فيه؛ والفتيل: الخيط الّذي في شقّ النواة؛ وفي تفسير عليّ بن إبراهيم: هي القشرة الّتي على النواة.

قوله تعالى: ﴿وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا﴾ أي إن تدع نفس أثقلتها الاوزار لحمل بعض أوزارها لم تجب لحمل شيء منه ولو كان المدعو ذا قرابتها.

١ - **لي:** أبي، عن سعد، عن ابن يزيد، عن ابن أبي عمير، عن صبّاح بن عبد الحميد، وهشام وحفص وغير واحد قالوا: قال أبو عبدالله الصّادق عليه السلام: إنّا لا نقول جبراً ولا تفويضاً(١).

---

(١) أمالي الصدوق، ص ٢٣٠ مجلس ٤٧ ح ٨. قال العلاّمة الفهّامة وحيد عصره وفريد دهره العالم بالعلوم القرآنية والمؤيّد بالتأييدات الربانيّة مولانا الأعظم واستاذنا المكرّم «الميرزا مهدي الاصفهاني» زاد الله في علوّ درجاته في كتابه «معارف القرآن» في بيان الحديث المشهور: «لا جبر ولا تفويض» ما محصوله: أنّ شبهة الجبر والتفويض من الشبهات العضال التي عجز جلّ أكابر البشر عن حلّها بحيث لا يلزم أحد المحذورين: من استغناء المخلوق عن الحق تعالى شأنه واستقلاله في الفاعلية، أو من نسبة=

٢ - يد، ن، لي: السنانيّ، عن الأسديّ، عن سهل، عن عبد العظيم الحسنيّ، عن

= الأفعال كلّها إلى الحق تعالى فإنّ الأول شرك والثاني كفر، بل التزموا بأحد المحذورين. وأعاظم الحكماء والعرفاء اختاروا صحة نسبة الأفعال كلّها إلى الحقّ المتعال وسمّوه التوحيد الأفعالي. أما صاحب الشريعة المقدسة فقد جاء في حلّها بما يبهر العقول من تذكره إلى فقر الفاعل في ذاته وأفعاله إلى الحق في عين امتناع نسبة الأفعال إليه سبحانه. وجملة الكلام أنّ البشر من حيث ذاته وقواه لا شيئية له بذاته بوجه من الوجوه حتّى الشيئية الماهوية، بل هو حيث الشيئية والكون بالغير، فحيث ذاته صرف الفقر والعجز والموت والجهل، ولكنّ الله الذي هو مشيّء الأشياء ومكوّنها، شيّئه وكوّنه وملّكه الحياة والعلم والعقل والقوة والقدرة، في عين كونه تعالى أملك بكلها حال تمليكه إياها، فلا استقلال له بوجه من الوجوه ولا استغناء له عنه تعالى، فلا تفويض، لاحتياجه في ذاته وقواه في كل الآنات إليه تعالى وإلى حوله وقوته وإلطافه وإمداده. وحيث أنّ العبد مالك بالحقيقة لتلك الكمالات والنعمات بتمليكه تعالى، يكون نسبة الأفعال إليه تعالى خلاف مالكية العبد للرأي والاختيار، وحيث إن مالكية الرأي المخصص للطرفين (أي الفعل والترك) عين القدرة على الطرفين، ولا يكون مرجح أحدهما غير الرأي، ولا يتوقف الرأي إلا على القدرة ولا ينشأ ولا يتحقق إلا بها ومنها، فلا جبر، ويمتنع عليه شيء من التوفيقات والخذلانات في تحقق الفعل أو تركه للمخلف. بعبارة ثانية من تأمل في القرآن والروايات المتواترة، يرى أنها تذكرة إلى ما هو الظاهر لكل أحد من فقره الذاتي ووجد انه الحياة والعلم والشعور والقوة والرأي مرة وفقدانه أخرى، وإلى تحقق أفعاله المقدورة عن رأيه المخصص لأحد الطرفين بعد فرض المرجحات والمقتضيات لأحد الطرفين، ولظهور ذلك يحكمون بحسن أفعالهم وقبحها واستحقاق الثناء والمدح والعقاب والقدح. مثلاً مدافع البول إذا لم يسلب قدرته، مع أن فيه اقتضاء دفع البول، يكون دفعه أو حبسه عن رأيه فبرأيه ومشيته يدفع أو يمنع، وصدور المقتضى ليس إلا عن رأيه ومشيته، ولا يقع المقتضى عن المقتضي قهراً وجبراً، كما هو واضح. وبعبارة ثالثة التصريح بالاستطاعة في الآيات والروايات، عين التذكر بالقدرة الظاهرة لكل أحد، والتصريح بأنها ملك الله تعالى يملكها العبد بتمليكه تعالى وهو أملك منه، نفي التفويض بمعانيه، فإن توهم كون الاستطاعة والقدرة عين ذات الإنسان، هو الكفر، وتوهم كونها لله ولنفسه معاً، هو الشرك، وتوهم أن القدرة المفاضة عليه مطلقة لا يملكها الحق، ويكون له الأمر والمشية والإرادة على الاطلاق هو عزل الحق عن السلطنة، فلا بدّ من نفي الكل والقول بأنه المالك المملك لما ملكهم، والقادر على ما عليه أقدرهم، وهم مستطيعون بالله لا مع الله ولا من دون الله، كما هو صريح الروايات. وواضح أن قوام القدرة بمالكية الرأي المخصص لأحد الطرفين، فعند القدرة يتحقق المالكية، فلو صدر الفعل أو الترك بالرأي فهو المختار في الفعل والترك، وتكون العلة في الفاعلية والتخصيص رأي الفاعل لا غير، فلو كانت غير رأيه يكون مكرهاً أو مجبوراً أو مضطراً وعناوين الاختيار والاكراه والاضطرار كثيرة في الآيات، والأخبار، واختلاف المفاهيم الثلاثة وأحكامها وآثارها وجداني. إنتهى ما أردنا نقله من إفاداته «قدس سره».

أقول: ومما يدل على نفي الجبر وإثبات الاختيار في الأفعال الصادرة عن العباد أن كل عاقل لا يشك في الفرق بين الحركات الاختيارية والاضطرارية، فإن العاقل يفرق بالضرورة بين ما يقدر عليه كالحركة=

الإمام عليّ بن محمّد، عن أبيه محمّد بن عليّ، عن أبيه الرضا عليّ بن موسى عليه السلام قال:

= يمنة ويسرة والبطش باليد اختياراً، وبين الحركة الاضطرارية كالوقوع من فوق وحركة المرتعش وحركة النبض، وهذا من الواضحات. ومنه حكم الضرورة في حسن مدح المحسن وقبح ذمه، وحسن ذم المسيء وقبح مدحه، فإن كل عاقل يحكم بحسن مدح من يفعل الطاعات ويبالغ في الاحسان وقبح ذمه، كما أنهم يحكمون بقبح مدح المسيء الظالم الجائر الغاصب القاتل الممتنع من الخير، ومن مدحه على ذلك يعد سفيها ويكون ملوماً، ويعلم بالضرورة قبح المدح والذم على كونه طويلاً أو قصيراً أو ذكراً أو أنثى أو خنثى، فيعلم بالضرورة جريان المدح والذم في الأفعال الاختيارية دون غيرها. قال الصادق عليه السلام: «ما استطعت أن تلوم العبد عليه، فهو منه، وما لم تستطع أن تلوم العبد عليه، فهو من فعل الله تعالى، يقول الله تعالى للعبد: لمَ عصيت؟ لمَ فسقت؟ لمَ شربت الخمر؟ لمَ زنيت؟ فهذا فعل العبد، ولا يقول: لمَ مرضت؟ لمَ قصرت؟». إلى أن قال: «لأنه من فعل الله تعالى» الخ.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «كلما استغفرت الله منه، فهو منك، وكلما حمدت الله عليه، فهو منه» الخ.

وأيضاً لو كان الأفعال فعل الله تعالى، لكان التكليف بفعل الطاعات واجتناب السيئات قبيحاً، لأنا غير قادرين على ذلك، فإن خلق فينا فعل الطاعة كان واجب الحصول، وإن لم يخلقه كان ممتنع الحصول.

ولو لم يكن العبد قادراً على الفعل والترك كانت أفعاله جارية مجرى حركة الجمادات، فكما أنه لا يصح تكليف الجمادات كذلك لا يصح التكليف، وهذا واضح البطلان.

وأيضاً يلزم مخالفة الكتاب العزيز ونصوصه والآيات الكثيرة الدالة على استناد الأفعال إلينا، كقوله تعالى حكاية عن آدم: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا﴾ وقوله: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ و﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ﴾ و﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ و﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾ و﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ و﴿إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ﴾ و﴿وَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ و﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ﴾ و﴿مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ و﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ و﴿وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ و﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ و﴿إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ الْقَالِينَ﴾ إلى غير ذلك من الآيات.

وقال الرضا عليه السلام في حديث: ما وصفه بالعدل من نسب إليه ذنوب عباده. وقال في رواية أخرى: ومن نسب إليه ما نهى عنه فهو كافر.

ومن الآيات في ذلك، ما نزل من مدح المؤمن على إيمانه وما وعده من الثواب وذم الكافر على كفره وما أوعده من العقاب، وهذا من الواضحات.

ومن الآيات الدالة على الاختيار، الآيات النازلة في ذم العباد على الكفر والمعاصي، كقوله تعالى: ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ﴾ و﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ و﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ و﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ و﴿مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ و﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ﴾ والإنكار والتوبيخ مع العجز عنه محال، وقوله: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ﴾ ومن المعلوم أن رجلاً لو حبس آخر في بيت بحيث لا يمكنه الخروج عنه، ثم يقول: ما منعك من التصرف في حوائجي؟ لكان قبيحاً، وكذا قوله تعالى: ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا﴾، =

خرج أبو حنيفة ذات يوم من عند الصادق عليه السلام فاستقبله موسى بن جعفر عليه السلام فقال له: يا غلام ممّن المعصية؟ فقال عليه السلام: لا تخلو من ثلاثة: إمّا أن تكون من الله عزّ وجلّ وليست منه فلا ينبغي للكريم أن يعذب عبده بما لم يكتسبه، وإمّا أن تكون من الله عزّ وجلّ ومن العبد فلا ينبغي للشريك القويّ أن يظلم الشريك الضعيف، وإمّا أن تكون من العبد وهي منه فإن عاقبه الله فبذنبه وإن عفى عنه فبكرمه وجوده(١).

٣ - ب: ابن حكيم، عن البزنطيّ قال: سألت أبا الحسن عليه السلام قال: فقال لي: اكتب قال

= ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ﴾، ﴿عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾، ﴿لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ وكيف يجوز أن يقول: لم تفعل؟ مع أنه ما فعله، وقوله: ﴿لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ و﴿لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وغير ذلك كثير. وكيف يصح أن يخلق فيهم الكفر ثم يقول: كيف تكفرون؟ ويخلق فيهم لبس الحق بالباطل ثم يقول: لم تلبسون الحق بالباطل؟ وصدهم عن سواء السبيل ثم يقول: لم تصدون عن سبيل الله؟ وهكذا.

ومن الآيات في ذلك، الآيات الكثيرة الدالة على تخيير العباد في أفعالهم وتعليقها بمشيتهم، مثل قوله تعالى: ﴿فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾، ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾، ﴿فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ﴾، ﴿فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾، ﴿فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾، ﴿فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِ﴾، ﴿وَافْعَلُوا الْخَيْرَ﴾ ولا يصح التكليف بغير المقدور.

ومن الآيات في ذلك ما أمر الله تعالى العباد بالأفعال والمسارعة إليها مثل قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا﴾ و﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ و﴿أَجِيبُوا﴾ و﴿آمِنُوا﴾ و﴿اعْبُدُوا﴾ و﴿اتَّبِعُوا﴾ فإنه لا يعقل الأمر بما يكونون عاجزين غير قادرين، ولا يصح النهي عما لا يستطيع تركه، وهل يكون أحد أقبل للعذر الصحيح من الله تعالى فإن اعتذر العبد يوم القيامة بالعذر الصحيح فيقول: يا رب ما قدرت وإنك منعتنا عن الطاعة، مع أنه لم يقدر على قول المجبرة، يكون معذوراً بالعذر الصحيح، فلا يجوز عذابه ولا عذاب أحد أبداً، وهذا خلاف قول أهل الملل كلهم. وفيما ذكرنا ذكرى لمن كان له قلب.

وفي قول الكاظم عليه السلام في المعصية: لا يخلو من ثلاث: إما تكون من الله تعالى وليست منه، فلا ينبغي للكريم أن يعذب عبده بما لم يكتسبه، وإما تكون من الله والعبد، فلا ينبغي للشريك القوي أن يعذب الشريك الضعيف، وإما تكون من العبد فقط. فالأولان باطلان للعذاب، فثبت الثالث. وهذا الاستدلال عقلي نبه عليه الكاظم عليه السلام.

وفي مضمون الرواية: إن الذي يذنب ويحمل ذنبه على الله تعالى من الخمسة الذين لا تطفى نيرانهم.

وعن رسالة الإهليلجة قال الصادق عليه السلام: فعز من جل عن الصفات ومن نزه نفسه عن أفعال خلقه.

وسئل أبو الحسن الثالث عليه السلام عن أفعال العباد أهي مخلوقة له تعالى؟ فقال: لو كان خالقا لما تبرأ منها، وقد قال سبحانه: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ولم يرد البراءة من خلق ذواتهم، وإنما برأ من شركهم وقبائحهم؛ الخبر. [مستدرك السفينة ج٢ لغة «جبر»].

(١) التوحيد، ص ٩٦ باب ٥ ح ٢، وعيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ١، ص ١٢٦ باب ١١ ح ٣٧، وأمالي الصدوق ص ٣٣٥ مجلس ٦٤ ح ٤ .أقول: هذا إستدلال عقلي وبطلان الأوّلين واضح بأدلة ثبوت العذاب وبقي الثالث [النمازي].

الله تعالى: «يابن آدم بمشيّتي كنت أنت الّذي تشاء، وبنعمتي أدّيت إليّ فرائضي، وبقدرتي قويت على معصيتي، خلقتك سميعاً بصيراً، أنا أولى بحسناتك منك، وأنت أولى بسيّئاتك منّي لأنّي لا أسأل عمّا أفعل وهم يُسألون، قد نظمت جميع ما سألت عنه»(١).

٤ - **ب:** أحمد بن محمّد، عن البزنطيّ، عن الرضا عليه السلام قال: كان عليّ بن الحسين عليه السلام إذا ناجى ربّه قال: يا ربّ قويت على معصيتك بنعمتك. قال: وسمعته يقول في قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ﴾(٢) فقال: إنّ القدريّة يحتجّون بأوّلها وليس كما يقولون ألا ترى أنّ الله تبارك وتعالى يقول: ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ﴾ وقال نوح على نبيّنا وآله وعليه السلام ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم. قال: الأمر إلى الله يهدي من يشاء(٣).

بيان: اعلم أنّ لفظ القدريّ يطلق في أخبارنا على الجبريّ وعلى التفويضيّ، والمراد في هذا الخبر هو الثّاني، وقد أحال كلّ من الفريقين ما ورد في ذلك على الآخر قال شارح المقاصد: لا خلاف في ذمّ القدريّة، وقد ورد في صحاح الأحاديث: لعن الله القدريّة على لسان سبعين نبيّاً، والمراد بهم القائلون بنفي كون الخير والشرّ كلّه بتقدير الله ومشيئته سمّوا بذلك لمبالغتهم في نفيه، وقيل: لإثباتهم للعبد قدرة الإيجاد وليس بشيء لأنّ المناسب حينئذٍ القدريّ بضمّ القاف. وقالت المعتزلة: القدريّة هم القائلون بأنّ الخير والشرّ كلّه من الله وبتقديره ومشيئته لأنّ الشائع نسبة الشخص إلى ما يثبته ويقول به كالجبريّة والحنفيّة والشافعيّة، لا إلى ما ينفيه، وردّ بأنّه صح عن النبيّ صلى الله عليه وآله قوله: «القدريّة مجوس أمّتي» وقوله: «إذا قامت القيامة نادى منادٍ: أهل الجمع أين خصماء الله؟ فتقوم القدريّة ولا خفاء في أن المجوس هم الّذين ينسبون الخير إلى الله والشرّ إلى الشيطان، ويسمّونهما يزدان وأهرمن وأنّ من لا يفوّض الأمور كلّها إلى الله تعالى ويفرز بعضها فينسبه إلى نفسه يكون المخاصم لله تعالى، وأيضاً من يضيف القدر إلى نفسه ويدّعي كونه الفاعل والمقدّر أولى باسم القدريّ ممّن يضيفه إلى ربّه. انتهى.

وقال العلّامة رحمه الله في شرحه على التجريد: قال أبو الحسن البصريّ ومحمود الخوارزميّ وجه تشبيهه عليه السلام المجبّرة بالمجوس من وجوه:

أحدها: أنّ المجوس اختصّوا بمقالات سخيفة، واعتقادات واهية معلومة البطلان وكذلك المجبّرة.

---

(١) قرب الإسناد، ص ٣٥٤ ح ١٢٦٧. (٢) سورة الرعد، الآية: ١١.

(٣) قرب الإسناد، ص ٣٥٨ ح ١٢٨٢.

وثانيها: أن مذهب المجوس أن الله تعالى يخلق فعله ثمَّ يتبرأ منه كما خلق إبليس ثمَّ انتفى عنه، وكذلك المجبّرة قالوا: إنّه تعالى يفعل القبائح ثمَّ يتبرَّأ منه[١].

وثالثها: أن المجوس قالوا: إنَّ نكاح الأخوات والأُمهات بقضاء الله وقدره وإرادته، ووافقهم المجبّرة حيث قالوا: إنَّ نكاح المجوس لأخواتهم وأُمّهاتهم بقضاء الله وقدره وإرادته.

ورابعها: أن المجوس قالوا: إنّ القادر على الخير لا يقدر على الشرّ وبالعكس والمجبّرة قالوا: إنّ القدرة موجبة للفعل غير متقدّمة عليه فالإنسان القادر على الخير لا يقدر على ضدّه وبالعكس انتهى[٢].

أقول: سيتّضح لك أن كلّاً منهما ضالٌّ، صادق فيما نسب إلى الآخر، وأنَّ الحقَّ غير ما ذهبا إليه، وهو الأمر بين الأمرين.

٥ - **ب**: بالإسناد المذكور قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: كان عليّ بن الحسين عليه السلام إذا ناجى ربّه قال: اللّهمَّ يا ربّ إنّما قويت على معاصيك بنعمك[٣].

٦ - **فس**: قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا﴾ إلى قوله: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا﴾[٤] قال الصادق عليه السلام: إنّ هذا القول من الله ردّ على من زعم أن الله تبارك وتعالى يضلّ العباد، ثمَّ يعذّبهم على ضلالتهم[٥].

بيان: الظّاهر أنّه عليه السلام جعل قوله تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا﴾ من جملة قول الّذين كفروا على خلاف ما ذهب إليه المفسّرون من أنّه من كلامه تعالى جواباً لقولهم.

٧ - **ل**: الخليل بن أحمد، عن ابن منيع، عن الحسن بن عرفة، عن عليّ بن ثابت عن إسماعيل بن أبي إسحاق، عن ابن أبي ليلى، عن نافع، عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: صنفان من أُمّتي ليس لهما في الإسلام نصيب: المرجئة، والقدريّة[٦].

٨ - **كنز الكراجكي**: عن محمّد بن عليّ بن محمّد بن الصخر البصريّ، عن عمر بن محمّد بن سيف، عن عليّ بن محمّد بن مهرويه القزوينيّ، عن داود بن سليمان، عن الرضا عن آبائه عليهم السلام مثله[٧].

---

(١) في المصدر: منها، وهو الصواب.
(٢) كشف المراد في شرح التجريد، ص ٢٩٥.
(٣) قرب الإسناد، ص ٣٧٧ ح ١٣٣٢.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٦.
(٥) تفسير القمي، ج ١ ص ٤٨.
(٦) الخصال، ص ٧٢ باب الإثنين ح ١١٠. ورواه العامة في كتاب التاج ج ١ ص ٤٠ [النمازي].
(٧) كنز الفوائد، ج ١ ص ١٢٥.

بيان: قال الكراجكيّ: ظنّت المعتزلة أنَّ الشيعة هم المرجئة لقولهم: إنّا نرجو من الله تعالى العفو عن المؤمن إذا ارتكب معصية ومات قبل التوبة، وهذا غلط منهم في التسمية، لأنّ المرجئة مشتق من الإرجاء، وهو التأخير بل هم الّذين أخّروا الأعمال ولم يعتقدوا من فرائض الإيمان. ثمَّ قال: إنَّ المعتزلة لها من الزّلات الفظيعة ما يكثر تعداده وقد صنّف ابن الراونديّ كتاب فضائحهم فأورد فيه جملاً من اعتقاداتهم وآراء شيوخهم ممّا ينافر العقول ويضادّ شريعة الرسول وقد وردت الأخبار بذمّهم عن أهل البيت عليهم السلام ولعنهم جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام فقال: لعن الله المعتزلة أرادت أن توحّد فألحدت ورامت أن ترفع التشبيه فأثبتت.

٩ - **ل:** محمّد بن عليّ بن بشّار القزوينيّ، عن المظفّر بن أحمد، وعليّ بن محمّد بن سليمان، عن عليّ بن جعفر البغداديّ، عن جعفر بن محمّد بن مالك الكوفيّ، عن الحسن بن راشد، عن عليّ بن سالم، عن أبيه قال: قال أبو عبدالله جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام: أدنى ما يخرج به الرجل من الإيمان أن يجلس إلى غالٍ ويستمع إلى حديثه ويصدّقه على قوله، إنّ أبي حدّثني عن أبيه عن جدّه عليهم السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: صنفان من أمّتي لا نصيب لهما في الإسلام: الغلاة والقدريّة(1).

١٠ - **عد:** اعتقادنا في الاستطاعة ما قاله موسى بن جعفر عليه السلام حين قيل له: أيكون العبد مستطيعاً؟ قال: نعم بعد أربع خصال: أن يكون مخلّى السرب، صحيح الجسم، سليم الجوارح، له سبب وارد من الله عزّ وجلّ، فإذا تمّت هذه فهو مستطيع فقيل له: مثل أيّ شيء؟ فقال: يكون الرجل مخلّى السرب، صحيح الجسم، سليم الجوارح لا يقدر أن يزني إلاّ أن يرى امرأة فإذا وجد المرأة فإمّا أن يعصم فيمتنع كما امتنع يوسف، وإمّا أن يخلّى بينه وبينها فيزني وهو زانٍ ولم يطع الله بإكراه، ولم يعص بغلبة.

١١ - وسئل الصادق عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾(2) قال: مستطيعون للأخذ بما أمروا به، والترك لما نهوا عنه، وبذلك ابتلوا.

١٢ - وقال أبو جعفر عليه السلام: في التوراة مكتوب مسطور: يا موسى إنّي خلقتك واصطفيتك وقوّيتك، وأمرتك بطاعتي، ونهيتك عن معصيتي، فإن أطعتني أعنتك على طاعتي وإن عصيتني لم أعنك على معصيتي، ولي المنّة عليك في طاعتك، ولي الحجّة عليك في معصيتك(3)..

١٣ - **فس:** في رواية أبي الجارود قوله: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ۝٢٩ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾ قال: خلقهم حين خلقهم مؤمناً وكافراً وشقياً وسعيداً، وكذلك يعودون يوم القيامة

---

(1) الخصال، ص ٧٢ باب الإثنين ح ١٠٩.
(2) سورة القلم، الآية: ٤٣.
(3) اعتقادات الصدوق، ص ٧٢.

مهتد وضال، يقول: ﴿إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾[1]؛ وهم القدريّة الّذين يقولون: لا قدر، ويزعمون أنّهم قادرون على الهدى والضلالة، وذلك إليهم إن شاؤوا اهتدوا، وإن شاؤوا ضلّوا، وهم مجوس هذه الأمّة، وكذّب أعداء الله المشيئة والقدرة لله ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ من خلقه الله شقياً يوم خلقه كذلك يعود إليه، ومن خلقه سعيداً يوم خلقه كذلك يعود إليه سعيداً، قال رسول الله ﷺ: الشقيّ من شقي في بطن أمّه، والسعيد من سعد في بطن أمّه[2].

١٤ - **ل:** الفاميّ وابن مسرور، عن ابن بطّة، عن الصفّار، ومحمّد بن عليّ بن محبوب، عن ابن عيسى، عن الحسين بن سعيد، عن حمّاد بن عيسى، عن حريز، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: الناس في القدر على ثلاثة أوجه: رجل زعم أن الله عزّ وجلّ أجبر الناس على المعاصي فهذا قد ظلم الله عزّ وجلّ في حكمه وهو كافر، ورجل يزعم أن الأمر مفوّض إليهم فهذا وهّن الله في سلطانه فهو كافر، ورجل يقول: إنّ الله عزّ وجلّ كلف العباد ما يطيقون، ولم يكلّفهم ما لا يطيقون، فإذا أحسن حمد الله، وإذا أساء استغفر الله فهذا مسلم بالغ[3].

يد: الورّاق، عن ابن بطّة مثله.

١٥ - **ل:** أبي، عن عليّ، عن أبيه، عن الحسن بن الحسن بن الفارسيّ، عن سليمان بن جعفر البصريّ، عن عبد الله بن الحسين بن زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب، عن أبيه، عن جعفر بن محمّد، عن آبائه، عن عليّ عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: إنّ الله عزّ وجلّ لمّا خلق الجنّة خلقها من لبنتين، لبنة من ذهب، ولبنة من فضّة، وجعل حيطانها الياقوت، وسقفها الزبرجد، وحصبائها اللّؤلؤ، وترابها الزعفران والمسك الأذفر، فقال لها: تكلّمي، فقالت: لا إله إلاّ أنت الحيّ القيّوم، قد سعد من يدخلني. فقال عزّ وجلّ بعزّتي وعظمتي وجلالي وارتفاعي لا يدخلها مدمن خمر، ولا سكّير، ولا قتّات وهو النمّام، ولا ديّوث وهو القلطبان، ولا قلاع وهو الشرطي، ولا زنّوق وهو الخنثى، ولا خيّوف وهو النبّاش، ولا عشّار، ولا قاطع رحم، ولا قدريّ[4].

توضيح: السكّير بالكسر وتشديد الكاف: الكثير السكر، والفرق بينه وبين المدمن إمّا بكون المراد بالخمر ما يتّخذ من العنب وبالسكّير من يسكر من غيره، أو بكون المراد بالمدمن أعمّ ممّن يسكر. وشرط السلطان: نخبة أصحابه الّذين يقدمهم على غيرهم من جنده، والنسبة إليهم شرطيّ كتركيّ، ولم أجد اللّغويّين فسّروا الزنّوق والخيّوف بما فسّرا به في الخبر.

١٦ - **ل:** أبي وابن الوليد، عن أحمد بن إدريس، ومحمّد العطّار، عن الأشعريّ عن

---

(١) سورة الأعراف، الآيتان: ٢٩-٣٠.

(٢) تفسير القمي، ج ١ ص ٢٣٣.

(٣) الخصال، ص ١٩٥ باب الثلاثة ح ٢٧١.

(٤) الخصال، ص ٤٣٥ باب العشرة ح ٢٢.

محمّد بن الحسين بإسناد له يرفعه قال: قال رسول الله ﷺ: لا يدخل الجنّة مدمن خمر، ولا سكّير، ولا عاقّ، ولا شديد السواد، ولا ديّوث، ولا قلّاع وهو الشرطيّ، ولا زنّوق وهو الخنثى، ولا خيّوف وهو النبّاش، ولا عشّار، ولا قاطع رحم، ولا قدريّ.

قال الصدوق رحمه الله: يعني بشديد السواد الّذي لا يبيضّ شيء من شعر رأسه، ولا من شعر لحيته مع كبر السنّ، ويسمّى الغربيب[1].

١٧ - **ن:** السنانيّ، عن الأسديّ، عن سهل، عن عبد العظيم الحسنيّ، عن إبراهيم بن أبي محمود قال: سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾[2] فقال: إنّ الله تبارك وتعالى لا يوصف بالترك كما يوصف خلقه، ولكنّه متى علم أنّهم لا يرجعون عن الكفر والضلال منعهم المعاونة واللّطف، وخلّى بينهم وبين اختيارهم. قال: وسألته عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾[3] قال: الختم هو الطبع على قلوب الكفّار عقوبةً على كفرهم كما قال تعالى: ﴿بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[4] قال: وسألته عن الله عزّ وجلّ: هل يجبر عباده على المعاصي؟ فقال: بل يخيّرهم ويمهلهم حتّى يتوبوا، قلت: فهل يكلّف عباده ما لا يطيقون؟ فقال: كيف يفعل ذلك وهو يقول: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾[5]؟ ثمّ قال عليه السلام: حدّثني أبي موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر ابن محمّد عليهما السلام أنّه قال: من زعم أن الله يجبر عباده على المعاصي أو يكلّفهم ما لا يطيقون فلا تأكلوا ذبيحته، ولا تقبلوا شهادته، ولا تصلّوا وراءه، ولا تعطوه من الزكاة شيئاً[6].

ج: مرسلاً عن الحسنيّ مثله[7].

١٨ - **ن:** تميم القرشيّ، عن أبيه، عن أحمد بن عليّ الأنصاريّ، عن يزيد بن عمير بن معاوية الشاميّ قال: دخلت على عليّ بن موسى الرضا عليه السلام بمرو فقلت له: يابن رسول الله روي لنا عن الصادق جعفر بن محمّد عليه السلام أنّه قال: لا جبر ولا تفويض بل أمر بين أمرين فما معناه؟ فقال: من زعم أن الله يفعل أفعالنا ثمّ يعذّبنا عليها فقد قال بالجبر ومن زعم أن الله عزّ وجلّ فوّض أمر الخلق والرزق إلى حججه عليهم السلام فقد قال بالتفويض فالقائل بالجبر كافر والقائل بالتفويض مشرك. فقلت له: يابن رسول الله فما أمر بين أمرين؟ فقال: وجود السبيل إلى إتيان ما أُمروا به وترك ما نهوا عنه. فقلت له: فهل لله عزّ وجلّ مشيّة وإرادة في ذلك؟ فقال: أمّا الطاعات فإرادة الله ومشيّته فيها الأمر بها، والرضا لها، والمعاونة عليها؛ وإرادته ومشيّته في المعاصي النهي عنها، والسخط لها، والخذلان عليها. قلت: فللّه عزّ وجلّ فيها القضاء؟

---

(١) الخصال، ص ٢٣٦ باب العشرة ح ٢٣.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٧.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٧.
(٤) سورة النساء، الآية: ١٥٥.
(٥) سورة فصلت، الآية: ٤٦.
(٦) عيون أخبار الرضا عليه السلام ج ١ ص ١١٣ باب ١١ ح ١٦.
(٧) الاحتجاج، ص ٤١٣.

قال: نعم ما من فعل يفعله العباد من خير وشرّ إلاّ ولله فيه قضاء. قلت: فما معنى هذا القضاء؟ قال: الحكم عليهم بما يستحقّونه على أفعالهم من الثواب والعقاب في الدنيا والآخرة[١].

ج: رواه مرسلاً مثله[٢].

١٩ - **ن:** الدقّاق، عن محمّد بن الحسن الطائيّ، عن سهل بن زياد، عن عليّ بن جعفر الكوفيّ قال: سمعت سيّدي عليّ بن محمّد عليه السلام يقول: حدَّثني أبي محمّد بن عليّ، عن أبيه الرضا عليّ بن موسى، عن أبيه موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمّد، عن أبيه محمّد بن عليّ، عن أبيه عليّ بن الحسين، عن أبيه عليهم السلام.

وحدَّثنا محمّد بن عمر الحافظ البغداديّ، عن إسحاق بن جعفر العلويّ، عن أبيه، عن سليمان بن محمّد القرشيّ، عن إسماعيل بن أبي زياد، عن جعفر بن محمّد، عن أبيه، عن جدّه، عن عليّ عليهم السلام.

وحدَّثنا أبو الحسين محمّد بن إبراهيم بن إسحاق الفارسيّ الغرائمي، عن أحمد بن محمّد ابن رميح النسويّ، عن عبد العزيز بن إسحاق بن جعفر، عن عبد الوهّاب بن عيسى المروزيّ، عن الحسن بن عليّ بن محمّد البلويّ، عن محمّد بن عبد الله بن نجيح، عن أبيه، عن جعفر بن محمّد، عن أبيه، عن جدّه، عن أبيه عليهم السلام.

وحدَّثنا أحمد بن الحسن القطّان، عن السكّريّ، عن الجوهريّ، عن العبّاس بن بكّار الضبّيّ، عن أبي بكر الهذليّ، عن عكرمة، عن ابن عبّاس قالوا: لمّا انصرف أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام من صفّين قام إليه شيخ ممّن شهد الوقعة معه فقال يا أمير المؤمنين أخبرنا عن مسيرنا هذا أبقضاء من الله وقدر؟ وقال الرضا في روايته عن آبائه، عن الحسين بن عليّ عليهما السلام: دخل رجل من أهل العراق على أمير المؤمنين عليه السلام فقال: أخبرنا عن خروجنا إلى أهل الشام أبقضاء من الله وقدر؟ فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: أجل يا شيخ فوالله ما علوتم تلعة ولا هبطتم بطن واد إلاّ بقضاء من الله وقدر؛ فقال الشيخ عند الله أحتسب عنائي يا أمير المؤمنين، فقال: مهلاً يا شيخ لعلّك تظنُّ قضاءاً حتماً وقدراً لازماً، لو كان كذلك لبطل الثواب والعقاب، والأمر والنهي والزجر، ولسقط معنى الوعد والوعيد، ولم تكن على مسيء لائمة، ولا لمحسن محمدة، ولكان المحسن أولى باللآئمة من المذنب، والمذنب أولى بالإحسان من المحسن، تلك مقالة عبدة الأوثان وخصماء الرحمن، وقدريّة هذه الأمّة ومجوسها، يا شيخ إنّ الله عزّ وجلّ كلّف تخييراً، ونهى تحذيراً، وأعطى على القليل كثيراً، ولم يُعص مغلوباً، ولم يُطع مكرهاً، ولم يخلق السماوات والارض وما بينهما باطلاً ذلك ظنّ الّذين كفروا فويل للّذين كفروا من النار، قال: فنهض الشيخ وهو يقول:

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ١ ص ١١٤ باب ١١ ح ١٧.

(٢) الإحتجاج، ص ٤١٤.

أنت الإمام الّذي نرجو بطاعته يوم النجاة من الرحمن غفرانا
أوضحت من ديننا ما كان ملتبساً جزاك ربّك عنّا فيه إحسانا
فليس معذرة في فعل فاحشة قد كنت راكبها فسقاً وعصيانا
لا لا ولا قابلاً ناهيه أوقعه فيها عبدت إذاً يا قوم شيطانا
ولا أحبّ ولا شاء الفسوق ولا قتل الوليّ له ظلماً وعدوانا
أنّى يحبّ وقد صحّت عزيمته؟ ذو العرش أعلن ذاك الله إعلانا

لم يذكر محمّد بن عمر الحافظ في آخر هذا الحديث من الشعر إلاّ بيتين من أوّله[1].

يد: زاد ابن عبّاس في حديثه: فقال الشيخ: يا أميرالمؤمنين القضاء والقدر اللّذان ساقانا؟ وما هبطنا وادياً وما علونا تلعة إلاّ بهما؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام: الأمر من الله والحكم، ثمّ تلا هذه الآية: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا﴾[2] [3].

بيان: التلعة: ما ارتفع من الأرض.

قوله: عند الله أحتسب عنائي أي لمّا لم نكن مستحقّين للأجر لكوننا مجبورين فأحتسب أجر مشقّتي عند الله لعلّه يثيبني بلطفه، ويحتمل أن يكون استفهاماً على سبيل الإنكار، وقال الجزريّ: الاحتساب من الحسب كالاعتداد من العدّ، وإنّما قيل لمن ينوي بعمله وجه الله: احتسبه لأنّ له حينئذ أن يعتدّ عمله، والاحتساب في الأعمال الصالحات، وعند المكروهات هو البدار إلى طلب الأجر، وتحصيله بالتسليم والصبر، أو باستعمال أنواع البرّ والقيام بها على الوجه المرسوم فيها طلباً للثواب المرجوّ منها. انتهى.

قوله عليه السلام: ولكان المذنب أولى بالإحسان أقول: لأنّه حمله على ما هو قبيح عقلاً وشرعاً، وصيّره بذلك محلاً للائمة الناس، فهو أولى بالإحسان لتدارك ذلك وأيضاً لمّا حمل المحسن على ما هو حسن عقلاً وشرعاً وصار بذلك مورداً لمدح النّاس فإن عاقبه وأضرّ به تداركاً لما أحسن إليه كان أولى من جمع الإضرارين على المسيء، وقيل: إنّما كان المذنب أولى بالإحسان لأنّه لا يرضى بالذنب كما يدلّ عليه جبره عليه، والمحسن أولى بالعقوبة لأنّه لا يرضى بالإحسان لدلالة الجبر عليه، ومن لا يرضى بالإحسان أولى بالعقوبة من الّذي يرضى به.

ويحتمل أن يكون هذا متفرّعاً على ما مرّ أي إذا بطل الثواب والعقاب والامر والنهي والوعد والوعيد لكان المذنب أولى الخ؛ ووجهه أنّه لم يبق حينئذ إلاّ الاحسان والعقوبة الدنيويّة، والمذنب في الدنيا متنعّم بأنواع اللّذات، وليست له مشقّة التكاليف الشرعيّة، والمحسن في التعب والنصب بارتكاب أفعال لا يشتهيها، وترك ما يلتذّ بها مقتّر عليه

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ج ١ ص ١٢٦ باب ١١ ح ٣٨ وفيه: قائلاً بدل قابلاً.
(٢) سورة الإسراء، الآية: ٢٣.
(٣) التوحيد، ص ٣٨٢ باب ٦٠ ح ٢٨.

لاجتناب المحرّمات من الأموال، فحينئذ الاحسان الواقع للمذنب أكثر ممّا وقع للمحسن، فهو أولى بالإحسان من المحسن، والعقوبة الواقعة على المحسن أكثر ممّا وقع على المذنب فهو أولى بالعقوبة من المذنب. والقدريّة في هذا الخبر اطلقت على الجبريّة وقوله: لم يعص على بناء المفعول، وكذا قوله: ولم يطع مكرهاً - بكسر الراء - وفي الفتح تكلّف.

وفي الكافي بعد ذلك: ولم يملك مفوّضاً. إشارة إلى نفي التفويض التامّ، بحيث لا يقدر على صرفهم عنه، أو بحيث لا يكون لتوفيقه وهدايته مدخل فيه.

٢٠ - **يد، ن:** ابن مسرور، عن ابن عامر، عن معلى بن محمّد البصريّ، عن الوشّاء، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: سألته فقلت: الله فوّض الأمر إلى العباد؟ قال: الله أعزّ من ذلك ؛ قلت: فأجبرهم على المعاصي؟ قال: الله أعدل وأحكم من ذلك، ثمّ قال: قال الله عزّ وجلّ يابن آدم أنا أولى بحسناتك منك، وأنت أولى بسيّئاتك منّي، عملت المعاصي بقوّتي الّتي جعلتها فيك[١].

٢١ - **يد، ن:** الطالقانيّ، عن أحمد بن عليّ الأنصاريّ، عن الهرويّ قال: سمعت أبا الحسن عليّ بن موسى بن جعفر عليهما السلام يقول: من قال بالجبر فلا تعطوه من الزكاة، ولا تقبلوا لهم شهادة، إنّ الله تبارك وتعالى لا يكلّف نفساً إلاّ وسعها، ولا يحمّلها فوق طاقتها، ولا تكسب كلّ نفس إلاّ عليها، ولا تزر وازرة وزر أخرى[٢].

٢٢ - **يد، ن:** أبي، عن سعد، عن البرقيّ، عن أبيه، عن الجعفريّ، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: ذكر عنده الجبر والتفويض فقال: ألا أعطيكم في هذا أصلاً لا تختلفون فيه ولا يخاصمكم عليه أحدٌ إلاّ كسرتموه؟ قلنا: إن رأيت ذلك ؛ فقال: إن الله عزّ وجلّ لم يطع بإكراه، ولم يعص بغلبة، ولم يهمل العباد في ملكه، هو المالك لما ملّكهم، والقادر على ما أقدرهم عليه، فإن ائتمر العباد بطاعته لم يكن الله عنها صادّاً، ولا منها مانعاً، وإن ائتمروا بمعصيته فشاء أن يحول بينهم وبين ذلك فعل، وإن لم يحل وفعلوه فليس هو الّذي أدخلهم فيه، ثمّ قال عليه السلام: من يضبط حدود هذا الكلام فقد خصم من خالفه[٣].

ج: مرسلاً مثله. «ص ٤١٤».

بيان: لعلّ ذكر الائتمار ثانياً للمشاكلة، أو هو بمعنى الهمّ، أو الفعل من غير مشاورة، كما ذكر في النهاية والقاموس.

٢٣ - **يد، مع:** حدّثنا أبو الحسن محتمل بن سعيد السمرقنديّ الفقيه بأرض بلخ قال:

---

(١) التوحيد، ص ٣٦٢ باب ٥٩ ح ١٠، وعيون اخبار الرضا عليه السلام ج ١ ص ١٣١ باب ١١ ح ٤٦.
(٢) التوحيد، ص ٣٦٢ باب ٥٩ ح ٩، وعيون اخبار الرضا عليه السلام، ج ١ ص ١٣١ باب ١١ ح ٤٧.
(٣) التوحيد، ص ٣٦١ باب ٥٩ ح ٧، وعيون أخبار الرضا عليه السلام ج ١ ص ١٣١ باب ١١ ح ٤٨.

حدّثنا أبوأحمد محمّد بن أحمد بن الزاهد السمرقنديّ بإسناد رفعه إلى الصادق عليه السلام أنّه سأله رجل فقال له: إنّ أساس الدين التوحيد والعدل، وعلمه كثير لابدّ لعاقل منه، فاذكر ما يسهل الوقوف عليه، ويتهيّأ حفظه، فقال: أمّا التوحيد فأن لا تجوّز على ربّك ما جاز عليك، وأما العدل فأن لا تنسب إلى خالقك ما لامك عليه[١].

٢٤ - **فس:** قوله: ﴿وَقَـٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَلَقَدْ جَآءَهُم﴾ إلى قوله: ﴿سَـٰبِقِينَ﴾[٢] فهذا ردّ على المجبّرة الّذين زعموا أن الأفعال لله عزّ وجلّ، ولا صنع لهم فيها ولا اكتساب، فردّ الله عليهم فقال: فكلاً أخذنا بذنبه، ولم يقل: بفعلنا لأنّه عزّ وجلّ أعدل من أن يعذّب العبد على فعله الّذي يجبره عليه[٣].

٢٥ - **فس:** محمّد بن أبي عبد الله، عن موسى بن عمران، عن النوفليّ، عن السكونيّ قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: وجدت لاهل القدر أسماءاً في كتاب الله: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَـٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَـٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾[٤]. فهم المجرمون[٥].

٢٦ - **ج:** عن أبي حمزة الثماليّ أنّه قال: قال أبو جعفر عليه السلام للحسن البصريّ: إيّاك أن تقول بالتفويض فإن الله عزّ وجلّ لم يفوّض الأمر إلى خلقه وهناً منه وضعفاً، ولا أجبرهم على معاصيه ظلماً. الخبر[٦].

٢٧ - **يد:** الدقّاق، عن الأسديّ، عن خنيس بن محمّد، عن محمّد بن يحيى الخزّاز، عن المفضّل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لا جبر ولا تفويض ولكن أمر بين أمرين، قال: قلت: ما أمر بين أمرين؟ قال: مثل ذلك مثل رجل رأيته على معصية فنهيته فلم ينته فتركته ففعل تلك المعصية فليس حيث لم يقبل منك فتركته كنت أنت الّذي أمرته بالمعصية[٧].

٢٨ - **عد:** اعتقادنا في الجبر والتفويض قول الصادق عليه السلام: لا جبر ولا تفويض[٨].

أقول: وساق الخبر إلى آخر ما رواه المفضّل، وقال الشيخ المفيد قدّس الله روحه في شرحه: الجبر هو الحمل على الفعل، والاضطرار إليه بالقسر والغلبة، وحقيقة ذلك إيجاد الفعل في الخلق من غير أن يكون له قدرة على دفعه والامتناع من وجوده فيه، وقد يعبّر عمّا يفعله الانسان بالقدرة التّي معه على وجه الاكراه له على التخويف والالجاء أنّه جبر، والأصل فيه ما فعل من غير قدرة على امتناعه منه حسب ما قدّمناه، وإذا تحقّق القول في الجبر

---

(١) التوحيد، ص ٩٦ باب ٥ ح ١، ومعاني الأخبار ص ١١.
(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٣٩.
(٣) تفسير القمي، ج ٢ ص ١٢٧.
(٤) سورة القمر، الآيات: ٤٧-٤٩.
(٥) تفسير القمي، ج ٢ ص ٣٢٠.
(٦) الاحتجاج، ص ٢٢٧.
(٧) التوحيد ص ٣٦٢ باب ٥٩ ح ٨.
(٨) اعتقادات الصدوق، ص ٦٩.

على ما وصفناه كان مذهب الجبر هو قول من يزعم أن الله تعالى خلق في العبد الطاعة من غير أن يكون للعبد قدرة على ضدّها والامتناع منها، وخلق فيهم المعصية كذلك، فهم المجبّرة حقّاً، والجبر مذهبهم على التحقيق، والتفويض هو القول برفع الحظر عن الخلق فالأفعال والإباحة لهم، مع ما شاؤوا من الأعمال، وهذا قول الزنادقة وأصحاب الإباحات، والواسطة بين هذين القولين أن الله أقدر الخلق على أفعالهم، ومكّنهم من أعمالهم، وحدّ لهم الحدود في ذلك، ورسم لهم الرسوم، ونهاهم عن القبائح بالزجر والتخويف والوعد والوعيد، فلم يكن بتمكينهم من الأعمال مجبراً لهم عليها، ولم يفوّض إليهم الأعمال لمنعهم من أكثرها، ووضع الحدود لهم فيها، وأمرهم بحسنها ونهاهم عن قبيحها، فهذا هو الفصل بين الجبر والتفويض على ما بيّنّاه[1].

٢٩ - ج: عن هشام بن الحكم قال: سأل الزنديق أبا عبد الله عليه السلام فقال: أخبرني عن الله عزّ وجلّ كيف لم يخلق الخلق كلّهم مطيعين موحّدين وكان على ذلك قادراً؟ قال عليه السلام: لو خلقهم مطيعين لم يكن لهم ثواب لأن الطاعة إذا ما كانت فعلهم لم تكن جنّة ولا نار، ولكن خلق خلقه فأمرهم بطاعته، ونهاهم عن معصيته، واحتجّ عليهم برسله، وقطع عذرهم بكتبه ليكونوا هم الّذين يطيعون ويعصون، ويستوجبون بطاعتهم له الثواب، وبمعصيتهم إيّاه العقاب. قال: فالعمل الصالح من العبد هو فعله، والعمل الشرّ من العبد هو فعله؟ قال: العمل الصالح العبد يفعله والله به أمره، والعمل الشرّ العبد يفعله والله عنه نهاه؛ قال: أليس فعله بالآلة الّتي ركّبها فيه؟ قال: نعم، ولكن بالآلة الّتي عمل بها الخير قدر بها على الشرّ الّذي نهاه عنه. قال: فإلى العبد من الأمر شيء؟ قال: ما نهاه الله عن شيء إلاّ وقد علم أنّه يطيق تركه، ولا أمره بشيء إلاّ وقد علم أنّه يستطيع فعله لأنّه ليس من صفته الجور والعبث والظلم وتكليف العباد ما لا يطيقون.

قال: فمن خلقه الله كافراً يستطيع الإيمان وله عليه بتركه الإيمان حجّة؟ قال عليه السلام: إنّ الله خلق خلقه جميعاً مسلمين، أمرهم ونهاهم، والكفر اسم يلحق الفعل حين يفعله العبد، ولم يخلق الله العبد حين خلقه كافراً إنّه إنّما كفر من بعد أن بلغ وقتاً لزمته الحجّة من الله فعرض عليه الحقّ فجحده فبإنكاره الحقّ صار كافراً، قال: فيجوز أن يقدّر على العبد الشرّ ويأمره بالخير وهو لا يستطيع الخير أن يعمله ويعذّبه عليه؟ قال: إنّه لا يليق بعدل الله ورأفته أن يقدّر على العبد الشرّ ويريده منه، ثمّ يأمره بما يعلم أنّه لا يستطيع أخذه، والانتزاع عمّا لا يقدر على تركه، ثمّ يعذّبه على تركه أمره الّذي علم أنّه لا يستطيع أخذه، الخبر[2].

---

(١) تصحيح الاعتقاد، ص ٣٢.

(٢) الاحتجاج، ص ٣٤٠ .أقول: الأحسن قبل الخوض في تحقيق ذلك ذكر الآيات المربوطة بذلك قال تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾. وقال لعيسى: ﴿وَإِذۡ تَخۡلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ بِإِذۡنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِيۖ﴾. وقال حكاية عن عيسى: ﴿أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ =

عد: اعتقادنا في أفعال العباد أنّها مخلوقة خلق تقدير لا خلق تكوين، ومعنى ذلك أنّه لم يزل الله عالماً بمقاديرها(١).

أقول: قال الشيخ المفيد قدّس الله روحه في شرح العقائد عند شرح هذا الكلام الّذي ذكره أبو جعفر رحمه الله: قد جاء به حديث غير معمول به، ولا مرضيّ الإسناد، والأخبار الصحيحة بخلافه، وليس نعرف في لغة العرب أن العلم بالشيء هو خلق له، ولو كان ذلك كما قال المخالفون للحقّ لوجب أن يكون من علم النبيّ صلى الله عليه وآله فقد خلقه، ومن علم السماء والأرض فهو خالق لهما، ومن عرف بنفسه شيئاً من صنع الله تعالى وقرّره في نفسه أن يكون خالقاً له؛ وهذا محال لا يذهب وجه الخطأ فيه على بعض رعيّة الائمّة عليهم السلام فضلاً عنهم.

فأمّا التقدير فهو الخلق في اللّغة لأن التقدير لا يكون إلاّ بالفعل، فأمّا بالعلم فلا يكون تقديراً، ولا يكون أيضاً بالفكر، والله متعال عن خلق الفواحش والقبائح على كلّ حال. وقد روي عن أبي الحسن الثالث عليه السلام أنّه سئل عن أفعال العباد أهي مخلوقة لله تعالى؟ فقال عليه السلام لو كان خالقاً لها لما تبرّأ منها وقد قال سبحانه: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾(٢)

= ﴿فَيَكُونُ طَيْرَۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾. وقال: ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾. يظهر من هذه الآيات أن أفعال العباد وحركاتهم واقعة بقدرتهم واختيارهم فهم خالقون لها، ولا اشكال فيه، وما في الآيات من أنه تعالى خالق كل شيء فهو منصرف عن أفعال العباد إلى أجسامهم ويشهد لذلك صدر الآية، قال تعالى: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ﴾ وقوله: ﴿أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ و﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ وقوله: ﴿إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝٨﴾. والآيات المشتملة على مثل قوله: ﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا﴾ ناظرة إلى آلهتهم التي يدعون من دون الله، كما في سورة النحل الآية ٢٠: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۝٢٠ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ﴾؛ الآية. وهكذا الكلام في قوله في هذه السورة: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ويشهد لرواية الفتح المذكورة رواية الصدوق عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ الله عزّ وجلّ فوّض الأمر إلى ملك من الملائكة، فخلق سبع سماوات وسبع أرضين وأشياء؛ الخبر. وذكر في آخره أنه دخله العُجب، فأرسل الله اليها نويرة فأحرقت جميعها. والروايات الصحيحة في خلقة الانسان في الرحم، منها قول الرضا عليه السلام: وإذا تمت الأربعة أشهر بعث الله تبارك وتعالى اليها ملكين خلاقين يصوّرانه ويكتبان رزقه وأجله؛ الخبر. وفي معناه غيره. والتحقيق أن يقال: إنّ صفة الخالقيّة لا من شيء مختصة بالله تعالى ومن صفات فعله القدوس. وأما الخالقية من شيء فتطلق على غيره تعالى أيضاً. مثلاً خلق الله الأشياء وصنعها من شيء وهو الماء وخلق الماء لا من شيء. وعيسى يخلق من الطين وكل صانع فمن شيء صنع وصانع الأشياء لا من شيء صنع. وقال الإمام الصادق عليه السلام: لا يكوّن الشيء لا من شيء إلا الله. [مستدرك السفينة ج٣ لغة «خلق»].

(١) اعتقادات الصدوق، ص ٦٩. (٢) سورة التوبة، الآية: ٣.

ولم يرد البراءة من خلق ذواتهم، وإنّما تبرّأ من شركهم وقبائحهم، وكتاب الله تعالى المقدّم على الأحاديث والروايات، وإليه يتقاضى في صحيح الأخبار وسقيمها، فما قضى به فهو الحقّ دون ما سواه، قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ﴾(١) فخبّر بأنَّ كلّ شيء خلقه فهو حسن غير قبيح، فلو كانت القبائح من خلقه لما حكم بحسن جميع ما خلق، وقال تعالى: ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾(٢) فنفى التفاوت عن خلقه، وقد ثبت أن الكفر والكذب متفاوت في نفسه، والمتضادّ من الكلام متفاوت فكيف يجوز أن يطلقوا على الله تعالى أنّه خالق لأفعال العباد وفي أفعال العباد من التفاوت ما ذكرناه(٣)؟

٣٠ - ج: ممّا أجاب به أبو الحسن عليّ بن محمّد العسكريّ عليه السلام في رسالته إلى أهل الأهواز حين سألوه عن الجبر والتفويض أن قال: اجتمعت الأمّة قاطبة لا اختلاف بينهم في ذلك أن القرآن حقٌّ لا ريب فيه عند جميع فرقها، فهم في حالة الاجتماع عليه مصيبون، وعلى تصديق ما أنزل الله مهتدون لقول النبيّ صلى الله عليه وآله: لا تجتمع أمّتي على ضلالة، فأخبر النبيّ صلى الله عليه وآله أن ما اجتمعت عليه الأمّة ولم يخالف بعضها بعضاً هو الحقّ، فهذا معنى الحديث لا ما تأوّله الجاهلون، ولا ما قاله المعاندون من إبطال حكم الكتاب، واتّباع حكم الأحاديث المزوّرة، والروايات المزخرفة، واتّباع الأهواء المردية المهلكة الّتي تخالف نصّ الكتاب وتحقيق الآيات الواضحات النيرات ونحن نسأل الله أن يوفّقنا للصواب، ويهدينا إلى الرشاد.

ثمّ قال عليه السلام: فإذا شهد الكتاب بتصديق خبر وتحقيقه فانكرته طائفة من الأمّة وعارضته بحديث من هذه الأحاديث المزوّرة فصارت بإنكارها ودفعها الكتاب كفّاراً ضلاّلاً، وأصحّ خبر ما عرف تحقيقه من الكتاب مثل الخبر المجمع عليه من رسول الله صلى الله عليه وآله، حيث قال: إنّي مستخلف فيكم خليفتين كتاب الله وعترتي، ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي، وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض. واللّفظة الأخرى عنه في هذا المعنى بعينه قوله صلى الله عليه وآله: إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض، أما إنكم إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا. فلمّا وجدنا شواهد هذا الحديث نصّاً في كتاب الله مثل قوله: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾(٤) ثمّ اتّفقت روايات العلماء في ذلك لأمير المؤمنين عليه السلام أنّه تصدّق بخاتمه وهو راكع فشكر الله ذلك له، وأنزل الآية فيه، ثمّ وجدنا رسول الله صلى الله عليه وآله قد أبانه من أصحابه بهذه اللّفظة: من كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه. وقوله صلى الله عليه وآله عليٌّ يقضي ديني، وينجز موعدي، وهو خليفتي عليكم بعدي. وقوله صلى الله عليه وآله حيث استخلفه على المدينة فقال: يارسول الله أتخلّفني على النساء والصبيان؟ فقال: أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من

---

(١) سورة السجدة، الآية: ٧.
(٢) سورة الملك، الآية: ٣.
(٣) تصحيح الاعتقاد، ص ٢٧.
(٤) سورة المائدة، الآية: ٥٥.

موسى إلاّ أنّه لا نبيّ بعدي. فعلمنا أن الكتاب شهد بتصديق هذه الأخبار، وتحقيق هذه الشواهد فيلزم الأُمّة الإقرار بها كانت[1] هذه الأخبار موافقة للقرآن، ووافق القرآن هذه الأخبار، فلمّا وجدنا ذلك موافقاً لكتاب الله وجدنا[2] كتاب الله موافقاً لهذه الأخبار وعليها دليلاً كان الاقتداء بهذه الأخبار فرضاً لا يتعدّاه إلاّ أهل العناد والفساد.

ثمّ قال عليه السلام: ومرادنا وقصدنا الكلام في الجبر والتفويض وشرحهما وبيانهما، وإنّما قدّمنا ما قدّمنا لكون اتّفاق الكتاب والخبر إذا اتّفقا دليلاً لما أردناه وقوّة لما نحن مبيّنوه من ذلك إن شاء الله، فقال: الجبر والتفويض يقول الصادق جعفر بن محمّد عليه السلام عندما سئل عن ذلك فقال: لا جبر ولا تفويض بل أمر بين أمرين. وقيل: فماذا يابن رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فقال: صحّة العقل، وتخلية السرب، والمهلة في الوقت، والزاد من قبل الراحلة، والسبب المهيّج للفاعل على فعله، فهذه خمسة أشياء فاذا نقص العبد منها خلّة كان العمل عنه مطروحاً بحسبه، وأنا أضرب لكلّ باب من هذه الأبواب الثلاثة وهي الجبر والتفويض والمنزلة بين المنزلتين مثلاً يقرّب المعنى للطالب، ويسهّل له البحث من شرحه، ويشهد به القرآن بمحكم آياته وتحقّق تصديقه عند ذوي الألباب، وبالله العصمة والتوفيق.

ثمّ قال عليه السلام: فأمّا الجبر فهو قول من زعم أن الله عزّ وجلّ جبر العباد على المعاصي وعاقبهم عليها، ومن قال بهذا القول فقد ظلم الله وكذّبه وردّ عليه قوله: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[3] وقوله جلّ ذكره: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾[4] مع آي كثيرة في مثل هذا، فمن زعم أنّه مجبور على المعاصي فقد أحال بذنبه على الله عزّ وجلّ وظلّمه في عقوبته له، ومن ظلم ربّه فقد كذّب كتابه، ومن كذّب كتابه لزمه الكفر باجتماع الأُمّة. والمثل المضروب في ذلك مثل رجل ملك عبداً مملوكاً لا يملك إلاّ نفسه، ولا يملك عرضاً من عروض الدنيا، ويعلم مولاه ذلك منه، فأمره على علم منه بالمصير إلى السوق بحاجة يأتيه بها، ولا يملّكه ثمن ما يأتيه به، وعلم المالك أن على الحاجة رقيباً لا يطمع أحد في أخذها منه إلاّ بما يرضى به من الثمن، وقد وصف مالك هذا العبد نفسه بالعدل والنصفة وإظهار الحكمة ونفي الجور، فأوعد عبده إن لم يأته بالحاجة أن يعاقبه، فلمّا صار العبد إلى السوق وحاول أخذ الحاجة الّتي بعثه المولى للإتيان بها وجد عليها مانعاً يمنعه منها إلاّ بالثمن، ولا يملك العبد ثمنها، فانصرف إلى مولاه خائباً بغير قضاء حاجته فاغتاظ مولاه لذلك، وعاقبه على ذلك فإنّه كان ظالماً متعدّياً مبطلاً لما وصف من عدله وحكمته ونصفته، وإن لم يعاقبه كذّب نفسه أليس يجب أن لا يعاقبه؟ والكذب والظلم ينفيان العدل والحكمة، تعالى الله عمّا يقول المجبّرة علوّاً كبيراً.

---

(١) في المصدر: فلزم الأمة الإقرار بها إذا كانت...
(٢) الصواب: ووجدنا، كما في المصدر.
(٣) سورة الكهف، الآية: ٤٩.
(٤) سورة الحج، الآية: ١٠.

ثمّ قال العالم عليه السلام بعد كلام طويل: فأمّا التفويض الّذي أبطله الصادق عليه السلام وخطّأ من دان به فهو قول القائل: إنّ الله تعالى فوّض إلى العباد اختيار أمره ونهيه وأهملهم، وفي هذا كلام دقيق لم يذهب إلى غوره ودقّته إلاّ الأئمّة المهديّة عليهم السلام من عترة آل الرسول صلوات الله عليهم، فإنّهم قالوا: لو فوّض الله أمره إليهم على جهة الاهمال لكان لازماً له رضا ما اختاره[1]، واستوجبوا به من الثواب، ولم يكن عليهم فيما اجترموا العقاب إذ كان الاهمال واقعاً، وتنصرف هذه المقالة على معنيين: إمّا أن يكون العباد تظاهروا عليه فألزموه قبول اختيارهم بآرائهم ضرورة، كره ذلك أم أحبّه، فقد لزمه الوهن، أو يكون جلّ وتقدّس عجز عن تعبّدهم بالامر والنهي عن إرادته، ففوّض أمره ونهيه إليهم، وأجراهما على محبّتهم، إذ عجز عن تعبّدهم بالامر والنهي على إرادته فجعل الاختيار إليهم في الكفر والإيمان، ومثل ذلك مثل رجل ملك عبداً ابتاعه ليخدمه، ويعرّف له فضل ولايته، ويقف عند أمره ونهيه، وادّعى مالك العبد أنّه قادر قاهر عزيز حكيم، فأمر عبده ونهاه، ووعده على اتّباع أمره عظيم الثواب وأوعده على معصيته أليم العقاب فخالف العبد إرادة مالكه، ولم يقف عند أمره ونهيه، فأيّ أمر أمره به أو نهي نهاه عنه لم يأتمر على إرادة المولى بل كان العبد يتّبع إرادة نفسه، وبعثه في بعض حوائجه وفيها الحاجة له، فصار العبد بغير تلك الحاجة خلافاً على مولاه، وقصد إرادة نفسه، واتّبع هواه، فلمّا رجع إلى مولاه نظر إلى ما أتاه فإذا هو خلاف ما أمره فقال العبد: اتّكلت على تفويضك الأمر إليّ فاتّبعت هواي وإرادتي لأنّ المفوّض إليه غير محظور عليه لاستحالة اجتماع التفويض والتحصير[2].

ثمّ قال عليه السلام: فمن زعم أن الله فوّض قبول أمره ونهيه إلى عباده فقد أثبت عليه العجز، وأوجب عليه قبول كلّ ما عملوا من خير أو شرّ، وأبطل أمر الله تعالى ونهيه، ثمّ قال: إنّ الله خلق الخلق بقدرته وملكهم استطاعة ما تعبّدهم به من الأمر والنهي، وقبل منهم اتّباع أمره، ورضي بذلك منهم، ونهاهم عن معصيته، وذمّ من عصاه وعاقبه عليها، ولله الخيرة في الأمر والنهي، يختار ما يريد ويأمر به وينهى عمّا يكره، ويثيب ويعاقب بالاستطاعة الّتي ملّكها عباده لاتّباع أمره واجتناب معاصيه لأنّه العدل، ومنه النصفة والحكومة، بالغ الحجّة بالإعذار والإنذار، وإليه الصفوة يصطفي من يشاء من عباده، اصطفى محمّداً صلوات الله عليه وآله، وبعثه بالرسالة إلى خلقه، ولو فوّض اختيار أموره، إلى عباده لأجاز لقريش اختيار أُميّة بن الصلت وأبي مسعود الثقفيّ إذ كانا عندهم أفضل من محمّد لما قالوا: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾[3] يعنونهما فهذا هو القول بين القولين ليس بجبر ولا تفويض، بذلك أخبر أمير المؤمنين عليه السلام حين سأله عباية بن ربعيّ الأسديّ عن الاستطاعة،

---

(١) الصواب: اختاروه كما في المصدر. (٢) الصواب: التحظير كما في المصدر.

(٣) سورة الزخرف، الآية: ٣١.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: تملكها من دون الله أو مع الله؟ فسكت عباية بن ربعيّ، فقال له: قل يا عباية؛ قال: وما أقول؟ قال: إن قلت: تملكها مع الله قتلتك وإن قلت: تملكها من دون الله قتلتك، قال: وما أقول يا أمير المؤمنين؟ قال: تقول: تملكها بالله الّذي يملكها من دونك، فإن ملّككها كان ذلك من عطائه، وإن سلبكها كان ذلك من بلائه، وهو المالك لما ملّكك، والمالك لما عليه أقدرك، أما سمعت الناس يسألون الحول والقوّة حيث يقولون: لا حول ولا قوّة إلاّ بالله؟ فقال الرجل: وما تأويلها يا أمير المؤمنين؟ قال: لا حول لنا عن معاصي الله إلاّ بعصمة الله، ولا قوّة لنا على طاعة الله إلاّ بعون الله، قال: فوثب الرجل وقبّل يديه ورجليه.

ثمّ قال عليه السلام: في قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ﴾[1] وفي قوله: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾[2] وفي قوله: ﴿أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾[3] وفي قوله: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ﴾[4] وفي قوله: ﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ﴾[5] وقول موسى: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾[6] وقوله: ﴿لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾[7] وقوله: ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾[8] وقوله: ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ﴾[9] وقوله: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[10] وقوله: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ﴾[11] وقوله: ﴿وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾[12] إنّ جميعها جاءت في القرآن بمعنى الاختبار.

ثمّ قال عليه السلام: فإن قالوا: ما الحجّة في قول الله تعالى: ﴿يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ و﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ﴾ وما أشبه ذلك؟ قلنا: فعلى مجاز هذه الآية يقتضي معنيين: أحدهما أنّه إخبار عن كونه تعالى قادراً على هداية من يشاء وضلالة من يشاء، ولو أجبرهم على أحدهما لم يجب لهم ثواب، ولا عليهم عقاب على ما شرحناه. والمعنى الآخر أن الهداية منه: التعريف، كقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾[13] وليس كلّ آية مشتبهة في القرآن كانت الآية حجّة على حكم الآيات اللاّتي أمر بالأخذ بها وتقليدها وهي قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ الآية[14]، وقال: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝١٧ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ

(١) سورة محمد، الآية: ٣١.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٨٢.
(٣) سورة العنكبوت، الآية: ٢.
(٤) سورة ص، الآية: ٣٤.
(٥) سورة طه، الآية: ٨٥.
(٦) سورة الأعراف، الآية: ٥٥.
(٧) سورة المائدة، الآية: ٤٨.
(٨) سورة آل عمران، الآية: ١٥٢.
(٩) سورة القلم، الآية: ١٧.
(١٠) سورة الملك، الآية: ٢.
(١١) سورة البقرة، الآية: ١٢٤.
(١٢) سورة محمد، الآية: ٤.
(١٣) سورة فصلت، الآية: ١٧.
(١٤) سورة آل عمران، الآية: ٧.

﴿فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝١٨﴾[1] وفّقنا الله وإيّاكم لما يحبّ ويرضى، ويقرّب لنا ولكم الكرامة والزلفى، وهدانا لما هو لنا ولكم خير وأبقى، إنّه الفعّال لما يريد، الحكيم الجواد المجيد[2].

٣١ - ج: عن داود بن قبيصة قال: سمعت الرضا عليه السلام: يقول: سئل أبي عليه السلام هل منع الله عمّا أمر به؟ وهل نهى عمّا أراد؟ وهل أعان على ما لم يرد؟ فقال عليه السلام: أمّا ما سألت: هل منع الله عمّا أمر به؟ فلا يجوز ذلك، ولو جاز ذلك لكان قد منع إبليس عن السجود لآدم، ولو منع إبليس لعذره ولم يلعنه؛ وأمّا ما سألت: هل نهى عمّا أراد؟ فلا يجوز ذلك، ولو جاز ذلك لكان حيث نهى آدم عن أكل الشّجرة أراد منه أكلها، ولو أراد منه أكلها ما نادى عليه صبيان الكتاتيب ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾[3] والله تعالى لا يجوز عليه أن يأمر بشيء ويريد غيره؛ وأمّا ما سألت عنه من قولك: هل أعان على ما لم يرد؟ فلا يجوز ذلك، وجلّ الله تعالى عن أن يعين على قتل الأنبياء وتكذيبهم، وقتل الحسين بن عليّ والفضلاء من ولده، وكيف يعين على ما لم يرد وقد أعدّ جهنّم لمخالفيه، ولعنهم على تكذيبهم لطاعته، وارتكابهم لمخالفته؛ ولو جاز أن يعين على ما لم يرد لكان أعان فرعون على كفره وادّعائه أنّه ربّ العالمين!، أفترى أراد الله من فرعون أن يدّعي الربوبيّة؟ يستتاب قائل هذا فإن تاب من كذبه على الله. وإلاّ ضربت عنقه[4].

٣٢ - ج: وروي عن عليّ بن محمّد العسكريّ عليه السلام أنّ أبا الحسن موسى بن جعفر عليه السلام قال: إنّ الله خلق الخلق فعلم ما هم إليه صائرون فأمرهم ونهاهم، فما أمرهم به من شيء فقد جعل لهم السبيل إلى الأخذ به، وما نهاهم عنه من شيء فقد جعل لهم السبيل إلى تركه، ولا يكونون آخذين ولا تاركين إلاّ بإذنه، وما جبر الله أحداً من خلقه على معصيته، بل اختبرهم بالبلوى، كما قال تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[5].

قوله عليه السلام: ولا يكونون آخذين ولا تاركين إلاّ بإذنه أي بتخليته وعلمه.

٣٣ - ج: وروى أنّه دخل أبوحنيفة المدينة ومعه عبد الله بن مسلم فقال له: يا أبا حنيفة إنّ ههنا جعفر بن محمّد من علماء آل محمّد عليهم السلام فاذهب بنا اليه نقتبس منه علماً فلما أتيا إذا هما بجماعة من شيعته ينتظرون خروجه أو دخولهم عليه، فبينما هم كذلك إذ خرج غلام حدث فقام الناس هيبة له، فالتفت أبوحنيفة فقال: يابن مسلم من هذا؟ قال هذا موسى ابنه، قال: والله لأجبهنّه بين يدي شيعته قال: مه لن تقدر على ذلك، قال: والله لأفعلنّه ثمّ التفت إلى موسى عليه السلام فقال: ياغلام أين يضع الغريب حاجته في بلدتكم هذه؟ قال: يتوارى خلف الجدار، ويتوقّى أعين الجار، وشطوط الأنهار، ومسقط الثمار، ولا يستقبل القبلة ولا

---

(١) سورة الزمر، الآية: ١٨.
(٢) الاحتجاج، ص ٤٥٠.
(٣) سورة طه، الآية: ١٢١.
(٤) - (٥) الاحتجاج، ص ٣٨٧.

يستدبرها، فحينئذ يضع حيث شاء، ثمّ قال: يا غلام ممّن المعصية؟ قال: يا شيخ لا تخلو من ثلاث إمّا أن تكون من الله وليس من العبد شيء فليس للحكيم أن يأخذ عبده بما لم يفعله، وإمّا أن تكون من العبد ومن الله والله أقوى الشريكين فليس للشريك الأكبر أن يأخذ الشريك الأصغر بذنبه، وإمّا أن تكون من العبد وليس من الله شيء فإن شاء عفى وإن شاء عاقب. قال: فأصابت أبا حنيفة سكتة كأنّما أُلقم فوه الحجر، قال: فقلت له ألم أقل لك لا تتعرّض لأولاد رسول الله صلى الله عليه وآله؟

وفي ذلك يقول الشاعر هذه الأبيات:

لم تخل أفعالنا اللاتي نذمّ بها ... إحدى ثلاث معان حين نأتيها
إمّا تفرّد بارينا بصنعتها ... فيسقط اللّوم عنّا حين ننشيها
أو كان يشركنا فيها فيلحقه ... ما سوف يلحقنا من لائم فيها
أولم يكن لالهي في جنايتها ... ذنب فما الذنب إلاّ ذنب جانيها[1]

فس: وأمّا الردّ على المجبّرة الّذين قالوا: ليس لنا صنع ونحن مجبرون، يحدث الله لنا الفعل عند الفعل، وإنّما الأفعال هي منسوبة إلى الناس على المجاز لا على الحقيقة، وتأوّلوا في ذلك آيات من كتاب الله عزّ وجلّ لم يعرفوا معناها، مثل قوله: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾[2] وقوله: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾[3] وغير ذلك من الآيات الّتي تأويلها على خلاف معانيها، وفيما قالوه إبطال الثواب والعقاب، وإذا قالوا ذلك ثمّ أقرّوا بالثواب والعقاب نسبوا الله إلى الجور، وأنّه يعذّب على غير اكتساب وفعل، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً أن يعاقب أحداً على غير فعل وبغير حجّة واضحة عليه، والقرآن كلّه ردّ عليهم، قال الله تبارك وتعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾[4] فقوله عزّ وجلّ: ﴿لَهَا﴾ ﴿وَعَلَيْهَا﴾ هو على الحقيقة لفعلها، وقوله: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾[5] وقوله: ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾[6] وقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾[7]، وقوله: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾[8]: وقوله: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ﴾ يعني بيّنا له طريق الخير وطريق الشرّ ﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾[9] وقوله: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ ۝٣٨

---

(١) الاحتجاج، ص ٣٨٧.
(٢) سورة الانسان، الآية: ٣٠.
(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٢٥.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.
(٥) سورة الزلزلة، الآيتان: ٧-٨.
(٦) سورة المدثر، الآية: ٣٨.
(٧) سورة آل عمران، الآية: ١٨٢.
(٨) سورة فصلت، الآية: ١٧.
(٩) سورة الإنسان، الآية: ٣.

وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ﴾ فلم يقل: بفعلنا ﴿فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[1] ومثله كثير[2].

أقول: سيأتي مثل هذا الكلام بوجه أبسط في كتاب القرآن في تفسير النعمانيّ فيما رواه عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٣٤ - **يد:** المفسّر بإسناده إلى أبي محمّد عليه السلام قال: قال الرضا عليه السلام: ما عرف الله من شبّهه بخلقه، ولا وصفه بالعدل من نسب إليه ذنوب عباده، الخبر[3].

٣٥ - **ن:** ابن عبدوس، عن ابن قتيبة، عن حمدان بن سليمان قال: كتبت إلى الرضا عليه السلام أسأله عن أفعال العباد أمخلوقة أم غير مخلوقة؟ فكتب عليه السلام: أفعال العباد مقدرة في علم الله عزّ وجلّ قبل خلق العباد بألفي عام[4].

٣٦ - **يد، ل، ن:** أبو الحسن محمّد بن عمرو بن عليّ البصريّ، عن عليّ بن الحسن الميثمي، عن عليّ بن مهرويه القزوينيّ، عن أبي أحمد الغازيّ، عن عليّ بن موسى الرضا، عن آبائه، عن الحسين بن عليّ عليه السلام قال: سمعت أبي عليّ بن أبي طالب عليه السلام يقول: الأعمال على ثلاثة أحوال: فرائض، وفضائل، ومعاصي، فأمّا الفرائض فبأمر الله تعالى وبرضى الله وبقضائه وتقديره ومشيّته وعلمه؛ وأمّا الفضائل فليست بأمر الله ولكن برضى الله وبقضاء الله وبقدر الله وبمشيّة الله وبعلم الله، وأمّا المعاصي فليست بأمر الله ولكن بقضاء الله وبقدر الله وبمشيّة الله وبعلمه ثمّ يعاقب عليها[5].

يد، ن: قال مصنف هذا الكتاب: المعاصي بقضاء الله معناه بنهي الله، لأنّ حكمه عزّ وجلّ فيها على عباده الانتهاء عنها، ومعنى قوله: بقدر الله أي بعلم الله بمبلغها ومقدارها، ومعنى قوله: بمشيّة الله فإنّه عزّ وجلّ شاء أن لا يمنع العاصي إلاّ بالزجر والقول والنهي والتحذير، دون الجبر والمنع بالقوّة، والدفع بالقدرة[6].

٣٧ - **مع، ن:** ابن عبدوس، عن ابن قتيبة، عن حمدان، عن الهرويّ قال:

سمعت أبا الحسن الرضا عليه السلام يقول: أفعال العباد مخلوقة، فقلت: يابن رسول الله ما

---

(١) سورة العنكبوت، الآيات: ٣٨-٤٠. (٢) تفسير القمي، ج ١ ص ٣٤.

(٣) التوحيد، ص ٤٧ باب ٢ ح ١٠.

(٤) عيون اخبار الرضا عليه السلام ج ١ ص ١٣٤ باب ١١ ح ١٠.

(٥) التوحيد، ص ٣٦٩ باب ٦٠ ح ٩، والخصال، ص ١٦٨ باب الثلاثة ح ٢٢١ وعيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ١ ص ١٣٠ باب ٨ ح ٤٤. وفي الخصال: المثنى بدل الميثمي.

(٦) التوحيد، ص ٣٧٠ باب ٦٠ ح ٩.

معنى مخلوقة؟ قال: مقدَّرة[1].

٣٨ - ن: ابن عبدوس، عن ابن قتيبة، عن الفضل، عن الرضا عليه السلام فيما كتب للمأمون: من محض الإسلام أن الله تبارك وتعالى لا يكلّف نفساً إلاّ وسعها، وأن أفعال العباد مخلوقة لله خلق تقدير لا خلق تكوين، والله خالق كلّ شيء، ولا نقول بالجبر والتفويض[2].

٣٩ - يد: ابن الوليد، عن الصفّار، عن ابن معروف، عن ابن أبي نجران، عن حمّاد بن عثمان، عن عبد الرحيم القصير قال: كتبت على يدي عبد الملك بن أعين إلى أبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك اختلف الناس في أشياء قد كتبت بها إليك، فإن رأيت جعلت فداك أن تشرح لي جميع ما كتبت إليك، اختلف الناس - جعلت فداك - بالعراق في المعرفة والجحود، فأخبرني - جعلت فداك - أهما مخلوقتان؟ واختلفوا في القرآن فزعم قوم أن القرآن كلام الله غير مخلوق وقال آخرون: كلام الله مخلوق، وعن الاستطاعة أقبل الفعل أو مع الفعل؟ فإن أصحابنا قد اختلفوا فيه ورووا فيه، وعن الله تبارك وتعالى هل يوصف بالصورة وبالتخطيط؟ فإن رأيت جعلني الله فداك أن تكتب إليّ بالمذهب الصحيح من التوحيد، وعن الحركات أهي مخلوقة أو غير مخلوقة؟ وعن الإيمان ما هو؟.

فكتب صلى الله عليه على يدي عبد الملك بن أعين: سألت عن المعرفة ماهي؟ فاعلم رحمك الله أن المعرفة من صنع الله عزّ وجلّ في القلب مخلوقة، والجحود صنع الله في القلب مخلوق، وليس للعباد فيهما من صنع، ولهم فيهما الاختيار من الاكتساب، فبشهوتهم الإيمان اختاروا المعرفة فكانوا بذلك مؤمنين عارفين، وبشهوتهم الكفر اختاروا الجحود فكانوا بذلك كافرين جاحدين ضلاّلاً، وذلك بتوفيق الله لهم، وخذلان من خذله الله، فبالاختيار والاكتساب عاقبهم الله وأثابهم؛ وسألت رحمك الله عن القرآن واختلاف الناس قبلكم فإنّ القرآن كلام الله محدث غير مخلوق، وغير أزليّ مع الله تعالى ذكره، وتعالى عن ذلك علوّاً كبيراً، كان الله عزّ وجلّ ولا شيء غير الله معروف ولا مجهول كان عزّ وجلّ ولا متكلّم ولا مريد ولا متحرّك ولا فاعل، جلّ وعزّ ربّنا، فجميع هذه الصفات محدثة عند حدوث الفعل منه، جلّ وعزّ ربنا، والقرآن كلام الله غير مخلوق، فيه خبر من كان قبلكم، وخبر ما يكون بعدكم، أُنزل من عند الله على محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله.

وسألت رحمك الله عن الاستطاعة للفعل فإنّ الله عزّ وجلّ خلق العبد وجعل له الآلة والصحّة، وهي القوّة الّتي يكون العبد بها متحرّكاً مستطيعاً للفعل، ولا متحرّك إلاّ وهو يريد الفعل، وهي صفة مضافة إلى الشهوة الّتي هي خلق الله عزّ وجلّ، مركّبة في الإنسان فإذا تحرّكت الشهوة للإنسان اشتهى الشيء وأراده، فمن ثمّ قيل للإنسان: مريد، فإذا أراد الفعل

(١) معاني الأخبار، ص ٣٩٦ وعيون أخبار الرضا ج ١ ص ٢٨١ باب ٢٨ ح ٩٠.
(٢) عيون اخبار الرضا عليه السلام، ج ٢ ص ١٣٢ باب ٣٥ ح ١.

وفعل كان مع الاستطاعة والحركة، فمن ثمّ قيل للعبد: مستطيع متحرّك، فإذا كان الانسان ساكناً غير مريد للفعل وكان معه الآلة وهي القوّة والصحّة اللّتان بهما تكون حركات الإنسان وفعله كان سكونه لعلّة سكون الشهوة فقيل: ساكن، فوصف بالسكون فإذا اشتهى الإنسان وتحرّكت شهوته الّتي ركّبت فيه اشتهى الفعل وتحرّك بالقوّة المركبة فيه، واستعمل الآلة التي يفعل بها الفعل فيكون الفعل منه عندما تحرّك واكتسبه فقيل: فاعل ومتحرّك ومكتسب ومستطيع أولا ترى أن جميع ذلك صفات يوصف بها الإنسان؟ وسألت رحمك الله عن التوحيد وما ذهب إليه من قبلك فتعالى الله الّذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، تعالى الله عمّا يصفه الواصفون المشبّهون الله تبارك وتعالى بخلقه، المفترون على الله عزّ وجلّ، فاعلم رحمك الله أن المذهب الصحيح في التوحيد ما نزل به القرآن من صفات الله عزّ وجلّ، فانف عن الله البطلان والتشبيه فلا نفي ولا تشبيه هو الله عزّ وجلّ، الثابت، الموجود، تعالى الله عمّا يصفه الواصفون، ولا تعدّ القرآن فتضلّ بعد البيان، وسألت رحمك الله عن الإيمان فالإيمان هو إقرار باللّسان، وعقد بالقلب، وعمل بالأركان، فالإيمان بعضه من بعض، وقد يكون العبد مسلماً قبل أن يكون مؤمناً، ولا يكون مؤمناً حتّى يكون مسلماً، فالإسلام قبل الإيمان وهو يشارك الإيمان، فإذا أتى العبد بكبيرة من كبائر المعاصي، أو صغيرة من صغائر المعاصي الّتي نهى الله عزّ وجلّ عنها كان خارجاً من الإيمان، وساقطاً عنه اسم الإيمان، وثابتاً عليه اسم الإسلام، فإن تاب واستغفر عاد إلى الإيمان، ولم يخرجه إلى الكفر والجحود والاستحلال، وإذا قال للحلال: هذا حرام، وللحرام: هذا حلال ودان بذلك فعندها يكون خارجاً من الإيمان والإسلام إلى الكفر، وكان بمنزلة رجل دخل الحرم ثمّ دخل الكعبة فأحدث في الكعبة حدثاً فأُخرج عن الكعبة وعن الحرم فضربت عنقه وصار إلى النار[١].

قال الصدوق رحمه الله: كان المراد من هذا الحديث ما كان فيه من ذكر القرآن، ومعنى ما فيه أنّه غير مخلوق أي غير مكذوب، ولا يعني به أنّه غير محدث لأنّه قد قال: محدث غير مخلوق، وغير أزلي مع الله تعالى ذكره[٢].

بيان: قوله على يدي عبد الملك أي أرسلت الكتاب معه. قوله عليه السلام: إنّ المعرفة من صنع الله أي أصل المعرفة، أو كمالها من الله تعالى بعد اكتسابهم وتفكّرهم فالمفيض للمعارف هو الربّ تعالى، وللتفكّر والنظر والطلب مدخل فيها، وإنّما يثابون ويعاقبون بفعل تلك المبادي وتركها، أو المعنى أن المعرفة ليست إلاّ من قبله تعالى، إمّا بإلقائها في قلوبهم، أو ببيان الأنبياء والحجج عليهم السلام، وإنّما كلّف العباد بقبول ذلك وإقرارهم به ظاهراً وتخلية النفس قبل ذلك لطلب الحقّ عن العصبيّة والعناد، وعمّا يوجب الحرمان عن الحقّ من تقليد أهل الفساد، وهذا هو المراد بالاختيار من الاكتساب.

---

(١) التوحيد، ص ٢٢٦ باب ٣٠ ح ٧. (٢) التوحيد، ص ٢٢٩ باب ٣٠ ذيل ح ٧.

ثم بيّن عليه السلام أن لتوفيق الله وخذلانه أيضاً مدخلاً في ذلك الاكتساب أيضاً كما سيأتي تحقيقه ؛ ولعلّ المنع من إطلاق الخلق على القرآن إمّا للتقيّة مماشاةً مع العامّة، أو لكونه موهماً لمعنى آخر أطلق الكفار عليه بهذا المعنى فقالوا: إن هذا إلاّ اختلاق، كما أشار إليه الصدوق رحمه الله . قوله: معروف ولا مجهول أي لم يكن مع الله شيء يعرفه الخلق أو يجهلونه.

٤٠ - **يد:** أبي، عن سعد، عن ابن عيسى، عن محمّد البرقيّ، عن أبي شعيب المحامليّ، عن أبي سليمان الجمّال، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن شيء من الاستطاعة فقال: ليست الاستطاعة من كلامي ولا من كلام آبائي.

قال الصدوق رحمه الله : يعني بذلك أنّه ليس من كلامي ولا من كلام آبائي أن يقول لله عزّ وجلّ : إنّه مستطيع كما قال الّذين كانوا على عهد عيسى عليه السلام : ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ السَّمَآءِ﴾[1] [2].

بيان: لعلّ منعه عن إطلاق الاستطاعة فيه تعالى لكونه استفعالاً من الطاعة فلا يليق إطلاقه بجنابه تعالى، أو لأنّ الاستطاعة إنّما تطلق على القدرة المتفرّعة على حصول الآلات والأدوات، والله تعالى منزّه عن ذلك، وسيأتي تحقيق معنى الخبر.

٤١ - **يد:** أبي وابن الوليد معاً، عن سعد، عن ابن عيسى، عن الحسن بن فضّال، عن أبي جميلة، عن محمّد بن عليّ الحلبيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ ﴿وَقَدْ كَانُواْ يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾[3] قال: وهم مستطيعون، يستطيعون الأخذ بما أمروا به، والترك لما نهوا عنه، وبذلك ابتلوا، قال: وسألته عن رجل مات وترك مائة ألف درهم ولم يحجّ حتّى مات، هل كان يستطيع الحجّ؟ قال: نعم إنّما استغنى عنه بماله وصحّته[4].

بيان: ليس «عنه» في بعض النسخ وهو أظهر، ومع وجوده يحتمل أن يكون «عن» بمعنى «اللاّم» كما قيل في قوله تعالى: ﴿إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ﴾ ويحتمل أن يكون الاستغناء عنه كناية عن الترك، والباء بمعنى «مع» أي تركه مع وجود ماله وصحّته.

٤٢ - **يد:** بهذا الإسناد، عن ابن عيسى، عن عليّ بن حديد، عن جميل، عن زرارة، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ ﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ قال: صارت أصلابهم كصياصي البقر - يعني قرونها - ﴿وَقَدْ كَانُواْ يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾ قال: وهم سالمون، وهم مستطيعون[5].

---

(١) التوحيد، ص ٣٤٤ باب ٦٥ ح ١. (٢) سورة المائدة، الآية: ١١٢.
(٣) سورة القلم، الآية: ٤٣. (٤) التوحيد، ص٣٤٥ باب ٥٦ هامش ح ٢ برقم أ.
(٥) التوحيد، ص ٣٤٦ باب ٥٦ هامش ح ٢ برقم ب.

٤٣ - **يد:** بهذا الإسناد، عن ابن عيسى، عن محمّد البرقيّ، عن محمّد بن يحيى الصيرفيّ عن صبّاح الحذّاء، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سأله زرارة - وأنا حاضر - فقال: أفرأيت ما افترض الله علينا في كتابه وما نهانا عنه؟ جعلنا مستطيعين لما افترض علينا، مستطيعين لترك ما نهانا عنه؟ فقال: نعم[١].

٤٤ - **يد:** بهذا الإسناد، عن ابن عيسى، عن سعيد بن جناح، عن عوف بن عبد الله الأزديّ، عن عمّه قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الاستطاعة، فقال: وقد فعلوا؟ فقلت: نعم زعموا أنّها لا تكون إلاّ عند الفعل وإرادة في حال الفعل لا قبله، فقال: أشرك القوم[٢].

بيان: قوله عليه السلام: وقد فعلوا أي نفوا الاستطاعة أيضاً بعدما نفوا سائر ضروريّات الدين؛ أو المعنى أنّهم فعلوا الفعل باختيارهم فكيف لا يستطيعون.

٤٥ - **يد:** بهذا الإسناد عن ابن عيسى، عن عليّ بن عبد الله، عن ابن أبي عمير، عن أبي الحسن الحذّاء، عن المعلّى بن خنيس قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام ما يعنى بقوله عزّ وجلّ: ﴿وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ﴾؟ قال: وهم مستطيعون[٣].

٤٦ - **يد:** ابن الوليد، عن سعد، عن ابن عيسى، ومحمّد بن عبد الحميد، وابن أبي الخطّاب جميعاً عن البزنطيّ، عن بعض أصحابنا، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لا يكون العبد فاعلاً ولا متحرّكاً إلاّ والاستطاعة معه من الله عزّ وجلّ، وإنّما وقع التكليف من الله عزّ وجلّ بعد الاستطاعة فلا يكون مكلّفاً للفعل إلاّ مستطيعاً[٤].

٤٧ - **يد:** عبد الله بن محمّد بن عبد الوهّاب، عن أحمد بن الفضل، عن منصور بن عبد الله، عن عليّ بن عبد الله، عن ابن أبي الخطّاب، عن محمّد بن أبي الحسين، عن سهل المصيصيّ، عنه عليه السلام مثله[٥].

٤٨ - **يد:** أبي، عن سعد، عن ابن بزيع، عن ابن أبي عمير، عمّن رواه من أصحابنا، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: لا يكون العبد فاعلاً إلاّ وهو مستطيع وقد يكون مستطيعاً غير فاعل، ولا يكون فاعلاً أبداً حتّى يكون معه الاستطاعة[٦].

٤٩ - **يد:** أبي وابن الوليد معاً، عن سعد، عن ابن عيسى، عن عليّ بن عبد الله عن أحمد ابن محمّد البرقيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله تعالى: ﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾[٧] قال: أكذبهم الله في قولهم: لو استطعنا لخرجنا معكم، وقد كانوا مستطيعين للخروج[٨].

---

(١) التوحيد، ص ٣٤٧ باب ٥٦ ح ٤.
(٢) التوحيد، ص ٣٥٠ باب ٥٦ ح ١٢.
(٣) التوحيد، ص ٣٥١ باب ٥٦ ح ١٧.
(٤) التوحيد، ص ٣٥١ باب ٥٦ ح ١٨.
(٥) التوحيد، ص ٣٤٥ باب ٥٦ ح ٢.
(٦) التوحيد، ص ٣٥٠ باب ٥٦ ح ١٣.
(٧) سورة التوبة، الآية: ٤٢.
(٨) التوحيد، ص ٣٥١ باب ٥٦ ح ١٦.

٥٠ - يد: بهذا الإسناد، عن ابن عيسى، عن الحجّال، عن ثعلبة، عن عبد الأعلى بن أعين، عن أبي عبد الله عليه السلام في هذه الآية ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلَٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾[1] أنهم كانوا يستطيعون الخروج، وقد كان في العلم أنّه لو كان عرضاً قريباً وسفراً قاصداً لفعلوا[2].

٥١ - يد: أبي وابن الوليد، عن سعد والحميريّ، هما عن ابن عيسى، عن الحسن بن عليّ بن فضّال، عن أبي جميلة، عن محمّد الحلبيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما أمر العباد إلاّ بدون سعتهم، فكلّ شيء أمر الناس بأخذه فهم متّسعون له وما لا يتّسعون له فهو موضوع عنهم، ولكنّ الناس لا خير فيهم[3].

٥٢ - يد: ابن الوليد، عن ابن أبان، عن الحسين بن سعيد، عن عبيد بن زرارة، عن حمزة ابن حمران قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الاستطاعة فلم يجبني، فدخلت عليه دخلة أخرى فقلت: أصلحك الله إنّه قد وقع في قلبي منها شيء لا يخرجه إلاّ شيء أسمعه منك؛ قال: فإنّه لا يضرّك ما كان في قلبك؛ قلت: أصلحك الله فإنّي أقول: إنّ الله تعالى لم يكلّف العباد إلاّ ما يستطيعون وإلاّ ما يطيقون، فإنّهم لا يصنعون شيئاً من ذلك إلاّ بإرادة الله ومشيّته وقضائه وقدره، قال: هذا دين الله الّذي أنا عليه وآبائي؛ أو كما قال.

قال الصدوق رحمه الله: مشيّة الله وإرادته في الطاعات الأمر بها، وفي المعاصي النهي عنها والمنع منها بالزجر والتحذير[4].

٥٣ - يد: العطّار، عن أبيه، عن ابن عيسى، عن عليّ بن الحكم، عن ابن بكير عن حمزة بن حمران قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنّ لنا كلاماً نتكلّم به، قال: هاته؛ قلت: نقول: إنّ الله عزّ وجلّ أمر ونهى وكتب الآجال والآثار لكلّ نفس بما قدّر لها وأراد وجعل فيهم من الاستطاعة لطاعته ما يعملون به ما أمرهم به وما نهاهم عنه، فإذا تركوا ذلك إلى غيره كانوا محجوجين بما صيّر فيهم من الاستطاعة والقوّة لطاعته، فقال: هذا هو الحقّ إذا لم تعده إلى غيره[5].

٥٤ - يد: ابن الوليد، عن الصفّار، عن ابن أبي الخطّاب، عن ابن أسباط قال: سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام عن الاستطاعة، فقال: يستطيع العبد بعد أربع خصال: أن يكون مخلّى السرب، صحيح الجسم، سليم الجوارح، له سبب وارد من الله عزّ وجلّ قال: قلت: جعلت فداك فسّرها لي، قال: أن يكون العبد مخلّى السرب، صحيح الجسم سليم الجوارح، يريد

(١) سورة التوبة، الآية: ٤٢.
(٢) التوحيد، ص ٣٥١ باب ٥٦ ح ١٥.
(٣) التوحيد، ص ٣٤٧ باب ٥٦ ح ٦.
(٤) التوحيد، ص ٣٤٦ باب ٥٦ ح ٣.
(٥) التوحيد، ص ٣٤٧ باب ٥٦ ح ٥.

أن يزني فلا يجد امرأة ثمَّ يجدها، فإمّا أن يعصم فيمتنع كما امتنع يوسف عليه السلام، أو يخلّى بينه وبين إرادته فيزني فيسمّى زانياً، ولم يطع الله بإكراه، ولم يعص بغلبة(١).

بيان: السبب الوارد من الله هو العصمة أو التخلية.

٥٥ - **يد:** ابن الوليد، عن ابن أبان، عن الحسين بن سعيد، عن حمّاد بن عيسى، عن الحسين بن المختار، عن إسماعيل بن جابر، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الله عز وجل خلق الخلق فعلم ما هم صائرون إليه، وأمرهم ونهاهم، فما أمرهم به من شيء فقد جعل لهم السبيل إلى الأخذ به، وما نهاهم عنه فقد جعل لهم السبيل إلى تركه، ولا يكونون فيه آخذين ولا تاركين إلاّ باذن الله عزّ وجلّ . قال الصدوق رحمه الله: يعني بعلمه(٢).

٥٦ - **يد:** بهذا الإسناد، عن الحسين، عن فضالة، عن أبان، عن حمزة بن محمّد الطيّار قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ : ﴿وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ﴾ قال: مستطيعون يستطيعون الأخذ بما أُمروا به، والترك لما نهوا عنه، وبذلك ابتلوا، ثمَّ قال: ليس شيء ممّا أُمروا به ونهوا عنه إلاّ ومن الله عزّ وجلّ فيه ابتلاء وقضاء(٣).

سن: ابن فضّال، عن أبي جميلة، عن محمّد الحلبيّ مثله.

٥٧ - **يد:** أبي، عن سعد، عن الحسين بن سعيد، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما كلّف الله العباد كلفة فعل، ولا نهاهم عن شيء حتّى جعل لهم الاستطاعة، ثمَّ أمرهم ونهاهم فلا يكون العبد آخذاً ولا تاركاً إلاّ باستطاعة متقدّمة قبل الأمر والنهي، وقبل الأخذ والترك، وقبل القبض والبسط(٤).

٥٨ - **يد:** ابن الوليد، عن الصفّار، عن ابن عيسى، عن عليّ بن الحكم، عن هشام بن سالم، عن سليمان بن خالد قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: لا يكون من العبد قبض ولا بسط إلاّ باستطاعة متقدّمة للقبض والبسط(٥).

٥٩ - **يد:** أبي، عن سعد، عن ابن أبي الخطّاب، عن المحامليّ، وصفوان بن يحيى معاً، عن ابن مسكان، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول - وعنده قوم يتناظرون في الأفاعيل والحركات - فقال: الاستطاعة قبل الفعل، لم يأمر الله عزّ وجلّ بقبض ولا بسط إلاّ والعبد لذلك مستطيع(٦).

٦٠ - **يد:** أبي، عن سعد، عن ابن يزيد، عن مروك بن عبيد، عن عمر ورجل من أصحابنا، عمّن سأل أبا عبد الله عليه السلام فقال له: إنّ لي أهل بيت قدريّة يقولون: نستطيع أن نعمل كذا وكذا، ونستطيع أن لا نعمل؟ قال: فقال أبو عبد الله عليه السلام: قل له: هل تستطيع

(١) - (٣) التوحيد، ص ٣٤٨ باب ٥٦ ح ٧ - ٩.

(٤) - (٦) التوحيد، ص ٣٥٢ باب ٥٦ ح ١٩ و٢٠ و٢١.

أن لا تذكر ما تكره وأن لا تنسى ما تحبّ؟ فإن قال: لا فقد ترك قوله، وإن قال: نعم فلا تكلّمه أبداً فقد ادّعى الربوبيّة(١).

٦١ - **يد:** أبي، عن سعد، عن صالح بن أبي حمّاد، عن أبي خالد السجستانيّ، عن عليّ ابن يقطين، عن أبي إبراهيم عليه السلام قال: مرّ أمير المؤمنين عليه السلام بجماعة بالكوفة وهم يختصمون بالقدر، فقال لمتكلّمهم: أبالله تستطيع؟ أم مع الله؟ أم من دون الله تستطيع؟ فلم يدر ما يردّ عليه، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: إن زعمت أنّك بالله تستطيع فليس إليك من الأمر شيء، وإن زعمت أنّك مع الله تستطيع فقد زعمت أنّك شريك معه في ملكه، وإن زعمت أنّك من دون الله تستطيع فقد ادّعيت الربوبيّة من دون الله تعالى؛ فقال: يا أمير المؤمنين لا بل بالله أستطيع، فقال: أما إنّك لو قلت غير هذا لضربت عنقك(٢).

بيان: لعلّه أراد عليه السلام بقوله: بالله تستطيع أن الله يجبره على الفعل، فلذا قال: فليس إليك من الأمر شيء، ولمّا نفى المتكلّم الثلاثة وقال: بالله أستطيع علم أن مراده أنّي مستطيع قادر بما ملّكني الله من الأسباب والآلات، فلذا لم يردّ عليه السلام كلامه وقبل منه، ويحتمل على بعد أن يكون اختار الشقّ الأوّل، فقوله عليه السلام: ليس إليك من الأمر شيء أي لا تستقلّ في الفعل بأن تقدر على تحصيل جميع ما يتوقّف عليه الفعل، والحاصل أنّه لمّا كان قدريّاً تفويضيّاً قال عليه السلام: إن اخترت هذا فقد أقررت ببطلان ما تعتقده من استقلال العبد ولابدّ لك من اختياره.

٦٢ - **ن، يد:** تميم القرشيّ، عن أبيه، عن أحمد بن عليّ، عن الهرويّ قال: سأل المأمون الرضا عليه السلام عن قوله الله عزّ وجلّ: ﴿ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطَآءٍ عَن ذِكْرِى وَكَانُوا۟ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾(٣) فقال: إنّ غطاء العين لا يمنع من الذكر، والذكر لا يرى بالعيون، ولكنّ الله شبّه الكافرين بولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام بالعميان لأنّهم كانوا يستثقلون قول النبيّ صلى الله عليه وآله فيه، وكانوا لا يستطيعون سمعاً، فقال المأمون: فرّجت عنّي فرّج الله عنك(٤).

٦٣ - **ف:** كتب الحسن البصريّ إلى أبي محمّد الحسن بن عليّ عليهما السلام: أمّا بعد فإنّكم معشر بني هاشم الفلك الجارية في اللّجج الغامرة، والأعلام النيرة الشاهرة، أو كسفينة نوح عليه السلام الّتي نزلها المؤمنون ونجا فيها المسلمون، كتبت إليك يابن رسول الله عند اختلافنا في القدر، وحيرتنا في الاستطاعة، فأخبرنا بالّذي عليه رأيك ورأي آبائك عليهم السلام، فإنّ من علم الله علمكم، وأنتم شهداء على الناس، والله الشاهد عليكم، ذرّيّة بعضها من بعض والله سميع عليم.

---

(١) - (٢) التوحيد، ص ٣٥٢ باب ٥٦ ح ٢٢ و٢٣.

(٣) سورة الكهف، الآية: ١٠١.

(٤) عيون أخبار الرضا عليه السلام ج ١ ص ١٢٤ باب ١١ ح ٣٣ والتوحيد، ص ٣٥٣ باب ٥٦ ح ٢٥.

فأجابه الحسن عليه السلام: بسم الله الرَّحمن الرحيم وصل إليَّ كتابك، ولولا ما ذكرته من حيرتك وحيرة من مضى قبلك إذاً ما أخبرتك، أمّا بعد فمن لم يؤمن بالقدر خيره وشرّه أن الله يعلمه فقد كفر، ومن أحال المعاصي على الله فقد فجر، إنّ الله لم يطع مكرهاً، ولم يعص مغلوباً، ولم يهمل العباد سدى من المملكة، بل هو المالك لما ملّكهم، والقادر على ما عليه أقدرهم، بل أمرهم تخييراً، ونهاهم تحذيراً، فإن ائتمروا للطاعة لم يجدوا عنها صادّاً، وإن انتهوا إلى المعصية فشاء أن يمنَّ عليهم بأن يحول بينهم وبينها فعل، وإن لم يفعل فليس هو الّذي حملهم عليها جبراً، ولا ألزموها كرهاً، بل منّ عليهم بأن بصّرهم وعرّفهم وحذّرهم وأمرهم ونهاهم، لا جبلاً لهم على ما أمرهم به فيكونوا كالملائكة، ولا جبراً لهم على ما نهاهم عنه، ولله الحجّة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين. والسلام على من اتّبع الهدى[1].

أقول: سيأتي في كتاب الاحتجاجات بسند آخر أبسط من هذا.

٦٤ - **سن:** عليّ بن الحكم، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الله أكرم من أن يكلّف الناس ما لا يطيقون، والله أعزّ من أن يكون في سلطانه ما لا يريد[2].

٦٥ - **سن:** أبي، عن حمّاد، عن الحسين بن المختار، عن حمزة بن حمران قال: قلت له: إنّا نقول: إنّ الله لم يكلف العباد إلاّ ما آتاهم، وكلّ شيء لا يطيقونه فهو عنهم موضوع، ولا يكون إلاّ ما شاء الله وقضى وقدّر وأراد؛ فقال: والله إنّ هذا لديني ودين آبائي[3].

٦٦ - **سن:** عليّ بن الحكم، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما كلّف الله العباد إلاّ ما يطيقون، وإنّما كلّفهم في اليوم واللّيلة خمس صلوات، وكلّفهم من كلّ مائتي درهم خمسة دراهم، وكلّفهم صيام شهر رمضان في السنة، وكلّفهم حجّة واحدة وهم يطيقون أكثر من ذلك، وإنما كلّفهم دون ما يطيقون ونحو هذا[4].

٦٧ - **سن:** أبي، عن العبّاس بن عامر، عن محمّد بن يحيى الخثعميّ، عن عبد الرحيم القصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سأله حفص الأعور - وأنا أسمع -: جعلني الله فداك قول الله: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾[5] قال: ذلك القوّة في المال أو اليسار، قال: فإن كانوا موسرين فهم ممّن يستطيع إليه السبيل؟ قال: نعم، فقال له ابن سيّابة: بلغنا عن أبي جعفر عليه السلام أنّه كان يقول: يكتب وفد الحاجّ؛ فقطع كلامه فقال: كان أبي يقول: يكتبون في اللّيلة الّتي قال الله: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾[6] قال: فإن لم يكتب في تلك اللّيلة يستطيع الحجّ؟ قال: لا معاذ الله، فتكلّم حفص فقال: لست من خصومتكم في شيء، هكذا الأمر[7].

---

(١) تحف العقول، ص ١٦٤.
(٢) - (٤) المحاسن، ص ٢٩٦.
(٥) سورة آل عمران، الآية: ٩٧.
(٦) سورة الدخان، الآية: ٦.
(٧) المحاسن، ص ٤٩٥.

٦٨ - ضا: أروي أن رجلاً سأل العالم عليه السلام فقال: يا بن رسول الله أليس أنا مستطيع لما كلّفت؟ فقال له عليه السلام : ما الاستطاعة عندك؟ قال: القوّة على العمل، قال له عليه السلام : قد أعطيت القوّة إن أعطيت المعونة، قال له الرجل: فما المعونة؟ قال: التوفيق ؛ قال: فلم إعطاء التوفيق؟ قال: لو كنت موفّقاً كنت عاملاً، وقد يكون الكافر أقوى منك ولا يعطى التوفيق فلا يكون عاملاً.

ثمَّ قال عليه السلام : أخبرني عنك من خلق فيك القوّة؟ قال الرجل: الله تبارك وتعالى، قال العالم: هل تستطيع بتلك القوّة دفع الضرّ عن نفسك وأخذ النفع إليها بغير العون من الله تبارك وتعالى؟ قال: لا، قال: فلم تنتحل ما لا تقدر عليه؟! ثمّ قال: أين أنت عن قول العبد الصالح: «وما توفيقي إلاّ بالله»[1].

٦٩ - وأروي أن رجلاً سأله عن الاستطاعة، فقال: أتستطيع أن تعمل ما لم يكن؟ قال: لا، قال: أتستطيع أن تنتهي عمّا يكون؟ قال: لا، قال: ففيما أنت مستطيع؟ قال الرجل: لا أدري! فقال العالم عليه السلام : إنّ الله عزّ وجلّ خلق خلقاً فجعل فيهم آلة الفعل، ثمَّ لم يفوّض إليهم، فهم مستطيعون للفعل في وقت الفعل مع الفعل. قال له الرجل: فالعباد مجبورون؟ فقال: لو كانوا مجبورين كانوا معذورين. قال الرجل: ففوّض إليهم؟ قال: لا. قال: فما هو؟ قال العالم عليه السلام : علم منهم فعلاً فجعل فيهم آلة الفعل، فإذا فعلوا كانوا مستطيعين[2].

بيان: ما ورد في هذا الخبر من عدم تقدّم الاستطاعة على الفعل موافقاً لأخبار أوردها الكليني في ذلك يحتمل وجوهاً:

الأوّل: التقيّة لموافقته لما ذهب إليه الأشاعرة من أن للعبد قدرةً وكسباً، مقارنة للفعل، غير مؤثّرة فيه، ولمخالفته لما سبق من الأخبار الكثيرة الدالّة على تقدّم الاستطاعة وأن من لا يقول به فهو مشرك.

الثاني: أن يكون المراد بالاستطاعة في أمثال هذا الخبر الاستقلال بالفعل، بحيث لا يمكن أن يمنعه عنه مانع، ولا يكون هذا إلاّ في حال الفعل إذ يمكن قبل الفعل أن يزيله الله عن الفعل ولو بإعدامه وإزالة عقله، أو شيء آخر ممّا يتوقّف عليه الفعل.

الثالث: أن يكون المعنى أنّ في حال الفعل يظهر الاستطاعة ويعلم أنّه كان مستطيعاً قبله، بأن أذن الله له في الفعل، كما ورد أن بعد القضاء لا بداء ؛ والأوّل أظهر.

جا: عليّ بن مالك النحويّ، عن محمّد بن الفضل، عن محمّد بن أحمد الكاتب، عن يموت بن المزرع، عن عيسى بن إسماعيل، عن الأصمعيّ، عن عيسى بن عمر قال: كان ذو

---

(١) الفقه المنسوب للإمام الرضا عليه السلام ، ص ٣٥١.

(٢) الفقه المنسوب للإمام الرضا عليه السلام ، ص ٣٥٢.

الرمة الشاعر يذهب إلى النفي في الأفعال، وكان رؤبة بن العجّاج إلى الاثبات فيها، فاجتمعا في يوم من أيّامهما عند بلال بن أبي بردة - وهو والي البصرة - وبلال يعرف ما بينهما من الخلاف، فحضّهما على المناظرة فقال رؤبة: والله ما يفحص طائر أفحوصاً ولا يقرمص سبع قرموصاً إلاّ كان ذلك بقضاء الله وقدره، فقال له ذو الرمة:

والله ما أذن الله للذئب أن يأخذ حلوبة عالة عيايل ضرايك، فقال له رؤبة: أفبمشيّته أخذها؟ أم بمشيّة الله؟ فقال ذو الرمة: بل بمشيّته وإرادته، فقال رؤبة: هذا والله الكذب على الذئب! فقال ذو الرمة: والله الكذب على الذئب أهون من الكذب على ربّ الذئب! فقال: وأنشدني أبو الحسن عليّ بن مالك النحويّ في أثر هذا الحديث لمحمود الورّاق:

أعاذل لم آت الذنوب على جهل ولا أنّها من فعل غيري ولا فعلي
ولا جرأة منّي على الله جئتها ولا أن جهلي لا يحيط به عقلي
ولكن بحسن الظن منّي بعفو من تفرّد بالصنع الجميل وبالفضل
فإن صدق الظنّ الّذي قد ظننته ففي فضله ما صدق الظنّ من مثلي
وإن نالني منه العقاب فإنما أتيت من الانصاف في الحكم والعدل[1]

أقول: روى السيّد المرتضى في الغرر هذ الخبر بسند آخر عن أبي عبدة.

بيان: قال الجزريّ: أفحوص القطاة: موضعها الّذي تجثم فيه وتبيض كأنّها تفحص عنه التراب أي تكشفه، والفحص: البحث والكشف. وقال في مناظرة ذي الرمة ورؤبة: ما تقرمص سبع قرموصاً إلاّ بقضاء؛ القرموص: حفرة يحفرها الرجل يكتنّ فيها من البرد، يأوي إليها الصيد، وهي واسعة الجوف ضيّقة الرأس، وقرمص وتقرمص: إذا دخلها، وتقرمص السبع: إذا دخلها للاصطياد.

وقال في قصّة ذي الرمة ورؤبة: عالة ضرائك الضرائك جمع ضريك، وهو الفقير سيّئ الحال، وقيل: الهزيل.

وقال السيّد في الغرر: العيايل جمع عيل، وهو ذو العيال، والضرائك جمع ضريك وهو الفقير. وفي رواية السيّد: هذا كذب على الذئب ثان، فالمعنى أنّه كذب ثان على الذئب بعدما كذب عليه في قصّة يوسف.

٧٠ - **كش:** حمدويه وابراهيم ابنا نصير، عن العبيديّ، عن هشام بن إبراهيم المشرقيّ قال: قال لي أبو الحسن الخراسانيّ: كيف تقولون في الاستطاعة بعد يونس؟ فذهب فيها مذهب زرارة ومذهب زرارة هو الخطأ؛ فقلت: لا ولكنه - بأبي أنت وأمّي - ما يقول زرارة في الاستطاعة، وقول زرارة هم قدر، ونحن منه برآء، وليس من دين آبائك، قال: فبأيّ شيء تقولون؟ قلت: بقول أبي عبد الله عليه السلام وسئل عن قول الله عزّ وجلّ ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ

(١) أمالي المفيد، ص ١٠٧.

مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾[١] ما استطاعته؟ قال: فقال أبو عبد الله عليه السلام: صحّته وماله، فنحن بقول أبي عبد الله عليه السلام نأخذ، قال: صدق أبو عبد الله عليه السلام هذا هو الحقّ[٢].

بيان: قوله: ما يقول زرارة في الاستطاعة وقول زرارة فيمن قدر كذا في بعض النسخ، فلعلّ المعنى أن زرارة لا يقول بالاستطاعة، بل إنّما يقول بها فيمن قدر على الفعل بإذنه وتوفيقه تعالى، ونحن من القول بالاستطاعة المحضة برآء، فكلمة «ما» نافية، ويحتمل أن يكون استفهاماً للانكار والتحقير أي أيّ شيء قول زرارة فنقول به؟ ثمّ بين أنّه قوله بالاستطاعة فيمن قدر على الفعل، وفي أكثر النسخ «هم قدّر» فيحتمل الوجه الثاني، ويكون قدّر بضمّ القاف وتشديد الدال جمع قادر أي يقول: هم قادرون بالاستقلال. وفي بعض النسخ «قذر» بالذال المعجمة، وربّما قرأ قوم زرارة، وقد يقرأ هيّم قذر، والهيّم بالكسر الإبل العطاش، وأثر التصحيف والتحريف فيه ظاهر.

٧١ - **كش:** محمّد بن قولويه، عن محمّد بن أبي القاسم ماجيلويه، عن زياد بن أبي الحلال قال: قلت لابي عبد الله عليه السلام: إنّ زرارة روى عنك في الاستطاعة شيئاً فقبلنا منه وصدّقناه وقد أحببت أن أعرضه عليك، فقال: هاته، فقلت: زعم أنّه سألك عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾ فقلت: من ملك زاداً وراحلةً؛ فقال: كلّ من ملك زاداً وراحلة فهو مستطيع للحجّ وإن لم يحجّ؟ فقلت: نعم. فقال: ليس هكذا سألني ولا هكذا قلت، كذب عليّ والله، كذب عليّ والله لعن الله زرارة! لعن الله زرارة! إنّما قال لي: من كان له زاد وراحلة فهو مستطيع للحجّ؟ قلت: وقد وجب عليه، قال: فمستطيع هو؟ قلت: لا حتّى يؤذن له. قلت: فأخبر زرارة بذلك؟ قال: نعم. قال زياد: فقدمت الكوفة فلقيت زرارة فأخبرته بما قال أبو عبد الله عليه السلام وسكتُّ عن لعنه، قال: أما إنّه قد أعطاني الاستطاعة من حيث لا يعلم، وصاحبكم هذا ليس له بصيرة بكلام الرجال[٣].

٧٢ - **كش:** محمّد بن مسعود، عن محمّد بن عيسى، عن حريز، قال: خرجت إلى فارس، وخرج معنا محمّد الحلبيّ إلى مكّة، فاتّفق قدومنا جميعاً إلى حنين، فسألت الحلبيّ فقلت له: أطرفنا بشيء.

قال: نعم جئتك بما تكره، قلت لابي عبد الله عليه السلام: ما تقول في الاستطاعة؟ فقال: ليس من ديني ولا من دين آبائي، فقلت: الآن ثلج عن صدري والله لا أعود لهم مريضاً، ولا أشيّع لم جنازة، ولا أعطيهم شيئاً من زكاة مالي. قال: فاستوى أبو عبد الله عليه السلام جالساً وقال لي: كيف قلت؟ فأعدت عليه الكلام، فقال أبو عبد الله عليه السلام: كان أبي عليه السلام يقول: أولئك قوم حرّم الله وجوههم على النار، فقلت: جعلت فداك وكيف قلت لي: ليس من ديني ولا من دين آبائي؟ قال: إنّما أعني بذلك قول زرارة وأشباهه[٤].

---

(١) سورة الحج، الآية: ٩٧.
(٢) رجال الكشي، ص ٣٥٧.
(٣) رجال الكشي، ص ٣٥٩.
(٤) رجال الكشي، ص ٣٦٥.

بيان: قوله: لا أعود لهم مريضاً أي للقائلين بالاستطاعة من الشيعة فعرف عليه السلام أن مراده مطلق القائلين بالاستطاعة، فرد عليه بأنّ ما نفيته هو ما ينسب إلى زرارة موافقاً لمذهب التفويض، بل الحقّ الأمر بين الامرين كما مرّ، وهذا هو معنى الخبر، لا ما حمله عليه الصدوق رحمه الله سابقاً.

٧٣ - **يف:** روى جماعة من علماء الإسلام، عن نبيّهم صلى الله عليه وآله أنّه قال: لعنت القدريّة على لسان سبعين نبيّاً؛ قيل: ومن القدريّة يا رسول الله؟ فقال: قوم يزعمون أن الله سبحانه قدّر عليهم المعاصي وعذّبهم عليها[1].

٧٤ - وروى صاحب الفائق وغيره من علماء الإسلام، عن محمّد بن عليّ المكّي بإسناده قال: إنّ رجلاً قدم على النبيّ صلى الله عليه وآله فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: أخبرني بأعجب شيء رأيت، قال رأيت قوماً ينكحون أُمهاتهم وبناتهم وأخواتهم فإذا قيل لهم: لمَ تفعلون ذلك؟ قالوا: قضاء الله تعالى علينا وقدره؛ فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: سيكون من أُمّتي أقوام يقولون مثل مقالتهم، أولئك مجوس أُمّتي[2].

٧٥ - وروى صاحب الفائق وغيره، عن جابر بن عبد الله، عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: يكون في آخر الزمان قوم يعملون المعاصي، ويقولون: إنّ الله قد قدّرها عليهم، الرادُّ عليهم كشاهر سيفه في سبيل الله[3].

٧٦ - **كش:** محمّد بن مسعود، عن عبد الله بن محمّد بن خالد، عن الوشّاء، عن ابن خداش، عن عليّ بن إسماعيل، عن ربعيّ، عن الهيثم بن حفص العطّار، عن حمزة بن حمران قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: يقول زرارة: إنّ الله عزّ وجلّ لم يكلّف العباد إلاّ ما يطيقون، وإنّهم لم يعملوا إلاّ إن يشاء الله ويريد ويقضي، قال: هو والله الحقّ، ودخل علينا صاحب الزطيّ، فقال له: يا ميسر ألست على هذا؟ قال: على أيّ شيء أصلحك الله؟ - أو جعلت فداك - قال: فأعاد هذا القول عليه كما قلت له، ثمّ قال: هذا والله ديني ودين آبائي[4].

٧٧ - **كش:** عليّ بن الحسين بن قتيبة، عن محمّد بن أحمد، عن محمّد بن عيسى، عن إبراهيم بن عبد الحميد، عن الوليد بن صبيح قال: مررت في الروضة بالمدينة فإذا إنسان قد جذبني، فالتفتّ فإذا أنا بزرارة فقال لي: استأذن لي على صاحبك، قال: فخرجت من المسجد ودخلت على أبي عبد الله عليه السلام فأخبرته الخبر، فضرب بيده على لحيته، ثمّ قال: لا تأذن له - ثلاثاً - فإنّ زرارة يريدني على القدر على كبر السنّ، وليس من ديني ولا دين آبائي[5].

---

(١) - (٣) الطرائف إلى معرفة مذاهب الطوائف لابن طاووس ج ٢ ص ٣٥.

(٤) رجال الكشي، ص ٣٥٨. (٥) رجال الكشي، ص ٣٨٠.

٧٨ - ما: الحسين بن إبراهيم القزوينيّ، عن محمّد بن وهبان، عن أحمد بن إبراهيم، عن الحسن بن عليّ الزعفرانيّ، عن البرقيّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: - في قول الله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ (١) - فقال: كانوا يقولون: قد فرغ من الأمر(٢).

٧٩ - يد: عليّ بن أحمد الأسواري، عن مكّي بن أحمد البردعيّ، عن محمّد بن القاسم ابن عبد الرحمن، عن محمّد بن أشرس، عن بشير بن الحكم، وإبراهيم بن أبي نصر، عن عبد الملك بن هارون، عن غياث بن المجيب، عن الحسن البصريّ، عن عبد الله بن عمر، عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: قال: سبق العلم، وجفّ القلم، وتمّ القضاء بتحقيق الكتاب وتصديق الرسالة، والسعادة من الله، والشقاوة من الله عزّ وجلّ، قال عبد الله بن عمر: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يروي حديثه عن الله عزّ وجلّ، قال: قال الله: يا بن آدم بمشيّتي كنت أنت الّذي تشاء لنفسك ما تشاء، وبإرادتي كنت أنت الّذي تريد لنفسك ما تريد، وبفضل نعمتي عليك قويت على معصيتي، وبعصمتي وعفوي وعافيتي أدّيت إليّ فرائضي، فأنا أولى بإحسانك منك، وأنت أولى بذنبك منّي، فالخير منّي إليك بما أوليت بدا(٣)، والشرّ منّي إليك ما جنيت جزاءً، وبسوء ظنّك بي قنطت من رحمتي، فلي الحمد والحجّة عليك بالبيان، ولي السبيل عليك بالعصيان، ولك الجزاء الحسنى عندي بالإحسان، لم أدع تحذيرك، ولم أخذل عند عزّتك، ولم أكلّفك فوق طاقتك، ولم أحمّلك من الأمانة إلاّ ما قدرت عليه، رضيت منك لنفسي ما رضيت به لنفسك منّي. قال عبد الملك: لن أعذّبك إلاّ بما عملت(٤).

بيان: قال الجزريّ فيه: جفّت الأقلام، وطويت الصحف، يريد ما كتب في اللّوح المحفوظ من المقادير والكائنات والفراغ منها تمثيلاً بفراغ الكاتب من كتابته ويبس قلمه انتهى. قوله تعالى: بدأ كفعل أو كفعال أي ابتدأ من غير استحقاق، وفي بعض النسخ يداً أي نعمة.

أقول: قول عبد الملك بن هارون في آخر الخبر تفسير للفقرة الأخيرة أي رضيت بسببك، أو من الأمور المتعلّقة بك لنفسي، أن أعذّبك كما رضيت لنفسك بفعل ما يوجبه فيرجع حاصله إلى أنّه لن أعذّبك إلاّ بما عملت.

٨٠ - يد: تميم القرشيّ، عن أبيه، عن أحمد بن عليّ الأنصاريّ، عن الهرويّ قال: سأل المأمون يوماً عليّ بن موسى الرضا عليه السلام فقال له: يابن رسول الله ما معنى قول الله عزّ وجلّ:

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٦٤. (٢) أمالي الطوسي، ص ٦٦١ مجلس ٣٥ ح ١٣٧٤.
(٣) في المصدر: بداء.
(٤) التوحيد، ص ٣٤٠ باب ٥٥ ح ١٠ وفيه: ولم آخذك عند عزّتك.

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ﴾[1] فقال الرضا عليه السلام: حدّثني أبي موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمّد، عن أبيه محمّد بن عليّ، عن أبيه عليّ بن الحسين، عن أبيه الحسين بن عليّ، عن أبيه عليّ بن أبي طالب عليه السلام أن المسلمين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وآله: لو أكرهت يارسول الله من قدرت عليه من الناس على الإسلام لكثر عددنا وقوينا على عدوّنا؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما كنت لألقى الله عزّ وجلّ ببدعة لم يحدث إليّ فيها شيئاً وما أنا من المتكلّفين. فأنزل الله تبارك وتعالى: يا محمد ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًاۚ﴾ على سبيل الالجاء والاضطرار في الدنيا، كما يؤمنون عند المعاينة ورؤية البأس في الآخرة، ولو فعلت ذلك بهم لم يستحقّوا منّي ثواباً ولا مدحاً لكنّي أريد منهم أن يؤمنوا مختارين غير مضطرّين، ليستحقّوا منّي الزلفى والكرامة ودوام الخلود في جنّة الخلد، ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ وأمّا قوله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ﴾ فليس ذلك على سبيل تحريم الإيمان عليها، ولكن على معنى أنّها ما كانت لتؤمن إلاّ بإذن الله، وإذنه أمره لها بالإيمان، ما كانت مكلّفة متعبّدة وإلجاؤه إيّاها إلى الإيمان عند زوال التكليف والتعبّد عنها، فقال المأمون: فرّجت عنّي يا أبا الحسن فرج الله عنك[2].

بيان قال الطبرسيّ رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ﴾: معناه الإخبار عن قدرة الله تعالى، وأنه يقدر على أن يكره الخلق على الإيمان كما قال: ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ﴾[3] ولذلك قال بعد ذلك: ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ ومعناه أنّه لا ينبغي أن تريد إكراههم على الإيمان، مع أنّك لا تقدر عليه لأنّ الله تعالى يقدر عليه ولا يريده لأنّه ينافي التكليف؛ وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ﴾ معناه أنّه لا يمكن أحداً أن يؤمن إلاّ بإطلاق الله له في الإيمان، وتمكينه منه، ودعائه إليه بما خلق فيه من العقل الموجب لذلك؛ وقيل: إنّ إذنه ههنا أمره كما قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْۚ﴾[4] وقيل: إنّ إذنه ههنا علمه، أي لا تؤمن نفس إلاّ بعلم الله، من قولهم: أذنت لكذا: إذا سمعته وعلمته، وآذنته: أعلمته، فتكون خبراً عن علمه تعالى بجميع الكائنات، ويجوز أن يكون معناه إعلام الله تعالى المكلّفين بفضل الإيمان وما يدعوهم إلى فعله ويبعثهم عليه[5].

٨١ - يد: أبي وابن الوليد معاً، عن محمّد العطّار وأحمد بن إدريس، هما عن الأشعريّ، عن ابن هاشم، عن ابن معبد، عن درست، عن الفضيل قال: سمعت أبا

---

(١) سورة يونس، الآيتان: ٩٩ و١٠٠.
(٢) التوحيد، ص ٣٤١ باب ٥٥ ح ١١.
(٣) سورة الشعراء، الآية: ٤.
(٤) سورة النساء، الآية: ١٧٠.
(٥) مجمع البيان، ج ٥ ص ٢٣٢.

عبد الله عليه السلام يقول: شاء الله أن أكون مستطيعاً لما لم يشأ أن أكون فاعله ؛ قال: وسمعته يقول: شاء وأراد ولم يحبّ ولم يرض، شاء أن لا يكون في ملكه شيء إلاّ بعلمه وأراد مثل ذلك، ولم يحبّ أن يقال له: ثالث ثلاثة، ولم يرض لعباده الكفر(١).

٨٢ - **يد:** ابن المتوكّل، عن السعد آباديّ، عن البرقيّ، عن أبيه، عن يونس، عن غير واحد، عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام قالا: إنّ الله عزّ وجلّ أرحم بخلقه من أن يجبر خلقه على الذنوب ثمّ يعذّبهم عليها، والله أعز من أن يريد أمراً فلا يكون، قال: فسئلا عليهما السلام: هل بين الجبر والقدر منزلة ثالثة؟ قالا: نعم أوسع ممّا بين السماء والأرض(٢).

٨٣ - **يد:** الورّاق، عن سعد عن إسماعيل بن سهل، عن عثمان بن عيسى، عن محمّد بن عجلان قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: فوّض الله الأمر إلى العباد؟ قال: الله أكرم من أن يفوّض إليهم ؛ قلت: فأجبر الله العباد على أفعالهم؟ فقال: الله أعدل من أن يجبر عبداً على فعل ثمّ يعذّبه عليه(٣).

٨٤ - **يد:** أبي، عن سعد، عن ابن يزيد، عن حمّاد بن عيسى، عن إبراهيم بن عمر اليمانيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الله عزّ وجلّ خلق الخلق فعلم ما هم صائرون إليه، وأمرهم ونهاهم، فما أمرهم به من شيء فقد جعل لهم السبيل إلى الاخذ به، وما نهاهم عنه من شيء فقد جعل لهم السبيل إلى تركه، ولا يكونون آخذين ولا تاركين إلاّ بإذن الله(٤).

٨٥ - **يد:** أبي، عن عليّ بن إبراهيم، عن اليقطينيّ، عن يونس، عن حفص بن قرط، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من زعم أن الله تعالى يأمر بالسوء والفحشاء فقد كذب على الله ومن زعم أن الخير والشرّ بغير مشيّة الله فقد أخرج الله من سلطانه، ومن زعم أن المعاصي بغير قوة الله فقد كذب على الله ومن كذب على الله أدخله الله النار. يعني بالخير والشرّ الصحّة والمرض، وذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾(٥) (٦).

٨٦ - **نهج:** سئل عليه السلام عن التوحيد والعدل، فقال: التوحيد أن لا تتوهّمه والعدل أن لا تتّهمه(٧).

٨٧ - **يد:** ابن الوليد، عن ابن متّيل، عن البرقيّ، عن عليّ بن الحكم، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: الله أكرم من أن يكلّف الناس ما لا يطيقون، والله أعزّ من أن يكون في سلطانه ما لا يريد(٨).

٨٨ - **ن، يد:** الفاميّ، عن الحميريّ، عن أبيه، عن ابن هاشم، عن ابن معبد، عن

---

(١) التوحيد، ص ٣٤٣ باب ٥٥ ح ١٢.
(٢) التوحيد، ص ٣٦٠ باب ٥٩ ح ٣.
(٣) التوحيد، ص ٣٦١ باب ٥٩ ح ٦.
(٤) التوحيد، ص ٣٥٩ باب ٥٩ ح ١.
(٥) سورة الأنبياء، الآية: ٣٥.
(٦) التوحيد، ص ٣٥٩ باب ٥٩ ح ٢.
(٧) نهج البلاغة قصار الحكم.
(٨) التوحيد، ص ٣٦٠ باب ٥٩ ح ٤.

الحسين بن خالد، عن أبي الحسن عليّ بن موسى الرضا عليه السلام قال: قلت له: يابن رسول الله إنَّ الناس ينسبوننا إلى القول بالتشبيه والجبر، لما روي من الأخبار في ذلك عن آبائك الأئمّة عليهم السلام، فقال: يابن خالد أخبرني عن الأخبار الّتي رويت عن آبائي عليهم السلام في التشبيه والجبر أكثر أم الأخبار الّتي رويت عن النبيّ صلى الله عليه وآله في ذلك؟ فقلت: بل ما روي عن النبيّ صلى الله عليه وآله في ذلك أكثر، قال عليه السلام: فليقولوا: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقول بالتشبيه والجبر إذاً؛ قلت له: إنّهم يقولون: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لم يقل من ذلك شيئاً وإنّما روي عليه؛ قال عليه السلام: فليقولوا في آبائي عليهم السلام: إنّهم لم يقولوا من ذلك شيئاً وإنّما روي عليهم. ثمَّ قال عليه السلام: من قال بالتشبيه والجبر فهو كافر ومشرك ونحن منه برآء في الدنيا والآخرة، يابن خالد إنّما وضع الأخبار عنّا في التشبيه والجبر الغلاة الّذين صغّروا عظمة الله، فمن أحبّهم فقد أبغضنا، ومن أبغضهم فقد أحبّنا ومن والاهم فقد عادانا، ومن عاداهم فقد والانا، ومن وصلهم فقد قطعنا، ومن قطعهم فقد وصلنا، ومن جفاهم فقد برّنا، ومن برّهم فقد جفانا، ومن أكرمهم فقد أهاننا، ومن أهانهم فقد أكرمنا، ومن قبلهم فقد ردّنا، ومن ردّهم فقد قبلنا، ومن أحسن إليهم فقد أساء إلينا، ومن أساء إليهم فقد أحسن إلينا، ومن صدَّقهم فقد كذّبنا، ومن كذّبهم فقد صدّقنا، ومن أعطاهم فقد حرمنا، ومن حرمهم فقد أعطانا. يا بن خالد من كان من شيعتنا فلا يتّخذنَّ منهم وليّاً ولا نصيراً[1].

٨٩ - **يد**: أبي، عن أحمد بن إدريس، عن الأشعريّ، عن أبي عبد الله الرازيّ، عن اللؤلئي، عن ابن سنان، عن مهزم قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: أخبرني عمّا اختلف فيه من خلّفت من موالينا، قال: فقلت: في الجبر والتفويض، قال: فاسألني، قلت أجبر الله العباد على المعاصي؟ قال: الله أقهر لهم من ذلك، قال: قلت: ففوّض إليهم؟ قال: الله أقدر عليهم من ذلك، قال: قلت: فأيّ شيء هذا أصلحك الله؟ قال فقلّب يده مرّتين أو ثلاثاً ثمَّ قال: لو أجبتك فيه لكفرت[2].

بيان قوله عليه السلام: الله أقهر لهم من ذلك لعلّ المعنى أنَّ جبرهم على المعاصي ثمَّ تعذيبهم عليها هو الظلم، والظلم فعل العاجزين، كما قال سيّد الساجدين عليه السلام: إنّما يحتاج إلى الظلم الضعيف والله أقهر من ذلك. أو المعنى أنّه تعالى لو أراد تعذيبهم ولم يمنعه عدله من ذلك لما احتاج إلى أن يكلّفهم ثمَّ يجبرهم على المعاصي ثمَّ يعذّبهم عليها، فإنَّ هذا تلبيس يفعله من لا يقدر على التعذيب ابتداءاً، وهو أقهر لهم من ذلك، والظاهر أنّه تصحيف أرأف أو نحوه؛ وإنّما امتنع عليه السلام عن بيان الأمر بين الامرين لأنّه كان يعلم أنّه لا يدركه عقل السائل فيشكّ فيه أو يجحده فيكفر.

---

(١) عيون اخبار الرضا عليه السلام، ج ١ ص ١٣٠ باب ١١ ح ٤٥ والتوحيد ص ٣٦٣ باب ٥٩ ح ١٢.

(٢) التوحيد، ص ٣٦٣ باب ٥٩ ح ١١.

٩٠ -ضا، سألت العالم عليه السلام : أجبر الله العباد على المعاصي؟ فقال: الله أعدل من ذلك ؛ فقلت له: فمفوّض إليهم؟ فقال: هو أعزّ من ذلك، فقلت له: فصف لنا المنزلة بين المنزلتين، فقال: الجبر هو الكره، فالله تبارك وتعالى لم يكره على معصيته، وإنّما الجبر أن يجبر الرجل على ما يكره وعلى ما لا يشتهي، كالرجل يغلب على أن يضرب أو يقطع يده، أو يؤخذ ماله، أو يغصب على حرمته، أو من كانت له قوّة ومنعة فقهر، فأمّا من أتى إلى أمر طائعاً محبّاً له يعطى عليه ما له لينال شهوته فليس ذلك بجبر، إنّما الجبر من اكرهه عليه، أو اغضب حتّى فعل ما لا يريد ولا يشتهيه، وذلك أن الله تبارك وتعالى لم يجعل لهم هوى ولا شهوة ولا محبّة ولا مشيّة إلاّ فيما علم أنّه كان منهم، وإنّما يجرون في علمه وقضائه وقدره على الّذي في علمه وكتابه السابق فيهم قبل خلقهم، والّذي علم أنّه غير كائن منهم هو الّذي لم يجعل لهم فيه شهوة ولا إرادة(١).

٩١ - وأروي عن العالم عليه السلام أنّه قال: منزلة بين منزلتين في المعاصي وسائر الأشياء، فالله عزّ وجلّ الفاعل لها والقاضي والمقدّر والمدبّر(٢).

٩٢ - وقد أروي أنّه قال: لا يكون المؤمن مؤمناً حقّاً حتّى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه(٣).

٩٣ - وأروي عن العالم عليه السلام أنه قال: مساكين القدريّة أرادوا أن يصفوا الله عزّ وجلّ بعدله فأخرجوه من قدرته وسلطانه(٤).

٩٤ - وروي: لو أراد الله سبحانه أن لا يعصى ما خلق إبليس(٥).

٩٥ - وأروي أن رجلاً سأل العالم عليه السلام : أكلّف الله العباد ما لا يطيقون؟ فقال: كلف الله جميع الخلق ما لا يطيقون إن لم يعنهم عليه، فإن أعانهم عليه أطاقوه، قال الله عزّ وجلّ لنبيّه صلى الله عليه وآله : ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ .

٩٦ - قلت: ورويت عن العالم عليه السلام أنّه قال: القدر والعمل بمنزلة الروح والجسد، فالروح بغير الجسد لا يتحرّك ولا يرى، والجسد بغير الروح صورة لا حراك له فإذا اجتمعا قويا وصلحا وحسنا وملحا، كذلك القدر والعمل، فلو لم يكن القدر واقعاً على العمل لم يعرف الخالق من المخلوق، ولو لم يكن العمل بموافقة من القدر لم يمض ولم يتمّ، ولكن باجتماعهما قويا وصلحا ولله فيه العون لعباده الصالحين. ثمّ تلا هذه الآية: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ (٦) الآية، ثمّ قال عليه السلام : وجدت ابن آدم بين الله وبين الشيطان، فإن أحبّه الله تقدّست أسماؤه خلّصه واستخلصه، وإلا خلّى بينه وبين عدوّه(٧).

---

(١) - (٥) الفقه المنسوب للإمام الرضا عليه السلام ، ص ٣٤٨-٣٤٩.

(٦) سورة الحجرات، الآية: ٧. (٧) الفقه المنسوب للرضا عليه السلام ص ٣٤٩.

٩٧ - وقيل للعالم عليه السلام : إنّ بعض أصحابنا يقول بالجبر وبعضهم يقولون بالاستطاعة، قال: فأمر أن يكتب: بسم الله الرحمن الرحيم قال الله عزّ وجلّ : يابن آدم بمشيئتي كنت أنت الّذي تشاء. وساق إلى آخر ما سيأتي في خبر البزنطيّ(١).

٩٨ - **شي:** عن الحسن بن محمّد الجمّال، عن بعض أصحابنا قال: بعث عبد الملك ابن مروان إلى عامل المدينة أن وجّه إليّ محمّد بن عليّ بن الحسين ولا تهيّجه ولا تروعه، واقض له حوائجه، وقد كان ورد على عبد الملك رجل من القدريّة فحضر جميع من كان بالشام فأعياهم جميعاً، فقال: ما لهذا إلاّ محمّد بن عليّ، فكتب إلى صاحب المدينة أن يحمل محمّد بن عليّ إليه، فأتاه صاحب المدينة بكتابه، فقال أبو جعفر عليه السلام : إنّي شيخ كبير لا أقوى على الخروج، وهذا جعفر ابني يقوم مقامي فوجّهه إليه، فلمّا قدم على الأمويّ أزراه لصغره، وكره أن يجمع بينه وبين القدريّ مخافة أن يغلبه، وتسامع الناس بالشام بقدوم جعفر لمخاصمة القدريّة، فلمّا كان من الغد اجتمع الناس بخصومتهما، فقال الأمويّ لأبي عبد الله عليه السلام إنّه قد أعيانا أمر هذا القدريّ، وإنّما كتبت إليه لأجمع بينه وبينه، فإنّه لم يدع عندنا أحداً إلاّ خصمه، فقال: إنّ الله يكفيناه، قال: فلمّا اجتمعوا قال القدريّ لأبي عبد الله عليه السلام : سل عمّا شئت فقال له: اقرأ سورة الحمد، قال: فقرأها، وقال الأمويّ - وأنا معه -: ما في سورة الحمد غلبنا، إنّا لله وإنّا اليه راجعون قال: فجعل القدريّ يقرأ سورة الحمد حتّى بلغ قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فقال له جعفر: قف؛ من تستعين؟ وما حاجتك إلى المؤونة؟ إنّ الأمر إليك فبهت الّذي كفر، والله لا يهدي القوم الظالمين(٢).

٩٩ - **شي:** عن صفوان بن يحيى، عن أبي الحسن عليه السلام قال: قال الله تبارك وتعالى: ابن آدم: بمشيّتي كنت أنت الّذي تشاء وتقول، وبقوّتي أدّيت إليّ فرائضي وبنعمتي قويت على معصيتي، ما أصابك من حسنة فمن الله، وما أصابك من سيّئة فمن نفسك، وذاك أنّي أولى بحسناتك منك، وأنت أولى بسيّئاتك منّي، وذاك أنّي لا أسأل عمّا أفعل وهم يسألون(٣).

١٠٠ - وفي رواية الحسن بن عليّ الوشّاء، عن الرضا عليه السلام : وأنت أولى بسيّئاتك منّي، عملت المعاصي بقوّتي الّتي جعلت فيك(٤).

١٠١ - **شي:** عن ابن مسكان، عمّن رواه، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾(٥) فقال أبو عبد الله عليه السلام : إنّك لتسأل عن كلام أهل القدر وما هو من ديني ولا دين آبائي، ولا وجدت أحداً من أهل بيتي يقول به(٦).

---

(١) الفقه المنسوب للرضا عليه السلام ص ٣٤٩.

(٢) تفسير العياشي، ج ١ ص ٣٧ ح ٢٤ وفيه: علينا بدل غلبنا.

(٣) تفسير العياشي، ج ١ ص ٢٨٥ ح ٢٠٠.

(٤) تفسير العياشي، ج ١ ص ٢٨٥ ح ٢٠١.

(٥) سورة النساء، الآية: ٨٣.

(٦) تفسير العياشي، ج ١ ص ٢٨٧ ح ٢١٠.

١٠٢ - **شي:** عن الحسن بن عليّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: ويح هذه القدريّة إنّما يقرؤون هذه الآية: ﴿إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ (١) ويحهم من قدّرها إلاّ الله تبارك وتعالى (٢)؟.

١٠٣ - من كتاب مطالب السؤول لمحمّد بن طلحة البيهقيّ، بإسناده عن الشافعيّ عن يحيى بن سليم، عن الإمام جعفر بن محمّد، عن عبد الله بن جعفر رضي الله عنه، عن الجميع عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام أنّه قال يوماً: أعجب ما في الإنسان قلبه فيه موادّ من الحكمة وأضداد لها من خلافها، فإن سنح له الرجاء ولهه الطمع، وإن هاج به الطمع أهلكه الحرص، وإن ملكه اليأس قتله الأسف، وإن عرض له الغضب اشتدّ به الغيظ، وإن أسعد بالرضا نسي التحفّظ، وإن ناله الخوف شغله الحزن، وإن أصابته مصيبة قصمه الجزع، وإن وجد مالاً أطغاه الغنى، وإن عضّته فاقة شغله البلاء، وإن أجهده الجوع قعد به الضعف، وإن أفرط به الشبع كظّته البطنة، فكلّ تقصير به مضرّ، وكلّ إفراط له مفسد. فقام إليه رجل ممّن شهد وقعة الجمل فقال: يا أمير المؤمنين أخبرنا عن القدر، فقال: بحر عميق فلا تلجه؛ فقال: يا أمير المؤمنين أخبرنا عن القدر؛ فقال: بيت مظلم فلا تدخله. فقال: يا أمير المؤمنين أخبرنا عن القدر؛ فقال: سرّ الله فلا تبحث عنه، فقال: يا أمير المؤمنين أخبرنا عن القدر، فقال: لمّا أبيت فإنّه أمر بين أمرين لا جبر ولا تفويض. فقال يا أمير المؤمنين إنّ فلاناً يقول بالاستطاعة وهو حاضر، فقال عليٌّ عليه السلام: عليَّ به، فأقاموه فلمّا رآه قال له: الاستطاعة تملكها مع الله أو من دون الله؟ وإيّاك أن تقول واحدة منهما فترتدّ، فقال: وما أقول يا أمير المؤمنين؟ قال: قل: أملكها بالله الّذي أنشأ ملكتها.

١٠٤ - **ب:** ابن حكيم، عن البزنطيّ قال: قلت للرضا عليه السلام إنّ أصحابنا بعضهم يقول بالجبر، وبعضهم يقول بالاستطاعة، فقال لي: اكتب قال الله تبارك وتعالى: يا بن آدم بمشيّتي كنت أنت الّذي تشاء لنفسك ما تشاء، وبقوّتي أدّيت إليّ فرائضي، وبنعمتي قويت على معصيتي، جعلتك سميعاً بصيراً قويّاً، ما أصابك من حسنة فمن الله، وما أصابك من سيّئة فمن نفسك، وذلك أنّي أولى بحسناتك منك، وأنت أولى بسيّئاتك منّي، وذلك أنّي لا أُسأل عمّا أفعل وهم يسألون، فقد نظمت لك كلّ شيء تريد (٣).

يد، ن: أبي وابن الوليد، عن سعد، عن ابن عيسى، عن البزنطيّ مثله (٤).

١٠٥ - **أعلام الدين للديلمي:** روي أنَّ طاووس اليمانيّ دخل على جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام وكان يعلم أنّه يقول بالقدر، فقال له: يا طاووس من أقبل للعذر من الله ممّن اعتذر وهو صادق في اعتذاره؟ فقال له: لا أحد أقبل للعذر منه، فقال له: من أصدق ممّن

(١) سورة النمل، الآية: ٥٧.
(٢) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٢٦ ح ٥٧.
(٣) قرب الاسناد، ص ٣٤٧ ح ١٢٥٧.
(٤) التوحيد ص ٣٣٨ باب ٥٥ ح ٦.

قال: لا أقدر وهو لا يقدر؟ فقال طاووس: لا أحد أصدق منه، فقال الصادق عليه السلام له: يا طاووس فما بال من هو أقبل للعذر لا يقبل عذر من قال: لا أقدر وهو لا يقدر؟ فقام طاووس وهو يقول: لس بيني وبين الحقّ عداوة، الله أعلم حيث يجعل رسالته، فقد قبلت نصيحتك[١].

١٠٦ - وقال الصادق عليه السلام لهشام بن الحكم: ألا أعطيك جملة في العدل والتوحيد؟ قال: بلى جعلت فداك، قال: من العدل أن لا تتّهمه، ومن التوحيد أن لا تتوهّمه[٢].

١٠٧ - **يف**: روى كثير من المسلمين عن الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام أنه قال يوماً لبعض المجبّرة: هل يكون أحد أقبل للعذر الصحيح من الله؟ فقال: لا، فقال: فما تقول فيمن قال ما أقدر وهو لا يقدر؟ أيكون معذوراً أم لا؟ فقال المجبّر: يكون معذوراً، قال له: فإذا كان الله يعلم من عباده أنّهم ما قدروا على طاعته وقال لسان حالهم أو مقالهم يوم القيامة: ياربّ ما قدرنا على طاعتك لأنّك منعتنا منها أما يكون قولهم وعذرهم صحيحاً على قول المجبّرة؟ فقال: بلى والله فقال: فيجب على قولك أن الله يقبل هذا العذر الصحيح ولا يؤاخذ أحداً أبداً وهذا خلاف قول أهل الملل كلّهم. فتاب المجبّر من قوله بالجبر في الحال[٣].

١٠٨ - **يف**: روي أن الحجّاج بن يوسف كتب إلى الحسن البصريّ وإلى عمرو بن عبيد وإلى واصل بن عطا وإلى عامر الشعبيّ أن يذكروا ما عندهم وما وصل إليهم في القضاء والقدر، فكتب إليه الحسن البصريّ: إنّ أحسن ما انتهى إليّ ما سمعت أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام أنّه قال: أتظنُّ أن الّذي نهاك دهاك؟ وإنّما دهاك أسفلك وأعلاك، والله بريء من ذاك. وكتب إليه عمرو بن عبيد: أحسن ما سمعت في القضاء والقدر قول أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام: لو كان الوزر في الأصل محتوماً كان الموزور في القصاص مظلوماً. وكتب إليه واصل بن عطا: أحسن ما سمعت في القضاء والقدر قول أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام: أيدلّك على الطريق ويأخذ عليك المضيق؟. وكتب إليه الشعبيّ أحسن ما سمعت في القضاء والقدر قول أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام: كلّ ما استغفرت الله منه فهو منك، وكلّ ما حمدت الله عليه فهو منه. فلمّا وصلت كتبهم إلى الحجّاج ووقف عليها قال: لقد أخذوها من عين صافية[٤].

أقول: روى الكراجكيّ مثله. وفيه: من وسّع عليك الطريق لم يأخذ عليك المضيق[٥] وفي القاموس: دهاه: أصابه بداهية، وهي الأمر العظيم.

١٠٩ - **يف**: روي أن رجلاً سأل جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام عن القضاء والقدر فقال: ما استطعت أن تلوم العبد عليه فهو منه، وما لم تستطع أن تلوم العبد عليه فهو من فعل الله،

---

(١) - (٢) أعلام الدين، ص ٣١٧ و٣١٨.
(٣) الطرائف لابن طاووس، ج ٢ ص ٢٠.
(٤) الطرائف لابن طاووس، ج ٢ ص ٢٢.
(٥) كنز الفوائد، ج ١ ص ٣٦٤.

يقول الله تعالى للعبد: لم عصيت؟ لم فسقت؟ لم شربت الخمر؟ لم زنيت؟ فهذا فعل العبد؛ ولا يقول له: لم مرضت؟ لم قصرت؟ لم ابيضضت؟ لم اسوددت؟ لأنّه من فعل الله تعالى[١].

١١٠ - **يف**: روي أن الفضل بن سهل سأل الرضا عليه السلام بين يدي المأمون فقال: يا أبا الحسن الخلق مجبورون؟ فقال: الله أعدل من أن يجبر خلقه ثمّ يعذّبهم، قال: فمطلقون؟ قال: الله أحكم من أن يهمل عبده ويكله إلى نفسه[٢].

يف: ومن الحكايات ما روي أنّ بعض أهل العدل وقف على جماعة من المجبّرة، فقال لهم: أنا ما أعرف المجادلة والاطالة لكنّي أسمع في القرآن قوله تعالى: ﴿كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ﴾[٣] ومفهوم هذا الكلام عند كلّ عاقل أنّ الموقد للنار غير الله، وأنّ المطفئ للنار هو الله، وكيف تقبل العقول أنّ الكلّ منه؟ وأنّ الموقد للنار هو المطفئ لها؟ فانقطعوا ولم يردّوا جواباً.

ومن الحكايات أنّ جماعة من اليهود اجتمعوا إلى أبي بحر الخاقانيّ فقالوا له: ما معناه أنت سلطان عادل منصف، ومن المسلمين في بلدك المجبّرة وهم الّذين يعوّلون عليهم في الأقوال والأفعال، وهم يشهدون لنا أنّا لا نقدر على الإسلام ولا الإيمان، فكيف تأخذ الجزية من قوم لا يقدرون على الإسلام ولا الإيمان؟! فجمع المجبّرة وقال لهم: ما تقولون فيما قد ذكره اليهود من احتجاجهم عليكم؟ فقالوا: كذا نقول: إنّهم لا يقدرون على الإسلام والإيمان. فطالبهم بالدليل على قولهم فلم يقدروا عليه فنفاهم.

ومن الحكايات المذكورة في ذلك ما روي عن القاسم بن زياد الدمشقيّ أنّه قال: كنت في حرس عمر بن عبد العزيز فدخل غيلان فقال: يا عمر: إنّ أهل الشام يزعمون أنّ المعاصي قضاء الله، وأنّك تقول ذلك؛ فقال: ويحك يا غيلان! أولست تراني أسمّي مظالم بني مروان ظلماً وأردها أفتراني أسمّي قضاء الله ظلماً وأرده[٤]؟.

أقول: أورد السيّد في الطرائف فصلاً مشبعاً في الردّ على المجبّرة تركنا إيراده لئلّا يطول الكتاب مع كونه خارجاً عن مقصودنا فمن أراد الاطّلاع عليه فليراجع إلى الكتاب المذكور؛ وقد مرّ خبر الحسين بن خالد في ذلك في باب نفي التشبيه.

١١١ - **وقال الكراجكيّ في كنز الفوائد**: قال الصادق عليه السلام لزرارة بن أعين: يا زرارة أعطيك جملة في القضاء والقدر؟ قال: نعم جعلت فداك، قال: إذا كان يوم القيامة وجمع الله الخلائق سألهم عمّا عهد إليهم ولم يسألهم عمّا قضى عليهم[٥].

١١٢ - وروي عن محمّد بن أحمد بن شاذان القميّ، عن الصدوق، عن أبيه، عن سعد،

---

(١) - (٢) الطرائف لابن طاووس، ج ٢ ص ٢٢. (٣) سورة المائدة، الآية: ٦٤.
(٤) الطرائف لابن طاووس، ج ٢ ص ٢٣-٢٥. (٥) كنز الفوائد، ج ١ ص ٣٦٧.

عن أيّوب بن نوح، عن الرضا، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: خمسة لا تطفأ نيرانهم، ولا تموت أبدانهم: رجل أشرك، ورجل عقّ والديه، ورجل سعى بأخيه إلى السلطان فقتله، ورجل قتل نفساً بغير نفس، ورجل أذنب وحمل ذنبه على الله عزّ وجلّ [(١)].

فائدة: قال السيّد المرتضى قدّس الله روحه: إن سأل سائل فقال: بمَ تدفعون من خالفكم في الاستطاعة وزعم أنّ المكلّف يؤمر بما لا يقدر عليه ولا يستطيعه إذا تعلّق بقوله تعالى: ﴿انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾[(٢)] فإنّ الظاهر من هذه الآية يوجب أنّهم غير مستطيعين للأمر الّذي هم غير فاعلين له، وأنّ القدرة مع الفعل؛ وإذا تعلّق بقوله تعالى في قصة موسى: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾[(٣)] وأنّه نفى أن يكون قادراً على الصبر في حال هو فيها غير صابر، وهذا يوجب أنّ القدرة مع الفعل؛ وبقوله تعالى: ﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾[(٤)]؟.

يقال له: أوّل ما نقوله: إنّ المخالف لنا في هذا الباب من الاستطاعة لا يصحّ له فيه التعلّق بالسمع، لأنّ مذهبه لا تسلم معه صحّة السمع، ولا يتمكّن مع المقام عليه من معرفة السمع بأدلّته، وإنّما قلنا ذلك لأنّ من جوّز تكليف الله تعالى الكافر بالإيمان وهو لا يقدر عليه لا يمكنه العلم بنفي القبائح عن الله عزّ وجلّ، وإذا لم يمكنه ذلك فلا بدّ من أن يلزمه تجويز القبائح على الله في أفعاله وأخباره، ولا يأمن من أن يرسل كذّاباً، وأن يخبرهم بالكذب، تعالى عن ذلك، فالسمع إن كان كلامه قدح في حجّته تجويز الكذب عليه، وإن كان كلام رسوله قدح فيه ما يلزمه من تجويز تصديق الكذّاب، وإنّما طرق ذلك تجويز بعض القبائح عليه، وليس لهم أن يقولوا: إنّ أمره تعالى الكافر بالإيمان وإن لم يقدر عليه يحسن من حيث أتى الكافر فيه من قبل نفسه لأنّه تشاغل بالكفر فترك الإيمان، وإنّما كان يبطل تعلّقنا بالسمع لو أضفنا ذلك إليه تعالى على وجه يقبح، وذلك لأنّ ما قالوه إذا لم يؤثّر في كون ما ذكرناه تكليفاً لما لا يطاق لم يؤثّر في نفي ما ألزمناه عنهم لأنّه يلزم على ذلك أن يفعل الكذب وسائر القبائح وتكون حسنة منه بأن يفعلها من وجه لا يقبح منه، وليس قولهم: إنّا لم نضفه إليه من وجه يقبح بشيء يعتمد، بل يجري مجرى قول من جوّز عليه أن يكذب ويكون الكذب منه حسناً، ويدّعي مع ذلك صحّة معرفة السمع بأن يقول: إنّني لم أضف إليه قبيحاً فيلزمني إفساد طريقة السمع، فلمّا كان من ذكرناه لا عذر له في هذا الكلام لم يكن للمخالف في الاستطاعة عذر بمثله.

ونعود إلى تأويل الآي: أمّا قوله: ﴿انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ فليس فيه ذكر للشيء الّذي لا يقدرون عليه ولا بيان له، وإنّما يصحّ ما قالوه لو بيّن لهم أنّهم لا يستطيعون سبيلاً إلى أمر معيّن، فأمّا إذا لم يذكر ذلك كذلك فلا متعلّق لهم.

---

(١) كنز الفوائد، ج ١ ص ٣٦٧.

(٢) سورة الاسراء، الآية: ٤٨.

(٣) سورة الكهف، الآية: ٦٧.

(٤) سورة هود، الآية: ٢٠.

فإن قيل: فقد ذكر تعالى من قبل ضلالهم فيجب أن يكون المراد بقوله: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ إلى مفارقة الضلال.

قلنا: إنّه تعالى كما ذكر الضلال فقد ذكر ضرب المثل منهم، فيجوز أن يريد أنّهم لا يستطيعون سبيلاً إلى تحقيق ما ضربوه من الأمثال، وذلك غير مقدور على الحقيقة ولا مستطاع، والظاهر أنَّ هذا الوجه أولى لأنّه تعالى حكى عنهم أنّهم ضربوا له الأمثال، وجعل ضلالهم وأنّهم لا يستطيعون السبيل متعلّقاً بما تقدّم ذكره، وظاهر ذلك يوجب رجوع الأمرين جميعاً إليه، وأنّهم ضلّوا بضرب المثل، وأنّهم لا يستطيعون سبيلاً إلى تحقيق ما ضربوه من المثل، على أنّه تعالى قد أخبر عنهم بأنّهم ضلّوا، وظاهر ذلك الإخبار عن ماضي فعلهم، فإن كان قوله: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ يرجع إليه فيجب أن يدلّ على أنّهم لا يقدرون في المستقبل على ترك الماضي، وهذا ممّا لا يخالف فيه، وليس فيه ما نأباه من أنّهم لا يقدرون في المستقبل أو في الحال على مفارقة الضلال والخروج عنه وتعذّر تركه، وبعد فإذا لم يكن للآية ظاهر فلم صاروا بأن يحملوا نفي الاستطاعة على أمر كلّفوه بأولى منّا إذا حملنا ذلك على أمر لم يكلّفوه؟ أو على أنّه أراد الاستثقال والخبر عن عظم المشقّة عليهم، وقد جرت عادة أهل اللّغة بأن يقولوا لمن يستثقل شيئاً: إنّه لا يستطيعه ولا يقدر عليه ولا يتمكّن منه؛ ألا ترى أنّهم يقولون: فلان لا يستطيع أن يكلّم فلاناً ولا ينظر إليه وما أشبه ذلك وإنّما غرضهم الاستثقال وشدّة الكلفة والمشقّة.

فإن قيل: فإذا كان لا ظاهر للآية يشهد بمذهب المخالف فما المراد بها عندكم؟ قلنا: قد ذكر أبو عليّ أنَّ المراد أنّهم لا يستطيعون إلى بيان تكذيبه سبيلاً لأنّهم ضربوا الأمثال ظنّاً منهم بأنّ ذلك يبيّن كذبه، فأخبر تعالى أنّ ذلك غير مستطاع لأنّ تكذيب صادق وإبطال حقّ ممّا لا تتعلّق به قدرة ولا تتناوله استطاعة. وقد ذكر أبو هاشم أنَّ المراد بالآية أنّهم لأجل ضلالهم بضرب المثل وكفرهم لا يستطيعون سبيلاً إلى الخير الّذي هو النجاة من العقاب والوصول إلى الثواب، وليس يمكن على هذا أن يقال: كيف لا يستطيعون سبيلاً إلى الخير والهدى وهم عندكم قادرون على الإيمان والتوبة؟ ومتى فعلوا ذلك استحقّوا الثواب، لأنّ المراد أنّهم مع التمسّك بالضلال والمقام على الكفر لا سبيل لهم إلى خير وهدى، وإنّما يكون لهم سبيل إلى ذلك بأن يفارقوا ما هم عليه، وقد يمكن أيضاً في معنى الآية ما تقدّم ذكره من أنَّ المراد بنفي الاستطاعة عنهم أنّهم مستثقلون للإيمان، فقد يخبر عمّن يستثقل شيئاً بأنّه لا يستطيعه على ما تقدّم ذكره، كذا في كتاب الغرر للسيّد رحمه الله (١).

فأمّا قوله تعالى في قصّة موسى عليه السلام: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ فظاهره يقتضي أنّك لا تستطيع ذلك في المستقبل، ولا يدلّ على أنّه غير مستطيع للصبر في الحال أن يفعله في

(١) أمالي المرتضى، ج ٤ ص ٧١.

الثاني، وقد يجوز أن يخرج في المستقبل من أن يستطيع ما هو في الحال مستطيع له، غير أنَّ الآية تقتضي خلاف ذلك، لأنّه قد صبر عن المسألة أوقاتاً، وإن لم يصبر عنها في جميع الأوقات فلمَ تنتف الاستطاعة للصبر عنه في جميع الأحوال المستقبلة؟.

على أنَّ المراد بذلك واضح، وأنّه تعالى خبر عن استثقاله الصبر عن المسألة عمّا لا يعرف ولا يقف عليه لأنَّ مثل ذلك يصعب على النفس، ولهذا يجد أحدنا إذا جرى بين يديه ما ينكره ويستبعده تنازعه نفسه إلى المسألة عنه والبحث عن حقيقته، ويثقل عليه الكفّ عن الفحص عن أمره، فلمّا حدث من صاحب موسى عليه السلام ما يستنكر ظاهره استثقل الصبر عن المسألة عن ذلك، ويشهد لهذا الوجه قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا﴾[1] فبيّن أنّ العلّة في قلّة صبره ما ذكرناه دون غيره، ولو كان الأمر على ما ظنّوا لوجب أن يقول: وكيف تصبر وأنت غير مطيق للصبر؟.

وأما قوله تعالى: ﴿مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ﴾ فلا تعلّق لهم بظاهره، لأنَّ السمع ليس بمعنى فيكون مقدوراً، لأنَّ الإدراك على المذهب الصحيح ليس بمعنى، ولو ثبت أنّه معنى على ما يقوله أبو عليّ لكان أيضاً غير مقدور للعبد من حيث اختص القديم تعالى بالقدرة عليه. هذا إن أريد بالسمع الإدراك، وإن أريد به نفس الحاسّة فهي أيضاً غير مقدورة للعباد لأنَّ الجواهر وما تختصّ به الحواسّ من البيّنة والمعاني ليصحّ به الإدراك ممّا ينفرد القديم تعالى بالقدرة عليه فالظاهر لا حجّة لهم فيه.

فإن قالوا: ولعلّ المراد بالسمع كونهم سامعين، كأنّه نفى عنهم استطاعة أن يسمعوا. قلنا: هذا خلاف الظاهر، ولو ثبت أنَّ المراد ذلك لحملنا نفي الاستطاعة ههنا على ما تقدّم ذكره من الاستثقال وشدّة المشقّة كما يقول القائل: فلان لا يستطيع أن يراني، ولا يقدر على أن يكلّمني، وما أشبه ذلك، وهذا بيّن لمن تأمّله[2].

وقال رحمه الله: إن سأل سائل عن قوله تعالى: ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾[3] فقال: أليس ظاهر هذا القول يقتضي أنّه خالق لأعمال العباد؟ لأنّ «ما» ههنا بمعنى «الّذي» فكأنّه قال: خلقكم وخلق أعمالكم.

قلنا: قد حمل أهل الحقّ هذه الآية على أنَّ المراد بقوله: وما تعملون أي وما تعملون فيه من الحجارة والخشب وغيرهما ممّا كانوا يتّخذونه أصناماً ويعبدونها، قالوا: وغير منكر أن يريد بقوله: ﴿وَمَا تَعْمَلُونَ﴾، كما أنّه قد أراد ما ذكرناه بقوله: ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾ لأنّه لم يرد أنّكم تعبدون نحتكم الّذي هو فعل لكم بل أراد ما تفعلون فيه النحت، كما قال تعالى في

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٦٨.
(٢) أمالي الشريف المرتضى، ج ٤ ص ٧٣.
(٣) سورة الصافات، الآيتان: ٩٥ و٩٦.

عصا موسى عليه السلام: ﴿تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ [(١)] و﴿تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْ﴾ [(٢)] وإنّما أراد أنّ العصا تلقف الحبال الّتي أظهروا سحرهم فيها، وهي الّتي حلّتها صنعتهم وإفكهم فقال: «ما صنعوا وما يأفكون» وأراد ما صنعوا فيه، وما يأفكون فيه، ومثله قوله تعالى: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ﴾ [(٣)] وإنّما أراد المعمول فيه دون العمل - وهذا الاستعمال أيضاً سائع شائع - لأنّهم يقولون: هذا الباب عمل النجّار؛ وفي الخلخال: هذا من عمل الصائغ؛ وإن كانت الأجسام الّتي أشير إليها ليست أعمالاً لهم، وإنّما عملوا فيها فحسن إجراء هذه العبارة.

فإن قيل: كلّ الّذي ذكرتموه وإن استعمل فعلى وجه المجاز والاتّساع، لأنّ العمل في الحقيقة لا يجري إلاّ على فعل الفاعل دون ما يفعل فيه، وإن استعير في بعض المواضع. قلنا: ليس نسلّم لكم أنّ الاستعمال الّذي ذكرناه على سبيل المجاز، بل نقول: هو المفهوم الّذي لا يستفاد سواه لأنّ القائل إذا قال: هذا الثوب عمل فلان لم يفهم منه إلاّ أنّه عمل فيه، وما رأينا أحداً قطّ يقول في الثوب بدلاً من قوله: هذا من عمل فلان: هذا ممّا حلّه عمل فلان؛ فالأوّل أولى بأن يكون حقيقة، وليس ينكر أن يكون الأصل في الحقيقة ما ذكروه، ثمّ انتقل بعرف الاستعمال إلى ما ذكرناه، وصار أخصّ به وممّا لا يستفاد من الكلام سواه كما انتقلت ألفاظ كثيرة على هذا الحدّ، ولا اعتبار بالمفهوم من الالفاظ إلاّ بما استقرّ عليه استعمالها دون ما كانت عليه في الأصل فوجب أن يكون المفهوم والظاهر من الآية ما ذكرناه. على أنّا لو سلّمنا أنّ ذلك مجاز لوجب المصير إليه من وجوه؛ فمن ذلك أنّه تعالى أخرج الكلام مخرج التهجين لهم، والتوبيخ لأفعالهم، والإزراء على مذاهبهم، فقال: ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ ومتى لم يكن قوله: ﴿وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ المراد به تعملون فيه ليصير تقدير الكلام أتعبدون الأصنام الّتي تنحتونها، والله خلقكم وخلق هذه الأصنام الّتي تفعلون فيها التخطيط والتصوير لم يكن للكلام معنى ولا مدخل في باب التوبيخ، ويصير على ما يذكره المخالف كأنّه قال: أتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وخلق عباداتكم فأيّ وجه للتقريع، وهذا إلى أن يكون عذراً أقرب من أن يكون لوماً وتوبيخاً لأنّه إذا خلق عبادتهم للأصنام فأيّ وجه للومهم عليها. على أنّ قوله تعالى ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ بعد قوله: ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾ إنّما خرج مخرج التعليل للمنع من عبادة غيره تعالى فلابدّ أن يكون متعلّقاً بما تقدّم من قوله: ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾، ومؤثّراً في المنع من عبادة غير الله، فلو أفاد قوله: ﴿مَا تَعْمَلُونَ﴾ نفس العمل الّذي هو النحت دون المعمول فيه لكان لا فائدة في الكلام لأنّ القوم لم يكونوا يعبدون النحت، وإنّما كانوا يعبدون محلّه، وأنّه كان لاحظّ في الكلام للمنع من عبادة الأصنام، وذلك إن حمل قوله تعالى: ﴿مَا تَعْمَلُونَ﴾ على أعمال أخر

---

(١) سورة الاعراف، الآية: ١١٧. (٢) سورة طه، الآية: ٦٩.
(٣) سورة سبأ، الآية: ١٣.

ليست نحتهم ولا هي ما عملوا فيه لكان أظهر في باب اللّغو والعبث والبعد عن التعلّق بما تقدّم، فلم يبق إلاّ أنّه أراد أنّه خلقكم وما تعملون فيه النحت فكيف تعبدون مخلوقاً مثلكم؟!.

فإن قيل: لم زعمتم أنّه لو كان الأمر على ما ذكرناه لم يكن للقول الثاني حظّ في باب المنع من عبادة الأصنام؟ وما تنكرون أن يكون لما ذكرناه وجه في المنع من ذلك، على أنّ ما ذكرتموه أيضاً لو أُريد لكان وجهاً، وهو أنّ من خلقنا وخلق الأفعال فينا لا يكون إلّا الإله القديم الّذي تحقّ له العبادة، وغير القديم تعالى كما يستحيل أن يخلقنا يستحيل أن يخلق فينا الأفعال على الوجه الّذي يخلقها القديم عليه فصار لما ذكرناه تأثير.

قلنا: معلوم أنّ الثاني إذا كان كالتعليل للأوّل والمؤثّر في المنع من العبادة فلأن يتضمّن أنّكم مخلوقون وما تعبدونه أولى من أن ينصرف إلى ما ذكرتموه ممّا لا يقتضي أكثر من خلقهم دون خلق ما عبدوه فإنّه لا شيء أدلّ على المنع من عبادة الأصنام من كونها مخلوقة كما أنّ عابدها مخلوق، ويشهد بما ذكرناه قوله تعالى في موضع آخر: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾﴾ (١) فاحتجّ تعالى عليهم في المنع من عبادة الآلهة دونه بأنّها مخلوقة لا تخلق شيئاً ولا تدفع عن أنفسها ضرّاً ولاعنهم، وهذا واضح على أنّه لو ساوى ما ذكروه ما ذكرناه في التعلّق بالأوّل لم يسغ حمله على ما ادّعوه لأنّ فيه عذراً لهم في الفعل الّذي عنّفوا به وقرّعوا من أجله، وقبيح أن يوبّخهم بما يعذرهم، ويذمّهم بما ينزّههم على ما تقدّم؛ على أنّا لا نسلّم أنّ من يفعل أفعال العباد ويخلقها يستحقّ العبادة لأنّ من جملة أفعالهم القبائح، ومن فعل القبائح لا يكون إلهاً ولا تحقّ العبادة له، فخرج ما ذكروه من أن يكون مؤثّراً في انفراده بالعبادة؛ على أنّ إضافته العمل إليهم بقوله تعالى: ﴿تَعْمَلُونَ﴾ يبطل تأويلهم هذه الآية، لأنّه لو كان خالقاً له لم يكن عملاً لهم لأنّ العمل إنّما يكون عملاً لمن يحدثه ويوجده، فكيف يكون عملاً لهم والله خلقه؟! هذه مناقضة لهم، فثبت بهذا أنّ الظاهر شاهد لنا أيضاً؛ على أنّ قوله: ﴿وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ يقتضي الاستقبال، وكلّ فعل لم يوجد فهو معدوم، ومحال أن يقول تعالى: إنّي خالق للمعدوم.

فإن قالوا: اللّفظ وإن كان للاستقبال فالمراد به الماضي فكأنّه قال: والله خلقكم وما عملتم. قلنا: هذا عدول منكم عن الظاهر الّذي ادّعيتم أنّكم متمسّكون به، وليس أنتم بأن تعدلوا عنه بأولى منّا، بل نحن أحقّ لأنّا نعدل عنه بدلالة، وأنتم تعدلون بغير حجّة.

فإن قالوا: فأنتم تعدلون عن هذا الظاهر بعينه على تأويلكم، وتحملون لفظ الاستقبال على لفظ الماضي. قلنا: نحن لا نحتاج في تأويلنا إلى ذلك لأنّا إذا حملنا قوله: ﴿وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ على الأصنام المعمول فيها ومعلوم أنّ الأصنام موجودة قبل عملهم فيها فجاز أن

(١) سورة الأعراف، الآيتان: ١٩١ و١٩٢.

يقول تعالى: «إنّي خلقتها» ولا يجوز أن يقول: «إنّي خلقت ما سيقع من العمل في المستقبل» على أنّه لو أراد بذلك أعمالهم لا ما عملوا فيه على ما ادّعوه لم يكن في الظاهر حجّة على ما يريدون لأنّ الخلق هو التقدير والتدبير، وليس يمتنع في اللّغة أن يكون الخالق خالقاً لفعل غيره إذا قدره ودبّره ألا ترى أنّهم يقولون: خلقت الأديم وإن لم يكن الأديم فعلاً لمن يقول ذلك فيه؟ ويكون معنى خلقه لأفعال العباد أنّه مقدّر لها ومعرّف لنا مقاديرها ومراتبها، وما به نستحقّ عليها من الجزاء(١).

٢ - باب آخر وهو من الباب الاول

وفيه رسالة أبي الحسن الثالث صلوات الله عليه في الردّ على أهل الجبر والتفويض وإثبات العدل والمنزلة بين المنزلتين بوجه أبسط ممّا مرّ.

١ - ف: من عليّ بن محمّد: سلام عليكم وعلى من اتّبع الهدى ورحمة الله وبركاته، فإنّه ورد عليّ كتابكم وفهمت ما ذكرتم من اختلافكم في دينكم وخوضكم في القدر، ومقالة من يقول منكم بالجبر، ومن يقول بالتفويض، وتفرّقكم في ذلك وتقاطعكم، وما ظهر من العداوة بينكم، ثمّ سألتموني عنه وبيانه لكم وفهمت ذلك كلّه، اعلموا رحمكم الله أنّا نظرنا في الآثار وكثرة ما جاءت به الأخبار فوجدناها عند جميع من ينتحل الإسلام ممّن يعقل عن الله عزّوجلّ لا تخلو من معنيين: إمّا حقّ فيتّبع، وإمّا باطل فيجتنب، وقد اجتمعت الأمّة قاطبة لا اختلاف بينهم أنّ القرآن حقّ لا ريب فيه عند جميع أهل الفرق، وفي حال اجتماعهم مقرّون بتصديق الكتاب وتحقيقه مصيبون مهتدون، وذلك بقول رسول الله صلّى الله عليه وآله: «لا تجتمع أمّتي على ضلالة» فأخبر أنّ جميع ما اجتمعت عليه الأمّة كلّها حقّ، هذا إذا لم يخالف بعضها بعضاً، والقرآن حقّ لا اختلاف بينهم في تنزيله وتصديقه، فإذا شهد القرآن بتصديق خبر وتحقيقه وأنكر الخبر طائفة من الأمّة لزمهم الإقرار به ضرورة، حين اجتمعت في الأصل على تصديق الكتاب، فإن هي جحدت وأنكرت لزمها الخروج من الملّة، فأوّل خبر يعرف تحقيقه من الكتاب وتصديقه والتماس شهادته عليه خبر ورد عن رسول الله صلّى الله عليه وآله، ووجد بموافقة الكتاب وتصديقه، بحيث لا تخالفه أقاويلهم حيث قال: «إني مخلّف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي لن تضلّوا ما تمسّكتم بهما وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض». فلمّا وجدنا شواهد هذا الحديث في كتاب الله نصّاً مثل قوله عزّوجلّ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾(٢) وروت العامّة في ذلك أخباراً لأمير المؤمنين عليه السلام أنّه تصدّق بخاتمه وهو راكع فشكر الله ذلك له وأنزل الآية فيه، فوجدنا رسول الله صلّى الله عليه وآله قد أتى بقوله: «من كنت

---

(١) أمالي المرتضى، ج ٤ ص ١٤٣.
(٢) سورة المائدة، الآيتان: ٥٥ و٥٦.

مولاه فعليٌّ مولاه»، وبقوله: «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبيّ بعدي»، ووجدناه يقول: «عليٌّ يقضي ديني وينجز موعدي وهو خليفتي عليكم من بعدي»، فالخبر الأوّل الّذي استنبط منه هذه الأخبار خبر صحيح مجمع عليه لا اختلاف فيه عندهم، وهو أيضاً موافق للكتاب، فلمّا شهد الكتاب بتصديق الخبر وهذه الشواهد الأُخر لزم على الأُمّة الإقرار بها ضرورة، إذ كانت هذه الأخبار شواهدها من القرآن ناطقة، ووافقت القرآن والقرآن وافقها، ثمّ وردت حقائق الأخبار عن رسول الله ﷺ، عن الصادقين عليهم السلام نقلها قوم ثقات معروفون فصار الاقتداء بهذه الأخبار فرضاً واجباً على كلّ مؤمن ومؤمنة، لا يتعدّاه إلاّ أهل العناد، وذلك أنّ أقاويل آل رسول الله ﷺ متّصلة بقول الله، وذلك مثل قوله في محكم كتابه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾[1] ووجدنا نظير هذه الآية قول رسول الله ﷺ «فلمّا وجدنا شواهد هذا الحديث في كتاب الله نصّاً مثل: إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذاباً مهيناً. من آذى علياً فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك أن ينتقم منه» وكذلك قوله ﷺ: «من أحبّ عليّاً فقد أحبّني، ومن أحبّني فقد أحبّ الله» ومثل قوله ﷺ في بني وليعة: «لأبعثنّ إليهم رجلاً كنفسي يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله قم ياعليّ فسر إليهم» وقوله ﷺ يوم خيبر: «لأبعثنّ إليهم غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله، ويحبّه الله ورسوله، كراراً غير فرّار، لا يرجع حتّى يفتح الله عليه» فقضى رسول الله ﷺ بالفتح قبل التوجيه فاستشرف لكلامه أصحاب رسول الله ﷺ، فلمّا كان من الغد دعا عليّاً عليه السلام فبعثه إليهم فاصطفاه بهذه الصفة وسمّاه كرّاراً غير فرّار، فسمّاه الله محبّاً لله ولرسوله، فأخبر أنّ الله ورسوله يحبّانه. وإنّما قدّمنا هذا الشرح والبيان دليلاً على ما أردنا وقوّة لما نحن مبيّنوه من أمر الجبر والتفويض، والمنزلة بين المنزلتين، وبالله العون والقوّة وعليه نتوكّل في جميع أُمورنا، فإنّا نبدأ من ذلك بقول الصادق عليه السلام: «لا جبر ولا تفويض ولكن منزلة بين المنزلتين» وهي صحّة الخلقة، وتخلية السرب، والمهلة في الوقت، والزاد مثل الراحلة، والسبب المهيّج للفاعل على فعله؛ فهذه خمسة أشياء جمع بها الصادق عليه السلام جوامع الفضل فإذا نقص العبد منها خلّة كان العمل عنه مطروحاً بحسبه، فأخبر الصادق عليه السلام بأصل ما يجب على الناس من طلب معرفته، ونطق الكتاب بتصديقه، فشهد بذلك محكمات آيات رسوله، لأنّ الرسول ﷺ وآله عليهم السلام لا يعدو شيء من قوله وأقاويلهم حدود القرآن فاذا وردت حقائق الأخبار والتمست شواهدها من التنزيل فوجد لها موافقاً وعليها دليلاً كان الاقتداء بها فرضاً لا يتعدّاه إلاّ أهل العناد كما ذكرنا في أوّل الكتاب، ولمّا التمسنا تحقيق ما قاله الصادق عليه السلام من المنزلة بين المنزلتين وإنكاره الجبر والتفويض وجدنا الكتاب قد شهد له

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٥٧.

وصدّق مقالته في هذا وخبّر عنه أيضاً موافقاً لهذا أنّ الصادق عليه السلام سئل: هل أجبر الله العباد على المعاصي؟ فقال الصادق عليه السلام: هو أعدل من ذلك، فقيل له: فهل فوّض إليهم؟ فقال عليه السلام: هو أعزّ وأقهر لهم من ذلك.

وروي عنه أنّه قال: الناس في القدر على ثلاثة أوجه: رجل يزعم أنّ الأمر مفوّض إليه فقد وهن الله في سلطانه فهو هالك، ورجل يزعم أنّ الله عزّ وجلّ أجبر العباد على المعاصي وكلّفهم ما لا يطيقون فقد ظلّم الله في حكمه فهو هالك، ورجل يزعم أنّ الله كلّف العباد ما يطيقون ولم يكلّفهم ما لا يطيقون فإذا أحسن حمد الله وإذا أساء استغفر الله فهذا مسلم بالغ، فأخبر عليه السلام أنّ من تقلّد الجبر والتفويض ودان بهما فهو على خلاف الحقّ، فقد شرحت الجبر الّذي من دان به يلزمه الخطاء، وأنّ الّذي يتقلّد التفويض يلزمه الباطل فصارت المنزلة بين المنزلتين بينهما، ثمّ قال: وأضرب لكلّ باب من هذه الأبواب مثلاً يقرّب المعنى للطالب ويسهّل له البحث عن شرحه، تشهد به محكمات آيات الكتاب، وتحقّق تصديقه عند ذوي الألباب وبالله التوفيق والعصمة.

فأمّا الجبر الّذي يلزم من دان به الخطاء فهو قول من زعم أنّ الله عزّ وجلّ أجبر العباد على المعاصي وعاقبهم عليها، ومن قال بهذا القول فقد ظلّم الله في حكمه وكذّبه وردّ عليه قوله: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[1] وقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾[2] وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَٰكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[3] مع آي كثيرة في ذكر هذا، فمن زعم أنّه مجبر على المعاصي فقد أحال بذنبه على الله، وقد ظلّمه في عقوبته، ومن ظلّم الله فقد كذّب كتابه، ومن كذّب كتابه فقد لزمه الكفر باجتماع الأمّة، ومثل ذلك مثل رجل ملك عبداً مملوكاً لا يملك نفسه، ولا يملك عرضاً من عروض الدنيا، ويعلم مولاه ذلك منه، فأمره على علم منه بالمصير إلى السوق لحاجة يأتيه بها ولم يملّكه ثمن ما يأتيه به من حاجته، وعلم المالك أنّ على الحاجة رقيباً لا يطمع أحد في أخذها منه إلاّ بما يرضى به من الثمن، وقد وصف مالك هذا العبد نفسه بالعدل والنصفة، وإظهار الحكمة، ونفي الجور، وأوعد عبده إن لم يأته بحاجته أن يعاقبه على علم منه بالرقيب الّذي على حاجته أنّه سيمنعه، وعلم أنّ المملوك لا يملك ثمنها ولم يملّكه ذلك، فلمّا صار العبد إلى السوق وجاء ليأخذ حاجته الّتي بعثه المولى لها وجد عليها مانعاً يمنع منها إلاّ بشراء وليس يملك العبد ثمنها فانصرف إلى مولاه خائباً بغير قضاء حاجته، فاغتاظ مولاه من ذلك وعاقبه عليه، أليس يجب في عدله وحكمته أن لا يعاقبه وهو يعلم أنّ عبده لا يملك عرضاً من عروض الدنيا ولم يملّكه ثمن حاجته؟ فإن عاقبه عاقبه ظالماً متعدّياً عليه، مبطلاً لما وصف من عدله وحكمته ونصفته، وإن

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٤٩.
(٢) سورة الحج، الآية: ١٠.
(٣) سورة يونس، الآية: ٤٤.

لم يعاقبه كذّب نفسه في وعيده إيّاه حين أوعده بالكذب والظلم اللّذين ينفيان العدل والحكمة، تعالى عمّا يقولون علوّاً كبيراً؛ فمن دان بالجبر أو بما يدعو إلى الجبر فقد ظلّم الله، ونسبه إلى الجور والعدوان، إذ أوجب على من أُجبر العقوبة، ومن زعم أنَّ الله أجبر العباد فقد أوجب على قياس قوله أنّ الله يدفع عنهم العقوبة، ومن زعم أنَّ الله يدفع عن أهل المعاصي العذاب فقد كذّب الله في وعيده، حيث يقول: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾(١) وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾(٢) وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾(٣) مع آي كثيرة في هذا الفنّ، فمن كذّب وعيد الله يلزمه في تكذيبه آية من كتاب الله الكفر، وهو ممّن قال الله: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾(٤) بل نقول: إنَّ الله عزّوجلّ جازى العباد على أعمالهم، ويعاقبهم على أفعالهم بالاستطاعة الّتي ملّكهم إيّاها فأمرهم ونهاهم، وبذلك نطق كتابه ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾(٥) وقال جلّ ذكره: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾(٦) وقال: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ﴾(٧) فهذه آيات محكمات تنفي الجبر ومن دان به، ومثلها في القرآن كثيرٌ، اختصرنا ذلك لئلاّ يطول الكتاب، وبالله التوفيق.

فأمّا التفويض الّذي أبطله الصادق عليه السلام وخطّأ من دان به وتقلّده فهو قول القائل: إنّ الله جلّ ذكره فوّض إلى العباد اختيار أمره ونهيه وأهملهم، وفي هذا كلام دقيق لمن يذهب إلى تحريره ودقّته، وإلى هذا ذهبت الأئمّة المهتدية من عترة الرسول عليهم السلام، فإنّهم قالوا لو فوّض إليهم على جهة الاهمال لكان لازماً له رضى ما اختاروه، واستوجبوا به الثواب، ولم يكن عليهم فيما جنوه العقاب إذ كان الإهمال واقعاً، وتنصرف هذه المقالة على معنيين: إمّا أن يكون العباد تظاهروا عليه فألزموه قبول اختيارهم بآرائهم ضرورة، كره ذلك أم أحبّ، فقد لزمه الوهن؛ أو يكون جلّ وعزّ عجز عن تعبّدهم بالأمر والنهي على إرادته، كرهوا أو أحبّوا ففوّض أمره ونهيه إليهم وأجراهما على محبّتهم، إذ عجز عن تعبّدهم بإرادته فجعل الاختيار إليهم في الكفر والإيمان، ومثل ذلك مثل رجل ملك عبداً ابتاعه ليخدمه، ويعرّف له فضل

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٨٠.
(٢) سورة النساء، الآية: ١٠.
(٣) سورة النساء، الآية: ٥٦.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٨٥.
(٥) سورة الأنعام، الآية: ١٦٠.
(٦) سورة آل عمران، الآية: ٣٠.
(٧) سورة غافر، الآية: ١٧.

ولايته، ويقف عند أمره ونهيه، وادّعى مالك العبد أنّه قاهر عزيز حكيم فأمر عبده ونهاه ووعده على اتّباع أمره عظيم الثواب، وأوعده على معصيته أليم العقاب، فخالف العبد إرادة مالكه، ولم يقف عند أمره ونهيه، فأيّ أمر أمره به أو أيّ نهي نهاه عنه لم يأته على إرادة المولى، بل كان العبد يتّبع إرادة نفسه، واتّباع هواه، ولا يطيق المولى أن يردّه إلى اتّباع أمره ونهيه والوقوف على إرادته، ففوّض اختيار أمره ونهيه إليه ورضي منه بكلّ ما فعله على إرادة العبد لا على إرادة المالك، وبعثه في بعض حوائجه وسمّى له الحاجة فخالف على مولاه، وقصد لإرادة نفسه، واتّبع هواه، فلمّا رجع إلى مولاه نظر إلى ما أتاه به فإذا هو خلاف ما أمره به فقال له: لمَ أتيتني بخلاف ما أمرتك؟ فقال العبد: اتّكلت على تفويضك الأمر إليّ فاتّبعت هواي وإرادتي لأنّ المفوّض إليه غير محظور عليه فاستحال التفويض، أوليس يجب على هذا السبب إمّا أن يكون المالك للعبد قادراً يأمر عبده باتّباع أمره ونهيه على إرادته لا على إرادة العبد، ويملّكه من الطاقة بقدر ما يأمره به وينهاه عنه، فإذا أمره بأمر ونهاه عن نهي عرّفه الثواب والعقاب عليهما وحذّره ورغبه بصفة ثوابه وعقابه ليعرف العبد قدرة مولاه بما ملكه من الطاقة لأمره ونهيه وترغيبه وترهيبه فيكون عدله وإنصافه شاملاً له، وحجّته واضحة عليه للإعذار والإنذار. فإذا اتّبع العبد أمر مولاه جازاه، وإذا لم يزدجر عن نهيه عاقبه؟ أو يكون عاجزاً غير قادر ففوّض أمره إليه أحسن أم أساء أطاع أم عصى عاجز عن عقوبته وردّه إلى اتّباع أمره، وفي إثبات العجز نفي القدرة والتألّه، وإبطال الأمر والنهي والثواب والعقاب، ومخالفة الكتاب، إذ يقول: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾[1] وقوله عزّ وجلّ ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[2] وقوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾﴾[3] وقوله: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾[4] وقوله: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ﴾[5] فمن زعم أنّ الله تعالى فوّض أمره ونهيه إلى عباده فقد أثبت عليه العجز، وأوجب عليه قبول كلّ ما عملوا من خير وشرّ، وأبطل أمر الله ونهيه، ووعده ووعيده لعلّة ما زعم أنّ الله فوضها إليها[6] لأنّ المفوّض إليه يعمل بمشيّته، فإن شاء الكفر أو الإيمان كان غير مردود عليه ولا محظور فمن دان بالتفويض على هذا المعنى فقد أبطل جميع ما ذكرنا من وعده ووعيده وأمره ونهيه، وهو من أهل هذه الآية: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[7] تعالى الله عمّا يدين به أهل التفويض علوّاً كبيراً، لكن نقول: إنّ الله عزّ وجلّ،

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٧.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٠٢.
(٣) سورة الذاريات، الآيتان: ٥٦ و٥٧.
(٤) سورة النساء، الآية: ٣٦.
(٥) سورة الانفال، الآية: ٢٠.
(٦) الصواب: إليه كما في المصدر.
(٧) سورة البقرة، الآية: ٨٥.

خلق الخلق بقدرته، وملكهم استطاعة تعبّدهم بها، فأمرهم ونهاهم بما أراد فقبل منهم اتّباع أمره ورضي بذلك لهم، ونهاهم عن معصيته وذمّ من عصاه وعاقبه عليها، ولله الخيرة في الأمر والنهي، يختار ما يريد ويأمر به، وينهى عمّا يكره ويعاقب عليه، بالاستطاعة الّتي ملّكها عباده لاتّباع أمره واجتناب معاصيه لأنّه ظاهر العدل والنصفة والحكمة البالغة، بالغ الحجّة بالإعذار والإنذار، وإليه الصفوة يصطفي من يشاء من عباده لتبليغ رسالته واحتجاجه على عباده اصطفى محمّداً ﷺ وبعثه برسالاته إلى خلقه فقال من قال من كفّار قومه حسداً واستكباراً: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾[1] يعني بذلك أميّة بن أبي الصلت وأبا مسعود الثقفيّ، فأبطل الله اختيارهم ولم يجز لهم آراءهم حيث يقول: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾[2] ولذلك اختار من الأمور ما أحبّ، ونهى عمّا كره، فمن أطاعه أثابه، ومن عصاه عاقبه، ولو فوّض اختيار أموره إلى عباده لأجاز لقريش اختيار أُميّة بن أبي الصلت وأبي مسعود الثقفيّ إذ كانا عندهم أفضل من محمّد ﷺ، فلمّا أدّب الله المؤمنين بقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾[3] فلم يجز لهم الاختيار بأهوائهم ولم يقبل منهم إلاّ اتّباع أمره واجتناب نهيه على يدي من اصطفاه فمن أطاعه رشد، ومن عصاه ضلّ وغوى ولزمته الحجّة بما ملّكه من الاستطاعة لاتّباع أمره واجتناب نهيه، فمن أجل ذلك حرمه ثوابه، وأنزل به عقابه، وهذا القول بين القولين ليس بجبر ولا تفويض وبذلك أخبر أمير المؤمنين صلوات الله عليه عباية بن ربعيّ الأسديّ حين سأله عن الاستطاعة الّتي بها يقوم ويقعد ويفعل، فقال له أمير المؤمنين: سألت عن الاستطاعة تملكها من دون الله أو مع الله؟ فسكت عباية، فقال له أمير المؤمنين: قل يا عباية، قال وما أقول؟ قال عليه السلام: إن قلت إنّك تملكها مع الله قتلتك! وإن قلت: تملكها دون الله قتلتك! قال عباية: فما أقول يا أميرالمؤمنين؟ قال عليه السلام: تقول: إنّك تملكها بالله الّذي يملكها من دونك، فإن يملّكها إيّاك كان ذلك من عطائه، وإن يسلبكها كان ذلك من بلائه هو المالك لما ملّكك، والقادر على ما عليه أقدرك، أما سمعت الناس يسألون الحول والقوّة حين يقولون: لاحول ولا قوّة إلاّ بالله؟ قال عباية: وما تأويلها يا أمير المؤمنين؟ قال عليه السلام: لا حول عن معاصي الله إلاّ بعصمة الله، ولا قوّة لنا على طاعة الله إلاّ بعون الله، قال: فوثب عباية فقبّل يديه ورجليه.

وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام حين أتاه نجدة يسأله عن معرفة الله قال: يا أمير المؤمنين بماذا عرفت ربّك؟ قال عليه السلام: بالتمييز الّذي خوّلني، والعقل الّذي دلّني، قال: أفمجبول أنت عليه؟ قال: لو كنت مجبولاً ماكنت محموداً على إحسان، ولا مذموماً على إساءة،

---

(١) - (٢) سورة الزخرف، الآيتان: ٣١ و٣٢. (٣) سورة الأحزاب، الآية: ٣٦.

وكان المحسن أولى باللائمة من المسيء، فعلمت أنّ الله قائم باق، وما دونه حدث حائل زائل، وليس القديم الباقي كالحدث الزائل. قال نجدة: أجدك أصبحت حكيماً يا أميرالمؤمنين! قال: أصبحت مخيّراً فإن أتيت السيّئة بمكان الحسنة فأنا المعاقب عليها.

وروى عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال لرجل سأله بعد انصرافه من الشام فقال: ياأمير المؤمنين أخبرنا عن خروجنا إلى الشام بقضاء وقدر؟ قال: نعم ياشيخ ما علوتم تلعة ولا هبطتم وادياً إلاّ بقضاء وقدر من الله، فقال الشيخ: عندالله أحتسب عنائي يا أميرالمؤمنين، فقال: مه ياشيخ فإنّ الله قد عظّم أجركم في مسيركم وأنتم سائرون، وفي مقامكم وأنتم مقيمون، وفي انصرافكم وأنتم منصرفون، ولم تكونوا في شيء من أموركم مكرهين، ولا إليه مضطرّين، لعلّك ظننت أنّه قضاء حتم وقدر لازم، ولو كان ذلك كذلك لبطل الثواب والعقاب، ولسقط الوعد والوعيد، ولما ألزمت الأشياء أهلها على الحقائق، ذلك مقالة عبدة الأوثان وأولياء الشياطين إنّ الله عزّوجلّ أمر تخييراً، ونهى تحذيراً، ولم يطع مكرهاً، ولم يعص مغلوباً، ولم يخلق السماوات والأرض وما بينهما باطلاً ذلك ظنّ الّذين كفروا فويل للّذين كفروا من النار. فقام الشيخ فقبّل رأس أميرالمؤمنين عليه السلام وأنشأ يقول:

أنت الإمام الّذي نرجو بطاعته يوم النجاة من الرحمن غفرانا
أوضحت من ديننا ما كان ملتبساً جزاك ربّك عنّا فيه رضوانا
فليس معذرة في فعل فاحشة عندي لراكبها ظلماً وعصيانا

فقد دلّ قول أميرالمؤمنين عليه السلام على موافقة الكتاب ونفي الجبر والتفويض اللّذين يلزمان من دان بهما وتقلّدهما الباطل والكفر وتكذيب الكتاب، ونعوذ بالله من الضلالة والكفر، ولسنا ندين بجبر ولا تفويض، لكنّا نقول بمنزلة بين المنزلتين، وهو الامتحان والاختبار بالاستطاعة الّتي ملّكنا الله وتعبّدنا بها على ما شهد به الكتاب ودان به الأئمّة الأبرار من آل الرسول صلوات الله عليهم.

ومثل الاختبار بالاستطاعة مثل رجل ملك عبداً وملك مالاً كثيراً أحبّ أن يختبر عبده على علم منه بما يؤول إليه، فملّكه من ماله بعض ما أحبّ، ووقفه على أمور عرّفها العبد، فأمره أن يصرف ذلك المال فيها؛ ونهاه عن أسباب لم يحبّها، وتقدّم إليه أن يجتنبها، ولا ينفق من ماله فيها، والمال يتصرّف في أيّ الوجهين؛ فصرف المال أحدهما في اتّباع أمر المولى ورضاه، والآخر صرفه في اتّباع نهيه وسخطه، وأسكنه دار اختبار أعلمه أنّه غير دائم له السكنى في الدار، وأنّ له داراً غيرها، وهو مخرجه إليها فيها ثواب وعقاب دائمان، فإن أنفذ العبد المال الّذي ملّكه مولاه في الوجه الّذي أمره به جعل له ذلك الثواب الدائم في تلك الدار الّتي أعلمه أنّه مخرجه إليها، وإن أنفق المال في الوجه الّذي نهاه عن إنفاقه فيه جعل له ذلك العقاب الدائم في دار الخلود، وقد حدّ المولى في ذلك حدّاً معروفاً وهو المسكن الّذي أسكنه في الدار الأولى، فإذا بلغ الحدّ استبدل المولى بالمال وبالعبد على أنّه لم يزل مالكاً للمال

والعبد في الأوقات كلّها ، إلاّ أنّه وعد أن لا يسلبه ذلك المال ما كان في تلك الدار الأولى إلاّ أن يستتمّ سكناه فيها ؛ فوفى له لأنّ من صفات المولى العدل والوفاء والنصفة والحكمة أوليس يجب إن كان ذلك العبد صرف ذلك المال في الوجه المأمور به أن يفي له بما وعده من الثواب وتفضّل عليه بأن استعمله في دار فانية وأثابه على طاعته فيها نعيماً دائماً في دار باقية دائمة؟ وإن صرف العبد المال الّذي ملّكه مولاه أيّام سكناه تلك الدار الأولى في الوجه المنهيّ عنه وخالف أمر مولاه كذلك يجب عليه العقوبة الدائمة الّتي حذّره إيّاها غير ظالم له لما تقدّم إليه وأعلمه وعرّفه وأوجب له الوفاء بوعده ووعيده، بذلك يوصف القادر القاهر؟ .

وأمّا المولى فهو الله عزّوجلّ ، وأمّا العبد فهو ابن آدم المخلوق، والمال قدرة الله الواسعة، ومحنته إظهار الحكمة والقدرة، والدار الفانية هي الدنيا ، وبعض المال الّذي ملّكه مولاه هو الاستطاعة الّتي ملّك ابن آدم، والأمور الّتي أمر الله بصرف المال إليها هو الاستطاعة لاتّباع الأنبياء والإقرار بما أوردوه عن الله جل وعز، واجتناب الأسباب الّتي نهى عنها هي طرق إبليس ؛ وأمّا وعده فالنعيم الدائم وهي الجنّة، وأمّا الدار الفانية فهي الدنيا ، وأمّا الدار فهي الدار الباقية وهي الآخرة، والقول بين الجبر والتفويض هو الاختبار والامتحان والبلوى بالاستطاعة الّتي ملك العبد؛ وشرحها في خمسة الأمثال الّتي ذكرها الصادق عليه السلام أنّها جمعت جوامع الفضل، وأنا مفسّرها بشواهد من القرآن والبيان إن شاء الله .

تفسير صحّة الخلقة: أمّا قول الصادق عليه السلام فإنّ معناه كمال الخلق للإنسان بكمال الحواسّ وثبات العقل والتمييز، وإطلاق اللّسان بالنطق، وذلك قول الله : ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[1] فقد أخبر عزّوجلّ عن تفضيله بني آدم على سائر خلقه من البهائم والسباع ودوابّ البحر والطير وكلّ ذي حركة تدركه حواسّ بني آدم بتمييز العقل والنطق، وذلك قوله: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[2] وقوله: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾[3] وفي آيات كثيرة، فأوّل نعمة الله على الإنسان صحّة عقله وتفضيله على كثير من خلقه بكمال العقل وتمييز البيان، وذلك أنّ كلّ ذي حركة على بسيط الأرض هو قائم بنفسه بحواسّه مستكمل في ذاته ففضّل بني آدم بالنطق الّذي ليس في غيره من الخلق المدرك بالحواسّ.

فمن أجل النطق ملّك الله ابن آدم غيره من الخلق حتّى صار آمراً ناهياً، وغيره مسخّر له، كما قال الله: ﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾[4] وقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾[5] وقال: ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٧٠.
(٢) سورة التين، الآية: ٩٥.
(٣) سورة الانفطار، الآيتان: ٦-٨.
(٤) سورة الحج، الآية: ٣٧.
(٥) سورة النحل، الآية: ١٤.

لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ﴾[1] فمن أجل ذلك دعا الله الانسان إلى اتّباع أمره وإلى طاعته بتفضيله إيّاه باستواء الخلق وكمال النطق والمعرفة، بعد أن ملّكهم استطاعة ما كان تعبّدهم به بقوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا﴾[2] وقوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[3] وقوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا﴾[4] وفي آيات كثيرة.

فإذا سلب العبد حاسّة من حواسّه رفع العمل عنه بحاسّته كقوله: ﴿لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ﴾[5] الآية، فقد رفع عن كلّ من كان بهذه الصفة الجهاد وجميع الأعمال الّتي لا يقوم إلاّ بها، وكذلك أوجب على ذي اليسار الحجّ والزكاة لما ملّكه من استطاعة ذلك، ولم يوجب على الفقير الزكاة والحجّ، قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾[6] وقوله في الظهار: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾[7] إلى قوله: ﴿فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾[8] كلّ ذلك دليل على أنّ الله تبارك وتعالى لم يكلّف عباده إلاّ ما ملّكهم استطاعته بقوّة العمل به، ونهاهم عن مثل ذلك فهذه صحّة الخلقة.

وأمّا قوله: تخلية السرب فهو الّذي ليس عليه رقيب يحظر عليه ويمنعه العمل بما أمره الله به وذلك قوله في من استضعف وحظر عليه العمل فلم يجد حيلة ولم يهتد سبيلاً: ﴿مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾[9] فأخبر أنّ المستضعف لم يخلّ سربه وليس عليه من القول شيء إذا كان مطمئنّ القلب بالإيمان.

وأمّا المهلة في الوقت فهو العمر الّذي يمتّع به الانسان من حدّ ما يجب عليه المعرفة إلى أجل الوقت، وذلك من وقت تمييزه وبلوغ الحلم إلى أن يأتيه أجله، فمن مات على طلب الحقّ ولم يدرك كماله فهو على خير وذلك قوله: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾[10] الآية، وإن كان لم يعمل بكمال شرائعه لعلة ما لم يمهله في الوقت إلى استتمام أمره، وقد حظر على البالغ ما لم يحظر على الطفل إذا لم يبلغ الحلم في قوله تعالى: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ﴾[11] الآية فلم يجعل عليهنّ حرجاً في إبداء الزينة للطفل وكذلك لا تجري عليه الأحكام.

وأمّا قوله: الزاد فمعناه الجدة والبلغة الّتي يستعين بها العبد على ما أمره الله به، وذلك

(١) سورة النحل، الآيات: ٥-٧.
(٢) سورة التغابن، الآية: ١٦.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.
(٤) سورة الطارق، الآية: ٧.
(٥) سورة النور، الآية: ٦١.
(٦) سورة آل عمران، الآية: ٩٧.
(٧) - (٨) سورة المجادلة، الآيات: ٢-٤.
(٩) سورة النساء، الآية: ٩٨.
(١٠) سورة النساء، الآية: ١٠٠.
(١١) سورة النور، الآية: ٣١.

قوله: ﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ﴾[(١)] الآية ألا ترى أنّه قبل عذر من لم يجد ما ينفق، وألزم الحجّة كلّ من أمكنته البلغة، والراحلة للحجّ والجهاد وأشباه ذلك، كذلك قبل عذر الفقراء وأوجب لهم حقاً في مال الاغنياء بقوله: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾[(٢)] الآية، فأمر بإعفائهم، ولم يكلّفهم الإعداد لما لا يستطيعون ولا يملكون.

وأمّا قوله: في السبب المهيّج، فهو النيّة الّتي هي داعية الإنسان إلى جميع الأفعال، وحاسّتها القلب، فمن فعل فعلاً وكان بدين لم يعقد قلبه على ذلك لم يقبل الله منه عملاً إلاّ بصدق النيّة، كذلك أخبر عن المنافقين بقوله: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾[(٣)] ثمّ أنزل على نبيّه ﷺ توبيخاً للمؤمنين ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[(٤)] الآية، فإذا قال الرجل قولاً واعتقد في قوله دعته النيّة إلى تصديق القول بإظهار الفعل، وإذا لم يعتقد القول لم يتبيّن حقيقة، وقد أجاز الله صدق النيّة وإن كان الفعل غير موافق لها لعلّة مانع يمنع إظهار الفعل في قوله: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾[(٥)] وقوله: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾[(٦)] الآية، فدلّ القرآن وأخبار الرسول ﷺ أنّ القلب مالك لجميع الحواسّ يصحّح أفعالها، ولا يبطل ما يصحّح القلب شيء، فهذا شرح جميع الخمسة الأمثال الّتي ذكرها الصادق عليه السلام أنّها تجمع المنزلة بين المنزلتين، وهما الجبر والتفويض، فإذا اجتمع في الإنسان كمال هذه الخمسة الأمثال وجب عليه العمل كملاً لما أمر الله عزّ وجلّ به ورسوله، وإذا نقص العبد منها خلّة كان العمل عنه مطروحاً بحسب ذلك.

فأمّا شواهد القرآن على الاختبار والبلوى بالاستطاعة الّتي تجمع القول بين القولين فكثيرة، ومن ذلك قوله: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾[(٧)] وقال: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾[(٨)] وقال: ﴿الم ﴿١﴾ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾﴾[(٩)] وقال في الفتن الّتي معناها الاختبار: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ﴾[(١٠)] الآية، وقال في قصّة قوم موسى: ﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِن بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾[(١١)] وقول موسى: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾[(١٢)] أيّ اختبارك، فهذه الآيات يقاس بعضها ببعض ويشهد بعضها لبعض، وأمّا آيات البلوى بمعنى الاختبار قوله: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾[(١٣)] وقوله: ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٩١.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٧٣.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٦٧.
(٤) سورة الصف، الآية: ٢.
(٥) سورة النحل، الآية: ١٠٦.
(٦) سورة المائدة، الآية: ٨٩.
(٧) سورة محمد، الآية: ٣١.
(٨) سورة الأعراف، الآية: ١٨٢.
(٩) سورة العنكبوت، الآيتان: ٢-٣.
(١٠) سورة ص، الآية: ٣٤.
(١١) سورة طه، الآية: ٨٥.
(١٢) سورة الأعراف، الآية: ١٥٥.
(١٣) سورة المائدة، الآية: ٤٨.

لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾(١) وقوله: ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾(٢) وقوله: ﴿خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾(٣) وقوله: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾(٤) وقوله: ﴿وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ﴾(٥) وكلّ ما في القرآن من بلوى هذه الآيات الّتي شرح أوّلها فهي اختبار وأمثالها في القرآن كثيرة، فهي إثبات الاختبار والبلوى إنّ الله عزّوجلّ لم يخلق الخلق عبثاً، ولا أهملهم سدىً، ولا أظهر حكمته لعباً، بذلك أخبر في قوله: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾(٦).

فإن قال قائل: فلم يعلم الله ما يكون من العباد حتّى اختبرهم؟ قلنا: بلى قد علم ما يكون منهم قبل كونه، وذلك قوله: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾(٧) وإنّما اختبرهم ليعلمهم عدله ولا يعذّبهم إلاّ بحجّة بعد الفعل، وقد أخبر بقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾(٨) وقوله: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾(٩) وقوله: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾(١٠) فالاختبار من الله بالاستطاعة الّتي ملّكها عبده وهو القول بين الجبر والتفويض بهذا نطق القرآن وجرت الأخبار عن الأئمّة من آل الرسول.

فإن قالوا: ما الحجّة في قول الله: ﴿يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ و﴿يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ﴾ وما أشبهها؟ قيل: مجاز هذه الآيات كلّها على معنيين: أمّا أحدهما فإخبار عن قدرته أي أنّه قادر على هداية من يشاء وضلال من يشاء، وإذا أجبرهم بقدرته على أحدهما لم يجب لهم ثواب ولا عليهم عقاب على نحو ما شرحنا في الكتاب، والمعنى الآخر أنّ الهداية منه تعريفه كقوله: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾ أي عرّفناهم ﴿فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾(١١) فلو جبرهم على الهدى لم يقدروا أن يضلّوا، وليس كلّما وردت آية مشتبهة كانت الآية حجّة على محكم الآيات اللّواتي أمرنا بالأخذ بها، من ذلك قوله: ﴿آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾(١٢) الآية، وقال: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾(١٣) أي أحكمه وأشرحه ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾(١٤) وفّقنا الله وإيّاكم من القول والعمل لما يحبّ ويرضى، وجنّبنا وإيّاكم معاصيه بمنّه وفضله، والحمد لله كثيراً كما هو أهله، وصلى الله على محمّد وآله الطيّبين، وحسبنا الله ونعم الوكيل(١٥).

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٥٢.
(٢) سورة القلم، الآية: ١٧.
(٣) سورة الملك، الآية: ٢١.
(٤) سورة البقرة، الآية: ١٣٤.
(٥) سورة محمد، الآية: ٤.
(٦) سورة المؤمنون، الآية: ١١٥.
(٧) سورة الأنعام، الآية: ٢٨.
(٨) سورة طه، الآية: ١٣٤.
(٩) سورة الاسراء، الآية: ١٥.
(١٠) سورة النساء، الآية: ١٦٥.
(١١) سورة فصلت، الآية: ١٧.
(١٢) سورة آل عمران، الآية: ٧.
(١٣) - (١٤) سورة الزمر، الآيتان: ١٧ و١٨.
(١٥) تحف العقول ص٣٣٧.

بيان: قوله تعالى: فقد ظلّم الله على بناء التفعيل أي نسبه إلى الظلم. قوله عليه السلام: ومن زعم أنّ الله يدفع عن أهل المعاصي العذاب أي عموماً بحيث لا يعاقب أحداً منهم كما هو مقتضى الجبر، فلا ينافي سقوط بعضها بالعفو أو الشفاعة. وقوله عليه السلام: ولما لزمت الأشياء أي الخطايا والذنوب، وفي بعض النسخ الأسماء وهو أوفق بما روي عنه عليه السلام في موضع آخر أي لا يصحّ إطلاق المؤمن والكافر والصالح والطالح وأشباهها على الحقيقة.

فذلكة: اعلم أنّ الذي استفاض عن الأئمّة عليهم السلام هو نفي الجبر والتفويض، وإثبات الأمر بين الأمرين، وقد اعترف به بعض المخالفين أيضاً، قال إمامهم الرازيّ: حال هذه المسألة عجيبة فإنّ الناس كانوا مختلفين فيها أبداً بسبب أنّ ما يمكن الرجوع فيها إليها متعارضة متدافعة: فمعول الجبريّة على أنّه لابدّ لترجيح الفعل على الترك من مرجّح ليس من العبد؛ ومعوّل القدريّة على أنّ العبد لو لم يكن قادراً على فعل لما حسن المدح والذمّ والأمر والنهي، وهما مقدّمتان بديهيّتان، ثمّ من الأدلّة العقليّة اعتماد الجبريّة على أنّ تفاصيل أحوال الأفعال غير معلومة للعبد، واعتماد القدريّة على أنّ أفعال العباد واقعة على وفق تصوّرهم ودواعيهم وهما متعارضتان، ومن الإلزامات الخطابيّة أنّ القدرة على الإيجاد صفة كمال لا يليق بالعبد الّذي هو منبع النقصان، وأنّ أفعال العباد تكون سفهاً وعبثاً، فلا يليق بالمتعالي عن النقصان، وأمّا الدلائل السمعيّة فالقرآن مملوء بما يوهم بالأمرين وكذا الآثار، فإنّ أمّة من الأمم لم تكن خالية من الفرقتين، وكذا الأوضاع والحكايات متدافعة من الجانبين، حتّى قيل: إنّ وضع النرد على الجبر، ووضع الشطرنج على القدر، إلاّ أنّ مذهبنا أقوى بسبب أنّ القدح في قولنا: لا يترجّح الممكن إلاّ بمرجّح يوجب انسداد باب إثبات الصانع، ونحن نقول: الحقّ ما قال بعض أئمّة الدين: إنّه لا جبر ولا تفويض، ولكن أمر بين أمرين، وذلك أنّ مبنى المبادئ القريبة لأفعال العبد على قدرته واختياره، والمبادئ البعيدة على عجزه واضطراره فالإنسان مضطرّ في صورة مختار كالقلم في يد الكاتب والوتد في شقّ الحائط، وفي كلام العقلاء: قال الحائط للوتد: لمَ تشقّني؟ فقال: سل من يدقّني انتهى.

وأمّا معنى الجبر فهو ما ذهبت إليه الأشاعرة من أنّ الله تعالى أجرى الأعمال على أيدي العباد من غير قدرة مؤثّرة لهم فيها، وعذّبهم عليها.

وأمّا التفويض فهو ما ذهب إليه المعتزلة من أنّه تعالى أوجد العباد وأقدرهم على تلك الأفعال، وفوّض إليهم الاختيار. فهم مستقلّون بإيجادها على وفق مشيّتهم وقدرتهم، وليس لله في أفعالهم صنع.

وأمّا الأمر بين الأمرين فالّذي ظهر ممّا سبق من الأخبار هو أنّ لهداياته وتوفيقاته تعالى مدخلاً في أفعال العباد بحيث لا يصل إلى حدّ الإلجاء والاضطرار كما أنّ سيّداً أمر عبده بشيء يقدر على فعله، وفهّمه ذلك، ووعده على فعله شيئاً من الثواب، وعلى تركه شيئاً من العقاب فلو

اكتفى من تكليف عبده بذلك ولم يزد عليه مع علمه بأنّه لا يفعل الفعل بمحض ذلك لم يكن ملوماً عند العقلاء لو عاقبه على تركه، ولا يقول عاقل بأنّه أجبره على ترك الفعل، ولو لم يكتف السيّد بذلك وزاد في ألطافه، والوعد بإكرامه، والوعيد على تركه، وأكّد ذلك ببعث من يحثّه على الفعل ويرغّبه فيه، ثمّ فعل بقدرته واختياره ذلك الفعل فلا يقول عاقل بأنّه جبره على ذلك الفعل؛ وأمّا فعل ذلك بالنسبة إلى جماعة وتركه بالنسبة إلى آخرين فيرجع إلى حسن اختيارهم وصفاء طويّتهم، أو سوء اختيارهم وقبح سريرتهم، فالقول بهذا لا يوجب نسبة الظلم إليه تعالى بأن يجبرهم على المعاصي ثمّ يعذّبهم عليها كما يلزم الأوّلين، ولا عزله تعالى عن ملكه، واستقلال العباد بحيث لا مدخل لله في أفعالهم فيكونون شركاء لله في تدبير عالم الوجود كما يلزم الآخرين، وقد مرّت شواهد هذا المعنى في الأخبار؛ ويؤيّده ما رواه الكلينيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه سأله رجل: أجبر الله العباد على المعاصي؟ قال: لا؛ فقال: ففوّض إليهم الأمر؟ قال: لا، قال: فماذا؟ قال: لطف من ربّك بين ذلك.

ويظهر من بعض الأخبار أنّ المراد بالتفويض المنفيّ هو كون العبد مستقلّاً في الفعل لا يقدر الربّ تعالى على صرفه عنه، والامر بين الامرين هو أنّه جعلهم مختارين في الفعل والترك مع قدرته على صرفهم عمّا يختارون، ومنهم من فسّر الأمر بين الامرين بأنّ الأسباب القريبة للفعل يرجع إلى قدرة العبد، والأسباب البعيدة كالآلات والأسباب والأعضاء والجوارح والقوى إلى قدرة الربّ تعالى، فقد حصل الفعل بمجموع القدرتين؛ وفيه أنّ التفويض بهذا المعنى لم يقل به أحد حتّى يردّ عليه؛ ومنهم من قال: الأمر بين الأمرين هو كون بعض الأشياء باختيار العبد وهي الأفعال التكليفيّة، وكون بعضها بغير اختياره كالصحّة والمرض والنوم واليقظة، والذكر والنسيان وأشباه ذلك، ويرد عليه ما أوردناه على الوجه السابق والله تعالى يعلم وحججه عليهم السلام. وبسط القول في تلك المسألة وإيراد الدلائل والبراهين على ما هو الحقّ فيها ودفع الشكوك والشبه عنها لا يناسب ما هو المقصود من هذا الكتاب، والله يهدي من يشاء إلى الحقّ والصواب.

٣ - باب القضاء والقدر والمشيئة والارادة وسائر أسباب الفعل

الآيات: البقرة «٢»: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ «٢٥٣».

آل عمران «٣»: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَـٰبًا مُّؤَجَّلًا﴾ «١٤٥».

الأنعام «٦»: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟﴾ «١٠٧» «وقال تعالى»: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ «١٣٧» «وقال تعالى»: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَـٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾﴾.

الأعراف «٧»: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ «١٨٨».

الأنفال «٨»: ﴿وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ «٤٢».

التوبة «٩»: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ «٥١» «وقال تعالى»: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ «٥٥».

يونس: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾﴾.

الأحزاب «٣٣»: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾ «٣٧» وقال: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ «٣٨».

فاطر «٣٥»: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ «١١».

[فصلت] «٤١»: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ «٤٥».

حمعسق [الشورى]: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحْمَتِهِۦ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ «٨» «وقال تعالى»: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ «٢١».

الزخرف: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ «٢٠».

القمر «٥٤»: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ «٤٩» «وقال»: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾﴾.

الحديد «٥٧»: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ «٢٢».

الحشر «٥٩»: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ «٥».

التغابن «٦٤»: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ «١١».

الطلاق: ﴿يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًۢا﴾ «١٢».

المدثر «٧٤»: ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾ «٣١» «وقال تعالى»: ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ «٥٦».

الدهر [الإنسان] «٧٦»: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ «٣٠» «وقال تعالى»: ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحْمَتِهِۦ﴾ «٣١».

التكوير «٨١»: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ «٢٩».

تفسير: ولو شاء الله ما اقتتلوا أي لو شاء أن يجبرهم ويلجئهم على ترك الاقتتال لفعل لكنّه مناف للتكليف فلذا وكلهم إلى اختيارهم فاقتتلوا، وإذن الله أمره وتقديره، وقيل: علمه، من أذن بمعنى علم.

وقال الطبرسيّ في قوله تعالى: ﴿فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أي لو شاء لألجأكم إلى الإيمان، وهذه المشيّة تخالف المشيّة المذكورة في الآية الأولى. لأنّ الله سبحانه أثبت هذه ونفى تلك، فالأولى مشيّة الاختيار والثانية مشيّة الإلجاء. وقيل: إنّ المراد به: لو شاء لهداكم إلى نيل الثواب ودخول الجنّة ابتداءً من غير تكليف[1].

قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ أي مطلقاً لأنّ ما يتوقّف عليه الفعل من الأسباب والآلات إنّما هو بقدرته تعالى، وهو لا ينافي الاختيار، أو فيما ليس باختيار العبد من دفع البلايا وجلب المنافع، ويؤيّده قوله تعالى بعد ذلك: ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ﴾.

قوله تعالى: ﴿لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ أي قدّر الله التقاءكم مع المشركين في بدر على غير ميعاد منكم ليقضي أمراً كان كائناً لا محالة، أو من شأنه أن يكون هو إعزاز الدين وأهله، وإذلال الشرك وأهله، ومعنى ﴿لِّيَقْضِىَ﴾: ليفعل، أو ليظهر قضاؤه[2].

قوله تعالى: في (الزبر) أي في الكتب الّتي كتبتها الحفظة، أو في اللّوح المحفوظ، ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ﴾ أي وما قدّموه من أعمالهم من صغير وكبير مكتوب عليهم، أو كلّ صغير وكبير من الأرزاق والآجال ونحوها مكتوب في اللّوح[3].

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ أي إلاّ أن يشاء أن يجبرهم على ذلك بقرينة قوله سابقاً: ﴿إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾﴾ وقيل: إلاّ أن يشاء الله من حيث أمر به ونهى عن تركه فكانت مشيّته سابقة أي لا يذكرون إلاّ والله قد شاء ذلك[4].

١ - ب: ابن طريف، عن ابن علوان، عن جعفر، عن أبيه، قال: قيل لرسول الله ﷺ: يا رسول الله رقى يستشفى بها هل تردّ من قدر الله؟ فقال: إنّها من قدر الله[5].

٢ - ل: الخليل بن أحمد السنجريّ، عن محمّد بن إسحاق بن خزيمة، عن عليّ بن حجر، عن شريك، عن منصور بن المعتمر، عن ربعي بن خراش، عن عليّ عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: لا يؤمن عبد حتّى يؤمن بأربعة: حتّى يشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأنّي رسول الله بعثني بالحقّ، وحتّى يؤمن بالبعث بعد الموت، وحتّى يؤمن بالقدر[6].

٣ - ل: أبو أحمد محمّد بن جعفر البندار، عن جعفر بن محمّد بن نوح، عن محمّد بن عمر، عن يزيد بن زريع، عن بشر بن نمير، عن القاسم بن عبد الرحمن، عن أبي أمامة قال:

---

(١) مجمع البيان، ج ٤ ص ١٨٨.
(٢) مجمع البيان، ج ٤ ص ٤٧٣.
(٣) مجمع البيان، ج ٩ ص ٣٢٥.
(٤) مجمع البيان، ج ١٠ ص ١٨٩.
(٥) قرب الإسناد، ص ٩٥ ح ٣٢٠.
(٦) الخصال، ص ١٩٨ باب الأربعة ح ٨.

قال رسول الله ﷺ: أربعة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة: عاقّ، ومنّان، ومكذّب بالقدر، ومدمن خمر(١).

٤ - **ل:** حمزة العلويّ، عن أحمد الهمدانيّ، عن يحيى بن الحسن بن جعفر، عن محمّد ابن ميمون الخزّاز، عن عبد الله بن ميمون، عن جعفر بن محمّد، عن أبيه، عن عليّ بن الحسين عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: ستّة لعنهم الله وكلُّ نبيّ مجاب: الزائد في كتاب الله، والمكذّب بقدر الله، والتارك لسنّتي، والمستحلّ من عترتي ما حرّم الله، والمتسلّط بالجبروت ليذلّ من أعزّه الله ويعزّ من أذلّه الله، والمستأثر بفيء المسلمين المستحلّ له(٢).

٥ - **ل:** ابن المتوكّل، عن محمّد العطّار، عن محمّد بن أحمد، عن أحمد بن محمّد، عن أبي القاسم الكوفيّ، عن عبد المؤمن الأنصاريّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: إنّي لعنت سبعة لعنهم الله وكلُّ نبيّ مجاب قبلي، فقيل: ومن هم يا رسول الله؟ فقال: الزائد في كتاب الله، والمكذّب بقدر الله، والمخالف لسنّتي، والمستحلّ من عترتي ما حرّم الله، والمتسلّط بالجبريّة ليعزّ من أذلّ الله ويذلّ من أعزّ الله، والمستأثر على المسلمين بفيئهم مستحلاً له والمحرّم ما أحل الله عزّ وجلّ(٣).

٦ - **ل:** محمّد بن عمر الحافظ، عن محمّد بن الحسين الخثعميّ، عن ثابت بن عامر السنجاريّ؟ عن عبد الملك بن الوليد، عن عمرو بن عبد الجبّار، عن عبد الله بن زياد، عن زيد بن عليّ، عن أبيه، عن جدّه، عن عليّ عليه السلام قال: قال النبيّ ﷺ: سبعة لعنهم الله وكلُّ نبيّ مجاب، المغيّر لكتاب الله، والمكذّب بقدر الله، والمبدّل سنّة رسول الله، والمستحلّ من عترتي ما حرّم الله عزّ وجلّ، والمتسلّط في سلطانه ليعزّ من أذلّ الله ويذلّ من أعزّ الله، والمستحلّ لحرم الله، والمتكبّر على عباد الله عزّ وجلّ(٤).

٧ - **ل:** أبي، عن سعد، عن إبراهيم بن هاشم، عن أبي عبد الله البرقيّ، عن زكريّا بن عمران، عن أبي الحسن الأوّل عليه السلام قال: لا يكون شيء في السماوات والأرض إلاّ بسبعة: بقضاء، وقدر وإرادة، ومشيّة، وكتاب، وأجل، وإذن، فمن قال غير هذا فقد كذب على الله، أو ردّ على الله عزّ وجلّ(٥).

٨ - **فس:** أبي، عن ابن أبي عمير، عن ابن مسكان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ موسى عليه السلام سأل ربّه أن يجمع بينه وبين آدم عليه السلام فجمع، فقال له موسى: يا أبه ألم يخلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته، وأمرك أن لا تأكل من الشجرة؟ فلمَ

(١) الخصال ص ٢٠٣ باب الأربعة ح ١٨.
(٢) الخصال، ص ٣٣٨ باب الستة ح ٤١.
(٣) الخصال، ص ٣٤٩ باب السبعة ح ٢٤.
(٤) الخصال، ص ٣٥٠ باب السبعة ح ٢٥.
(٥) الخصال، ص ٣٥٩ باب السبعة ح ٤٦.

عصيته؟ قال: يا موسى بكم وجدت خطيئتي قبل خلقي في التوراة؟ قال: بثلاثين سنة، قال: فهو ذلك، قال الصادق عليه السلام: فحجّ آدم موسى عليه السلام[(١)].

بيان: من أصحابنا من حمل هذا الخبر على التقيّة، إذ قد ورد ذلك في كتبهم بطرق كثيرة، وقد رواه السيّد في الطرائف من طرقهم وردّه، ويمكن أن يقال: إنّ المراد أنّه كتب في التوراة أنّ الله وكل آدم إلى اختياره حتّى فعل ما فعل لمصلحة إهباطه إلى الدنيا، وأمّا كونه قبل خلقه عليه السلام فلأنّ التوراة كتب في الألواح السماويّة في ذلك الوقت وإن وجده موسى عليه السلام بعد بعثته ويحتمل اطّلاع روح موسى على ذلك قبل خلق جسد آدم والله يعلم.

٩ -ع: أحمد بن محمّد، عن أبيه، عن جعفر بن محمّد بن مالك، عن عباد بن يعقوب، عن عمر بن بشر البزّاز قال: قال أبو جعفر محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام: ما يستطيع أهل القدر أن يقولوا؛ والله لقد خلق الله آدم للدنيا وأسكنه الجنّة ليعصيه فيردّه إلى ما خلقه له[(٢)].

بيان: قوله: ليعصيه أي عالماً بأنّه يخلّيه مع اختياره فيعصيه، فيكون اللاّم لام العاقبة أي ليخلّيه فيعصي بذلك مختاراً والله يعلم.

١٠ -مع: أبي، عن سعد، عن أحمد بن محمّد، عن أبيه، عن حمّاد بن عيسى، عن شعيب، عن أبي بصير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: شاء وأراد، ولم يحبّ ولم يرض. قلت: كيف؟ قال: شاء أن لا يكون شيء إلاّ بعلمه، وأراد مثل ذلك، ولم يحبّ أن يقال له: ثالث ثلاثة، ولم يرض لعباده الكفر[(٣)].

١١ -عد: اعتقادنا في الارادة والمشيّة قول الصادق عليه السلام: شاء الله، وأراد، ولم يحب، ولم يرض، شاء أن لا يكون شيء إلاّ بعلمه، وأراد مثل ذلك، ولم يحبّ أن يقال له: ثالث ثلاثة، ولم يرض لعباده الكفر.

وقال الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾[(٤)] وقال عزّ وجلّ: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ وقال عزّ وجلّ: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾[(٥)] وقال عزّ وجلّ: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾[(٦)] كما قال: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلًا﴾[(٧)] كما قال: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾[(٨)] وقال عزّ وجلّ: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾[(٩)] وقال عزّ وجلّ:

---

(١) تفسير القمي، ج ١ ص ٥٤.

(٢) علل الشرائع ج ٢ ص ٣٠١ باب ٨٥ نوادر العلل ح ٣.

(٣) معاني الاخبار، ص ١٧٠.

(٤) سورة القصص، الآية: ٥٦.

(٥) - (٦) سورة يونس، الآيتان: ٩٩-١٠٠.

(٧) سورة آل عمران، الآية: ١٤٥.

(٨) سورة آل عمران، الآية: ١٥٤.

(٩) سورة الانعام، الآية: ١١٢.

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُواْ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾[١] وقال عزّوجلّ: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَأٓتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا﴾ وقال عزّوجلّ: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾[٢] وقال عزّوجلّ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾[٣] وقال الله عزّوجلّ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْأَخِرَةِ﴾[٤] وقال عزّوجلّ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ﴾ وقال: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ وقال عزّوجلّ: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلًا عَظِيمًا﴾[٥] وقال عزّوجلّ ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ﴾.

فهذا اعتقادنا في الارادة والمشيّة، ومخالفونا يشنّعون علينا في ذلك، ويقولون:

إنّا نقول: إنّ الله عزّوجلّ أراد المعاصي وأراد قتل الحسين عليه السلام وليس هكذا نقول، ولكنّا نقول: إنّ الله عزّوجلّ أراد أن يكون معصية العاصين خلاف طاعة المطيعين، وأراد أن تكون المعاصي غير منسوبة إليه من جهة الفعل، وأراد أن يكون موصوفاً بالعلم بها قبل كونها، ونقول: أراد الله أن يكون قتل الحسين عليه السلام معصيةً له خلاف الطاعة، ونقول: أراد أن يكون قتله منهياً عنه غير مأمور به، ونقول: أراد الله أن يكون مستقبحاً غير مستحسن، ونقول: أراد الله عزّوجلّ أن يكون قتله سخطاً لله غير رضاه، ونقول: أراد الله عزّوجلّ أن لا يمنع من قتله بالجبر والقدرة كما منع منه بالنهي، ونقول: أراد الله أن لا يدفع القتل عنه كما دفع الحرق عن إبراهيم عليه السلام، حين قال عزّوجلّ للنار الّتي ألقي فيها: ﴿يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾[٦] ونقول: لم يزل الله عالماً بأنّ الحسين عليه السلام سيقتل ويدرك بقتله سعادة الأبد، ويشقى قاتله شقاوة الأبد، ونقول: ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن. هذا اعتقادنا في الإرادة والمشيّة، دون ما نسب إلينا أهل الخلاف والمشنّعون علينا من أهل الإلحاد[٧].

أقول: قال الشيخ المفيد (نوّر الله ضريحه): الّذي ذكره الشيخ أبو جعفر رحمه الله في هذا الباب لا يتحصّل ومعانيه تختلف وتتناقض، والسبب في ذلك أنّه عمل على ظواهر الأحاديث المختلفة، ولم يكن ممّن يرى النظر فيميّز بين الحقّ والباطل، ويعمل على ما توجب الحجّة! ومن عوّل في مذهبه على الأقاويل المختلفة وتقليد الرواة كانت حاله في الضعف ما وصفناه! والحقّ في ذلك أنّ الله تعالى لا يريد إلاّ ما حسن من الأفعال، ولا يشاء إلاّ الجميل من الأعمال، ولا يريد القبائح، ولا يشاء الفواحش، تعالى الله عمّا يقول المبطلون علوّاً كبيراً، قال الله تعالى: ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ﴾[٨] وقال: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٠٧.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٢٥.
(٣) سورة النساء، الآية: ٢٦.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٧٦.
(٥) سورة النساء، الآية: ٢٧.
(٦) سورة الأنبياء، الآية: ٦٩.
(٧) اعتقادات الصدوق، ص ٦٩-٧١.
(٨) سورة غافر، الآية: ٣١.

ٱلْعُسْرَ﴾ [١] وقال: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [٢] الآية ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾ [٣] فخبّر سبحانه أنّه لا يريد لعباده العسر، بل يريد بهم اليسر، وأنّه يريد لهم البيان، ولا يريد لهم الضلال، ويريد التخفيف عنهم، ولا يريد التثقيل عليهم، فلو كان سبحانه مريداً لمعاصيهم لنا في ذلك إرادة البيان لهم، أو التخفيف عنهم واليسر لهم، فكتاب الله تعالى شاهد بضدّ ما ذهب إليه الضالّون المفترون على الله الكذب، تعالى الله عمّا يقول الظالمون علوّاً كبيراً.

فأمّا ما تعلقوا به من قوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ﴾ [٤] الآية فليس للمجبّرة به تعلّق ولا فيه حجّة، من قبل أنّ المعنى فيه من أراد الله تعالى أن ينعمه ويثيبه جزاءاً على طاعته شرح صدره للإسلام بالألطاف الّتي يحبوه بها، فييسّر له بها استدامة أعمال الطاعات، والهداية في هذا الموضع هي التنعيم، قال الله تعالى - فيما خبّر به عن أهل الجنّة -: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾ [٥] الآية أي نعّمنا به وأثابنا إيّاه، والضلال في هذه الآية هو العذاب، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ﴾ [٦] فسمّى العذاب ضلالاً والنعيم هداية، والأصل في ذلك أنّ الضلال هو الهلاك، والهداية هي النجاة، قال الله تعالى - حكاية عن العرب -: ﴿أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [٧] يعنون إذا هلكنا فيها، وكأنّ المعنى في قوله: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ﴾ ما قدّمناه ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ﴾ ما وصفناه، والمعنى في قوله: ﴿يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ يريد سلبه التوفيق عقوبةً له على عصيانه، ومنعه الألطاف جزاءاً له على إساءته، فشرح الصدر: ثواب الطاعة بالتوفيق، وتضييقه: عقاب المعصية بمنع التوفيق، وليس في هذه الآية على ما بيّنّاه شبهة لأهل الخلاف فيما ادعوه من أنّ الله تعالى يضلّ عن الإيمان، ويصدّ عن الإسلام، ويريد الكفر، ويشاء الضلال؛ وأمّا قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾ فالمراد به الإخبار عن قدرته، وأنّه لو شاء أن يلجئهم إلى الإيمان ويحملهم عليه بالإكراه والاضطرار لكان على ذلك قادراً، لكنّه شاء تعالى منهم الإيمان على الطوع والاختيار، وآخر الآية يدلّ على ما ذكرناه وهو قوله: ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ [٨] يريد أنّ الله قادر على إكراههم على الإيمان لكنّه لا يفعل ذلك، ولو شاءه لتيسّر عليه، وكلّ ما يتعلّقون به من أمثال هذه الآية فالقول فيه ما ذكرناه أو نحوه على ما بيّنّاه، وفرار المجبّرة من إطلاق القول: بأنّ الله يريد أن يعصى ويكفر به ويقتل

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.
(٢) - (٣) سورة النساء، الآيات: ٢٦-٢٨.
(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٢٥.
(٥) سورة الاعراف، الآية: ٤٣.
(٦) سورة القمر، الآية: ٤٧.
(٧) سورة السجدة، الآية: ١٠.
(٨) سورة يونس، الآية: ٩٩.

أولياؤه إلى القول بأنّه يريد أن يكون ما علم كما علم ويريد أن يكون معاصيه قبائح منهياً عنها. . . وقوع فيما هربوا منه، وتورّط فيما كرهوه، وذلك أنّه إذا كان ما علم من القبيح كما علم وكان تعالى مريداً لأن يكون ما علم من القبيح كما علم فقد أراد القبيح وأراد أن يكون قبيحاً، فما معنى فرارهم من شيء إلى نفسه؟ وهربهم من معنى إلى عينه؟! فكيف يتمّ لهم ذلك مع أهل العقول؟! وهل قولهم هذا إلاّ كقول إنسان: أنا لا أسبّ زيداً لكني أسبّ أبا عمرو وزيد هو أبو عمرو؟ وكقول اليهود إذ قالوا سخرية بأنفسهم: نحن لا نكفر بمحمّد ﷺ لكنّا نكفر بأحمد؟! فهذا رعونة وجهل ممّن صار إليه[1].

١٢ - **ن:** أحمد بن إبراهيم بن بكر الخوريّ، عن إبراهيم بن محمّد بن مروان، عن جعفر ابن محمّد بن زياد، عن أحمد بن عبد الله الجويباريّ، عن عليّ بن موسى الرضا، عن أبيه، عن آبائه، عن عليّ عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: إنَّ الله عزّ وجلّ قدّر المقادير، ودبّر التدابير قبل أن يخلق آدم بألفي عام[2].

ن: بالأسانيد الثلاثة عنه عليه السلام مثله. «ج ٢ باب ٣١ ح ٤٤».

صح: عنه عليه السلام مثله. «ص ٩٧ ح ١٧٤».

١٣ - **فس:** أبي، عن النوفليّ، عن السكونيّ؟ عن جعفر، عن أبيه صلوات الله عليهما قال: قال رسول الله ﷺ: سبق العلم وجفّ القلم ومضى القضاء وتمّ القدر بتحقيق الكتاب، وتصديق الرسل، وبالسعادة من الله لمن آمن واتّقى، وبالشقاء لمن كذّب وكفر، وبالولاية من الله للمؤمنين، وبالبراءة منه للمشركين. ثمّ قال رسول الله ﷺ: إنّ الله يقول: يابن آدم بمشيّتي كنت أنت الّذي تشاء لنفسك ما تشاء، وبإرادتي كنت أنت الّذي تريد لنفسك ما تريد، وبفضل نعمتي عليك قويت على معصيتي، وبقوّتي وعصمتي وعافيتي أدّيت إليّ فرائضي، وأنا أولى بحسناتك منك، وأنت أولى بذنبك مني، الخير منّي إليك بما أوليتك به، والشرّ منّي إليك بما جنيت جزاءاً، وبكثير من تسلّطي لك انطويت عن طاعتي، وبسوء ظنّك بي قنطت من رحمتي، فلي الحمد والحجّة عليك بالبيان، ولي السبيل عليك بالعصيان، ولك الجزاء الحسن عندي بالإحسان، لم أدع تحذيرك بي، ولم آخذك عند عزّتك[3]، وهو قوله: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ﴾[4] لم أكلّفك فوق طاقتك، ولم أحملك من الامانة إلاّ ما أقررت بها على نفسك، ورضيت لنفسي منك ما رضيت به لنفسك مني[5].

١٤ - **يد:** أبي وابن الوليد معاً، عن محمّد العطّار، وأحمد بن إدريس معاً، عن

---

(١) تصحيح الاعتقاد، ص ٣٤-٣٨. (٢) عيون أخبار الرضا ج ١ ص ١٢٨ باب ١١ ح ٣٩.

(٣) الظاهر: غرّتك. ويؤيده ما في البيان من شرح الكلمة بـ: غفلتك.

(٤) سورة فاطر، الآية: ٤٥. (٥) تفسير القمي، ج ٢ ص ١٨٥.

الأشعريّ، عن ابن يزيد، عن عليّ بن حسّان، عن السكوني، عن ثور بن يزيد، عن خالد بن سعدان، عن معاذ بن جبل، عن النبيّ صلى الله عليه وآله مثله.

بيان: قوله صلى الله عليه وآله: بتحقيق الكتاب أي جنس الكتاب، فالمراد كلّ كتاب منزل، أو القرآن، أو اللّوح. قوله تعالى: بمشيّتي كنت أنت الّذي تشاء أي شئت أن أجعلك شائياً مختاراً، وأردت أن أجعلك مريداً فجعلتك كذلك وفي «يد»: الخير منّي بما أوليت بداءً. فيمكن أن يقرأ أوليت على صيغة الخطاب والتكلّم.

قوله تعالى: وبكثير من تسلّطي لك أي من التسلّط الّذي جعلت لك على الخلق وعلى الأمور. وانطوى عن الشيء أي هاجره وجانبه. وفي التوحيد مكان تلك الفقرة: وبإحساني إليك قويت على طاعتي.

قوله تعالى: ولم آخذك عند عزّتك أيّ لم أعذّبك عند غفلتك، بل وعظتك ونبّهتك وحذّرتك. وقوله: وهو قوله إلى قوله: من دابّة ليس في التوحيد ولا يبعد كونه كلام عليّ بن إبراهيم.

١٥ - **فس:** ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ قال: قدّر الأشياء في التقدير الأوّل ثمّ هدى إليها من يشاء(١).

١٦ - **ج:** روي أنّه سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن القضاء والقدر، فقال: لا تقولوا: وكلهم الله إلى أنفسهم فتوهنوه، ولا تقولوا: جبرهم على المعاصي فتظلّموه، ولكن قولوا: الخير بتوفيق الله، والشرّ بخذلان الله، وكلّ سابق في علم الله(٢).

١٧ - قال الرضا عليه السلام: ثمانية أشياء لا تكون إلاّ بقضاء الله وقدره: النوم، واليقظة، والقوّة، والضعف، والصحّة، والمرض، والموت، والحياة(٣).

١٨ - وقال النبيّ صلى الله عليه وآله: يقول الله عزّ وجلّ من لم يرض بقضائي، ولم يشكر لنعمائي، ولم يصبر على بلائي، فليتّخذ ربّاً سوائي(٤).

١٩ - **ج:** روي عن عليّ بن محمّد العسكريّ عليه السلام في رسالته إلى أهل الأهواز في نفي الجبر والتفويض أنّه قال: روي عن أمير المؤمنين عليه السلام: أنّه سأله رجل بعد انصرافه من الشام فقال: يا أمير المؤمنين أخبرنا عن خروجنا إلى الشام أبقضاء وقدر؟ فقال له أمير المؤمنين: نعم يا شيخ ما علوتم تلعة ولا هبطتم بطن واد إلاّ بقضاء من الله وقدره؛ فقال الرجل: عند الله أحتسب عنائي والله ما أرى لي من الأجر شيئاً.

فقال عليّ عليه السلام: بلى فقد عظّم الله لكم الأجر في مسيركم وأنتم ذاهبون، وعلى

(١) تفسير القمي، ج ٢ ص ٤١٣ وفيه: تسليطي بدل تسلّطي.
(٢) الاحتجاج، ص ٢٠٩. (٣) - (٤) الدعوات للراوندي، ص ١٦٩.

منصرفكم وأنتم منقلبون، ولم تكونوا في شيء من حالاتكم مكرهين؛ فقال الرجل: وكيف لا نكون مضطرّين والقضاء والقدر ساقانا وعنهما كان مسيرنا؟ فقال أمير المؤمنين لعلّك أردت قضاءاً لازماً وقدراً حتماً لو كان ذلك كذلك لبطل الثواب والعقاب، وسقط الوعد والوعيد، والأمر من الله والنهي، وما كانت تأتي من الله لائمة لمذنب، ولا محمدة لمحسن، ولا كان المحسن أولى بثواب الإحسان من المذنب، ولا المذنب أولى بعقوبة الذنب من المحسن، تلك مقالة إخوان عبدة الأوثان، وجنود الشيطان، وخصماء الرحمن، وشهداء الزور والبهتان، وأهل العمى والطغيان، هم قدريّة هذه الأمّة ومجوسها؛ إنّ الله تعالى أمر تخييراً، ونهى تحذيراً، وكلّف يسيراً، ولم يعص مغلوباً، ولم يطع مكرهاً، ولم يرسل الرسل هزلاً، ولم ينزّل القرآن عبثاً، ولم يخلق السماوات والأرض وما بينهما باطلاً، ذلك ظنّ الذين كفروا فويل للّذين كفروا من النار. قال ثمّ تلا عليهم: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾[1] قال: فنهض الرجل مسروراً وهو يقول:

أنت الإمام الّذي نرجو بطاعته ... يوم النشور من الرحمن رضوانا

وساق الأبيات إلى قوله:

أنّى يحبّ وقد صحّت عزيمته؟ ... على الّذي قال أعلن ذاك إعلانا[2]

٢٠ - وروي أنّ الرجل قال: فما القضاء والقدر الّذي ذكرته يا أمير المؤمنين؟ قال: الأمر بالطاعة، والنهي عن المعصية، والتمكين من فعل الحسنة وترك المعصية، والمعونة على القربة إليه، والخذلان لمن عصاه، والوعد والوعيد، والترغيب والترهيب كلّ ذلك قضاء الله في أفعالنا وقدره لأعمالنا، أمّا غير ذلك فلا تظنّه فإنّ الظنّ له محبط للأعمال، فقال الرجل: فرّجت عنّي يا أمير المؤمنين فرّج الله عنك[3].

٢١ - **فوائد الكراجكيّ**، عن المفيد، عن محمّد بن عمر الحافظ، عن إسحاق بن جعفر العلويّ، عن أبي جعفر محمّد بن عليّ، عن سليمان بن محمّد القرشيّ، عن السكونيّ، عن الصادق عليه السلام، عن أبيه، عن جدّه عليهم السلام قال: دخل رجل من أهل العراق على أمير المؤمنين عليه السلام فقال: أخبرنا عن خروجنا إلى أهل الشام؛ إلى آخر الخبرين[4].

٢٢ - **عد**: اعتقادنا في القضاء والقدر قول الصادق عليه السلام لزرارة حين سأله فقال: ما تقول في القضاء والقدر؟ قال: أقول: إنّ الله عزّ وجلّ إذا جمع العباد يوم القيامة سألهم عمّا عهد إليهم، ولم يسألهم عمّا قضى عليهم، والكلام في القدر منهيّ عنه كما قال أمير المؤمنين عليه السلام لرجل قد سأله عن القدر: فقال: بحر عميق فلا تلجه، ثمّ سأله ثانية فقال: طريق مظلم فلا تسلكه، ثمّ سأله ثالثة فقال: سرّ الله فلا تتكلّفه[5].

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٢٣.
(٢) - (٣) الاحتجاج، ص ٢٠٩.
(٤) كنز الفوائد، ج ١ ص ٣٦٣.
(٥) اعتقادات الصدوق، ص ٧١.

٢٣ - وقال أمير المؤمنين عليه السلام في القدر: ألا إنَّ القدر سرّ من سرّ الله، وحرز من حرز الله مرفوع في حجاب الله، مطويّ عن خلق الله، مختوم بخاتم الله، سابق في علم الله، وضع الله عن العباد علمه، ورفعه فوق شهاداتهم، لأنّهم لا ينالونه بحقيقة الربّانيّة، ولا بقدرة الصمدانيّة، ولا بعظمة النورانيّة، ولا بعزّة الوحدانيّة، لأنّه بحر زاخرٌ، موّاج، خالص لله عزّ وجلّ، عمقه ما بين السماء والأرض، عرضه ما بين المشرق والمغرب، أسود كاللّيل الدامس، كثير الحيّات والحيتان، تعلو مرّة وتسفل أخرى، في قعره شمس تضيء، لا ينبغي أن يطّلع عليها إلاّ الواحد الفرد، فمن تطلّع عليها فقد ضادّ الله في حكمه، ونازعه في سلطانه، وكشف عن سرّه وستره، وباء بغضب من الله، ومأواه جهنّم، وبئس المصير[١].

٢٤ - وروي أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام عدل من عند حائط مائل إلى مكان آخر، فقيل له: يا أمير المؤمنين تفرّ من قضاء الله؟ فقال عليه السلام: أفرّ من قضاء الله إلى قدر الله. وسئل الصادق عليه السلام عن الرقى هل تدفع من القدر شيئاً؟ فقال: هي من القدر[٢].

أقول: قال الشيخ المفيد رحمه الله في شرح هذا الكلام: عمل أبو جعفر في هذا الباب على أحاديث شواذّ لها وجوه تعرفها العلماء متى صحّت وثبت إسنادها، ولم يقل فيه قولاً محصّلاً، وقد كان ينبغي له لمّا لم يعرف للقضاء معنى أن يهمل الكلام فيه والقضاء معروف في اللّغة، وعليه شواهد من القرآن فالقضاء على أربعة أضراب: أحدها الخلق، والثاني الأمر، والثالث الإعلام، والرابع القضاء بالحكم؛ فأمّا شاهد الأوّل فقوله تعالى: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ﴾[٣] وأمّا الثاني فقوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ وأمّا الثالث فقوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾[٤] وأمّا الرابع فقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ﴾ يعني يفصل بالحكم بالحقّ بين الخلق، وقوله: ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ﴾. وقد قيل: إنّ للقضاء معنى خامساً وهو الفراغ من الأمر، واستشهد على ذلك بقول يوسف عليه السلام: ﴿قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾[٥] يعني فرغ منه، وهذا يرجع إلى معنى الخلق.

وإذا ثبت ما ذكرناه في أوجه القضاء بطل قول المجبّرة: إنَّ الله تعالى قضى بالمعصية على خلقه لأنّه لا يخلو إمّا أن يكونوا يريدون به أنَّ الله خلق العصيان في خلقه فكان يجب أن يقولوا: قضى في خلقه بالعصيان، ولا يقولوا قضى عليهم لأنَّ الخلق فيهم لا عليهم، مع أنَّ الله تعالى قد أكذب من زعم أنّه خلق المعاصي بقوله سبحانه: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾[٦] كما مرّ؛ ولا وجه لقولهم: قضى المعاصي على معنى أمر بها لأنّه تعالى قد أكذب مدّعي ذلك بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[٧] ولا معنى لقول من

(١) - (٢) اعتقادات الصدوق، ص ٧١.
(٣) سورة فصلت، الآية: ١٢.
(٤) سورة الإسراء، الآية: ٤.
(٥) سورة يوسف، الآية: ٤١.
(٦) سورة السجدة، الآية: ٧.
(٧) سورة الأعراف، الآية: ٢٨.

زعم أنّه قضى بالمعاصي على معنى أنّه أعلم الخلق بها إذ كان الخلق لا يعلمون أنّهم في المستقبل يطيعون أو يعصون، ولا يحيطون علماً بما يكون منهم في المستقبل على التفصيل؛ ولا وجه لقولهم: إنّه قضى بالذنوب على معنى أنّه حكم بها بين العباد لأنّ أحكام الله تعالى حقّ، والمعاصي منهم، ولا لذلك فائدة وهو لغو باتّفاق فبطل قول من زعم أنّ الله تعالى يقضي بالمعاصي والقبائح.

والوجه عندنا في القضاء والقدر بعد الّذي بيّنّاه أنّ لله تعالى في خلقه قضاءً وقدراً وفي أفعالهم أيضاً قضاءاً وقدراً معلوماً، ويكون المراد بذلك أنّه قد قضى في أفعالهم الحسنة بالأمر بها، وفي أفعالهم القبيحة بالنهي عنها، وفي أنفسهم بالخلق لها، وفيما فعله فيهم بالإيجاد له؛ والقدر منه سبحانه فيما فعله إيقاعه في حقّه وموضعه، وفي أفعال عباده ما قضاه فيها من الأمر والنهي والثواب والعقاب لأنّ ذلك كلّه واقع موقعه وموضوع في مكانه لم يقع عبثاً ولم يصنع باطلاً.

فإذا فسّر القضاء في أفعال الله تعالى والقدر بما شرحناه زالت الشبهة منه وثبتت الحجّة به ووضح القول فيه لذوي العقول ولم يلحقه فساد ولا اختلال.

فأمّا الأخبار الّتي رواها في النهي عن الكلام في القضاء والقدر فهي تحتمل وجهين: أحدهما أن يكون النهي خاصّاً بقوم كان كلامهم في ذلك يفسدهم ويضلّهم عن الدين ولا يصلحهم إلاّ الإمساك عنه وترك الخوض فيه، ولم يكن النهي عنه عامّاً لكافّة المكلّفين وقد يصلح بعض الناس بشيء يفسد به آخرون، ويفسد بعضهم بشيء يصلح به آخرون، فدبّر الأئمّة عليهم السلام أشياعهم في الدين بحسب ما علموه من مصالحهم فيه.

والوجه الآخر أن يكون النهي عن الكلام فيهما النهي عن الكلام فيما خلق الله تعالى وعن علله وأسبابه وعمّا أمر به وتعبّد، وعن القول في علل ذلك إذ كان طلب علل الخلق والامر محظوراً لأنّ الله تعالى سترها من أكثر خلقه ألا ترى أنّه لا يجوز لاحد أن يطلب لخلقه جميع ما خلق عللاً مفصّلات، فيقول: لمَ خلق كذا وكذا؟ حتّى يعدّ المخلوقات كلّها ويحصيها، ولا يجوز أن يقول: لمَ أمر بكذا وتعبّد بكذا ونهى عن كذا؟ إذ تعبّده بذلك وأمره لما هو أعلم به من مصالح الخلق، ولم يطلع أحداً من خلقه على تفصيل ما خلق وأمر به وتعبّد، وإن كان قد أعلم في الجملة أنّه لم يخلق الخلق عبثاً، وإنّما خلقهم للحكمة والمصلحة، ودلّ على ذلك بالعقل والسمع، فقال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾[1] وقال: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا﴾[2] وقال: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾[3] يعني بحقّ، ووضعناه في موضعه، وقال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[4] وقال فيما تعبّد: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ

(١) سورة الدخان، الآية: ٣٨.
(٢) سورة المؤمنون، الآية: ١١٥.
(٣) سورة القمر، الآية: ٤٩.
(٤) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾[١].

وقد يصحّ أن يكون تعالى خلق حيواناً بعينه لعلمه تعالى بأنّه يؤمن عند خلقه كفّارٌ، أو يتوب عند ذلك فسّاقٌ، أو ينتفع به مؤمنون، أو يتّعظ به ظالمون، أو ينتفع المخلوق نفسه بذلك، أو يكون عبرة لواحد في الأرض أو في السماء، وذلك يغيب عنّا، وإن قطعنا في الجملة أنّ جميع ما صنع الله تعالى إنّما صنعه لأغراض حكميّة، ولم يصنعه عبثاً، وكذلك يجوز أن يكون تعبّدنا بالصلاة لأنّها تقرّبنا من طاعته وتبعّدنا عن معصيته، وتكون العبادة بها لطفاً لكافّة المتعبّدين بها أو لبعضهم.

فلمّا خفيت هذه الوجوه وكانت مستورة عنّا ولم يقع دليل عل التفصيل فيها وإن كان العلم بأنّها حكمة في الجملة كان النهي عن الكلام في معنى القضاء والقدر إنّما هو عن طلب علل لها مفصّلة فلم يكن نهياً عن الكلام في معنى القضاء والقدر.

هذا إن سلمت الأخبار الّتي رواها أبو جعفر رحمه الله، فأمّا إن بطلت أو اختلّ سندها فقد سقط عنّا عهدة الكلام فيها، والحديث الّذي رواه عن زرارة حديث صحيح من بين ما روى، والمعنى فيه ظاهر ليس به على العقلاء خفاء، وهو مؤيّد للقول بالعدل ألا ترى إلى ما رواه عن أبي عبد الله عليه السلام من قوله: إذا حشر الله تعالى الخلائق سألهم عمّا عهد إليهم ولم يسألهم عمّا قضى عليهم. وقد نطق القرآن بأنّ الخلق مسؤولون عن أعمالهم انتهى كلامه رحمه الله[٢].

وأقول: من تفكّر في الشبه الواردة على اختيار العباد وفروع مسألة الجبر والاختيار والقضاء والقدر علم سرّ نهي المعصوم عن التفكّر فيها فإنّه قلّ من أمعن النظر فيها ولم يزلّ قدمه إلّا من عصمه الله بفضله.

٢٥ - **يد:** المفسّر بإسناده إلى أبي محمّد العسكريّ عليه السلام قال: قال الرضا عليه السلام فيما يصف به الربّ: لا يجور في قضيّته، الخلق إلى ما علم منقادون، وعلى ما سطر في كتابه ماضون، لا يعملون خلاف ما علم منهم، ولا غيره يريدون. الخبر[٣].

٢٦ - **يد:** في خبر الفتح بن يزيد، عن أبي الحسن عليه السلام إنّ لله إرادتين ومشيّتين: إرادة حتم، وإرادة عزم، ينهى وهو يشاء، ويأمر وهو لا يشاء، أو ما رأيت أنّ الله نهى آدم وزوجته أن يأكلا من الشجرة وهو شاء ذلك؟ ولو لم يشأ لم يأكلا، ولو أكلا لغلبت مشيّتهما مشيّة الله، وأمر إبراهيم بذبح ابنه وشاء أن لا يذبحه، ولو لم يشأ أن لا يذبحه لغلبت مشيّة إبراهيم مشيّة الله عزّ وجلّ[٤].

أقول: أوردنا الخبر بإسناده وتمامه في باب جوامع التوحيد، قال الصدوق رحمه الله بعد

---

(١) سورة الحج، الآية: ٣٧.
(٢) تصحيح الاعتقاد، ص ٣٩-٤٤.
(٣) التوحيد، ص ٤٧ باب ٢ ح ٩.
(٤) التوحيد، ص ٦٤ باب ٢ ح ١٧.

إيراد هذا الخبر: إنَّ الله تعالى نهى آدم وزوجته عن أن يأكلا من الشجرة وقد علم أنّهما يأكلان منها لكنّه عزّوجلّ شاء أن لا يحول بينهما وبين الأكل منها بالجبر والقدرة، كما منعهما عن الأكل منها بالنهي والزجر، فهذا معنى مشيّته فيهما، ولو شاء عزّوجلّ منعهما من الأكل بالجبر ثمّ أكلا منها لكان مشيّتهما قد غلبت مشيّة الله كما قال العالم، تعالى الله عن العجز علوّاً كبيراً(١).

بيان قيل: المراد بالمشيّة في تلك الأخبار هو العلم، وقيل: هي تهيئة أسباب الفعل بعد إرادة العبد ذلك الفعل، وقيل: ارادة بالعرض يتعلّق بفعل العبد، والأصوب أنّها عبارة عن منع الألطاف والهدايات الصارفة عن الفعل والداعية إليه لضرب من المصلحة، أو عقوبة لما صنع العبد بسوء اختياره كما مرّ بيانه.

٢٧ - **يد:** الدقّاق، عن الكلينيّ، عن ابن عامر، عن المعلّى قال: سئل العالم عليه السلام كيف علم الله؟ قال: علم وشاء، وأراد وقدّر، وقضى وأمضى؛ فامضى ما قضى، وقضى ما قدّر، وقدّر ما أراد؛ فبعلمه كانت المشيّة، وبمشيّته كانت الإرادة، وبإرادته كان التقدير، وبتقديره كان القضاء، وبقضائه كان الإمضاء، فالعلم متقدّم على المشيّة، والمشيّة ثانية، والإرادة ثالثة، والتقدير واقع على القضاء بالإمضاء، فللّه تبارك وتعالى البداء فيما علم متى شاء، وفيما أراد لتقدير الأشياء، فإذا وقع القضاء بالإمضاء فلا بداء، فالعلم بالمعلوم قبل كونه، والمشيّة في المشاء قبل عينه، والإرادة في المراد قبل قيامه، والتقدير لهذه المعلومات قبل تفصيلها وتوصيلها عياناً وقياماً، والقضاء بالإمضاء هو المبرم من المفعولات ذوات الأجسام المدركات بالحواسّ، من ذي لون وريح، ووزن وكيل، وما دبّ ودرج، من إنس وجنّ، وطير وسباع، وغير ذلك ممّا يدرك بالحواسّ، فللّه تبارك وتعالى فيه البداء ممّا لا عين له، فإذا وقع العين المفهوم المدرك فلا بداء، والله يفعل ما يشاء، وبالعلم علم الأشياء قبل كونها، وبالمشيّة عرف صفاتها وحدودها وأنشأها قبل إظهارها، وبالارادة ميّز أنفسها في ألوانها وصفاتها وحدودها، وبالتقدير قدّر أقواتها وعرّف أوّلها وآخرها، وبالقضاء أبان للناس أماكنها ودلّهم عليها، وبالإمضاء شرح عللها وأبان أمرها ذلك تقدير العزيز العليم(٢).

بيان: قوله عليه السلام: قبل تفصيلها وتوصيلها أي في لوح المحو والإثبات، أو في الخارج. قوله عليه السلام: فإذا وقع العين المفهوم المدرك أي فصّل وميّز في اللّوح، أو أوجد في الخارج، ولعلّ تلك الأمور عبارة عن اختلاف مراتب تقديرها في لوح المحو والإثبات قد جعلها الله من أسباب وجود الشيء وشرائطه لمصالح، وقد مرّ بيانها في باب البداء، فالمشيّة كتابة وجود زيد وبعض صفاته مثلاً مجملاً، والإرادة كتابة العزم عليه بتاً مع كتابة بعض صفاته أيضاً، والتقدير تفصيل بعض صفاته وأحواله لكن مع نوع من الإجمال أيضاً، والقضاء

---

(١) التوحيد، ص ٦٥ باب ٢ ذيل حديث رقم ١٧. (٢) التوحيد، ص ٣٣٤ باب ٥٤ ح ٩.

تفصيل جميع الأحوال وهو مقارن للإمضاء أي الفعل والإيجاد، والعلم بجميع تلك الأمور أزليٌّ قديم، فقوله: وبالمشيّة عرّف على صيغة التفعيل، وشرح العلل كناية عن الايجاد.

وقال بعض الأفاضل: الظاهر من السؤال أنّه كيف علم الله؟ أبعلم مستند إلى الحضور العينيّ في وقته والشهود لموجود عينيّ؟ أو في موجود عينيّ كما في علومنا؟ أو بعلم مستند إلى الذات سابق على خلق الأشياء؟ فأجاب عليه السلام بأنَّ العلم سابق على وجود المخلوق بمراتب، فقال: علم وشاء وأراد وقدّر وقضى وأمضى، فالعلم ما به ينكشف الشيء، والمشيّة ملاحظته بأحوال مرغوب فيها يوجب فينا ميلاً دون المشيّة له سبحانه لتعاليه عن التغيّر والاتّصاف بالصفة الزائدة، والإرادة تحريك الأسباب نحوه بحركة نفسانيّة فينا بخلاف الإرادة فيه سبحانه، والقدر التحديد وتعيين الحدود والأوقات، والقضاء هو الإيجاب، والامضاء هو الإيجاد، فوجود الخلق بعد علمه سبحانه بهذه المراتب؛ وقوله: فأمضى ما قضى أي فأوجد ما أوجب، وأوجب ما قدّر، وقدّر ما أراد، ثمّ استأنف البيان على وجه أوضح فقال: بعلمه كانت المشيّة وهي مسبوقة بالعلم، وبمشيّته كانت الارادة وهي مسبوقة بالمشيّة، وبإرادته كان التقدير والتقدير مسبوق بالإرادة، وبتقديره كان القضاء والإيجاب وهو مسبوق بالتقدير، إذ لا إيجاب إلاّ للمحدّد الموقوف، وبقضائه وإيجابه كان الإمضاء والإيجاد؛ ولله تعالى البداء فيما علم متى شاء فإنَّ الدخول في العلم أوّل مراتب السلوك إلى الوجود العينيّ، وله البداء فيما علم متى شاء أن يبدو وفيما أراد، وحرّك الأسباب نحو تحريكه متى شاء قبل القضاء والإيجاب فإذا وقع القضاء والايجاب متلبّساً بالإمضاء والايجاد فلا بداء فعلم أنَّ في المعلوم العلم قبل كون المعلوم وحصوله في الأذهان والأعيان، وفي المشاء المشيّة قبل عينه ووجوده العينيّ. وفي أكثر النسخ: المنشأ ولعلّ المراد به الإنشاء قبل الإظهار، كما في آخر الحديث، وفي المراد الإرادة قبل قيامه والتقدير لهذه المعلومات قبل تفصيلها وتوصيلها وحضورها العينيّ في أوقاتها، والقضاء بالإمضاء هو المبرم الّذي يلزمه وجود المقضيّ، فبالعلم علم الأشياء قبل كونها، وأصل العلم غير مرتبط بنحو من الحصول للمعلوم ولو في غيره بصورته المتحدّدة، ولا يوجب نفس العلم والانكشاف بما هو علم وانشكاف للأشياء إنشاءها، وبالمشيّة ومعرفتها بصفاتها وحدودها أنشأها إنشاءاً قبل الإظهار والإدخال في الوجود العينيّ، وبالإرادة وتحريك الأسباب نحو وجودها العينيّ ميّز بعضها عن بعض بتخصيص تحريك الأسباب نحو وجود بعض دون بعض، وبالتقدير قدّرها وعيّن وحدّد أقواتها وأوقاتها وآجالها، وبالقضاء وإيجابها بموجباتها أظهر للناس أماكنها، ودلهم عليها بدلائلها، فاهتدوا إلى العلم بوجودها حسب ما يوجبه الموجب بعد العلم بالموجب، وبالإمضاء والإيجاد أوضح تفصيل عللها وأبان أمرها بأعيانها.

٢٨ - يد: القطّان، عن أحمد الهمدانيّ، عن عليّ بن الحسن بن فضّال، عن أبيه، عن

مروان بن مسلم، عن الثماليّ، عن ابن طريف، عن الأصبغ قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: أوحى الله تعالى إلى داود: يا داود تريد واريد، ولا يكون إلاّ ما أريد، فإن أسلمت لما أريد أعطيتك ما تريد، وإن لم تسلم لما أُريد أتعبتك فيما تريد ثمّ لا يكون إلاّ ما أُريد[١].

٢٩ - **يد:** أبي، عن سعد، عن ابن أبي الخطّاب، عن جعفر بن بشير، عن العرزميّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان لعليّ عليه السلام غلام اسمه قنبر، وكان يحبّ عليّاً عليه السلام حبّاً شديداً، فاذا خرج عليٌّ عليه السلام خرج على أثره بالسيف، فرآه ذات ليلة فقال: يا قنبر ما لك؟ قال: جئت لأمشي خلفك فإنّ الناس كما تراهم يا أمير المومنين فخفت عليك! قال: ويحك أمن أهل السماء تحرسني أم من أهل الأرض؟ قال: لا بل من أهل الأرض، قال: إنّ أهل الأرض لا يستطيعون بي شيئاً إلاّ بإذن الله عزّ وجلّ من السماء، فارجع فرجع[٢].

٣٠ - **كا:** عليٌّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن زيد الشحّام، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ أمير المؤمنين عليه السلام جلس إلى حائط مائل يقضي بين الناس، فقال بعضهم: لا تقعد تحت هذا الحائط فإنّه معور، فقال أمير المؤمنين: حرس امرأً أجله، فلمّا قام سقط الحائط. قال: وكان أمير المؤمنين عليه السلام يفعل هذا وأشباهه وهذا اليقين[٣].

٣١ - **كا:** محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن الوشّاء، عن عبد الله بن سنان، عن أبي حمزة، عن سعيد بن قيس الهمداني قال: نظرت يوماً في الحرب إلى رجل عليه ثوبان فحرّكت فرسي فإذا هو أمير المؤمنين عليه السلام فقلت: يا أمير المؤمنين في مثل هذا الموضع؟! فقال: نعم يا سعيد بن قيس، إنّه ليس من عبد إلاّ وله من الله عزّ وجلّ حافظ وواقية معه ملكان يحفظانه من أن يسقط من رأس جبل، أو يقع في بئر فإذا نزل القضاء خلّيا بينه وبين كلّ شيء[٤].

بيان: يمكن أن يكون هذه الأمور من خصائصهم عليهم السلام، لعلمهم بعدم تضرّرهم بهذه الأمور وبوقت موتهم وسببه، ولذا فرّ عليه السلام من حائط كما سيأتي، ولم يفرّ من حائط كما مرّ، لعلمه بسقوط الأوّل وعدم سقوط الثاني، ويحتمل أن يكون المقصود من تلك الأخبار عدم المبالغة في الفرار عن البلايا والمصائب، وعدم ترك الواجبات للتوهّمات البعيدة.

ويؤيّده ما رواه الصدوق في الخصال عن ابن المتوكّل، عن محمّد العطّار، عن محمّد بن أحمد بن عليّ الكوفيّ، ومحمّد بن الحسين، عن محمّد بن حمّاد الحارثيّ، عن أبي

---

(١) التوحيد، ص ٣٣٧ باب ٥٥ ح ٤.

(٢) التوحيد، ص ٣٣٨ باب ٥٥ ح ٧. أقول: ويشهد على ذلك قوله تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ الآية [النمازي].

(٣) أصول الكافي، ج ٢ ص ٦٢ باب فضل اليقين ح ٥.

(٤) أصول الكافي، ج ٢ ص ٦٢ باب فضل اليقين ح ٨.

عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: خمسة لا يستجاب لهم: أحدهم رجل مرّ بحائط مائل وهو يقبل إليه ولم يسرع المشي حتّى سقط عليه. الخبر[١].

٣٢ - يد: ابن الوليد، عن الصفّار، عن جعفر بن محمّد بن عبد الله، عن القدّاح، عن جعفر بن محمّد، عن أبيه عليه السلام قال: قيل لعليّ عليه السلام: إنّ رجلاً يتكلّم في المشيّة فقال: ادعه لي، فقال: فدعي له، فقال: يا عبد الله خلقك الله لما شاء أو لما شئت؟ قال: لما شاء، قال: فيمرضك إذا شاء أو إذا شئت؟ قال: إذا شاء، قال: فيشفيك إذا شاء أو إذا شئت؟ قال: إذا شاء، قال: فيدخلك حيث يشاء أو حيث شئت؟ فقال: حيث يشاء، قال: فقال عليّ عليه السلام: لو قلت غير هذا لضربت الّذي فيه عيناك[٢].

٣٣ - يد: وبهذا الإسناد قال: دخل على أبي عبد الله عليه السلام أو أبي جعفر عليه السلام رجل من أتباع بني أميّة فخفنا عليه، فقلنا له: لو تواريت وقلنا ليس هو ههنا! قال: بلى ائذنوا له فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إنّ الله عزّ وجلّ عند لسان كلّ قائل ويد كلّ باسط، فهذا القائل لا يستطيع أن يقول إلاّ ما شاء الله، وهذا الباسط لا يستطيع أن يبسط يده إلاّ بما شاء الله فدخل عليه فسأله عن أشياء آمن بها وذهب[٣].

٣٤ - يد: أبي، عن عليّ، عن أبيه، عن ابن معبد، عن درست، عن الفضيل قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: شاء وأراد ولم يحبّ ولم يرض، شاء أن لا يكون في ملكه شيء إلاّ بعلمه وأراد مثل ذلك، ولم يحبّ أن يقال له: ثالث ثلاثة، ولم يرض لعباده الكفر[٤].

يد: إنّ الله تبارك وتعالى قد قضى جميع أعمال العباد وقدّرها وجميع ما يكون في العالم من خير وشرّ، والقضاء قد يكون بمعنى الإعلام كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾[٥] يريد أعلمناهم، وكما قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ﴾[٦] يريد أخبرناه وأعلمناه، فلا ينكر أن يكون الله عزّ وجلّ يقضي أعمال العباد وسائر ما يكون من خير وشرّ على هذا المعنى لأنّ الله عزّ وجلّ عالم بها أجمع، ويصحّ أن يعلمها عباده ويخبرهم عنها، وقد يكون القدر أيضاً في معنى الكتاب والإخبار كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾[٧] يعني كتبنا وأخبرنا؛ وقال العجاج:

واعلم بأن ذا الجلال قد قدر … في الصحف الأولى الّتي كان سطر

وقدر معناه كتب؛ وقد يكون القضاء بمعنى الحكم والإلزام قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾[٨] يريد حكم بذلك وألزمه خلقه، فقد يجوز أن يقال: إنّ

---

(١) الخصال، ص ٢٩٩ باب الخمسة ح ٧١.
(٢) التوحيد، ص ٣٣٧ باب ٥٥ ح ٢.
(٣) التوحيد، ص ٣٣٧ باب ٥٥ ح ٣.
(٤) التوحيد، ص ٣٣٩ باب ٥٥ ح ٩.
(٥) سورة الاسراء، الآية: ٤.
(٦) سورة الحجر، الآية: ٦٦.
(٧) سورة النمل، الآية: ٥٧.
(٨) سورة الإسراء، الآية: ٢٣.

الله عزّ وجلّ قد قضى من أعمال العباد على هذا المعنى ما قد ألزمه عباده وحكم به عليهم وهي الفرائض دون غيرها، وقد يجوز أيضاً أن يقدّر الله عزّ وجلّ أعمال العباد بأن يبيّن مقاديرها وأحوالها من حسن وقبيح وفرض ونافلة وغير ذلك، ويفعل من الأدلّة على ذلك ما يعرّف به هذه الأحوال لهذه الأفعال فيكون عزّ وجلّ مقدّراً لها في الحقيقة، وليس يقدّرها ليعرف مقدارها ولكن ليبيّن لغيره ممّن لا يعرف ذلك حال ما قدّره بتقديره إيّاه، وهذا أظهر من أن يخفى وأبين من أن يحتاج إلى الاستشهاد عليه ألا ترى أنّا قد نرجع إلى أهل المعرفة بالصناعات في تقديرها لنا فلا يمنعهم علمهم بمقاديرها من أن يقدّروها لنا ليبيّنوا لنا مقاديرها؟ وإنّما أنكرنا أن يكون الله عزّ وجلّ حكم بها على عباده ومنعهم من الانصراف عنها أو أن يكون فعلها وكوّنها فأمّا أن يكون عزّ وجلّ خلقها خلق تقدير فلا ننكره.

وسمعت بعض أهل العلم يقول: إنّ القضاء على عشرة أوجه: فأوّل وجه منها العلم، وهو قول الله عزّ وجلّ: ﴿إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا﴾[1] يعني علمها.

والثاني: الإعلام وهو قوله عزّ وجلّ: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ﴾ وقوله: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَٰلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰؤُلَاءِ﴾ أيّ أعلمناه.

والوجه الثالث: الحكم وهو قوله عزّ وجلّ: «ويقضي ربك بالحق» يعني يحكم بالحقّ.

والرابع: القول وهو قوله عزّ وجلّ: ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ﴾[2] أي يقول الحقّ.

والخامس: الحتم وهو قوله عزّ وجلّ: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ﴾ يعني حتمنا فهو القضاء الحتم.

والسادس: الأمر وهو قوله عزّ وجلّ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ يعني أمر ربّك.

والسابع: الخلق وهو قوله عزّ وجلّ: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ يعني خلقهنّ.

والثامن: الفعل وهو قوله عزّ وجلّ: ﴿فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ﴾ أي افعل ما أنت فاعل.

والتّاسع: الإتمام وهو قوله عزّ وجلّ: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ﴾ وقوله عزّ وجلّ حكاية عن موسى: ﴿أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ أي أتممت.

والعاشر: الفراغ من الشيء، وهو قوله عزّ وجلّ: ﴿قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ يعني فرغ لكما منه، وقول القائل: «قد قضيت لك حاجتك» يعني فرغت لك منها فيجوز أن يقال: إنّ الأشياء كلّها بقضاء الله وقدره تبارك وتعالى بمعنى أنّ الله عزّ وجلّ قد علمها وعلم مقاديرها، وله عزّ وجلّ في جميعها حكم من خير أو شرّ، فما كان من خير فقد قضاه بمعنى أنّه أمر به وحتمه وجعله حقّاً وعلم مبلغه ومقداره، وما كان من شرّ فلم يأمر به ولم يرضه، ولكنّه عزّ وجلّ قد قضاه وقدّره بمعنى أنّه علمه بمقداره ومبلغه وحكم فيه بحكمه.

---

(١) سورة يوسف، الآية: ٦٨. (٢) سورة غافر، الآية: ٢٠.

والفتنة على عشرة أوجه: فوجه منها الضلال.

والثاني: الاختبار وهو قوله عزّ وجلّ: ﴿وَفَتَنَّكَ فُتُونًا﴾[(١)] يعني اختبرناك اختباراً، وقوله عزّ وجلّ: ﴿الٓمٓ ۝ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝﴾[(٢)] يعني لا يختبرون.

والثالث: الحجّة وهو قوله عزّ وجلّ: ﴿ثُمَّ لَمۡ تَكُن فِتۡنَتُهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ﴾[(٣)].

والرابع: الشرك وهو قوله عزّ وجلّ: ﴿وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِ﴾[(٤)].

والخامس: الكفر وهو قوله عزّ وجلّ: ﴿أَلَا فِي ٱلۡفِتۡنَةِ سَقَطُواْۗ﴾ يعني في الكفر.

والسادس: الإحراق بالنار، وهو قوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ الآية يعني أحرقوا.

والسابع: العذاب وهو قوله عزّ وجلّ: ﴿يَوۡمَ هُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ يُفۡتَنُونَ﴾[(٥)] يعني يعذّبون، وقوله عزّ وجلّ: ﴿ذُوقُواْ فِتۡنَتَكُمۡ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تَسۡتَعۡجِلُونَ﴾[(٦)] يعني عذابكم، وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ﴾ يعني عذابه ﴿فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۚ﴾[(٧)].

والثامن القتل وهو قوله عزّ وجلّ: ﴿إِنۡ خِفۡتُمۡ أَن يَفۡتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْۚ﴾[(٨)] يعني إنّ خفتم أن يقتلوكم، وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٞ مِّن قَوۡمِهِۦ عَلَىٰ خَوۡفٖ مِّن فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِمۡ أَن يَفۡتِنَهُمۡۚ﴾[(٩)] يعني أن يقتلهم.

والتاسع: الصدّ وهو قوله تعالى: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفۡتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾[(١٠)] يعني ليصدّونك.

والعاشر: شدّة المحنة وهو قوله عزّ وجلّ: ﴿رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾[(١١)] وقوله عزّ وجلّ: ﴿رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[(١٢)] أي محنة فيفتنوا بذلك، ويقولوا في أنفسهم: لم نقتلهم إلاّ ودينهم الباطل وديننا الحقّ فيكون ذلك داعياً لهم إلى النار على ما هم عليه من الكفر والظلم. وقد زاد عليّ بن إبراهيم بن هاشم على هذه الوجوه العشرة وجهاً آخر فقال: في الوجوه من الفتنة ما هو المحبّة وهو قوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ﴾[(١٣)] أي محبة، والّذي عندي في ذلك أنّ وجوه الفتنة عشرة، وأنّ الفتنة في هذا

---

(١) سورة طه، الآية: ٤٠.
(٢) سورة العنكبوت، الآيتان: ١-٢.
(٣) سورة الأنعام، الآية: ٢٣.
(٤) سورة البقرة، الآية: ١٩١.
(٥) - (٦) سورة الذاريات، الآيتان: ١٣ و١٤.
(٧) سورة المائدة، الآية: ٤١.
(٨) سورة النساء، الآية: ١٠١.
(٩) سورة يونس، الآية: ٨٥.
(١٠) سورة الإسراء، الآية: ٧٣.
(١١) سورة الممتحنة، الآية: ٥.
(١٢) سورة يونس، الآية: ٨٥.
(١٣) سورة الانفال، الآية: ٢٨.

الموضع أيضاً المحنة بالنون لا المحبّة بالباء، وتصديق ذلك قول النبيّ ﷺ: «الولد مجهلة مجبنة مبخلة» وقد أخرجت هذا الحديث مسنداً في كتاب مقتل الحسين بن عليّ عليه السلام [(١)].

بيان: قوله ﷺ: مجهلة أي يحملون آباءهم على الجهل، مجبنة أي يحملونهم على الجبن. مبخلة أي يحملونهم على البخل.

أقول: هذه الوجوه من القضاء والفتنة المذكورة في تفسير النعمانيّ فيما رواه عن أمير المؤمنين عليه السلام وقد أثبتناه بإسناده في كتاب القرآن.

٣٥ - **يد:** أبي، عن سعد، عن ابن عيسى، عن محمّد البرقيّ، عن عبد الملك بن عنترة الشيبانيّ، عن أبيه، عن جدّه قال: جاء رجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر، فقال: بحر عميق فلا تلجه. فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر، قال: طريق مظلم فلا تسلكه. قال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر، قال: سرّ الله فلا تتكلّفه. قال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر، قال: فقال أمير المؤمنين عليه السلام: أمّا إذا أبيت فإنّي سائلك: أخبرني أكانت رحمة الله للعباد قبل أعمال العباد أم كانت أعمال العباد قبل رحمة الله؟ قال: فقال له الرجل: بل كانت رحمة الله للعباد قبل أعمال العباد؛ فقال أمير المؤمنين عليه السلام قوموا فسلّموا على أخيكم فقد أسلم، وقد كان كافراً، قال: وانطلق الرجل غير بعيد ثمّ انصرف إليه فقال له: يا أمير المؤمنين أبالمشيّة الأُولى نقوم ونقعد ونقبض ونبسط؟ فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: وإنّك لبعيد في المشيّة؟! أمّ إنّي سائلك عن ثلاث لا يجعل الله لك في شيء منها مخرجاً: أخبرني أخلق الله العباد كما شاء أو كما شاؤوا؟ فقال: كما شاء، قال: فخلق الله العباد لما شاء أو لما شاؤوا؟ فقال: لما شاء، قال: يأتونه يوم القيامة كما شاء أو كما شاؤوا؟ قال: يأتونه كما شاء، قال: قم فليس إليك من المشيّة شيء [(٢)].

بيان: لعلّ المراد المشيّة المستقلّة الّتي لا يحتاج معها إلى عون الله وتوفيقه.

٣٦ - **يد:** أبي، عن سعد، عن ابن يزيد، عن ابن أبي عمير، عن جميل، عن زرارة، عن عبد الله بن سليمان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: إنّ القضاء والقدر خلقان من خلق الله، والله يزيد في الخلق ما يشاء [(٣)].

٣٧ - **فس:** النضر، عن هشام، وعبيد، عن حمران، عنه عليه السلام مثله.

بيان: خلقان من خلق الله بضمّ الخاء أي صفتان من صفات الله، أو بفتحها، أي هما نوعان من خلق الأشياء وتقديرها في الألواح السماويّة، وله البداء فيها قبل الإيجاد، فذلك

---

(١) التوحيد، ص ٣٨٤ باب ٦٠ ح ٣٢. (٢) التوحيد، ص ٣٦٥ باب ٦٠ ح ٣.
(٣) التوحيد، ص ٣٦٤ باب ٦٠ ح ١.

قوله: يزيد في الخلق ما يشاء؛ أو المعنى أنّهما مرتبتان من مراتب خلق الأشياء فإنّها تتدرّج في الخلق إلى أن تظهر في الوجود العينيّ.

٣٨ - **يد:** ابن الوليد، عن الصفّار، عن ابن هاشم، عن ابن معبد، عن درست، عن ابن أذينة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال، قلت له: جعلت فداك ما تقول في القضاء والقدر؟ قال: أقول: إنَّ الله تعالى إذا جمع العباد يوم القيامة سألهم عمّا عهد إليهم، ولم يسألهم عمّا قضى عليهم[1].

بيان: هذا الخبر يدلّ على أنَّ القضاء والقدر إنّما يكون في غير الأمور التكليفيّة كالمصائب والأمراض وأمثالها، فلعلّ المراد بهما القضاء والقدر الحتميّان.

٣٩ - **يد:** أبي، عن سعد، عن الإصبهانيّ، عن المنقريّ، عن سفيان بن عيينة، عن الزهريّ قال: قال رجل لعليّ بن الحسين عليه السلام: جعلني الله فداك، أبقدر يصيب الناس ما أصابهم أم بعمل؟ فقال: إنَّ القدر والعمل بمنزلة الروح والجسد فالروح بغير جسد لا يحسّ، والجسد بغير روح صورة لا حراك بها، فإذا اجتمعا قويا وصلحا، كذلك العمل والقدر فلو لم يكن القدر واقعاً على العمل لم يعرف الخالق من المخلوق وكان القدر شيئاً لم يحسّ، ولو لم يكن العمل بموافقة من القدر لم يمض ولم يتمّ، ولكنّهما باجتماعهما قويا، ولله فيه العون لعباده الصالحين. ثمَّ قال: ألا إنّ من أجور الناس من رأى جوره عدلاً وعدل المهتدي جوراً، ألا إنَّ للعبد أربعة أعين: عينان يبصر بهما أمر آخرته، وعينان يبصر بهما أمر دنياه، فإذا أراد الله عزّ وجلّ بعبد خيراً فتح له العينين اللّتين في قلبه فأبصر بهما العيب، وإذا أراد غير ذلك ترك القلب بما فيه. ثمَّ التفت إلى السائل عن القدر فقال: هذا منه هذا منه[2].

بيان: أي فتح عيني القلب وتركهما من القدر.

٤٠ - **يد:** القطّان، عن ابن زكريّا، عن ابن حبيب، عن عليّ بن زياد، عن مروان بن معاوية، عن الأعمش، عن ابن حيّان التيميّ، عن أبيه - وكان مع عليّ بن أبي طالب عليه السلام يوم صفّين وفيما بعد ذلك - قال: بينما عليّ بن أبي طالب عليه السلام يعبّي الكتائب يوم صفّين، ومعاوية مستقبله على فرس له يتأكّل تحته تأكّلاً، وعليّ عليه السلام على فرس رسول الله صلى الله عليه وآله المرتجز، وبيده حربة رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو متقلّد سيفه ذا الفقار، فقال رجل من أصحابه: احترس يا أمير المؤمنين فإنّا نخشى أن يغتالك هذا الملعون، فقال عليّ عليه السلام: لئن قلت ذاك إنّه غير مأمون على دينه، وإنّه لأشقى القاسطين، وألعن الخارجين على الأئمّة المهتدين، ولكن كفى بالأجل حارساً، ليس أحد من الناس إلاّ ومعه ملائكة حفظة يحفظونه من أن يتردّى في بئر أو يقع عليه حائط أو يصيبه سوء، فإذا حان أجله خلّوا بينه وبين ما يصيبه،

---

(١) التوحيد، ص ٣٦٥ باب ٦٠ ح ٢.
(٢) التوحيد، ص ٣٦٦ باب ٦٠ ح ٤.

فكذلك أنا إذا حان أجلي انبعث أشقاها فخضب هذه من هذا - وأشار إلى لحيته ورأسه - عهداً معهوداً، ووعداً غير مكذوب[1]. والحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة.

٤١ - **يد:** الورّاق وابن مغيرة معاً، عن سعد، عن النهديّ، عن ابن علوان، عن عمرو بن ثابت، عن ابن طريف، عن ابن نباتة قال: إنَّ أمير المؤمنين عليه السلام عدل من عند حائط مائل إلى حائط آخر فقيل له يا أمير المؤمنين تفرّ من قضاء الله؟ قال: أفرّ من قضاء الله إلى قدر الله عزّ وجلّ[2].

بيان: أي أنَّ الفرار أيضاً من تقديره تعالى، فلا ينافي كون الأشياء بقضاء الله الفرار من البلايا والسعي في تحصيل ما يجب السعي فيه، فإنَّ كلَّ ذلك داخل في علمه وقضائه، ولا ينافي شيء من ذلك اختيار العبد كما مرّ، ويحتمل أن يكون المراد بقدر الله هنا حكمه وأمره أي إنّما أفرّ من القضاء بأمره تعالى.

٤٢ - **يد:** أبي وابن الوليد معاً، عن محمّد العطّار، وأحمد بن إدريس معاً، عن الأشعريّ، عن ابن هاشم، عن ابن معبد، عن ابن أُذينة، عن زرارة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: كما أنّ بادئ النعم من الله عزّ وجلّ وقد نحلكموه، وكذلك الشرّ من أنفسكم وإن جرى به قدره[3].

٤٣ - **يد:** أبي، عن أحمد بن إدريس، عن الأشعريّ، عن يوسف بن الحارث، عن محمّد بن عبد الرحمن العرزميّ، عن أبيه رفعه إلى من قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: قدّر الله المقادير قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة[4].

٤٤ - **فس:** محمّد بن جعفر، عن محمّد بن أحمد، عن أحمد بن محمّد السيّاريّ، عن فلان، عن أبي الحسن عليه السلام قال: إنَّ الله جعل قلوب الأئمّة مورداً لإرادته فإذا شاء الله شيئاً شاؤوه، وهو قوله: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[5].

٤٥ - **فس:** جعفر بن أحمد، عن عبد الله بن موسى، عن ابن البطائنيّ، عن أبيه، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قال: لأنَّ المشيّة إليه تبارك وتعالى لا إلى الناس[6].

بيان: لعلّ المراد أنَّ المشيّة إنّما هي ممّا خلقها الله في العبد وجعله شائياً فلا يشاؤون إلاّ بعد أن جعلهم الله بحيث يقدرون على المشيّة، أو أنَّ المشيّة المستقلّة الّتي لا يعارضها شيء

---

(١) التوحيد، ص ٣٦٧ باب ٦٠ ح ٥. (٢) التوحيد، ص ٣٦٩ باب ٦٠ ح ٨.

(٣) - (٤) التوحيد، ص ٣٦٨ باب ٦٠ ح ٦-٧.

(٥) تفسير القمي، ج ٢ ص ٤٠١-٤٠٢ في تفسيره لسورة التكوير، الآية: ٢٩.

(٦) تفسير القمي، ج ٢ ص ٤٠٢.

إنّما هي لله تعالى، وأمّا مشيّة العباد فهي مشوبة بالعجز يمكن أن يصرفهم الله تعالى عنها إذا شاء، فهم لا يشاؤون إلاّ بعد أن يهيّئ الله لهم أسباب الفعل ولم يصرفهم عن مشيّتهم، فالمعنى أنّ المشيّة المستقلّة إليه تعالى، أو أنّ أسباب المشيّة ونفوذها بقدرته تعالى.

وفي الآية وجه آخر ذكر في الخبر السابق، وحاصله أنّ الله تعالى بعد أن أكمل أولياءه وحججه عليهم السلام لا يشاؤون شيئاً إلاّ بعد أن يلهمهم الله تعالى ويلقي المشيّة في قلوبهم، فهو المتصرّف في قلوبهم وأبدانهم والمسدّد لهم في جميع أحوالهم فالآية خاصّة غير عامّة. وقال الطبرسيّ رحمه الله: فيه أقوال: أحدها أنّ معناه: وما تشاؤون الاستقامة إلاّ أن يشاء الله ذلك من قبل حيث خلقكم لها وكلّفكم بها، فمشيّته تعالى بين يدي مشيّتكم.

وثانيها: أنّه خطاب للكفّار والمراد: لا تشاؤون الإسلام إلاّ أن يشاء الله أن يجبركم عليه ويلجئكم إليه، ولكنّه لا يفعل لأنّه يريد منكم أن تؤمنوا اختياراً لتستحقّوا الثواب.

وثالثها: أنّ المراد: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ أن يلطف لكم في الاستقامة[(١)].

٤٦ - فس: قال عليّ بن إبراهيم: وأمّا الردّ على المعتزلة فإنّ الردّ من القرآن عليهم كثير، وذلك أنّ المعتزلة قالوا: نحن نخلق أفعالنا وليس لله فيها صنع ولا مشيّة ولا إرادة ويكون ما شاء إبليس، ولا يكون ما شاء الله، واحتجّوا أنّهم خالقون بقول الله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾ فقالوا: في الخلق خالقون غير الله، فلم يعرفوا معنى الخلق وعلى كم وجه هو[(٢)]، فسئل الصادق عليه السلام: أفوّض الله إلى العباد أمراً؟ فقال: الله أجلّ وأعظم من ذلك، فقيل: فأجبرهم على ذلك؟ فقال: الله أعدل من أن يجبرهم على فعل ثمّ يعذّبهم عليه، فقيل له: هل بين هاتين المنزلتين منزلة؟ قال: نعم ما بين السماء والأرض.

٤٧ - وفي حديث آخر قال: سئل هل بين الجبر والقدر منزلة؟ قال: نعم، فقيل ما هو؟ فقال: سرّ من أسرار الله.

---

(١) مجمع البيان، ج ١٠ ص ٢٨٢.

(٢) وقال الفضل بن شاذان النيشابوري في كتاب الايضاح ص٥: ومنهم المعتزلة الذين يقولون في التوحيد وعذاب القبر والميزان والصراط مثل قول الجهمية ويقولون: إنّ الله لم يقض ولم يقدر علينا خيراً ولا شرّاً ولا قضاه ولا قدراً ويقولون: إنّ الجنّة والنار لم تخلقا بعد، ويقولون: إن شئنا زاد الله في الخلق وإن شئنا لم يزد، لأنّ سبب النشأ والولد الينا، إن شئنا فعلنا وإن لم نشأ لم نفعل، ويقولون: إنّ الله لم يخلق الشر (وأنّه يكون ما لا يشاء الله وإنّ الله لا يشاء الشرّ) ولا يشاء إلا ما يحبّ فلزمهم أن يقولوا: إنّ الله خلق الكلاب والخنازير، وانّ الله يحبّهما او يقولوا: انّ الله لم يشأهما ولم يخلقهما فيكونون بذلك قد صدقوا المجوس؛ الخ. والاصل فيهم واصل بن عطا كان يجلس إلى الحسن البصري فلمّا ظهر الاختلاف خرج عن الفريقين فطرده الحسن، فاعتزل عنه وتبعه عمرو بن عبيد وجمع فسمّوا المعتزلة. [مستدرك السفينة ج ٧ لغة «عزل»].

٤٨ - وفي حديث آخر قال: هكذا خرج إلينا(١).

٤٩ - قال: وحدّثني محمّد بن عيسى بن عبيد، عن يونس قال: قال الرضا عليه السلام: يا يونس لا تقل بقول القدريّة فإنّ القدريّة لم يقولوا بقول أهل الجنّة، ولا بقول أهل النار، ولا بقول إبليس فإنّ أهل الجنّة قالوا: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾(٢) ولم يقولوا بقول أهل النار، فإنّ أهل النار قالوا: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾(٣) وقال إبليس: ﴿رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾(٤) فقلت: يا سيّدي والله ما أقول بقولهم ولكنّي أقول: لا يكون إلاّ ما شاء الله وقضى وقدّر، فقال: ليس هكذا يا يونس ولكن لا يكون إلاّ ما شاء الله وأراد وقدّر وقضى، أتدري ما المشيّة يا يونس؟ قلت: لا، قال: هو الذكر الأوّل: وتدري ما الإرادة؟ قلت: لا؟ قال العزيمة على ما شاء؛ وتدري ما التقدير؟ قلت: لا، قال: هو وضع الحدود من الآجال والأرزاق والبقاء والفناء؛ وتدري ما القضاء؟ قلت: لا، قال: هو إقامة العين، ولا يكون إلاّ ما شاء الله في الذكر الأوّل(٥).

بيان: الظاهر أنّ المراد بالقدريّة هنا من يقول: إنّ أفعال العباد، ووجودها ليست بقدرة الله ويقدره، بل باستقلال إرادة العبد به واستواء نسبة الإرادتين إليه، وصدور أحدهما عنه لا بموجب غير الإرادة، كما ذهب إليه بعض المعتزلة. لا يقول بقول أهل الجنّة من إسناد هدايتهم إليه سبحانه، ولا بقول أهل النار من إسناد ضلالتهم إلى شقوتهم، ولا بقول إبليس من إسناد الإغواء إليه سبحانه، والفرق بين كلامه عليه السلام وكلام يونس إنّما هو في الترتيب، فإنّ في كلامه عليه السلام التقدير مقدّم على القضاء كما هو الواقع، وفي كلام يونس بالعكس، والذكر هو الكتابة مجملاً في لوح المحو والإثبات، أو العلم القديم.

٥٠ - **ثو:** عليّ بن أحمد، عن محمّد بن جعفر، عن محمّد بن أبي القاسم، عن إسحاق بن إبراهيم، عن عليّ بن موسى البصريّ، عن سليمان بن عيسى، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن الحارث، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: إنّ أرواح القدريّة يعرضون على النار غدوّاً وعشيّاً حتّى تقوم الساعة، فإذا قامت الساعة عذّبوا مع أهل النار بألوان العذاب، فيقولون: يا ربّنا عذبتنا خاصّة وتعذّبنا عامّة فيردّ عليهم ﴿ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾(٦).

بيان: قال الطبرسيّ رحمه الله: أي خلقنا كلّ شيء خلقناه مقدّراً بمقدار توجبه الحكمة لم نخلقه جزافاً، فخلقنا العذاب أيضاً على قدر الاستحقاق، وكذلك كلّ شيء خلقناه في الدنيا والآخرة خلقناه مقدّراً بمقدار معلوم. وقيل: معناه خلقنا كلّ شيء على قدر معلوم، فخلقنا

---

(١) تفسير القمي، ج ١ ص ٣٥.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ٤٣.
(٣) سورة المؤمنون، الآية: ١٠٦.
(٤) سورة الحجر، الآية: ٣٩.
(٥) تفسير القمي، ج ١ ص ٣٥.
(٦) ثواب الأعمال، ص ٤٨.

اللّسان للكلام، واليد للبطش، والرجل للمشي، والعين للنظر، والأذن للسماع، والمعدة للطعام، ولو زاد أو نقص عمّا قدّرناه لما تمّ الغرض. وقيل: معناه: جعلنا لكلّ شيء شكلاً يوافقه ويصلح له، كالمرأة للرجل، والأتان للحمار، وثياب الرجال للرجال، وثياب النساء للنساء. وقيل: خلقنا كلّ شيء بقدر مقدّر وقضاء محتوم في اللّوح المحفوظ[(١)].

٥١ - **ثو:** عليّ بن أحمد، عن محمّد بن جعفر، عن محمّد بن أبي بشر، عن محمّد بن عيسى الدامغانيّ، عن محمّد بن خالد البرقيّ، عن يونس، عمّن حدّثه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما أنزل الله هذه الآيات إلاّ في القدريّة: ﴿ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ (٤٨) إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[(٢)].

٥٢ - **ثو:** عليّ بن أحمد، عن محمّد بن جعفر، عن مسلمة بن عبد الملك، عن داود ابن سليمان، عن الرضا، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: صنفان من أمّتي ليس لهما في الإسلام نصيب: المرجئة، والقدريّة[(٣)].

٥٣ - **ثو:** العطّار، عن سعد، عن ابن عيسى، عن الأهوازيّ، عن صفوان، عن عليّ بن أبي حمزة، عن أبيه، عن أبي جعفر عليه السلام قال: يحشر المكذّبون بقدر الله من قبورهم قد مسخوا قردة وخنازير[(٤)].

٥٤ - **ثو:** ابن المتوكّل، عن الحميريّ، عن ابن أبي الخطّاب، عن ابن محبوب، عن هشام بن سالم، عن زرارة ومحمّد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: نزلت هذه الآية في القدريّة: «**ذوقوا مس سقر إنا كل شيء خلقناه بقدر**»[(٥)].

٥٥ - **شي:** عن زرارة وحمران ومحمّد بن مسلم، عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام في قوله: ﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾[(٦)] قال: قدره الّذي قدره عليه[(٧)].

٥٦ - وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام قال: خيره وشرّه معه، حيث كان لا يستطيع فراقه حتّى يعطى كتابه يوم القيامة بما عمل[(٨)].

بيان: قال الطبرسيّ رحمه الله: معناه وألزمنا كلّ إنسان عمله من خير أو شرّ في عنقه، أي جعلناه كالطوق في عنقه لا يفارقه. وقيل: طائره يمنه وشؤمه وهو ما يتطيّر به. وقيل: طائره حظّه من الخير والشرّ؛ وخصّ العنق لأنّه محلّ الطوق الّذي يزيّن المحسن، والغلّ الّذي يشين المسيء، وقيل: طائره كتابه. وقيل: معناه: جعلنا لكلّ إنسان دليلاً من نفسه لأنّ الطائر يستدلّ به عندهم على الأمور الكائنة، فيكون معناه: كلّ إنسان دليل نفسه وشاهد

---

(١) مجمع البيان، ج ٩ ص ٣٢٤.
(٢) ثواب الأعمال، ص ٢٥٢.
(٣) - (٥) ثواب الأعمال، ص ٢٥٣.
(٦) سورة الإسراء، الآية: ١٣.
(٧) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٣٠٧ ح ٤٢.
(٨) تفسير القمي، ج ١ ص ٤٠٨.

عليها، إن كان محسناً فطائره ميمون، وإن أساء فطائره مشوم[١].

٥٧ - **ثو:** ابن المتوكّل، عن محمّد بن جعفر، عن النخعيّ، عن النوفليّ، عن السكونيّ، عن الصادق، عن آبائه، عن أمير المؤمنين صلوات الله عليهم قال: يجاء بأصحاب البدع يوم القيامة فترى القدريّة من بينهم كالشامة البيضاء في الثور الأسود فيقول الله عزّوجلّ: ما أردتم؟ فيقولون: أردنا وجهك، فيقول: قد أقلتكم عثراتكم وغفرت لكم زلّاتكم إلاّ القدريّة فإنّهم دخلوا في الشرك من حيث لا يعلمون[٢].

بيان: المراد بأصحاب البدع من لم ينته به بدعته إلى الكفر فضلّوا من حيث لا يعلمون.

٥٨ - **ثو:** بهذا الإسناد عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: لكلّ أمّة مجوس ومجوس هذه الأمّة الّذين يقولون: لا قدر[٣].

٥٩ - **ثو:** بهذا الإسناد قال: دخل مجاهد مولى عبد الله بن عبّاس على عليّ عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين ما تقول في كلام أهل القدر؟ - ومعه جماعة من الناس - فقال أمير المؤمنين عليه السلام: معك أحد منهم أو في البيت أحد منهم؟ قال: ما تصنع بهم يا أمير المؤمنين؟ قال: أستتيبهم فإن تابوا وإلاّ ضربت أعناقهم[٤].

٦٠ - **ثو:** بالإسناد المتقدّم عن السكونيّ، عن مروان بن شجاع، عن سالم الأفطس، عن سعيد بن جبير قال: قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: ما غلا أحد في القدر إلاّ خرج من الإيمان[٥].

٦١ - **ثو:** ابن المتوكّل، عن محمّد بن جعفر، عن أحمد بن محمّد العاصميّ، عن عليّ بن عاصم، عن محمّد بن عبد الرحمن، عن يحيى بن سالم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: ما اللّيل باللّيل ولا النهار بالنهار أشبه من المرجئة باليهوديّة، ولا من القدريّة بالنصرانيّة[٦].

٦٢ - **ير:** أحمد بن محمّد، عن بعض أصحابنا، عن جميل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن القضاء والقدر، فقال: هما خلقان من خلق الله والله يزيد في الخلق ما يشاء، وأردت أن أسأله في المشيّة فنظر إليّ فقال: يا جميل لا أجيبك في المشيّة[٧].

٦٣ - **سن:** أبي، عن إسماعيل بن إبراهيم، وابن أبي عمير، عن ابن بكير، عن زرارة، عن حمران قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قوله الله عزّوجلّ: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾[٨] فقال: كان شيئاً ولم يكن مذكوراً، قلت: فقوله: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾[٩] قال: لم يكن شيئاً في كتاب ولا علم[١٠].

---

(١) مجمع البيان، ج ٦ ص ٢٣٠.
(٢) ثواب الأعمال، ص ٢٥٣.
(٣) ثواب الأعمال، ص ٢٥٣ وفيه: بالقدر.
(٤) - (٦) ثواب الأعمال، ص ٢٥٤.
(٧) بصائر الدرجات ص ٢٣٢ ج ٥ باب ١٠ ح ١٧.
(٨) سورة الانسان، الآية: ١.
(٩) سورة مريم، الآية: ٦٧.
(١٠) المحاسن، ص ٢٤٣-٢٤٤.

بيان: ولا علم أي علم أحد من المخلوقين، والخلق في هذه الآية يحتمل التقدير والإيجاد. قوله عليه السلام: كان شيئاً أي مقدّراً، كما روى الكلينيّ عن مالك الجهنيّ مكان «شيئاً»: «مقدّراً غير مذكور» أي عند الخلق أي غير موجود ليذكر عند الخلق، أو كان مقدّراً في اللّوح لكن لم يوح أمره إلى أحد من الخلق.

٦٤ - **سن:** أبي، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إنّ الله إذا أراد شيئاً قدّره، فإذا قدره قضاه، فإذا قضاه أمضاه[1].

٦٥ - **سن:** أبي، عن فضالة، عن محمّد بن عمارة، عن حريز بن عبد الله، أو عبد الله بن مسكان قال: قال أبو جعفر عليه السلام لا يكون شيء في الأرض ولا في السماء إلاّ بهذه الخصال السبعة: بمشيّة، وإرادة، وقدر، وقضاء، وإذن، وكتاب، وأجل؛ فمن زعم أنّه يقدر على نقص واحدة منهنّ فقد كفر[2].

٦٦ - **سن:** النضر، عن هشام، وعبيد بن زرارة، عن حمران، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كنت أنا والطيّار جالسين فجاء أبو بصير فأفرجنا له فجلس بيني وبين الطيّار، فقال: في أيّ شيء أنتم؟ فقلنا: كنّا في الإرادة والمشيّة والمحبّة، فقال أبو بصير: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: شاء لهم الكفر وأراده؟ فقال: نعم، قلت: فأحبّ ذلك ورضيه؟ فقال: لا، قلت: شاء وأراد ما لم يحبّ ولم يرض؟ قال: هكذا خرج إلينا[3].

٦٧ - **سن:** أبي، عن ابن أبي عمير، عن ابن أذينة، عن محمّد بن مسلم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: المشيّة محدثة[4].

٦٨ - **سن:** أبي، عن يونس، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: قلت: لا يكون إلاّ ما شاء الله وأراد وقدّر وقضى، قلت: فما معنى شاء؟ قال: ابتداء الفعل، قلت: فما معنى أراد؟ قال: الثبوت عليه، قلت: فما معنى قدّر؟ قال: تقدير الشيء من طوله وعرضه، قلت: فما معنى قضى؟ قال: إذا قضى أمضاه فذلك الّذي لا مردّ له[5].

بيان: ابتداء الفعل أي أوّل الكتابة في اللّوح، أو أوّل ما يحصل من جانب الفاعل ويصدر عنه ممّا يؤدّي إلى وجود المعلول.

٦٩ - **سن:** أبي، عن ابن أبي عمير، عن محمّد بن إسحاق قال: قال أبو الحسن عليه السلام ليونس مولى عليّ بن يقطين: يا يونس لا تتكلّم بالقدر، قال: إنّي لا أتكلّم بالقدر ولكن أقول: لا يكون إلاّ ما أراد الله وشاء وقضى وقدّر، فقال: ليس هكذا أقول، ولكن أقول: لا يكون إلاّ ماشاء الله وأراد وقدّر وقضى؛ ثمّ قال: أتدري ما المشيّة؛ فقال: لا، فقال: همّه بالشيء؛ أو تدري ما أراد؟ قال: لا، قال: إتمامه على المشيّة، فقال: أوتدري ما قدّر؟ قال:

---

(١) - (٢) المحاسن، ص ٢٤٣-٢٤٤. (٣) - (٥) المحاسن، ص ٢٤٤-٢٤٥.

لا، قال: هو الهندسة من الطول والعرض والبقاء. ثمّ قال: إنَّ الله إذا شاء شيئاً أراده، وإذا أراد قدّره، وإذا قدّره قضاه، وإذا قضاه أمضاه؛ يا يونس إنَّ القدريّة لم يقولوا بقول الله: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ ولا قالوا بقول أهل الجنّة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ ولا قالوا بقول أهل النار: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ﴾(١) ولا قالوا بقول إبليس: ﴿رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى﴾ ولا قالوا بقول نوح: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾(٢) ثمّ قال: قال الله: يابن آدم بمشيّتي كنت أنت الّذي تشاء، وبقوّتي أدّيت إليَّ فرائضي، وبنعمتي قويت على معصيتي، وجعلتك سميعاً بصيراً قوياً، فما أصابك من حسنة فمنّي، وما أصابك من سيّئة فمن نفسك، وذلك أنّي لا أُسأل عمّا أفعل وهم يسألون، ثمّ قال: قد نظمت لك كلّ شيء تريده(٣).

٧٠ - **ضا**: سئل أمير المؤمنين صلوات الله عليه عن القدر قال: فقيل له: أنبئنا عن القدر يا أمير المؤمنين؛ فقال: سرّ الله فلا تفتّشوه. فقيل له الثاني: أنبئنا عن القدر يا أمير المؤمنين، قال: بحر عميق فلا تلجوه، فقيل له: أنبئنا عن القدر، فقال: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ﴾(٤) فقال: يا أمير المؤمنين إنّما سألناك عن الاستطاعة الّتي بها نقوم ونقعد، فقال: استطاعة تملك مع الله أم دون الله؟ قال: فسكت القوم ولم يحيروا جواباً، فقال عليه السلام: إن قلتم: إنّكم تملكونها مع الله قتلتكم، وإن قلتم: دون الله قتلتكم! فقالوا: كيف نقول يا أمير المؤمنين؟ قال: تملكونها بالّذي يملكها دونكم فإن أمدّكم بها كان ذلك من عطائه، وإن سلبها كان ذلك من بلائه، إنّما هو المالك لما ملّككم، والقادر لما عليه أقدركم، أما تسمعون ما يقول العباد ويسألونه الحول والقوّة حيث يقولون: لا حول ولا قوّة إلاّ بالله، فسئل عن تأويلها، فقال: لا حول عن معصيته إلاّ بعصمته، ولا قوّة على طاعته إلاّ بعونه(٥).

٧١ - قال العالم كتب الحسن بن أبي الحسن البصريّ إلى الحسين بن عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليهما يسأله عن القدر، وكتب إليه: فاتّبع ما شرحت لك في القدر ممّا أُفضي إلينا أهل البيت فإنّه من لم يؤمن بالقدر خيره وشرّه فقد كفر، ومن حمل المعاصي على الله عزّ وجلّ فقد افترى على الله افتراءاً عظيماً، إنّ الله تبارك وتعالى لا يطاع بإكراه، ولا يعصى بغلبة، ولا يهمل العباد في الهلكة، لكنّه المالك لما ملّكهم، والقادر لما عليه أقدرهم، فإن ائتمروا بالطاعة لم يكن الله صادّاً عنها مبطئاً، وإن ائتمروا بالمعصية فشاء أن يمنَّ عليهم فيحول بينهم وبين ما ائتمروا به فعل، وإن لم يفعل فليس هو حملهم عليها قسراً، ولا كلّفهم

---

(١) سورة المؤمنون، الآية: ١٠٦. (٢) سورة هود، الآية: ٣٤.
(٣) المحاسن، ص ٢٤٤. (٤) سورة فاطر، الآية: ٢.
(٥) الفقه المنسوب للرضا عليه السلام ص ٤٠٨ باب ١١٨.

جبراً، بل بتمكينه إيّاهم بعد إعذاره وإنذاره لهم واحتجاجه عليهم طوّقهم ومكّنهم، وجعل لهم السبيل إلى أخذ ما إليه دعاهم، وترك ما عنه نهاهم، جعلهم مستطيعين لأخذ ما أمرهم به من شيء غير آخذيه، ولترك ما نهاهم عنه من شيء غير تاركيه، والحمد لله الّذي جعل عباده أقوياء لما أمرهم به، ينالون بتلك القوّة وما نهاهم عنه، وجعل العذر لمن يجعل له السبيل، حمداً متقبّلاً فأنا على ذلك أذهب وبه أقول، والله وأنا وأصحابي أيضاً عليه، وله الحمد[1].

٧٢ - **نهج**: قال عليه السلام - وقد سئل عن القدر -: طريق مظلم فلا تسلكوه، وبحر عميق فلا تلجوه، وسرّ الله فلا تتكلّفوه[2].

٧٣ - **ضا**: سئل أمير المؤمنين صلوات الله عليه عن مشيّة الله وإرادته، فقال عليه السلام: إنّ لله مشيّتين: مشيّة حتم، ومشيّة عزم، وكذلك إنّ لله إرادتين: إراة حتم، وإرادة عزم، إرادة حتم لا تخطئ، وإرادة عزم تخطئ وتصيب، وله مشيّتان: مشيّة يشاء، ومشيّة لا يشاء؛ ينهى وهو يشاء، ويأمر وهو لا يشاء، معناه أراد من العباد وشاء ولم يرد المعصية وشاء، وكلّ شيء بقضائه وقدره، والأمور تجري ما بينهما، فإذا أخطأ القضاء لم يخطئ القدر، وإذا لم يخطّ القدر لم يخطّ القضاء، وإنّما الخلق من القضاء إلى القدر وإذا يخطى ومن القدر إلى القضاء؛ والقضاء على أربعة أوجه في كتاب الله عزّ وجلّ الناطق على لسان سفيره الصادق صلى الله عليه وآله: منها قضاء الخلق وهو قوله تعالى: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾[3] معناه خلقهن.

والثاني قضاء الحكم وهو قوله: ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ﴾ معناه حكم.

والثالث قضاء الأمر وهو قوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ معناه أمر ربّك.

والرابع قضاء العلم وهو قوله: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِي ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾[4] معناه علمنا من بني إسرائيل، قد شاء الله من عباده المعصية وما أراد وشاء الطاعة وأراد منهم لأنّ المشيّة مشيّة الأمر ومشيّة العلم، وإرادته إرادة الرضا وإرادة الأمر، أمر بالطاعة ورضي بها، وشاء المعصية يعني علم من عباده المعصية ولم يأمرهم بها، فهذا من عدل الله تبارك وتعالى في عباده جلّ جلاله وعظم شأنه[5].

أقول: كانت النسخة سقيمة فأوردناه كما وجدناه.

قوله عليه السلام: إذا أخطأ القضاء يمكن أن يقرأ بغير همز: والمعنى إذا جاوز أمر من الأمور الّتي شرع في تهيئة أسباب وجوده القضاء ولم يصر مقضيّاً فلا يتجاوز عن القدر، ولا محالة يدخل في التقدير، وإنّما يكون البداء بعد التقدير. وإذا لم يخطّ من المضاعف بمعنى الكتابة

(١) الفقه المنسوب للرضا عليه السلام ص ٤٠٨ باب ١١٨.
(٢) نهج البلاغة قصار الحكم.
(٣) سورة فصلت، الآية: ١٢.
(٤) سورة الإسراء، الآية: ٤.
(٥) الفقه المنسوب للرضا عليه السلام ص ٤١٠ باب ١١٩.

أي إذا لم يكتب شيء في لوح القدر لا يكتب في لوح القضاء إذ هو بعد القدر. وإنّما الخلق من القضاء أي إذا لوحظت علل الخلق والإيجاد ففي الترتيب الصعوديّ يتجاوز من القضاء إلى القدر، والتخطّي والبداء إنّما يكون بعد القدر قبل القضاء، والأظهر أنّه كان وإذا أخطأ القدر مكان «وإذا لم يخطّ القدر» ويكون من الخطأ لا من الخطّ، فالمعنى أنّ كلّ ما يوجد من الأمور إمّا موافق للوح القضاء، أو للوح القدر على سبيل منع الخلوّ، فإذا وقع البداء في أمر ولم يقع على ما أثبت في القدر يكون موافقاً للقضاء، ولعلّ ظاهر هذا الخبر تقدّم القضاء على القدر، ويحتمل أن يكون القضاء في الأولى بمعنى الأمر، وفي الثانية بمعنى الحتم فيستقيم ما في الرواية من النفي.

٧٤ - **شا:** روى الحسن بن أبي الحسن البصريّ قال: جاء رجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام بعد انصرافه من حرب صفيّن فقال له: يا أمير المؤمنين خبّرني عمّا كان بيننا وبين هؤلاء القوم من الحرب أكان بقضاء من الله وقدر؟ فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: ما علوتم تلعة ولا هبطتم وادياً إلاّ ولله فيه قضاء وقدر، فقال الرجل: فعند الله أحتسب عنائي يا أمير المؤمنين، فقال له: ولمَ؟ قال: إذا كان القضاء والقدر ساقانا إلى العمل فما الثواب لنا على الطاعة؟ وما وجه العقاب على المعصية؟ فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: أوظننت يا رجل أنّه قضاء حتم وقدر لازم لا تظنّ ذلك فإنّ القول به مقالة عبدة الأوثان وحزب الشيطان وخصماء الرحمن وقدريّة هذه الأمّة ومجوسها، إنّ الله جلّ جلاله أمر تخييراً ونهى تحذيراً، وكلّف يسيراً، ولم يطع مكرهاً، ولم يعص مغلوباً، ولم يخلق السماوات والأرض وما بينهما باطلاً ذلك ظنّ الّذين كفروا فويل للّذين كفروا من النار، فقال الرجل فما القضاء والقدر الّذي ذكرته يا أمير المؤمنين؟ قال: الأمر بالطاعة، والنهي عن المعصية، والتمكين من فعل الحسنة وترك السيّئة، والمعونة على القربة إليه، والخذلان لمن عصاه، والوعد والوعيد والترغيب والترهيب، كلّ ذلك قضاء الله في أفعالنا وقدره لأعمالنا، فأمّا غير ذلك فلا تظنّه فإنّ الظنّ له محبط للأعمال. فقال الرّجل: فرجت عنّي يا أمير المؤمنين فرّج الله عنك، وأنشأ يقول: أنت الإمام الّذي نرجو بطاعته... إلى آخر البيتين[(١)].

٧٥ - **الدرّة الباهرة:** قال الرضا عليه السلام: المشيّة الاهتمام بالشيء، والإرادة إتمام ذلك الشيء[(٢)].

٧٦ - **نهج:** قال عليه السلام - وقد سئل عن القدر -: طريق مظلم فلا تسلكوه، وبحر عميق فلا تلجوه، وسرّ الله فلا تتكلّفوه[(٣)].

٧٧ - وقال عليه السلام: يغلب المقدار على التقدير حتّى تكون الآفة في التدبير[(٤)].

---

(١) الارشاد ص ١٢٠. (٢) الدرة الباهرة، ص ٥٣.

(٣) - (٤) نهج البلاغة قصار الحكم.

بيان: المقدار: القدر.

٧٨ - **نهج:** من كلامه عليه السلام للشاميّ لمّا سأله: أكان مسيره إلى الشام بقضاء من الله وقدره؟ - بعد كلام طويل مختاره -: ويحك لعلّك ظننت قضاءاً لازماً وقدراً حاتماً، ولو كان ذلك كذلك لبطل الثواب والعقاب، وسقط الوعد والوعيد، إنّ الله سبحانه أمر عباده تخييراً، ونهاهم تحذيراً، وكلّف يسيراً، ولم يكلّف عسيراً، وأعطى على القليل كثيراً، ولم يعص مغلوباً، ولم يطع مكرهاً، ولم يرسل الأنبياء لعباً، ولم ينزل الكتب للعباد عبثاً، ولا خلق السماوات والأرض وما بينهما باطلاً، ذلك ظنّ الّذين كفروا فويل للّذين كفروا من النار[1].

٧٩ - **شي:** عن مسعدة بن صدقة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من زعم أنّ الله يأمر بالسوء والفحشاء فقد كذب على الله، ومن زعم أنّ الخير والشرّ بغير مشيّته فقد أخرج الله من سلطانه، ومن زعم أنّ المعاصي عملت بغير قوّة الله فقد كذب على الله ومن كذب على الله أدخله الله النار[2].

تتميم: قال العلّامة رحمه الله في شرحه على التجريد: يطلق القضاء على الخلق والإتمام قال الله تعالى: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ﴾ أي خلقهنّ وأتمّهنّ. وعلى الحكم والإيجاب كقوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ أي أوجب وألزم. وعلى الإعلام والإخبار كقوله تعالى: ﴿وَقَضَيۡنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ﴾ أي أعلمناهم وأخبرناهم. ويطلق القدر على الخلق كقوله تعالى: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا﴾[3] والكتابة كقول الشاعر:

واعلم بأنّ ذا الجلال قد قدر   في الصحف الأولى الّتي كان سطر

والبيان: كقوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ قَدَّرۡنَٰهَا مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ﴾[4] أي بيّنّا وأخبرنا بذلك، إذا ظهر هذا فنقول للأشعريّ: ما تعني بقولك: إنّه تعالى قضى أعمال العباد وقدّرها؟ إن أردت به الخلق والإيجاد فقد بيّنّا بطلانه، وأنّ الأفعال مستندة إلينا، وإن عني به الإلزام لم يصحّ إلّا في الواجب خاصّة، وإن عنى به أنّه تعالى بيّنها وكتبها وعلم أنّهم سيفعلونها فهو صحيح، لأنّه تعالى قد كتب ذلك أجمع في اللّوح المحفوظ وبيّنه لملائكته، وهذا المعنى الأخير هو المتعيّن للإجماع على وجوب الرضا بقضاء الله تعالى وقدره، ولا يجوز الرضا بالكفر وغيره من القبائح، ولا ينفعهم الاعتذار بوجوب الرضا به من حيث إنّه فعله، وعدم الرضا به من حيث الكسب لبطلان الكسب أوّلاً؛ وثانياً نقول: إن كان كون الكفر كسباً بقضائه تعالى وقدره وجب الرضا به من حيث هو كسب، وهو خلاف قولكم وإن لم يكن بقضاء وقدر بطل إسناد الكائنات بأجمعها إلى القضاء والقدر انتهى[5].

---

(١) نهج البلاغة قصار الحكم.
(٢) تفسير العياشي، ج ٢ ص ١٥ ح ١٤.
(٣) سورة فصلت، الآية: ١٠.
(٤) سورة النمل، الآية: ٥٧.
(٥) كشف المراد، ص ٢٩٣.

وقال شارح المواقف: اعلم أنّ قضاء الله عند الأشاعرة هو إرادته الأزليّة المتعلّقة بالأشياء على ما هي عليه فيما لا يزال، وقدره إيجاده إيّاها على وجه مخصوص وتقدير معيّن في ذواتها وأحوالها، وأمّا عند الفلاسفة فالقضاء عبارة عن علمه بما ينبغي أن يكون عليه الوجود حتّى يكون على أحسن النظام وأكمل الانتظام، وهو المسمّى عندهم بالعناية الّتي هي مبدأ لفيضان الموجودات من حيث جملتها على أحسن الوجوه وأكملها والقدر عبارة عن خروجها إلى الوجود العينيّ بأسبابها على الوجه الّذي تقرّر في القضاء والمعتزلة ينكرون القضاء والقدر في الأفعال الاختياريّة الصادرة عن العباد، ويثبتون علمه تعالى بهذه الأفعال، ولا يسندون وجودها إلى ذلك العلم، بل إلى اختيار العباد، وقدرتهم انتهى.

وقال السيّد المرتضى رحمه الله في كتاب الغرر والدرر: إن قال قائل: ما تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾[1] فظاهر هذا الكلام يدلّ على أنّ الإيمان إنّما كان لهم فعله بإذنه وأمره وليس هذا مذهبكم، فإن حمل الإذن ههنا على الإرادة اقتضى أنّ من لم يقع منه الإيمان لم يرد الله تعالى منه وهذا أيضاً بخلاف قولكم، ثمّ جعل الرجس الّذي هو العذاب على الّذين لا يعقلون، ومن كان فاقداً عقله لا يكون مكلفاً، فكيف يستحقّ العذاب؟ وهذا بالضدّ من الخبر المرويّ عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: أكثر أهل الجنّة البله.

الجواب يقال له: في قوله: إلاّ بإذن الله وجوه: منها أن يكون الإذن: الأمر، ويكون معنى الكلام أنّ الإيمان لا يقع من أحد إلاّ بعد أن يأذن الله فيه ويأمر به، ولا يكون معناه ما ظنّه السائل من أنّه لا يكون للفاعل فعله إلاّ بإذنه، ويجري هذا مجرى قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[2] ومعلوم أنّ معنى قوله: «ليس لها» في هذه الآية هو ما ذكرناه، وإن كان الأشبه في الآية الّتي فيها ذكر الموت أن يكون المراد بالإذن العلم.

ومنها أن يكون الإذن هو التوفيق والتيسير والتسهيل، ولا شبهة في أنّ الله تعالى يوفّق لفعل الإيمان ويلطف فيه ويسهل السبيل إليه.

ومنها أن يكون الإذن: العلم، من قولهم: أنت أذنت لكذا وكذا: إذا سمعته وعلمته، وآذنت فلاناً بكذا وكذا: إذا أعلمته، فتكون فائدة الآية الإخبار عن علمه تعالى بسائر الكائنات وأنّه ممّا لا تخفى عليه الخفيّات، وقد أنكر بعض من لا بصيرة له أن يكون الإذن - بكسر الألف وتسكين الذال - عبارة عن العلم، وزعم أنّ الّذي هو العلم الأذَن - بالتحريك - واستشهد بقول الشاعر: إنّ همّي في سماع وأذن. وليس الأمر على ما توهّمه هذا المتوهّم لأنّ الأذن هو المصدر والإذن هو اسم الفعل ويجري مجرى الحذر في أنّه مصدر والحذر -

(١) سورة يونس، الآية: ١٠٠. (٢) سورة آل عمران، الآية: ١٤٥.

بالتسكين - الاسم؛ على أنّه لو لم يكن مسموعاً إلاّ الأذن - بالتحريك - لجاز التسكين، مثل مِثْل ومَثَل وشِبْه وشَبَه ونظائر ذلك كثيرة.

ومنها أن يكون الإذن: العلم، ومعناه إعلام الله المكلّفين بفضل الإيمان وما يدعو إلى فعله، فيكون معنى الآية: وما كان لنفس أن تؤمن إلاّ بإعلام الله تعالى لها ما يبعثها على الإيمان ويدعوها إلى فعله، فأمّا ظنّ السائل دخول الإرادة في محتمل اللّفظ فباطلٌ، لأنّ الإذن لا يحتمل الإرادة في اللّغة، ولو احتملها أيضاً لم يجب ما توهّمه لأنّه إذا قال: إنّ الإيمان لم يقع إلاّ وأنا مريد له لم ينف أن يكون مريداً لما لم يقع، وليس في صريح الكلام ولا في دلالته شيء من ذلك.

وأمّا قوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾(١) فلم يعن به الناقصي العقول، وإنّما أراد تعالى الذين لم يعقلوا ولم يعلموا ما وجب عليهم علمه من معرفة خالقهم تعالى، والاعتراف بنبوّة رسله عليهم السلام، والانقياد إلى طاعتهم، ووصفهم بأنّهم لا يعقلون تشبيهاً، كما قال الله تعالى: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ﴾ وكما يصف أحدنا من لم يفطن لبعض الأمور أو لم يعلم ما هو مأمور بعلمه بالجنون وفقد العقل. فأمّا الحديث الّذي أورده السائل شاهداً له فقد قيل فيه: إنّه صلى الله عليه وآله لم يرد بالبله ذوي الغفلة والنقص والجنون وإنّما أراد البله عن الشرّ والقبيح وسمّاهم بلهاً عن ذلك من حيث لا يستعملونه ولا يعتادونه، لا من حيث فقد العلم به، ووجه تشبيه مَن هذه حالُه بالأبله ظاهر(٢). ثم قال رحمه الله: إن سأل سائل عن قوله تعالى - حاكياً عن شعيب عليه السلام -: ﴿قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا﴾(٣) فقال: أليس هذا تصريحاً منه بأنّ الله تعالى يجوز أن يشاء الكفر والقبيح؟ لأنّ ملّة قومه كانت كفراً وضلالاً، وقد أخبر أنّه لا يعود فيها إلاّ أن يشاء الله.

الجواب قيل له: في هذه الآية وجوه: أوّلها أن تكون الملّة الّتي عناها الله تعالى إنّما هي العبادات الشرعيّات الّتي كان قوم شعيب متمسّكين بها وهي منسوخة عنهم ولم يعن بها ما يرجع إلى الاعتقادات في الله وصفاته.

وثانيها: أنّه أراد أنّ ذلك لا يكون أبداً من حيث علّقه بمشيّة الله تعالى، لما كان معلوماً أنّه لا يشاؤه، وكلّ أمر علّق بما لا يكون فقد نفي كونه على أبعد الوجوه، وتجري الآية مجرى قوله تعالى: ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾(٤).

وثالثها: ما ذكره قطرب من أنّ في الكلام تقديماً وتأخيراً وأنّ الاستثناء من الكفّار وقع لا من شعيب فكأنّه تعالى قال - حاكياً عن الكفّار -: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨.
(٢) أمالي المرتضى، ج ١ ص ٣٠.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ٨٩.
(٤) سورة الأعراف، الآية: ٤٠.

قَرْيَتِنَآ﴾ (١) إلاّ أن يشاء الله أن تعود في ملّتنا، ثمّ قال حاكياً عن شعيب: وما يكون لنا أنّ نعود فيها على كلّ حال.

ورابعها: أن تعود الهاء الّتي في قوله تعالى: ﴿فِيهَآ﴾ إلى القرية لا إلى الملّة لأنّ ذكر القرية قد تقدّم كما تقدّم ذكر الملّة، ويكون تلخيص الكلام: إنّا سنخرج من قريتكم ولا نعود فيها إلاّ أن يشاء الله بما ينجزه لنا من الوعد في الإظهار عليكم والظفر بكم فنعود إليها.

وخامسها: أن يكون المعنى: إلاّ أن يشاء الله أن يردّكم إلى الحقّ فنكون جميعاً على ملّة واحدة غير مختلفة، لأنّه لمّا قال تعالى حاكياً عنهم: ﴿أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ كان معناه أو لتكوننّ على ملّة واحدة غير مختلفة فحسن أن يقول من بعد: إلاّ أن يشاء الله أن يجمعكم معنا على ملّة واحدة. فإن قيل: الاستثناء بالمشيّة إنّما كان بعد قوله: وما يكون لنا أن نعود فيها فكأنه قال: ليس نعود فيها إلاّ أن يشاء الله فكيف يصحّ هذا الجواب؟ قلنا: هو كذلك إلاّ أنّه لمّا كان معنى أن نعود فيها هو أن تصير ملّتنا واحدة غير مختلفة جاز أن يوقع الاستثناء على المعنى فيقول: إلاّ أن يشاء الله أن نتّفق في الملّة بأن ترجعوا أنتم إلى الحقّ.

فإن قيل: وكان الله ما شاء أن ترجع الكفّار إلى الحقّ؟ قلنا: بلى قد شاء ذلك إلاّ أنه ما شاء على كلّ حال، بل من وجه دون وجه، وهو أن يؤمنوا ويصيروا إلى الحقّ مختارين ليستحقّوا الثواب الّذي أجرى بالتكليف إليه، ولو شاءه على كلّ حال لما جاز أن لا يقع منهم.

وسادسها: أن يكون المعنى: إلاّ أن يشاء الله أن يمكّنكم من إكراهنا ويخلّي بينكم وبينه فنعود إلى إظهارها مكرهين، ويقوّي هذا الوجه قوله تعالى: ﴿أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ﴾.

وسابعها: أن يكون المعنى: إلاّ أن يشاء الله أن يتعبّدنا بإظهار ملّتكم مع الإكراه لأنّ إظهار كلمة الكفر قد يحسن في بعض الأحوال إذا تعبّد الله تعالى بإظهاره؛ وقوله: ﴿أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ﴾ يقوّي هذا الوجه أيضاً.

فإن قيل: فكيف يجوز من نبيّ من أنبياء الله تعالى أن يتعبّد بإظهار الكفر وخلاف ما جاء به من الشرع؟ قلنا: يجوز أن يكون لم يرد بالاستثناء نفسه بل قومه فكأنّه قال: وما يكون لي ولا لأمّتي أن نعود فيها إلاّ أن يشاء الله أن يتعبّد أمّتي بإظهار ملّتكم على سبيل الإكراه، وهذا جائز غير ممتنع (٢).

وقال طيّب الله رمسه: إن سأل سائل عن تأويل قوله تعالى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ (٣) فقال: كيف يعذّبهم بالأموال والأولاد ومعلوم أنّ لهم فيها سروراً ولذّة؟ وما تأويل قوله: ﴿وَمَاتُوا۟ وَهُمْ

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٨٨. (٢) أمالي المرتضى، ج ٢ ص ٦٣.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٥٥.

كَـٰفِرُونَ﴾ فظاهره يقتضي أنّه أراد كفرهم من حيث أراد أن تزهق أنفسهم في حال كفرهم لأنّ القائل إذا قال: أريد أن يلقاني فلان وهو لابس أو على صفة كذا وكذا فالظاهر أنّه أراد كونه على هذه الصفة.

قلنا: أمّا التعذيب بالأموال والأولاد ففيه وجوه:

أحدها: ما روي عن ابن عبّاس وقتادة وهو أن يكون في الكلام تقديم وتأخير، ويكون التقدير فلا تعجبك يا محمّد، ولا تعجب المؤمنين معك أموال هؤلاء الكفّار والمنافقين وأولادهم في الحياة الدنيا، إنّما يريد الله ليعذّبهم بها في الآخرة عقوبةً لهم على منعهم حقوقها؛ واستشهد على ذلك بقوله تعالى: ﴿ٱذْهَب بِّكِتَـٰبِى هَـٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾[1] فالمعنى: فألقه إليهم فانظر ماذا يرجعون ثمّ تولّ عنهم.

وثانيها: أنّ يكون المعنى: ما جعله للمؤمنين من قتالهم وغنيمة أموالهم وسبي أولادهم واسترقاقهم، وفي ذلك لا محالة إيلام لهم واستخفاف بهم.

وثالثها: أن يكون المراد بتعذيبهم بذلك كلّ ما يدخله في الدنيا عليهم من الغموم والمصائب بأموالهم وأولادهم الّتي هي لهؤلاء الكفّار والمنافقين عقاب وجزاء، وللمؤمنين محنة وجالبة للنفع والعوض، ويجوز أيضاً أن يراد به ما ينذر به الكافر - قبل موته وعند احتضاره وانقطاع التكليف عنه مع أنّه حيّ - من العذاب الدائم الّذي قد أُعدّ له، وإعلامه أنّه صائر إليه.

ورابعها: أن يكون المراد بذلك ما ألزمه هؤلاء الكفّار من الفرائض والحقوق في أموالهم لأنّ ذلك يؤخذ منهم على كره، وهم إذا أنفقوا فيه أنفقوا بغير نيّة ولا عزيمة فتصير نفقتهم غرامةً وعذاباً من حيث لا يستحقّون عليها أجراً، وفي هذا الوجه نظر[2].

---

(١) سورة النمل، الآية: ٢٨.

(٢) أقول: وفي هذا الوجه نظر ليس من كلام المرتضى إنما قال: وهذا وجه غير صحيح، لأن الوجه في تكليف الكافر إخراج الحقوق من ماله، كالوجه في تكليف المؤمن ذلك، ومحال أن يكون إنما كلف إخراج هذه الحقوق على سبيل العذاب والجزاء، لأن ذلك لا يقتضي وجوبه عليه، والوجه في تكليف الجميع هذه الأمور هو المصلحة واللطف في التكليف، ولا يجري ذلك مجرى ما قلناه في الجواب الذي قبل هذا من أن المصائب والغموم تكون للمؤمنين محنة وللكافرين عقوبة، لأن تلك الأمور مما يجوز أن يكون وجه حسنها للعقوبة والمحنة جميعاً، ولا يجوز في هذه الفرائض أن يكون لوجوبها على المكلف إلّا وجه واحد وهو المصلحة في الدين، فافترق الأمران، وليس لهم أن يقولوا: ليس التعذيب في إيجاب الفرائض عليهم، وإنما هو في إخراجهم لأموالهم على سبيل النكرة والاستثقال، وذلك أنه إذا كان الأمر على ما ذكروه خرج الأمر من أن يكون مراداً لله تعالى، لأنه جل وعز ما أراد منهم إخراج المال على هذا الوجه بل على الوجه الذي هو طاعة وقربة، فإذا أخرجوها متكرهين مستثقلين لم يرد ذلك، فكيف يقول: إنما يريد الله ليعذبهم بها؟ ويجب أن يكون ما يعذبون به شيئاً يصح أن يريده الله تعالى.

ثمّ اعلم أنّ جميع الوجوه الّتي حكيناها في هذه الآية إلاّ جواب التقديم والتأخير مبنيّة على أنّ الحياة الدنيا ظرف للعذاب، وما يحتاج عندنا إلى جميع ما تكلّفوه إذا لم نجعل الحياة ظرفاً للعذاب، بل جعلناها ظرفاً للفعل الواقع بالأموال والأولاد المتعلّق بهما، لأنّا قد علمنا أوّلاً أن قوله: ليعذّبهم بها لا بدّ من الانصراف عن ظاهره لأنّ الأموال والأولاد أنفسهما لا تكون عذاباً، فالمراد على سائر وجوه التأويل الفعل المتعلّق بها والمضاف إليها، سواء كان إنفاقها، أو المصيبة بها والغمّ عليها، أو إباحة غنيمتها وإخراجها عن أيدي مالكيها؛ وكان تقدير الآية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم﴾ بكذا وكذا ممّا يتعلّق بأموالهم وأولادهم ويتّصل بها، وإذا صحّ هذا جاز أن تكون الحياة الدنيا ظرفاً لأفعالهم القبيحة في أموالهم وأولادهم الّتي تغضب الله وتسخطه كإنفاقهم الأموال في وجوه المعاصي، وحملهم الأولاد على الكفر، فتقدير الكلام: إنّما يريد الله ليعذّبهم بفعلهم في أموالهم وأولادهم الواقع ذلك في الحياة الدنيا.

وأما قوله تعالى: ﴿وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ فمعناه تبطل وتخرج أي أنّهم يموتون على الكفر، ليس يجب إذا كان مريداً لأن تزهق أنفسهم وهم على هذه الحال أن يريد الحال نفسها على ما ظنّوه. وقد ذكر في ذلك وجه آخر وهو أن لا يكون قوله: ﴿وَهُمْ كَافِرُونَ﴾، حالاً لزهوق أنفسهم بل يكون كأنه كلام مستأنف، والتقدير فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم، إنّما يريد الله ليعذّبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم مع ذلك كلّه كافرون صائرون إلى النار، وتكون الفائدة أنّهم مع عذاب الدنيا قد اجتمع عليهم عذاب الآخرة، ويكون معنى تزهق أنفسهم المشقّة الشديدة والكلفة الصعبة[1].

أقول: قد مضى بعض الأخبار في معنى القدر والقضاء في باب البداء.

٤ - باب الآجال

الآيات: آل عمران «٣»: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلًا﴾ «١٤٥» «وقال تعالى»: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾ «١٥٤».

الأنعام «٦»: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ «٢».

الأعراف «٧»: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ «٣٤».

يونس «١٠»: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ «٤٩».

الحجر «١٥»: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ۝٤ مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ ۝٥﴾.

(١) أمالي المرتضى، ج ٢ ص ١٥٢.

النحل «١٦»: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ «٦١».

مريم «١٩»: ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾ «٨٤».

طه «٢٠»: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ «١٢٩».

العنكبوت «٢٩»: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ «٥٣».

فاطر «٣٥»: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ «١١».

حمعسق [الشورى]: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ﴾ «١٤».

المنافقون «٦٣»: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا﴾ «١١».

نوح «٧١»: ﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ «٤».

تفسير: قال الرازيّ في تفسيره: اختلفوا في تفسير الإذن:

الأوّل: أن يكون الإذن هو الأمر، أي يأمر ملك الموت بقبض الأرواح، فلا يموت أحد إلاّ بهذا الأمر.

الثاني: أنّ المراد به الأمر التكويني كقوله تعالى: ﴿أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[1] ولا يقدر على الحياة والموت أحد إلاّ الله.

الثالث: أن يكون الإذن هو التخلية والإطلاق، وترك المنع بالقهر والإجبار وبه فسّر قوله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[2] أي بتخليته، فإنّه تعالى قادر على المنع من ذلك بالقهر.

الرابع: أن يكون الإذن بمعنى العلم، ومعناه أنّ نفساً لا تموت إلاّ في الوقت الّذي علم الله موتها فيه.

الخامس: قال ابن عبّاس: الإذن: هو قضاء الله وقدره، فإنّه لا يحدث شيء إلاّ بمشيّة الله وإرادته، والآية تدلّ على أنّ المقتول ميّت بأجله، وأنّ تغيير الآجال ممتنع. انتهى[3].

قوله: لكان لنا من الأمر شيء أي من الظفر الّذي وعدنا النبيّ ﷺ، أو لو كنّا مختارين لما خرجنا باختيارنا.

قوله تعالى: ﴿لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾[4] قال الطبرسيّ رحمه الله: فيه قولان: أحدهما أنّ معناه: لو لزمتم منازلكم أيّها المنافقون والمرتابون لخرج إلى البراز المؤمنون الّذين فرض عليهم القتال صابرين محتسبين، فيقتلون ويُقتلون ولما تخلّفوا بتخلّفكم.

---

(١) سورة النحل، الآية: ٤٠.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٠٢.
(٣) تفسير فخر الرازي، ج ٩ ص ٣٧٨.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٥٤.

والثاني: أنَّ معناه: لو كنتم في منازلكم لخرج الّذين كتب عليهم القتل أي كتب آجالهم وموتهم وقتلهم في اللّوح المحفوظ في ذلك الوقت إلى مصارعهم، وذلك أنّ ما علم الله كونه فإنّه يكون كما علمه لا محالة، وليس في ذلك أنّ المشركين غير قادرين على ترك القتال من حيث علم الله ذلك منهم وكتبه لأنّه كما علم أنّهم لا يختارون ذلك علم أنّهم قادرون، ولو وجب ذلك لوجب أن لا يكون تعالى قادراً على ما علم أنّه لا يفعله، والقول بذلك كفر[1].

وقال رَحِمَهُ اللهُ في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًاۖ﴾ أي كتب وقدّر أجلاً ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥۖ﴾ قيل فيه أقوال: أحدها: أنّه يعني بالأجلين: أجل الحياة إلى الموت، وأجل الموت إلى البعث. وروى ابن عبّاس قال: قضى أجلاً من مولده إلى مماته، وأجل مسمّى عنده من الممات إلى البعث، لا يعلم أحد ميقاته سواه، فإذا كان الرجل صالحاً واصلاً لرحمه زاد الله له في أجل الحياة من أجل الممات إلى البعث، وإذا كان غير صالح ولا واصل نقصه الله من أجل الحياة، وزاد في أجل المبعث، قال: وذلك قوله: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ﴾[2].

وثانيها: أنّه الأجل الّذي يحيي به أهل الدنيا إلى أن يموتوا، وأجل مسمّى عنده يعني الآخرة لأنّها أجل ممدود دائم لا آخر له.

وثالثها: أنَّ أجلاً يعني به أجل من مضى من الخلق، وأجل مسمّى عنده يعني به آجال الباقين.

ورابعها: أنَّ قوله: ﴿قَضَىٰٓ أَجَلًاۖ﴾ عنى به النوم يقبض الروح فيه ثمّ يرجع عند اليقظة، والأجل المسمّى هو أجل الموت؛ والأصل في الأجل هو الوقت فأجل الحياة هو الوقت الّذي يكون فيه الحياة، وأجل الموت أو القتل هو الوقت الّذي يحدث فيه الموت أو القتل، وما يعلم الله تعالى أنَّ المكلّف يعيش إليه لو لم يقتل لا يسمّى أجلاً حقيقةً، ويجوز أن يسمّى ذلك مجازاً؛ وما جاء في الأخبار من أنّ صلة الرحم تزيد في العمر والصدقة تزيد في الأجل وأنّ الله تعالى زاد في أجل قوم يونس وما أشبه ذلك فلا مانع من ذلك[3].

وقال في قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌۖ﴾: أي لكلّ جماعة وأهل عصر وقت لاستئصالهم. وقيل: المراد بالأجل أجل العمر الّذي هو ملّة الحياة.

قوله: ﴿لَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾ أي لا يتأخرون ساعة من ذلك الوقت ولا يتقدّمون ساعة. وقيل: معناه: لا يطلبون التأخر عن ذلك الوقت للأياس عنه ولا يطلبون التقدّم؛ ومعنى جاء أجلهم: قرب أجلهم، كما يقال: جاء الصيف: إذا قارب وقته[4].

---

(١) مجمع البيان، ج ٢ ص ٤٢١.
(٢) سورة فاطر، الآية: ١١.
(٣) مجمع البيان، ج ٤ ص ٨.
(٤) مجمع البيان ج ٤ ص ٢٤٨.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾[١] أي في تأخير العذاب عن قومك وأنّه لا يعذّبهم وأنت فيهم لقضي بينهم أي لفرغ من عذابهم واستئصالهم، وقيل: معناه لولا حكم سبق من ربّك بتأخيرهم إلى وقت انقضاء آجالهم لقضي بينهم قبل انقضاء آجالهم[٢].

١ - فس: أبي، عن النضر، عن الحلبيّ، عن ابن مسكان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: الأجل المقضيّ هو المحتوم الّذي قضاه الله وحتمه، والمسمّى هو الّذي فيه البداء، يقدّم ما يشاء، ويؤخّر ما يشاء، والمحتوم ليس فيه تقديم ولا تأخير[٣].

فس: ﴿إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ﴾ أي أجل مكتوب[٤].

٢ - فس: أحمد بن إدريس، عن أحمد بن محمّد، عن الحسين بن سعيد، عن النضر عن يحيى الحلبيّ، عن هارون بن خارجة، عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَآ﴾[٥] قال: إنّ عند الله كتباً موقوفةً يقدّم منها ما يشاء ويؤخّر فإذا كان ليلة القدر أنزل فيها كلّ شيء يكون إلى مثلها فذلك قوله: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَآ﴾ إذا أنزله وكتبه كتاب السماوات وهو الّذي لا يؤخّره[٦].

٣ - شي: عن مسعدة بن صدقة، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى ﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ﴾ قال: الأجل الّذي غير مسمّى موقوف، يقدّم منه ما شاء، ويؤخّر منه ما شاء، وأمّا الأجل المسمّى فهو الّذي ينزل ممّا يريد أن يكون من ليلة القدر إلى مثلها من قابل، فذلك قول الله: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[٧].

٤ - ما: وعن حمران، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: المسمّى ما سمّي لملك الموت في تلك اللّيلة وهو الّذي قال الله: ﴿إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ والآخر له فيه المشيّة إن شاء قدّمه وإن شاء أخّره[٨].

٥ - ما: الغضائريّ، عن التلعكبريّ، عن محمّد بن همام، عن محمّد بن عليّ بن الحسين الهمدانيّ، عن محمّد بن خالد البرقيّ، عن محمّد بن سنان، عن المفضّل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الله تعالى لم يجعل للمؤمن أجلاً في الموت، يبقيه ما أحبّ البقاء فإذا علم منه أنّه سيأتي بما فيه بوار دينه قبضه إليه تعالى مكرماً[٩] [١٠].

---

(١) سورة الشورى، الآية: ١٤.
(٢) مجمع البيان، ج ٩ ص ٤٢.
(٣) تفسير القمي، ج ١ ص ٢٠١.
(٤) تفسير القمي، ج ١ ص ٣٧٥.
(٥) سورة المنافقون، الآية: ١١.
(٦) تفسير القمي، ج ٢ ص ٣٥٢.
(٧) تفسير العياشي، ج ١ ص ٣٨٤ ح ٥.
(٨) لم نجده في أمالي الطوسي، ولكنه في تفسير العياشي ج ١ ص ٣٨٤ ح ٦.
(٩) في المصدر: مكرماً.
(١٠) أمالي الطوسي، ص ٣٠٥ ح ٦١١.

٦ - قال محمّد بن همام: فذكرت هذا الحديث لأحمد بن عليّ بن حمزة مولى الطالبيّين - وكان راوية للحديث - فحدّثني عن الحسين بن أسد الطفاويّ، عن محمّد بن القاسم عن فضيل بن يسار، عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من يموت بالذنوب أكثر ممّن يموت بالآجال، ومن يعيش بالإحسان أكثر ممّن يعيش بالأعمار[1].

٧ - **دعوات الراونديّ:** قال الصادق عليه السلام: يعيش الناس بإحسانهم أكثر ممّا يعيشون بأعمارهم، ويموتون بذنوبهم أكثر ممّا يموتون بآجالهم[2].

٨ - **النهج:** قال عليه السلام: إنّ مع كلّ إنسان ملكين يحفظانه، فإذا جاء القدر خلّيا بينه وبينه، وإن الأجل جنّة حصينة[3].

٩ - **شي:** عن حمران قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله: ﴿قَضَىٰٓ أَجَلاً وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ﴾ قال هما أجلان: أجل موقوف يصنع الله ما يشاء وأجل محتوم[4].

١٠ - **شي:** عن حصين، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله: ﴿قَضَىٰٓ أَجَلاً وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ﴾ قال: الأجل الأوّل هو الّذي نبذه إلى الملائكة والرسل والأنبياء، والأجل المسمّى عنده هو الّذي ستره عن الخلائق[5].

بيان: ظاهر بعض الأخبار كون الأجل الأوّل محتوماً والثاني موقوفاً، وبعضها بالعكس، ويمكن الجمع بأنّ المعنى أنّه تعالى قضى أجلاً أخبر به أنبياءه وحججه عليهم السلام، وأخبر بأنّه محتوم فلا يتطرق إليه التغيير، وعنده أجل مسمّى أخبر بخلافه غير محتوم، فهو الّذي إذا أخبر بذلك المسمّى يحصل منه البداء، فلذا قال تعالى: ﴿عِندَهُۥ﴾ أي لم يطلع عليه أحداً بعد، وإنّما يطلق عليه المسمّى لأنّه بعد الإخبار يكون مسمّى فما لم يسمّ فهو موقوف، ومنه يكون البداء فيما أخبر لا على وجه الحتم، ويحتمل أن يكون المراد بالمسمّى ما سمّي ووصف بأنّه محتوم فالمعنى: قضى أجلاً محتوماً أي أخبر بكونه محتوماً. وأجلاً آخر وصف بكونه محتوماً عنده ولم يخبر الخلق بكونه محتوماً فيظهر منه أنّه أخبر بشيء لا على وجه الحتم فهو غير المسمّى لا الأجل الّذي ذكر أوّلاً، وحاصل الوجهين مع قربهما أنّ الأجلين كليهما محتومان، أخبر بأحدهما ولم يخبر بالآخر، ويظهر من الآية أجل آخر غير الأجلين وهو الموقوف، ويمكن أن يكون الأجل الأوّل عامّاً فيرتكب تكلّف في خبر ابن مسكان بأنّه قد يكون محتوماً، وظاهر أكثر الأخبار أنّ الأوّل موقوف والمسمّى محتوم.

١١ - **شي:** عن حمّاد بن موسى، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه سئل عن قول الله: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ الْكِتَٰبِ﴾ قال: إنّ ذلك كتاب يمحو الله فيه ما يشاء ويثبت،

(١) أمالي الطوسي، ص ٣٠٥ ذيل ح ٦١١. (٢) دعوات الراوندي، ص ٢٩١.
(٣) نهج البلاغة قصار الحكم، رقم ٢٠١.
(٤) - (٥) تفسير العياشي، ج ١ ص ٣٨٤ ح ٧ و٩.

فمن ذلك الّذي يردُّ الدعاء القضاء، وذلك الدعاء مكتوب عليه: «الذي يرد به القضاء» حتّى إذا صار إلى أُمّ الكتاب لم يغن الدعاء فيه شيئاً(١).

بيان: لعلّ المراد بكونه مكتوباً عليه أنّ هذا الحكم ثابت له حتّى يوافق ما في اللّوح من القضاء الحتميّ، فإذا وافقه فلا ينفع الدعاء، ويحتمل أن يكون المعنى أنّ ذلك الدعاء الّذي يردُّ به القضاء من الأسباب المقدّرة أيضاً فلا ينافي الدعاء القدر والقضاء.

١٢ - **شي:** عن الحسين بن زيد، عن جعفر بن محمّد، عن أبيه عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ المرء ليصل رحمه وما بقي من عمره إلاّ ثلاث سنين فيمدُّها الله إلى ثلاث وثلاثين سنة، وإنَّ المرء ليقطع رحمه وقد بقي من عمره ثلاث وثلاثون سنة فيقصرها الله إلى ثلاث سنين أو أدنى. قال الحسين: وكان جعفر عليه السلام يتلو هذه الآية: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾(٢).

١٣ - **نهج:** من كلامه عليه السلام - لمّا خوّف من الغيلة - وإنّ عليّ من الله جنّة حصينة، فإذا جاء يومي انفرجت عنّي وأسلمتني فحينئذ لا يطيش السهم ولا يبرأ الكلم(٣).

بيان: الغيلة: القتل على غفلة؛ وطاش السهم: انحرف عن الغرض.

١٤ - **نهج:** قال عليه السلام: كفى بالأجل حارساً(٤).

تذنيب: أقول: الأخبار الدالّة على حقيقة الأجلين وتحقيقهما قد مرّ في باب البداء من كتاب التوحيد، وقال المحقّق الطوسيّ رحمه الله في التجريد: أجل الحيوان الوقت الّذي علم الله بطلان حياته فيه، والمقتول يجوز فيه الامران لولاه، ويجوز أن يكون الأجل لطفاً للغير لا للمكلّف.

وقال العلاّمة رحمه الله في شرحه: اختلف الناس في المقتول لو لم يقتل فقالت المجبّرة إنّه كان يموت قطعاً وهو قول أبي هذيل العلاّف، وقال بعض البغداديّين: إنّه كان يعيش قطعاً، وقال أكثر المحققين: إنّه كان يجوز أن يعيش ويجوز أن يموت، ثمّ اختلفوا فقال قوم منهم: إن كان المعلوم منه البقاء لو لم يقتل له أجلان وقال الجبائيّان وأصحابهما وأبوالحسين البصريّ: إنّ أجله هو الوقت الّذي قتل فيه، ليس له أجل آخر لو لم يقتل فما كان يعيش إليه ليس بأجل له الآن حقيقيّ بل تقديريّ، واحتجّ الموجبون لموته بأنّه لولاه لزم خلاف معلوم الله تعالى وهو محال، واحتجّ الموجبون لحياته بأنّه لو مات لكان الذابح غنم غيره محسناً ولما وجب القود لأنّه لم يفوت حياته.

والجواب عن الأوّل ما تقدّم من أنّ العلم يؤثّر في المعلوم، وعن الثاني بمنع الملازمة، إذ

---

(١) - (٢) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٢٣٦ ح ٧٥ و٧٦ من سورة الرعد.

(٣) نهج البلاغة، خطبة رقم ٦١. (٤) نهج البلاغة قصار الحكم، رقم ٣٠٦.

لو ماتت الغنم استحقّ مالكها عوضاً زائداً على الله تعالى فيذبحه فوته الأعواض الزائدة، والقود من حيث مخالفة الشارع إذ قتله حرام عليه وإن علم موته، ولهذا لو أخبر الصادق بموت زيد لم يجز لأحد قتله. ثمّ قال رحمه الله: ولا استبعاد في أن يكون أجل الإنسان لطفاً لغيره من المكلّفين، ولا يمكن أن يكون لطفاً للمكلّف نفسه لأنّ الأجل يطلق على عمره وحياته، ويطلق على أجل موته أمّا الأوّل فليس بلطف لأنّه تمكين له من التكليف، واللّطف زائد على التمكين، وأمّا الثاني فهو قطع للتكليف فلا يصحّ أن يكلّف بعده فيكون لطفاً له فيما يكلّفه من بعد، واللّطف لا يصحّ أن يكون لطفاً فيما مضى. انتهى[1].

أقول: لا يخفى ما في قوله رحمه الله: العلم لا يؤثّر، فإنّه غير مرتبط بالسؤال، بل الجواب هو أنّه يلزم خلاف العلم على هذا الفرض على أيّ حال فإنّ من علم الله أنّه سيقتل إذا مات بغير قتل كان خلاف ما علمه تعالى، وأمّا علمه بموته على أيّ حال فليس بمسلّم؛ وأمّا قوله: واللّطف لا يصحّ أن يكون لطفاً فيما مضى فيمكن منعه بأنّه يمكن أنّ يكون لطفاً من حيث علم المكلّف بوقوعه فيردعه عن ارتكاب كثير من المحرّمات، إلاّ أن يقال: اللّطف هو العلم بوقوع أصل الموت فأمّا خصوص الأجل المعيّن فلعدم علمه به غالباً لا يكون لطفاً من هذه الجهة أيضاً، ويمكن تطبيق كلام المصنّف على هذا الوجه من غير تكلّف.

٥ - باب الأرزاق والأسعار

الآيات: البقرة «٢»: ﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ «٢١٢».

آل عمران «٣»: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ «٣٧».

هود «١١»: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ «٦».

الرعد «١٣»: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ «٢٦».

الاسراء «١٧»: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ «٣٠».

الحج «٢٢»: ﴿لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ «٥٨».

المؤمنون «٢٣»: ﴿وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ «٧٢».

النور «٢٤»: ﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ «٣٨».

العنكبوت: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ «٦٠» «وقال تعالى»: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ «٦٢».

الروم: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ «٣٧».

سبأ: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ﴾ «٢٤» «وقال تعالى»: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي

(١) كشف المراد، ص ٣٤٠.

يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ «٣٦» «وقال تعالى»: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ «٣٩».

الزمر «٣٩»: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ «٥٢».

حمعسق [الشورى] «٤٢»: ﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ «١٢» «وقال تعالى»: ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ﴾ «٢٧».

الزخرف «٤٣»: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ «٣٢».

الذاريات «٥١»: ﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

تفسير: قال الطبرسيّ رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ قيل فيه أقوال: أحدها أنّ معناه: يعطيهم الكثير الواسع الّذي لا يدخله الحساب من كثرته.

وثانيها: أنّه لا يرزق الناس في الدنيا على مقابلة أعمالهم وإيمانهم وكفرهم، فلا يدلّ بسط الرزق على الكفّار على منزلتهم عند الله، وإن قلنا: إنّ المراد به في الآخرة فمعناه أنّ الله لا يثيب المؤمنين في الآخرة على قدر أعمالهم الّتي سلفت منهم بل يزيدهم تفضّلاً.

وثالثها: أنّه يعطيه عطاءً لا يأخذه بذلك أحد، ولا يسأله عنه سائل، ولا يطلب عليه جزاءاً ولا مكافاةً.

ورابعها: أنّه يعطيه من العدد الشيء الّذي لا يضبط بالحساب ولا يأتي عليه العدد لأنّ ما يقدر عليه غير متناه ولا محصور فهو يعطي الشيء لا من عدد أكثر منه فينقص منه كمن يعطي الألف من الألفين والعشرة من المائة.

وخامسها: أنّ معناه: يعطي أهل الجنّة ما لا يتناهى ولا يأتي عليه الحساب(١).

وقال البيضاويّ في قوله تعالى: ﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ﴾ أي أسباب رزقكم أو تقديره. وقيل: المراد بالسماء السحاب، وبالرزق المطر لأنّه سبب الأقوات، ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾ من الثواب لأنّ الجنّة فوق السماء السابعة، أو لأنّ الأعمال وثوابها مكتوبة مقدّرة في السماء، وقيل: إنّه مستأنف خبره: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾ وعلى هذا فالضمير «لما» وعلى الأوّل يحتمل أن يكون له ولما ذكر من أمر الآيات والرزق والوعيد. ﴿مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ أي مثل نطقكم كما أنّه لا شكّ لكم في أنّكم تنطقون ينبغي أن لا تشكّوا في تحقّق ذلك انتهى(٢).

وقال الوالد العلاّمة رحمه الله: يحتمل أن يكون التشبيه من حيث اتّصال النطق وفيضان

---

(١) مجمع البيان، ج ١ ص ٦٣.

(٢) تفسير البيضاوي، ج ٤ ص ١٨٨.

المعاني من المبدأ بقدر الحاجة من غير علم بموضعه ومحلّ وروده فيكون التشبيه أكمل.

١ - **ب:** ابن طريف، عن ابن علوان، عن جعفر، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: إنّ الرزق لينزل من السماء إلى الأرض على عدد قطر المطر إلى كلّ نفس بما قدّر لها، ولكن لله فضول فاسألوا الله من فضله[1].

٢ - **ن:** محمّد بن القاسم المفسّر، عن أحمد بن الحسن الحسينيّ، عن الحسن بن عليّ، عن أبيه، عن جدّه، عن الرضا، عن أبيه موسى بن جعفر عليهما السلام قال: سأل الصادق جعفر بن محمّد عليه السلام عن بعض أهل مجلسه فقيل: عليل، فقصده عائداً وجلس عند رأسه فوجده دنفاً، فقال له: أحسن ظنّك بالله، قال: أمّا ظنّي بالله فحسن، ولكن غمّي لبناتي ما أمرضني غير غمّي بهنّ، فقال الصادق عليه السلام: الّذي ترجوه لتضعيف حسناتك ومحو سيّئاتك فارجه لإصلاح حال بناتك أما علمت أنّ رسول الله ﷺ قال: لمّا جاوزت سدرة المنتهى وبلغت أغصانها وقضبانها رأيت بعض ثمار قضبانها أثداء معلّقة يقطر من بعضها اللّبن، ومن بعضها العسل، ومن بعضها الدهن، ويخرج عن بعضها شبه دقيق السميذ، وعن بعضها الثياب، وعن بعضها كالنبق فيهوي ذلك كلّه نحو الأرض، فقلت في نفسي: أين مقرّ هذه الخارجات عن هذه الأثداء؟ وذلك أنّه لم يكن معي جبرئيل لأنّي كنت جاوزت مرتبته، واختزل دوني، فناداني ربّي عزّ وجلّ في سرّي: يا محمّد هذه أنبتّها من هذا المكان الأرفع لأغذو منها بنات المؤمنين من أمّتك وبنيهم فقل لآباء البنات: لا تضيقنّ صدوركم على فاقتهنّ فإنّي كما خلقتهنّ أرزقهنّ[2].

بيان: السميذ بالذال المعجمة والمهملة الدقيق الأبيض؛ والاختزال: الانفراد والاقتطاع.

٣ - **شي:** عن إسماعيل بن كثير رفع الحديث إلى النبيّ ﷺ قال: لمّا نزلت هذه الآية: ﴿وَسْئَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ﴾[3]. قال: فقال أصحاب النبيّ ﷺ: ما هذا الفضل؟ أيكم يسأل رسول الله ﷺ عن ذلك؟ قال: فقال عليّ بن أبي طالب عليه السلام: أنا أسأله فسأله عن ذلك الفضل ما هو؟ فقال رسول الله ﷺ: إنّ الله خلق خلقه وقسّم لهم أرزاقهم من حلّها وعرض لهم بالحرام فمن انتهك حراماً نقص له من الحلال بقدر ما انتهك من الحرام وحوسب به[4].

---

(١) قرب الإسناد، ص ١١٧ ح ٤١١.

(٢) عيون اخبار الرضا عليه السلام، ج ٢ ص ٦ باب ٣٠ ح ٧. أقول: الأرزاق قسمان: الظاهرة للأبدان كالأقوات، والباطنة للأرواح كالعلوم والمعارف، ولذلك أريد من قوله تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ﴾ الطعام الظاهر والطعام الباطن، ظاهره لظاهره وباطنه لباطنه [النمازي].

(٣) سورة النساء، الآية: ٣٢.

(٤) تفسير العياشي، ج ١ ص ٢٦٥ ح ١١٦.

٤ - **نهج**: قال عليه السلام: الرزق رزقان: رزق تطلبه، ورزق يطلبك، فإن لم تأته أتاك، فلا تحمل همّ سنتك على همّ يومك، كفاك كلّ يوم ما فيه فإن تكن السنة من عمرك فإن الله تعالى جدّه سيؤتيك في كلّ غد جديد ما قسم لك، وإن لم تكن السنة من عمرك فما تصنع بالهمّ لما ليس لك ولن يسبقك إلى رزقك طالب ولن يغلبك عليه غالب ولن يبطئ عنك ما قد قدّر لك[1]؟.

٥ - **شي**: عن ابن الهذيل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الله قسّم الأرزاق بين عباده وأفضل فضلاً كبيراً لم يقسّمه بين أحد قال الله: ﴿وَسْئَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ﴾[2].

٦ - **شي**: عن إبراهيم بن أبي البلاد، عن أبيه، عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: ليس من نفس إلاّ وقد فرض الله لها رزقها حلالاً يأتيها في عافية، وعرض لها بالحرام من وجه آخر، فإن هي تناولت من الحرام شيئاً قاصّها به من الحلال الّذي فرض الله لها وعند الله سواهما فضل كبير[3].

٧ - **شي**: عن الحسين بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت له: جعلت فداك إنّهم يقولون: إنّ النوم بعد الفجر مكروه لأنّ الأرزاق تقسّم في ذلك الوقت فقال: الأرزاق موظوفة مقسومة، ولله فضل يقسّمه من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، وذلك قوله: ﴿وَسْئَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ﴾ ثمّ قال: وذكر الله بعد طلوع الفجر أبلغ في طلب الرزق من الضرب في الأرض[4].

٨ - **كا**: العدّة عن سهل، عن ابن يزيد، عن محمّد بن أسلم، عمّن ذكره، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الله وكل بالسعر ملكاً فلن يغلو من قلّة، ولا يرخص من كثرة[5].

٩ - **كا**: محمّد بن يحيى، عن محمّد بن أحمد، عن ابن معروف، عن الحجّال، عن بعض أصحابه، عن الثماليّ، عن عليّ بن الحسين عليه السلام قال: إنّ الله عزّ وجلّ وكل ملكاً بالسعر يدبّره بأمره[6].

١٠ - **كا**: العدّة، عن سهل، عن ابن يزيد، عمّن ذكره، عن ابي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الله وكل ملكاً بالأسعار يدبّرها[7].

١١ - **نهج**: وقدّر الأرزاق فكثّرها وقلّلها، وقسّمها على الضيق والسعة، فعدل فيها ليبتلي من أراد بميسورها ومعسورها، وليختبر بذلك الشكر والصبر من غنيّها وفقيرها، ثمّ قرن بسعتها عقابيل فاقتها، ويفرج أفراجها غصص أتراحها، وخلق الآجال فأطالها وقصّرها، وقدّمها وأخّرها، ووصل بالموت أسبابها، وجعله خالجاً لأشطانها، وقاطعاً لمرائر أقرانها[8].

---

(١) نهج البلاغة قصار الحكم، رقم ٣٧٩.
(٢) - (٤) تفسير العياشي، ج ١ ص ٢٦٥ ح ١١٧ و١١٨ و١١٩.
(٥) - (٧) الكافي، ج ٥ ص ٦٧٦ باب ٩٥ ح ٢ و٣ و٤.
(٨) نهج البلاغة، ص ٢٠٥ خطبة رقم ٩٠.

بيان: العقابيل بقايا المرض، واحدها عقبول، والأتراح: الغموم، والخلج: الجذب، والشطن: الحبل، والمرائر: الحبال المفتولة على أكثر من طاق، والأقران: الحبال.

١٢ - **عدة:** روي عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾[1] قال: هو قول الرجل: لولا فلان لهلكت، ولولا فلان لما أصبت كذا وكذا، ولولا فلان لضاع عيالي؛ ألا ترى أنّه قد جعل لله شريكاً في ملكه يرزقه ويدفع عنه؟ قلت: فنقول: لولا أنّ الله منّ عليّ بفلان لهلكت، قال: نعم لا بأس بهذا ونحوه[2].

١٣ - **كا:** محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، وعدّة من أصحابنا؛ عن سهل بن زياد عن ابن محبوب، عن أبي حمزة الثماليّ، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله في حجّة الوداع: ألا إنّ الروح الأمين نفث في روعي أنّه لا تموت نفس حتّى تستكمل رزقها فاتّقوا الله وأجملوا في الطلب، ولا يحملنّكم استبطاء شيء من الرزق أن تطلبوه بشيء من معصية الله، فإن الله تعالى قسّم الأرزاق بين خلقه حلالاً، ولم يقسّمها حراماً فمن اتّقى الله وصبر أتاه رزقه من حلّه، ومن هتك حجاب ستر الله عزّ وجلّ وأخذه من غير حلّه قصّ به من رزقه الحلال وحوسب عليه[3].

بيان: أقول: سيأتي أكثر الآيات والأخبار المتعلّقة بهذا الباب في كتاب المكاسب والنفث: النفخ، والروع بالضمّ: العقل والقلب، والإجمال في الطلب: ترك المبالغة فيه، أي اتّقوا الله في هذا الكدّ الفاحش، أو المعنى أنكم إذا اتّقيتم الله لا تحتاجون إلى هذا الكدّ والتعب لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾[4]وهتك الستر: تمزيقه وخرقه.

ثمّ الظاهر من هذا الخبر وغيره من الأخبار أنّ الله تعالى قدّر في الصحف السماويّة لكلّ بشر رزقاً حلالاً بقدر ما يكفيه بحيث إذا لم يرتكب الحرام وطلب من الحلال سبّب له ذلك ويسّره له، وإذا ارتكب الحرام فبقدر ذلك يمنع ممّا قدّر له.

قال الشيخ البهائيّ قدّس الله روحه في شرح هذا الحديث: الرزق عند الاشاعرة كلّ ما انتفع به حيّ، سواء كان بالتغذّي أو بغيره، مباحاً كان أو لا، وخصّه بعضهم بما تربّى به الحيوان من الأغذية والأشربة، وعند المعتزلة هو كلّ ما صحّ انتفاع الحيوان به بالتغذّي أو غيره، وليس لأحد منعه منه فليس الحرام رزقاً عندهم، وقال الأشاعرة في الردّ عليهم: لو لم يكن الحرام رزقاً لم يكن المغتذي طول عمره بالحرام مرزوقاً، وليس كذلك لقوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾[5] وفيه نظر فإنّ الرزق عند المعتزلة أعمّ من الغذاء

(١) سورة يوسف، الآية: ١٠٦.
(٢) عدة الداعي، ص ٩٩.
(٣) الكافي، ج ٥ ص ٦٣٢ باب ٣٩ ح ١.
(٤) سورة الطلاق، الآيتان: ٢-٣.
(٥) سورة هود، الآية: ٦.

وهم لم يشترطوا الانتفاع بالفعل، فالمغتذي طول عمره بالحرام إنّما يردّ عليهم لو لم ينتفع مدّة عمره بشيء انتفاعاً محلّلاً، ولو بشرب الماء والتنفّس في الهواء، بل ولا تمكّن من الانتفاع بذلك أصلاً، وظاهر أنَّ هذا ممّا لا يوجد، وأيضاً فلهم أن يقولوا: لو مات حيوان قبل أن يتناول شيئاً محلّلاً ولا محرّماً يلزم أن يكون غير مرزوق، فما هو جوابكم فهو جوابنا؛ هذا، ولا يخفى أنّ الأحاديث المنقولة في هذا الباب متخالفة، والمعتزلة تمسّكوا بهذا الحديث، وهو صريح في مدّعاهم غير قابل لتأويل، والأشاعرة تمسّكوا بما رووه عن صفوان ابن أميّة قال: كنّا عند رسول الله ﷺ إذ جاء عمر بن قرّة فقال: يارسول الله إنّ الله كتب عليّ الشقوة فلا أراني أرزق إلاّ من دفّي بكفّي، فاذن في الغناء من غير فاحشة؛ فقال ﷺ: لا آذن لك ولا كرامة ولا نعمة أي عدوّ الله لقد رزقك الله طيّباً فاخترت ما حرّم عليك من رزقه مكان ما أحلّ الله لك من حلاله، أما إنّك لو قلت بعد هذه المقالة ضربتك ضرباً وجيعاً. والمعتزلة يطعنون في سند هذا الحديث تارةً ويؤوّلونه على تقدير سلامته أخرى بأنّ سياق الكلام يقتضي أن يقال: فاخترت ما حرّم الله عليك من حرامه مكان ما أحلّ الله لك من حلاله، وإنّما قال ﷺ: من رزقه مكان من حرامه، فأطلق على الحرام اسم الرزق بمشاكلة قوله: فلا أراني أرزق، وقوله ﷺ: لقد رزقك الله، وتمسّك المعتزلة أيضاً بقوله تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ قال الشيخ في التبيان ما حاصله: إنّ هذه الآية تدلّ على أنّ الحرام ليس رزقاً لأنّه سبحانه مدحهم بالإنفاق من الرزق، والإنفاق من الحرام لا يوجب المدح، وقد يقال: إنّ تقديم الظرف يفيد الحصر وهو يقتضي كون المال المنفق على ضربين: ما رزقه الله، وما لم يرزقه وإنّ المدح إنّما هو على الإنفاق ممّا رزقهم وهو الحلال، لا ممّا سوّلت لهم أنفسهم من الحرام ولو كان كلّ ما ينفقونه رزقاً من الله سبحانه لم يستقم الحصر فتأمّل. انتهى كلامه رفع الله مقامه[١].

أقول: إن كان المراد بقولهم: رزقهم الله الحرام أنّه خلقه ومكّنهم من التصرّف فيه فلا نزاع في أنّ الله رزقهم بهذا المعنى، وإن كان المعنى أنّه المؤثّر في أفعالهم وتصرفاتهم في الحرام فهذا إنّما يستقيم على أصلهم الّذي ثبت بطلانه، وإن كان الرزق بمعنى التمكين وعدم المنع من التصرف فيه بوجه فظاهر أنَّ الحرام ليس برزق بهذا المعنى على مذهب من المذاهب، وإن كان المعنى أنّه قدّر تصرّفهم فيه بأحد المعاني الّتي مضت في القضاء والقدر، أو خذلهم ولم يصرفهم جبراً عن ذلك فبهذا المعنى يصدق أنّه رزقهم الحرام؛ وأمّا ظواهر الآيات والأخبار الواردة في ذلك فلا يريب عاقل في أنّها منصرفة إلى الحلال، كما أومأنا إلى معناه سابقاً.

وأمّا الأسعار فقد ذهبت الأشاعرة إلى أنّه ليس المسعّر إلاّ الله تعالى، بناءً على أصلهم من

---

(١) تفسير التبيان، ج ١ ص ٧٥.

أنّ لا مؤثّر في الوجود إلاّ الله[(١)] . وأمّا الاماميّة والمعتزلة فقد ذهبوا إلى أنّ الغلاء والرخص قد يكونان بأسباب راجعة إلى الله، وقد يكونان بأسباب ترجع إلى اختيار العباد؛ وأما الأخبار الدالة على أنّهما من الله فالمعنى أنّ أكثر أسبابهما راجعة إلى قدرة الله، أو أنّ الله تعالى لمّا لم يصرف العباد عمّا يختارونه من ذلك مع ما يحدث في نفوسهم من كثرة رغباتهم، أو غناهم بحسب المصالح فكأنّهما وقعا بإرادته تعالى، كما مرّ القول فيما وقع من الآيات والأخبار الدالّة على أنّ أفعال العباد بإرادة الله تعالى ومشيّته، وهدايته وإضلاله، وتوفيقه وخذلانه؛ ويمكن حمل بعض تلك الأخبار على المنع من التسعير والنهي عنه؛ بل يلزم الوالي أن لا يجبر الناس على السعر ويتركهم واختيارهم، فيجري السعر على ما يريد الله تعالى.

قال العلاّمة رَحِمَهُ اللهُ في شرحه على التجريد: السعر هو تقدير العوض الّذي يباع به الشيء، وليس هو الثمن ولا المثمن، وهو ينقسم إلى رخص وغلاء، فالرخص هو السعر المنحطّ عمّا جرت به العادة مع اتّحاد الوقت والمكان، والغلاء زيادة السعر عمّا جرت به العادة مع اتّحاد الوقت والمكان، وإنّما اعتبرنا الزمان والمكان لأنّه لا يقال: إنّ الثلج قد رخص سعره في الشتاء عند نزوله لأنّه ليس أوان سعره، ويجوز أن يقال: رخص في الصيف إذا نقص سعره عمّا جرت عادته في ذلك الوقت، ولا يقال: رخص سعره في الجبال الّتي يدوم نزوله فيها لأنّها ليست مكان بيعه، ويجوز أن يقال: رخص سعره في البلاد الّتي اعتيد بيعه فيها، واعلم أنّ كلّ واحد من الرخص والغلاء قد يكون من قبله تعالى بأن يقلّل جنس المتاع المعيّن، ويكثر رغبة الناس إليه فيحصل الغلاء لمصلحة المكلّفين، وقد يكثر جنس ذلك المتاع ويقلّل رغبة الناس إليه تفضّلاً منه وإنعاماً، أو لمصلحة دينيّة فيحصل الرخص، وقد يحصلان من قبلنا بأن يحمل السلطان الناس على بيع جميع تلك السلعة بسعر غالٍ ظلماً منه أو لاحتكار الناس، أو لمنع الطريق خوف الظلمة، أو لغير ذلك من الأسباب المستند إلينا فيحصل الغلاء، وقد يحمل السلطان الناس على بيع السلعة برخص ظلماً منه، أو يحملهم على بيع ما في أيديهم من جنس ذلك المتاع فيحصل الرخص[(٢)] .

٦ - باب السعادة والشقاوة والخير والشرّ وخالقهما ومقدرهما

الآيات: هود «١١»: ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ

---

(١) وقال العلامة المرعشي في إحقاق الحق ج١ ص٢٢٨: وبالي أنّ أوّل من تفوّه بذلك هو الشيخ أبو الحسن الأشعريّ قدوة الأشاعرة وتبعه المتأخرّون والصوفية من العامّة، ثمّ سرت إلى صوفية الشيعة حتّى الآن، وما دروا أنّها كلمة مسمومة من قلب مريض يسند أفعال العباد إليه تعالى وهذا لا يلائم مبنى الإماميّة وما ورثوها من الأئمّة الطاهرين. أقول: هذا يستلزم الجبر، بل واضح أنّ في الخلق مؤثّرات ومتأثّرات، وكلّ ذلك مؤثرات ومتأثرات بالله لا مع الله ولا من دون الله. [مستدرك السفينة ج ١ لغة «اثر»].

(٢) كشف المراد، ص ٣٢١.

﴿١٠٦﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ «١٠٥ - ١٠٨».

المؤمنون «٢٣»: ﴿أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٠٦﴾﴾.

الزمر «٣٩»: ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ «٧١».

التغابن «٦٤»: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ «٢».

تفسير: قال البيضاويّ: «فمنهم شقي» وجبت له النار بمقتضى الوعيد «وسعيد» وجبت له الجنّة بموجب الوعد[(١)].

وقال الطبرسيّ رَحِمَهُ اللهُ: ﴿غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ أي شقاوتنا وهي المضرَّة اللاّحقة في العاقبة، والسعادة: المنفعة اللاّحقة في العاقبة، والمعنى: استعلت علينا سيّئاتنا الّتي أوجبت لنا الشقاوة[(٢)].

وقال الزمخشريُّ: قالوا: بلى أتونا وتلوا علينا، ولكن وجبت علينا كلمة الله بسوء أعمالنا كما قالوا: ﴿غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ فذكروا عملهم الموجب لكلمة العذاب وهو الكفر والضلال[(٣)].

١ - **لي:** أبي، عن عليّ، عن أبيه، عن صفوان ين يحيى، عن الكنانيّ، عن الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: الشقيّ من شقي في بطن أمّه. الخبر[(٤)].

٢ - **ب:** محمّد بن عيسى، عن القدّاح، عن جعفر بن محمّد، عن أبيه عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: خرج رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قابضاً على شيئين في يده، ففتح يده اليمنى ثمّ قال: بسم الله الرحمن الرحيم، كتاب من الرحمن الرحيم في أهل الجنّة بأعدادهم وأحسابهم وأنسابهم مجمل عليهم، لا ينقص منهم أحد، ولا يزاد فيهم أحد. ثمّ فتح يده اليسرى فقال: بسم الله الرحمن الرحيم كتاب من الرحمن الرحيم في أهل النار بأعدادهم وأحسابهم وأنسابهم مجمل عليهم إلى يوم القيامة لا ينقص منهم أحد، ولا يزاد فيهم أحد، وقد يسلك بالسعداء طريق الأشقياء حتّى يقال: هم منهم، هم هم، ما أشبههم بهم! ثمَّ يدرك أحدهم سعادته قبل موته ولو بفواق ناقة، وقد يسلك بالأشقياء طريق أهل السعادة حتّى يقال: هم منهم، هم هم، ما أشبههم بهم، ثمَّ يدرك أحدهم شقاه ولو قبل موته ولو بفواق ناقة، فقال النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: العمل بخواتيمه، العمل بخواتيمه، العمل بخواتيمه[(٥)].

---

(١) تفسير البيضاوي، ج ٢ ص ٢٨٥.
(٢) مجمع البيان، ج ٧ ص ٢١٢.
(٣) تفسير الكشاف، ج ١ ص ٣٥٧.
(٤) أمالي الصدوق، ص ٣٩٥ مجلس ٧٤ ح ١.
(٥) قرب الإسناد، ص ٢٤ ح ٨١.

بيان: قال الجزريّ: في حديث القدر: كتاب فيه أسماء أهل الجنّة وأهل النار أجمل على آخرهم، تقول: أجملت الحساب: إذا جمعت آحاده وكمّلت أفراده، أي أحصوا فلا يزاد فيهم ولا ينقص. وقال الفيروزآباديّ: الفواق كغراب: ما بين الحلبتين من الوقت، ويفتح، أو ما بين فتح يدك وقبضها على الضرع.

٣ - **ب:** ابن عيسى، عن البزنطيّ قال: سألت الرضا عليه السلام أن يدعو الله لامرأة من أهلنا بها حمل. فقال: قال أبو جعفر عليه السلام: الدعاء ما لم يمض أربعة أشهر؛ فقلت له: إنّما لها أقلّ من هذا فدعا لها، ثمّ قال: إنّ النطفة تكون في الرحم ثلاثين يوماً، وتكون علقة ثلاثين يوماً، وتكون مضغة ثلاثين يوماً، وتكون مخلّقة وغير مخلّقة ثلاثين يوماً، وإذا تمّت الأربعة أشهر بعث الله تبارك وتعالى إليها ملكين خلاّقين يصوّرانه، ويكتبان رزقه وأجله شقيّاً أو سعيداً[1].

بيان: قال البيضاويّ في قوله تعالى: ﴿مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾: مسوّاة لا نقص فيها ولا عيب وغير مسوّاة؛ أو تامّة وساقطة؛ أو مصوَّرة وغير مصوَّرة انتهى[2].

أقول: لعلّ المراد بالخبر أنّ في ثلاثين يوماً بعد المضغة إمّا أن يبتدأ في تصويره بخلق عظامه، أو يسقط، أو إمّا أن يسوّى بحيث لا يكون فيه عيب، أو يجعل حيث يكون فيه عيب. ثمّ اعلم أنّ هذا الخبر يمكن أن يكون تفسيراً لقوله صلى الله عليه وآله: الشقيّ من شقي في بطن أُمّه؛ أي يكتب شقاوته، وما يؤول إليه أمره عليه في ذلك الوقت.

٤ - **ب:** بالإسناد قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: جفّ القلم بحقيقة الكتاب من الله بالسعادة لمن آمن واتّقى، والشقاوة من الله تبارك وتعالى لمن كذّب وعصى[3].

٥ - **ل:** ماجيلويه، عن عمّه، عن البرقيّ، عن أبيه، عن وهب بن وهب، عن جعفر ابن محمّد، عن أبيه، عن آبائه، عن عليّ عليهم السلام أنّه قال: حقيقة السعادة أن يختم الرجل عمله بالسعادة، وحقيقة الشقاء أن يختم المرء عمله بالشقاء[4].

٦ - **ع:** المظفّر العلويّ، عن جعفر بن محمّد بن مسعود، عن أبيه، عن عليّ بن الحسن، عن محمّد بن عبد الله بن زرارة، عن عليّ بن عبد الله، عن أبيه، عن جدّه، عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه قال: تعتلج النطفتان في الرحم فأيّتهما كانت أكثر جاءت تشبهها، فإن كانت

---

(١) قرب الإسناد، ص ٣٥٢ ح ١٢٦٢. (٢) تفسير البيضاوي، ج ٣ ص ١٣٣.

(٣) قرب الإسناد، ص ٣٥٥ ح ١٢٧٠. **أقول:** يستفاد منه أنّه حقّ القول والقضاء من الله أنّ المؤمن والمتّقي يسعد بدخول الجنّة، كما أنّ من كذّب و عصى يشقى بالعذاب، فإنّ العذاب على من كذّب وتولّى. [النمازي].

(٤) الخصال ص ٥ باب الواحد ح ١٤.

نطفة المرأة أكثر جاءت تشبه أخواله، وإن كانت نطفة الرجل أكثر جاءت تشبه أعمامه.
وقال: تحوّل النطفة في الرحم أربعين يوماً فمن أراد أن يدعو الله عزّ وجلّ ففي تلك الأربعين قبل أن تخلق، ثمّ يبعث الله عزّ وجلّ ملك الأرحام فيأخذها فيصعد بها إلى الله عزّ وجلّ فيقف منه ما شاء الله، فيقول: يا إلهي أذكر أم أنثى؟ فيوحي الله عزّ وجلّ من ذلك ما يشاء ويكتب الملك، ثمّ يقول: إلهي أشقيّ أم سعيد؟ فيوحي الله عزّ وجلّ من ذلك ما يشاء ويكتب الملك، فيقول: اللّهم كم رزقه وما أجله؟ ثمّ يكتبه ويكتب كلّ شيء يصيبه في الدنيا بين عينيه، ثمّ يرجع به فيردّه في الرحم؛ فذلك قول الله عزّ وجلّ ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾(1) (2).

٧ - ن: المفسّر بإسناده إلى أبي محمّد عليه السلام قال: قال الرضا عليه السلام: قيل لرسول الله صلى الله عليه وآله: يا رسول الله هلك فلان، يعمل من الذنوب كيت وكيت، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: بل قد نجا ولا يختم الله تعالى عمله إلاّ بالحسنى، وسيمحو الله عنه السيّئات، ويبدّلها له حسنات إنّه كان مرّة يمر في طريق عرض له مؤمن قد انكشف عورته وهو لا يشعر فسترها عليه ولم يخبره بها مخافة أن يخجل، ثمّ إنّ ذلك المؤمن عرفه في مهواه فقال له: أجزل الله لك الثواب، وأكرم لك المآب، ولا ناقشك الحساب فاستجاب الله له فيه، فهذا العبد لا يختم له إلاّ بخير بدعاء ذلك المؤمن، فاتّصل قول رسول الله صلى الله عليه وآله بهذا الرجل فتاب وأناب وأقبل إلى طاعة الله عزّ وجلّ فلم يأت عليه سبعة أيّام حتّى أغير على سرح المدينة فوجّه رسول الله صلى الله عليه وآله في أثرهم جماعة ذلك الرجل أحدهم فاستشهد فيهم(3).

٨ - يد: الدقّاق، عن الكلينيّ، عن عليّ بن محمّد، رفعه، عن شعيب العقرقوفيّ عن أبي بصير قال: كنت بين يدي أبي عبد الله عليه السلام جالساً وقد سأله سائل فقال: جعلت فداك يا بن رسول الله من أين لحق الشقاء أهل المعصية حتّى حكم لهم في علمه بالعذاب على عملهم؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام: أيّها السائل علم الله عزّ وجلّ أن لا يقوم أحد من خلقه بحقّه فلمّا علم بذلك وهب لأهل محبّته القوّة على(4) معصيتهم لسبق علمه فيهم، ولم يمنعهم إطاقة القبول منه لأنّ علمه أولى بحقيقة التصديق فوافقوا ما سبق لهم في علمه، وإن قدروا أن يأتوا خلالاً ينجيهم عن معصيته وهو معنى شاء ما شاء وهو سرّ(5).

---

(1) سورة الحديد، الآية: ٢٢. (2) علل الشرائع، ج ١ ص ١١٨ باب ٨٥ ح ٤.
(3) عيون اخبار الرضا عليه السلام، ج ٢ ص ١٨٠ باب ٤١ ح ١.
(4) هنا سقط والظاهر أنه من النسخة الغير واضحة التي نقل عنها المجلسي رضوان الله عليه وكما في المصدر: القوة على معرفته ووضع عنهم ثقل العمل بحقيقة ما هم أهله ووهب لأهل المعصية القوة على
(5) التوحيد، ص ٣٥٤ باب ٥٨.

بيان: هذا الخبر مأخوذ من الكافي، وفيه تغييرات عجيبة تورث سوء الظنّ بالصدوق[(١)] وأنّه إنّما فعل ذلك ليوافق مذهب أهل العدل، وفي الكافي هكذا: أيّها السائل حكم الله عزّ وجلّ لا يقوم أحد من خلقه بحقّه فلمّا حكم بذلك وهب لأهل محبّته القوة على معرفته، ووضع عنهم ثقل العمل بحقيقة ما هم أهله، ووهب لأهل المعصية القوّة على معصيتهم لسبق علمه فيهم، ومنعهم إطاقة القبول منه فوافقوا ما سبق لهم في علمه، ولم يقدروا أن يأتوا حالاً تنجيهم من عذابه لأنّ علمه أولى بحقيقة التصديق وهو معنى شاء ما شاء وهو سرّه.

قوله عليه السلام: لا يقوم أحد أي تكاليفه تعالى شاقّة لا يتيسّر الإتيان بها إلاّ بهدايته تعالى؛ أو كيفيّة حكم الله وقضائه في غاية الغموض، لا تصل إليها عقول أكثر الخلق.

قوله عليه السلام: ومنعهم إطاقة القبول قيل: هو مصدر مضاف إلى الفاعل أي منعوا أنفسهم إطاقة القبول، والظاهر أنّه على صيغة الماضي أي منع الله منهم غاية الوسع والطاقة بالألطاف والهدايات الّتي يستحقّها أهل الطاعة بنيّاتهم الحسنة لا أنّه سلبهم القدرة على الفعل والله يعلم.

٩ - **يد:** ابن الوليد، عن الصفّار، عن ابن أبي الخطّاب، عن ابن أسباط، عن البطائنيّ، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ قال: بأعمالهم شقوا[(٢)].

١٠ - **يد:** محمّد بن أحمد العلويّ، عن ابن قتيبة، عن الفضل، عن ابن أبي عمير قال: سألت أبا الحسن موسى بن جعفر عليه السلام عن معنى قول رسول الله صلى الله عليه وآله: الشقيّ من شقي في بطن أمّه والسعيد من سعد في بطن أمّه؛ فقال: الشقيّ من علم الله وهو في بطن أمّه أنّه سيعمل أعمال الأشقياء، والسعيد من علم الله وهو في بطن أمّه أنّه سيعمل أعمال السعداء[(٣)]. قلت

---

(١) قد ذكرنا سابقاً السقط الواضح عند النقل والإتهام بسوء الظن لا يجوز إلحاقه بالصدوق رضوان الله عليه وهو أجل من ذلك.

(٢) التوحيد، ص ٣٥٦ باب ٥٨ ح ٢. أقول: يظهر من هذه الرواية أنّ الأعمال سبب للشقاوة فبحسن اختياره أعمال الخير سعد وبسوء اختياره للشرّ شقي. [النمازي].

(٣) اعلم أنّ اختلاف السعيد والشقي. وبعبارة أخرى الطيب والخبيث. بالعرض لا بالذات، فإنّ أصل الأشياء الماء، كما في الروايات. ويظهر من أخبار الطينة والميثاق وأخبار عرض الولاية وأخبار بدء الخلق أنّه عرض الولاية على الماء، فما قبل صار عذبا فراتاً، وما لم يقبل صار ملحاً أجاجاً. فالأصل الماء والاختلاف بالعرض. وصرّح الرضا عليه السلام في رواية عمران الصابي أنّه خلق خلقاً مختلفاً بأعراض وحدود مختلفة؛ الخ، وله تعالى البداء في ذلك كلّه بأن يمحوه من الأشقياء ويكتبه في السعداء ويكون عاقبة الذين أساؤوا السوأى أن كذبوا بآيات الله فيدخلوا في الأشقياء. نعوذ بالله من سوء العاقبة. وفي الروايات المستفيضة الواردة في بيان خلقة الإنسان في الرحم أنّه إذا تمّت الأربعة أشهر، بعث الله عزّ وجلّ ملكين خلاقين فيقولان: يا ربّ، ما تخلق؟ قال: فيوحي الله تعالى ما يريد من ذلك ذكراً أو أنثى، مؤمناً أو كافراً، أسود أو أبيض، شقياً أو سعيداً، وأحواله وما يصيبه من صحّة أو عافية أو بلاء=

له: فما معنى قوله ﷺ: اعملوا فكلٌّ ميسّر لما خلق له؟ فقال: إن الله عزّوجلّ خلق الجنّ والإنس ليعبدوه ولم يخلقهم ليعصوه، وذلك قوله عزّوجلّ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾(١) فيسّر كلّاً لما خلق له، فالويل لمن استحبّ العمى على الهدى(٢).

١١ - **يد:** ابن الوليد، عن الصفّار، عن ابن يزيد، عن صفوان، عن ابن حازم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الله عزّوجلّ خلق السعادة والشقاوة قبل أن يخلق خلقه فمن علمه الله سعيداً لم يبغضه أبداً، وإن عمل شرّاً أبغض عمله ولم يبغضه، وإن علمه شقيّاً لم يحبّه أبداً، وإن عمل صالحاً أحبّ عمله وأبغضه لما يصير إليه، فإذا أحب الله شيئاً لم يبغضه أبداً، وإذا أبغض شيئاً لم يحبّه أبداً(٣).

سن: أبي، عن صفوان مثله. «ج ١ باب ٤٠ ح ٤٠٥»

بيان: خلق السعادة والشقاوة أيّ قدّرهما بتقدير التكاليف الموجبة لهما. قوله عليه السلام: فمن علمه الله سعيداً في الكافي: فمن خلقه الله أيّ قدّره بأن علمه كذلك، وأثبت حاله في اللّوح أو خلقه حال كونه عالماً بأنه سعيدٌ.

١٢ - **يد:** ابن الوليد، عن الصفّار وسعد معاً، عن أيّوب بن نوح، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزّوجلّ: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾(٤) قال: يحول بينه وبين أن يعلم أنّ الباطل حقّ وقد قيل: إنّ الله تعالى يحول بين المرء وقلبه بالموت، وقال أبو عبد الله عليه السلام: إنّ الله ينقل العبد من الشقاء إلى السعادة، ولا ينقله من السعادة إلى الشقاء(٥).

= ومرض وأجله والميثاق الذي أخذه منه في عالم الذرّ، ويكتبانه بين عينيه، ويقول الله تعالى لهما: اشترطا لي البداء في ذلك كلّه. ويعرف ذلك كلّه المتوسمّون وهم الأئمة عليهم السلام، فإذا نظروا إلى كلّ أحد يرون ما قدّر له ويعلمون ذلك. فممّا ذكرنا ظهر معنى هذا الخبر فيحمل على ظاهره مع ثبوت البداء له تعالى، فلا إشكال فيه على أساس المعارف الإلهية، ولا يحتاج إلى التأويل والقول بأن المراد من بطن الأم بطن الأرض حين يدخل في قبره، فإنّ الأرض أمّه يعني أصله الذي خلق منها، كما قال تعالى: ﴿أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ﴾ وقوله: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ إلى غير ذلك من الآيات. ويمكن أن يكون المراد بالسعادة الراحة والنعمة والصحة وسائر نعمات الدنيا ويقابله الشقاوة يعني الضيق والزحمة والضنك والمحنة والمرض والآفات الدنيوية، كما استعمل في القرآن في سورة طه خطاباً منه تعالى لآدم وحواء بقوله: ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ﴾ وقوله: ﴿طه ۝ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ ۝﴾ ويشهد على ذلك الأخبار المبينة لما يكون من السعادة والشقاوة. وبالجملة ترتفع الشقاوة بالدعاء لقوله تعالى حكاية عن زكريا: ﴿وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾. [مستدرك السفينة ج ٥ لغة «سعد»].

(١) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.
(٢) - (٣) التوحيد، ص ٣٥٦ و٣٥٧ ح ٣ و٥.
(٤) سورة الأنفال، الآية: ٢٤.
(٥) التوحيد، ص ٣٥٨ باب ٥٨ ح ٦.

١٣ - **ير**: إبراهيم بن هاشم، عن الحسين بن سيف، عن أبيه، عن أبي القاسم، عن محمّد ابن عبد الله قال: سمعت جعفر بن محمّد يقول: خطب رسول الله ﷺ الناس ثمَّ رفع يده اليمنى قابضاً على كفّه فقال: أتدرون ما في كفّي؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، فقال: فيها أسماء أهل الجنّة، وأسماء آبائهم وقبائلهم إلى يوم القيامة؛ ثمَّ رفع يده اليسرى فقال: أيّها النّاس أتدرون ما في يدي؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. فقال: أسماء أهل النار، وأسماء آبائهم، وقبائلهم إلى يوم القيامة؛ ثمَّ قال: حكم الله وعدل، وحكم الله وعدل، فريق في الجنّة وفريق في السعير(١).

١٤ - **سن**: أبي، عن النضر، عن الحلبيّ، عن ابن مسكان، عن ابن حازم قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أيحبّ الله العبد ثمَّ يبغضه؟ أو يبغضه ثمَّ يحبه؟ فقال: ما تزال تأتيني بشيء! فقلت: هذا ديني وبه أخاصم الناس، فإن نهيتني عنه تركته. ثمَّ قلت له: هل أبغض الله محمّداً ﷺ على حال من الحالات؟ فقال: لو أبغضه على حال من الحالات لما ألطف له حتّى أخرجه من حال إلى حال فجعله نبيّاً؛ فقلت: ألم تجبني منذ سنين عن الشقاوة والسعادة أنّهما كانا قبل أن يخلق الله الخلق؟! قال: بلى وأنا الساعة أقوله؛ قلت: فأخبرني عن السعيد هل أبغضه الله على حال من الحالات؟ فقال: لو أبغضه على حال من الحالات لما ألطف له حتّى يخرجه من حال إلى حال فيجعله سعيداً؛ قلت: فأخبرني عن الشقيّ هل أحبّه الله على حال من الحالات؟ فقال: لو أحبّه على حال من الحالات ما تركه شقيّاً ولا ستنقذه من الشقاء إلى السعادة، قلت: فهل يبغض الله العبد ثمَّ يحبّه أو يحبّه ثمَّ يبغضه؟ فقال: لا(٢).

١٥ - **سن**: النضر، عن يحيى الحلبيّ، عن معلّى أبي عثمان، عن عليّ بن حنظلة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: اختصم رجلان بالمدينة: قدريّ ورجل من أهل مكّة فجعلا أبا عبد الله عليه السلام بينهما فأتياه فذكرا كلامهما فقال: إن شئتما أخبرتكما بقول رسول الله ﷺ؟ فقالا: قد شئنا، فقال: قام رسول الله ﷺ فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثمَّ قال: كتاب كتبه الله بيمينه - وكلتا يديه يمين - فيه أسماء أهل الجنّة بأسمائهم وأسماء آبائهم وعشائرهم ويجمل عليهم، لا يزيد فيهم رجلاً ولا ينقص منهم رجلاً، وقد يسلك بالسعيد في طريق الأشقياء حتّى يقول الناس: كان منهم، ما أشبهه بهم! بل هو منهم، ثمَّ تداركه السعادة؛ وقد يسلك بالشقيّ طريق السعداء حتّى يقول الناس: ما أشبهه بهم! بل هو منهم، ثمَّ يتداركه الشقاء، من كتبه الله سعيداً ولو لم يبق من الدنيا إلاّ فواق ناقة ختم الله له بالسعادة(٣).

يد: أبي، عن سعد، عن البرقيّ، عن أبيه، عن النضر، عن الحلبيّ، عن معلّى أبي عثمان، عن ابن حنظلة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: يسلك بالسعيد طريق الأشقياء إلى آخر الخبر(٤).

---

(١) بصائر الدرجات، ص ١٩٠ ج ٤ باب ٥ ح ٤. (٢) - (٣) المحاسن، ص ٢٧٩-٢٨٠.
(٤) التوحيد، ص ٣٥٧ باب ٥٨ ح ٤.

١٦ - سن: ابن فضّال، عن مثنّى الحنّاط، عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام قال: إنّ الله خلق قوماً لحبّنا، وخلق قوماً لبغضنا، فلو أنّ الّذين خلقهم لحبّنا خرجوا من هذا الأمر إلى غيره لأعادهم إليه وإن رغمت آنافهم، وخلق قوماً لبغضنا فلا يحبّوننا أبداً[1].

١٧ - سن: الوشّاء، عن مثنّى، عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّ الله خلق خلقه، فخلق خلقاً لحبّنا لو أنّ أحداً خرج من هذا الرأي لردّه الله إليه، وإن رغم أنفه، وخلق قوماً لبغضنا فلا يحبّوننا أبداً[2].

١٨ - سن: ابن محبوب، وعليُّ بن الحكم، عن معاوية بن وهب، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّ ممّا أوحى الله إلى موسى وأنزل في التوراة: إنّي أنا الله لا إله إلاّ أنا، خلقت الخلق وخلقت الخير وأجريته على يديْ من أحبُّ، فطوبى لمن أجريته على يديه، وأنا الله لا إله إلاّ أنا خلقت الخلق وخلقت الشرّ وأجريته على يديْ من أُريد فويل لمن أجريته على يديه[3].

١٩ - سن: أبي، عن ابن أبي عمير، عن محمّد بن حكيم، عن محمّد بن مسلم قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: إنّ في بعض ما أنزل الله في كتبه: إنّي أنا الله لا إله إلاّ أنا، خلقت الخير وخلقت الشرّ فطوبى لمن أجريت على يديه الخير، وويل لمن أجريت على يديه الشرّ، وويل لمن قال: كيف ذا؟. وكيف ذا[4]؟

٢٠ - سن: محمّد بن سنان، عن حسين بن أبي عبيد، وعمرو الأفرق الخيّاط، وعبدالله ابن مسكان كلّهم، عن أبي عبيدة الحذّاء، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ الله يقول: أنا الله لا إله إلاّ أنا، خالق الخير والشرّ، وهما خلقان من خلقي، فطوبى لمن قدّرت له الخير، وويل لمن قدّرت له الشرّ، وويل لمن قال: كيف ذا[5]؟.

٢١ - سن: الحسن بن عليّ، عن داود بن سليمان الجمّال قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام وذكر عنده القدر وكلام الاستطاعة - فقال: هذا كلام خبيث، أنا على دين آبائي، لا أرجع عنه، القدر حلوه ومرّه من الله، والخير والشرّ كلّه من الله[6].

٢٢ - سن: أبوشعيب المحاملي، عن أبي سليمان الحمّار، عن أبي بصير قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن شيء من الاستطاعة فقال: يا أبا محمّد الخير والشرّ حلوه ومرّه وصغيره وكثيره من الله[7].

بيان: المراد بخلق الخير والشرّ إمّا تقديرهما كما مرّ، أو المراد خلق الآلات والأسباب الّتي بها يتيسّر فعل الخير وفعل الشرّ كما أنّه تعالى خلق الخمر، وخلق في الناس القدرة على

(١) - (٢) المحاسن، ص ٢٨٠. (٣) - (٦) المحاسن، ص ٢٨٣ - ٢٨٤.
(٧) المحاسن، ص ٢٨٤ وفيه: وكبيره من الله.

شربها، أو كناية عن أنّهما إنّما يحصلان بتوفيقه وخذلانه فكأنّه خلقهما؛ أو المراد بالخير والشرّ النعم والبلايا؛ أو المراد بخلقهما خلق من يعلم أنّه يكون باختياره مختاراً للخير، ومختاراً للشرّ، والله يعلم.

٢٣ - **سن:** البزنطيّ، عن حمّاد بن عثمان، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من زعم أنّ الله يأمر بالفحشاء فقد كذب على الله، ومن زعم أن الخير والشرّ إليه فقد كذب على الله(١).

شي: عن أبي بصير مثله(٢).

٧ - باب الهداية والاضلال والتوفيق والخذلان(٣)

الآيات: الفاتحة «١»: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾.

البقرة «٢»: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٦ خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝٧﴾ «وقال تعالى»: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ «٢٦» «وقال تعالى»: ﴿فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝٢١٣ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ۝٢١٤﴾ «وقال تعالى»: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ «٢٥٧» «وقال»: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ «٢٥٨» «وقال»: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ «٢٦٤».

آل عمران: ﴿قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَى اللَّهِ﴾ «٧٣» «وقال تعالى»: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ «٨٦».

النساء «٤»: ﴿وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ «٦٨».

المائدة: ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾ «٤١» «وقال تعالى»: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾ «٤٩» «وقال تعالى»: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ «٥٤» «وقال تعالى»: ﴿إِنَّ

---

(١) المحاسن، ص ٢٨٤. (٢) تفسير العياشي، ج ٢ ص ١٦ ح ١٦ من سورة الأعراف.

(٣) أقول: إعانته تعالى ونصره وتوفيقه والقاء الملك في أذن قلب العبد اليمنى كنداء المنادي رجلاً يا رجلا تعال مثلاً، فإذا ناداه يقول: نعم، وإن لم يناده لم يجب مع أنّه يقدر على أن يقول: نعم من دون نداء، فافهم واغتنم وهذا مثل التوفيق. وقال في المجمع: التوفيق من الله توجيه الأسباب نحو مطلوب الخير. واستوفقت الله أي سألته التوفيق. ووافقته: صادفته. والتوافق: الإتفاق. [مستدرك السفينة ج ١٠ لغة «وفق»].

اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ «٦٧» «وقال تعالى»: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ «١٠٨».

الأنعام «٦»: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ «٢٥» «وقال تعالى»: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ «٣٥» «وقال تعالى»: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا﴾ «١٢٣» «وقال تعالى»: ﴿مَنْ يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ «٣٩» «وقال تعالى»: ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا﴾ «٥٣» «وقال تعالى»: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾ «وقال تعالى»: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ «١٢٥» «وقال تعالى»: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ «١٤٤» «وقال تعالى»: ﴿فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ «١٤٩».

الأعراف «٧»: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ «٢٧» «وقال تعالى»: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضْلِلْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٧٨﴾ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ «وقال تعالى»: ﴿فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾ «٣٠» «وقال تعالى»: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ «١٤٦» «وقال تعالى»: ﴿مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾﴾.

الأنفال «٨»: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ «١٧» «وقال تعالى»: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ «٢٤».

التوبة «٩»: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ «١٩» «وقال تعالى»: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ «٢٤» «وقال تعالى»: ﴿وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ «٨٧» «وقال تعالى»: ﴿صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ «١٢٧».

يونس «١٠»: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ «٢٥» «وقال تعالى»: ﴿كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ «٣٣» «وقال تعالى»: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ

تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَٰكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾ «وقال تعالى»: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾﴾.

هود «١١»: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ «٨٨» «وقال تعالى»: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾﴾ «وقال تعالى»: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ «٣٤».

الرعد «١٣»: ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾ «٢٧» «وقال تعالى»: ﴿أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا﴾ «٣١» «وقال تعالى»: ﴿وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ «٣٣».

إبراهيم: ﴿فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ «٤» «وقال تعالى»: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾.

النحل «١٦»: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ «٩٣» ﴿وقال تعالى»: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٠٨﴾﴾.

الإسراء: ﴿وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِهِ﴾ «٩٧» «وقال تعالى»: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ «١٦».

الكهف «١٨»: ﴿مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ «١٧».

مريم: ﴿قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَٰنُ مَدًّا﴾ «٧٥» «وقال تعالى»: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾ «٧٦» «وقال تعالى»: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ «٨٣».

النور «٢٤»: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ «٢١» «وقال تعالى»: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ «٤٠» «وقال تعالى»: ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ «٤٦».

الفرقان «٢٥»: ﴿وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾ «١٨».

الشعراء: ﴿كَذَٰلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾.

النمل «٢٧»: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾ «٤».

القصص «٢٨»: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾ «٤١» «وقال تعالى»: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ «٥٦».

الروم «٣٠»: ﴿فَمَن يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾ «٢٩» «وقال سبحانه»: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ «٥٩».

التنزيل [السجدة] «٣٢»: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ «١٣».

سبأ «٣٤»: ﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ «٥٠».

فاطر «٣٥»: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ «٨» «وقال سبحانه»: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾ «٢٢».

يس «٣٦»: ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٧ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ۝٨ وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝٩ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝١٠﴾.

الزمر «٣٩»: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ «٣» «وقال تعالى»: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ «٢٣» ﴿وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّضِلٍّ﴾ «٣٧» «وقال تعالى»: ﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ «٥٧».

المؤمن [غافر] «٤٠»: ﴿وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ «٣٣» «وقال تعالى»: ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ﴾ «٣٤» «وقال تعالى»: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ «٣٥» «وقال تعالى»: ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ﴾ «٧٤».

السجدة [فصلت] «٤١»: ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾ «٢٥».

حمعسق [الشورى] «٤٢»: ﴿اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ «١٣» «وقال تعالى»: ﴿وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن وَلِيٍّ مِّن بَعْدِهِ﴾ «٤٤» «وقال تعالى»: ﴿وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن سَبِيلٍ﴾ «٤٦».

الزخرف «٤٣»: ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ «٣٢» «وقال تعالى»: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ «٣٦» «وقال تعالى»: ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَن كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ «٤٠».

الجاثية «٤٥»: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ «٢٣».

محمد «٤٧»: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ «١٦» «وقال تعالى»: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ «١٧» «وقال تعالى»: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ﴾ «٢٣».

الصف «٦١»: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ «٧».

المنافقون «٦٣»: ﴿فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ «٣».

الدهر «٧٦»: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾[1] «٣».

تفسير: قوله تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ قال البيضاويّ: الختم: الكتم، سمّي به الاستيثاق من الشيء بضرب الخاتم عليه لأنّه كتم له والبلوغ آخره، نظراً إلى أنّه آخر فعل يفعل في إحرازه. والغشاوة فعالة من غشاه: إذا غطّاه، بنيت لما يشتمل على الشيء كالعصابة والعمامة، ولا ختم ولا تغشية على الحقيقة، وإنّما المراد بهما أن يحدث في نفوسهم هيئة تمرنهم على استحباب الكفر والمعاصي، واستقباح الإيمان والطاعات بسبب غيّهم وانهماكهم في التقليد، وإعراضهم عن النظر الصحيح فيجعل قلوبهم بحيث لا ينفذ فيها الحقّ، وأسماعهم تعاف استماعه فتصير كأنّها مستوثق منها بالختم، وأبصارهم لا تجتلي لها الآيات المنصوبة في الآفاق والأنفس، كما تجتليها أعين المستبصرين، فتصير كأنّها غطّي عليها وحيل بينها وبين الإبصار، وسمّاه على الاستعارة ختماً وتغشيةً؛ أو مثّل قلوبهم ومشاعرهم المؤوفة بأشياء ضرب حجاب بينها وبين الاستنفاع بها ختما وتغطيةً. وقد عبّر عن إحداث هذه الهيئة بالطبع في قوله تعالى: ﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ﴾[2] وبالإغفال في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ﴾[3] وبالإقساء في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً﴾[4] وهي من حيث إنّ الممكنات بأسرها مستندة إلى الله واقعة بقدرته استندت إليه، ومن حيث إنّها مسبّبة ممّا اقترفوه بدليل قوله: ﴿بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾[5] وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾[6] وردت الآية ناعية عليهم شناعة صفتهم ووخامة عاقبتهم، واضطرّت المعتزلة فيه فذكروا وجوهاً من التأويل:

الأوّل: أنّ القوم لمّا أعرضوا عن الحقّ وتمكّن ذلك في قلوبهم حتّى صار كالطبيعة لهم شبّه بالوصف الخلقيّ المجبول عليه.

الثاني: أنّ المراد به تمثيل حال قلوبهم بقلوب البهائم الّتي خلقها الله تعالى خالية عن الفطن أو قلوب مقدّر ختم الله عليها؛ ونظيره: سال به الوادي: إذا هلك، وطارت به العنقاء: إذا طالت غيبته.

الثالث: أنّ ذلك في الحقيقة فعل الشيطان، أو الكافر لكن لمّا كان صدوره عنه بإقداره تعالى إيّاه أسنده إليه إسناد الفعل إلى السبب.

الرابع: أنّ أعراقهم لمّا رسخت في الكفر واستحكمت بحيث لم يبق طريق إلى تحصيل

---

(١) ويظهر من جميع الآيات أنّ إضلاله تعالى للفسّاق والكفّار والمجرمين جزاء لفسقهم وكفرهم وجرمهم وإسرافهم [النمازي].

(٢) سورة النحل، الآية: ١٠٨.

(٣) سورة الكهف، الآية: ٢٨.

(٤) سورة المائدة، الآية: ١٣.

(٥) سورة النساء، الآية: ١٥٥.

(٦) سورة المنافقون، الآية: ٣.

إيمانهم سوى الإلجاء والقسر ثمَّ لم يقسرهم إبقاءاً على غرض التكليف عبّر عن تركه بالختم، فإنّه سدّ لإيمانهم، وفيه إشعار على ترامي أمرهم في الغيّ وتناهي انهماكهم في الضلال والبغي.

الخامس: أن يكون حكايةً لما كانت الكفرة يقولون مثل: ﴿قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ﴾[1] تهكّماً واستهزاءاً بهم، كقوله تعالى: ﴿لَمۡ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ الآية[2].

السادس: أنّ ذلك في الآخرة، وإنّما أخبر عنه بالماضي لتحقّقه وتيقّن وقوعه ويشهد له قوله تعالى: ﴿وَنَحۡشُرُهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ عُمۡيٗا وَبُكۡمٗا وَصُمّٗا﴾[3].

السابع: أنّ المراد بالختم وسم قلوبهم بسمة تعرفها الملائكة فيبغضونهم وينفرون عنهم وعلى هذا المنهاج كلامنا وكلامهم فيما يضاف إلى الله تعالى من طبع وإضلال ونحوهما. انتهى[4].

أقول: بعد قيام البرهان على امتناع أن يكلّف الحكيم أحداً ثمَّ يمنعه عن الإتيان بما كلّفه به ثمّ يعذّبه عليه وشهادة العقل بقبح ذلك وأنّه تعالى منزّهٌ عنه لا بدّ من الحمل على أحد الوجوه الّتي ذكرها.

وزاد الشيخ الطبرسيّ رحمه الله على ما ذكر وجهين آخرين: أحدهما ما سيأتي نقلاً عن تفسير العسكريّ عليه السلام وقد مرّت الإشارة إليه أيضاً وهو أنّ المراد بالختم العلامة وإذا انتهى الكافر من كفره إلى حالة يعلم الله تعالى أنّه لا يؤمن فإنّه يعلم على قلبه علامة؛ وقيل: هي نكتة سوداء تشاهدها الملائكة فيعلمون بها أنّه لا يؤمن بعدها فيذمّونه ويدعون عليه كما أنّه تعالى يكتب في قلب المؤمن الإيمان ويعلم عليه علامة تعلم الملائكة بها أنّه مؤمن فيمدحونه ويستغفرون له، فقوله تعالى: ﴿بَلۡ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيۡهَا بِكُفۡرِهِمۡ﴾ يحتمل أمرين: أحدهما أنّه طبع الله عليها جزاءاً للكفر وعقوبة عليه، والآخر أنّه طبع عليها بعلامة كفرهم كما يقال: طبع عليه بالطين، وختم عليه بالشمع. وثانيهما أنَّ المراد بالختم على القلوب أنَّ الله شهد عليها وحكم بأنّها لا تقبل الحقّ كما يقال: أراك أنّك تختم على كلّ ما يقوله فلان أي تشهد به وتصدّقه، وقد ختمت عليك بأنّك لا تفلح أي شهدت، وذلك استعارة[5].

قوله تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرٗا﴾ قال الطبرسيّ رحمه الله: فيه وجهان: أحدهما: حكي عن الفرّاء أنّه قال حكاية عمّن قال: ﴿مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗا﴾ أي يضلّ به قوم ويهدي به قوم، ثمّ

---

(١) سورة فصلت، الآية: ٥.
(٢) سورة البينة، الآية: ١.
(٣) سورة الإسراء، الآية: ٩٧.
(٤) تفسير البيضاوي، ج ١ ص ٣٦.
(٥) مجمع البيان، ج ١ ص ٩٦.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ فبيّن تعالى أنه لا يضلّ إلاّ فاسقاً ضالاً، وهذا وجه حسن. والآخر أنّه كلامه تعالى ابتداءاً وكلاهما محتمل، وإذا كان محمولاً على هذا فمعنى قوله: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا﴾ أنّ الكفار يكذبون به وينكرونه، ويقولون: ليس هو من عند الله فيضلّون بسببه، وإذا حصل الضلال بسببه أُضيف إليه، وقوله: ﴿وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا﴾ يعني الّذين آمنوا به وصدّقوه، وقالوا هذا في موضعه، فلمّا حصلت الهداية بسببه أُضيف إليه، فمعنى الإضلال على هذا تشديد الامتحان الّذي يكون عنده الضلال فالمعنى أنَّ الله يمتحن بهذه الأمثال عباده فيضلّ بها قوم كثير، ويهتدي بها قوم كثير، ومثله قوله: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ أيّ ضلّوا عندها، وهذا مثل قولهم: أفسدت فلانة فلاناً وأذهبت عقله، وهي ربّما لم تعرفه ولكن لمّا ذهب عقله وفسد من أجلها أُضيف الفساد إليها، وقد يكون الإضلال بمعنى التخلية على وجه العقوبة وترك المنع بالقهر ومنع الألطاف الّتي تفعل بالمؤمنين جزاءاً على إيمانهم، وهذا كما يقال لمن لا يصلح سيفه: أفسدت سيفك؛ أُريد به أنّك لم تحدث فيه الإصلاح في كلّ وقت بالصقل والإحداد. وقد يكون الإضلال بمعنى التسمية بالضلال والحكم به كما يقال: أضلّه إذا نسبه إلى الضلال، وأكفره: إذا نسبه إلى الكفر، قال الكميت: وطائفة قد أكفروني بحبكم. وقد يكون الإضلال بمعنى الإهلاك والعذاب والتدمير، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ﴾ ومنه قوله تعالى: ﴿أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي هلكنا، وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ أي لم يبطل فعلى هذا يكون المعنى: أنَّ الله تعالى يهلك ويعذّب بالكفر به كثيراً بأن يضلّهم عن الثواب وطريق الجنّة بسببه فيهلكوا ويهدي إلى الثواب وطريق الجنّة بالإيمان به كثيراً؛ عن أبي علي الجبائيّ قال: ويدلّ على ذلك قوله: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ لأنّه لا يخلو من أن يكون أراد العقوبة على التكذيب كما قلناه، أو يكون أراد به التحيير والتشكيك، فإن أراد الحيرة فقد ذكر أنّه لا يفعل إلاّ بالفاسق المتحيّر الشاكّ فيجب أن لا تكون الحيرة المتقدّمة الّتي بها صاروا فسّاقاً من فعله إلاّ إذا وجدت حيرة قبلها أيضاً، وهذا يوجب وجود ما لا نهاية له من حيرة قبل حيرة لا إلى أوّل، أو ثبوت إضلال لا إضلال قبله، وإذا كان ذلك من فعله فقد أضلّ من لم يكن فاسقاً وهو خلاف قوله: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ وعلى هذا الوجه فيجوز أن يكون حكم الله عليهم بالكفر وبراءته منهم ولعنته عليهم إهلاكاً لهم، ويكون إهلاكه إضلالاً، وكلّ ما في القرآن من الإضلال المنسوب إلى الله تعالى فهو بمعنى ما ذكرناه من الوجوه ولا يجوز أن يضاف إلى الله سبحانه الإضلال الّذي أضافه إلى الشيطان وإلى فرعون والسامريّ بقوله: ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا﴾ وقوله: ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ﴾ وقوله: ﴿وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ﴾ وهو أن يكون بمعنى التلبيس والتغليط والتشكيك والإيقاع في الفساد والضلال وغير ذلك ممّا يؤدّي إلى التظليم والتجوير إلى ما يذهب إليه المجبّرة تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً.

وإذ قد ذكرنا أقسام الإضلال فلنذكر أقسام الهداية الّتي هي ضدّه. اعلم أنّ الهداية في القرآن تقع على وجوه: أحدها: أن تكون بمعنى الدلالة والإرشاد يقال: هداه الطريق وللطريق وإلى الطريق إذا دلّه عليه، وهذا الوجه عامّ لجميع المكلّفين، فإنّ الله تعالى هدى كلّ مكلّف إلى الحقّ بأن دلّه عليه وأرشده إليه لأنّه كلّفه الوصول إليه فلو لم يدلّه عليه لكان قد كلّفه ما لا يطيق؛ ويدلّ عليه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ﴾ وقوله: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾ وقوله: ﴿أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى﴾ وقوله: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ﴾ وقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ وقوله: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ وما أشبه ذلك من الآيات.

وثانيها: أن يكون بمعنى زيادة الألطاف الّتي بها يثبت على الهدى؛ ومنه قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾.

وثالثها: أن تكون بمعنى الإثابة: ومنه قوله تعالى: ﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَانِهِمْ ۖ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾﴾ والهداية الّتي تكون بعد قتلهم هي إثابتهم لا محالة.

ورابعها: الحكم بالهداية كقوله تعالى: ﴿وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾ وهذه الوجوه الثلاثة خاصّة بالمؤمنين دون غيرهم لأنّه تعالى إنّما يثيب من يستحقّ الإثابة وهم المؤمنون، ويزيدهم ألطافاً بإيمانهم وطاعتهم، ويحكم لهم بالهداية لذلك أيضاً.

وخامسها: أن تكون الهداية بمعنى جعل الإنسان مهتدياً، بأن يخلق الهداية فيه كما يجعل الشيء متحرّكاً بخلق الحركة فيه، والله تعالى يفعل العلوم الضروريّة في القلوب فذلك هداية منه تعالى، وهذ الوجه أيضاً عامّ لجميع العقلاء كالوجه الأوّل، فأمّا الهداية الّتي كلّف الله تعالى العباد فعلها كالإيمان به وبأنبيائه وغير ذلك فإنّها من فعل العباد، ولذلك يستحقّون عليها المدح والثواب، وإن كان الله سبحانه قد أنعم عليهم بدلالتهم على ذلك وإرشادهم إليه ودعاهم إلى فعله وتكليفهم إيّاه وأمرهم به، فهو من هذا الوجه نعمة منه سبحانه عليهم، ومنّة منه واصلة إليهم، وفضل منه وإحسان لديهم، فهو مشكور على ذلك محمود، إذ فعله بتمكينه وألطافه وضروب تسهيلاته ومعوناته[1].

وقال رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: إنّ المراد به البيان والدلالة، والصراط المستقيم هو الإسلام؛ أو المراد به: يهديهم باللّطف فيكون خاصّاً بمن علم من حاله أنّه يصلح به؛ أو المراد به: يهديهم إلى طريق الجنّة[2].

وقال في قوله تعالى: ﴿مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ﴾ قيل: هذا استعجال للموعود كما يفعله الممتحن، وإنّما قاله الرسول استبطاءاً للنصر على جهة التمنّي. وقيل: إنّ معناه الدعاء لله بالنصر.

---

(١) مجمع البيان، ج ١ ص ١٣٦-١٣٨. (٢) مجمع البيان، ج ٢ ص ٦٨.

وقيل: إنّه ذكر كلام الرسول والمؤمنين جملة وتفصيلاً: قال المؤمنون متى نصر الله؟ وقال الرسول: ألا إنّ نصر الله قريب[1].

وقال في قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾: أي من ظلمات الضلال والكفر إلى نور الهدى والإيمان بأن هداهم إليه ونصب الأدلّة لهم عليه ورغّبهم فيه وفعل بهم من الألطاف ما يقوّي دواعيهم إلى فعله[2].

وقال في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ أي بالمعونة على بلوغ البغية من الفساد. وقيل: لا يهديهم إلى المحاجّة كما يهدي أنبياءه. وقيل: لا يهديهم بألطافه وتأييده إذا علم أنّه لا لطف لهم. وقيل: لا يهديهم إلى الجنّة[3].

وقال في قوله تعالى: ﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا﴾: معناه: كيف يسلك الله بهم سبيل المهتدين بالإثابة لهم والثناء عليهم؟ أو أنّه على طريق التبعيد كما يقال: كيف يهديك إلى الطريق وقد تركته؟ أي لا طريق يهديهم به إلى الإيمان إلّا من الوجه الّذي هداهم به وقد تركوه، أو كيف يهديهم الله إلى طريق الجنّة والحال هذه[4]؟.

أقول: الأظهر أنّ المعنى أنّهم حرموا أنفسهم بما اختاروه الألطاف الخاصّة من ربّهم تعالى.

وقال في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ﴾: قيل فيه أقوال: أحدها: أنّ المراد بالفتنة العذاب أي من يرد الله عذابه كقوله تعالى: ﴿عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ أي يعذّبون وقوله: ﴿ذُوقُوا۟ فِتْنَتَكُمْ﴾ أي عذابكم.

وثانيها: أنّ معناه من يرد الله إهلاكه.

وثالثها: أنّ المراد به من يرد الله خزيه وفضيحته بإظهار ما ينطوي عليه.

ورابعها: أنّ المراد من يرد الله اختباره بما يبتليه من القيام بحدوده فيدع ذلك ويحرّفه.

والأصح الأوّل. ﴿فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ أي فلن تستطيع أن تدفع لأجله من أمر الله الّذي هو العذاب أو الفضيحة أو الهلاك شيئاً ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾ معناه: أولئك اليهود لم يرد الله أن يطهّر من عقوبات الكفر الّتي هي الختم والطبع والضيق قلوبهم، كما طهّر قلوب المؤمنين منها، بأن كتب في قلوبهم الإيمان، وشرح صدورهم للإسلام. وقيل: معناه: لم يرد أن يطهّرها من الكفر بالحكم عليها بأنّها بريئة منه، ممدوحة بالإيمان.

قال القاضي: وهذا لا يدلّ على أنّه سبحانه لم يرد منهم الإيمان لأنّ ذلك لا يعقل من

---

(١) مجمع البيان، ج ٢ ص ٦٩.
(٢) مجمع البيان، ج ٢ ص ١٦٤.
(٣) مجمع البيان، ج ٢ ص ١٦٩.
(٤) مجمع البيان، ج ٢ ص ٣٣٩.

تطهير القلب إلاّ على جهة التوسّع، ولأنّ قوله: ﴿لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾ يقتضي نفي كونه مريداً، وليس فيه بيان الوجه الّذي لم يرد ذلك عليه، والمراد بذلك أنّه لم يرد تطهير قلوبهم ممّا يلحقها من الغموم بالذمّ والاستخفاف والعقاب ولذا قال عقيبه: ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ولو كان أراد ما قاله المجبّرة لم يجعل ذلك ذمّاً لهم ولا عقّبه بالذمّ، ولا جعله في حكم الجزاء على ما لأجله عاقبهم وأراد ذلك فيهم[1].

أقول: روى النعمانيّ في تفسيره فيما رواه عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه أنّهم سألوه عن المتشابه في تفسير الفتنة فقال: منه فتنة الاختبار وهو قوله تعالى: ﴿الم ﴿١﴾ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾﴾ وقوله لموسى: ﴿وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾.

ومنه فتنة الكفر وهو قوله تعالى: ﴿لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ وقوله سبحانه في الّذين استأذنوا رسول الله ﷺ في غزوة تبوك أن يتخلّفوا عنه من المنافقين فقال الله تعالى فيهم: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾ يعني ائذن لي ولا تكفرني، فقال عزّ وجلّ: ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾.

ومنه فتنة العذاب وهو قوله تعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ أي يعذّبون ﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ أي ذوقوا عذابكم.

ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا﴾ أي عذّبوا المؤمنين.

ومنه فتنة المحبّة للمال والولد كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾.

ومنه فتنة المرض وهو قوله سبحانه: ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ أي يمرضون ويقتلون. انتهى.

وقال الطبرسيّ رحمه الله في قوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾[2] قيل في معناه أقوال: أحدها معناه: فاعلم يا محمّد أنّما يريد الله أن يعاقبهم ببعض أجرامهم، وذكر البعض والمراد به الكلّ، كما يذكر العموم ويراد به الخصوص.

والثاني: أنّه ذكر البعض تغليظاً للعقاب، والمراد أنّه يكفي أن يؤخذوا ببعض ذنوبهم في إهلاكهم والتدمير عليهم.

والثالث: أنّه أراد تعجيل بعض العقاب ممّا كان من التمرّد في الإجرام لأنّ عذاب الدنيا مختصٌّ ببعض الذنوب دون بعض، وعذاب الآخرة يعمّ[3].

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾[4] قال الزمخشريّ: الأكنّة على القلوب والوقر في

---

(١) مجمع البيان، ج ٣ ص ٣٣٦.
(٢) سورة المائدة، الآية: ٤٩.
(٣) مجمع البيان، ج ٣ ص ٣٥٢.
(٤) سورة الأنعام، الآية: ٢٥.

الآذان مثل في نبوّ قلوبهم ومسامعهم عن قبوله واعتقاد صحّته، ووجه إسناد الفعل إلى ذاته وهو قوله: ﴿وَجَعَلْنَا﴾ للدلالة على أنّه أمر ثابت فيهم لا يزول عنهم كأنّهم مجبولون عليه، أو هي حكاية لما كانوا ينطقون به من قولهم: ﴿وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾[١].

وقال الطبرسيّ رَحِمَهُ اللَّهُ: قال القاضي أبو عاصم العامريّ: أصح الأقوال فيه ما روي أنّ النبيّ ﷺ كان يصلّي باللّيل ويقرأ القرآن في الصلاة جهراً رجاء أن يستمع إلى قراءته إنسان فيتدبّر معانيه ويؤمن به فكان المشركون إذا سمعوه آذوه ومنعوه عن الجهر بالقراءة، وكان الله تعالى يلقي عليهم النوم، أو يجعل في قلوبهم أكنّة ليقطعهم عن مرادهم، وذلك بعدما بلغهم ما تقوم به الحجّة وتنقطع به المعذرة، وبعدما علم الله تعالى أنّهم لا ينتفعون بسماعه ولا يؤمنون به، فشبّه إلقاء النوم عليهم بجعل الغطاء على قلوبهم، وبوقر آذانهم لأنّ ذلك كان يمنعهم من التدبّر كالوقر والغطاء، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾[٢] ويحتمل ذلك وجهاً آخر وهو أنّه تعالى يعاقب هؤلاء الكفّار الّذين علم أنّهم لا يؤمنون بعقوبات يجعلها في قلوبهم تكون موانع من أن يفقهوا ما يستمعونه؛ ويحتمل أيضاً أن يكون سمّى الكفر الّذي في قلوبهم كنّاً تشبيهاً ومجازاً وإعراضهم عن القرآن وقراً توسّعاً لأنّ مع الكفر والإعراض لا يحصل الإيمان والفهم، كما لا يحصلان مع الكنّ والوقر، ونسب ذلك إلى نفسه لأنّه الّذي شبّه أحدهما بالآخر كما يقول أحدنا لغيره إذا أثنى على إنسان وذكر مناقبه: جعلته فاضلاً، وبالضدّ إذا ذكر مقابحه وفسقه يقول: جعلته فاسقاً[٣].

وقال الزمخشريّ في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ أي بأن يأتيهم بآية ملجئة، ولكنّه لا يفعل لخروجه عن الحكمة[٤].

وقوله تعالى: ﴿لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا﴾ قال الطبرسيّ رحمه الله: اللّام: لام العاقبة[٥]، وقال الزمخشريّ: معناه خلّيناهم ليمكروا وما كففناهم عن المكر؛ وكذا قال: اللّام لام العاقبة في قوله تعالى: ﴿لِّيَقُولُوٓا۟﴾ أي عاملناهم معاملة المختبر ليشكروا أو يصبروا فآل أمرهم إلى هذه العاقبة.

وقال الطبرسيّ رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ﴾ وجهين:

أحدهما: أنّه يقلبهما في جهنّم على لهب النار وحرّ الجمر كما لم يؤمنوا به أوّل مرّة في الدنيا؛ والآخر أنّ المعنى: يقلّب أفئدتهم وأبصارهم بالحيرة الّتي تغمّ وتزعج النفس[٦].

---

(١) تفسير الكشاف، ج ١ ص ٣٢٢.
(٢) سورة الإسراء، الآية: ٤٥.
(٣) مجمع البيان، ج ٤ ص ٢٩.
(٤) تفسير الكشاف، ج ١ ص ٣٢٥.
(٥) مجمع البيان، ج ٤ ص ١٥٣.
(٦) مجمع البيان، ج ٤ ص ١٣٦.

وقال الزمخشريّ: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَنَذَرُهُمْ﴾ عطف على (لا يؤمنون) داخل في حكم وما يشعركم أنّهم لا يؤمنون، وما يشعركم أنّا نقلّب أفئدتهم وأبصارهم، أي نطبع على قلوبهم وأبصارهم فلا يفقهون ولا يبصرون الحق، كما كانوا عند نزول آياتنا أو لا يؤمنون بها لكونهم مطبوعاً على قلوبهم وما يشعركم أنّا نذرهم في طغيانهم أي نخلّيهم وشأنهم لا نكفّهم عن الطغيان حتّى يعمهوا فيه(١).

وقال في قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ أي مشيّة إكراه واضطرار(٢).

وقال الطبرسيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا﴾ وجوه: أحدها: أنّ المراد كما أمرناك بعداوة قومك من المشركين فقد أمرنا من قبلك بمعاداة أعدائهم من الجنّ والإنس، ومتى أمر الله رسوله بمعاداة قوم من المشركين فقد جعلهم أعداءاً له.

وثانيها: أنَّ معناه حكمنا بأنّهم أعداء وأخبرنا بذلك ليعاملوهم معاملة الأعداء في الاحتراز عنهم والاستعداد لدفع شرّهم، وهذا كما يقال: جعل القاضي فلاناً عدلاً وفلاناً فاسقاً إذا حكم بعدالة هذا وفسق ذاك.

وثالثها: أنَّ المراد خلّينا بينهم وبين اختيارهم العداوة، لم نمنعهم على ذلك كرهاً ولا جبراً، لأنّ ذلك يزيل التكليف.

ورابعها: أنّه سبحانه إنّما أضاف ذلك إلى نفسه، لأنّه سبحانه لمّا أرسل إليهم الرسل، وأمرهم بدعائهم إلى الإسلام والإيمان وخلع ما كانوا يعبدونه من الأصنام والأوثان نصبوا عند ذلك العداوة لأنبيائه، ومثله قول نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارًا﴾(٣) وقال: والعامل في قوله: ﴿وَلِتَصْغَىٰٓ﴾ قوله: (يُوحي) ولا يجوز أن يكون العامل فيه ﴿جَعَلْنَا﴾ لأنّ الله سبحانه لا يجوز أن يريد إصغاء القلوب إلى الكفر ووحي الشياطين، إلاّ أن نجعلها لام العاقبة. وقال البلخيّ: اللّام في: ﴿وَلِتَصْغَىٰٓ﴾ لام العاقبة، وما بعده لام الأمر الّذي يراد به التهديد.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ﴾ فيه وجوه:

أحدها: أنَّ معناه من يرد الله أن يهديه إلى الثواب وطريق الجنّة يشرح صدره في الدنيا للإسلام بأن يثبت عزمه عليه ويقوّي دواعيه على التمسّك به، وإنّما يفعل ذلك لطفاً له ومنّاً عليه، وثواباً على اقتدائه بهدى الله وقبوله إيّاه؛ ومن يرد أن يضلّه عن ثوابه وكرامته يجعل صدره في كفره ضيّقاً حرجاً عقوبةً له على تركه الإيمان من غير أن يكون سبحانه مانعاً له عن الإيمان، بل ربّما يكون ذلك داعياً إليه، فإنّ من ضاق صدره بالشيء كان ذلك داعياً إلى تركه.

---

(١) تفسير الكشاف، ج ١ ص ٣٤٠. (٢) تفسير الكشاف، ج ١ ص ٣٤٢.
(٣) مجمع البيان، ج ٤ ص ١٤٠.

وثانيها: أنّ معناه فمن يرد الله أن يثبته على الهدى يشرح صدره من الوجه الّذي ذكرناه، جزاءاً له على إيمانه واهتدائه، وقد يطلق الهدى ويراد به الاستدامة؛ ومن يرد أن يضلّه أي يخذله ويخلّي بينه وبين ما يريده، لاختياره الكفر وتركه الإيمان يجعل صدره ضيّقاً حرجاً بأن يمنعه الألطاف الّتي يشرح لها صدره، لخروجه من قبولها بإقامته على كفره.

وثالثها: أنَّ معناه من يرد الله أن يهديه زيادة الهدى الّتي وعدها المؤمن يشرح صدره لتلك الزيادة لأنّ من حقها أن يزيد المؤمن بصيرة، ومن يرد أن يضلّه عن تلك الزيادة بمعنى يذهبه عنها من حيث أخرج هو نفسه من أن تصحّ عليه يجعل صدره ضيّقاً حرجاً لمكان فقد تلك الزيادة، لأنّها إذا اقتضت في المؤمن ما قلناه أوجب في الكافر ما يضادّه، والرجس: العذاب[1].

وقال في قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ﴾ أي حكمنا بذلك لأنّهم يتناصرون على الباطل كما قال: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا﴾[2].

وقال في قوله: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ﴾ يعني خلقناهم على أنّ عاقبتهم المصير إلى جهنّم بكفرهم وإنكارهم وسوء اختيارهم، ويدلّ عليه قوله سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[3].

وقال الزمخشريّ: جعلهم في أنّهم لا يلقون أذهانهم إلى معرفة الحقّ ولا ينظرون بعيونهم إلى ما خلق الله نظر اعتبار، ولا يسمعون مايتلى عليهم من آيات الله سماع تدبّر كأنّهم عدموا فهم القلوب وإبصار العيون واستماع الآذان وجعلهم لإغراقهم في الكفر وشدّة شكائمهم فيه وأنّهم لا يتأتّى منهم إلاّ أفعال أهل النار مخلوقين للنار، دلالةً على توغّلهم في الموجبات، وتمكّنهم فيما يؤهّلهم لدخول النار[4].

وقال الطبرسيّ رحمه الله في قوله تعالى: ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ﴾ أي جماعة حكم لهم بالاهتداء بقبولهم للهدى، أو لطف لهم بما اهتدوا عنده، أو هداهم إلى طريق الثواب ﴿وَفَرِيقًا حَقَّ﴾ أي وجب عليهم الضلالة، إذ لم يقبلوا الهدى، أو حقّ عليهم الخذلان لأنّه لم يكن لهم لطف تنشرح لهم[5] صدورهم، أو حقّ عليهم العذاب أو الهلاك بكفرهم[6].

وقال الزمخشريّ في قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾: أي إن افتخرتم بقتلهم فأنتم لم تقتلوهم ولكنّ الله قتلهم لأنّه هو الّذي أنزل الملائكة وألقى الرعب في قلوبهم، وشاء النصر والظفر، وقوّى قلوبكم، وأذهب عنها الفزع والجزع، وما رميت أنت يا محمّد إذ رميت

---

(١) مجمع البيان، ج ٤ ص ١٥٧-١٥٨.
(٢) مجمع البيان، ج ٤ ص ٢٣٨.
(٣) مجمع البيان، ج ٤ ص ٣٩٨.
(٤) الكشاف، ج ١ ص ٣٩٩.
(٥) الصواب: له كما في المصدر.
(٦) مجمع البيان، ج ٤ ص ٢٤٢.

ولكنّ الله رمى، يعني أنّ الرمية الّتي رميتها لم ترمها أنت على الحقيقة لأنّك لو رميتها لما بلغ أثرها إلّا ما يبلغ أثر رمي البشر، ولكنّها كانت رمية الله حيث أثّرت ذلك الأثر العظيم فأثبت الرمية لرسول الله صلى الله عليه وآله، لأنّ صورتها وجدت منه، ونفاها عنه لأنّ أثرها الّذي لا تطيقه البشر فعل الله فكأن الله هو فاعل الرمية على الحقيقة، وكأنّها لم توجد من الرسول أصلاً[1].

وقال الطبرسيّ رحمه الله في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ انْصَرَفُوا﴾ أي انصرفوا عن المجلس، وقيل انصرفوا عن الإيمان به ﴿صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ عن الفوائد الّتي يستفيدها المؤمنون والسرور بها، وحرموا الاستبشار بتلك الحال. وقيل: معناه صرف الله قلوبهم عن رحمته وثوابه عقوبةً لهم على انصرافهم عن الإيمان بالقرآن، وعن مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله. وقيل: إنّه على وجه الدعاء عليهم أي خذلهم الله باستحقاقهم ذلك، ودعاء الله على عباده وعيد لهم وإخبار بلحاق العذاب بهم[2].

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ قال الزمخشريّ: ﴿أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بدل من الكلمة أي حقّ عليهم انتفاء الإيمان وعلم الله منهم ذلك، أو حقّ عليهم كلمة الله أنّهم من أهل الخذلان وأنّ إيمانهم غير كائن، أو أراد بالكلمة العدة بالعذاب. و﴿أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ تعليل بمعنى لأنّهم لا يؤمنون[3].

وقال في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ أي ثبت عليهم قول الله الّذي كتبه في اللّوح وأخبر به الملائكة أنّهم يموتون كفّاراً فلا يكون غيره فتلك كتابة معلوم لا كتابة مقدّر ومراد؛ تعالى الله عن ذلك[4].

وقال السيّد المرتضى رضي الله عنه: إن سأل سائل فقال: ما عندكم في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾[5] يقال له: أمّا قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ﴾ فإنّما عنى به المشيّة الّتي ينضمّ إليها الإلجاء، ولم يعن المشيّة على سبيل الاختيار، وإنّما أراد تعالى أن يخبرنا عن قدرته وأنّه ممّن لا يغالب ولا يعصى مقهوراً، من حيث كان قادراً على الإلجاء والإكراه على ما أراده من العباد، فأمّا لفظة (ذلك) في الآية فحملها على الرحمة أولى من حملها على الاختلاف لدليل العقل وشهادة اللّفظ، فأمّا دليل العقل فمن حيث علمنا أنّه تعالى كره الاختلاف والذهاب عن الدين ونهى عنه وتوعّد عليه، فكيف يجوز أن يكون شائياً له ومجرياً بخلق العباد إليه؟ وأمّا شهادة اللّفظ فلأنّ الرحمة أقرب إلى هذه الكناية من الاختلاف، وحمل اللّفظ على أقرب المذكورين أولى

---

(١) تفسير الكشاف، ج ١ ص ٤١٣.
(٢) مجمع البيان، ج ٥ ص ١٤٨.
(٣) تفسير الكشاف، ج ١ ص ٤٧٩.
(٤) تفسير الكشاف، ج ١ ص ٤٩١.
(٥) سورة هود، الآيتان: ١١٨-١١٩.

في لسان العرب، فأمّا ما طعن به السائل من تذكير الكناية فباطلٌ لأنّ تأنيث الرحمة غير حقيقيّ، وإذا كنّي عنها بلفظ التذكير كانت الكناية على المعنى لأنّ معناها هو الفضل والإنعام كما قالوا: سرّني كلمتك، يريدون سرّني كلامك. وقال الله تعالى: ﴿هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي﴾ ولم يقل: (هذه) وإنّما أراد هذا فضل من ربّي، وفي موضع آخر ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[1] ولم يقل: قريبة.

أقول: ثمّ استشهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ لذلك بكثير من الأشعار تركناها حذراً من الإطناب ثمّ قال: وقال زياد الأعجم:

إنّ الشجاعة والمروّة ضمّنا ... قبراً بمرو على الطّريق الواضح

ويروى: إنّ السماحة والشجاعة؛ فقال: «ضمّنا» ولم يقل: «ضمّنتا» قال الفرّاء لأنّه ذهب إلى أنّ السماحة والشجاعة مصدران، والعرب تقول: قصارة الثوب يعجبني لأنّ تأنيث المصادر يرجع إلى الفعل وهو مذكّر، على أنّ قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ كما يدل على الرحمة يدلّ أيضاً على أن يرحم فإذا جعلنا الكناية بلفظة ذلك عن أن يرحم كان التذكير في موضعه لأنّ الفعل مذكّر، ويجوز أيضاً أن يكون قوله تعالى: ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ كناية عن اجتماعهم على الإيمان وكونهم فيه أمّة واحدة لا محالة أنّه لهذا خلقهم ويطابق هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ وقد قال قوم في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ معناه أنّه لو شاء أن يدخلهم أجمعين الجنّة فيكونوا في وصول جميعهم إلى النعيم أمّة واحدة، وأجرى هذه الآية مجرى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا﴾ في أنّه أراد هداها إلى طريق الجنّة، فعلى هذا التأويل يمكن أن ترجع لفظة ذلك إلى إدخالهم أجمعين إلى الجنّة لأنّه تعالى إنّما خلقهم للمصير إليها والوصول إلى نعيمها. فأمّا قوله: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ فمعناه الاختلاف في الدين والذهاب عن الحقّ فيه بالهوى والشبهات. وذكر أبومسلم محمّد بن بحر في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ وجهاً غريباً وهو أن يكون معناه أنّ خلف هؤلاء الكافرين يخلف سلفهم في الكفر لأنّه سواء قولك: خلف بعضهم بعضاً وقولك: اختلفوا، كما سواء قولك: قتل بعضهم بعضاً، واقتتلوا. ومنه قولهم: لا أفعل كذا ما اختلف العصران والجديدان أي جاء كلّ واحد منهما بعد الآخر؛ فأمّا الرحمة فليست رقّة القلب، لكنّها فعل النعم والإحسان؛ يدلّ على ذلك أنّ من أحسن إلى غيره وأنعم عليه يوصف بأنّه رحيم وإن لم تعلم منه رقّة قلبه عليه.

فإن قيل: إذا كانت الرحمة هي النعمة وعندكم أنّ نعم الله تعالى شاملة للخلق أجمعين فأيُّ معنى لاستثناء ﴿مَن رَّحِمَ﴾ من جملة «المختلفين» إن كانت الرحمة هي النعمة؟ وكيف يصحّ اختصاصها بقوم دون قوم وهي عندكم شاملة عامّة؟.

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٥٦.

قلنا: لا شبهة في أنّ نعم الله سبحانه شاملةٌ للخلق أجمعين غير أنّ في نعمه أيضاً ما يختصّ بها بعض العباد، إمّا لاستحقاق أو لسبب يقتضي الاختصاص، فإذا حملنا قوله: إلاّ من رحم ربّك على النعمة بالثواب فالاختصاص ظاهرٌ لأنّ النعمة به لا تكون إلاّ مستحقّة فمن استحقّ الثواب بأعماله وصل إلى هذه النعمة، ومن لم يستحقّه لم يصل إليها وإن حملنا الرحمة في الآية على النعمة بالتوفيق للإيمان واللّطف الّذي وقع بعده فعل الإيمان كانت هذه النعمة أيضاً مختصّة لأنّه تعالى إنّما لم ينعم على سائر المكلّفين بها من حيث لم يكن في معلومه أنّ لهم توفيقاً، وأنّ في الأفعال ما يختارون عنده الإيمان فاختصاص هذه النعمة ببعض العباد لا يمنع من شمول نعم أخر لهم كما أنّ شمول تلك النعم لا يمنع من اختصاص هذه[1]. انتهى كلامه رفع الله مقامه.

وقال الزمخشريّ: (ذلك) إشارة إلى ما دل عليه الكلام الأوّل وتضمّنه، يعني ولذلك التمكين والاختيار الّذي كان عنه الاختلاف خلقهم ليثيب مختار الحقّ بحسن اختياره، ويعاقب مختار الباطل بسوء اختياره، وتّمت كلمة ربّك وهي قوله للملائكة: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ لعلمه بكثرة من يختار الباطل.

وقال في قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ﴾ يعني مشيّة الإلجاء والقسر ﴿لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا﴾ ومعنى: ﴿أَفَلَمْ يَيْأَسِ﴾: أفلم يعلم؛ قيل: هي لغة قوم من النخع، وقيل: إنّما استعمل اليأس بمعنى العلم لتضمّنه معناه لأنّ اليائس عن الشيء عالم بأنّه لا يكون كما استعمل الرجاء في معنى الخوف، والنسيان في معنى التّرك لتضمّن ذلك، ويدلّ عليه أنّ عليّاً وابن عبّاس وجماعة من الصحابة والتابعين قرؤوا أفلم يتبيّن وهو تفسير أفلم ييأس ويجوز أن يتعلّق أن لو يشاء بآمنوا أي أولم يقنط عن إيمان هؤلاء الكفرة الّذين آمنوا بأن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً ولهداهم[2].

وقال السيّد المرتضى رضي الله عنه في كتاب الغرر والدرر: قال الله جلّ من قائل: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً﴾[3] الآية، في هذه الآية وجوه من التأويل كلٌّ منها يبطل الشبهة الداخلة على بعض المبطلين فيها حتّى عدلوا بتأويلها عن وجهه وصرفوه عن بابه:

أولها: أنّ الإهلاك قد يكون حسناً وقد يكون قبيحاً فإذا كان مستحقّاً أو على سبيل الامتحان كان حسناً، وإنّما يكون قبيحاً إذا كان ظلماً فتعلّق الإرادة لا يقضي تعلّقها به على الوجه القبيح، ولا ظاهر الآية يقتضي ذلك، وإذا علمنا بالأدلّة العقليّة تنزّه القديم تعالى عن القبائح علمنا أنّ الإرادة لم يتعلّق إلاّ بالإهلاك الحسن. وقوله تعالى: ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ المأمور به محذوف، وليس يجب أن يكون المأمور به هو الفسق، وإن وقع بعده الفسق، ويجري هذا

---

(١) أمالي المرتضى، ج ١ ص ٥٠-٥٣. (٢) تفسير الكشاف، ج ١ ص ٥٦٩.
(٣) سورة الإسراء، الآية: ١٦.

مجرى قول القائل: أمرته فعصى ودعوته فأبى؛ والمراد إنّني أمرته بالطاعة ودعوته إلى الإجابة والقبول - ويمكن أن يقال على هذا الوجه: ليس موضع الشبهة ما تكلّمتم عليه، وإنّما موضعها أن يقال: أيّ معنى لتقدّم الإرادة فإن كانت متعلّقة بإهلاك مستحقّ بغير الفسق المذكور في الآية فلا معنى لقوله تعالى: ﴿وَإِذَآ . . . أَرَدْنَآ أَمَرْنَا﴾ لأنّ أمره بما يأمر به لا يحسن إرادته للعقاب المستحقّ بما تقدّم من الأفعال، وإن كانت الإرادة متعلّقة بالإهلاك المستحق بمخالفة الأمر المذكور في الآية فهذا هو الّذي تأبونه، لأنّه يقتضي أنّه تعالى مريد لإهلاك من لم يستحقّ العقاب.

والجواب عن ذلك أنّه تعالى لم يعلّق الإرادة إلاّ بالإهلاك المستحقّ بما تقدّم من الذنوب، والّذي حسّن قوله تعالى: ﴿وَإِذَآ . . . أَرَدْنَآ أَمَرْنَا﴾ هو أنّ في تكرّر الأمر بالطاعة والإيمان إعذاراً إلى العصاة وإنذاراً لهم، وإيجاباً وإثباتاً للحجّة عليهم حتّى يكونوا متى خالفوا وأقاموا على العصيان والطغيان بعد تكرّر الوعيد والوعظ والإنذار ممّن يحقّ عليه القول وتجب عليه الحجّة، ويشهد بصحّة هذا التأويل قوله تعالى قبل هذه الآية: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾.

والثاني: أن يكون قوله تعالى: ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ من صفة القرية وصلتها، ولا يكون جواباً لقوله: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ﴾ ويكون تقدير الكلام: وإذا أردنا أن نهلك قرية من صفتها أنّا أمرنا مترفيها ففسقوا فيها، ويكون إذا على هذا الجواب لم يأت له جواب ظاهر في الآية للاستغناء عنه بما في الكلام من الدلالة عليه، ونظير هذا قوله تعالى في صفة الجنّة: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ إلى قوله: ﴿فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾(١) ولم يأت لإذا جواب في طول الكلام للاستغناء عنه.

والثالث: أن يكون ذكر الإرادة في الآية مجازاً واتساعاً وتنبيهاً على المعلوم من حال القوم وعاقبة أمرهم وأنّهم متى أُمروا فسقوا وخالفوا، ويجري ذكر الإرادة ههنا مجرى قولهم: إذا أراد التاجر أن يفتقر أتته النوائب من كلّ جهة وجاءه الخسران من كلّ طريق، وقولهم: إذا أراد العليل أن يموت خلط في مأكله وتسرّع إلى كلّ ما تتوق إليه نفسه، ومعلوم أنّ التاجر لم يرد في الحقيقة شيئاً، ولا العليل أيضاً لكن لمّا كان المعلوم من حال هذا الخسران ومن حال ذاك الهلاك حسن هذا الكلام، واستعمل ذكر الإرادة لهذا الوجه مجازاً، وكلام العرب وحيٌ وإشارات واستعارة ومجازات، ولهذه الحال كان كلامهم في المرتبة العليا من الفصاحة، فإنّ الكلام متى خلا من الاستعارة وجرى كلّه على الحقيقة كان بعيداً من الفصاحة بريئاً من البلاغة، وكلام الله تعالى أفصح الكلام.

الرابع: أن تحمل الآية على التقديم والتأخير فيكون تلخيصها: وإذا أمرنا مترفي قرية

---

(١) سورة الزمر، الآيتان: ٧٣-٧٤.

بالطاعة فعصوا واستحقّوا العقاب أردنا إهلاكهم، والتقديم والتأخير في الشعر وكلام العرب كثير؛ وممّا يمكن أن يكون شاهداً بصحّة هذا التأويل من القرآن قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾ (١) والطهارة إنّما تجب قبل القيام إلى الصلاة، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ﴾ (٢) وقيام الطائفة معه يجب أن يكون قبل إقامة الصلاة، لأنّ إقامتها هو الإتيان بجميعها على الكمال، فأمّا قراءة من قرأ بالتشديد فقال: أمّرنا وقراءة من قرأ بالمدّ والتخفيف فقال: آمرنا فلن يخرج معنى قراءتهما عن الوجوه الّتي ذكرناها إلاّ الوجه الأوّل، فإنّ معناه لا يليق إلاّ بأن يكون ما تضمّنته الآية هو الأمر الّذي يستدعي به الفعل انتهى(٣).

وقال الطبرسيّ رحمه الله: وقرأ يعقوب: آمرنا بالمدّ وهو قراءة عليّ بن أبي طالب والحسين عليه السلام وجماعة، وقرأ أمّرنا بالتشديد ابن عبّاس والنهديّ وأبوجعفر محمّد بن عليّ عليه السلام بخلاف، وقرأ أمرنا بكسر الميم بوزن عمرنا الحسن ويحيى بن يعمر وأرجع الجميع إلى معنى كثّرنا كقوله صلى الله عليه وآله: خير المال سكّة مأبورة ومهرة مأمورة، أي كثيرة النتاج(٤).

وقال الزمخشريّ: وإذا أردنا أي وإذا دنى وقت إهلاك قوم ولم يبق من زمان إهلاكهم إلاّ قليلاً أمرناهم ففسقوا أي أمرناهم بالفسق ففعلوا والامر مجاز لأنّ حقيقة أمرهم بالفسق أن يقول لهم: افسقوا، وهذا لا يكون فبقي أن يكون مجازاً، ووجه المجاز أنّه صبّ عليهم النعمة صبّاً فجعلوها ذريعةً إلى المعاصي واتّباع الشهوات فكأنّهم مأمورون بذلك، لتسبّب إبلاء النعمة فيه، وإنّما خوّلهم إيّاها ليشكروا ويعملوا فيها بالخير ويتمكّنوا من الإحسان والبرّ كما خلقهم أصحّاء أقوياء وأقدرهم على الخير والشرّ وطلب منهم إيثار الطاعة على المعصية فآثروا الفسوق، فلمّا فسقوا حقّ عليهم القول وهو كلمة العذاب فدمّرهم(٥). وقد فسّر بعضهم أمرنا بكثّرنا؛ وجعل أمرته فأمر من باب فعلته ففعل كثبرته فثبر.

وقال: في قوله تعالى: ﴿فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا﴾ (٦) يعني أمهله وأملى له في العمر، فأخرج على لفظ الأمر إيذاناً بوجوب ذلك وأنّه مفعول لا محالة كالمأمور به الممتثل، لتقطع معاذير الضالّ، ويقال له يوم القيامة: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ﴾ (٧) أو كقوله: ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا﴾ (٨) أو ﴿مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا﴾ في معنى الدعاء بأن يمهله الله وينفّس في مدّة حياته(٩).

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٦.
(٢) سورة النساء، الآية: ١٠٢.
(٣) أمالي المرتضى، ج ١ ص ٢-٤.
(٤) مجمع البيان، ج ٦ ص ٢٣٢.
(٥) تفسير الكشاف، ج ١ ص ٦٢٩.
(٦) سورة مريم، الآية: ٧٥.
(٧) سورة فاطر، الآية: ٣٧.
(٨) سورة آل عمران، الآية: ١٧٨.
(٩) تفسير الكشاف، ج ١ ص ٦٩٢.

وقال الطبرسيّ رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ أي خلّينا بينهم وبين الشياطين إذا وسوسوا إليهم ودعوهم إلى الضلال حتّى أغووهم ولم يخلّ بينهم بالإلجاء ولا بالمنع، وعبّر عن ذلك بالإرسال على سبيل المجاز والتوسّع، كما يقال لمن خلّى بين الكلب وغيره: أرسل كلبه عليه ﴿تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ أي تزعجهم إزعاجاً من الطاعة إلى المعصية، وقيل تغريهم إغراءاً بالشيء(١).

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ﴾ بأن لطف لكم وأمركم بما تصيرون به أزكياء ما صار منكم أحد زكيّاً، أو ما طهر احد من وسوسة الشيطان وما صلح، ولكنّ الله يزكّي أي يطهّر بلطفه من يشاء، وهو من له لطف، يفعله سبحانه به ليزكو عنده(٢).

وفي قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا﴾ أي نجاةً وفرجاً، أو نوراً في القيامة(٣).

وفي قوله سبحانه: ﴿وَلَـٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ﴾ أي طوّلت أعمارهم وأعمار آبائهم، وأمددتهم بالأموال والأولاد بعد موت الرسل حتّى نسوا الذكر المنزل على الأنبياء وتركوه وكانوا قوماً هلكى فاسدين(٤).

وفي قوله: ﴿كَذَٰلِكَ سَلَكْنَـٰهُ﴾ أي القرآن.

وفي قوله تعالى: ﴿زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَـٰلَهُمْ﴾ أي أعمالهم الّتي أمرناهم بها، وقيل: بأن خلقنا فيهم شهوة القبيح ليجتنبوا المشتهى.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ قال البيضاويّ: قيل: بالتسمية كقوله: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَـٰدُ ٱلرَّحْمَـٰنِ إِنَـٰثًا﴾ أو بمنع الألطاف الصارفة عنه(٥).

وقال الطبرسيّ رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ أي هدايته، أو من أحببته لقرابته، والمراد بالهداية هنا اللّطف الّذي يختار عنده الإيمان، فإنّه لا يقدر عليه إلاّ الله تعالى. لأنّه إمّا أن يكون من فعله خاصّة أو بإعلامه، ولا يعلم ما يصلح المرء في دينه إلاّ الله تعالى، فإنّ الهداية الّتي هي الدعوة والبيان قد أضافها سبحانه إليه في قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ وقيل: إنّ المراد بالهداية في الآية الإجبار على الاهتداء أي أنت لا تقدر على ذلك. وقيل: معناه ليس عليك اهتداؤهم وقبولهم الحقّ(٦).

وقال في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَـَٔاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا﴾(٧) أي بأن نفعل أمراً من الأمور يلجئهم إلى الإقرار بالتوحيد، ولكن ذلك يبطل الغرض بالتكليف. قال الجبائيّ ويجوز أن

---

(١) مجمع البيان، ج ٦ ص ٥٤١.
(٢) مجمع البيان، ج ٧ ص ٢٣٤.
(٣) مجمع البيان، ج ٧ ص ٢٥٧.
(٤) مجمع البيان، ج ٧ ص ٢٨٦.
(٥) تفسير البيضاوي، ج ٣ ص ٣٠٥.
(٦) مجمع البيان، ج ٧ ص ٤٤٩.
(٧) سورة السجدة، الآية: ١٣.

يكون المراد به ولو شئنا لأجبناهم إلى ما سألوا من الردّ إلى دار التكليف ليعملوا بالطاعات، ولكن حقّ القول منّي أن أجازيهم بالعقاب ولا أردّهم. وقيل: معناه: ﴿وَلَوْ شِئْنَا﴾ لهديناهم إلى الجنّة ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي﴾ أي الخير والوعيد ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ أي من كلا الصنفين بكفرهم[1].

وقال في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ﴾ أي ينفع بالإسماع من يشاء أي يلطف له ويوفّقه ﴿وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾ أي أنّك لا تقدر على أن تنفع الكفّار بإسماعك إيّاهم، إذ لم يقبلوا كما لا يسمع من في القبور من الأموات[2].

وقال في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ﴾ أي وجب الوعيد واستحقاق العقاب عليهم فهم لا يؤمنون ويموتون على كفرهم وقد سبق ذلك في علم الله. وقيل: تقديره: لقد سبق القول على أكثرهم أنّهم لا يؤمنون، وذلك أنّه سبحانه أخبر ملائكته أنّهم لا يؤمنون، فحقّ قوله عليهم.

﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ﴾ يعني أيديهم كنّى عنها وإن لم يذكرها لأنّ الأعناق والأغلال يدلاّن عليهما، واختلف في معنى الآية على وجوه: أحدها أنّه سبحانه إنّما ذكره ضرباً للمثل، وتقديره: مثل هؤلاء المشركين في إعراضهم عمّا تدعوهم إليه كمثل رجل غلّت يداه إلى عنقه لا يمكنه أن يبسطهما إلى خير، ورجل طامح برأسه لا يبصر موطئ قدميه.

وثانيها: أنّ المعنى كان هذا القرآن أغلالاً في أعناقهم يمنعهم عن الخضوع لاستماعه وتدبّره لثقله عليهم، وذلك أنّهم لمّا استكبروا عنه وأنفوا من اتباعه وكان المستكبر رافعاً رأسه، لاوياً عنقه، شامخاً بأنفه، لا ينظر إلى الأرض صاروا كأنّما غلّت أيديهم إلى أعناقهم؛ وإنّما أضاف ذلك إلى نفسه لأنّ عند تلاوة القرآن عليهم ودعوته إيّاهم صاروا بهذه الصفة.

وثالثها: أنّ المعنيّ بذلك أناس من قريش همّوا بقتل النبيّ صلى الله عليه وآله فغلّت أيديهم إلى أعناقهم فلم يستطيعوا أن يبسطوا إليه أبداً.

ورابعها: أنّ المراد به وصف حالهم يوم القيامة فهو مثل قوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ﴾ أراد أنّ أيديهم لمّا غلّت إلى أعناقهم ورفعت الأغلال أذقانهم ورؤوسهم صعداً فهم مرفوع[3] الرأس برفع الأغلال إيّاها، والمقمح: الغاضّ بصره بعد رفع رأسه. ﴿وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ هذا على أحد الوجهين تشبيه لهم بمن هذه صفته في إعراضهم عن الإيمان وقبول الحقّ، وذلك عبارة عن خذلان الله إيّاهم لمّا كفروا، فكأنّه قال: وتركناهم مخذولين فصار ذلك من بين أيديهم سداً ومن خلفهم

---

(١) مجمع البيان، ج ٨ ص ١٠٤.
(٢) مجمع البيان، ج ٨ ص ٢٤٠.
(٣) الصواب: مرفوعو، كما في المصدر.

سدّاً، وإذا قلنا: أنّه وصف حالهم في الآخرة فالكلام على حقيقته، ويكون عبارة عن ضيق المكان في النار بحيث لا يجدون متقدّماً ولا متأخّراً إذ سدّ عليهم جوانبهم، وإذا حملناه على صفة القوم الّذين همّوا بقتل النبيّ ﷺ فالمراد جعلنا بين أيدي أُولئك الكفّار منعاً ومن خلفهم منعاً حتّى لم يبصروا النبي ﷺ، وقوله: ﴿فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ أي أغشينا أبصارهم فهم لا يبصرون النبيّ ﷺ. وقيل: أي فأعميناهم فهم لا يبصرون الهدى. وقيل: فأغشيناهم بالعذاب فهم لا يبصرون في النار، وقيل: معناه أنّهم لمّا انصرفوا عن الإيمان والقرآن لزمهم ذلك حتّى لا يكادوا يتخلّصون منه بوجه كالمغلول والمسدود عليه طرقه[1].

وقال في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ﴾ أي عن طريق الجنّة ﴿فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ أي لا يقدر على هدايته أحد، وقيل من ضلّ عن الله ورحمته فلا هادي له، يقال: أضللت بعيري إذا ضلّ. وقيل: معناه: من يضلله عن زيادة الهدى والألطاف لأنّ الكافر لا لطف له[2].

وقال في قوله تعالى: ﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ أي كراهة أن تقول: لو أراد الله هدايتي لكنت ممّن يتّقي معاصيه. وقيل: إنّهم لمّا لم ينظروا في الأدلّة واشتغلوا بالدنيا توهّموا أنّ الله لم يهدهم فردَّ الله عليهم بقوله: ﴿بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى﴾ الآية[3].

وقال الزمخشريّ: (وقيضنا لهم): وقدّرنا لهم، يعني لمشركي مكّة ﴿قُرَنَآءَ﴾ أخداناً من الشياطين من جمع قرين كقوله: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾.

فإن قلت: كيف جاز أن يقيّض لهم القرناء من الشياطين وهو ينهاهم عن اتّباع خطواتهم؟ قلت: معناه أنّه خذلهم ومنعهم التوفيق لتصميمهم على الكفر، فلم يبق لهم قرناء سوى الشياطين، والدليل عليه: ومن يعش نقيّض. ﴿مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ ما تقدّم من أعمالهم وما هم عازمون عليها[4]، أوما بين أيديهم من أمر الدنيا واتّباع الشهوات وما خلفهم من أمر العاقبة وأن لا بعث ولا حساب، ﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾ يعني كلمة العذاب ﴿فِىٓ أُمَمٍ﴾ في جملة أمم ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ﴾ تعليل لاستحقاقهم العذاب[5].

وقال الطبرسيّ رحمه الله في قوله: ﴿لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾[6]: معناه أنّ الوجه في اختلاف الرزق بين العباد في الضيق والسعة زيادة على ما فيه من المصلحة أنّ في ذلك تسخيراً من بعض العباد لبعض بإحواجهم إليه يستخدم بعضهم بعضاً فينتفع أحدهم بعمل الآخر له فينتظم بذلك قوام أمر العالم. وقيل: معناه ليملك بعضهم بعضاً بمالهم فيتّخذونهم عبيداً ومماليك[7].

---

(١) مجمع البيان، ج ٨ ص ٢٥٩-٢٦١.
(٢) مجمع البيان، ج ٨ ص ٣٩٥.
(٣) مجمع البيان، ج ٨ ص ٤١٠.
(٤) الصواب: عليه.
(٥) تفسير الكشاف، ج ٢ ص ١٠٨٨.
(٦) سورة الزخرف، الآية: ٣٢.
(٧) مجمع البيان، ج ٩ ص ٧٩.

وقال في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ أي يعرض عنه ﴿نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا﴾ أي نخلّي بينه وبين الشيطان الّذي يغويه فيصير قرينه عوضاً عن ذكر الله. وقيل: معناه نقرن به شيطاناً في الآخرة يلزمه فيذهب به إلى النار، كما أنّ المؤمن يقرن به ملك فلا يفارقه حتّى يصير به إلى الجنّة(١).

وقال السيّد المرتضى رضي الله عنه فيما مرّ في سورة الأعراف من قوله تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ﴾ الآية: فيه وجوه: أوّلها أن يكون تعالى عنى بذلك صرفهم عن ثواب الله النظر في الآيات، وعن العزّ والكرامة اللّذين يستحقّهما من أدّى الواجب عليه في آيات الله تعالى وأدلّته وتمسّك بها، والآيات على هذا التأويل يحتمل أن تكون سائر الأدلّة ويحتمل أن تكون معجزات الأنبياء عليهم السلام خاصّة، وهذا التأويل يطابقه الظاهر لأنّه تعالى قال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ﴾ فبيّن أنّ صرفهم من الآيات يستحقّ بتكذيبهم ولا يليق ذلك إلاّ بما ذكرناه.

وثانيها: أن يصرفهم عن زيادة المعجزات الّتي يظهرها على الأنبياء بعد قيام الحجّة بما تقدّم من آياتهم ومعجزاتهم، لأنّه تعالى إنّما يظهر هذا الضرب من المعجزات إذا علم أنّه يؤمن عنده من لم يؤمن بما تقدّم من الآيات فإذا علم خلاف ذلك لم يظهرها وصرف الّذين علم من حالهم أنّهم لا يؤمنون بها عنها؛ ويكون الصرف على أحد وجهين: إمّا بأن لا يظهرها جملة، أو بأن يصرفهم عن مشاهدتها ويظهرها بحيث ينتفع بها غيرهم.

وثالثها: أن يكون معنى سأصرف عن آياتي أي لا أوتيها من هذه صفته، وإذا صرفهم عنها فقد صرفها عنهم، وكلا اللّفظين يفيد معنى واحداً.

ورابعها: أن يكون المراد بالآيات العلامات الّتي يجعلها الله في قلوب المؤمنين، ليدلّ بها الملائكة على الفرق بين المؤمن والكافر فيفعلوا بكلّ واحد منها ما يستحقّه من التعظيم أو الاستخفاف كما تأوّل أهل الحقّ الطبع والختم اللّذين ورد بهما القرآن على أنّ المراد بهما العلامة المميّزة بين الكافر والمؤمن، ويكون معنى سأصرفهم عنها أي أعدل بهم عنها وأخصّ بها المؤمنين المصدّقين بآياتي وأنبيائي.

وخامسها: أن يريد تعالى: أنّي أصرف من رام المنع من أداء آياتي وتبليغها، لأنّ من الواجب على الله أن يحول بين من رام ذلك وبينه ولا يمكّن منه لأنّه ينقض الغرض في البعثة.

وسادسها: أن يكون الصرف هنا الحكم والتسمية والشهادة، ومعلوم أنّ من شهد على غيره بالانصراف عن شيء جاز أن يقال له: صرفه عنه، كما يقال: أكفره وكذّبه وفسّقه.

وسابعها: أنّه تعالى لمّا علم أنّ الّذين يتكبّرون في الأرض بغير الحقّ سينصرفون عن النظر

---

(١) مجمع البيان، ج ٩ ص ٨١.

في آياته والإيمان بها إذا أظهرها على أيدي رسله جاز أن يقول: سأصرف عن آياتي فيريد سأظهر ما ينصرفون بسوء اختيارهم عنه، ويجري ذلك مجرى قولهم: سأبخّل فلاناً أي أسأله ما يبخل ببذله، والآيات إمّا المعجزات أو جمع الأدلّة.

وثامنها: أن يكون الصرف ههنا المنع من إبطال الآيات والحجج والقدح فيها بما يخرجها عن أن تكون أدلّة وحججاً، فيكون تقدير الكلام: إنّي بما أؤيّده من حججي وأحكمه من آياتي وبيّناتي سأصرف المبطلين والمكذّبين عن القدح في الآيات والدلالات.

وتاسعها: أنّ الله عزّوجلّ لمّا وعد موسى عليه السلام وأمّته لهلاك عدّوهم قال: سأصرف عن آياتي الّذين يتكبّرون في الأرض بغير الحقّ فأراد عزّوجلّ أنّه يهلكهم ويصطلمهم ويجتاحهم على طريق العقوبة لهم، بما قد كان منهم من التكذيب بآيات الله تعالى والردّ لحججه، وهو تعالى إذا أهلك هؤلاء الجبّارين فقد صرفهم عن آياته من حيث اقتطعهم عن مشاهدتها والنظر فيها[1].

وفي قوله تعالى: ﴿يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ وجهان: أحدهما أن يكون ذلك على سبيل التأكيد والتغليظ والبيان عن أنّ التكبّر لا يكون إلاّ بغير الحقّ.

والثاني: أنّ في التكبّر ما يكون ممدوحاً لأنّ من تكبّر وتنزّه عن الفواحش وتباعد عن فعلها وتجنّب أهلها يكون مستحقّاً للمدح، وإنّما التكبّر المذموم هو الواقع على وجه النخوة والبغي والاستطالة على ذوي الضعف، والفخر عليهم والمباهاة لهم.

ثمّ المراد بالغفلة في الآية التشبيه لا الحقيقة، ووجه التشبيه أنّهم لمّا أعرضوا عن تأمّل آيات الله تعالى والانتفاع بها اشتبهت حالهم حال من كان ساهياً، غافلًا عنها كما قال تعالى: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾ على هذا المعنى. انتهى ملخّص كلامه رحمه الله وقد بسط الكلام فيها بما لا مزيد عليه[2].

وقال رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾[3]: أمّا النور والظلمة المذكوران في الآية فجائز أن يكون المراد بهما الإيمان والكفر، وجائز أيضاً أن يراد بهما الجنّة والنار، والثواب والعقاب، وقد تصحّ الكناية عن الثواب والنعيم في الجنّة بأنّه نور، وعن العقاب في النار بأنّه ظلمة، وإذا كان المراد بهما الجنّة والنار ساغ إضافة إخراجهم من الظلمات إلى النور إليه تعالى لأنّه لا شبهة في أنّه عزّوجلّ هو المدخل للمؤمن الجنّة، والعادل به عن طريق النار، والظاهر بما ذكرناه أشبه لأنّه يقتضي أنّ المؤمن الّذي ثبت

(١) أقول: ظاهر الآية أنه تعالى يصرفهم عن الآيات لتكبّرهم عن الحق مجازاة كما يلعنهم بكفرهم، بل الصرف هو طردهم عن الحق والرحمة وهذا هو اللعن. [النمازي].

(٢) أمالي المرتضى، ج ١ ص ٢٢٤.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٥٧.

كونه مؤمناً يخرج من الظلمة إلى النور، فلو حمل على الإيمان والكفر لتناقض المعنى، ولصار تقدير الكلام: أنّه يخرج المؤمن الّذي تقدّم كونه مؤمناً من الكفر إلى الإيمان، وذلك لا يصحّ؛ على أنّا لو حملنا الكلام على الإيمان والكفر لصحّ ولم يكن مقتضياً لما توهّموه، ويكون وجه إضافة الإخراج إليه - وإن لم يكن الإيمان من فعله - من حيث دلّ وبيّن وأرشد ولطف وسهّل، وقد علمنا أنّه لولا هذه الأُمور لم يخرج المكلّف من الكفر إلى الإيمان، فتصحّ إضافة الإخراج إليه لكون ما عددناه من جهته، وعلى هذا يصحّ من أحدنا إذا أشار على غيره بدخول بلد من البلدان ورغّبه في ذلك وعرّفه ما فيه من الصلاح، أو بمجانبة فعل من الأفعال أن يقول: أنا أدخلت فلاناً البلد الفلانيّ، وأنا أخرجته من كذا وكذا، ألا ترى أنّه تعالى قد أضاف إخراجهم من النور إلى الظلمات إلى الطواغيت، وإن لم يدلّ ذلك على أنّ الطاغوت هو الفاعل للكفر للكفّار، بل وجه الإضافة ما تقدّم لأنّ الشياطين يغوون ويدعون إلى الكفر، ويزيّنون فعله، فكيف اقتضت الإضافة الأولى أنّ الإيمان من فعل الله في المؤمن، ولم تقتض الاضافة الثانية أنّ الكفر من فعل الشياطين في الكفّار لولا بله المخالفين وغفلتهم؟ وبعد فلو كان الأمر على ما ظنّوه لما صار الله وليّاً للمؤمنين وناصراً لهم على ما اقتضته الآية والإيمان من فعله لا من فعلهم، ولما كان خاذلاً للكفّار ومضيفاً لولايتهم إلى الطاغوت والكفر من فعله بهم؛ ولم فصل بين الكافر والمؤمن في باب الولاية وهو المتولّي لفعل الأمرين فيهما؟ ومثل هذا لا يذهب على أحد ولا يعرض عنه إلّا معاند مغالط لنفسه[1].

وقال رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾ فيه وجوه: أوّلها أن يكون المراد بالآية: ربّنا لا تشدد علينا المحنة في التكليف ولا تشقّ علينا فيه، فيفضي بنا إلى ضيق قلوبنا بعد الهداية، وليس يمتنع أن يضيفوا ما يقع من زيغ قلوبهم عند تشديده تعالى المحنة عليهم إليه، كما قال تعالى في السورة: ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾[2].

فإن قيل كيف يشدّد المحنة عليهم؟ قلنا: بأن يقوي شهواتهم لما في عقولهم ونفورهم عن الواجب عليهم فيكون التكليف عليهم بذلك شاقّاً، والثواب المستحقّ عليهم عظيماً متضاعفاً، وإنّما يحسن أن يجعله شاقّاً تعريضاً لهذه المنزلة.

وثانيها: أن يكون ذلك دعاءاً بالتثبيت على الهداية، وإمدادهم بالألطاف الّتي معها يستمرّون على الإيمان.

فإن قيل: وكيف يكون مزيغاً لقلوبهم بأن لا يفعل اللّطف؟ قلنا: من حيث كان المعلوم أنّه متى قطع إمدادهم بألطافه وتوفيقاته زاغوا وانصرفوا عن الإيمان، ويجري هذا مجرى قولهم: اللّهم لا تسلّط علينا من لا يرحمنا. معناه لا تخلّ بيننا وبين من لا يرحمنا فيتسلّط علينا، فكأنّهم قالوا: لا تخلّ بيننا وبين نفوسنا وتمنعنا ألطافك فنزيغ ونضلّ.

---

(١) أمالي المرتضى، ج ٣ ص ١٠٠.
(٢) سورة التوبة، الآية: ١٢٥.

وثالثها: ما ذكره الجبائيّ وهو أنّ المعنى لا تزغ قلوبنا عن ثوابك ورحمتك، ومعنى هذا السؤال أنّهم سألوا الله أن يلطف لهم في فعل الإيمان حتّى يقيموا عليه ولا يتركوه في مستقبل عمرهم فيستحقّوا بترك الإيمان أن تزيغ قلوبهم عن الثواب وأن يفعل بهم بدلاً منه العقاب[(١)].

ورابعها: أن تكون الآية محمولة على الدعاء بأن لا يزيغ القلوب عن اليقين والإيمان ولا يقتضي ذلك أنّه تعالى سئل ما كان لا يحبُّ أن يفعله، وما لولا المسألة لجاز فعله لأنّه غير ممتنع أن ندعوه على سبيل الانقطاع إليه والافتقار إلى ما عنده، بأن يفعل ما نعلم أنّه لابدّ من أن يفعله، وبأن لا يفعل ما نعلم أنّه واجب أن لا يفعله إذا تعلّق بذلك ضرب من المصلحة كما قال تعالى حاكياً عن إبراهيم: ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ وكما قال تعالى في تعليمنا ما ندعو به: ﴿قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَٰنُ﴾ وكقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾[(٢)].

وقال رضي الله عنه في قول نوح عليه السلام: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾[(٣)]: ليس في هذه الآية ما يقتضي خلاف مذهبنا لأنّه تعالى لم يقل: إنّه فعل الغواية أو أرادها، وإنّما أخبر أنّ نصح النبيّ عليه السلام لا ينفع إن كان الله يريد غوايتهم، ووقوع الإرادة لذلك، أو جواز وقوعها لا دلالة عليه في الظاهر، على أنّ الغواية ههنا الخيبة وحرمان الثواب، ويشهد بصحّة ما ذكرناه في هذه اللّفظة قول الشاعر:

فمن يلق خيراً يحمد الناس أمره ... ومن يغو لا يعدم على الغيّ لائما

فكأنّه قال: إن كان الله يريد أن يخيّبكم ويعاقبكم بسوء عملكم وكفركم ويحرمكم ثوابه فليس ينفعكم نصحي ما دمتم مقيمين على ما أنتم عليه، إلاّ أن تقلعوا وتتوبوا وقد سمّى الله تعالى العقاب غيّاً فقال: ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾[(٤)] وما قبل هذه الآية يشهد لما ذكرناه، وأنّ القوم استعجلوا عقاب الله تعالى فقالوا: ﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ اللَّهُ إِن شَاءَ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِي﴾[(٥)] الآية، فأخبر أنّ نصحه لا ينفع من يريد الله أن ينزل به العذاب، ولا يغني عنه شيئاً.

وقال جعفر بن حرب: إنّ الآية تتعلّق بأنّه كان في قوم نوح طائفة تقول بالجبر فنبّههم الله تعالى بهذا القول على فساد مذاهبهم، وقال لهم على طريق الانكار عليهم والتعجّب من قولهم: إن كان القول كما تقولون من أنّ الله يفعل فيكم الكفر والفساد فما ينفعكم نصحي فلا تطلبوا منّي نصحاً فأنتم على قولكم لا تنتفعون به وهذا جيّد.

---

(١) أقول: ويشهد لذلك قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ يعني فلمّا مالوا عن الحقّ والطاعة، أمال الله قلوبهم عن الإيمان والخير جزاءً بما يعملون. [مستدرك السفينة ج ٤ لغة «زيغ»].

(٢) أمالي المرتضى، ج ٣ ص ١١٤.

(٣) سورة هود، الآية: ٣٤.

(٤) سورة مريم، الآية: ٥٩.

(٥) سورة هود، الآيات: ٣٢-٣٤.

وروي عن الحسن في هذه الآية وجه صالح وهو أنّه قال: المعنى فيها: إن كان الله يريد أن يعذّبكم فليس ينفعكم نصحي عند نزول العذاب بكم وإن قبلتموه وآمنتم به، لأنّ من حكم الله تعالى أن لا يقبل الإيمان عند نزول العذاب، وكلّ هذا واضح في زوال الشبهة في الآية(١).

أقول: إنّما بسطنا الكلام فيما نقلناه عن الافاضل الأعلام في تفسير تلك الآيات من كلام الملك العلاّم لتحيط خبراً بما ذكره أهل العدل فيها لدفع شبه المخالفين، وسنتلو عليك ما ورد في تأويلها نقلاً عن أئمّة الدين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ما تتخلّص به من شبه المبطلين.

١ - **كا:** عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد، عن ابن أبي نصر، عن حمّاد بن عثمان عن أبي عبيدة الحذّاء قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن الاستطاعة وقول الناس، فقال: - وتلا هذه الآية ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾(٢) - يا أبا عبيدة الناس مختلفون في إصابة القول وكلّهم هالك، قال: قلت: قوله: ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ قال: هم شيعتنا ولرحمة خلقهم وهو قوله: ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ يقول: لطاعة الإمام(٣).

عد: اعتقادنا في الفطرة والهداية أنّ الله عزّ وجلّ فطر جميع الخلق على التوحيد وذلك قوله عزّ وجلّ فطرة الله الّتي فطر الناس عليها.

٢ - وقال: الصادق عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾(٤) قال: حتّى يعرّفهم ما يرضيه وما يسخطه.

٣ - وقال في قوله عزّ وجلّ: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾(٥) قال: بيّن لها ما تأتي وما تترك.

٤ - وقال في قوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾(٦) قال: عرّفناه إمّا آخذاً وإمّا تاركاً.

٥ - وفي قوله عزّ وجلّ: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ﴾(٧) قال: وهم يعرفون.

٦ - وسئل عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾(٨) قال: نجد الخير ونجد الشرّ.

٧ - وقال عليه السلام: ما حجب الله علمه عن العباد فهو موضوع عنهم.

٨ - وقال عليه السلام: إنّ الله احتجّ على الناس بما آتاهم وعرّفهم(٩).

٩ - **ما:** الحسين بن إبراهيم القزوينيّ، عن محمّد بن وهبان، عن أحمد بن إبراهيم عن

---

(١) أمالي المرتضى، ج ٤ ص ١٥٤.
(٢) سورة هود، الآيتان: ١١٨-١١٩.
(٣) أصول الكافي، ج ١ ص ٢٥٦ باب نكت ونتف من التنزيل في الولاية ح ٨٣.
(٤) سورة التوبة، الآية: ١١٥.
(٥) سورة الشمس، الآية: ٨.
(٦) سورة الإنسان، الآية: ٣.
(٧) سورة فصلت، الآية: ١٧.
(٨) سورة البلد، الآية: ١٠.
(٩) اعتقادات الصدوق، ص ٧٢.

الحسن بن عليّ الزعفرانيّ، عن البرقيّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ قال: نجد الخير والشرّ[1].

١٠ - **نهج:** قال أمير المؤمنين عليه السلام: عرفت الله سبحانه بفسخ العزائم وحلّ العقود[2].

١١ - **فس:** في رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ﴾[3] يقول: أخذ الله منكم الهدى من إله غير الله يأتيكم به[4].

١٢ - **فس:** في رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ﴾ يقول: وننكس قلوبهم فيكون أسفل قلوبهم أعلاها ونعمي أبصارهم فلا يبصرون الهدى[5].

١٣ - **فس:** في رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ يقول: طبع الله عليها فلا تعقل ﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ﴾ عليها غطاء عن الهدى ﴿لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ جعل في آذانهم وقرا فلم يسمعوا الهدى[6].

١٤ - **فس:** أحمد بن محمّد، عن جعفر بن عبد الله، عن كثير بن عيّاش، عن أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ﴾ يقول: صمٌّ عن الهدى، وبكم لا يتكلّمون بخير، ﴿فِي الظُّلُمَاتِ﴾ يعني ظلمات الكفر ﴿مَن يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ وهو ردّ على قدريّة هذه الأمة، يحشرهم الله يوم القيامة مع الصابئين والنصارى والمجوس فيقولون: ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ يقول الله: ﴿انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ قال: فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: ألا إنّ لكلّ أمّة مجوساً، ومجوس هذه الأمّة الّذين يقولون: لا قدر، ويزعمون أنّ المشيّة والقدرة إليهم ولهم[7].

١٥ - **فس:** محمّد بن عبد الله، عن موسى بن عمران، عن النوفليّ، عن السكونيّ قال، جاء رجل إلى أبي عبد الله جعفر بن محمّد صلوات الله عليه وأنا عنده، فقال: يا بن رسول الله ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[8] وقوله: ﴿أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾[9] فقال: نعم ليس لله في عباده أمر إلاّ العدل والإحسان، فالدعاء من الله عامٌّ، والهدى خاصٌّ، مثل قوله: ﴿يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ ولم يقل: ويهدي جميع من دعاه إلى صراط مستقيم[10].

---

(١) أمالي الطوسي، ص ٦٦٠ مجلس ٣٥ ح ١٣٦٧.

(٢) نهج البلاغة قصار الحكم، برقم ٢٥٠.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٤٦.

(٤) تفسير القمي، ج ١ ص ٢٠٨.

(٥) تفسير القمي، ج ١ ص ٢٢٠.

(٦) تفسير القمي، ج ١ ص ٢٥٠.

(٧) تفسير القمي، ج ١ ص ٢٠٦.

(٨) سورة النحل، الآية: ٩٠.

(٩) سورة يوسف، الآية: ٤٠.

(١٠) تفسير القمي، ج ١ ص ٣٩١.

١٦ - **لي**: أبي، عن عليّ بن محمّد بن قتيبة، عن حمدان بن سليمان، عن نوح بن شعيب، عن ابن بزيع، عن صالح بن عقبة، عن علقمة بن محمّد الحضرميّ، عن الصادق جعفر بن محمّد، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: قال الله جلّ جلاله: عبادي كلّكم ضالّ إلاّ من هديته، وكلّكم فقير إلاّ من أغنيته، وكلّكم مذنب إلاّ من عصمته(١).

١٧ - **ب**: ابن سعد، عن الأزديّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الله تبارك وتعالى إذا أراد بعبد خيراً أخذ بعنقه فأدخله في هذا الأمر إدخالاً(٢).

١٨ - **ب**: اليقطينيّ، عن نباتة بن محمّد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: إنّ الله تبارك وتعالى إذا أراد بعبد خيراً وكل به ملكاً فأخذه بعضده فأدخله في هذا الأمر(٣).

١٩ - **ب**: هارون، عن ابن صدقة، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: كونوا دعاة الناس بأعمالكم، ولا تكونوا دعاةً بألسنتكم؛ فإنّ الأمر ليس حيث يذهب إليه الناس إنّه من اخذ ميثاقه أنّه منّا فليس بخارج منّا ولو ضربنا خيشومه بالسيف، ومن لم يكن منّا ثمّ حبونا له الدنيا لم يحبّنا(٤).

بيان: قوله عليه السلام: ليس حيث يذهب إليه الناس أي أنّهم يقدرون على هداية الناس بالاحتجاج عليهم، ولعلّ المقصود في تلك الأخبار زجر الشيعة عن المعارضات والمجادلات مع المخالفين بحيث يتضرّرون بها فإنّهم كانوا يبالغون في ذلك ظنّاً منهم أنّهم يقدرون بذلك على هداية الخلق، وليس الغرض منع الناس عن هداية الخلق في مقام يظنّون النفع ولم يكن مظنّة ضرر فإنّ ذلك من أعظم الواجبات.

٢٠ - **ب**: أحمد، عن البزنطيّ قال: قلت له: قول الله تبارك وتعالى ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾ قال: الله يهدي من يشاء، ويضلّ من يشاء؛ فقلت له: أصلحك الله إنّ قوماً من أصحابنا يزعمون أنّ المعرفة مكتسبة، وأنّهم إذا نظروا منه وجه النظر أدركوا، فأنكر عليه السلام ذلك وقال: فما لهؤلاء القوم لا يكتسبون الخير لانفسهم؟ ليس أحد من الناس إلاّ وهو يحبُّ أن يكون خيراً ممّن هو خير منه، هؤلاء بني هاشم موضعهم موضعهم، وقرابتهم قرابتهم، وهم أحقّ بهذا الأمر منكم، أفترون أنّهم لا ينظرون لأنفسهم وقد عرفتم ولم يعرفوا؟! قال أبو جعفر عليه السلام: لو استطاع الناس لأحبّونا(٥).

٢١ - **يد، مع**: الورّاق والسناني، عن ابن زكريّا القطّان، عن ابن حبيب عن ابن بهلول، عن أبيه، عن جعفر بن سليمان البصريّ، عن الهاشميّ قال: سألت أبا عبد الله جعفر بن

---

(١) أمالي الصدوق، ص ٩٠ مجلس ٢٢ ح ١.
(٢) قرب الإسناد، ص ٣٥ ح ١١٣.
(٣) قرب الإسناد، ص ٤٥ ح ١٤٥.
(٤) قرب الإسناد، ص ٧٧ ح ٢٥١.
(٥) قرب الإسناد، ص ٣٥٦ ح ١٢٧٤.

محمّد عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ : ﴿مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾[1] فقال : إنّ الله تبارك وتعالى يضلّ الظالمين يوم القيامة عن دار كرامته ويهدي أهل الإيمان والعمل الصالح إلى جنّته كما قال عزّ وجلّ : ﴿وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾[2] وقال الله عزّ وجلّ : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾[3] قال : فقلت : فقوله : ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ﴾ وقوله عزّ وجلّ : ﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ﴾[4]؟ فقال : إذا فعل العبد ما أمره الله عزّ وجلّ به من الطاعة كان فعله وفقاً لأمر الله عزّ وجلّ وسمّي العبد به موفّقاً، وإذا أراد العبد أن يدخل في شيء من معاصي الله فحال الله تبارك وتعالى بينه وبين تلك المعصية فتركها كان تركه لها بتوفيق الله تعالى، ومتى خلّي بينه وبين المعصية فلم يحل بينه وبينها حتّى يرتكبها فقد خذله ولم ينصره ولم يوفّقه[5].

٢٢ -يد، مع، ن: ابن عبدوس، عن ابن قتيبة، عن حمدان بن سليمان قال : سألت أبا الحسن عليّ بن موسى الرضا عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ : ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾[6] قال : من يرد الله أن يهديه بإيمانه في الدنيا إلى جنّته ودار كرامته في الآخرة يشرح صدره للتسليم لله والثقة به والسكون إلى ما وعده من ثوابه حتّى يطمئنّ إليه، ومن يرد أن يضلّه عن جنّته ودار كرامته في الآخرة لكفره به وعصيانه له في الدنيا يجعل صدره ضيّقاً حرجاً حتّى يشكّ في كفره ويضطرب من اعتقاده قلبه حتّى يصير كأنّما يصّعّد في السماء، كذلك يجعل الله الرجس على الّذين لا يؤمنون[7].

ج: مرسلاً عنه عليه السلام مثله[8].

٢٣ -مع: أبي، عن سعد، عن ابن عيسى، عن الحسن بن فضّال، عن ثعلبة، عن زرارة، عن عبد الخالق بن عبد ربّه، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله عزّ وجلّ ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ فقال : قد يكون ضيّقاً وله منفذ يسمع منه ويبصر، والحرج هو الملتئم الّذي لا منفذ له يسمع به ولا يبصر منه[9].

٢٤ -م، ج: بالإسناد إلى أبي محمّد عليه السلام قال في قوله تعالى : ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ

---

(١) سورة الكهف، الآية: ١٧.
(٢) سورة ابراهيم، الآية: ٢٧.
(٣) سورة يونس، الآية: ٩.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٦٠.
(٥) التوحيد، ص ٢٤١ باب ٣٥ ح ١، ومعاني الأخبار، ص ٢١.
(٦) سورة الأنعام، الآية: ١٢٥.
(٧) التوحيد، ص ٢٤٢، باب ٣٥ ح ٤، ومعاني الأخبار، باب ٨٦ ح ٢، وعيون اخبار الرضا ج ١ ص ١٢٠ باب ١١ ح ٢٨.
(٨) الاحتجاج، ص ٤١١.
(٩) معاني الأخبار، ص ١٤٥.

سَمْعِهِمْۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[١]: أي وسمها بسمة يعرفها من يشاء من ملائكته إذا نظروا إليها بأنّهم الّذين لا يؤمنون، وعلى سمعهم كذلك بسمات وعلى أبصارهم غشاوة، وذلك أنّهم لمّا أعرضوا عن النظر فيما كلّفوه وقصروا فيما أُريد منهم وجهلوا ما لزمهم الإيمان به فصاروا كمن على عينيه غطاء لا يبصر ما أمامه فإن الله عزّ وجلّ يتعالى عن العبث والفساد، وعن مطالبة العباد بما منعهم بالقهر منه، فلا يأمرهم بمغالبته ولا بالمصير إلى ما قد صدّهم عنه بالقسر عنه، ثمّ قال: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ يعني في الآخرة العذاب المعدّ للكافرين، وفي الدنيا أيضاً لمن يريد أن يستصلحه بما ينزل به من عذاب الاستصلاح لينبّهه لطاعته، ومن عذاب الاصطلام ليصيره إلى عدله وحكمته.

قال الطبرسيّ رحمه الله: وروى أبو محمّد العسكريّ عليه السلام مثل ما قال هو في تأويل هذه الآية من المراد بالختم على قلوب الكفّار عن الصادق عليه السلام بزيادة شرح لم نذكره مخافة التطويل لهذا الكتاب[٢].

٢٥ - ن: تميم القرشيّ، عن أبيه، عن الأنصاريّ، عن الهرويّ قال: قال الرضا عليه السلام في قوله عزّ وجلّ ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[٣]: ليس ذلك على سبيل تحريم الإيمان عليها، ولكن على معنى أنّها ما كانت لتؤمن إلاّ بإذن الله وإذنه أمره لها بالإيمان ما كانت مكلفة متعبّدة، وإلجاؤه إيّاها إلى الإيمان عند زوال التكليف والتعبّد عنها[٤].

٢٦ - ن: السنانيّ، عن محمّد الأسديّ، عن سهل، عن عبد العظيم الحسنيّ، عن إبراهيم بن أبي محمود قال: سألت الرضا عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْۖ﴾ قال: الختم هو الطبع على قلوب الكفّار عقوبةً على كفرهم كما قال تعالى: ﴿بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[٥].

٢٧ - فس: قوله: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِۖ﴾[٦] يعني الحسنات والسيّئات، ثمّ قال في آخر الآية: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَۚ﴾ وقد اشتبه هذا على عدّة من العلماء فقالوا: يقول الله: وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله، وإن تصبهم سيّئة يقولوا هذه من عندك، قل كلّ من عند الله الحسنة والسيّئة. ثمّ قال في آخر الآية: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَۚ﴾ فكيف هذا وما معنى القولين؟.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٧.

(٢) تفسير العسكري عليه السلام ص ٩٨ ح ٥٣ والاحتجاج للطبرسي، ص ٤٥٥.

(٣) سورة يونس، الآية: ١٠٠.

(٤) عيون اخبار الرضا عليه السلام ج ١ ص ١٠١ باب ١٠ ح ٣٣.

(٥) عيون اخبار الرضا عليه السلام ج ١ ص ١١٣ باب ١١ ح ١٦.

(٦) سورة النساء، الآية: ١٥٥.

فالجواب في ذلك من معنى القولين جميعاً عن الصادقين عليهم السلام أنّهم قالوا: الحسنات في كتاب الله على وجهين، والسيّئات على وجهين، فمن الحسنات الّتي ذكرها الله الصحّة والسلامة والأمن والسعة في الرزق وقد سمّاها الله حسنات ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ يعني بالسيّئة ههنا المرض والخوف والجوع والشدّة ﴿يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ﴾ أي يتشاءموا به، والوجه الثاني من الحسنات يعني به أفعال العباد وهو قوله: ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ ومثله كثير. وكذا السيّئات على وجهين فمن السيّئات الخوف والجوع والشدّة وهو ما ذكرناه في قوله: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ﴾ وعقوبات الذنوب قد سمّاها الله السيّئات كقوله تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾.

والوجه الثاني من السيّئات يعني بها أفعال العباد الّذين يعاقبون عليها وهو قوله: ﴿وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ﴾[١] وقوله: ﴿مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾[٢] يعني ما عملت من ذنوب فعوقبت عليها في الدنيا والآخرة فمن نفسك بأعمالك لأنّ السّارق يقطع، والزاني يجلد ويرجم، والقاتل يقتل فقد سمّى الله العلل والخوف والشدّة وعقوبات الذنوب كلّها سيّئات، فقال: ﴿وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ بأعمالك، قوله: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾ يعني الصحّة والعافية والسعة والسيّئات الّتي هي عقوبات الذنوب من عند الله[٣].

بيان: لا يخفى أنّ الظّاهر في الآية الأولى من الحسنة النعمة كالخصب والظفر والأمن والفرح، ومن السيّئة القحط والهزيمة والجوع والخوف، ويحتمل بعيداً ما ذكره عليّ بن إبراهيم من عقوبات الذنوب؛ وفي الآية الثانية يحتمل أن يكون المراد بالحسنة الطاعة فإنّها بتوفيقه تعالى والنعمة فإنّها بأنواعها من فضله تعالى، وبالسيّئة الذنوب فإنّها باختيارنا؛ أو عقوباتها فإنّها بسبب أفعالنا، ولا ينافي ذلك كونها من الله، إذ تقديرها وإلزامها وإيجابها من الله وفعل ما يوجبها منّا، ولعلّ كلام عليّ بن إبراهيم ناظر إلى هذا، أو البلايا والمصائب فإنّها بسبب ذنوبنا الّتي نستحقّها بها، ولا ينافي أيضاً كونها من عند الله إذ أعمالنا أسباب لإنزال الله تعالى إيّاها، فالفاعل هو الله ونحن الأسباب، ومنّا البواعث، ويمكن حمل الآية أيضاً على الطاعات والمعاصي إذ المعاصي صادرة منّا بسلب توفيقه تعالى عنّا، فيجوز نسبتها إليه تعالى أيضاً مجازاً وإن كنّا نحن بقبائح أعمالنا باعثين لسلب التوفيق أيضاً، ولعلّه إنّما خصّ بعض الصور بالذكر لظهور البواقي.

٢٨ - **يد:** ابن الوليد، عن ابن أبان، عن الحسين بن سعيد، عن ابن أبي عمير، عن عبد الله الفرّاء، عن محمّد بن مسلم، ومحمّد بن مروان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما علم رسول الله صلى الله عليه وآله أنّ جبرئيل عليه السلام من قبل الله عز وجل إلاّ بالتوفيق[٤].

---

(١) سورة النمل، الآية: ٩٠.

(٢) سورة النساء، الآية: ٧٩.

(٣) تفسير القمي، ج ١ ص ١٥١.

(٤) التوحيد، ص ٢٤٢ باب ٣٥ ح ٢.

٢٩ - يد، القطّان، عن السكّريّ، عن الجوهريّ، عن ابن عمارة، عن أبيه، عن جابر الجعفيّ، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألته عن معنى لا حول ولا قوّة إلاّ بالله فقال: معناه لا حول لنا عن معصية الله إلاّ بعون الله، ولا قوّة لنا على طاعة الله إلاّ بتوفيق الله عزّ وجلّ [1]..

٣٠ - سن: محمّد بن إسماعيل، عن أبي إسماعيل السرّاج، عن ابن مسكان، عن ثابت أبي سعيد قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: يا ثابت ما لكم وللنّاس؟ كفّوا عن الناس ولا تدعوا أحداً إلى أمركم، فوالله لو أن أهل السماوات وأهل الأرضين اجتمعوا على أن يهدوا عبداً يريد الله ضلالته ما استطاعوا أن يهدوه، ولو أنّ أهل السماوات وأهل الأرضين اجتمعوا على أن يضلّوا عبداً يريد الله هداه ما استطاعوا أن يضلّوه، كفّوا عن الناس ولا يقل أحدكم: أخي وابن عمّي وجاري، فإنّ الله إذا أراد بعبد خيراً طيّب روحه فلا يسمع معروفاً إلاّ عرفه، ولا منكراً إلاّ أنكره، ثمّ يقذف الله في قلبه كلمةً يجمع بها أمره [2].

سن: أبي، عن عبد الله بن يحيى، عن عبد الله بن مسكان، عن ثابت مثله [3].

٣١ - سن: عبد الله بن يحيى، عن هشام بن سالم، عن سليمان بن خالد قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام يا سليمان إنّ لك قلباً ومسامع، وإنّ الله إذا أراد أن يهدي عبداً فتح مسامع قلبه، وإذا أراد به غير ذلك ختم مسامع قلبه فلا يصلح أبداً؛ وهو قول الله عزّ وجلّ: ﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [4].

٣٢ - سن: القاسم بن محمّد وفضالة، عن كليب بن معاوية الأسديّ قال: قال أبو عبد الله عليه السلام ما أنتم والناس؟ إنَّ الله إذا أراد بعبد خيراً نكت في قلبه نكتةً بيضاء فإذا هو يجول لذلك ويطلبه [5].

٣٣ - سن: فضالة، عن القاسم بن يزيد عن سليمان بن خالد قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إذا أراد الله بعبد خيراً نكت في قلبه نكتةً بيضاء فجال القلب يطلب الحقّ، ثمّ هو إلى أمركم أسرع من الطير إلى وكره [6].

٣٤ - سن: أبي، عن فضالة، عن أبي بصير، عن خيثمة بن عبد الرحمن الجعفيّ قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: إنّ القلب ينقلب من لدن موضعه إلى حنجرته ما لم يصب الحقّ، فإذا أصاب الحقّ قرّ. ثمّ ضمّ أصابعه وقرأ هذه الآية: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [7].

شي: عن خيثمة مثله [8].

٣٥ - سن: حمّاد بن عيسى، عن ربعيّ، عن الفضيل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لا

(١) التوحيد، ص ٢٤٢ باب ٣٥ ح ٣.
(٢) - (٦) المحاسن، ص ٢٠٠-٢٠١.
(٧) المحاسن، ص ٢٠٢. والآية من سورة الأنعام: ١٢٥.
(٨) تفسير العياشي، ج ١ ص ٤٠٦ ح ٩٤.

تدعوا إلى هذا الأمر فإنَّ الله إذا أراد بعبد خيراً أخذ بعنقه فأدخله في هذا الأمر[١].

سن: يحيى بن إبراهيم بن أبي البلاد، عن أبيه، عن جدّه، عن أبي جعفر عليه السلام مثله[٢].

٣٦ - **سن:** النضر، عن يحيى الحلبيّ، عن عمران قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إنّ الله إذا أراد بعبد خيراً أخذ بعنقه فأدخله في هذا الأمر[٣].

سن: عليّ بن إسماعيل الميثميّ، عن ربعيّ، عن حذيفة بن منصور عن أبي عبد الله عليه السلام مثله[٤].

سن: صفوان، عن العلاء، عن محمّد، عن أبي عبد الله عليه السلام مثله[٥].

٣٧ - **سن:** صفوان، عن محمّد بن مروان، عن فضيل قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام ندعو الناس إلى هذا الأمر؟ فقال: لا يا فضيل؛ إنّ الله إذا أراد بعبد خيراً وكل ملكاً فأخذ بعنقه فأدخله في هذا الأمر طائعاً أو كارهاً[٦]..

٣٨ - **سن:** ابن أبي عمير، عن أبي أيّوب، عن معاذ بن كثير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنّي لا أسئلك إلاّ عمّا يعنيني، إنّ لي أولاداً قد أدركوا فأدعوهم إلى شيء من هذا الأمر؟ فقال: لا، إنّ الإنسان إذا خلق علويّاً أو جعفرياً يأخذ الله بناصيته حتّى يدخله في هذا الأمر[٧].

٣٩ - **سن:** صفوان، عن حذيفة بن منصور، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان أبي عليه السلام يقول: إذا أراد الله بعبد خيراً أخذ بعنقه فأدخله في هذا الأمر، قال: وأومأ بيده إلى رأسه[٨].

٤٠ - **سن:** حمّاد بن عيسى، عن نباتة بن محمّد البصريّ قال: أدخلني ميسّر بن عبد العزيز على أبي عبد الله عليه السلام وفي البيت نحو من أربعين رجلاً فجعل ميسّر يقول: جعلت فداك هذا فلان بن فلان من أهل بيت كذا وكذا حتّى انتهى إليّ فقال: إنّ هذا ليس في أهل بيته أحد يعرف هذا الأمر غيره؛ فقال أبو عبد الله عليه السلام: إنّ الله إذا أراد بعبد خيراً وكل به ملكاً فأخذ بعضده فأدخله في هذا الأمر[٩].

٤١ - **سن:** عليّ بن الحكم، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ فقال: يحول بينه وبين أن يعلم أنَّ الباطل حقّ[١٠].

بيان: أي يهديه إلى الحقّ.

وقال السيّد المرتضى رضي الله عنه في الغرر والدرر: فيه وجوه:

أوّلها: أن يريد بذلك أنّه تعالى يحول بين المرء وبين الانتفاع بقلبه بالموت وهذا حثّ منه عزّ وجلّ على الطاعات والمبادرة لها قبل الفوت.

---

(١) - (٩) المحاسن، ص ٢٠٢-٢٠٣. (١٠) المحاسن، ص ٢٣٧.

وثانيها: أنّه يحول بين المرء وقلبه بإزالة عقله وإبطال تميزه وإن كان حيّاً، وقد يقال لمن فقد عقله وسلب تمييزه: إنّه بغير قلب، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾(١).

وثالثها: أن يكون المعنى المبالغة في الإخبار عن قربه من عباده وعلمه بما يبطنون ويخفون وأنَّ الضمائر المكنونة له ظاهرة، والخفايا المستورة لعلمه بادية، ويجري ذلك مجرى قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾(٢) ونحن نعلم أنّه تعالى لم يرد قرب المسافة بل المعنى الّذي ذكرناه، وإذا كان عزّوجلّ هو أعلم بما في قلوبنا منّا وكان ما نعلمه أيضاً يجوز أن ننساه ونسهو عنه ونضلّ عن علمه، وكلّ ذلك لا يجوز عليه جاز أن يقول أنّه يحول بيننا وبين قلوبنا لأنّه معلوم في الشاهد أن كلّ شيء يحول بين شيئين فهو أقرب إليهما(٣)، والعرب تضع كثيراً لفظة القرب على غير معنى المسافة، فتقول: فلان أقرب إلى قلبي من فلان.

ورابعها: ما أجاب به بعضهم من أنَّ المؤمنين كانوا يفكّرون في كثرة عدّوهم وقلّة عددهم فيدخل قلوبهم الخوف فأعلمهم تعالى أنّه يحول بين المرء وقلبه بأن يبدّله بالخوف الأمن، ويبدّل عدوّهم بظنّهم أنّهم قادرون عليهم الجبن والخور.

ويمكن في الآية وجه خامس وهو أن يكون المراد أنّه تعالى يحول بين المرء وبين ما يدعوه إليه قلبه من القبائح بالامر والنهي والوعد والوعيد انتهى(٤).

أقول: يمكن أن تكون الحيلولة بالهدايات والألطاف الخاصّة زائداً على الأمر والنهي، ويحتمل أن يكون مخصوصاً بالمقربين الّذين يملك الله قلوبهم ويستولي عليها بلطفه ويتصرّف فيها بأمره فلا يشاؤون شيئاً إلاّ أن يشاء الله، ولا يريدون إلاّ ما أراد الله، فهو تعالى في كلّ آن يفيض على أرواحهم، ويتصرّف في أبدانهم، فهم ينظرون بنور الله، ويبطشون بقوّة الله، كما قال تعالى فيهم: فبي يسمع وبي يبصر، وبي ينطق، وبي يمشي، وبي يبطش. وقال عزّوجلّ كنت سمعه وبصره ويده ورجله ولسانه. وسيأتي مزيد تحقيق لذلك في كتاب المكارم، وقد مرّ الكلام في الآية في باب العلم.

٤٢ - **شي:** عن ابن أبي يعفور قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: لبسوا عليهم لبس الله عليهم فإنّ الله يقول: ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾(٥).

٤٣ - **شي:** عن عليّ بن عقبة، عن أبيه قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: اجعلوا

---

(١) سورة ق، الآية: ٣٧. (٢) سورة ق، الآية: ١٦.

(٣) في المصدر هنا سقط وفيه: ولما أراد الله تعالى المبالغة في وصف القرب خاطبنا بما نعرف ونألف، وإن كان القرب الذي عناه جلّت عظمته لم يرد به المسافات.

(٤) أمالي المرتضى، ج ٢ ص ١٦٤. (٥) تفسير العياشي، ج ١ ص ٣٨٥ ح ٩.

أمركم هذا لله ولا تجعلوا للناس، فإنّه ما كان لله فهو لله، وما كان للناس فلا يصعد إلى الله ولا تخاصموا الناس بدينكم فإنّ الخصومة ممرضة للقلب، إنّ الله قال لنبيّه: يا محمّد إنّك لا تهدي من أحببت ولكنّ الله يهدي من يشاء، وقال: أفأنت تكره الناس حتّى يكونوا مؤمنين. ذروا الناس فإنّ الناس أخذوا من الناس وإنّكم أخذتم من رسول الله وعليّ ولا سواء، إنّي سمعت أبي عليه السلام وهو يقول: إنّ الله إذا كتب إلى عبد أن يدخل في هذا الأمر كان أسرع إليه من الطير إلى وكره[1].

٤٤ - **شي:** البزنطيّ، عن الرضا عليه السلام قال: قال الله في قوم نوح: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾ قال: الأمر إلى الله يهدي ويضلّ[2].

٤٥ - **شي:** عن إسحاق بن عمّار قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يدعو أصحابه فمن أراد الله به خيراً سمع وعرف ما يدعوه إليه، ومن أراد به شرّاً طبع على قلبه فلا يسمع ولا يعقل وهو قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾[3].

٤٦ - **شي:** عن حمران، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَّرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾[4] - مشدّدة منصوبة - تفسيرها: كثّرنا؛ وقال: لا قرأتها مخفّفة[5].

بيان: قال الفيروزآباديّ: أمر كفرح أمَراً وأمَرةً، كثر وتمّ فهو آمر، والأمر اشتدّ، والرجل كثرت ماشيته، وأمّره الله وأمره كنصره لغيّة كثّر ماشيته ونسله.

٤٧ - **شي:** عن حمران، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَّرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ قال: تفسيرها: أمرنا أكابرها[6].

٤٨ - **تفسير النعمانيّ:** بالإسناد الآتي في كتاب القرآن عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: الضّلالة على وجوه: فمنه محمود، ومنه مذموم، ومنه ما ليس بمحمود ولا مذموم ومنه ضلال النسيان، فأمّا الضلال المحمود وهو المنسوب إلى الله تعالى كقوله: ﴿يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ﴾ هو ضلالهم عن طريق الجنّة بفعلهم، والمذموم هو قوله تعالى: ﴿وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ﴾ ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ﴾ ومثل ذلك كثير؛ وأمّا الضلال المنسوب إلى الأصنام فقوله في قصّة إبراهيم: ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ الآية، والأصنام لا يضللن أحداً على الحقيقة، إنّما ضلّ الناس بها وكفروا حين عبدوها من دون الله عزّ وجلّ، وأمّا الضلال الّذي هو النسيان فهو قوله تعالى: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ

(١) تفسير العياشي، ج ٢ ص ١٤٥ ح ٤٨.
(٢) تفسير العياشي، ج ٢ ص ١٥٣ ح ١٦.
(٣) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٢٩٤ ح ٧٧.
(٤) سورة الإسراء، الآية: ١٦.
(٥) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٣٠٧ ح ٣٤.
(٦) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٣٠٧ ح ٣٥.

﴿إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى﴾ وقد ذكر الله تعالى الضلال في مواضع من كتابه، فمنهم ما نسبه إلى نبيّه على ظاهر اللّفظ كقوله سبحانه: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾ معناه وجدناك في قوم لا يعرفون نبوتك فهديناهم بك؛ وأمّا الضلال المنسوب إلى الله تعالى الّذي هو ضدّ الهدى والهدى هو البيان، وهو معنى قوله سبحانه: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾ معناه: أولم أبيّن لهم، مثل قوله سبحانه: ﴿فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾ أي بيّنّا لهم، وهو قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ﴾.

وأمّا معنى الهدى فقوله عزّوجلّ ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ ومعنى الهادي المبيّن لما جاء به المنذر من عند الله، وقد احتجّ قوم من المنافقين على الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ وذلك أنّ الله تعالى لمّا أنزل على نبيّه: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ قال طائفة من المنافقين: ﴿مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا﴾ فأجابهم الله تعالى بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ إلى قوله: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ فهذا معنى الضلال المنسوب إليه تعالى لأنّه أقام لهم الإمام الهادي لما جاء به المنذر فخالفوه وصرفوا عنه، بعد أن أقرّوا بفرض طاعته، ولمّا بيّن لهم ما يأخذون وما يذرون فخالفوه ضلّوا. هذا مع علمهم بما قاله النبيّ صلى الله عليه وآله، وهو قوله: لا تصلّوا عليّ صلاةً مبتورةً إذا صلّيتم عليّ بل صلّوا على أهل بيتي ولا تقطعوهم منّي فإنّ كلّ سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلاّ سببي ونسبي. ولمّا خالفوا الله تعالى ضلّوا فأضلّوا فحذّر الله تعالى الأمّة من اتّباعهم فقال سبحانه: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ والسبيل ههنا الوصيّ، وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ﴾ الآية فخالفوا ما وصّاهم الله تعالى به واتّبعوا أهواءهم فحرّفوا دين الله جلت عظمته وشرائعه، وبدّلوا فرائضه وأحكامه وجميع ما أُمروا به، كما عدلوا عمّن أمروا بطاعته، وأُخذ عليهم العهد بموالاته، واضطرّهم ذلك إلى استعمال الرأي والقياس فزادهم ذلك حيرةً والتباساً. ومنه قوله سبحانه: ﴿وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ﴾[1] فكان تركهم اتّباع الدليل الّذي أقام لهم ضلالةً لهم فصار ذلك كأنّه منسوب إليه تعالى لمّا خالفوا أمره في اتّباع الإمام، ثمّ افترقوا واختلفوا، ولعن بعضهم بعضاً واستحلّ بعضهم دماء بعض، فماذا بعد الحقّ إلاّ الضلال فأنّى تؤفكون.

٤٩ - **نهج:** قال عليه السلام - وقد سئل عن معنى قولهم: لا حول ولا قوّة إلاّ بالله -: إنّا لا نملك مع الله شيئاً ولا نملك إلاّ ما ملّكنا، فمتى ملّكنا ما هو أملك به منّا كلّفنا، ومتى أخذه منّا وضع تكليفه عنّا[2].

---

(١) سورة المدثر، الآية: ٣١.

(٢) نهج البلاغة قصار الحكم، برقم ٤٠٤.

٥٠ - **كنز الكراجكي:** قال: قال الصادق عليه السلام: ما كلّ من نوى شيئاً قدر عليه ولا كلّ من قدر على شيء وفّق له، ولا كلّ من وفّق لشيء أصاب له، فإذا اجتمعت النيّة والقدرة والتوفيق والإصابة فهنالك تمّت السعادة(١).

٨ - باب التمحيص والاستدراج والابتلاء والاختبار

الآيات: آل عمران «٣»: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٧٨﴾ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ «وقال تعالى»: ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٢﴾﴾ «وقال تعالى»: ﴿وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ «١٥٤» «وقال تعالى»: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ﴾ «١٨٦».

المائدة «٥»: ﴿وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ «٧١».

الأنعام «٦»: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾ «١٦٥».

الأعراف «٧»: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾﴾.

الأنفال «٨»: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ «٢٥» وقال تعالى»: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ «٢٨».

التوبة «٩»: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ «وقال الله تعالى»: ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾﴾.

هود «١١»: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ «٧».

الكهف «١٨»: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾﴾.

= أقول: حاصل ذلك أنا لا نملك مع الله شيئاً أبداً فلا شريك معه. وكذا لا نملك من دون الله شيئاً، بل نملك بالله تعالى ما هو أملك به منا. فنحن المالكون بتمليكه لا بذاتنا فإذا لم يملك فلا شيء. ولذا ملك العباد القوة والقدرة على أعمال فهم الذين يفعلون ويعملون تلك الأعمال. تقول في الصلاة: بحول الله وقوته أقوم وأقعد. فالأفاعيل صادرة منا مسندة إلينا ولا إسناد لها إليه تعالى؛ فلا جبر، لأنا نملك القوة والقدرة على الفعل والترك؛ ولا تفويض، لأنه أملك بما ملّكنا، يفيض ما شاء كيف شاء، ولو انقطع فيضه مات فوراً، يمدّ هؤلاء وهؤلاء ﴿وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾. [مستدرك السفينة ج٢ لغة «حوقل»].

(١) كنز الفوائد، ج ٢ ص ٣٣.

طه: ﴿وَفَتَنَّكَ فُتُونًا﴾ «٤٠» وقال تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾﴾ إلى قوله: ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ﴾ «٩٠» وقال تعالى: ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ «١٣١».

الأنبياء «٢١»: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ «٣٥» وقال: ﴿وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾﴾.

الحج «٢٢»: ﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى الشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ «٥٣».

الفرقان «٢٥»: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ «٢٠».

النمل «٢٧»: ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾ «٤٧».

العنكبوت «٢٩»: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا أَن يَقُولُوٓا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾﴾.

الأحزاب «٣٣»: ﴿هُنَالِكَ ابْتُلِىَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾﴾.

الصافات «٣٧»: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَٰٓؤُا الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾﴾.

ص «٣٨»: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾ «٣٤».

الزمر «٣٩»: ﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ «٤٩».

المؤمن [غافر] «٤٠»: ﴿فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى الْبِلَٰدِ﴾ «٤».

الدخان «٤٤»: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾ «١٧» وقال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ الْءَايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا مُّبِينٌ﴾ «٣٣».

محمد «٤٧»: ﴿وَلَوْ يَشَآءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾ «٤» وقال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا أَخْبَارَكُمْ﴾ «٣١».

القمر «٥٤»: ﴿إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ﴾ «٢٧».

الممتحنة «٦٠»: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ «٥».

الملك «٦٧»: ﴿الَّذِى خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ «٣».

القلم «٦٨»: ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾ «١٧» وقال تعالى: ﴿فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿٤٥﴾﴾.

الجن «٧٢»: ﴿لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ «١٧».

المدثر «٧٤»: ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ «٣١».

الطارق «٨٦»: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾﴾.

تفسير: قال الطبرسيّ رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي يعلمهم متميّزين بالإيمان، وإذا كان الله تعالى يعلمهم قبل إظهارهم الإيمان كما يعلمهم بعده فإنّما

يعلم قبل الإظهار أنّهم سيتميّزون فإذا أظهروه علمهم متميّزين، ويكون التغيّر حاصلاً في المعلوم لا في العالم، كما أنّ أحدنا يعلم الغد قبل مجيئه على معنى أنّه سيجيء، فاذا جاء علمه جائياً وعلمه يوماً لا غداً وإذا انقضى فإنّما يعلمه أمس لا يوماً ولا غداً، ويكون التغيير واقعاً في المعلوم لا في العالم. وقيل: معناه: وليعلم أولياء الله، وإنّما أضاف إلى نفسه تفخيماً، وقيل: معناه: وليظهر المعلوم من صبر من يصبر، وجزع من يجزع، وإيمان من يؤمن. وقيل: ليظهر المعلوم من النفاق والإخلاص، ومعناه: ليعلم الله المؤمن من المنافق فاستغنى بذكر أحدهما عن الآخر. ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ﴾ أي ليكرم بالشهادة من قتل يوم أحد، أو يتّخذ منكم شهوداً على النّاس بما يكون منهم من العصيان؛ وأصل التمحيص التخليص، والمحق: إفناء الشيء حالاً بعد حال أي ليبتلي الله الّذين آمنوا وليخلّصهم من الذنوب أو ينحّيهم من الذنوب بالابتلاء، ويهلك الكافرين بالذنوب عند الابتلاء[١]. وقال: ﴿وَلِيَبْتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ﴾ أي ليختبر ما فيها بأعمالكم لأنّه قد علمه غيباً فيعلمه شهادةً لأنّ المجازاة إنّما تقع على ما يعلمه مشاهدة. وقيل: معناه ليعاملكم معاملة المختبرين ﴿وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ﴾ أي ليكشفه ويميزه، أو يخلّصه من الوساوس، وقال: ﴿لَتُبْلَوُنَّ﴾ أي لتوقع عليكم المحن وتلحقكم الشدائد في أموالكم بذهابها ونقصانها، وفي أنفسكم أيّها المؤمنون بالقتل والمصائب[٢].

وقال البيضاويّ ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾ خطاب للمؤمنين حين كره بعضهم القتال؛ أو المنافقين ﴿أَن تُتْرَكُوا۟﴾ ولم يتبيّن الخلّص منكم وهم الّذين جاهدوا من غيرهم، نفي العلم وإرادة نفي المعلوم للمبالغة فإنّه كالبرهان عليه من حيث إنّ تعلّق العلم به مستلزم لوقوعه ﴿وَلِيجَةً﴾: بطانة يوالونهم ويفشون إليهم أسرارهم[٣].

وقال في قوله تعالى: ﴿يُفْتَنُونَ﴾ أي يبتلون بأصناف البليّات، أو بالجهاد مع رسول الله ﷺ فيعاينون ما يظهر عليه من الآيات[٤].

وقال الطبرسيّ رحمه الله في قوله تعالى ﴿وَفَتَنَّـٰكَ فُتُونًا﴾ أي اختبرناك اختباراً؛ وفي قوله تعالى: ﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ﴾ أي امتحناهم وشدّدنا عليهم التكليف بما حدث فيهم من أمر العجل، فألزمناهم عند ذلك النظر ليعلموا أنّه ليس بإله، فأضاف الضلال إلى السامريّ والفتنة إلى نفسه[٥].

وفي قوله تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ﴾ أي نعاملكم معاملة المختبر بالفقر والغنى، وبالضراء والسرّاء، وبالشدّة والرخاء.

---

(١) مجمع البيان، ج ٢ ص ٤٠٠-٤٠١.
(٢) مجمع البيان، ج ٢ ص ٤٢١.
(٣) تفسير البيضاوي، ج ٢ ص ١٧٣.
(٤) تفسير البيضاوي، ج ٢ ص ٢١٦.
(٥) مجمع البيان، ج ٧ ص ٢٢.

وروي عن أبي عبد الله عليه السلام أنّ أمير المؤمنين عليه السلام مرض فعاده إخوانه فقال كيف تجدك ياأمير المؤمنين؟ قال: بشرّ، قالوا: ما هذا كلام مثلك! فقال: إنّ الله يقول: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ فالخير: الصحّة والغنى، والشرّ: المرض والفقر ﴿فِتْنَةً﴾ أي ابتلاءاً واختباراً وشدّة تعبّد[1].

وقال في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ﴾ أي ما آذنتكم به اختبار لكم وشدّة تكليف ليظهر صنيعكم، وقيل: هذه الدنيا فتنةٌ لكم؛ وقيل: تأخير العذاب محنةٌ واختبار لكم لترجعوا عمّا أنتم عليه ﴿وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ أي تتمتّعون به إلى وقت انقضاء آجالكم[2].

وقال في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾ أي امتحاناً وابتلاءاً، وهو افتتان الفقير بالغنيّ، يقول: لو شاء الله لجعلني مثله غنيّاً، والأعمى بالبصير، والسقيم بالصحيح[3].

وقال في قوله تعالى: ﴿وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ أي أظنّ الناس أن يقنع منهم بأن يقولوا: إنّا مؤمنون فقط، ويقتصر منهم على هذا القدر، ولا يمتحنون بما يتبيّن به حقيقة إيمانهم؟ هذا لا يكون. وقيل: معنى يفتنون يبتلون في أنفسهم وأموالهم وهو المرويّ عن أبي عبد الله عليه السلام ويكون المعنى: ولا يشدّد عليهم التكليف والتعبّد ولا يؤمرون ولا ينهون.

وقيل: معناه ولا يصابون بشدائد الدنيا ومصائبها أي أنّها لا تندفع بقولهم: آمنّا. وقال الحسن: معناه أحسبوا أن يتركوا أن يقولوا: لا إله إلاّ الله ولا يختبروا أصدقوا أم كذبوا؟ يعني أنّ مجرّد الإقرار لا يكفي. والأولى حمله على الجميع، إذ لا تنافي فإنّ المؤمن يكلّف بعد الإيمان بالشرائع، ويمتحن في النفس والمال، ويمنى بالشدائد والهموم والمكاره، فينبغي ان يوطّن نفسه على هذه الفتنة ليكون الأمر أيسر عليه إذا نزل به[4].

وقال في قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ أي إنّما أوتيته بعلمي وجلدي وحيلتي. أو على خير علمه الله عندي، أو على علم يرضاه عنّي، فلذلك آتاني ما آتاني من النعم؛ ثمّ قال: ليس الأمر على ما يقولون، بل هي فتنة أي بليّة واختبار يبتليه الله بها، فيظهر كيف شكره أو صبره في مقابلتها فيجازيه بحسبها.

وقيل: معناه: هذه النعمة فتنةٌ، أي عذابٌ لهم إذا أضافوها إلى أنفسهم، وقيل: معناه: هذه المقالة الّتي قالوها فتنة لهم لأنّهم يعاقبون عليها[5].

وقال في قوله تعالى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي إلى الهلكة حتّى يقعوا فيه بغتةً. وقيل: يجوز أن يريد عذاب الآخرة أي نقرّبهم إليه درجة درجة حتّى يقعوا فيه.

---

(١) مجمع البيان، ج ٧ ص ٨٥.
(٢) مجمع البيان، ج ٧ ص ١٢١.
(٣) مجمع البيان، ج ٧ ص ٢٨٧.
(٤) مجمع البيان، ج ٨ ص ٨.
(٥) مجمع البيان، ج ٨ ص ٤٠٦.

وقيل: هو من المدرجة وهي الطريق، ودرج: إذا مشى سريعاً، أي سنأخذهم من حيث لا يعلمون أيّ طريق سلكوا؟ فإن الطّريق كلها إليّ ومرجع الجميع إليّ، ولا يغلبني غالب ولا يسبقني سابق ولا يفوتني هارب. وقيل: إنّه من الدرج، أي سنطويهم في الهلاك ونرفعهم عن وجه الأرض، يقال طويت فلاناً وطويت أمر فلان: إذا تركته وهجرته. وقيل: معناه: كلّما جدَّدوا خطيئةً جدّدنا لهم نعمة.

وروي عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: إذا أحدث العبد ذنباً جدّد له نعمة فيدع الاستغفار فهو الاستدراج. ولا يصحّ قول من قال: إنّ معناه يستدرجهم إلى الكفر والضلال، لأنّ الآية وردت في الكفّار وتضمّنت أنّه يستدرجهم في المستقبل، فإنّ السين تختصّ المستقبل، ولأنّه جعل الاستدراج جزاءاً على كفرهم وعقوبةً فلا بدّ أن يريد معنىً آخر غير الكفر.

وقوله: ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ﴾ معناه وأُمهلهم ولا أُعاجلهم بالعقوبة، فإنّهم لا يفوتوني ولا يفوتني عذابهم ﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ أي عذابي قويّ منيع لا يدفعه دافع، وسمّاه كيداً لنزوله بهم من حيث لا يشعرون. وقيل: أراد أنّ جزاء كيدهم متين، وقال: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ أي يحتالون في الإيقاع بك وبمن معك، ويريدون إطفاء نورك ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ أي أُريد أمراً آخر على ضدّ ما يريدون، وأُدبّر ما ينقض تدابيرهم، فسمّاه كيداً من حيث يخفى عليهم[1].

١ - **شي**: عن الوشّاء بإسناد له يرسله إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: والله لتمحّصن والله لتميّزنّ، والله لتغربلنّ حتّى لا يبقى منكم إلاّ الأندر؟ قلت: وما الأندر قال: البيدر، وهو أن يدخل الرجل قبّة الطعام يطين عليه، ثم يخرجه وقد تأكّل بعضه فلا يزال ينقّيه، ثمّ يكنُّ عليه [ثم] يخرجه حتّى يفعل ذلك ثلاث مرّات حتّى يبقى ما لا يضرّه شيء[2].

بيان: قال الفيروزآباديّ: الأندر: البيدر، أو كدس القمح.

٢ - **شي**: عن زرارة، وحمران، ومحمّد بن مسلم، عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام عن قوله: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ قال: لا تسلّطهم علينا فتفتنهم بنا[3].

٣ - **كش**: خلف بن حمّاد، عن سهل بن زياد، عن عليّ بن أسباط، عن الحسين بن الحسن قال: قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام: إنّي تركت ابن قياما من أعدى خلق الله لك؛ قال: ذلك شرّ له. قلت ما أعجب ما أسمع منك جعلت فداك! قال: أعجب من ذلك إبليس، كان في جوار الله عزّ وجلّ في القرب منه فأمره فأبى وتعزّز وكان من الكافرين، فأملى الله له، والله ما عذّب الله بشيء أشدّ من الإملاء، والله ياحسين ما عذّبهم الله بشيء أشدّ من الإملاء[4].

---

(١) مجمع البيان، ج ٤ ص ٤٠٢.

(٢) تفسير العياشي، ج ١ ص ٢٢٢ ح ١٤٦ ولفظة [ثم] من المصدر.

(٣) تفسير العياشي، ج ٢ ص ١٣٥ ح ١٣٨.

(٤) رجال الكشي، ص ٨٢٨.

٤ -يد: أبي، عن أحمد بن إدريس، عن الأشعريّ، عن محمّد بن السنديّ، عن عليّ ابن الحكم، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما من قبض ولا بسط إلاّ ولله فيه المنّ أو الابتلاء[١].

٥ -يد: أبي، عن عليّ بن إبراهيم، عن اليقطينيّ، عن يونس، عن الطيّار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما من قبض ولا بسط إلاّ ولله فيه مشيّة وقضاء وابتلاء[٢].

سن: أبي عن يونس مثله. «ج ١ باب ٤٠ ح ٤٠٢».

بيان: لعلّ القبض والبسط في الأرزاق بالتوسيع والتقتير، وفي النفوس بالسرور والحزن، وفي الأبدان بالصحّة والألم، وفي الأعمال بتوفيق الإقبال إليه وعدمه، وفي الأخلاق بالتحلية وعدمها، وفي الدعاء بالإجابة له وعدمها، وفي الأحكام بالرخصة في بعضها والنهي عن بعضها.

٦ -يد: أبي، عن سعد، عن البرقيّ، عن أبيه، عن فضالة، عن الطيّار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال له: ليس شيء فيه قبض أو بسط ممّا أمر الله به أو نهى عنه إلاّ وفيه من الله ابتلاء وقضاء[٣].

٧ -سن: ابن فضّال، عن عبد الأعلى بن أعين، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ليس للعبد قبض ولا بسط ممّا أمر الله به أو نهى الله عنه إلاّ ومن الله فيه ابتلاء[٤].

٨ -سن: محمّد بن سنان، عن ابن مسكان، وإسحاق بن عمّار معاً، عن عبيد الله بن الوليد الوصّافيّ، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ فيما ناجى الله به موسى عليه السلام أن قال: يا ربّ هذا السامريّ صنع العجل، الخوار من صنعه! فأوحى الله تبارك وتعالى إليه: إنّ تلك فتنتي فلا تفصحنّ عنها[٥].

بيان: أي لا تظهرنّها لأحد فإنّ عقولهم قاصرة عن فهمها.

٩ -كا: عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد، عن عليّ بن الحكم، عن عبد الله بن جندب، عن سفيان بن السمط قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إنّ الله إذا أراد بعبد خيراً فأذنب ذنباً أتبعه بنقمة ويذكره الاستغفار، وإذا أراد بعبد شرّاً فأذنب ذنباً أتبعه بنعمة لينسيه الاستغفار ويتمادى بها، وهو قول الله عزّ وجلّ: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ بالنعم عند المعاصي[٦].

١٠ -كا: عدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، وعليّ بن إبراهيم، عن أبيه جميعاً عن ابن محبوب، عن ابن رئاب، عن بعض أصحابه قال: سئل أبو عبد الله عليه السلام عن الاستدراج،

---

(١) - (٢) التوحيد، ص ٣٥٤ باب ٥٧ ح ١ و٢. (٣) التوحيد، ص ٣٥٤ باب ٥٧ ح ٣.
(٤) المحاسن، ص ٢٧٩. (٥) المحاسن، ص ٢٨٤.
(٦) أصول الكافي، ج ٢ ص ٥٥٦ باب الاستدراج ح ١.

قال: هو العبد يذنب الذنب فيملي له ويجدّد له عنده النعم فيلهيه عن الاستغفار من الذنوب فهو مستدرج من حيث لا يعلم[١].

١١ - **كا:** محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن محمّد بن سنان، عن عمّار بن مروان عن سماعة قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ قال: هو العبد يذنب الذنب فيجدّد له النعمة معه تلهيه تلك النعمة عن الاستغفار من ذلك الذنب[٢].

١٢ - **كا:** عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن محبوب، عن يعقوب السرّاج، وعليّ بن رئاب، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّ أمير المؤمنين عليه السلام لمّا بويع بعد مقتل عثمان صعد المنبر وخطب بخطبة ذكرها يقول فيها: ألا إنّ بليّتكم قد عادت كهيئتها يوم بعث الله نبيّه صلى الله عليه وآله، والّذي بعثه بالحقّ لتبلبلنّ بلبلة، ولتغربلنّ غربلة حتّى يعود أسفلكم أعلاكم، وأعلاكم أسفلكم، وليسبقنّ سبّاقون كانوا قصّروا، وليقصرنّ سبّاقون كانوا سبقوا، والله ما كتمت وسمة، ولا كذبت كذبة، ولقد نبّئت بهذا المقام وهذا اليوم[٣].

بيان: لتبلبلنّ أي لتخلطنّ من تبلبلت الألسن أي اختلطت، او من البلابل وهي الهموم والأحزان ووسوسة الصدر. ولتغربلنّ يجوز أن يكون من الغربال الّذي يغربل به الدقيق، ويجوز أن يكون من غربلت اللّحم أي قطعته فعلى الأوّل يحتمل معنيين: أحدهما الاختلاط كما أنّ في غربلة الدقيق يختلط بعضه ببعض؛ والثاني أن يريد بذلك أن يستخلص الصالح منكم من الفاسد ويتميّز، كما يمتاز الدقيق عند الغربلة من النخالة.

قوله عليه السلام: حتّى يعود أسفلكم أعلاكم[٤] أي يصير عزيزكم ذليلاً وذليلكم عزيزاً أو صالحكم فاجراً وفاجركم صالحاً، ومؤمنكم كافراً وكافركم مؤمناً. وفي النهج: لتساطنّ سوط القدر حتّى يعود. وهو أظهر، يقال: ساط القدر: إذا قلب ما فيها من طعام بالمسوط وأداره؛ والمسوط: خشبة يحرّك بها ما فيها ليخلط.

قوله عليه السلام: وليسبقنّ سبّاقون يعني عليه السلام به قوماً قصّروا في أوّل الأمر في نصرته ثمّ نصروه في ذلك الوقت، وبالفقرة الثانية قوماً سعوا إلى بيعته وبادروا إلى نصرته في أوّل الأمر ثمّ خذلوه ونكثوا بيعته كطلحة والزبير.

قوله عليه السلام: ما كتمت وسمة، وفي بعض النسخ بالشين المعجمة وهو الأظهر، قال الجزريّ: في حديث عليّ: والله ما كتمت وشمة، أي كلمةً وفي بعض النسخ بالسين المهملة

---

(١) أصول الكافي، ج ٢ ص ٥٥٦ باب الاستدراج ح ٢-٣.

(٢) أصول الكافي، ج ٢ ص ٥٥٦ باب الاستدراج ح ٢-٣.

(٣) أصول الكافي، ج ١ ص ٢١٨ باب التمحيص والامتحان ح ١.

(٤) نهج البلاغة، ص ٦٩ خطبة رقم ١٦.

فهو بمعنى العلامة أي ما سترت علامة تدلّ على سبيل الحقّ ولكن عميتم عنها، ولا يخفى لطف انضمام الكتم بالوسمة، إذ الكتم بالتحريك نبت يخلط بالوسمة يختضب به.

١٣ - **كا:** محمّد بن يحيى، والحسن بن محمّد، عن جعفر بن محمّد، عن القاسم بن إسماعيل الأنباري، عن الحسين بن عليّ، عن أبي المغرا، عن ابن أبي يعفور قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ويل لطغاة العرب من أمر قد اقترب! قلت: جعلت فداك كم مع القائم من العرب؟ قال: نفر يسير! قلت: والله إنّ من يصف هذا الأمر منهم لكثير قال لا بدّ للناس من أن يمحّصوا ويميّزوا ويغربلوا ويستخرج في الغربال خلق كثير(١).

١٤ - **كا:** عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد، عن معمّر بن خلاّد قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢﴾ ثمّ قال لي: ما الفتنة؟ قلت: جعلت فداك الّذي عندنا الفتنة في الدين، فقال: يفتنون كما يفتن الذهب، ثمّ قال: يخلّصون كما يخلّص الذهب(٢).

١٥ - **كا:** محمّد بن الحسن وعليّ بن محمّد، عن سهل بن زياد، عن محمّد بن سنان، عن محمّد بن منصور الصيقل، عن أبيه قال: كنت أنا والحارث بن المغيرة وجماعة من أصحابنا جلوساً وأبوعبدالله عليه السلام يسمع كلامنا فقال لنا في أيّ شيء أنتم؟! هيهات! هيهات! لا والله لا يكون ما تمدّون إليه أعينكم حتّى تغربلوا! لا والله لا يكون ما تمدّون إليه أعينكم حتّى تمحّصوا! لا والله لا يكون ما تمدّون إليه أعينكم حتّى تميّزوا! لا والله لا يكون ما تمدّون إليه أعينكم إلاّ بعد أياس! لا والله ما يكون ما تمدّون إليه أعينكم حتّى يشقى من يشقى ويسعد من يسعد(٣).

١٦ - **نهج:** أيّها الناس إنّ الله تعالى قد أعاذكم من أن يجور عليكم ولم يعذكم من أن يبتليكم، وقد قال جلّ من قائل: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ وَإِن كُنَّا لَمُبۡتَلِينَ﴾(٤).

١٧ - **نهج:** قال عليه السلام: كم من مستدرج بالإحسان إليه، ومغرور بالستر عليه، ومفتون بحسن القول فيه، وما ابتلى الله سبحانه أحداً بمثل الإملاء(٥).

١٨ - **وقال** عليه السلام: أيّها الناس ليركم الله من النعمة وجلين، كما يراكم من النقمة فرقين، إنّه من وسّع عليه في ذات يده فلم ير ذلك استدراجاً فقد أمن مخوفاً، ومن ضيّق عليه في ذات يده فلم ير ذلك اختياراً فقد ضيّع مأمولاً(٦).

أقول: سيأتي الآيات والأخبار في الإملاء والامهال والاستدراج في كتات الإيمان والكفر.

---

(١) - (٣) اصول الكافي، ج ١ ص ٢١٨ باب التمحيص والامتحان ح ٢ و٤ و٦.

(٤) نهج البلاغة، ص ٢٢٦ خطبة رقم ١٠٢. (٥) نهج البلاغة قصار الحكم، برقم ٢٦٠.

(٦) نهج البلاغة قصار الحكم، برقم ٣٥١ وفيه: اختباراً.

٩ - باب أن المعرفة منه تعالى[١]

الآيات: لقمان «٣١»: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ «٢٥».

الزخرف: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ «٩».

الحجرات «٤٩»: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم ۖ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ «١٧».

الليل «٩٢»: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾ «١٢».

تفسير: قوله تعالى: ﴿لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ إمّا لكونهم مجبولين مفطورين على الإذعان بذلك إذا رجعوا إلى أنفسهم ولم يتّبعوا أسلافهم، أو الخطاب مع كفّار قريش فإنّهم كانوا معترفين بأنّ الخالق هو الله، وليس له شريك في الخلق لكنّهم كانوا يجعلون الأصنام شريكاً له في العبادة.

قوله تعالى: ﴿أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ أي أراكم السبيل إليه بإرسال الرسل وإنزال الكتب، أو وفّقكم لقبول ما أتت به الرسل والإذعان بها، أو ألهمكم المعرفة كما هو ظاهر الأخبار.

١ - **ب:** معاوية بن حكيم، عن البزنطيّ قال: قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام للناس في المعرفة صنع؟ قال: لا، قلت: لهم عليها ثواب؟ قال: يتطوّل عليهم بالثواب كما يتطوّل عليهم بالمعرفة[٢].

ضا: عن العالم عليه السلام مثله[٣].

٢ - **ل:** أبي، عن أحمد بن إدريس، عن محمّد بن أحمد، عن موسى بن جعفر البغداديّ عن أبي عبد الله الإصبهانيّ، عن درست، عمّن ذكره، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ستّة أشياء ليس للعباد فيها صنع: المعرفة، والجهل، والرضا، والغضب، والنوم، واليقظة[٤].

سن: أبي رفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام مثله[٥].

٣ - **يد:** ابن الوليد، عن الصفّار، عن ابن معروف، عن ابن أبي نجران، عن حمّاد بن

---

(١) في هذا الباب روايات تدلّ على ان معرفة الله تعالى من صنع الله تعالى، ليس للعباد فيها صنع ولم يكلّفوا بها، ولم يجعل لهم إليها سبيلاً بل فطرهم الله تعالى على معرفته وصبغهم عليها، وعرّفهم نفسه القدوس في عالم الذر والميثاق فقال لهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ﴾ فاثبت المعرفة في قلوبهم ولذلك ان سئلتهم من خلق السموات والأرض ليقولنّ الله، وذكر في الكافي باب انّه تعالى لا يعرف إلا به روايات لذلك، وذكر الصدوق في كتابه التوحيد في باب أنّه عزّ وجلّ لا يعرف إلا به، عشرة روايات لذلك. [مستدرك السفينة ج ٧ لغة «عرف»].

(٢) قرب الإسناد، ص ٣٤٧ ح ١٢٥٦.

(٣) الفقه المنسوب للرضا عليه السلام ص ٦٦.

(٤) الخصال ص ٣٢٥ باب الستة ح ١٣.

(٥) المحاسن، ص ١٠.

عثمان، عن عبد الرحيم القصير قال: كتبت على يدي عبد الملك بن أعين فسألته عن المعرفة والجحود أهما مخلوقتان[1]؟ فكتب عليه السلام: سألت عن المعرفة ما هي فاعلم رحمك الله أنّ المعرفة من صنع الله عزّ وجلّ في القلب مخلوقة، والجحود صنع الله في القلب مخلوق وليس للعباد فيهما من صنع ولهم فيهما الاختيار من الاكتساب، فبشهوتهم الإيمان اختاروا المعرفة فكانوا بذلك مؤمنين عارفين، وبشهوتهم الكفر اختاروا الجحود فكانوا بذلك كافرين جاحدين ضلالاً وذلك بتوفيق الله لهم، وخذلان من خذله الله، فبالاختيار والاكتساب عاقبهم الله وأثابهم. الخبر[2].

٤ - سن: أبي، عن النضر، عن الحلبيّ، عن أبي المغرا، عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال: إنّي لأعلم أنّ هذا الحبَّ الّذي تحبّونا ليس بشيء صنعتموه ولكنّ الله صنعه[3].

٥ - سن: ابن فضّال، عن عليّ بن عقبة، وفضل الأسديّ، عن عبد الأعلى مولى آل سام، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لم يكلّف الله العباد المعرفة ولم يجعل لهم إليها سبيلاً[4].

٦ - سن: الوشّاء، عن أبان الأحمر، عن عثمان، عن الفضل أبي العبّاس بقباق قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ هل لهم في ذلك صنع؟ قال: لا[5].

٧ - سن: الوشّاء، عن أبان الأحمر، عن الحسن بن زياد قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الإيمان هل للعباد فيه صنع، قال: لا ولا كرامة، بل هو من الله وفضله[6].

٨ - سن: محمّد بن خالد، عن النضر، عن يحيى الحلبيّ، عن أيّوب بن الحرّ، عن الحسن بن زياد قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله: ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ هل للعباد بما حبّب صنع؟ قال: لا ولا كرامة[7].

٩ - سن: أبي خداش المهديّ، عن الهيثم بن حفص، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: ليس على الناس أن يعلموا حتّى يكون الله هو المعلم لهم، فإذا أعلمهم فعليهم أن يعلموا[8].

١٠ - سن: عدّة عن عبّاس بن عامر، عن مثنّى الحنّاط، عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّ الله خلق خلقه فخلق قوماً لحبّنا لو أنّ أحدهم خرج من هذا الرأي لردّه الله إليه وإن رغم أنفه، وخلق خلقاً لبغضنا لا يحبّوننا أبداً[9].

١١ - ما: الحسين بن إبراهيم القزوينيّ، عن محمّد بن وهبان، عن أحمد بن إبراهيم عن

---

(١) الصواب: مخلوقان كما في المصدر.
(٢) التوحيد، ص ٢٢٦ باب ٣٠ ح ٧.
(٣) المحاسن، ص ١٤٩.
(٤) - (٩) المحاسن، ص ١٩٩-٢٠٠.

الحسن بن عليّ الزعفرانيّ، عن البرقيّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت له: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ قال: التوحيد[1].

١٢ - **سن:** أبي، عن صفوان قال: قلت لعبد صالح: هل في الناس استطاعة يتعاطون بها المعرفة؟ قال: لا إنّما هو تطوّل من الله. قلت: أفلهم على المعرفة ثواب إذا كان ليس فيهم ما يتعاطونه بمنزلة الركوع والسجود الّذي أمروا به ففعلوه؟ قال لا إنّما هو تطوّل من الله عليهم وتطوُّل بالثواب[2].

١٣ - **سن:** أبي، عن فضالة، عن جميل بن درّاج، عن زرارة، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ قال: كان ذلك معاينة الله فأنساهم المعاينة وأثبت الإقرار في صدورهم، ولولا ذلك ما عرف أحد خالقه ولا رازقه، وهو قول الله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾[3]

بيان: المعاينة مجاز عن المواجهة بالخطاب أي خلق الكلام قبالة وجههم فنسوا تلك الحالة، وثبتت المعرفة في قلوبهم. ثمّ اعلم أنّ أخبار هذا الباب وكثيراً من أخبار الأبواب السابقة تدلُّ على أنّ معرفة الله تعالى بل معرفة الرسول والأئمّة عليهم السلام وسائر العقائد الدينيّة موهبيّة وليست بكسبيّة، ويمكن حملها على كمال معرفته؛ أو المراد أنّه تعالى احتجّ عليهم بما أعطاهم من العقول ولا يقدر أحد من الخلق حتّى الرسل على هداية أحد وتعريفه؛ أو المراد أنّ المفيض للمعارف هو الربُّ تعالى، وإنّما أمر العباد بالسعي في أن يستعدّوا لذلك بالفكر والنظر كما يشير إليه خبر عبد الرحيم؛ أو يقال: هي مختصة بمعرفة غير ما يتوقّف عليه العلم بصدق الرسل فإنّ ما سوى ذلك إنّما نعرفه بما عرّفنا الله على لسان أنبيائه وحججه عليهم السلام؛ أو يقال: المراد بها معرفة الأحكام الفرعيّة لعدم استقلال العقل فيها؛ أو المعنى أنّها إنّما تحصل بتوفيقه تعالى للاكتساب، هذا ما يمكن أن يقال في تأويلها مع بعد أكثرها. والظاهر منها أنّ العباد إنّما يكلّفون بالانقياد للحقّ وترك الاستكبار عن قبوله، فأمّا المعارف فإنّها بأسرها ممّا يلقيه الله تعالى في قلوب عباده بعد اختيارهم للحقّ، ثمّ يكمل ذلك يوماً فيوماً بقدر أعمالهم وطاعاتهم حتّى يوصلهم إلى درجة اليقين، وحسبك في ذلك ما وصل إليك من سيرة النبيّين وأئمّة الدين في تكميل أممهم وأصحابهم، فإنّهم لم يحيلوهم على الاكتساب والنظر وتتبّع كتب الفلاسفة والاقتباس من علوم الزنادقة، بل إنّما دعوهم أوّلاً إلى الإذعان بالتوحيد وسائر العقائد، ثمّ دعوهم إلى تكميل النفس بالطاعات والرياضات حتّى فازوا بأعلى درجات السعادات.

١٠ - باب الطينة والميثاق

الآيات: **الأعراف «٧»:** ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ

(١) أمالي الطوسي، ص ٦٦٠ مجلس ٣٥ ح ١٣٦٦. (٢) - (٣) المحاسن، ص ٢٨١.

أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾».

الأحزاب «٣٣»: «وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ لِّيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾»[1].

١ - **سن:** أبي، عن صالح بن سهل قال: قلت لابي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك من أيّ شيء خلق الله طينة المؤمن؟ قال من طينة الأنبياء فلن ينجس أبداً[2].

٢ - **سن:** بهذا الإسناد قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: المؤمنون من طينة الأنبياء؟ قال: نعم[3].

٣ - **ما:** المفيد، عن ابن قولويه، عن أبيه، عن سعد، عن ابن عيسى، عن محمّد بن خالد، عن فضالة، عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّا وشيعتنا خلقنا من طينة من علّيّين وخلق عدوّنا من طينة خبال من حمأ مسنون[4].

بيان: قال الجزريّ فيه: من شرب الخمر سقاه الله من طينة الخبال يوم القيامة جاء تفسيره في الحديث أنّ الخبال: عصارة أهل النّار، والخبال في الأصل: الفساد.

وقال الفيروزآباديّ: الخبال كسحاب: النقصان، والهلاك، والعناء، والكلّ، والعيال والسم القاتل، وصديد أهل النار. وقال: الحمأ محرّكة: الطين الأسود المنتن. وقال: المسنون: المنتن.

٤ - **ما:** شيخ الطائفة، عن أبي منصور السكّريّ عن جدّه عليّ بن عمر، عن إسحاق بن مروان القطّان، عن أبيه، عن عبيد بن مهران العطّار، عن يحيى بن عبد الله بن الحسن، عن أبيه، وعن جعفر بن محمّد عليهما السلام عن أبيهما، عن جدّهما قالا: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ في الفردوس لعيناً أحلى من الشهد، وألين من الزبد، وأبرد من الثلج وأطيب من المسك، فيها طينةٌ خلقنا الله عزّ وجلّ منها وخلق منها شيعتنا، فمن لم يكن من تلك الطينة فليس منّا ولا من شيعتنا، وهي الميثاق الّذي أخذ الله عزّ وجلّ عليه ولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام. قال عبيد: فذكرت لمحمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ عليهم السلام هذا الحديث فقال: صدقك يحيى بن

---

(١) من العوالم التي نطقت بها القرآن والروايات المتواترة عالم الذر والميثاق. فمن الآيات في ذلك قوله تعالى في الأعراف: «وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ» الآية، أخرج الله ذريّة آدم من صلب آدم وصيغة الجمع في قوله: «ظُهُورِهِمْ» باعتبار كون بعضهم في ظهر بعض فاخرج من جميع الظهور ما كان فيه، وبالجملة كلّ الاخلاف في ظهور الاسلاف إلى يوم القيامة اخرج الله من ظهر آدم بني آدم إلى يوم القيامة من ظهور الاسلاف من يأتون من الأخلاف، فمن في قوله: «مِن ظُهُورِهِمْ» بيانيّة او نشويّة لكون الأكثر في الظهور. [مستدرك السفينة ج ١٠ لغة «وثق»].

(٢) - (٣) المحاسن، ص ١٣٣. (٤) أمالي الطوسي، ص ١٤٩ ح ٢٤٤.

عبد الله؛ هكذا أخبرني أبي، عن جدّي، عن النبيّ ﷺ [١].

٥ - ع: ابن الوليد، عن الصفّار، عن ابن عيسى؛ وحدّثنا أبي، عن سعد، عن ابن عيسى، عن ابن محبوب، عن هشام بن سالم، عن حبيب السجستانيّ قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: إنّ الله عزّ وجلّ لمّا أخرج ذرّيّة آدم عليه السلام من ظهره ليأخذ عليهم الميثاق له بالربوبيّة وبالنبوّة لكلّ نبيّ كان أوّل من أخذ عليهم الميثاق بالنبوّة نبوّة محمّد بن عبد الله ﷺ، ثمّ قال الله جلّ جلاله لآدم عليه السلام: انظر ماذا ترى؟ قال: فنظر آدم إلى ذرّيّته وهم ذرّ قد ملؤوا السماء فقال آدم: يا ربّ ما أكثر ذرّيّتي! ولأمر ما خلقتهم؟ فما تريد منهم بأخذك الميثاق عليهم؟ فقال الله عزّ وجلّ ليعبدونني [٢] ولا يشركون بي شيئاً، ويؤمنون برسلي ويتّبعونهم، قال آدم عليه السلام: فما لي أرى بعض الذرّ أعظم من بعض، وبعضهم له نور قليل، وبعضهم ليس له نور؟ قال الله عزّ وجلّ: وكذلك خلقتهم لأبلوهم في كلّ حالاتهم؛ قال آدم عليه السلام: يا ربّ فتأذن لي في الكلام فأتكلّم؟ قال الله جلّ جلاله: تكلّم فإنّ روحك من روحي وطبيعتك من خلاف كينونتي. قال آدم: يا ربّ لو كنت خلقتهم على مثال واحد، وقدر واحد، وطبيعة واحدة، وجبلّة واحدة، وألوان واحدة، وأعمار واحدة، وأرزاق سواء لم يبغ بعضهم على بعض، ولم يكن بينهم تحاسد ولا تباغض ولا اختلاف في شيء من الأشياء، فقال الله جلّ جلاله: يا آدم بروحي نطقت، وبضعف طبعك تكلّفت مالا علم لك به وأنا الله الخلّاق العليم، بعلمي خالفت بين خلقهم، وبمشيّتي أمضي فيهم أمري وإلى تدبيري وتقديري هم صائرون، لا تبديل لخلقي وإنّما خلقت الجنّ والإنس ليعبدوني، وخلقت الجنّة لمن عبدني وأطاعني منهم واتبع رسلي ولا أبالي، وخلقت النار لمن كفر بي وعصاني ولم يتّبع رسلي ولا أبالي، وخلقتك وخلقت ذرّيّتك من غير فاقة بي إليك وإليهم، وإنّما خلقتك وخلقتهم لأبلوك وأبلوهم أيّكم أحسن عملاً في دار الدنيا في حياتكم وقبل مماتكم، وكذلك خلقت الدنيا والآخرة والحياة والموت والطاعة والمعصية والجنّة والنار، وكذلك أردت في تقديري وتدبيري، وبعلمي النافذ فيهم خالفت بين صورهم وأجسامهم، وألوانهم وأعمارهم وأرزاقهم وطاعتهم ومعصيتهم؛ فجعلت منهم السعيد والشقيّ، والبصير والأعمى، والقصير والطويل، والجميل والذميم، والعالم والجاهل، والغنيّ والفقير، والمطيع والعاصي، والصحيح والسقيم، ومن به الزمانة ومن لا عاهة به؛ فينظر الصحيح إلى الّذي به العاهة فيحمدني على عافيته، وينظر الّذي به العاهة إلى الصحيح فيدعوني ويسألني أن أعافيه ويصبر على بلائه فأثيبه جزيل عطائي، وينظر الغنيّ إلى الفقير فيحمدني ويشكرني، وينظر الفقير إلى الغنيّ فيدعوني ويسألني، وينظر المؤمن إلى الكافر فيحمدني على ما هديته، فلذلك خلقتهم

---

(١) أمالي الطوسي، ص ٣٠٨ مجلس ١١ ح ٦٢٠.

(٢) الصواب: يعبدونني، كما في المصدر.

لأبلوهم في السرّاء والضرّاء وفيما عافيتهم وفيما ابتليتهم وفيما أعطيتهم وفيما أمنعهم وأنا الله الملك القادر، ولي أن أمضي جميع ما قدّرت على ما دبّرت، ولي أن أغيّر عن ذلك ما شئت إلى ما شئت فأقدّم من ذلك ما أخّرت وأؤخّر من ذلك ما قدّمت، وأنا الله الفعّال لما أريد، لا أسأل عمّا أفعل، وأنا أسأل خلقي عمّا هم فاعلون[١].

ختص: هشام بن سالم مثله[٢].

بيان: قوله تعالى: من روحي أي من الروح الّذي اصطفيته وانتجبته، أي من عالم المجرّدات أو من عالم القدس، وطبيعتك من عالم الخلق والجسمانيّات، أو ممّا هو معدن الشهوات والجهالات فبطبيعتك وبشريّتك سألت ما سألت. والذميم: المذموم، وفي بعض النسخ بالدال المهملة، يقال: رجل دميم أي قصير قبيح.

٦ - **ع:** أبي رحمه الله، عن سعد بن عبد الله، عن محمّد بن أحمد السيّاريّ، عن محمّد بن عبد الله بن مهران الكوفيّ، عن حنّان بن سدير، عن أبيه، عن أبي إسحاق اللّيثيّ قال: قلت لابي جعفر محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام: يابن رسول الله أخبرني عن المؤمن المستبصر إذا بلغ في المعرفة وكمل هل يزني؟ قال: اللّهمّ لا، قلت: فيلوط؟ قال: اللّهمّ لا، قلت: فيسرق؟ قال: لا، قلت: فيشرب الخمر؟ قال: لا؛ قلت: فيأتي بكبيرة من هذه الكبائر أو فاحشة من هذه الفواحش؟ قال: لا؛ قلت: فيذنب ذنباً؟ قال: نعم وهو مؤمن مذنب مسلم؛ قلت: ما معنى مسلم؟ قال: المسلم بالذنب لا يلزمه ولا يصير عليه، قال فقلت: سبحان الله ما أعجب هذا! لا يزني ولا يلوط ولا يسرق ولا يشرب الخمر ولا يأتي كبيرة من الكبائر ولا فاحشة؟! فقال: لا عجب من أمر الله، إنّ الله عزّ وجلّ يفعل ما يشاء ولا يسأل عمّا يفعل وهم يسألون؛ فممَّ عجبت ياإبراهيم؟ سل ولا تستنكف ولا تستحسر فإنَّ هذا العلم لا يتعلّمه مستكبر ولا مستحسر؛ قلت: يابن رسول الله إنّي أجد من شيعتكم من يشرب، ويقطع الطريق، ويحيف[٣] السبيل، ويزني ويلوط، ويأكل الرّبا، ويرتكب الفواحش، ويتهاون بالصلاة والصيام والزّكاة، ويقطع الرحم. ويأتي الكبائر، فكيف هذا؟ ولمَ ذاك؟ فقال: يا إبراهيم هل يختلج في صدرك شيء غير هذا؟ قلت: نعم يابن رسول الله أخرى أعظم من ذلك؛ فقال: وما هو يا أبا إسحاق قال: فقلت: يابن رسول الله وأجد من أعدائكم ومناصبيكم من يكثر من الصلاة ومن الصيام، ويخرج الزكاة، ويتابع بين الحجّ والعمرة، ويحضّ على الجهاد، ويأثر على البرّ وعلى صلة الأرحام، ويقضي حقوق إخوانه، ويواسيهم من ماله، ويتجنّب شرب الخمر والزنا واللّواط وسائر الفواحش، فممَّ ذاك؟ ولم ذاك؟ فسّره لي يابن رسول الله وبرهنه وبيّنه فقد والله كثر فكري وأسهر ليلي وضاق ذرعي!.

---

(١) علل الشرائع، ج ١ ص ٢١ باب ٩ ح ٤.
(٢) الاختصاص، ص ٣٣٢.
(٣) الصواب: يخيف، كما في المصدر.

قال: فتبسّم عليه السلام ثمّ قال: ياإبراهيم خذ إليك بياناً شافياً فيما سألت، وعلماً مكنوناً من خزائن علم الله وسرّه، أخبرني يا إبراهيم كيف تجد اعتقادهما؟ قلت: يابن رسول الله أجد محبّيكم وشيعتكم على ما هم فيه ممّا وصفته من أفعالهم لو أُعطي أحدهم ممّا بين المشرق والمغرب ذهباً وفضّة أن يزول عن ولايتكم ومحبّتكم إلى موالاة غيركم وإلى محبّتهم ما زال، ولو ضربت خياشيمه بالسيوف فيكم، ولو قتل فيكم ما ارتدع ولا رجع عن محبّتكم وولايتكم؛ وأرى الناصب على ما هو عليه ممّا وصفته من أفعالهم لو أُعطي أحدهم ما بين المشرق والمغرب ذهباً وفضّة أن يزول عن محبّة الطواغيت وموالاتهم إلى موالاتكم ما فعل ولا زال ولو ضربت خياشيمه بالسيوف فيهم، ولو قتل فيهم ما ارتدع ولا رجع، وإذا سمع أحدهم منقبة لكم وفضلاً اشمأزّ من ذلك وتغيّر لونه، ورُئي كراهية ذلك في وجهه، بغضاً لكم ومحبّة لهم.

قال: فتبسّم الباقر عليه السلام ثمّ قال: يا إبراهيم ههنا هلكت العاملة الناصبة، تصلى ناراً حامية، تسقى من عين آنية، ومن أجل ذلك قال عزّ وجلّ: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾[1] ويحك يا إبراهيم أتدري ما السبب والقصّة في ذلك؟ وما الّذي قد خفي على الناس منه؟ قلت: يابن رسول الله فبينه لي واشرحه وبرهنه.

قال: يا إبراهيم إنّ الله تبارك وتعالى لم يزل عالماً قديماً خلق الأشياء لا من شيء ومن زعم أنّ الله عزّ وجلّ خلق الأشياء من شيء فقد كفر لأنّه لو كان ذلك الشيء الّذي خلق منه الأشياء قديماً معه في أزليّته وهويّته كان ذلك أزليّاً؛ بل خلق الله عزّ وجلّ الأشياء كلّها لا من شيء، فكان ممّا خلق الله عزّ وجلّ أرضاً طيّبة، ثمّ فجّر منها ماءاً عذباً زلالاً، فعرض عليها ولايتنا أهل البيت فقبلتها، فأجرى ذلك الماء عليها سبعة أيام حتّى طبّقها وعمّها، ثمّ نضب ذلك الماء عنها، وأخذ من صفوة ذلك الطين طيناً فجعله طين الأئمّة عليهم السلام، ثمّ أخذ ثفل ذلك الطين فخلق منه شيعتنا، ولو ترك طينتكم ياإبراهيم على حاله كما ترك طينتنا لكنتم ونحن شيئاً واحداً.

قلت: يا بن رسول الله فما فعل بطينتنا؟ قال: أُخبرك يا إبراهيم خلق الله عزّ وجلّ بعد ذلك أرضاً سبخة خبيثة منتنة، ثمّ فجّر منها ماءاً أجاجاً، آسناً، مالحاً، فعرض عليها ولايتنا أهل البيت ولم تقبلها فأجرى ذلك الماء عليها سبعة أيّام حتّى طبقها وعمّها، ثمّ نضب ذلك الماء عنها، ثمّ أخذ من ذلك الطين فخلق منه الطغاة وأئمّتهم، ثمّ مزجه بثفل طينتكم، ولو ترك طينتهم على حاله[2] ولم يمزج بطينتكم لم يشهدوا الشهادتين ولا صلّوا ولا صاموا ولا زكّوا ولا حجّوا ولا أدّوا أمانةً ولا أشبهوكم في الصور، وليس شيء أكبر على المؤمن من أن يرى صورة عدوّه مثل صورته.

قلت: يابن رسول الله فما صنع بالطينتين؟ قال: مزج بينهما بالماء الأوّل والماء الثاني،

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٢٣.
(٢) الصواب: على حالها، كما في المصدر.

ثمَّ عركها عرك الأديم، ثمَّ أخذ من ذلك قبضة فقال: هذه إلى الجنّة ولا أبالي وأخذ قبضةً أخرى وقال: هذه إلى النار ولا أبالي؛ ثمَّ خلط بينهما فوقع من سنخ المؤمن وطينته على سنخ الكافر وطينته، ووقع من سنخ الكافر وطينته على سنخ المؤمن وطينته، فما رأيته من شيعتنا من زناً، أو لواط، أو ترك صلاة، أو صيام، أو حجّ، أو جهاد، أو خيانة، أو كبيرة من هذه الكبائر فهو من طينة الناصب وعنصره الّذي قد مزج فيه لأنّ من سنخ الناصب وعنصره وطينته اكتساب المآثم والفواحش والكبائر؛ وما رأيت من الناصب ومواظبته على الصلاة والصيام والزكاة والحجّ والجهاد وأبواب البرّ فهو من طينة المؤمن وسنخه الّذي قد مزج فيه لأنّ من سنخ المؤمن وعنصره وطينته اكتساب الحسنات واستعمال الخير واجتناب المآثم، فإذا عرضت هذه الأعمال كلّها على الله عزّوجلّ قال: أنا عدل لا أجور، ومنصف لا أظلم، وحكم لا أحيف ولا أميل ولا أشطط، ألحقوا الأعمال السيّئة الّتي اجترحها المؤمن بسنخ الناصب وطينته، وألحقوا الأعمال الحسنة الّتي اكتسبها الناصب بسنخ المؤمن وطينته ردّوها كلّها إلى اصلها، فإنّي أنا الله لا إله إلاّ أنا، عالم السرّ وأخفى وأنا المطّلع على قلوب عبادي، لا أحيف ولا أظلم ولا ألزم أحداً إلاّ ما عرفته منه قبل أن أخلقه.

ثمَّ قال الباقر عليه السلام: يا إبراهيم اقرأ هذه الآية، قلت: يابن رسول الله أيّة آية؟ قال: قوله تعالى: ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ﴾(١) هو في الظاهر ما تفهمونه، وهو والله في الباطن هذا بعينه، يا إبراهيم إنَّ للقرآن ظاهراً وباطناً، ومحكماً ومتشابهاً، وناسخاً ومنسوخاً.

ثمَّ قال: أخبرني يا إبراهيم عن الشمس إذا طلعت وبدا شعاعها في البلدان، أهو بائن من القرص؟ قلت: في حال طلوعه بائن؛ قال: أليس إذا غابت الشمس اتصل ذلك الشعاع بالقرص حتّى يعود إليه؟ قلت: نعم، قال: كذلك يعود كلّ شيء إلى سنخه وجوهره وأصله، فإذا كان يوم القيامة نزع الله عزّوجلّ سنخ الناصب وطينته مع أثقاله وأوزاره من المؤمن فيلحقها كلّها بالناصب، وينزع سنخ المؤمن وطينته مع حسناته وأبواب برّه واجتهاده من الناصب فيلحقها كلّها بالمؤمن. أفترى ههنا ظلماً وعدواناً؟ قلت: لا يابن رسول الله؛ قال: هذا والله القضاء الفاصل والحكم القاطع والعدل البيّن، لا يسأل عمّا يفعل وهم يسألون، هذا - يا إبراهيم - الحقّ من ربّك فلا تكن من الممترين هذا من حكم الملكوت.

قلت: يابن رسول الله وما حكم الملكوت؟ قال: حكم الله وحكم أنبيائه، وقصّة الخضر وموسى عليهما السلام حين استصحبه فقال: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾﴾(٢).

افهم يا إبراهيم واعقل، أنكر موسى على الخضر واستفظع أفعاله حتّى قال له الخضر يا

(١) سورة يوسف، الآية: ٧٩.
(٢) سورة الكهف، الآيتان: ٦٧-٦٨.

موسى ما فعلته عن أمري، إنّما فعلته عن أمر الله عَزَّوَجَلَّ، من هذا - ويحك يا إبراهيم - قرآن يتلى، وأخبار تؤثر عن الله عَزَّوَجَلَّ، من ردّ منها حرفاً فقد كفر وأشرك وردّ على الله عَزَّوَجَلَّ.

قال اللّيثيّ: فكأنّي لم أعقل الآيات - وأنا أقرؤها أربعين سنة - إلاّ ذلك اليوم، فقلت: يابن رسول الله ما أعجب هذا! تؤخذ حسنات أعدائكم فتردّ على شيعتكم، وتؤخذ سيّئات محبّيكم فتردّ على مبغضيكم؟ قال: إي والله الّذي لا إله إلاّ هو، فالق الحبّة، وبارئ النسمة، وفاطر الأرض والسماء، ماأخبرتك إلاّ بالحقّ، وما أتيتك إلاّ بالصدق، وما ظلمهم الله وما الله بظلّام للعبيد، وإنّ ما أخبرتك لموجود في القرآن كلّه.

قلت: هذا بعينه يوجد في القرآن؟ قال: نعم يوجد في أكثر من ثلاثين موضعاً في القرآن، أتحبُّ أن أقرأ ذلك عليك؟ قلت: بلى يابن رسول الله؛ فقال: قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُم بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُم مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ الآية[(١)].

أزيدك يا إبراهيم؟ قلت: بلى يابن رسول الله قال: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾[(٢)] أتحبّ أن أزيدك؟ قلت: بلى يابن رسول الله، قال: ﴿فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[(٣)] يبدّل الله سيّئات شيعتنا حسنات، ويبدّل الله حسنات أعدائنا سيّئات؛ وجلال الله ووجه الله إنّ هذا لمن عدله وإنصافه لا رادَّ لقضائه، ولا معقّب لحكمه وهو السميع العليم.

ألم أبيّن لك أمر المزاج والطينتين من القرآن؟ قلت: بلى يابن رسول الله؛ قال: اقرأ يا إبراهيم: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ﴾ يعنى من الأرض الطيّبة والارض المنتنة ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ﴾[(٤)] يقول: لا يفتخر أحدكم بكثرة صلاته وصيامه وزكاته ونسكه لأنّ الله عَزَّوَجَلَّ أعلم بمن اتقى منكم، فإنّ ذلك من قبل اللّمم وهو المزاج.

أزيدك يا إبراهيم؟ قلت: بلى يابن رسول الله؛ قال: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾[(٥)] يعني أئمّة الجور دون أئمّة الحقّ ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ خذها إليك يا أبا إسحاق، فوالله إنّه لمن غرر أحاديثنا وباطن سرائرنا ومكنون خزائننا وانصرف ولا تطلع على سرّنا أحداً إلاّ مؤمناً مستبصراً فإنّك إن أذعت سرّنا بليت في نفسك ومالك وأهلك وولدك[(٦)].

---

(١) سورة العنكبوت، الآيتان: ١٢-١٣.
(٢) سورة النحل، الآية: ٢٥.
(٣) سورة الفرقان، الآية: ٧٠.
(٤) سورة النجم، الآية: ٣٢.
(٥) سورة الأعراف، الآيتان: ٢٩-٣٠.
(٦) علل الشرائع، ج ٢ ص ٣٣٢ باب ٣٨٥ باب النوادر ح ٨١.

بيان: قال الفيروزآباديُّ: أثر على الأمر كفرح: عزم؛ وله: تفرّق. وقال: الآسن من الماء: الآجن وقال: عركه: دلكه وحكّه.

ولعلَّ المراد بالأديم هنا الطعام المأدوم (ثم) في قوله: «ثم أخذ» للترتيب الذكريّ ولتفصيل ما أجمل سابقاً.

ثمَّ اعلم أنَّ هذا الخبر وأمثاله ممّا يصعب على القلوب فهمه وعلى العقول إدراكه ويمكن أن يكون كناية عمّا علم الله تعالى وقدّره من اختلاط المؤمن والكافر في الدنيا واستيلاء أئمّة الجور وأتباعهم على أئمّة الحقّ وأتباعهم، وعلم أنَّ المؤمنين إنّما يرتكبون الآثام لاستيلاء أهل الباطل عليهم، وعدم تولّي أئمّة الحقّ بسياستهم فيعذرهم بذلك ويعفو عنهم، ويعذب أئمّة الجور وأتباعهم بتسبّبهم لجرائم من خالطهم مع ما يستحقّون من جرائم أنفسهم، والله يعلم وحججه عليهم السلام.

٧ - **فس:** عليُّ بن الحسين، عن البرقيّ، عن محمّد بن عليّ، عن عليّ بن أسباط، عن عليّ بن معمر، عن أبيه قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ﴾ قال: إنّ الله تبارك وتعالى لمّا ذرأ الخلق في الذرّ الأوّل فأقامهم صفوفاً قدّامه بعث الله محمداً صلى الله عليه وآله فآمن به قوم، وأنكره قوم، فقال الله: ﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ﴾ يعني به محمداً صلى الله عليه وآله حيث دعاهم إلى الله عزّ وجلّ في الذر الأوّل[1].

٨ - **فس:** عليّ بن الحسين، عن البرقيّ، عن ابن محبوب، عن الحسين بن نعيم الصحّاف قال: سألت الصادق عليه السلام عن قوله: ﴿فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ فقال: عرَّف الله عزّ وجلّ إيمانهم بولايتنا، وكفرهم بتركها يوم أخذ عليهم الميثاق وهم ذرٌّ في صلب آدم عليه السلام[2].

ير: أحمد بن محمّد، عن ابن محبوب مثله[3].

٩ - **فس:** أحمد بن إدريس، عن أحمد بن محمّد، عن الحسين بن سعيد، عن النضر بن سويد، عن القاسم بن سليمان، عن جابر قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول في هذه الآية: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾ يعني من جرى فيه شيء من شرك الشيطان على الطريقة يعني على الولاية في الأصل عند الأظلّة حين أخذ الله ميثاق بني آدم ﴿لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾ يعني لكنّا وضعنا أظلّتهم في الماء الفرات العذب[4].

بيان: قوله عليه السلام: يعني من جرى أي لمّا كانت لفظة ﴿لَوْ﴾ دالّة على عدم تحقّق الاستقامة فالمراد بهم من جرى فيهم شرك الشيطان من المنكرين للولاية، وحاصل الخبر أنَّ

---

(١) تفسير القمي، ج ٢ ص ٣١٧.
(٢) تفسير القمي، ج ٢ ص ٣٥٤.
(٣) تفسير القمي، ج ٢ ص ٣٨١.
(٤) بصائر الدرجات، ص ٩١ ح ٢ باب ١٢ ح ٢.

المراد بالآية أنّهم لو كانوا أقرّوا في عالم الظلال والأرواح بالولاية لجعلنا أرواحهم في أجساد مخلوقة من الماء العذب. فمنشأ اختلاف الطينة هو التكليف الأوّل في عالم الأرواح عند الميثاق.

١٠ - **فس:** أبي، عن محمّد، عن محمّد بن إسماعيل، عن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ الله خلقنا من أعلا علّيّين، وخلق قلوب شيعتنا ممّا خلقنا منه وخلق أبدانهم من دون ذلك، فقلوبهم تهوي إلينا وأنّها خلقت[1] ممّا خلقنا منه؛ ثمّ تلا قوله: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾﴾[2].

١١ - **ع:** ابن المتوكّل، عن السعد آباديّ، عن البرقيّ، عن أبيه، عن أبي نهشل عن محمّد ابن إسماعيل، عن أبيه، عن أبي حمزة قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: إنّ الله عزّ وجلّ خلقنا. الخبر[3].

سن: أبي، عن أبي نهشل، عن محمّد بن إسماعيل، عن أبي حمزة مثله[4].

بيان: قد اختلف في تفسير علّيّين فقيل: هي مراتب عالية محفوفة بالجلالة. وقيل: السماء السابعة. وقيل: سدرة المنتهى. وقيل: الجنّة. وقيل: لوح من زبرجد أخضر، معلّق تحت العرش، أعمالهم مكتوبةٌ فيه. وقال الفرّاء: أي في ارتفاع بعد ارتفاع لا غاية له. والمراد أنّ كتابة أعمالهم أو ما يكتب من أعمالهم في علّيّين أي في دفتر أعمالهم أو المراد أنّ دفتر أعمالهم في تلك الأمكنة الشريفة، وعلى الأخير فيه حذف مضاف أي وما أدراك ما كتاب علّيّين؛ والظاهر أنّ مفاد الخبر أنّ دفتر أعمالهم موضوع في مكان أُخذت منه طينتهم، ويحتمل أن يكون المراد بالكتاب الروح لأنّه محلٌّ للعلوم ترتسم فيها.

١٢ - **فس:** أبي، عن النضر بن سويد، عن يحيى الحلبيّ، عن ابن سنان قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: أوّل من سبق من الرسل إلى (بلى) رسول الله صلّى الله عليه وآله، وذلك أنّه كان أقرب الخلق إلى الله تبارك وتعالى، وكان بالمكان الّذي قال له جبرئيل: - لمّا أسري به إلى السماء - تقدّم يا محمّد فقد وطئت موطئاً لم يطأه ملك مقرّب ولا نبيٌّ مرسل. ولولا أنّ روحه ونفسه كانت من ذلك المكان لما قدر أن يبلغه، فكان من الله عزّ وجلّ كما قال الله: ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ أي بل أدنى فلمّا خرج الأمر من الله وقع إلى أوليائه عليهم السلام فقال الصادق عليه السلام: كان الميثاق مأخوذاً عليهم لله بالربوبيّة، ولرسوله بالنبوّة، ولأمير المؤمنين والأئمّة بالإمامة، فقال: ألست بربّكم، ومحمّد نبيّكم، وعليّ إمامكم، والأئمّة الهادون أئمّتكم؟ فقالوا: بلى،

---

(١) في المصدر: لأنها خلقت، وهو الصواب. (٢) المحاسن، ج ١ ص ١٣٢ ح ٥.

(٣) تفسير القمي، ج ٢ ص ٤٠٥.

(٤) علل الشرائع، ج ١ ص ١٤١ باب ٩٦ ح ١٢.

فقال الله: ﴿شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾(١) أي لئلّا تقولوا يوم القيامة ﴿إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ﴾ فأوّل ما أخذ الله عزّوجلّ الميثاق على الأنبياء بالربوبيّة، وهو قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ﴾ فذكر جملة الأنبياء، ثمَّ أبرز أفضلهم بالأسامي فقال: ﴿وَمِنكَ﴾ يا محمّد، فقدّم رسول الله صلى الله عليه وآله لأنّه أفضلهم، ﴿وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ فهؤلاء الخمسة أفضل الأنبياء، ورسول الله صلى الله عليه وآله أفضلهم، ثمَّ أخذ بعد ذلك ميثاق رسول الله على الأنبياء له بالإيمان به، وعلى أن ينصروا أمير المؤمنين، فقال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَـٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ﴾ يعني رسول الله صلى الله عليه وآله: ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ يعني أمير المؤمنين عليه السلام تخبروا أممكم بخبره وخبر وليّه من الأئمّة(٢).

١٣ - **فس:** أبي، عن ابن أبي عمير، عن عبد الله بن مسكان، عن أبي عبد الله عليه السلام وعن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ قال: ما بعث الله نبيّاً من آدم فهلمَّ جرّاً إلّا ويرجع إلى الدنيا فيقاتل وينصر رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين، ثمَّ أخذ أيضاً ميثاق الأنبياء على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: قل يا محمّد: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾(٣).

١٤ - **فس:** أبي، عن ابن أبي عمير، عن ابن مسكان، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ﴾ قلت: معاينة كان هذا؟ قال: نعم، فثبتت المعرفة ونسوا الموقف وسيذكرونه، ولولا ذلك لم يدر أحد من خالقه ورازقه، فمنهم من أقرّ بلسانه في الذرّ ولم يؤمن بقلبه، فقال الله: ﴿فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ بِهِۦ مِن قَبْلُ﴾(٤).

١٥ - **أقول:** روى الشيخ أحمد بن فهد في المهذّب وغيره بإسنادهم عن المعلّى بن خنيس، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال لي: يا معلّى يوم النيروز هو اليوم الّذي أخذ الله ميثاق العباد أن يعبدوه، ولا يشركوا به شيئاً، وأن يدينوا برسله وحججه وأوليائه عليهم السلام. الخبر.

١٦ - **فس:** أبي، عن ابن محبوب، عن عمرو بن أبي المقدام، عن ثابت الحذّاد عن جابر الجعفيّ، عن أبي جعفر، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليهم السلام في خبر طويل: قال الله تبارك وتعالى للملائكة: ﴿إِنِّى خَـٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ۝٢٨ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُواْ لَهُۥ سَـٰجِدِينَ ۝٢٩﴾(٥) قال: وكان ذلك من الله تقدمة في آدم قبل أن يخلقه واحتجاجاً

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٧٢.
(٢) تفسير القمي، ج ١ ص ٢٤٨.
(٣) - (٤) تفسير القمي، ج ١ ص ٢٤٨-٢٤٩.
(٥) سورة الحجر، الآيتان: ٢٨-٢٩.

منه عليهم، قال: فاغترف ربّنا تبارك وتعالى غرفة بيمينه من الماء العذب الفرات - وكلتا يديه يمين - فصلصلها في كفّه فجمدت فقال لها: منك أخلق النبيّين والمرسلين، وعبادي الصالحين، والأئمّة المهتدين، والدعاة إلى الجنّة وأتباعهم إلى يوم الدين ولا أبالي، ولا أسأل عمّا أفعل وهم يسألون. ثمّ اغترف غرفة أخرى من الماء المالح الأجاج فصلصلها في كفه فجمدت ثمّ قال لها: منك أخلق الجبّارين، والفراعنة، والعتاة، وإخوان الشياطين، والدعاة إلى النار إلى يوم القيامة وأشياعهم ولا أبالي، ولا أسأل عمّا أفعل وهم يسألون. قال: وشرط في ذلك البداء فيهم، ولم يشترط في أصحاب اليمين البداء، ثمّ خلط المائين جميعاً في كفه فصلصلهما ثمّ كفأهما قدّام عرشه وهما سلالة من طين. الخبر[(١)].

شي: عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام مثله[(٢)].

ع: ابن الوليد، عن الصفّار، عن ابن عيسى، عن ابن محبوب، عن عمرو بن أبي المقدام، عن جابر مثله[(٣)].

بيان: قال الجزريّ فيه: كلتا يديه يمين أي يديه تبارك وتعالى بصفة الكمال لا نقص في واحدة منهما، لأنّ الشمال ينقص عن اليمين، وإطلاق هذه الأسماء إنّما هو على سبيل المجاز والاستعارة، والله منزّه من التشبيه والتجسيم انتهى.

أقول: لمّا كانت اليد كنايةً عن القدرة فيحتمل أن يكون المراد باليمين القدرة على الرحمة والنعمة والفضل، وبالشمال القدرة على العذاب والقهر والابتلاء، فالمعنى: أنَّ عذابه وقهره وإمراضه وإماتته وسائر المصائب والعقوبات لطف ورحمة لاشتمالها على الحكم الخفيّة والمصالح العامّة، وبه يمكن أن يفسّر ما ورد في الدعاء: والخير في يديك. والصلصال: الطين الحرّ خلط بالرمل، فصار يتصلصل إذا جفّ. وسلالة الشيء: ما انسلّ منه واستخرج بجذب ونزع.

١٧ -**ع:** أبي، عن سعد، عن ابن عيسى، عن الحسن بن فضّال، عن بعض أصحابنا عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الله عزّ وجلّ خلق ماءاً عذباً فخلق منه أهل طاعته، وجعل ماءاً مرّاً فخلق منه أهل معصيته، ثمّ أمرهما فاختلطا، فلولا ذلك ما ولد المؤمن إلاّ مؤمناً، ولا الكافر إلاّ كافراً[(٤)].

١٨ -**ع:** ابن الوليد، عن الصفّار، عن الحسن بن فضّال، عن ابن أبي الخطّاب، عن حمّاد بن عيسى، عن ربعي بن عبد الله بن الجارود، عمّن ذكره، عن عليّ بن الحسين عليه السلام

(١) تفسير القمي، ج ١ ص ٥١.
(٢) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٢٦٠ ح ٧ من سورة الحجر.
(٣) علل الشرائع، ج ١ ص ١٠٦ باب ٩٦ ح ١.
(٤) علل الشرائع، ج ١ ص ١٠٣ باب ٧٧ ح ١.

قال: إنّ الله عزّوجلّ خلق النبيّين من طينة علّيّين قلوبهم وأبدانهم، وخلق قلوب المؤمنين من تلك الطينة، وخلق أبدانهم من دون ذلك، وخلق الكافرين من طينة سجّيل قلوبهم وأبدانهم، فخلط بين الطينتين فمن هذا يلد المؤمن الكافر ويلد الكافر المؤمن، ومن ههنا يصيب المؤمن السيّئة، ويصيب الكافر الحسنة، فقلوب المؤمنين تحنُّ إلى ما خلقوا منه وقلوب الكافرين تحنّ إلى ما خلقوا منه[١].

١٩ - ع: أحمد بن هارون، عن محمّد الحميريّ، عن أبيه، عن ابن يزيد، عن حمّاد بن عيسى، عن أبي نعيم الهذليّ، عن رجل، عن عليّ بن الحسين عليه السلام مثله. وفيه: وخلق أبدان المؤمنين وخلق الكفّار. وسجّين مكان سجّيل[٢].

ير: ابن معروف، عن حمّاد، عن ربعي، عنه عليه السلام مثله.

سن: أبي، عن حمّاد إلى قوله: وخلق أبدانهم من دون ذلك.

بيان: سجّين: موضع فيه كتاب الفجّار ودواوينهم، قال أبو عبيد: هو فعّيل من السجن كالفسّيق من الفسق، وقيل: هو الأرض السابعة أو أسفل منها، أو جبٌّ في جهنّم. والسجّيل كسكّيت: حجارة من مدر، معرب (سنك كل) والسجّين أظهر.

٢٠ - ع: ماجيلويه، عن محمّد العطّار، عن ابن أبان، عن ابن أورمة، عن عمرو بن عثمان، عن العبقريّ، عن عمر بن ثابت، عن أبيه، عن حبّة العرنيّ، عن عليّ عليه السلام قال: إنّ الله عزّوجلّ خلق آدم عليه السلام من أديم الأرض، فمنه السباخ ومنه الملح ومنه الطيّب؛ فكذلك في ذرّيّة الصالح والطالح[٣].

٢١ - ع: ابن المتوكّل، عن محمّد العطّار، عن ابن أبان، عن ابن أُورمة، عن محمّد بن سنان، عن معاوية بن شريح، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الله عزّوجلّ أجرى ماءاً فقال له: كن عذباً أخلق منك جنّتي وأهل طاعتي، وإن الله عزّوجلّ أجرى ماءاً فقال له: كن بحراً مالحاً أخلق منك ناري وأهل معصيتي، ثمّ خلطهما جميعاً فمن ثمّ يخرج المؤمن من الكافر ويخرج الكافر من المؤمن، ولو لم يخلطهما لم يخرج من هذا إلاّ مثله، ولا من هذا إلاّ مثله[٤].

٢٢ - ع: أبي، عن سعد، عن ابن عيسى، عن الحسن بن فضّال، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام - في حديث طويل - يقول في آخره: مهما رأيت من نزق أصحابك وخرقهم فهو ممّا أصابهم من لطخ أصحاب الشمال، وما رأيت من حسن شيم من خالفهم ووقارهم فهو من لطخ أصحاب اليمين[٥].

---

(١) علل الشرائع، ج ١ ص ١٠٣ باب ٧٧ ح ٢.
(٢) علل الشرائع، ج ١ ص ١١٦ باب ٩٦ ح ١٣.
(٣) علل الشرائع، ج ١ ص ١٠٤ باب ٧٧ ح ٣ وفيه: في ذرّيته...، وهو الصواب.
(٤) - (٥) علل الشرائع، ج ١ ص ١٠٤ باب ٧٧ ح ٤ و٥.

٢٣ - ع: ابن الوليد، عن الصفّار، عن ابن أبي الخطّاب عن محمّد بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن أوّل ما خلق الله عزّ وجلّ، قال: إنّ أوّل ما خلق الله عزّ وجلّ ما خلق منه كلّ شيء، قلت: جعلت فداك وما هو؟ قال: الماء، قال: إنّ الله تبارك وتعالى خلق الماء بحرين: أحدهما عذب والآخر ملح فلما خلقهما نظر إلى العذب فقال: يا بحر فقال: لبّيك وسعديك، قال: فيك بركتي ورحمتي، ومنك أخلق أهل طاعتي وجنّتي. ثمّ نظر إلى الآخر فقال: يا بحر فلم يجب فأعاد عليه ثلاث مرّات يا بحر فلم يجب! فقال: عليك لعنتي، ومنك أخلق أهل معصيتي ومن أسكنته ناري، ثمّ أمرهما أن يمتزجا فامتزجا، قال: فمن ثمّ يخرج المؤمن من الكافر، والكافر من المؤمن(١).

٢٤ - ع: ابن الوليد، عن الصفّار، عن ابن عيسى، عن البزنطيّ، عن أبان بن عثمان، وأبي الربيع يرفعانه قال: إنّ الله عزّ وجلّ خلق ماءً فجعله عذباً فجعل منه أهل طاعته، وخلق ماءاً مرّاً فجعل منه أهل معصيته، ثمّ أمرهما فاختلطا ولولا ذلك ما ولد المؤمن إلاّ مؤمناً، ولا الكافر إلاّ كافراً(٢).

٢٥ - ع: أبي، عن سعد، عن ابن أبي الخطّاب، عن جعفر بن بشير، عن ابن أبي العلاء، عن حبيب قال: حدّثني الثقة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الله تبارك وتعالى أخذ ميثاق العباد وهم أظلّة(٣) قبل الميلاد، فما تعارف من الأرواح ائتلف، وما تناكر منها اختلف(٤).

٢٦ - ع: بهذا الإسناد عن حبيب، عمّن رواه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما تقول في الأرواح إنّها جنود مجنّدة، فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف؟ قال: فقلت: إنّا نقول ذلك، قال: فإنّه كذلك، إنّ الله عزّ وجلّ أخذ من العباد ميثاقهم وهم أظلّة قبل الميلاد، وهو قوله عزّ وجلّ ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ إلى آخر الآية، قال: فمن أقرّ له يومئذ جاءت ألفته ههنا ومن أنكره يومئذ جاء خلافه ههنا(٥).

بيان: جاءت ألفته أي ألفته مع أئمّته ومعرفته لهم، أو ألفة المؤمنين بعضهم ببعض من جهة اتّفاقهم في المذهب؛ ويحتمل أن يكون التعارف معرفة الشيعة لأئمّتهم، والائتلاف ألفة المؤمنين بعضهم ببعض لموافقتهم في المذهب.

٢٧ - ع: أبي، عن سعد، عن يعقوب بن يزيد، عن ابن أبي عمير، عن ابن أذينة عن أبي

---

(١) - (٢) علل الشرائع، ج ١ ص ١٠٤ باب ٧٧ ح٦ - ٧.

(٣) وقد كتب جمع من الرواة كتاب الأظلّة كما في رجال النجاشي، منهم: عبدالرحمن بن كثير الهاشمي، وعلي بن أبي صالح محمّد الحنّاط الكوفي، ومحمّد بن سنان، ومنهم: عليّ بن حمّاد الأزدي، ومنهم: أحمد بن محمّد بن عيسى بن عبد الله الأشعري القمّي الثقة الجليل. [مستدرك السفينة ج ٧ لغة «ظلل»].

(٤) - (٥) علل الشرائع، ج ١ ص ١٠٦ باب ٧٩ ح ١ و٢.

عبد الله عليه السلام قال: كنّا عنده فذكرنا رجلاً من أصحابنا فقلنا: فيه حدَّة، فقال: من علامة المؤمن أن تكون فيه حدَّة، قال: فقلنا له: إنّ عامّة أصحابنا فيهم حدَّة؛ فقال: إنّ الله تبارك وتعالى في وقت ما ذرأهم أمر أصحاب اليمين - وأنتم هم - أن يدخلوا النار فدخلوها فأصابهم وهج فالحدَّة من ذلك الوهج، وأمر أصحاب الشمال - وهم مخالفوهم - أن يدخلوا النار فلم يفعلوا فمن ثمَّ لهم سمت ولهم وقار(١).

٢٨ - ما: الغضائريّ، عن عليّ بن محمّد العلويّ، عن عبد الله بن محمّد، عن الحسين، عن أبي عبد الله بن أسباط، عن أحمد بن محمّد بن زياد العطّار، عن محمّد بن مروان الغزال، عن عبيد بن يحيى، عن يحيى بن عبد الله بن الحسن، عن جدّه الحسن بن عليّ عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ في الفردوس لعيناً أحلى من الشهد، وألين من الزبد، وأبرد من الثلج، وأطيب من المسك، فيها طينة خلقنا الله عزّ وجلّ منها، وخلق شيعتنا منها، فمن لم يكن من تلك الطينة فليس منّا ولا من شيعتنا، وهي الميثاق الّذي أخذ الله عزّ وجلّ على ولاية أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، قال عبيد: فذكرت لمحمّد بن الحسين هذا الحديث فقال: صدقك يحيى بن عبد الله، هكذا أخبرني أبي، عن جدّي، عن أبيه، عن النبيّ صلى الله عليه وآله. قال عبيد: قلت: أشتهي أن تفسّره لنا إن كان عندك تفسير قال: نعم أخبرني أبي، عن جدّي، عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: إنَّ لله ملكاً رأسه تحت العرش، وقدماه في تخوم الأرض السابعة السفلى، بين عينيه راحة أحدكم، فإذا أراد الله عزّ وجلّ أن يخلق خلقاً على ولاية عليّ ابن أبي طالب عليه السلام أمر ذلك الملك فأخذ من تلك الطينة فرمى بها في النطفة حتّى تصير إلى الرحم منها يخلق وهي الميثاق(٢).

٢٩ - ع: أبي، عن محمّد العطّار، عن جعفر بن محمّد بن مالك، قال: حدَّثنا أحمد ابن مدين من ولد مالك بن الحارث الأشتر، عن محمّد بن عمّار، عن أبيه، عن أبي بصير قال: دخلت على أبي عبد الله ومعي رجل من أصحابنا فقلت له: جعلت فداك يابن رسول الله إنّي لأغتمّ وأحزن من غير أن أعرف لذلك سبباً؛ فقال أبو عبد الله عليه السلام: إنّ ذلك الحزن والفرح يصل إليكم منّا إذا دخل علينا حزن أو سرور كان ذلك داخلاً عليكم، لأنّا وإيّاكم من نور الله عزّ وجلّ، فجعلنا وطينتنا وطينتكم واحدة، ولو تركت طينتكم كما أُخذت لكنّا وأنتم سواء، ولكن مزجت طينتكم بطينة أعدائكم، فلولا ذلك ما أذنبتم ذنباً أبداً، قال: قلت: جعلت فداك فتعود طينتنا ونورنا كما بدا؟ فقال إي والله يا عبد الله أخبرني عن هذا الشعاع الزاجر من القرص إذا طلع، أهو متّصل به أو بائن منه؟ فقلت له: جعلت فداك بل هو بائن منه، فقال: أفليس إذا غابت الشمس وسقط القرص عاد إليه فاتّصل به كما بدا منه؟ فقلت له:

---

(١) علل الشرائع، ج ١ ص ١٠٧ باب ٨٠ ح ١.
(٢) أمالي الطوسي، ص ٦٥٦ مجلس ٣٤ ح ١٣٥٦.

نعم، فقال: كذلك والله شيعتنا من نور الله خلقوا وإليه يعودون، والله إنّكم لملحقون بنا يوم القيامة، وإنّا لنشفع فنشفّع ووالله إنّكم لتشفعون فتشفّعون، وما من رجل منكم إلاّ وسترفع له نار عن شماله، وجنّة عن يمينه، فيدخل أحبّاءه الجنّة، وأعداءه النار[١].

٣٠ - **ع:** الدقّاق، عن محمّد الأسديّ، عن محمّد بن إسماعيل رفعه إلى محمّد بن سنان، عن زيد الشحّام، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الله تبارك وتعالى خلقنا من نور مبتدع من نور رسخ ذلك النور في طينة من أعلا علّيّين، وخلق قلوب شيعتنا ممّا خلق منه أبداننا، وخلق أبدانهم من طينة دون ذلك، فقلوبهم تهوي إلينا، لأنّها خلقت ممّا خلقنا منه، ثمّ قرأ: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾﴾ وإن الله تبارك وتعالى خلق قلوب أعدائنا من طينة من سجّين، وخلق أبدانهم من طينة من دون ذلك وخلق قلوب شيعتهم ممّا خلق منه أبدانهم فقلوبهم تهوي إليهم، ثمّ قرأ: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾﴾[٢].

٣١ - **ع:** أبي، عن سعد، عن ابن عيسى، عن أبي يحيى الواسطيّ رفعه قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إنّ الله عزّ وجلّ خلقنا من علّيّين، وخلق أرواحنا من فوق ذلك، وخلق أرواح شيعتنا من علّيّين، وخلق أجسادهم من دون ذلك، فمن أجل ذلك كانت القرابة بيننا وبينهم، ومن ثمّ تحنُّ قلوبهم إلينا[٣].

٣٢ - **ع:** أبي، عن سعد، عن محمّد بن عيسى، عن الحسن بن فضّال، عن ابن بكير عن زرارة قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ قال: ثبتت المعرفة ونسوا الوقت وسيذكرونه يوماً، ولولا ذلك لم يدر أحد من خالقه ولا من رازقه[٤].

شي: عن زرارة مثله[٥].

٣٣ - **ع:** ابن المتوكّل، عن الحميريّ، عن أحمد بن محمّد، عن ابن محبوب، عن عبد الرحمن بن كثير، عن داود الرقّيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لمّا أراد الله عزّ وجلّ أن يخلق الخلق خلقهم ونشرهم بين يديه، ثمّ قال لهم: من ربّكم؟ فأوّل من نطق رسول الله صلّى الله عليه وآله وأمير المؤمنين والأئمّة عليهم السلام أجمعين فقالوا: أنت ربّنا، فحمّلهم العلم والدين، ثمّ قال للملائكة: هؤلاء حملة ديني وعلمي وأمنائي في خلقي، وهم المسؤولون. ثمّ قال لبني آدم:

---

(١) علل الشرائع، ج ١ ص ١١٦ باب ٨٤ ح ٢.
(٢) علل الشرائع، ج ١ ص ١٤١ باب ٩٦ ح ١٤.
(٣) علل الشرائع، ج ١ ص ١٤٢ باب ٩٦ ح ١٥.
(٤) علل الشرائع، ج ١ ص ١٤٣ باب ٩٧ ح ١ و٢. (٥) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٤٣ ح ١٢.

أقرّوا لله بالربوبيّة، ولهؤلاء النفر بالطاعة والولاية فقالوا: نعم ربّنا أقررنا، فقال الله جلّ جلاله للملائكة: اشهدوا، فقالت الملائكة: شهدنا على أن لا يقولوا غداً إنّا كنّا عن هذا غافلين، أو يقولوا إنّما أشرك آباؤنا من قبل وكنّا ذرّيّة من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون؛ يا داود الأنبياء مؤكّدة عليهم في الميثاق[1].

بيان: قوله عليه السلام: هم المسؤولون أي يجب على الناس أن يسألوهم عن أمور دينهم أو فيه حذف وإيصال، أي يسأل الناس يوم القيامة عن حبّهم وولايتهم.

٣٤ - **ع:** أبي، عن سعد، عن أحمد بن محمّد، عن ابن بزيع، عن صالح بن عقبة، عن عبد الله بن محمّد الجعفيّ وعقبة جميعاً عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ الله عزّ وجلّ خلق الخلق فخلق من أحبَّ ممّا أحبَّ، وكان ما أحبَّ أن خلقه من طينة الجنّة، وخلق من أبغض ممّا أبغض وكان ما أبغض أن خلقه من طينة النار، ثمَّ بعثهم في الظلال؛ فقلت: وأيّ شيء الظلال؟ فقال: ألم تر إلى ظلّك في الشمس شيء وليس بشيء؟ ثمَّ بعث منهم النبيّين فدعوهم إلى الإقرار بالله، وهو قوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾[2] ثمّ دعوهم إلى الإقرار بالنبيّين فأنكر بعض وأقرّ بعض، ثمَّ دعوهم إلى ولايتنا فأقرَّ بها والله من أحبَّ، وأنكرها من أبغض، وهو قوله عزّ وجلّ: ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِن قَبْلُ﴾[3] ثمّ قال أبو جعفر عليه السلام كان التكذيب ثَمّ[4].

ير: محمّد بن الحسين عن محمّد بن إسماعيل، عن صالح بن عقبة، عن عبد الله بن محمّد الجعفيّ عن أبي جعفر؛ وعن عقبة عن أبي جعفر عليه السلام مثله[5].

شي: عن عبد الله الجعفيّ مثله[6].

توضيح: قوله عليه السلام: في الظلال أي عالم الأرواح بناءاً على أنّها أجسام لطيفة، ويحتمل أن يكون التشبيه للتجرّد أيضاً تقريباً إلى الأفهام، أو عالم المثال على القول به قبل الانتقال إلى الأبدان.

قوله عليه السلام: وهو قوله أي هذه المعرفة الفطريّة إنّما حصل من أخذ تلك الميثاق.

٣٥ - **ع:** ابن الوليد، عن الصفّار، عن اليقطينيّ، عن زياد القنديّ، عن عبد الله بن سنان قال: بينا نحن في الطواف إذ مرَّ رجلٌ من آل عمر فأخذ بيده رجلٌ فاستلم الحجر فانتهره وأغلظ له، وقال له: بطل حجّك إنَّ الّذي تستلمه حجر لا يضرّ ولا ينفع فقلت لأبي

---

(١) علل الشرائع، ج ١ ص ١٤٣ باب ٩٧ ح ١ و٢.

(٢) سورة الزخرف، الآية: ٨٧. (٣) سورة يونس، الآية: ٧٤.

(٤) علل الشرائع، ج ١ ص ١٤٤ باب ٩٧ ح ٣.

(٥) بصائر الدرجات، ص ٩١ ج ٢ باب ١٢ ح ١.

(٦) تفسير العياشي، ج ٢ ص ١٣٥ ح ٣٧ من سورة يونس.

عبد الله عليه السلام: جعلت فداك أما سمعت قول العمري لهذا الّذي استلم الحجر فأصابه ما أصابه؟ فقال: وما الّذي قال؟ قلت له: قال: يا عبد الله بطل حجّك إنّما هو حجر لا يضرُّ ولا ينفع! فقال أبو عبد الله عليه السلام: كذب، ثمَّ كذب ثمَّ كذب إنَّ للحجر لساناً ذلقاً يوم القيامة، يشهد لمن وافاه بالموافاة، ثمَّ قال: إنّ الله تبارك وتعالى لمّا خلق السماوات والأرض خلق بحرين: بحراً عذباً، وبحراً أجاجاً، فخلق تربة آدم من البحر العذب، وشنَّ عليها من البحر الأجاج، ثمّ جبل آدم فعرك عرك الأديم فتركه ما شاء الله فلمّا أراد أن ينفخ فيه الروح أقامه شبحاً فقبض قبضة من كتفه الأيمن فخرجوا كالذرّ فقال: هؤلاء إلى الجنّة؛ وقبض قبضة من كتفه الأيسر وقال: هؤلاء إلى النّار؛ فأنطق الله عزّ وجلّ أصحاب اليمين وأصحاب اليسار، فقال أهل اليسار: يا ربّ لمَ خلقت لنا النار ولم تبيّن لنا ولم تبعث إلينا رسولاً؟ فقال الله عزّ وجلّ لهم: ذلك لعلمي بما أنتم صائرون إليه، وإنّي سأبتليكم، فأمر الله عزّ وجلّ النار فأسعرت، ثمَّ قال لهم: تقحّموا جميعاً في النار فإنّي أجعلها عليكم برداً وسلاماً، فقالوا: يا ربّ إنّما سألناك لأيّ شيء جعلتها لنا هرباً منها، ولو أمرت أصحاب اليمين ما دخلوا؛ فأمر الله عزّ وجلّ النار فأسعرت ثمّ قال لأصحاب اليمين: تقحّموا جميعاً في النار، فتقحّموا جميعاً فكانت عليهم برداً وسلاماً فقال لهم: ألست بربّكم؟ قال أصحاب اليمين: بلى طوعاً، وقال أصحاب الشمال بلى كرهاً؛ فأخذ منهم جميعاً ميثاقهم، وأشهدهم على أنفسهم؛ قال: وكان الحجر في الجنّة فأخرجه الله عزّ وجلّ فالتقم الميثاق من الخلق كلّهم، فذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ﴾[1] فلمّا أسكن الله عزّ وجلّ آدم الجنّة وعصى أهبط الله عزّ وجلّ الحجر وجعله في ركن بيته وأهبط آدم عليه السلام على الصفا فمكث ما شاء الله، ثمّ رآه في البيت فعرفه وعرف ميثاقه وذكره فجاء إليه مسرعاً فأكبّ عليه وبكى عليه أربعين صباحاً تائباً من خطيئته، ونادماً على نقضه ميثاقه؛ قال: فمن أجل ذلك أُمرتم أن تقولوا إذا استلمتم الحجر: أمانتي أدّيتها وميثاقي تعاهدته لتشهد لي بالموافاة يوم القيامة[2].

٣٦ - ع: ابن المتوكّل، عن السعد آباديّ، عن البرقيّ، عن أبيه، عن عبد الله بن محمّد الهمدانيّ، عن إسحاق القميّ قال: دخلت على أبي جعفر الباقر عليه السلام فقلت له: جعلت فداك أخبرني عن المؤمن يزني؟ قال: لا، قلت: فيلوط؟ قال: لا، قلت: فيشرب المسكر؟ قال: لا، قلت: فيذنب، قال: نعم؛ قلت: جعلت فداك لا يزني ولا يلوط ولا يرتكب السيّئات، فأيّ شيء ذنبه؟.

فقال: يا إسحاق قال الله تبارك وتعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ﴾[3]

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٨٣.

(٢) علل الشرائع، ج ٢ ص ١٣٠ باب ١٦١ ح ٦.

(٣) سورة النجم، الآية: ٣٢.

وقد يلمّ المؤمن بالشيء الّذي ليس فيه مراد. قلت: جعلت فداك أخبرني عن الناصب لكم يظهر بشيء أبداً؟ قال: لا. قلت: جعلت فداك فقد أرى المؤمن الموحّد الّذي يقول بقولي ويدين الله بولا يتكم وليس بيني وبينه خلاف يشرب المسكر، ويزني، ويلوط، وآتيه في حاجة واحدة فأُصيبه معبس الوجه، كامح اللّون، ثقيلاً في حاجتي، بطيئاً فيها؛ وقد أرى الناصب المخالف لما أنا عليه ويعرفني بذلك فآتيه في حاجة فأُصيبه طلق الوجه، حسن البشر، متسرّعاً في حاجتي، فرحاً بها، يحبّ قضاءها، كثير الصلاة، كثير الصوم، كثير الصدقة، يؤدّي الزكاة، ويستودع فيؤدّي الأمانة!.

قال: ياإسحاق ليس تدرون من أين أُتيتم؟ قلت: لا والله، جعلت فداك إلاّ أن تخبرني، فقال: ياإسحاق إنّ الله عزّوجلّ لمّا كان متفرّداً بالوحدانيّة ابتدأ الأشياء لا من شيء، فأجرى الماء العذب على أرض طيّبة طاهرة سبعة أيّام مع لياليها، ثمّ نضب الماء عنها فقبض قبضة من صفاوة ذلك الطين، وهي طينتنا أهل البيت، ثمّ قبض قبضة من أسفل ذلك الطينة[1]، وهي طينة شيعتنا، ثمّ اصطفانا لنفسه، فلو أنّ طينة شيعتنا تركت كما تركت طينتنا لما زنى أحد منهم، ولا سرق، ولا لاط، ولا شرب المسكر، ولا اكتسب شيئاً ممّا ذكرت، ولكنّ الله عزّوجلّ أجرى الماء المالح على أرض ملعونة سبعة أيّام ولياليها، ثم نضب الماء عنها؛ ثمّ قبض قبضة، وهي طينة ملعونة من حمأ مسنون، وهي طينة خبال، وهي طينة أعدائنا، فلو أنّ الله عزّوجلّ ترك طينتهم كما أخذها لم تروهم في خلق الآدميّين، ولم يقرّوا بالشهادتين، ولم يصوموا، ولم يصلّوا، ولم يزكّوا، ولم يحجّوا البيت، ولم تروا أحداً منهم بحسن خلق، ولكنّ الله تبارك وتعالى جمع الطينتين طينتكم وطينتهم فخلطهما وعركهما عرك الأديم، ومزجهما بالمائين فما رأيت من أخيك من شرّ لفظ أو زناً، أو شيء ممّا ذكرت من شرب مسكر أو غيره، فليس من جوهريّته ولا من إيمانه، إنّما هو بمسحة الناصب اجترح هذه السيّئات الّتي ذكرت؛ وما رأيت من الناصب من حسن وجه وحسن خلق، أو صوم، أو صلاة أو حجّ بيت، أو صدقة، أو معروف فليس من جوهريّته، إنّما تلك الأفاعيل من مسحة الإيمان اكتسبها وهو اكتساب مسحة الإيمان.

قلت: جعلت فداك فإذا كان يوم القيامة فمه؟ قال لي: يا إسحاق أيجمع الله الخير والشرّ في موضع واحد؟ إذا كان يوم القيامة نزع الله عزّوجلّ مسحة الإيمان منهم فردّها إلى شيعتنا، ونزع مسحة الناصب بجميع ما اكتسبوا من السيّئات فردّها على أعدائنا، وعاد كلّ شيء إلى عنصره الأوّل الّذي منه ابتدأ؛ أما رأيت الشمس إذا هي بدت ألا ترى لها شعاعاً زاجراً متصلاً بها أو بائناً منها؟ قلت: جعلت فداك الشمس إذا هي غربت بدا إليها الشعاع كما بدا منها، ولو كان بائناً منها لما بدا إليها.

(١) في المصدر: ذلك الطين.

قال: نعم يا إسحاق كلّ شيء يعود إلى جوهره الّذي منه بدأ، قلت: جعلت فداك تؤخذ حسناتهم فتردّ إلينا؟ وتؤخذ سيئاتنا فتردّ إليهم؟ قال: إي والله الّذي لا إله إلاّ هو؛ قلت: جعلت فداك أجدها في كتاب الله عزّوجلّ ؟ قال: نعم يا إسحاق؛ قلت: في أيّ مكان؟ قال لي: يا إسحاق أما تتلو هذه الآية؟ ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾[1] فلم يبدّل الله سيّئاتهم حسنات إلاّ لكم والله يبدّل لكم[2].

إيضاح: قال الجزريّ في حديث الإفك: وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله أي قاربت. وقيل: اللّمم مقاربة المعصية من غير إيقاع فعل. وقيل: هو من اللّمم: صغار الذنوب. قوله: يظهر بشيء على البناء للمفعول من أظهره بمعنى أعانه، أي هل يعان بشيء من الخير؟ ولعلّه كان (يظفر) أو (يطهر) بالطاء المهملة. وقوله عليه السلام: أتيتم، أي هلكتم، وفي بعض النسّخ «أوتيتم» أي أتاكم الذنب. قوله عليه السلام: شعاعاً زاجراً أي شديداً يزجر البصر عن النظر. قوله: بدا إليها لعلّه ضمّن معنى الانتهاء.

٣٧ - **ير:** عمران بن موسى، عن موسى بن جعفر، عن عليّ بن سعيد، عن إبراهيم بن إسحاق، عن الحسين بن زيد، عن جعفر بن محمّد، عن جدّه عليه السلام قال: قال عليّ بن الحسين عليه السلام: إنّ الله بعث جبرئيل إلى الجنّة فأتاه بطينة من طينها، وبعث ملك الموت إلى الأرض فجاءه بطينة من طينها؛ فجمع الطينتين ثمّ قسّمها نصفين، فجعلنا من خير القسمين، وجعل شيعتنا من طينتنا، فما كان من شيعتنا ممّا يرغب بهم عنه من الأعمال القبيحة فذاك ممّا خالطهم من الطينة الخبيثة ومصيرها إلى الجنّة، وما كان في عدوّنا من برّ وصلاة وصوم ومن الأعمال الحسنة فذاك لما خالطهم من طينتنا الطيّبة ومصيرهم إلى النار[3].

٣٨ - **ير:** عبد الله بن محمّد، عن إبراهيم بن محمّد، عن مسعود بن يوسف بن كليب، عن الحسن بن حمّاد، عن فضيل بن الزبير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: يا فضيل أما علمت أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال: إنّا أهل بيت خلقنا من علّيّين، وخلق قلوبنا من الّذي خلقنا منه، وخلق شيعتنا من أسفل من ذلك، وخلق قلوب شيعتنا منه؛ وإنّ عدوّنا خلقوا من سجّين، وخلق قلوبهم من الّذي خلقوا منه، وخلق شيعتهم من أسفل من ذلك، وخلق قلوب شيعتهم من الّذي خلقوا منه، فهل يستطيع أحد من أهل علّيّين أن يكون من أهل سجّين؟ وهل يستطيع أهل سجّين أن يكونوا من أهل علّيّين[4]؟!.

٣٩ - **ير:** عنه، عن محمّد بن الحسين، عن الحسن بن محبوب، عن سيف بن عميرة، عن أبي بكر الحضرميّ، عن عليّ بن الحسين عليه السلام أنّه قال: أخذ الله ميثاق شيعتنا معنا على

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٧٠.
(٢) علل الشرائع، ج ٢ ص ٢٠٢ باب ٢٤٠ ح ١.
(٣) بصائر الدرجات، ج ١ باب ٩ ح ١٠.
(٤) بصائر الدرجات، ج ١ باب ٩ ح ١٦.

ولايتنا لا يزيدون ولا ينقصون إنّ الله خلقنا من طينة علّيين وخلق شيعتنا من طينة أسفل من ذلك وخلق عدوّنا من طينة سجّين، وخلق أولياءهم من طينة أسفل من ذلك[١].

٤٠ - **ير:** أحمد بن محمّد، عمّن رواه، عن أحمد بن عمرو الجبليّ، عن إبراهيم بن عمران، عن محمّد بن سوقة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الله خلقنا من طينة علّيين، وخلق قلوبنا من طينة فوق علّيين، وخلق شيعتنا من طينة أسفل من ذلك، وخلق قلوبهم من طينة علّيين، فصارت قلوبهم تحنّ إلينا لأنّها منّا، وخلق عدوّنا من طينة سجّين، وخلق قلوبهم من طينة أسفل من سجّين، وإنّ الله رادّ كلّ طينة إلى معدنها فرادّهم إلى علّيين، ورادّهم إلى سجّين[٢].

٤١ - **ير:** أحمد بن محمّد، عن الحسن بن موسى، عن عليّ بن حسّان، عن عبد الرّحمن ابن كثير، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ إلى آخر الآية، قال: أخرج الله من ظهر آدم ذرّيّته إلى يوم القيامة فخرجوا كالذرّ فعرّفهم نفسه، ولولا ذلك لن يعرف أحد ربّه ثمّ قال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ قالوا بلى، وإنّ هذا محمّد رسولي، وعليّ أمير المؤمنين خليفتي وأميني[٣].

٤٢ - **ير:** بعض أصحابنا، عن محمّد بن الحسين، عن عليّ بن أسباط، عن عليّ بن معمّر، عن أبيه قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ﴾ قال: يعني به محمّداً صلى الله عليه وآله حيث دعاهم إلى الإقرار بالله في الذرّ الأوّل[٤].

٤٣ - **سن:** ابن محبوب، عن ابن رئاب، عن ابن بكير قال: كان أبو جعفر عليه السلام يقول: إنّ الله تبارك وتعالى أخذ ميثاق شيعتنا بالولاية لنا وهم ذرّ يوم أخذ الميثاق على الذرّ بالإقرار له بالربوبيّة، ولمحمّد بالنبوّة، وعرض على محمّد صلى الله عليه وآله أمّته في الظلّ وهم أظلّة، وخلقهم من الطينة الّتي خلق منها آدم وخلق أرواح شيعتنا قبل أبدانهم بألفي عام، وعرضهم عليه، وعرّفهم رسول الله صلى الله عليه وآله وعليّ بن أبي طالب عليه السلام ونحن نعرفهم في لحن القول[٥].

ورواه عثمان بن عيسى، عن أبي الجرّاح، عن أبي الحسن عليه السلام وزاد فيه: وكلّ قلب يحنّ إلى بدنه[٦].

شي: عن بكير مثله[٧].

٤٤ - **سن:** أبي، عن القاسم بن محمّد، عن البطائنيّ، عن أبي بصير، عن أبي

---

(١) بصائر الدرجات، ج ١ ص ٣٦ باب ٩ ح ١٧.
(٢) بصائر الدرجات، ج ١ ص ٤١ باب ١١ ح ١٨.
(٣) بصائر الدرجات، ج ١ ص ٨٣ باب ٧ ح ٦. (٤) بصائر الدرجات، ج ١ ص ٩٤ باب ١٤ ح ٦.
(٥) - (٦) المحاسن، ص ١٣٥. (٧) تفسير العياشي، ج ١ ص ٢٠٤ ح ٧٤.

جعفر عليه السلام قال: لا تخاصموا الناس فإنّ الناس لو استطاعوا أن يحبّونا لأحبّونا، إنّ الله أخذ ميثاق النفس فلا يزيد فيهم أحد أبداً، ولا ينقص منهم أحد أبداً[١].

٤٥ - **سن:** محمّد بن عليّ، عن إسماعيل بن يسار، عن عثمان بن يوسف، عن عبد الله بن كيسان قال، قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك أنا مولاك عبد الله بن كيسان فقال: أمّا النسب فأعرفه، وأمّا أنت فلست أعرفك؛ قال: قلت: ولدت بالجبل، ونشأت بأرض فارس وأنا أخالط الناس في التجارات وغير ذلك، فأرى الرجل حسن السمت، وحسن الخلق والأمانة، ثمّ أفتّشه فأفتّشه عن عداوتكم. وأخالط الرجل وأرى فيه سوء الخلق، وقلّة أمانة وزعارة ثمّ أفتّشه فأفتّشه عن ولايتكم، فكيف يكون ذلك؟ فقال: أما علمت يابن كيسان أنّ الله تبارك وتعالى أخذ طينة من الجنّة، وطينةً من النار فخلطهما جميعاً، ثمّ نزع هذه من هذه فما رأيت من أولئك من الأمانة وحسن السمت وحسن الخلق فممّا مسّتهم من طينة الجنّة وهم يعودون إلى ما خلقوا منه، وما رأيت من هؤلاء من قلّة الأمانة وسوء الخلق والزعارة فممّا مسّتهم من طينة النار، وهم يعودون إلى ما خلقوا منه[٢].

بيان: قوله عليه السلام: فلست أعرفك أي بالتشيّع، والزعارة بالتشديد وقد يخفّف شراسة الخلق.

٤٦ - **سن:** أبي، عن عبد الله بن القاسم، عمّن حدّثه قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أرى الرجل من أصحابنا ممّن يقول بقولنا خبيث اللّسان، خبيث الخلطة، قليل الوفاء بالميعاد، فيغمّني غمّاً شديداً! وأرى الرجل من المخالفين علينا حسن السمت، حسن الهدي، وفيّاً بالميعاد، فأغتمّ غمّاً! فقال: أوتدري لمَ ذاك؟ قلت: لا، قال: إنّ الله خلق[٣] الطينتين فعركهما - وقال بيده هكذا راحتيه جميعاً واحدةً على الأخرى - ثمّ فلقهما فقال: هذه إلى الجنّة، وهذه إلى النار ولا أبالي، فالّذي رأيت من خبث اللّسان والبذاء وسوء الخلطة وقلّة الوفاء بالميعاد من الرجل الّذي هو من أصحابكم، يقول بقولكم فبما التطخ بهذه من الطينة الخبيثة وهو عائد إلى طينته؛ والّذي رأيت من حسن الهدي وحسن السمت وحسن الخلطة والوفاء بالميعاد من الرجال من المخالفين فبما التطخ به من الطينة. فقلت: فرّجت عنّي فرّج الله عنك[٤].

٤٧ - **سن:** يحيى بن إبراهيم بن أبي البلاد، عن أبيه، عن جدّه، عن رجل من أصحابه يقال له: عمران أنّه خرج في عمرة زمن الحجّاج فقلت له: هل لقيت أبا جعفر عليه السلام قال: نعم، قلت: فما قال لك؟ قال: قال لي: يا عمران ما خبر الناس؟ فقلت: تركت الحجّاج يشتم أباك على المنبر - أعني عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه - فقال: أعداء الله يبدهون

(١) المحاسن، ص ١٣٦. وفيه: ميثاق الناس.
(٢) المحاسن، ص ١٣٦.
(٣) في المصدر: خلط.
(٤) المحاسن، ص ١٣٥-١٣٨.

سبّنا! أما إنّهم لو استطاعوا أن يكونوا من شيعتنا لكانوا، ولكنّهم لا يستطيعون؛ إنّ الله أخذ ميثاقنا وميثاق شيعتنا ونحن وهم أظلّة، فلو جهد الناس أن يزيدوا فيه رجلاً أو ينقصوا منه رجلاً ما قدروا على ذلك(١).

بيان: يبدهون بالباء أي يأتون به بديهة وفجأة بلا رويّة، وفي بعض النسخ بالنون، يقال: ندهت الإبل أي سقتها مجتمعة، والندهة بالضمّ والفتح: الكثرة من المال.

٤٨ - **سن:** عليّ بن الحكم، عن أبان، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: لو علم الناس كيف كان ابتداء الخلق لما اختلف اثنان. فقال: إنّ الله تبارك وتعالى قبل أن يخلق الخلق قال: كن ماءاً عذباً أخلق منك جنّتي وأهل طاعتي. وقال: كن ماءاً ملحاً أجاجاً أخلق منك ناري وأهل معصيتي، ثمّ امرهما فامتزجا، فمن ذلك صار يلد المؤمن كافراً والكافر مؤمناً، ثمّ أخذ طين آدم من أديم الأرض فعركه عركاً شديداً فإذا هم في الذرّ يدبّون، فقال لأصحاب اليمين: إلى الجنّة بسلام، وقال لأصحاب النار: إلى النار ولا أبالي، ثمّ أمر ناراً فأسعرت فقال لأصحاب الشمال: ادخلوها، فهابوها وقال لأصحاب اليمين: ادخلوها، فدخلوها: فقال كوني برداً وسلاماً فكانت برداً وسلاماً؛ فقال أصحاب الشمال: يا ربّ أقلنا، فقال: قد أقلتكم فادخلوها، فذهبوا فهابوها، فثمّ ثبتت الطاعة والمعصية، فلا يستطيع هؤلاء أن يكونوا من هؤلاء ولا هؤلاء أن يكونوا من هؤلاء(٢).

بيان: قوله عليه السلام: لما اختلف اثنان أي في مسألة القضاء والقدر، أو لما تنازع اثنان في أمر الدين.

٤٩ - **سن:** عبد الله بن محمّد النهيكيّ، عن حسّان، عن أبيه، عن أبي إسحاق السبيعيّ، عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام قالا: كان في بدء خلق الله أن خلق أرضاً وطينةً وفجّر منها ماءها، وأجرى ذلك الماء على الأرض سبعة أيّام ولياليها، ثمّ نضب الماء عنها، ثمّ أخذ من صفوة تلك الطينة وهي طينة الأئمّة، ثمّ أخذ قبضة أخرى من أسفل تلك الطينة وهي طينة ذرّيّة الأئمّة وشيعتهم، فلو تركت طينتكم كما ترك طينتنا لكنتم أنتم ونحن شيئاً واحداً، قلت: فما صنع بطينتنا؟ قال: إنّ الله عزّ وجلّ خلق أرضاً سبخةً، ثمّ أجرى عليها ماءاً أجاجاً، أجراها سبعة أيّام ولياليها، ثمّ نضب عنها الماء، ثمّ أخذ من صفوة تلك الطينة وهي طينة أئمّة الكفر فلو تركت طينة عدوّنا كما أخذها لم يشهدوا الشهادتين: أن لا إله إلاّ الله، وأنّ محمّداً رسول الله، ولم يكونوا يحجّون البيت، ولا يعتمرون، ولا يؤتون الزكاة، ولا يصدّقون، ولا يعملون شيئاً من أعمال البرّ. ثمّ قال: أخذ الله طينة شيعتنا وطينة عدوّنا فخلطهما وعركهما عرك الأديم، ثمّ مزجهما بالماء، ثمّ جذب هذه من هذه، وقال: هذه في الجنّة ولا أبالي،

---

(١) المحاسن، ص ١٣٥-١٣٨.
(٢) المحاسن، ص ٢٨٢-٢٨٣.

وهذه في النار ولا أبالي، فما رأيت في المؤمن من زعارة وسوء الخلق واكتساب سيّئات فمن تلك السبخة الّتي مازجته من الناصب، وما رأيت من حسن خلق الناصب وطلاقة وجهه وحسن بشره وصومه وصلاته فمن تلك السبخة الّتي أصابته من المؤمن[١].

٥٠ - **نهج:** من كلام له روى اليمامي، عن أحمد بن قتيبة، عن عبد الله بن يزيد، عن مالك بن دحية قال: كنّا عند أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وقد ذكر عنده اختلاف الناس: إنّما فرّق بينهم مبادي طينتهم، وذلك أنّهم كانوا فلقة من سبخ أرض وعذبها، وحزن تربة وسهلها، فهم على حسب قرب أرضهم يتقاربون، وعلى قدر اختلافها يتفاوتون، فتامّ الرواء ناقص العقل، وماد القامة قصير الهمّة، وزاكي العمل قبيح المنظر، وقريب القعر بعيد السبر، ومعروف الضريبة منكر الجليبة، وتائه القلب متفرّق اللّبّ، وطليق اللّسان حديد الجنان[٢].

بيان: قوله عليه السلام: إنّما فرّق بينهم قال ابن ميثم: أي تقاربهم في الصور والأخلاق تابع لتقارب طينهم وتقارب مباديه وهي السهل والحزن، والسبخ والعذب؛ وتفاوتهم فيها لتفاوت طينهم ومباديه المذكورة. وقال أهل التأويل: الإضافة بمعنى اللّام أي المبادي لطينهم، كناية عن الأجزاء العنصريّة الّتي هي مبادي المركّبات ذوات الأمزجة، والسبخ كناية عن الحارّ اليابس، والعذب عن الحارّ الرطب، والسهل عن البارد الرطب والحزن عن البارد اليابس. والفلقة: القطعة والشقّ من الشيء، والرواء: المنظر الحسن، وقريب القعر أي قصير. بعيد السبر أي داهية يبعد اختبار باطنه يقال: سبرت الرجل أسبره أي اختبرت باطنه وغوره. والضريبة الخلق والطبيعة. والجليبة: ما يجلبه الإنسان ويتكلّفه أي خلقه حسن يتكلّف فعل القبيح، وحمله ابن ميثم على العكس، وقال: متفرّق اللّبّ أي يتبع كلّ ناعق. ثمّ قال: الخمسة الأول ظاهرهم مخالف لباطنهم، والأخيرتان ليستا على تلك الوتيرة، ذكرتا لتتميم الأقسام.

٥١ - **شي:** عن زرارة قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: أرأيت حين أخذ الله الميثاق على الذرّ في صلب آدم فعرضهم على نفسه كانت معاينة منهم له؟ قال: نعم يا زرارة وهم ذرّ بين يديه، وأخذ عليهم بذلك الميثاق بالربوبيّة له، ولمحمّد صلى الله عليه وآله بالنبوّة ثمّ كفل لهم بالأرزاق، وأنساهم رؤيته، وأثبت في قلوبهم معرفته، فلا بدّ من أن يخرج الله إلى الدنيا كلّ من أخذ عليه الميثاق، فمن جحد ما أخذ عليه الميثاق لمحمّد صلى الله عليه وآله لم ينفعه إقراره لربّه بالميثاق، ومن لم يجحد ميثاق محمّد نفعه الميثاق لربّه[٣].

٥٢ - **شي:** عن عمّار بن أبي الأحوص، عن أبي عبد الله عليه السلام: إنّ الله تبارك وتعالى خلق في مبتدأ الخلق بحرين: أحدهما عذب فرات، والآخر ملح أجاج، ثمّ خلق تربة آدم من

---

(١) المحاسن، ص ٢٨٢-٢٨٣. (٢) نهج البلاغة، ص ٤٧٨ خطبة رقم ٢٣١.
(٣) تفسير العياشي، ج ١ ص ٢٠٤ ح ٧٥.

البحر العذب الفرات ثمّ أجراه على البحر الأجاج فجعله حمأ مسنوناً وهو خلق آدم، ثمّ قبض قبضة من كتف آدم الأيمن فذرأها في صلب آدم، فقال: هؤلاء في الجنّة ولا أبالي، ثمّ قبض قبضة من كتف آدم الأيسر فذرأها في صلب آدم، فقال: هؤلاء في النار ولا أبالي ولا أسأل عمّا أفعل، ولي في هؤلاء البداء بعد، وفي هؤلاء وهؤلاء سيبتلون؛ قال أبو عبد الله عليه السلام: فاحتجّ يومئذٍ أصحاب الشمال وهم ذرّ على خالقهم فقالوا: يا ربّنا بم أوجبت لنا النار - وأنت الحكم العدل - من قبل أن تحتجّ علينا، وتبلونا بالرسل، وتعلم طاعتنا لك ومعصيتنا؟ فقال الله تبارك وتعالى: فأنا أخبركم بالحجة عليكم الآن في الطاعة والمعصية، والإعذار بعد الإخبار. قال أبو عبد الله عليه السلام: فأوحى الله إلى مالك خازن النار: أن مر النار تشهق، ثمّ تخرج عنقاً منها فخرجت لهم، ثمّ قال الله لهم: ادخلوها طائعين، فقالوا: لا ندخلها طائعين! ثمّ قال: ادخلوها طائعين، أو لأعذّبنكم بها كارهين، قالوا: إنّا هربنا إليك منها، وحاججناك فيها حيث أوجبتها علينا، وصيّرتنا من أصحاب الشمال، فكيف ندخلها طائعين؟ ولكن أبدأ أصحاب اليمين في دخولها، كي تكون قد عدلت فينا وفيهم؛ قال أبو عبد الله عليه السلام: فأمر أصحاب اليمين وهم ذرٌّ بين يديه فقال: ادخلوا هذه النار طائعين قال: فطفقوا يتبادرون في دخولها فولجوا فيها جميعاً فصيّرها الله عليهم برداً وسلاماً، ثمّ أخرجهم منها. ثمّ إنّ الله تبارك وتعالى نادى في أصحاب اليمين وأصحاب الشمال: ألست بربّكم؟ فقال أصحاب اليمين: بلى يا ربّنا نحن بريّتك وخلقك مقرّين طائعين، وقال أصحاب الشمال: بلى يا ربّنا نحن بريّتك وخلقك كارهين! وذلك قول الله: ﴿وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ﴾(١) قال: توحيدهم لله(٢).

٥٣ - شي: عن عثمان بن عيسى، عن بعض أصحابه، عنه قال: إنّ الله قال لماء: كن عذباً فراتاً أخلق منك جنّتي وأهل طاعتي؛ وقال لماء: كن ملحاً أجاجاً أخلق منك ناري وأهل معصيتي، فأجرى المائين على الطين، ثمّ قبض قبضةً بهذه - وهي يمين - فخلقهم خلقاً كالذرّ، ثمّ أشهدهم على أنفسهم: ألست بربكم وعليكم طاعتي؟ قالوا: بلى، فقال للنّار: كوني ناراً، فإذا نار تأجّج، وقال لهم قعوا فيها، فمنهم من أسرع، ومنه من أبطأ في السعي، ومنهم من لم يرم مجلسه، فلمّا وجدوا حرّها رجعوا فلم يدخلها منهم أحد، ثمّ قبض قبضةً بهذه فخلقهم خلقاً مثل الذّر، مثل أولئك، ثمّ أشهدهم على أنفسهم مثل ما أشهد الآخرين، ثمّ قال لهم: قعوا في هذه النار، فمنهم من أبطأ، ومنهم من أسرع، ومنهم من مرّ بطرف العين، فوقعوا فيها كلّهم، فقال: اخرجوا منها سالمين، فخرجوا لم يصبهم شيء؛ وقال الآخرون: يا ربّنا أقلنا نفعل كما فعلوا، قال: قد أقلتكم، فمنهم من أسرع في السعي، ومنهم من أبطأ، ومنهم من لم يرم مجلسه، مثل ما صنعوا في المرّة الأولى؛ فذلك قوله:

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٨٣.

(٢) تفسير العياشي، ج ١ ص ٢٠٥ ح ٧٨.

﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾[(١)].

بيان: يقال: رام يريم: إذا برح وزال من مكانه، وأكثر ما يستعمل في النّفي.

٥٤ - **شي:** خالد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ولو ردّوا لعادوا لما نهوا عنه، إنّهم ملعونون في الأصل[(٢)].

٥٥ - **شي:** عن زرارة وحمران ومحمّد بن مسلم، عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام عن قول الله: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ﴾ إلى آخر الآية: أمّا قوله: ﴿كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ فإنّه حين أخذ عليهم الميثاق[(٣)].

٥٦ - **شي:** عن رفاعة قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ قال: نعم أخذ الله الحجّة على جميع خلقه يوم الميثاق هكذا - وقبض يده[(٤)] -.

٥٧ - **شي:** عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: كيف أجابوا وهم ذرّ؟ قال: جعل فيهم ما إذا سألهم أجابوه - يعني في الميثاق[(٥)] -.

بيان: أي تعلّقت الأرواح بتلك الذرّ وجعل فيهم العقل وآلة السمع وآلة النطق حتّى فهموا الخطاب وأجابوا وهم ذرّ.

٥٨ - **شي:** عن زرارة قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ إلى ﴿قَالُوا بَلَى﴾ قال: كان محمّد عليه وآله السلام أوّل من قال: بلى؛ قلت: كانت رؤية معاينة؟ قال: ثبتت المعرفة في قلوبهم وأنسوا ذلك الميثاق وسيذكرونه بعد، ولولا ذلك لم يدر أحد من خالقه ولا من يرزقه[(٦)].

٥٩ - **شي:** عن زرارة أنّ رجلاً سأل أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ فقال - وأبوه يسمع -: حدّثني أبي أنّ الله تعالى قبض قبضة من تراب التربة الّتي خلق منها آدم، فصبّ عليها الماء العذب الفرات، فتركها أربعين صباحاً، ثمّ صبّ عليها الماء المالح الأجاج فتركها أربعين صباحاً، فلمّا اختمرت الطينة أخذها تبارك وتعالى فعركها عركاً شديداً، ثمّ هكذا - حكى بسط كفّيه - فخرجوا كالذرّ من يمينه وشماله فأمرهم جميعاً أن يقعوا في النار، فدخل أصحاب اليمين فصارت عليهم برداً وسلاماً، وأبى أصحاب الشمال أن يدخلوها[(٧)].

---

(١) تفسير العياشي، ج ١ ص ٣٨٨ ح ١٨.
(٢) تفسير العياشي، ج ١ ص ٣٨٩ ح ١٩.
(٣) تفسير العياشي، ج ١ ص ٤٠٣ ح ٨٠.
(٤) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٤٠ ح ١٠٣.
(٥) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٤٠ ح ١٠٤.
(٦) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٤٢ ح ١٠٨.
(٧) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٤٣ ح ١٠٩.

بيان: قوله عليه السلام: من يمينه وشماله أي من يمين الملك المأمور بهذا الأمر وشماله، أو من يمين العرش وشماله، أو استعار اليمين للجهة الّتي فيها اليمن والبركة وكذا الشمال بعكس ذلك.

٦٠ - **شي:** عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾: قلت: قالوا بألسنتهم؟ قال: نعم وقالوا بقلوبهم؛ فقلت: وأيّ شيء كانوا يومئذٍ؟ قال: صنع منهم ما اكتفى به[1].

٦١ - **شي:** عن زرارة قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ﴾ إلى ﴿أَنفُسِهِمْ﴾ قال: أخرج الله من ظهر آدم ذرّيّته إلى يوم القيامة، فخرجوا كالذرّ، فعرّفهم نفسه، وأراهم نفسه، ولولا ذلك ما عرف أحد ربّه، وذلك قوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾[2].

٦٢ - **شي:** عن الأصبغ بن نباتة، عن عليّ عليه السلام قال: أتاه ابن الكوّاء فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن الله تبارك وتعالى هل كلّم أحداً من ولد آدم قبل موسى؟ فقال عليٌّ: قد كلّم الله جميع خلقه برّهم وفاجرهم وردّوا عليه الجواب. فثقل ذلك على ابن الكوّاء ولم يعرفه، فقال له: كيف كان ذلك يا أمير المؤمنين؟ فقال له: أوما تقرأ كتاب الله إذ يقول لنبيّه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾؟ فقد أسمعكم[3] كلامه، وردّوا عليه الجواب كما تسمع في قول الله - يابن الكوّاء - ﴿قَالُوا بَلَىٰ﴾ فقال لهم: إنّي أنا الله لا إله إلاّ أنا، وأنا الرحمن، فأقرّوا له بالطاعة والربوبيّة، وميّز الرسل والأنبياء والأوصياء، وأمر الخلق بطاعتهم، فأقرّوا بذلك في الميثاق، فقالت الملائكة عند إقرارهم بذلك: شهدنا عليكم يا بني آدم أن تقولوا يوم القيامة إنّا كنّا عن هذا غافلين[4].

٦٣ - قال أبو بصير: قلت لأبي عبد الله عليه السلام أخبرني عن الذرّ وحيث أشهدهم على أنفسهم ألست بربّكم؟ قالوا: بلى، وأسرّ بعضهم خلاف ما أظهر، قلت: كيف علموا القول حيث قيل لهم: ألست بربّكم؟ قال: إنّ الله جعل فيهم ما إذا سألهم أجابوه[5].

٦٤ - **شي:** عن زرارة وحمران، عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام قالا: إنّ الله خلق الخلق وهي أظلّة، فأرسل رسوله محمّداً صلى الله عليه وآله فمنهم من آمن به ومنهم من كذّبه، ثمّ بعثه في الخلق الآخر فآمن به من كان آمن به في الأظلّة وجحده من جحد به يومئذٍ، فقال: ما كانوا ليؤمنوا بما كذّبوا به من قبل[6].

---

(١) - (٢) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٤٣ ح ١١٠-١١١.

(٣) الصواب: أسمعهم، كما في المصدر.

(٤) - (٥) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٤٤ ح ١١٦ و١١٧.

(٦) تفسير العياشي، ج ٢ ص ١٣٤ ح ٣٥.

٦٥ - **شي:** عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ﴾ إلى ﴿بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ﴾ قال: بعث الله الرسل إلى الخلق وهم في أصلاب الرجال، وأرحام النساء، فمن صدّق حينئذٍ صدّق بعد ذلك، ومن كذّب حينئذٍ كذّب بعد ذلك(١).

٦٦ - **شي:** عن أبي حمزة الثماليّ، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ الله تبارك وتعالى هبط إلى الأرض في ظلل من الملائكة على آدم وهو بوادٍ يقال له: الروحاء وهو وادٍ بين الطائف ومكّة، قال: فمسح على ظهر آدم ثمّ صرخ بذرّيّته وهم ذرّ، قال: فخرجوا كما يخرج النحل من كورها. فاجتمعوا على شفير الوادي فقال الله لآدم: انظر ماذا ترى فقال آدم: أرى ذرّاً كثيراً على شفير الوادي، فقال الله: يا آدم هؤلاء ذرّيّتك، أخرجتهم من ظهرك لآخذ عليهم الميثاق لي بالربوبيّة، ولمحمّد بالنبوّة، كما آخذه عليهم في السماء؛ قال آدم: يا ربّ وكيف وسعتهم ظهري؟ قال الله: يا آدم بلطف صنيعي ونافذ قدرتي؛ قال آدم: يا ربّ فما تريد منهم في الميثاق؟ قال الله: أن لا يشركوا بي شيئاً، قال آدم: فمن أطاعك منهم يا ربّ فما جزاؤه؟ قال: أسكنه جنّتي؛ قال آدم: فمن عصاك فما جزاؤه؟ قال: أسكنه ناري، قال آدم: يا ربّ لقد عدلت فيهم، وليعصينّك أكثرهم إن لم تعصمهم(٢).

بيان: هبط إلى الأرض أي هبط ونزل أمره ووحيه مع طوائف كثيرة من الملائكة شبّههم بالظلل في وفورهم وكثرتهم وتراكمهم، والظلل جمع الظلّة وهي ما أظلّك من سحاب ونحوه، وهذا مثل قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾(٣) والمسح: كناية عن شمول اللّطف والرحمة.

٦٧ - **كشف:** من كتاب دلائل الحميريّ، عن أبي هاشم الجعفريّ قال: كنت عند أبي محمّد عليه السلام فسأله محمّد بن صالح الأرمنيّ عن قول الله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ﴾ قال أبو محمّد عليه السلام ثبتت المعرفة ونسوا ذلك الموقف وسيذكرونه، ولولا ذلك لم يدر أحدٌ من خالقه ولا من رازقه؛ قال أبو هاشم: فجعلت أتعجّب في نفسي من عظيم ما أعطى الله وليّه وجزيل ما حمّله، فأقبل أبو محمّد عليّ فقال: الأمر أعجب ممّا عجبت منه يا أبا هاشم وأعظم! ما ظنّك بقوم من عرفهم عرف الله، ومن أنكرهم أنكر الله؟ فلا مؤمن إلاّ وهو بهم مصدّق وبمعرفتهم موقن(٤).

بيان: اعلم أنّ أخبار هذا الباب من متشابهات الأخبار(٥)، ومعضلات الآثار، ولأصحابنا رضي الله عنهم فيها مسالك.

---

(١) تفسير العياشي، ج ٢ ص ١٣٤ ح ٣٦.
(٢) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٢٣٤.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢١٠.
(٤) كشف الغمة، ج ٣ ص ٢١٥.
(٥) نقل العلامة المجلسي قدّس سرّه في هذا الباب سبعة وستّين خبراً، والروايات المربوطة بعالم الذر والميثاق كثيرة متواترة فوق حدّ التواتر لا ينكرها إلاّ جاهل، والروايات الواردة في بيان عالم الذر=

منها ما ذهب إليه الأخباريّون، وهو أنّا نؤمن بها مجملاً، ونعترف بالجهل عن حقيقة معناها، وعن أنّها من أي جهة صدرت، ونردّ علمه إلى الأئمّة عليهم السلام.

ومنها أنّها محمولة على التقيّة لموافقتها لروايات العامّة ولما ذهبت إليه الأشاعرة وهم جلّهم، ولمخالفتها ظاهراً لما مرّ من أخبار الاختيار والاستطاعة.

ومنها أنّها كنايةٌ عن علمه تعالى بما هم إليه صائرون، فإنّه تعالى لمّا خلقهم مع علمه بأحوالهم فكأنّه خلقهم من طينات مختلفة، ومنها أنّها كناية عن اختلاف استعداداتهم وقابليّاتهم، وهذا أمر بيّن لا يمكن إنكاره، فإنّه لا شبهة في أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وأبا جهل ليسا في درجة واحدة من الاستعداد والقابليّة، وهذا لا يستلزم سقوط التكليف فإنّ الله تعالى كلّف النبيّ صلى الله عليه وآله حسب ما أعطاه من الاستعداد لتحصيل الكمالات، وكلّف أبا جهل حسب ما أعطاه من ذلك ولم يكلّفه ما ليس في وسعه، ولم يجبره على شيء من الشرّ والفساد.

ومنها أنّه لمّا كلّف الله تعالى الأرواح أوّلاً في الذرّ وأخذ ميثاقهم فاختاروا الخير والشرّ باختيارهم في ذلك الوقت، وتفرّع اختلاف الطينة على ما اختاروه باختيارهم كما دلّ عليه بعض الأخبار السابقة فلا فساد في ذلك.

ولا يخفى ما فيه وفي كثير من الوجوه السابقة، وترك الخوض في أمثال تلك المسائل الغامضة الّتي تعجز عقولنا عن الإحاطة بكنهها أولى، لا سيّما في تلك المسألة الّتي نهى أئمّتنا عن الخوض فيها، ولنذكر بعض ما ذكره في ذلك علماؤنا رضوان الله عليهم ومخالفوهم.

فمنها ما ذكره الشيخ المفيد قدّس الله روحه في جواب المسائل السرويّة حيث سئل: ما

= والميثاق من طريق العامّة في كتاب التاج، كتاب التفسير في سورة الأعراف في ذيل الآية؛ وكتاب الغدير ج٦ ص١٠٣؛ ومناقب ابن المغازلي ص٢٧١؛ واحقاق الحق ج٣ ص٣٠٧. قال المصنّف (يعني القاضي نور الله في احقاقه ج٣ ص٣٠٧) الثالثة والثلاثون قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ﴾ الآية. روى الجمهور قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لو يعلم الناس متى سمّي عليّ أميرالمؤمنين ما أنكروا فضله. سمّي أميرالمؤمنين عليه السلام وآدم بين الروح والجسد، قال عزّ وجلّ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ قالت الملائكة: بلى، فقال الله تعالى: أنا ربّكم ومحمّد نبيّكم وعلي أميركم؛ إنتهى. قال العلاّمة المرعشي دام ظلّه في ذيله: روى الحديث بعض أعلام القوم ونحن نشير إلى بعض: منهم صاحب الفردوس في الباب الرابع عشر (على ما في اللوامع ج٩ ص٢٧٢ ط الهند) انّ حذيفة قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله: لو علم الناس وساقه مثله إلى قوله والجسد. وعن أبي هريرة قال: قيل يا رسول الله صلى الله عليه وآله متى وجبت؟ قال: قبل أن يخلق الله آدم ونفخ الروح فيه؛ الخ. وفيه ج٤ ص٢٧٥ و٢٧٦ ذكر أربع روايات بهذا المفاد وفي ثلاثة منها بعد قوله تعالى ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ قال تعالى: أنا ربّكم الأعلى ومحمّد نبيّكم وعليّ وليّكم وأميركم. [مستدرك السفينة ج ١٠ لغة «وثق»].

قوله - أدام الله تأييده - في معنى الأخبار المرويّة عن الأئمّة الهادية عليهم السلام في الأشباح وخلق الله تعالى الأرواح قبل خلق آدم عليه السلام بألفي عام، وإخراج الذرّيّة من صلبه على صور الذرّ، ومعنى قول رسول الله صلى الله عليه وآله: الأرواح جنود مجنّدة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف؟.

الجواب: - وبالله التوفيق - أنّ الأخبار بذكر الأشباح تختلف ألفاظها، وتتباين معانيها، وقد بنت الغلاة عليها أباطيل كثيرة، وصنّفوا فيها كتباً لغوا فيها، وهزئوا فيما أثبتوه منه في معانيها، وأضافوا ما حوته الكتب إلى جماعة من شيوخ أهل الحقّ وتخرّصوا الباطل بإضافتها إليهم، من جملتها كتاب سمّوه كتاب (الأشباح والأظلّة) نسبوه في تأليفه إلى محمّد ابن سنان، ولسنا نعلم صحّة ما ذكروه في هذا الباب عنه وإن كان صحيحاً فإنّ ابن سنان قد طعن عليه وهو متّهم بالغلوّ، فإن صدقوا في إضافة هذا الكتاب إليه فهو ضلال لضالّ عن الحقّ، وإن كذبوا فقد تحمّلوا أوزار ذلك، والصحيح من حديث الأشباح الرواية الّتي جاءت عن الثقات بأنّ آدم عليه السلام رأى على العرش أشباحاً يلمع نورها، فسأل الله تعالى عنها، فأوحى إليه أنّها أشباح رسول الله صلى الله عليه وآله، وأمير المؤمنين، والحسن، والحسين، وفاطمة صلوات الله عليهم؛ وأعلمه أنّه لولا الأشباح الّتي رآها ما خلقه ولا خلق سماءاً ولا أرضاً.
والوجه فيما أظهره الله تعالى من الأشباح والصور لآدم أن دلّه على تعظيمهم وتبجيلهم، وجعل ذلك إجلالاً لهم، ومقدّمةً لمّا يفترضه من طاعتهم، ودليلاً على أنّ مصالح الدين والدنيا لا تتمّ إلاّ بهم ولم يكونوا في تلك الحال صوراً مجيبة، ولا أرواحاً ناطقةً لكنّها كانت على مثل صورهم في البشريّة، يدلّ على ما يكونوا عليه في المستقبل في الهيئة، والنور الّذي جعله عليهم يدلّ على نور الدين بهم وضياء الحقّ بحججهم؛ وقد روي أنّ أسماءهم كانت مكتوبةً إذ ذاك على العرش، وأنّ آدم عليه السلام لمّا تاب إلى الله عزّ وجلّ وناجاه بقبول توبته سأله بحقّهم عليه ومحلّهم عنده فأجابه، وهذا غير منكر في العقول، ولا مضادّ للشرع المنقول، وقد رواه الصالحون الثقات المأمونون، وسلّم لروايته طائفة الحقّ، ولا طريق إلى إنكاره، والله وليّ التوفيق.

فصل: ومثل ما بشّر الله به آدم عليه السلام من تأهيله نبيّه صلى الله عليه وآله لما أهله له، وتأهيل أمير المؤمنين والحسن والحسين عليهم السلام لما أهّلهم له، وفرض عليه تعظيمهم وإجلالهم كما بشّر به في الكتب الأولى من بعثته لنبيّنا صلى الله عليه وآله فقال في محكم كتابه: ﴿ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾(١) وقوله تعالى مخبراً عن

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٥٧.

المسيح عليه السلام : ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾(١) وقوله سبحانه : ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾(٢) يعني رسول الله صلى الله عليه وآله ، فحصلت البشائر به من الأنبياء وأممهم قبل إخراجه إلى العالم بالوجود، وإنّما أراد جلّ اسمه بذلك إجلاله وإعظامه، وأن يأخذ العهد له على الأنبياء والأمم كلّها، فلذلك أظهر لآدم عليه السلام صورة شخصه، وأشخاص أهل بيته عليهم السلام ، وأثبت أسماءهم له ليخبره بعاقبتهم، وبيّن له عن محلّهم عنده ومنزلتهم لديه، ولم يكونوا في تلك الحال أحياءاً ناطقين، ولا أرواحاً مكلّفين، وإنّما كانت أشباحهم دالّة عليهم حسب ما ذكرناه.

فصل: وقد بشّر الله عزّ وجلّ بالنبيّ والأئمة عليهم السلام في الكتب الأولى، فقال في بعض كتبه الّتي أنزلها على أنبيائه عليهم السلام ، وأهل الكتب يقرؤونه، واليهود يعرفونه: إنّه ناجى إبراهيم الخليل عليه السلام في مناجاته: إنّي قد عظّمتك وباركت عليك وعلى إسماعيل، وجعلت منه اثني عشر عظيماً، وكبّرتهم جدّاً جدّاً، وجعلت منهم شعباً عظيماً لأمّة عظيمة؛ وأشباه ذلك كثير في كتب الله تعالى الأولى.

فصل: فأمّا الحديث في إخراج الذرّيّة من صلب آدم عليه السلام على صورة الذرّ فقد جاء الحديث بذلك على اختلاف ألفاظه ومعانيه؛ والصحيح أنّه أخرج الذرّيّة من ظهره كالذرّ فملأ بهم الأفق، وجعل على بعضهم نوراً لا يشوبه ظلمة، وعلى بعضهم ظلمةً لا يشوبها نور، وعلى بعضهم نوراً وظلمة؛ فلمّا رآهم آدم عليه السلام عجب من كثرتهم وما عليهم من النور والظلمة، فقال: يا ربّ ما هؤلاء؟ قال الله عزّ وجلّ له: هؤلاء ذرّيّتك - يريد تعريفه كثرتهم، وامتلاء الآفاق بهم، وأنّ نسله يكون في الكثرة كالذرّ الّذي رآه ليعرّفه قدرته، ويبشّره بإفضال نسله وكثرتهم - فقال عليه السلام : يا ربّ ما لي أرى على بعضهم نوراً لا ظلمة فيه؟ وعلى بعضهم ظلمة لا يشوبها نور؟ وعلى بعضهم ظلمة ونوراً؟ فقال تبارك وتعالى: أمّا الّذين عليهم النور منهم بلا ظلمة فهم أصفيائي من ولدك الّذي يطيعوني ولا يعصوني في شيء من أمري فأولئك سكّان الجنّة، وأمّا الّذين عليهم ظلمة ولا يشوبها نور فهم الكفّار من ولدك الّذين يعصوني ولا يطيعوني، فأمّا الّذين عليهم نور وظلمة فأولئك الّذين يطيعوني من ولدك ويعصوني فيخلطون أعمالهم السيّئة بأعمال حسنة، فهؤلاء أمرهم إليّ، إن شئت عذّبتهم فبعدلي وإن شئت عفوت عنهم فبفضلي، فأنبأه الله تعالى بما يكون من ولده، وشبّههم بالذرّ الّذي أخرجهم من ظهره، وجعله علامةً على كثرة ولده. ويحتمل أن يكون ما أخرجه من ظهره وجعل أجسام ذرّيّته دون أرواحهم، وإنّما فعل الله تعالى ذلك ليدل آدم عليه السلام على العاقبة منه، ويظهر له من قدرته وسلطانه وعجائب صنعته، وأعلمه بالكائن قبل كونه، وليزداد آدم عليه السلام يقيناً بربّه، ويدعوه

---

(١) سورة الصف، الآية: ٦. (٢) سورة آل عمران، الآية: ٨.

ذلك إلى التوفّر على طاعته، والتمسّك بأوامره، والاجتناب لزواجره. فأمّا الأخبار الّتي جاءت بأنّ ذرّيّة آدم عليه السلام استنطقوا في الذرّ فنطقوا فأخذ عليهم العهد فأقروا فهي من أخبار التناسخيّة، وقد خلطوا فيها ومزجوا الحقّ بالباطل، والمعتمد من إخراج الذرّيّة ما ذكرناه دون ما عداه ممّا استمرّ القول به على الأدلّة العقليّة والحجج السمعيّة، وإنّما هو تخليط لا يثبت به أثر على ما وصفناه.

فصل: فإن تعلّق متعلّق بقوله تبارك اسمه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾ فظنّ ظاهر هذا القول تحقّق ما رواه أهل التناسخ والحشويّة والعامّة في إنطاق الذرّيّة وخطابهم وأنّهم كانوا أحياءاً ناطقين. فالجواب عنه أنّ لهذه الآية من المجاز في اللّغة كنظائرها ممّا هو مجاز واستعارة والمعنى فيها أنّ الله تبارك وتعالى أخذ من كلّ مكلّف يخرج من ظهر آدم وظهور ذرّيّته العهد عليه بربوبيّته، من حيث أكمل عقله، ودلّه بآثار الصنعة على حدثه، وأنّ له محدثاً أحدثه لا يشبهه يستحقّ العبادة منه بنعمه عليه، فذلك هو أخذ العهد منهم، وآثار الصنعة فيهم، والاشهاد لهم على أنفسهم بأنّ الله تعالى ربّهم، وقوله تعالى: ﴿قَالُواْ بَلَىٰ﴾ يريد به أنّهم لم يمتنعوا من لزوم آثار الصنعة فيهم، ودلائل حدثهم اللاّزمة لهم، وحجّة العقل عليهم في إثبات صانعهم، فكأنّه سبحانه لمّا ألزمهم الحجّة بعقولهم على حدثهم ووجود محدثهم قال لهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾؟ فلمّا لم يقدروا على الامتناع من لزوم دلائل الحدث لهم كانوا كقائلين: ﴿بَلَىٰ شَهِدْنَآ﴾ وقوله تعالى: ﴿أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ (١٧٢) أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ (١٧٣)﴾ الا ترى أنّه احتجّ عليهم بما لا يقدرون يوم القيامة أن يتأوّلوا في إنكاره ولا يستطيعون، وقد قال سبحانه: ﴿وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ﴾[1] ولم يرد أنّ المذكور يسجد كسجود البشر في الصلاة، وإنّما أراد به غير ممتنع من فعل الله فهو كالمطيع لله وهو معبّر عنه بالساجد، قال الشاعر:

بجمع تظل البلق في حجراته ترى الأكم فيها سجداً للحوافر

يريد أنّ الحوافر تذلّ الأكم بوطئها عليها.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾[2] وهو سبحانه لم يخاطب السماء بكلام؛ ولا السماء قالت قولاً مسموعاً، وإنّما أراد أنّه عمد إلى السماء فخلقها ولم يتعذّر عليه صنعتها، فكأنّه لمّا خلقها قال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً، فلمّا تعلّقت بقدرته كانتا كالقائل: أتينا طائعين وكمثل قوله تعالى: ﴿يَوْمَ

---

(١) سورة الحج، الآية: ١٨.
(٢) سورة فصلت، الآية: ١١.

﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ (١) والله تعالى يجلّ عن خطاب النار وهي ممّا لا يعقل ولا يتكلّم، وإنّما الخبر عن سعتها وأنّها لا تضيق بمن يحلّها من المعاقبين، وذلك كلّه على مذهب أهل اللّغة وعادتهم في المجاز، ألا ترى إلى قول الشاعر:

وقالت له العينان سمعاً وطاعة وأسبلتا كالدرّ ما لم يثقّب

والعينان لم تقولا قولاً مسموعاً، ولكنّه أراد منهما البكاء، فكانت كما أراد من غير تعذّر عليه. ومثله قول عنترة:

فازورّ من وقع القنا بلبانه وشكى إليّ بعبرة وتحمحم

والفرس لا يشتكي قولاً، لكنّه ظهر منه علامة الخوف والجزع، فسمّى ذلك قولاً. ومنه قول الآخر: وشكى إليّ جملي طول السُرى.

والجمل لا يتكلّم، لكنّه لمّا ظهر منه النصب والوصب لطول السرى عبّر عن هذه العلامة بالشكوى الّتي تكون كالنطق والكلام، ومنه قولهم أيضاً:

امتلأ الحوض وقال قطني حسبك منّي قد ملأت بطني

والحوض لم يقل قطني، لكنّه لمّا امتلأ بالماء عبّر عنه بأنّه قال: حسبي، ولذلك أمثال كثيرة في منثور كلام العرب ومنظومه، وهو من الشواهد على ما ذكرناه في تأويل الآية والله تعالى نسأل التوفيق.

فصل: فأمّا الخبر أنّ الله تعالى خلق الأرواح قبل الأجساد بألفي عام فهو من أخبار الآحاد، وقد روته العامّة كما روته الخاصّة، وليس هو مع ذلك ممّا يقطع على الله بصحّته، وإنّما نقله رواته لحسن الظنّ به، وإن ثبت القول فالمعنى فيه أنّ الله تعالى قدّر الأرواح في علمه قبل اختراع الأجساد، واخترع الأجساد واخترع لها الأرواح فالخلق للأرواح قبل الأجساد خلق تقدير في العلم كما قدّمناه، وليس بخلق لذواتها كما وصفناه، والخلق لها بالإحداث والاختراع بعد خلق الأجسام، والصور الّتي تدبّرها الأرواح، ولولا أنّ ذلك كذلك لكانت الأرواح تقوم بأنفسها، ولا تحتاج إلى آلات يعتملها، ولكنّا نعرف ما سلف لنا من الأحوال قبل خلق الأجساد، كما نعلم أحوالنا بعد خلق الأجساد، وهذا محال لا خفاء بفساده.

وأمّا الحديث بأنّ الأرواح جنود مجنّدة فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف، فالمعنى فيه أنّ الأرواح الّتي هي الجواهر البسائط تتناصر بالجنس وتتخاذل بالعوارض، فما تعارف منها باتّفاق الرأي والهوى ائتلف، وما تناكر منها بمباينة في الرأي والهوى اختلف، وهذا موجود حسّاً ومشاهد، وليس المراد بذلك أنّ ما تعارف منها في الذرّ ائتلف - كما يذهب إليه الحشويّة - كما بيّنّاه من أنّه لا علم للإنسان بحال كان عليها قبل ظهوره في هذا

(١) سورة ق، الآية: ٣٠.

العالم، ولو ذكر بكلّ شيء ما ذكر ذلك، فوضح بما ذكرناه أنّ المراد بالخبر ما شرحناه، والله الموفّق للصواب انتهى.

أقول: طرح ظواهر الآيات والأخبار المستفيضة بأمثال تلك الدلائل الضعيفة والوجوه السخيفة جرأة على الله وعلى أئمّة الدين، ولو تأمّلت فيما يدعوهم إلى ذلك من دلائلهم وما يرد عليها من الاعتراضات الواردة لعرفت أنّ بأمثالها لا يمكن الاجتراء على طرح خبر واحد، فكيف يمكن طرح تلك الأخبار الكثيرة الموافقة لظاهر الآية الكريمة بها وبأمثالها، وسيأتي الأخبار الدالّة على تقدّم خلق الأرواح على الأجساد في كتاب السماء والعالم، وسنتكلّم عليها.

ومنها: ما ذكره السيّد المرتضى رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ﴾ الآية حيث قال: وقد ظنّ بعض من لا بصيرة له ولا فطنة عنده أنّ تأويل هذه الآية: أنّ الله سبحانه استخرج من ظهر آدم عليه السلام جميع ذرّيّته - وهم في خلق الذرّ - فقرّرهم بمعرفته، وأشهدهم على أنفسهم، وهذا التأويل مع أنّ العقل يبطله ويحيله ممّا يشهد ظاهر القرآن بخلافه لأنّ الله تعالى قال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ ولم يقل: «من آدم» وقال: من ﴿ظُهُورِهِمْ﴾ ولم يقل: «من ظهوره»[1] وقال: ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ ولم يقل: ﴿ذُرِّيَّتِهِۦ﴾ ثمّ أخبر تعالى بأنّه فعل ذلك لئلا يقولوا يوم القيامة أنّهم كانوا عن هذا غافلين، أو يعتذروا بشرك آبائهم وأنّهم نشؤوا على دينهم وسنّتهم، وهذا يقتضي أنّ الآية لم تتناول ولد آدم عليه السلام لصلبه، وأنّها إنّما تناولت من كان له آباء مشركون وهذا يدلّ على اختصاصها ببعض ذرّيّة بني آدم، فهذه شهادة الظاهر ببطلان تأويلهم؛ فأمّا شهادة العقول فمن حيث لا تخلو هذه الذرّيّة الّتي استخرجت من ظهر آدم عليه السلام وخوطبت وقرّرت من أن تكون كاملة العقول، مستوفيةً بشروط التكلف، أو لا تكون كذلك، فإن كانت بالصفة الأولى وجب أن يذكر هؤلاء بعد خلقهم وإنشائهم وإكمال عقولهم ما كانوا عليه في تلك الحال وما قرّروا به واستشهدوا عليه، لأنّ العاقل لا ينسى ما جرى هذا المجرى وإن بعد العهد وطال الزمان، ولهذا لا يجوز أن يتصرّف أحدنا في بلد من البلدان وهو عاقل كامل فينسى مع بعد العهد جميع تصرّفه المتقدّم وسائر أحواله. وليس أيضاً لتخلّل الموت بين الحالين تأثير لأنّه لو كان تخلّل الموت يزيل الذكر لكان تخلّل النوم والسكر والجنون والإغماء بين أحوال العقلاء يزيل ذكرهم لما مضى من أحوالهم؛ لأنّ سائر ما عدّدناه ممّا ينفي العلوم يجري مجرى الموت في هذا الباب، وليس لهم أن يقولوا: إذا جاز في العاقل الكامل أن ينسى ما كان عليه في حال الطفوليّة جاز ما ذكرنا، وذلك أنّا إنّما أوجبنا ذكر العقلاء لما ادّعوه إذا كملت عقولهم من حيث جرى عليهم وهم كاملو العقل، ولو كانوا بصفة الأطفال في تلك الحال لم نوجب عليهم ما أوجبناه، على أنّ تجويز النسيان عليهم

---

(١) ولم يقل من ظهره [النمازي].

ينقض الغرض في الآية، وذلك أنّ الله تعالى أخبر بأنّه إنّما قرّرهم وأشهدهم لئلاّ يدّعوا يوم القيامة الغفلة عن ذلك، وسقوط الحجّة عنهم فيه، فإذا جاز نسيانهم له عاد الأمر إلى سقوط الحجّة عنهم وزواله.

وإن كانوا على الصفة الثانية من فقد العلم وشرائط التكليف قبح خطابهم وتقريرهم وإشهادهم، وصار ذلك عبثاً قبيحاً يتعالى الله عنه.

فإن قيل: قد أبطلتم تأويل مخالفيكم فما تأويلها الصحيح عندكم؟

قلنا: في الآية وجهان: أحدهما أن يكون تعالى إنّما عنى بها جماعة من ذرّيّة بني آدم خلقهم وبلّغهم وأكمل عقولهم وقرّرهم على ألسن رسله عليهم السلام بمعرفته وما يجب من طاعته، فأقرّوا بذلك وأشهدهم على أنفسهم به، لئلاّ يقولوا يوم القيامة: إنّا كنّا عن هذا غافلين، أو يعتذروا بشرك آبائهم، وإنّما أُتي من اشتبه عليه تأويل الآية من حيث ظنّ أنّ اسم الذرّيّة لا يقع إلاّ على من لم يكن كاملاً عاقلاً، وليس الأمر كما ظنّ لأنّا نسمّي جميع البشر بأنّهم ذرّيّة آدم، وإن دخل فيهم العقلاء الكاملون، وقد قال الله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ﴾ (1) ولفظ الصالح لا يطلق إلاّ على من كان كاملاً عاقلاً، فإن استبعدوا تأويلنا وحملنا الآية على البالغين المكلّفين فهذا جوابهم.

الجواب الثاني: أنّه تعالى لمّا خلقهم وركّبهم تركيباً يدلّ على معرفته ويشهد بقدرته ووجوب عبادته وأراهم العبر والآيات والدلائل في غيرهم وفي أنفسهم كان بمنزلة المشهد لهم على أنفسهم، وكانوا في مشاهدة ذلك ومعرفته وظهوره فيهم على الوجه الّذي أراده الله تعالى، وتعذّر امتناعهم منه وانفكاكهم من دلالته بمنزلة المقرّ المعترف، وإن لم يكن هناك إشهاد ولا اعتراف على الحقيقة، ويجري ذلك مجرى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ (2) وإن لم يكن منه تعالى قول على الحقيقة ولا منهما جواب. ولا مثله قوله تعالى: ﴿شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ﴾ ونحن نعلم أنّ الكفّار لم يعترفوا بالكفر بألسنتهم، وإنّما ذلك لما ظهر منهم ظهوراً لا يتمكّنون من دفعه كانوا بمنزلة المعترفين به. ومثل هذا قولهم: جوارحي تشهد بنعمتك وحالي معترفة بإحسانك.

وما روي عن بعض الحكماء من قوله: سل الأرض من شقّ أنهارك؟ وغرس أشجارك؟ وجنى ثمارك؟ فإن لم تجبك جؤاراً أجابتك اعتباراً. وهذا باب كبير وله نظائر كثيرة في النظم والنثر، يغني عن ذكر جميعها القدر الّذي ذكرناه منها(3).

ومنها: ما ذكره الرازيّ في تفسير تلك الآية حيث قال: في تفسير تلك الآية قولان مشهوران:

---

(1) سورة غافر، الآية: ٨. (2) سورة فصلت، الآية: ١١.

(3) أمالي المرتضى، ج ١ ص ٢٠-٢٤.

الأوّل: وهو مذهب المفسّرين وأهل الأثر ما روى مسلم بن يسار الجهنيّ أن عمر سئل عن هذه الآية فقال: سمعت رسول الله ﷺ سئل عنها، فقال: إنّ الله خلق آدم ثمّ مسح ظهره فاستخرج منه ذرّيّة، فقال: خلقت هؤلاء للجنّة وبعمل أهل الجنّة يعملون ثمّ مسح ظهره فاستخرج منه ذرّيّة، فقال: خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون، فقال رجل: يارسول الله ففيم العمل؟ فقال رسول الله ﷺ: إنّ الله إذا خلق العبد للجنّة استعمله بعمل أهل الجنّة حتّى يموت على عمل من أعمال أهل الجنّة فيدخل الجنّة، وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتّى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخل النار.

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: لمّا خلق الله آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كلّ نسمة من ذرّيّته إلى يوم القيامة.

وقال مقاتل: إنّ الله مسح صفحة ظهر آدم اليمنى فخرج منه ذرّيّة بيضاء كهيئة الذرّ تتحرّك، ثمّ مسح صفحة ظهره اليسرى فخرج منه ذرّيّة سود كهيئة الذرّ؛ فقال: يا آدم هؤلاء ذرّيّتك، ثمّ قال لهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ فقال للبيض: هؤلاء في الجنّة برحمتي وهم أصحاب اليمين، وقال للسود: هؤلاء في النار ولا أبالي، وهم أصحاب الشمال وأصحاب المشأمة؛ ثمّ أعادهم جميعاً في صلب آدم، فأهل القبور محبوسون حتّى يخرج أهل الميثاق كلّهم من أصلاب الرجال وأرحام النساء. وقال تعالى فيمن نقض العهد الأوّل: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ﴾ وهذا القول قد ذهب إليه كثير من قدماء المفسّرين كسعيد بن المسيّب، وسعيد بن جبير، والضحّاك، وعكرمة، والكلبيّ.

وأمّا المعتزلة فقد أطبقوا على أنّه لا يجوز تفسير هذه الآية بهذا الوجه واحتجّوا على فساد هذا القول بوجوه:

الأوّل: أنّه قال: ﴿مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ﴾ فقوله: ﴿مِن ظُهُورِهِمْ﴾ بدل من قوله: ﴿بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ فلم يذكر الله أنّه أخذ من ظهر آدم شيئاً.

الثاني: أنّه لو كان كذلك لما قال: ﴿مِن ظُهُورِهِمْ﴾ ولا ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ بل قال: من ظهره وذرّيّته.

الثالث: أنّه تعالى حكى عن أولئك الذرّيّة أنّهم قالوا: إنّما أشرك آباؤنا من قبل وهذا الكلام لا يليق بأولاد آدم لأنّه عليه السلام ما كان مشركاً.

الرابع: أنّ أخذ الميثاق لا يمكن إلاّ من العاقل، فلو أخذ الله الميثاق من أولئك لكانوا عقلاء، ولو كانوا عقلاء وأعطوا ذلك الميثاق حال عقلهم لوجب أن يتذكّروا في هذا الوقت أنّهم أعطوا الميثاق قبل دخولهم في هذا العالم لأنّ الإنسان إذا وقعت له واقعة عظيمة مهيبة فإنّه لا يجوز مع كونه عاقلاً أن ينساها نسياناً كلّيّاً لا يتذكّر منها شيئاً لا بالقليل ولا بالكثير، وبهذا الدليل يبطل القول بالتناسخ، فإنّا نقول: لو كانت أرواحنا قد حصلت قبل هذه

الأجساد في أجساد أخرى لوجب أن نتذكّر الآن أنّا كنّا قبل هذا الجسد في أجساد أخرى، وحيث لم نتذكّر ذلك كان القول بالتناسخ باطلاً فإذا كان اعتقادنا في إبطال التناسخ ليس إلاّ على هذا الدليل، وهذا الدليل بعينه قائم في هذه المسألة وجب القول بمقتضاه.

الخامس: أنّ جميع الخلق الّذين خلقهم الله من أولاد آدم عليه السلام عدد عظيم وكثرة كثيرة فالمجموع الحاصل من تلك الذرّات تبلغ مبلغاً في الحجميّة والمقدار وصلب آدم عليه السلام على صغره يبعد أن يتّسع لهذا المجموع.

السادس: أنّ البنية شرط لحصول الحياة والعقل والفهم، إذ لو لم يكن كذلك لم يبعد في كلّ ذرّة من ذرّات الهباء أن تكون عاقلاً فاهماً مصنّفاً للتصانيف الكثيرة في العلوم الدقيقة، وفتح هذا الباب يفضي إلى التزام الجهالات، وإذا ثبت أنّ البنية شرط لحصول الحياة فكلّ واحد من تلك الذرّات لا يمكن أن يكون فاهماً عاقلاً إلاّ إذا حصلت له قدرة من البنية والجثّة، وإذا كان كذلك فمجموع تلك الأشخاص الّذين خرجوا إلى الوجود من أوّل تخليق آدم إلى آخر فناء الدنيا لا تحويهم عرصة الدنيا، فكيف يمكن أن يقال: إنّهم بأسرهم حصلوا دفعة واحدة في صلب آدم عليه السلام؟.

السابع: قالوا: هذا الميثاق إمّا أن يكون قد أخذه الله منهم في ذلك الوقت ليصير حجّة عليهم في ذلك الوقت، أو ليصير حجّة عليهم عند دخولهم في دار الدنيا، والأوّل باطل لانعقاد الإجماع على أنّ بسبب ذلك القدر من الميثاق لا يصيرون مستحقّين للثواب والعقاب، والمدح والذمّ، ولا يجوز أن يكون المطلوب منه أن يصير ذلك حجّة عليهم عند دخولهم في دار الدنيا لأنّهم لمّا لم يذكروا ذلك الميثاق في الدنيا فكيف يصير حجّة عليهم في التمسّك بالإيمان؟.

الثامن: قال الكعبيّ: إنّ حال أولئك الذرّيّة لا يكون أعلى في الفهم والعلم من حال الأطفال، فلمّا لم يمكن توجيه التكليف على الطفل فكيف يمكن توجيهه على أولئك الذرّ؟.

وأجاب الزجّاج عنه وقال: لمّا لم يبعد أن يؤتي الله النمل العقل كما قال: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ﴾(١) وأن يعطي الجبل الفهم حتّى يسبّح كما قال: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ﴾(٢) وكما أعطى الله العقل للبعير حتّى سجد للرسول صلى الله عليه وآله، وللنخلة حتّى سمعت وانقادت حين دعيت فكذا ههنا.

التاسع: أنّ أولئك الذرّ في ذلك الوقت إمّا أن يكونوا كاملي العقول والقدر أو ما كانوا كذلك فإن كان الأوّل كانوا مكلّفين لا محالة، وإنّما يبقون مكلّفين إذا عرفوا الله بالاستدلال، ولو كانوا كذلك لما امتازت أحوالهم في ذلك الوقت عن أحوالهم في هذه الحياة الدنيا، فلو

---

(١) سورة النمل، الآية: ١٨.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٧٩.

افتقر التكليف في الدنيا إلى سبق ذلك الميثاق لافتقر التكليف في وقت ذلك الميثاق إلى سبق ميثاق آخر، ولزم التسلسل وهو محال.

وأمّا الثاني وهو أن يقال: إنّهم في وقت ذلك الميثاق ما كانوا كاملي العقول ولا كاملي القدر، فحينئذ يمتنع توجيه الخطاب والتكليف عليهم.

العاشرة: قوله تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦﴾ ولو كانت تلك الذرّات عقلاء فاهمين كاملين لكانوا موجودين قبل هذا الماء الدافق، ولا معنى للإنسان إلاّ ذلك الشيء، فحينئذ لا يكون الإنسان مخلوقاً من الماء الدافق، وذلك ردّ لنصّ القرآن.

فإن قالوا: لم لا يجوز أن يقال: إنّه تعالى خلقه كامل العقل والفهم والقدرة عند الميثاق، ثمّ أزال عقله وفهمه وقدرته، ثمّ إنّه خلقه مرة أخرى في رحم الأمّ، وأخرجه إلى هذه الحياة؟.

قلنا: هذا باطل، لأنّه لو كان الأمر كذلك لما كان خلقه من النطفة خلقاً على سبيل الابتداء، بل كان يجب أن يكون خلقاً على سبيل الإعادة، وأجمع المسلمون على أنّ خلقه من النطفة هوالخلق المبتدأ، فدلّ هذا على أنّ ما ذكرتموه باطل.

الحادي عشر: هي أنّ تلك الذرّات إمّا أن يقال: إنّه عين هؤلاء الناس أو غيرهم، والقول الثاني باطل بالإجماع، وفي القول الأوّل فنقول: إمّا أن يقال: إنّهم بقوا فهماء، عقلاء، قادرين حال ما كانوا نطفة وعلقة ومضغة، أو ما بقوا كذلك، والأوّل باطل ببديهة العقل. والثاني يقتضي أن يقال: الانسان حصل له الحياة أربع مرّات؛ أوّلها وقت الميثاق، وثانيها في الدنيا، وثالثها في القبر، ورابعها في القيامة، وأنّه حصل له الموت ثلاث مرّات: موت بعد الحياة الحاصلة في الميثاق الأوّل، وموت في الدنيا، وموت في القبر، وهذا العدد مخالف للعدد المذكور في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾[(١)].

الثاني عشر: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾ فلو كان القول بهذا الذرّ صحيحاً لكان ذلك الذرّ هو الإنسان، لأنّه هو المكلّف المخاطب، المثاب المعاقب، وذلك باطل لأنّ الذرّ غير مخلوق من النطفة والعلقة والمضغة، ونصّ الكتاب دليل على أنّ الإنسان مخلوق من النطفة والعلقة والمضغة، وهو قوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾ وقوله: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ۝١٧ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ ۝١٨ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ۝١٩﴾[(٢)] فهذه جملة الوجوه المذكورة في بيان أنّ هذا القول ضعيف.

والقول الثاني في تفسير هذه الآية قول أصحاب النظر وأرباب المعقولات أنّه أخرج الذرّ وهم الأولاد من أصلاب آبائهم، وذلك الاخراج أنّهم كانوا نطفةً فأخرجها الله تعالى في أرحام الأمّهات، وجعلها علقة، ثمّ مضغة، ثمّ جعلهم بشراً سويّاً، وخلقاً كاملاً، ثمّ

---

(١) سورة غافر، الآية: ١١. (٢) سورة عبس، الآيات: ١٧-١٩.

أشهدهم على أنفسهم بما ركّب فيهم من دلائل وحدانيّته، وعجائب خلقه وغرائب صنعه، فبالإشهاد صاروا كأنّهم قالوا: بلى وإن لم يكن هناك قول باللّسان [و] لذلك نظائر:

منها قوله تعالى: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾.

ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾.

وقول العرب: قال الجدار للوتد: لمَ تشقّني؟ قال: سل من يدقّني، فإنّ الّذي ورائي ما خلاني ورأيي. وقال الشاعر:

امتلأ الحوض وقال قطني

فهذا النوع من المجاز والاستعارة مشهورة في الكلام فوجب حمل الكلام عليه، فهذا هو الكلام في تقرير هذين القولين، وهذا القول الثاني لا طعن فيه البتّة، وبتقدير أن يصحّ هذا القول لم يكن ذلك منافياً لصحّة القول الأوّل، إنّما الكلام في أنّ القول الأوّل هل يصحّ أم لا؟.

فإن قال قائل: فما المختار عندكم فيه؟ قلنا: ههنا مقامان: أحدهما أنّه هل يصحّ القول بأخذ الميثاق عن الذرّ؟ والثاني أنّ بتقدير أن يصحّ القول به فهل يمكن جعله تفسيراً لألفاظ هذه الآية؟.

أمّا المقام الأوّل فالمنكرون له قد تمسّكوا بالدلائل العقليّة الّتي ذكرناها وقرّرناها.

ويمكن الجواب عن كلّ واحد منها بوجه مقنع.

أمّا الوجه الأوّل من الوجوه العقليّة المذكورة وهو أنّه لو صحّ القول بأخذ هذا الميثاق لوجب أن نتذكّره الآن.

قلنا: خالق العلم بحصول الأحوال الماضية هو الله تعالى لأنّ هذه العلوم عقليّة ضروريّة، والعلوم الضروريّة خالقها هو الله تعالى، وإذا كان كذلك صحّ منه تعالى أن يخلقها.

فإن قالوا: فإذا جوّزتم هذا فجوّزوا أن يقال: إنّ قبل هذا البدن كنّا في أبدان أُخرى على سبيل التناسخ، وإن كنّا لا نتذكّر الآن أحوال تلك الأبدان.

قلنا: الفرق بين الأمرين ظاهر، وذلك لأنّا إذا كنّا في أبدان أُخرى وبقينا فيها سنين ودهوراً امتنع في مجرى العادة نسيانها أمّا أخذ هذا الميثاق إنّما حصل في أسرع زمان وأقلّ وقت فلم يبعد حصول النسيان، والفرق الظاهر حاكم بصحّة هذا الفرق لأنّ الإنسان إذا بقي على العمل الواحد سنين كثيرة يمتنع أن ينساها، أمّا إذا مارس العمل الواحد لحظةً واحدةً فقد ينساها فظهر الفرق[1].

---

(١) أقول: ولا يلزم التناسخ لو قلنا إنّ هذه الابدان عين الأبدان الذريّة التي جعل الله الأرواح فيها وأخذ منهم الميثاق والأبدان الذرية هي المنقولة من الأصلاب إلى الأرحام محفوظة إلى أن يشاء الله إخراجها إلى الدنيا. [مستدرك السفينة ج ١٠ لغة «وثق»].

وأمّا الوجه الثاني وهو أن يقال: مجموع تلك الذرّات يمتنع حصولها بأسرها في ظهر آدم عليه السلام! قلنا: عندنا البنية ليست شرطاً لحصول الحياة والجوهر الفرد والجزء الّذي لا يتجزّأ قابل للحياة والعقل، فإذا جعلنا كلّ واحد من تلك الذرّات جوهراً فرداً فلمَ قلتم: إنّ ظهر آدم لا يتّسع لمجموعها؛ إلاّ أنّ هذا الجواب لا يتمّ إلاّ إذا قلنا: الإنسان جوهر فرد وجزء لا يتجزّأ في البدن على ما هو مذهب بعض القدماء، وأمّا إذا قلنا: الإنسان هو النفس الناطقه وأنّه جوهر غير متحيّز ولا حالّ في متحيّز فالسؤال زائل.

وأمّا الوجه الثالث وهو قوله: فائدة أخذ الميثاق هي أن تكون حجّة في ذلك الوقت، أو في الحياة الدنيا، فجوابنا أن نقول: يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد، وأيضاً أليس أنّ من المعتزلة إذا أرادوا تصحيح القول بوزن الأعمال وإنطاق الجوارح قالوا: لا يبعد أن يكون لبعض المكلّفين في إسماع هذه الأشياء لطف فكذا ههنا لا يبعد أن يكون لبعض الملائكة من تميّز السعداء من الأشقياء في وقت أخذ الميثاق لطف. وقيل أيضاً: إنَّ الله تعالى يذكّرهم ذلك الميثاق يوم القيامة؛ وبقيّة الوجوه ضعيفة والكلام عليها سهل هيّن.

وأمّا المقام الثّاني وهو أنّ بتقدير أن يصحّ القول بأخذ الميثاق من الذرّ فهل يمكن جعله تفسيراً لألفاظ هذه الآية فنقول: الوجوه الثلاثة المذكورة أوّلاً دافعة لذلك، لأنّ قوله: ﴿أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ فقد بيّنّا أنَّ المراد منه: وإذ أخذ ربّك من ظهور بني آدم؛ وأيضاً لو كانت هذه الذرّيّة مأخوذة من ظهر آدم لقال: من ظهره ذرّيّته ولم يقل: ﴿مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ أجاب الناصرون لذلك القول بأنّه صحّت الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه فسّر هذه الآية بهذا الوجه، والطعن في تفسير رسول الله صلى الله عليه وآله غير ممكن، فنقول: ظاهر الآية يدلّ على أنّه تعالى أخرج ذرّاً من ظهور بني آدم فيحتمل ذلك على أنّه تعالى يعلم أنَّ الشخص الفلانيّ يتولّد منه فلان، ومن ذلك الفلان فلان آخر، فعلى الترتيب الّذي علم دخولهم في الوجود يخرجهم ويميّز بعضهم من بعض، وأمّا أنّه تعالى يخرج كلّ تلك الذرّيّة من صلب آدم فليس في لفظ الآية ما يدلّ على ثبوته، وليس في الآية أيضاً ما يدلّ على بطلانه، إلاّ أنّ الخبر قد دلّ عليه فثبت إخراج الذرّيّة من ظهور بني آدم في القرآن، وثبت إخراج الذرّيّة من ظهر آدم بالخبر، وعلى هذا التقدير فلا منافاة بين الأمرين ولا مدافعة، فوجب المصير إليهما معاً صوناً للآية والخبر عن الطعن بقدر الإمكان، فهذا منتهى الكلام في تقرير هذا المقام انتهى[١].

ولنكتف بنقل ما نقلناه من غير تعرّض لجرح وتعديل، فإنَّ من له بصيرة نافذة إذا أحاط بما نقلنا من الأخبار وكلام من تكلّم في ذلك يتّضح له طريق الوصول إلى ما هو الحقّ في ذلك

---

(١) تفسير الفخر الرازي، ج ١٥ ص ٣٩٧-٤٠٢.

بفضله تعالى[١]. ثمّ اعلم أنّه سيأتي بعض الأخبار المناسبة لهذا الباب في باب علّة استلام الحجر من كتاب الحجّ، وباب خلق الأئمّة وباب أخذ ميثاقهم عليهم السلام من كتاب الإمامة وأبواب أحوال آدم عليه السلام من كتاب النبوّة.

١١ - باب من لا ينجبون من الناس، ومحاسن الخلقة وعيوبها اللتين تؤثران في الخلق

١ - ل: ابن الوليد، عن الصفّار، عن ابن عيسى، عن أبيه، عن سعيد بن جناح يرفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: ستّة لا ينجبون: السنديّ، والزنجيّ، والتركيّ، والكرديّ، والخوزيّ، ونبك الري[٢].

بيان: الخوزيّ: أهل خوزستان. والنبك: المكان المرتفع ويحتمل أن يكون إضافته إلى الري بيانيّة؛ وفي بعض النسخ بتقديم الباء على النون وهو بالضمّ أصل الشيء وخالصه.

٢ - ل: أبي، عن أحمد بن إدريس، عن محمّد بن أحمد، عن سهل، عن منصور، عن نصر الكوسج، عن مطرف مولى معن، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لا يدخل حلاوة الإيمان قلب سنديّ، ولا زنجيّ، ولا خوزيّ، ولا كرديّ، ولا بربريّ، ولا نبك الري، ولا من حملته أمّه من الزنا[٣].

٣ - ع: أبي، عن محمّد العطّار، عن الحسين بن زريق، عن هشام، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: يا هشام النبط ليس من العرب ولا من العجم، فلا تتّخذ منهم وليّاً ولا نصيراً. فإنّ لهم

---

(١) ونزيدك على ما تقدّم انّه يقال: إنّ الآيتين واضحة الدلالة في ذلك، مضافاً إلى تفسير العترة الطاهرة، خليفتي رسول الله صلى الله عليه وآله في الأمّة المتمسك منهم بهما لن يضلّ أبداً. فالثابت منهما أنّه تعالى أعطاهم العقل والقدرة والاختيار فعرّفهم نفسه واشهدهم على أنفسهم وقال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ فاثبت المعرفة في قلوبهم وانساهم الموقف والمشاهدة، فالمنسي المشاهدة والموقف والثابت المعرفة وبها تتم الحجّة وفي الدنيا هم غفلوا عنها واشتغلوا بالدنيا، فأرسل تعالى أنبيائه لرفع الغفلة والتذكر إلى المعرفة الثابتة في قلوبهم، ولذلك ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ... لَيَقُولُنَّ اللَّهُ... فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾ ولذلك القرآن ذكر وتذكرة وذكرى للبشر، والرسول إنّما هو مذكر وبذلك تمّت الحجّة وعظمت النعمة وبصرف النسيان لا يصحّ الإنكار كما أنّا في عالم الرؤيا ننسى الدنيا وما ومن فيها أفيصحّ الانكار؟! وكذلك نحن في الدنيا غافلون وناسون، جاء الأنبياء لرفع الغفلة والنسيان وليس لنا قياس الخلق كلّهم بأنفسنا فنقول: لا يذكرها أحد ولا يقدر عليه أحد، مع أنّه قال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ﴾، ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ أيكلّف الله خلقه بما لا يقدرون؟ وقال أمير المؤمنين عليه السلام: فواتر إليهم أنبيائه ليستأدوهم ميثاق فطرته ويذكروهم منسي نعمته؛ الخ. [مستدرك السفينة ج ١٠ لغة «وثق»].

(٢) الخصال، ص ٣٢٨ باب الستة ح ٢١. (٣) الخصال، ص ٣٥٢ باب السبعة ح ٣٢.

أصولاً تدعو إلى غير الوفاء[١].

٤ - ل: ابن إدريس، عن أبيه، عن محمّد بن أحمد، عن محمّد بن عليّ الهمداني رفعه إلى داود بن فرقد، عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام قال: ثلاثة لا ينجبون: أعور يمين، وأزرق كالفصّ، ومولد السند[٢].

٥ - ل: أبي، عن سعد، عن البرقيّ، عن عدة من أصحابنا، عن ابن أسباط، عن بعض أصحابه عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما ابتلى الله به شيعتنا فلن يبتليهم بأربع: أن يكونوا لغير رشدة، أو أن يسألوا بأكفّهم، أو يؤتوا في أدبارهم، أو أن يكون فيهم أزرق أخضر[٣].

٦ - ل: أبي، وابن الوليد، عن محمّد العطّار، وأحمد بن إدريس، عن الأشعريّ بإسناده رفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: خمسة خلقوا ناريّين: الطويل الذاهب، والقصير القميء، والأزرق بخضرة، والزائد، والناقص[٤].

بيان: قمأ كجمع وكرم: ذلّ وصغر، فهو قميء ذكره الفيروزآباديّ.

٧ - ل: أبي، وابن الوليد، عن أحمد بن إدريس، ومحمّد العطّار، عن الأشعريّ، عن محمّد بن الحسين بإسناد له يرفعه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا يدخل الجنّة مدمن خمر ولا سكّير، ولا عاقّ، ولا شديد السواد، ولا ديّوث، ولا قلّاع وهو الشرطيّ، ولا زنوق وهو الخنثى، ولا خيوف وهو النبّاش، ولا عشّار، ولا قاطع رحم، ولا قدريّ.

قال الصدوق رضي الله عنه: يعني شديد السواد الّذي لا يبيضّ شيء من شعر رأسه ولا من شعر لحيته مع كبر السنّ، ويسمّى الغربيب[٥].

٨ - ل: القطّان، وعليّ بن أحمد بن موسى، عن ابن زكريّا القطّان، عن ابن حبيب، عن ابن بهلول، عن أبي معاوية الضرير، عن الأعمش، عن جعفر بن محمّد عليه السلام قال ابن حبيب: وحدّثني عبد الله بن محمّد بن ناطويه، عن عليّ بن عبد المؤمن الزعفرانيّ، عن مسلم ابن خالد الزنجيّ، عن جعفر بن محمّد، عن أبيه، عن جدّه عليهم السلام؛ قال ابن حبيب: وحدّثني الحسن بن سنان، عن أبيه، عن محمّد بن خالد البرقيّ، عن مسلم بن خالد، عن جعفر بن محمّد قالوا كلّهم: ثلاثة عشر صنفاً - وقال تميم: ستّة عشر صنفاً - من أمّة جدّي صلى الله عليه وآله لا يحبّونا ولا يحبّبونا إلى الناس، ويبغضونا ولا يتولّونا، ويخذلونا ويخذلون الناس عنّا، فهم أعداؤنا حقّاً، لهم نار جهنّم، ولهم عذاب الحريق. قال: قلت بيّنهم لي يا أبه وقاك الله شرّهم، قال: الزائد في خلقه، فلا ترى أحداً من الناس في خلقه زيادة إلّا وجدته لنا مناصباً

---

(١) علل الشرائع، ج ٢ ص ٢٨٨ باب ٣٦٨ ح ١.
(٢) الخصال، ص ١١٠ باب الثلاثة ح ٨٠.
(٣) الخصال، ص ٢٢٤ باب الأربعة ح ٥٦.
(٤) الخصال، ص ٢٨٦ باب الخمسة ح ٤١.
(٥) الخصال، ص ٤٣٦ باب العشرة ح ٢٣.

ولم تجده لنا مواليًا؛ والناقص الخلق من الرجال، فلا ترى لله عزّوجلّ خلقاً ناقص الخلقة إلاّ وجدت في قلبه علينا غلاًّ؛ والأعور باليمين للولادة، فلا ترى لله خلقاً ولد أعور اليمين إلاّ كان لنا محارباً ولأعدائنا مسالماً؛ والغربيب من الرجال فلا ترى لله عزّوجلّ خلقاً غربيباً - وهو الّذي قد طال عمره فلم يبيضّ شعره وترى لحيته مثل حنك الغراب - إلاّ كان علينا مؤلّباً ولأعدائنا مكاثراً؛ والحلكوك من الرجال، فلا ترى منهم أحداً إلاّ كان لنا شتّاماً ولأعدائنا مدّاحاً؛ والأقرع من الرجال فلا ترى رجلاً به قرع إلاّ وجدته همّازاً، لمّازاً، مشّاءً بالنميمة علينا؛ والمفصّص بالخضرة من الرجال فلا ترى منهم أحداً - وهم كثيرون - إلا وجدته يلقانا بوجه ويستدبرنا بآخر، يبتغي لنا الغوائل؛ والمنبوذ من الرجال، فلا تلقى منهم أحداً إلاّ وجدته لنا عدوّاً، مضلاًّ، مبيناً؛ والأبرص من الرجال فلا تلقى منهم أحداً إلاّ وجدته يرصد لنا المراصد ويقعد لنا ولشيعتنا مقعداً ليضلّنا بزعمه عن سواء السبيل؛ والمجذوم، وهم حصب جهنّم هم لها واردون؛ والمنكوح فلا ترى منهم أحداً إلاّ وجدته يتغنّى بهجائنا ويؤلّب علينا؛ وأهل مدينة تدعى (سجستان) هم لنا أهل عداوة ونصب وهم شرُّ الخلق والخليقة، عليهم من العذاب ما على فرعون وهامان وقارون؛ وأهل مدينة تدعى (الري) هم أعداء الله، وأعداء رسوله، وأعداء أهل بيته، يرون حرب أهل بيت رسول الله صلّى الله عليه وآله جهاداً، ومالهم مغنماً، ولهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا والآخرة ولهم عذاب مقيم؛ وأهل مدينة تدعى (الموصل) وهم شرّ من على وجه الأرض؛ وأهل مدينة تسمّى (الزوراء) تبنى في آخر الزمان، يستشفون بدمائنا ويتقرّبون ببغضنا، يوالون في عداوتنا، ويرون حربنا فرضاً، وقتالنا حتماً. يا بنيّ فاحذر هؤلاء ثمّ احذرهم، فإنّه لا يخلو اثنان منهم بواحد من أهلك إلاّ همّوا بقتله. واللّفظ لتميم من أوّل الحديث إلى آخره[١].

بيان: قوله عليه السلام: مؤلّباً أي يجمع الناس علينا بالعداوة والظلم. والحلكوك بالضمّ والفتح: الشديد السواد. والمفصّص بالخضرة: هو الّذي يكون عينه أزرق كالفصّ، كما مرّ في الخبر، والفصّ أيضاً حدقة العين، وفي بعض النسخ بالضادين المعجمتين وهو تصحيف. والمنبوذ: ولد الزنا. والزوراء بغداد. ثمّ اعلم أنّه لا يبعد أن يكون بعض البلاد كالري يكون هذا لبيان حالهم في تلك الأزمان لا إلى يوم القيامة، ولعلّه سقط واحد من الستّة عشر من النسّاخ أو من الرواة.

٩ - **ن:** بالأسانيد الثلاثة عن الرضا، عن آبائه عليهم السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: لا تجد في أربعين أصلع رجل سوء، ولا تجد في [أربعين] كوسجاً رجلاً صالحاً، وأصلع سوء أحبّ إليّ من كوسج صالح[٢].

---

(١) الخصال، ص ٥٠٦ باب الستة عشر ح ٤.

(٢) عيون اخبار الرضا عليه السلام ج ٢ ص ٤٩ باب ٣١ ح ١٦٦.

صح: عنه عليه السلام مثله[١].

بيان الصلع: انحسار شعر مقدّم الرأس.

١٠ - **ع:** أبي، عن أحمد بن إدريس، عن محمّد بن أحمد، عن عليّ الريّان، عن الحسين ابن محمّد، عن عبد الرحمن بن أبي نجران، عن عبد الرحمن بن حمّاد، عن ذريح المحاربيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: جاء رجل إلى النبيّ صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله يسأل الله عمّا سوى الفريضة؟ قال: لا، قال: فوالّذي بعثك بالحقّ لا تقرّبت إلى الله بشيء سواها! قال: ولمَ؟ قال: لأنّ الله قبّح خلقي! قال: فأمسك النبيّ صلى الله عليه وآله ونزل جبرئيل عليه السلام فقال: يا محمّد ربّك يقرئك السلام، ويقول: أقرئ عبدي فلاناً السلام، وقل له: أما ترضى أن أبعثك غداً في الآمنين؟ فقال: يارسول الله وقد ذكرني الله عنده؟ قال: نعم، قال: فوالّذي بعثك بالحقّ لا بقي شيء يتقرّب به إلى الله إلاّ تقرّبت به[٢].

١١ - **ع:** أبي، عن سعد، عن البرقيّ، عن محمّد بن يحيى، عن حمّاد قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك نرى الخصيّ من أصحابنا عفيفاً له عبادة، ولا نكاد نراه إلاّ فظّاً غليظاً سفيه الغضب! فقال: إنّما ذلك لأنّه لا يزني[٣].

بيان: يحتمل أن يكون قوله عليه السلام: إنّما ذلك علّة لعفّته، أو المعنى أنّ غلظته وفخره وعجبه بترك الزنا؛ ويحتمل أن يكون المراد عدم قدرته على الجماع مطلقاً فإنّ به تندفع الموادّ الفاسدة وبه يستقيم الطبع والخلق[٤].

١٢ - **ع:** بهذا الإسناد عن البرقيّ رفع الحديث إلى أبي عبد الله عليه السلام أنّه سئل عن الخصيّ، فقال: لم تسئل عمّن لم يلده مؤمن ولا يلد مؤمناً[٥]!.

١٣ - **ما:** محمّد بن عليّ بن حشيش، عن محمّد بن أحمد بن عبد الوهّاب، عن محمّد بن محمّد بن يحيى، عن الحسن بن عليّ، عن اللؤلئيّ، عن شعبة، عن توبة العنبريّ، عن أنس ابن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: عليكم بالوجوه الملاح والحدق السود فإن الله يستحيي أن يعذّب الوجه المليح بالنار[٦].

١٤ - **ثو:** أبي، عن عليّ، عن أبيه، عن محمّد بن عمرو، عن موسى بن إبراهيم، عن أبي الحسن الأوّل عليه السلام قال: سمعته يقول: ما حسّن الله خلق عبد ولا خلقه إلاّ استحيى أن يطعم لحمه يوم القيامة النار[٧].

١٥ - **ين:** بعض أصحابنا، عن حنّان بن سدير، عن محمّد بن طلحة، عن زرارة، عن أبي

---

(١) صحيفة الإمام الرضا ص ١٠٣ ح ٢٠١.
(٢) علل الشرائع، ج ٢ باب ٢٢٢ ح ٩.
(٣) (٥) علل الشرائع، ج ٢ باب ٣٨٥ ح ٦٦-٦٨.
(٦) أمالي الطوسي، ص ٣١٢ مجلس ١١ ح ٦٣٦.
(٧) ثواب الاعمال، ص ٢١٦.

جعفر عليه السلام قال: قال: أيّما عبد كان له صورة حسنة مع موضع لا يشينه ثمّ تواضع لله كان من خالصة الله؛ قال: قلت: ما موضع لا يشينه؟ قال: لا يكون ضرب فيه سفاح[١].

بيان: يمكن توجيه تلك الأخبار على قانون أهل العدل بأنّ الله تعالى خلق من علم أنّهم يكونون شراراً باختيارهم بهذه الصفات، وجعلهم من أهل تلك البلاد من غير أن يكون لتلك الأحوال مدخل في أعمالهم؛ أو المراد أنّهم في درجة ناقصة من الكمال، غير قابلين لمعالي الفضائل والكمالات، من غير أن يكونوا مجبورين على القبائح والسيّئات.

١٢ - باب علة عذاب الاستئصال، وحال ولد الزنا، وعلة اختلاف أحوال الخلق

الآيات، الأنفال «٨»: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ «٢٥».

حمعسق [الشورى] «٤٢»: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ «٢٧».

الزخرف «٤٣»: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾﴾.

تفسير: قال الطبرسيّ رحمه الله في الآية الأولى: حذّرهم الله من هذه الفتنة، وأمرهم أن يتّقوها، وكأنّه قال: اتّقوا فتنة لا تقربوها فتصيبكم، فإنّ قوله: ﴿لَّا تُصِيبَنَّ﴾ نهي مسوقٌ على الأمر، ولفظ النهي واقع على الفتنة، وهو في المعنى للمأمورين بالاتّقاء، كقوله: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ واختلف في معنى الفتنة ههنا فقيل: هي العذاب، أمر الله المؤمنين أن لا يقرّوا المنكر بين أظهرهم فيعمّهم الله بالعذاب، والخطاب لأصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله خاصّة، وقيل: هي البليّة الّتي يظهر باطن أمر الإنسان فيها.

عن الحسن قال: نزلت في عليّ وعمّار وطلحة والزبير، قال: وقد قال الزبير: لقد قرأنا هذه الآية زماناً وما أرانا من أهلها فإذا نحن المعنيّون بها فخالفنا حتّى أصابتنا خاصّة. وقيل: نزلت في أهل بدر خاصّة فأصابتهم يوم الجمل فاقتتلوا.

عن السدّيّ: وقيل: هي الضلالة وافتراق الكلمة، ومخالفة بعضهم بعضاً. وقيل: هي

(١) كتاب الزهد، ص ١٣٨ باب ١١ ح ١٨.

الهرج الّذي يركب الناس فيه بالظلم ويدخل ضرره على كلّ أحد. ثمّ اختلف في إصابة هذه الفتنة على قولين: أحدهما أنّها جارية على العموم فتصيب الظالم وغير الظالم، أمّا الظالمون فمعذّبون، وأمّا المؤمنون فممتحنون ممحّصون. عن ابن عبّاس: وروي أنّه سئل عنها فقال: أبهموا ما أبهم الله.

والثّاني أنّها تخصّ الظالم، لأنّ الغرض منع الناس عن الظلم، وتقديره: واتّقوا عذاباً يصيب الظلمة خاصّة، وتقوّيه قراءة من قرأ «لتصيبن» باللاّم. وقيل: إنّ «لا» في قوله: ﴿لَّا تُصِيبَنَّ﴾ زائدة، ويجوز أن يقال: إنّ الألف في «لا» لإشباع الفتحة[١].

وقال البيضاويّ في قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾: وأوقعنا بينهم التفاوت في الرزق وغيره ﴿لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ ليستعمل بعضهم بعضاً في حوائجهم فيحصل بينهم تألّف ونظام ينتظم بذلك نظام العالم، لا لكمال في الموسّع، ولا لنقص في المقتر ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ ولولا أن يرغبوا في الكفر إذا رأوا الكفّار في سعة وتنعّم لحبّهم الدنيا فيجتمعوا عليه[٢].

١ - ع، ن: الهمدانيّ، عن عليّ، عن أبيه، عن الهرويّ، عن الرضا عليه السلام قال: قلت له: لأيّ علّة أغرق الله عزّ وجلّ الدنيا كلّها في زمن نوح عليه السلام وفيهم الأطفال وفيهم من لا ذنب له؟ فقال عليه السلام: ما كان فيهم الأطفال، لأنّ الله عزّ وجلّ أعقم أصلاب قوم نوح عليه السلام وأرحام نسائهم أربعين عاماً، فانقطع نسلهم فغرقوا ولا طفل فيهم، وما كان الله عزّ وجلّ ليهلك بعذابه من لا ذنب له، وأمّا الباقون من قوم نوح عليه السلام فأغرقوا لتكذيبهم لنبيّ الله نوح عليه السلام، وسائرهم أُغرقوا برضاهم بتكذيب المكذّبين، ومن غاب عن أمر فرضي به كان كمن شهده وأتاه[٣].

٢ - ع: ابن الوليد، عن الصفّار، عن ابن عيسى، عن محمّد بن إسماعيل، عن حنّان بن سدير، عن أبيه قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: أرأيت نوحاً عليه السلام حين دعا على قومه فقال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾﴾[٤]؟ قال عليه السلام: علم أنّه لا ينجب من بينهم أحد. قال: قلت: وكيف علم ذلك؟ قال: أوحى الله إليه ﴿أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾ فعند هذا دعا عليهم بهذا الدعاء[٥].

٣ - ع: طاهر بن محمّد بن يونس، عن محمّد بن عثمان الهرويّ، عن الحسن بن مهاجر، عن هشام بن خالد، عن الحسن بن يحيى، عن صدقة بن عبد الله، عن هشام، عن أنس، عن النبيّ صلى الله عليه وآله عن جبرئيل عليه السلام قال: قال الله تبارك وتعالى: من أهان لي وليّاً فقد بارزني

---

(١) مجمع البيان، ج ٤ ص ٤٥٢.
(٢) تفسير البيضاوي، ج ٤ ص ١٠٥.
(٣) علل الشرائع، ج ١ ص ٤٣ باب ٢٣ ح ١.
(٤) سورة نوح، الآيتان: ٢٦ و٢٧.
(٥) علل الشرائع، ج ١ ص ٤٥ باب ٢٧ ح ١.

بالمحاربة، وما تردّدت عن شيء أنا فاعله ما تردّدت في قبض نفس المؤمن، يكره الموت وأكره مساءته ولا بدّ منه؛ وما يتقرّب إليّ عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه؛ ولا يزال عبدي يبتهل إليّ حتّى أحبّه، ومن أحببته كنت له سمعاً وبصراً ويداً وموئلاً، إن دعاني أجبته، وإن سألني أعطيته؛ وإنّ من عبادي المؤمنين لمن يريد الباب من العبادة فأكفّه عنه لئلاّ يدخله عجب فيفسده، وإنّ من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلاّ بالفقر، ولو أغنيته لأفسده ذلك، وإنّ من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلاّ بالغنى ولو أفقرته لأفسده ذلك، وإنّ من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلاّ بالسقم، ولو صحّحت جسمه لأفسده ذلك، وإنّ من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلاّ بالصحّة ولو أسقمته لأفسده ذلك؛ إنّي أدبّر عبادي بعلمي بقلوبهم فإنّي عليم خبير[1].

بيان: قال الشيخ البهائيّ قدّس الله روحه: ما تضمّنه هذا الحديث من نسبة التردّد إليه سبحانه يحتاج إلى التأويل وفيه وجوه: الأوّل أنّ في الكلام إضماراً، والتقدير: لو جاز عليّ التردّد ما تردّدت في شيء كتردّدي في وفاة المؤمن.

الثاني: أنّه لمّا جرت العادة بأن يتردّد الشخص في مساءة من يحترمه ويوقّره كالصديق الوفيّ والخلّ الصفيّ، وأن لا يتردّد في مساءة من ليس له عنده قدر ولا حرمة كالعدوّ والحيّة والعقرب، بل إذا خطر بالبال مساءته أوقعها من غير تردّد ولا تأمّل صحّ أن يعبّر بالتردّد والتأمّل في مساءة الشخص من توقيره واحترامه، وبعدمهما عن إذلاله واحتقاره، فقوله سبحانه: «ما ترددت» المراد به - والله أعلم -: ليس لشيء من مخلوقاتي عندي قدر وحرمة كقدر عبدي المؤمن وحرمته فالكلام من قبيل الاستعارة التمثيليّة.

الثالث: أنّه قد ورد في الحديث من طرق الخاصّة والعامة أنّ الله سبحانه يظهر للعبد المؤمن عند الاحتضار من اللّطف والكرامة والبشارة بالجنّة ما يزيل عنه كراهة الموت، ويوجب رغبته في الانتقال إلى دار القرار، فيقلّ تأذّيه به، ويصير راضياً بنزوله، راغباً في حصوله فأشبهت هذه المعاملة من يريد أن يؤلم حبيبه ألماً يتعقّبه نفع عظيم فهو يتردّد في أنّه كيف يوصل ذلك الألم إليه على وجه يقلّ تأذّيه فلا يزال يظهر له ما يرغّبه فيما يتعقّبه من اللّذّة الجسيمة والراحة العظيمة إلى أن يتلقّاه بالقبول، ويعدّه من الغنائم المؤدّية إلى إدراك المأمول. انتهى.

أقول: قد أثبتنا الأخبار الدالّة على علل اختلاف الخلق في باب الطينة والميثاق.

٤ - **ع:** أحمد بن محمّد، عن أبيه، عن محمّد بن أحمد، عن إبراهيم بن إسحاق، عن محمّد بن عليّ الكوفي، عن محمّد بن الفضيل، عن سعد بن عمر الجلاّب قال: قال لي أبو

---

(١) علل الشرائع، ج ١ ص ٢٣ باب ٩ ح ٧.

عبد الله عليه السلام : إنّ الله عزّ وجلّ خلق الجنّة طاهرة مطهّرة فلا يدخلها إلاّ من طابت ولادته. وقال أبو عبد الله عليه السلام : طوبى لمن كانت أمّه عفيفة(١).

٥ - **ع:** بهذا الإسناد، عن محمّد بن أحمد، عن إبراهيم بن إسحاق، عن محمّد بن سليمان الديلميّ، عن أبيه رفع الحديث إلى الصادق عليه السلام قال: يقول ولد الزنا: يا ربّ ما ذنبي؟ فما كان لي في أمري صنع! قال: فيناديه مناد فيقول: أنت شرُّ الثلاثة أذنب والداك فتبت عليهما وأنت رجس، ولن يدخل الجنّة إلاّ طاهر(٢).

٦ - **ثو:** ابن البرقيّ، عن أبيه، عن جدّه أحمد، عن أبيه، عن ابن فضّال، عن ابن بكير، عن زرارة قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: لا خير في ولد الزنا ولا في بشره ولا في شعره ولا في لحمه ولا في دمه ولا في شيء منه؛ يعني ولد الزنا(٣).

سن: أبي، عن ابن فضّال مثله.

٧ - **ثو:** ابن الوليد، عن الصفّار، عن ابن عيسى، عن الوشّاء، عن أحمد بن عائذ، عن أبي خديجة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لو كان أحد من ولد الزنا نجا نجا سائح بني إسرائيل؛ فقيل له: وما سائح بني إسرائيل؟ قال: كان عابداً؛ فقيل له: إنّ ولد الزنا لا يطيب أبداً ولا يقبل الله منه عملاً؛ قال: فخرج يسيح بين الجبال ويقول ما ذنبي(٤)؟.

سن: في رواية أبي خديجة مثله(٥).

٨ - **ص:** الصدوق، عن جعفر بن محمّد بن شاذان، عن أبيه، عن الفضل، عن محمّد ابن زياد، عن أبان بن عثمان، عن أبان بن تغلب، عن عكرمة، عن ابن عبّاس قال: قال عزير: يا ربّ إنّي نظرت في جميع أُمورك وأحكامها فعرفت عدلك بعقلي، وبقي باب لم أعرفه: إنّك تسخط على أهل البليّة فتعمّهم بعذابك وفيهم الأطفال! فأمره الله تعالى أن يخرج إلى البرّيّة وكان الحرّ شديداً، فرأى شجرة فاستظلّ بها ونام، فجاءت نملة فقرصته فدلك الأرض برجله فقتل من النمل كثيراً، فعرف أنّه مثل ضرب، فقيل له: يا عزير إنّ القوم إذا استحقّوا عذابي قدّرت نزوله عند انقضاء آجال الأطفال فماتوا أُولئك بآجالهم وهلك هؤلاء بعذابي(٦).

بيان: القرص: أخذك لحم إنسان بإصبعك حتّى تؤلمه، ولسع البراغيث، والقبض والقطع؛ كذا ذكره الفيروزآباديّ.

أقول: لعلّه تعالى إنّما أراه قصّة النمل لبيان أنّ الحكمة قد تقتضي تعميم البليّة والانتقام لرعاية المصالح العامّة، وحاصل الجواب أنّ الله تعالى كما أنّه يميت الأطفال متفرّقاً إمّا

---

(١) - (٢) علل الشرائع، ج ٢ ص ٢٨٦ باب ٣٦٣ ح ١ و٢.
(٣) - (٤) ثواب الأعمال، ص ٣١١.
(٥) المحاسن، ص ١٠٨.
(٦) قصص الأنبياء للراوندي، ص ٢٤٠ باب ١٦ ح ٢٨١.

لمصلحتهم أو لمصلحة آبائهم أو لمصلحة النظام الكلّيّ كذلك قد يقدّر موتهم جميعاً في وقت واحد لبعض تلك المصالح، وليس ذلك على جهة الغضب عليهم، بل هي رحمة لهم لعلمه تعالى بأنّهم يصيرون بعد بلوغهم كفّاراً، أو يعوّضهم في الآخرة ويميتهم لردع سائر الخلق عن الاجتراء على مساخط الله، أو غير ذلك... مع أنّه ليس يجب على الله تعالى إبقاء الخلق أبداً، فكلّ مصلحة تقتضي موتهم في كبرهم يمكن جريانها في موتهم عند صغرهم والله تعالى يعلم.

٩ - **سن:** الحجّال، عن حمّاد بن عثمان، عن معمّر بن يحيى، عن أبي خالد الكابليّ، أنّه سمع عليّ بن الحسين عليه السلام يقول: لا يدخل الجنّة إلاّ من خلص من آدم[1].

١٠ - **سن:** القاسم بن يحيى، عن جدّه الحسن، عن ضريس الوابشيّ، عن سدير قال: قال أبو جعفر عليه السلام: من طهرت ولادته دخل الجنّة[2].

١١ - **سن:** القاسم بن يحيى، عن جدّه الحسن، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: خلق الله الجنّة طاهرة مطهّرة لا يدخلها إلاّ من طابت ولادته[3].

١٢ - **سن:** أبي، عن النضر، عن يحيى الحلبيّ، عن أيّوب بن حرّ، عن أبي بكر قال: كنّا عنده ومعنا عبد الله بن عجلان، فقال عبد الله بن عجلان: معنا رجل يعرف ما نعرف ويقال: إنّه ولد زناء، فقال: ما تقول؟ فقلت: إنّ ذلك ليقال له؛ فقال: إن كان ذلك كذلك بني له بيت في النار من صدر، يردّ عنه وهج جهنّم ويؤتى برزقه[4].

بيان: من صدر أي يبنى له ذلك في صدر جهنّم وأعلاه، والظاهر أنّه مصحّف (صبر) بالتحريك وهو الجمد.

١٣ - **سن:** أبي، عن حمزة بن عبد الله، عن هاشم أبي سعيد الأنصاريّ، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ نوحاً حمل في السفينة الكلب والخنزير، ولم يحمل فيها ولد الزنا، وإنّ الناصب شرّ من ولد الزنا[5].

١٤ - **كا:** الحسين بن محمّد، عن المعلّى، عن الوشّاء، عن أبان، عن ابن أبي يعفور قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إن ولد الزنا يستعمل، إن عمل خيراً جزي به، وإن عمل شرّاً جزي به[6].

بيان: هذا الخبر موافق لما هو المشهور بين الإماميّة من أنّ ولد الزنا كسائر الناس مكلّف بأصول الدين وفروعه، يجري عليه أحكام المسلمين مع إظهار الإسلام، ويثاب على

---

(١) المحاسن، ص ١٣٩.
(٢) - (٣) المحاسن، ص ١٣٩.
(٤) المحاسن، ص ١٤٩.
(٥) المحاسن، ص ١٧٥.
(٦) روضة الكافي، الموجود مع الاصول طبعة الأعلمي، ص ٧٨٤ ح ٣٢٢.

الطاعات ويعاقب على المعاصي. ونسب إلى الصدوق والسيّد المرتضى وابن إدريس رحمهم الله القول بكفره وإن لم يظهره، وهذا مخالف لأصول أهل العدل إذ لم يفعل باختياره ما يستحقّ به العقاب فيكون عذابه جوراً وظلماً، والله ليس بظلاّم للعبيد، فأمّا الأخبار الواردة في ذلك فمنهم من حملها على أنّه يفعل باختياره ما يكفر بسببه، فلذا حكم عليه بالكفر وأنّه لا يدخل الجنّة، وأمّا ظاهراً فلا يحكم بكفره إلاّ بعد ظهور ذلك منه.

أقول: يمكن الجمع بين الأخبار على وجه آخر يوافق قانون العدل بأن يقال: لا يدخل ولد الزنا الجنّة، لكن لا يعاقب في النار إلاّ بعد أن يظهر منه ما يستحقّه، ومع فعل الطاعة وعدم ارتكاب ما يحبطه يثاب في النار على ذلك، ولا يلزم على الله أن يثيب الخلق في الجنّة، ويدلّ عليه خبر عبد الله بن عجلان، ولا ينافيه خبر ابن أبي يعفور إذ ليس فيه تصريح بأنّ جزاءه يكون في الجنّة وأمّا العمومات الدالّة على أنّ من يؤمن بالله ويعمل صالحاً يدخله الله الجنّة يمكن أن تكون مخصّصة بتلك الأخبار، وبالجملة فهذه المسألة ممّا قد تحيّر فيه العقول، وارتاب به الفحول، والكفّ عن الخوض فيها أسلم، ولا نرى فيها شيئاً أحسن من أن يقال: الله أعلم.

١٣ - باب الأطفال ومن لم يتم عليهم الحجة في الدنيا

الآيات: الطور «٥٢»: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ «٢١».

تفسير: قال الطبرسيّ رَحَمَهُ ٱللَّهُ يعني بالذرّيّة أولادهم الصغار والكبار لأنّ الكبار يتبعون الآباء بإيمان منهم، والصغار يتبعون الآباء بإيمان من الآباء، فالولد يحكم له بالإسلام تبعاً لوالده والمعنى: أنّا نلحق الأولاد بالآباء في الجنّة والدرجة من أجل الآباء لتقرّ عين الآباء باجتماعهم معهم في الجنّة كما كانت تقرّ بهم في الدنيا، عن ابن عبّاس والضحّاك وابن زيد، وفي رواية أُخرى عن ابن عبّاس أنّهم البالغون ألحقوا بدرجة آبائهم وإن قصرت أعمالهم، تكرمة لآبائهم، وإذا قيل: كيف يلحقون بهم في الثواب ولم يستحقّوه؟ فالجواب أنّهم يلحقون بهم في الجمع لا في الثواب والمرتبة. وروى زاذان عن عليّ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قال: قال رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: إنّ المؤمنين وأولادهم في الجنّة، ثمّ قرأ هذه الآية.

وروي عن الصادق عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قال: أطفال المؤمنين يهدون إلى آبائهم يوم القيامة ﴿وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ أي لم ننقص الآباء من الثواب حين ألحقنا بهم ذرّيّاتهم[1].

١ - **فس:** قوله: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ فإنّه حدّثني أبي، عن سليمان الديلميّ، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قال: إنّ أطفال شيعتنا من المؤمنين تربّيهم فاطمة عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ، وقوله: ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ قال: يهدون إلى آبائهم يوم القيامة.

---

(١) مجمع البيان ج٩ ص ٢٧٥.

وقال عليُّ بن إبراهيم في قوله: ﴿وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ﴾: أي ما نقصناهم[١].

٢ - **ل:** أبي، عن محمّد العطّار، عن الأشعريّ، عن عليّ بن إسماعيل، عن حمّاد، عن حريز، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إذا كان يوم القيامة احتجّ الله عزّ وجلّ على خمسة: على الطفل، والّذي مات بين النبيّين، والّذي أدرك النبيّ وهو لا يعقل، والأبله والمجنون الّذي لا يعقل، والأصمّ والأبكم؛ فكلّ واحد منهم يحتجّ على الله عزّ وجلّ؛ قال فيبعث الله إليهم رسولاً فيؤجّج لهم ناراً فيقول لهم: ربّكم يأمركم أن تثبوا فيها، فمن وثب فيها كانت عليه برداً وسلاماً، ومن عصى سيق إلى النار.

قال الصدوق رضي الله عنه: إن قوماً من أصحاب الكلام ينكرون ذلك ويقولون: إنّه لا يجوز أنَّ يكون في دار الجزاء تكليف، ودار الجزاء للمؤمنين إنّما هي الجنّة، ودار الجزاء للكافرين إنّما هي النار، وإنّما يكون هذا التكليف من الله عزّ وجلّ في غير الجنّة والنار فلا يكون كلّفهم في دار الجزاء ثمَّ يصيّرهم إلى الدار الّتي يستحقّونها بطاعتهم أو معصيتهم، فلا وجه لإنكار ذلك، ولا قوّة إلاّ بالله[٢].

٣ - **مع:** أبي، عن سعد، عن أحمد بن محمّد، عن أبيه، عن حمّاد، عن حريز، عن زرارة قال: سألت أبا جعفر عليه السلام: هل سئل رسول الله صلى الله عليه وآله عن الأطفال؟ فقال: قد سئل فقال: الله أعلم بما كانوا عاملين. ثمّ قال: يا زرارة هل تدري ما قوله: الله أعلم بما كانوا عاملين؟ قلت: لا، قال: لله عزّ وجلّ فيهم المشيّة؛ إنّه إذا كان يوم القيامة أُتي بالأطفال، والشيخ الكبير الّذي قد أدرك السنّ ولم يعقل من الكبر والخرف، والّذي مات في الفترة بين النبيّين، والمجنون، والأبله الّذي لا يعقل فكلّ واحد يحتجّ على الله عزّ وجلّ، فيبعث الله تعالى إليهم ملكاً من الملائكة ويؤجّج ناراً فيقول: إنّ ربّكم يأمركم أن تثبوا فيها، فمن وثب فيها كانت عليه برداً وسلاماً، ومن عصاه سيق إلى النار[٣].

كا: عليّ، عن أبيه، عن حمّاد مثله. «ج ٣ ص ١٢٦ باب ١٦٥ ح ١».

٤ - **غط:** ابن أبي عمير، عن جميل بن درّاج، عن زرارة، عن جعفر بن محمّد عليه السلام أنّه قال: حقيق على الله أن يدخل الضُلاّل الجنّة، فقال زرارة: كيف ذلك جعلت فداك؟ قال: يموت الناطق ولا ينطق الصامت فيموت المرء بينهما فيدخله الله الجنّة[٤].

٥ - **كنز:** قوله تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ﴾[٥] عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: الولدان أولاد أهل الدنيا، لم يكن لهم حسنات فيثابون عليها، ولا سيّئات فيعاقبون عليها فأُنزلوا هذه المنزلة[٦].

---

(١) تفسير القمي ج٢ ص٣٠٩.
(٢) الخصال، ص ٢٨٣ باب الخمسة ح ٣١.
(٣) معاني الأخبار، ص ٤٠٧.
(٤) الغيبة للطوسي، ص ٤٦٠.
(٥) سورة الإنسان، الآية: ١٩.
(٦) تأويل الآيات الظاهرة، ص ٧٤٢ ح ١ و٢.

٦ - وعن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه سئل عن أطفال المشركين، فقال: خدم أهل الجنّة على صورة الولدان خلقوا لخدمة أهل الجنّة[١].

٧ - **يد:** الحسين بن يحيى بن ضريس، عن أبيه، عن محمّد بن عمارة السكّريّ، عن إبراهيم بن عاصم، عن عبد الله بن هارون الكرخيّ، عن أحمد بن عبد الله بن يزيد، عن أبيه يزيد بن سلام، عن أبيه سلام بن عبيد الله، عن أخيه عبد الله بن سلام مولى رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وآله فقلت: أخبرني أيعذّب الله عزّ وجلّ خلقاً بلا حجّة؟ قال: معاذ الله! قلت: فأولاد المشركين في الجنّة أم في النار؟ فقال: الله تبارك وتعالى أولى بهم إنّه إذا كان يوم القيامة - وساق الحديث إلى أن قال -: فيأمر الله عزّ وجلّ ناراً يقال له: الفلق، أشدّ شيء في نار جهنّم عذاباً، فتخرج من مكانها سوداء مظلمة بالسلاسل والأغلال، فيأمرها الله عزّ وجلّ أن تنفخ في وجوه الخلائق نفخة، فتنفخ فمن شدّة نفختها تنقطع السماء، وتنطمس النجوم، وتجمد البحار، وتزول الجبال، وتظلم الأبصار، وتضع الحوامل حملها، وتشيب الولدان من هولها يوم القيامة؛ فيأمر الله تعالى أطفال المشركين أن يلقوا أنفسهم في تلك النار؛ فمن سبق له في علم الله عزّ وجلّ أن يكون سعيداً ألقى نفسه فيها فكانت عليه برداً وسلاماً كما كانت على إبراهيم عليه السلام، ومن سبق له في علم الله تعالى أنّ يكون شقيّاً امتنع فلم يلق نفسه في النار فيأمر الله تعالى النار فتلتقطه لتركه أمر الله وامتناعه من الدخول فيها فيكون تبعاً لآبائه في جهنّم[٢].

٨ - **كا:** العدّة، عن سهل، عن غير واحد رفعه أنّه سئل عن الأطفال فقال: إذا كان يوم القيامة جمعهم الله وأجّج ناراً وأمرهم أن يطرحوا أنفسهم فيها، فمن كان في علم الله عزّ وجلّ أنّه سعيد رمى نفسه فيها وكانت عليه برداً وسلامةً، ومن كان في علمه أنّه شقيّ امتنع فيأمر الله تعالى بهم إلى النار، فيقولون: يا ربّنا تأمر بنا إلى النار ولم يجر علينا القلم؟ فيقول الجبّار: قد أمرتكم مشافهةً فلم تطيعوني فكيف لو أرسلت رسلي بالغيب إليكم[٣]؟.

٩ - وفي حديث آخر أمّا أطفال المؤمنين فإنّهم يلحقون بآبائهم، وأولاد المشركين يلحقون بآبائهم وهو قول الله عزّ وجلّ ﴿بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ﴾[٤].

١٠ - **كا:** محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن الحسين بن سعيد، عن النضر بن سويد، عن يحيى الحلبيّ، عن ابن مسكان، عن زرارة قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن الولدان، فقال: سئل رسول الله صلى الله عليه وآله عن الولدان والأطفال فقال: الله أعلم بما كانوا عاملين[٥].

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة، ص ٧٤٢ ح ١ و٢. (٢) التوحيد، ص ٣٩٠ باب ٦١ ح ١.
(٣) - (٤) فروع الكافي، ج ٣ ص ١٢٧ باب ١٦٥ ح ٢.
(٥) فروع الكافي، ج ٣ ص ١٢٧ باب ١٦٥ ح ٣.

١١ - **كا:** عليّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن عمر بن أذينة، عن زرارة قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما تقول في الأطفال الّذين ماتوا قبل أن يبلغوا؟ فقال: سئل عنهم رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: الله أعلم بما كانوا عاملين، ثمَّ أقبل عليَّ فقال: يازرارة هل تدري ما عنى بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: قلت: لا، فقال: إنّما عنى: كفّوا عنهم ولا تقولوا فيهم شيئاً وردّوا علمهم إلى الله[1].

١٢ - **كا:** العدّة، عن سهل، عن عليّ بن الحكم، عن سيف بن عميرة، عن ابن بكير، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ قال: فقال: قصرت الأبناء عن عمل الآباء فألحقوا الأبناء بالآباء لتقرّ بذلك أعينهم[2].

١٣ - **يه:** عن أبي بكر الحضرميّ، عنه عليه السلام مثله.

١٤ - **كا:** عليٌّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن هشام، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه سئل عمّن مات في الفترة وعمّن لم يدرك الحنث والمعتوه فقال: يحتجّ الله عليهم يرفع لهم ناراً فيقول لهم: ادخلوها، فمن دخلها كانت عليه برداً وسلاماً، ومن أبى قال: ها أنتم قد أمرتكم فعصيتموني[3].

١٥ - **كا:** بهذا الإسناد قال: ثلاثة يحتجّ عليهم: الأبكم، والطفل، ومن مات في الفترة، فيرفع لهم نارٌ فيقال لهم: ادخلوها، فمن دخلها كانت عليه برداً وسلاماً، ومن أبى قال تبارك وتعالى: هذا قد أمرتكم فعصيتموني[4].

١٦ - نوادر الراونديّ: بإسناده عن موسى بن جعفر، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا تزوّجوا الحسناء الجميلة العاقرة فإنّي أباهي بكم الأمم يوم القيامة، أوما علمت أنَّ الولدان تحت عرش الرحمن يستغفرون لآبائهم، يحضنهم إبراهيم، وتربّيهم سارة عليها السلام في جبل من مسك وعنبر وزعفران[5]؟.

١٧ - **يه:** في الصحيح روى أبو زكريّا، عن أبي بصير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إذا مات طفل من أطفال المؤمنين نادى مناد في ملكوت السماوات والأرض: ألا إنّ فلان بن فلان قد مات، فإن كان مات والداه أو أحدهما أو بعض أهل بيته من المؤمنين دفع إليه يغذوه، وإلاّ دفع إلى فاطمة عليها السلام تغذوه حتّى يقدم أبواه أو أحدهما أو بعض أهل بيته فتدفعه إليه[6].

١٨ - **يه:** في الصحيح عن الحسن بن محبوب، عن عليّ بن رئاب، عن الحلبيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنَّ الله تبارك وتعالى يدفع إلى إبراهيم وسارة أطفال المؤمنين يغذوانهم

---

(١) - (٤) فروع الكافي، ج ٣ ص ١٢٧ باب ١٦٥ ح ٤-٧.
(٥) نوادر الراوندي، ص ١١٥ ح ١١٥.
(٦) من لا يحضره الفقيه، ج ٣ باب حال من يموت من اطفال المؤمنين ح ٤٧٣١ وح ٤٧٣٢.

بشجرة في الجنّة لها أخلاف كأخلاف البقر في قصر من الدرّ، فإذا كان يوم القيامة أُلبسوا وأطيبوا وأهدوا إلى آبائهم، فهم ملوك في الجنّة مع آبائهم، وهو قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾[1].

بيان: يمكن الجمع بين الخبرين بأنّ بعضهم تربّيه فاطمة عليها السلام، وبعضهم إبراهيم وسارة عليهما السلام على اختلاف مراتب آبائهم، أو تدفعه فاطمة عليها السلام إليهما.

١٩ - وروى الشيخ حسن بن سليمان في كتاب المختصر نقلاً من كتاب المعراج للشيخ الصالح أبي محمّد الحسن بإسناده عن الصدوق، عن أبيه، عن محمّد بن أبي القاسم، عن محمّد بن عليّ الكوفيّ، عن محمّد بن عبد الله بن مهران، عن صالح بن عقبة، عن يزيد بن عبد الملك، عن الباقر عليه السلام قال: لمّا صعد رسول الله صلى الله عليه وآله إلى السماء وانتهى إلى السماء السابعة ولقي الأنبياء عليهم السلام قال: أين أبي إبراهيم عليه السلام؟ قالوا له: هو مع أطفال شيعة عليّ؛ فدخل الجنّة فإذا هو تحت شجرة لها ضروع كضروع البقر، فاذا انفلت الضرع من فم الصبيّ قام إبراهيم فردّ عليه؛ قال: فسلّم عليه فسأله عن عليّ عليه السلام فقال: خلّفته في أُمّتي، قال: نعم الخليفة خلّفت، أما إنَّ الله فرض على الملائكة طاعته، وهؤلاء أطفال شيعته، سألت الله أن يجعلني القائم عليهم ففعل، وإنّ الصبي ليجرّع الجرعة فيجد طعم ثمار الجنّة وأنهارها في تلك الجرعة.

٢٠ - **يه:** في الصحيح سأل جميل بن درّاج أبا عبد الله عليه السلام عن أطفال الأنبياء، فقال: ليسوا كأطفال الناس؛ وسأله عن إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وآله: لو بقي كان صدّيقاً نبيّاً؟ قال: لو بقي كان على منهاج أبيه صلى الله عليه وآله[2].

بيان: أي كان مؤمناً موحّداً تابعاً لأبيه لا نبيّاً.

٢١ - **يه:** روى وهب بن وهب، عن جعفر بن محمّد، عن أبيه عليهما السلام قال: قال عليّ عليه السلام: أولاد المشركين مع آبائهم في النار، وأولاد المسلمين مع آبائهم في الجنّة[3].

٢٢ - **يه:** في الصحيح روى جعفر بن بشير، عن عبد الله بن سنان قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن أولاد المشركين يموتون قبل أن يبلغوا الحنث؛ قال: كفّار، والله أعلم بما كانوا عاملين، يدخلون مداخل آبائهم. وقال عليه السلام: يؤجّج لهم ناراً فيقال لهم: ادخلوها، فإن دخلوها كانت عليهم برداً وسلاماً، وإن أبوا قال لهم الله عزّ وجلّ هوذا أنا قد أمرتكم فعصيتموني؛ فيأمر الله عزّ وجلّ بهم إلى النار[4].

بيان: قال الصدوق رحمه الله - بعد إيراد تلك الأخبار -: هذه الأخبار متّفقة وليست بمختلفة، وأطفال المشركين والكفّار مع آبائهم في النار لا تصيبهم من حرّها لتكون الحجّة

---

(١) من لا يحضره الفقيه، ج ٣ باب حال من يموت من اطفال المؤمنين ح ٤٧٣١ وح ٤٧٣٢.

(٢) - (٤) من لا يحضره الفقيه، ج ٣ ح ٤٧٣٥ و٤٧٣٩.

أوكد عليهم متى أمروا يوم القيامة بدخول نار تؤجّج لهم مع ضمان السلامة متى لم يثقوا به ولم يصدّقوا وعده في شيء قد شاهدوا مثله(١).

أقول: جمع الصدوق بينهما بحمل ما دلّ على إطلاق دخولهم النار على نار البرزخ، وقال: لا يصيبهم حرّها حينئذ، ورأى أنّ فائدة ذلك توكيد الحجّة عليهم في التكليف بدخول نار تؤجّج لهم في القيامة. ويمكن أن يقال: لعلّ الله تعالى يعلم أنّ كلّ أولاد الكفّار الّذين يموتون قبل الحلم لا يدخلون النار يوم القيامة بعد التكليف، فلذا قال: الله أعلم بما كانوا عاملين أي في القيامة بعد التكليف، ولذا جعلهم من أولادهم، ويمكن أيضاً أن يحمل قوله عليه السلام: كفار على أنّه يجري عليهم في الدنيا أحكام الكفّار بالتبعيّة في النجاسة وعدم التغسيل، والتكفين، والصلاة، والتوارث، وغير ذلك؛ ويخصّ دخولهم النار ودخولهم مداخل آبائهم بمن لم يدخل منهم نار التكليف، والأظهر حملها على التقيّة لموافقتها لروايات المخالفين وأقوال أكثرهم، قال النووي في شرح صحيح مسلم: اختلف العلماء فيمن مات من أطفال المشركين فمنهم من يقول: هم تبع لآبائهم في النار، ومنهم من يتوقّف فيهم، والثالث - وهو الصحيح الّذي ذهب إليه المحقّقون - أنّهم من أهل الجنّة واستدلّوا بأشياء:

منها حديث إبراهيم الخليل حين رآه النبيُّ صلى الله عليه وآله وحوله أولاد الناس؛ قالوا: يا رسول الله وأولاد المشركين؟ قال: وأولاد المشركين. رواه البخاريّ في صحيحه.

ومنها قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ ولا يتوجّه على المولود التكليف حتّى يبلغ فيلزم الحجّة انتهى.

وروى الحسين بن مسعود البغويّ في شرح السنّة بإسناده عن أبي هريرة قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وآله عن أطفال المشركين، قال: الله أعلم بما كانوا فاعلين. وقال: هذا حديث متّفق على صحته.

وروي بإسناد آخر عن صحيح مسلم وغيره عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله من يولد يولد على الفطرة، وأبواه يهوّدانه وينصّرانه، كما تنتجون البهيمة، هل تجدون فيها جدعاء حتّى تكونوا أنتم تجدعونها؟ قالوا: يارسول الله أفرأيت من يموت وهو صغير؟ قال: الله أعلم بما كانوا عاملين.

ثمّ قال: هذا حديث متّفق على صحّته. ثمّ قال في شرح الخبر: قلت: أطفال المشركين لا يحكم لهم بجنّة ولا نار، بل أمرهم موكول إلى علم الله فيهم، كما أفتى به الرسول صلى الله عليه وآله، وجملة الأمر أنّ مرجع العباد في المعاد إلى ما سبق لهم في علم الله من السعادة والشقاوة.

---

(١) من لا يحضره الفقيه، ج ٣ ح ٤٧٣٩.

وقيل: حكم أطفال المؤمنين والمشركين حكم آبائهم وهو المراد بقوله: الله أعلم بما كانوا عاملين، يدلّ عليه ما روي مفسّراً عن عائشة أنّها قالت: قلت يارسول الله ذراري المؤمنين؟ قال: من آبائهم، فقلت: يا رسول الله بلا عمل؟ قال: الله أعلم بما كانوا عاملين، قلت: فذراري المشركين؟ قال: من آبائهم، قلت: بلا عمل؟ قال: الله أعلم بما كانوا عاملين.

وقال معمّر، عن قتادة، عن الحسن: إنّ سلمان قال: أولاد المشركين خدم أهل الجنّة، قال الحسن: أتعجبون؟ أكرمهم الله وأكرمهم به. انتهى[1].

أقول: فظهر أنّ تلك الروايات موافقة لما رواه المخالفون في طرقهم، وقد أوّلها أئمّتنا عليهم السلام بما مرّ في الأخبار السابقة. ثمّ اعلم أنّه لا خلاف بين أصحابنا في أنّ أطفال المؤمنين يدخلون الجنّة، وذهب المتكلّمون منّا إلى أنّ أطفال الكفار لا يدخلون النار فهم إمّا يدخلون الجنّة، أو يسكنون الأعراف؛ وذهب أكثر المحدّثين منّا إلى ما دلّت عليه الأخبار الصحيحة من تكليفهم في القيامة بدخول النار المؤجّجة لهم؛ قال المحقّق الطوسيّ رحمه الله في التجريد: تعذيب غير المكلّف قبيح، وكلام نوح عليه السلام مجاز والخدمة ليست عقوبة له، والتبعيّة في بعض الأحكام جائزة.

وقال العلاّمة قدّس الله روحه في شرحه: ذهب بعض الحشويّة إلى أنّ الله تعالى يعذّب أطفال المشركين ويلزم الأشاعرة تجويزه، والعدليّة كافّة على منعه، والدليل عليه أنّه قبيح عقلاً فلا يصدر منه تعالى، احتجّوا بوجوه:

الأوّل: قول نوح عليه السلام: ﴿وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرٗا كَفَّارٗا﴾ والجواب أنّه مجاز والتقدير أنّهم يصيرون كذلك لا حال طفوليّتهم.

الثاني: قالوا: إنّا نستخدمه لأجل كفر أبيه فقد فعلنا فيه ألماً وعقوبةً فلا يكون قبيحاً.

والجواب: أنّ الخدمة ليست عقوبةً للطّفل، وليس كلّ ألم عقوبة، فإنّ الفصد والحجامة ألمان وليسا عقوبة، نعم استخدامه عقوبة لأبيه وامتحان له يعوّض عليه كما يعوّض على إمراضه.

الثالث: قالوا: إنّ حكم الطفل يتبع حكم أبيه في الدفن، ومنع التوارث، والصلاة عليه، ومنع التزويج.

والجواب: أنّ المنكر عقابه لأجل جرم أبيه، وليس بمنكر أن يتبع حكم أبيه في بعض الأشياء، إذا لم يجعل له بها ألم وعقوبة، ولا ألم له في منعه من الدفن والتوارث وترك الصلاة عليه.

---

(١) شرح صحيح مسلم للنووي، ج ٦ ص ٢٠٧.

١٤ - باب من رفع عنه القلم، ونفي الحرج في الدين، وشرائط صحة التكليف وما يعذر فيه الجاهل وأنه يلزم على الله التعريف

الآيات: البقرة «٢»: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ «٢٥٦». «وقال تعالى»: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا﴾ «٢٨٦».

الأنعام «٦»: ﴿قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾ «١٠٤».

الأنعام «٦» الأعراف «٧»: ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ «١٥٢».

الأنفال «٨»: ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ «٤٢».

التوبة: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾ «١١٥».

النحل «١٦»: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ «٩».

الإسراء «١٧»: ﴿مَّنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ «١٥».

طه «٢٠»: ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾﴾ «١٣٤».

الحج «٢٢»: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ «٧٨».

النور «٢٤»: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ «٥٨» «وقال»: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ «٥٩».

الشعراء «٢٦»: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٠٩﴾﴾.

القصص «٢٨»: ﴿وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ «وقال تعالى»: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ «٥٩».

الأحزاب «٣٣»: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ «٥».

الطلاق «٦٥»: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا﴾ «٧».

تفسير: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ قيل: هو منسوخ بآيات الجهاد. وقيل: خاصٌ بأهل الكتاب. وقيل: الإكراه في الحقيقة إلزام الغير فعلاً لا يرى فيه خيراً؛ ولكن ﴿قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ أي تميّز الإيمان من الكفر بالآيات الواضحة، ودلت الدلائل على أنّ الإيمان

يوصل إلى السعادة، والكفر يوصل إلى الشقاوة، والعاقل متى تبيّن له ذلك بادرت نفسه إلى الإيمان من غير إلجاء وإكراه[1] ﴿إِلَّا وُسْعَهَا﴾ أي ما يسعه قدرتها، أو ما دون مدى طاقتها، بحيث يتّسع فيه طوقها كقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ﴾[2].

﴿إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ أي لا تؤاخذنا بما أدّى بنا إلى نسيان أو خطأ من تفريط وقلّة مبالاة، أو يكون سؤالاً على سبيل التضرّع والاستكانة، وإن كان ما يسأله لازماً على الله تعالى، أو المراد بنسينا تركنا، وبأخطأنا أذنبنا. ﴿إِصْرًا﴾ اي عبئاً ثقيلاً يأصر صاحبه أي يحبسه في مكانه، يريد به التكاليف الشاقّة. ﴿مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ أي من البلايا والعقوبة أو ما يثقل علينا تحمّله من التكاليف الشاقّة، وقد يقول الرجل لأمر يصعب عليه[3]: إنّي لا أطيقه؛ أو يكون الدعاء على سبيل التعبّد كما مرَّ.

﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾ أي ليموت من يموت عن بيّنة عاينها، ويعيش من يعيش عن حجّة شاهدها، لئلّا يكون له حجّة ومعذرة؛ أو ليصدر كفر من كفر وإيمان من آمن عن وضوح بيّنة، على استعارة الهلاك والحياة للكفر والإسلام، والمراد بمن هلك ومن حيَّ المشارف للهلاك والحياة، أو من هذا حاله في علم الله وقضائه[4].

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا﴾ أي ليسميهم ضلالاً، أو يؤاخذهم مؤاخذتهم ويعذّبهم ويضلّهم عن سبيل الجنّة[5].

قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ﴾ أي يجب على الله في عدله بيان الطريق المستقيم ﴿وَمِنْهَا جَآئِرٌ﴾ أي من السبيل ما هو عادل عن الحقّ. قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ﴾ لولا الأولى امتناعيّة، ولولا الثانية تحضيضيّة، وجواب الأولى محذوف، أي ما أرسلناك. قوله تعالى: في أمّها أي في أصلها ومعظمها فإنَّ الأشراف غالباً يسكنون المدن. ﴿إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾ أي إلاّ بقدر ما أعطاها من الطاقة[6].

١ - ب: هارون، عن ابن زياد، عن جعفر، عن أبيه، عن النبيّ ﷺ قال: ممّا أعطى الله أُمّتي وفضّلهم به على سائر الأمم أعطاهم ثلاث خصال لم يعطها إلاّ نبيٌّ، وذلك أنَّ الله تبارك وتعالى كان إذا بعث نبياً قال له اجتهد في دينك ولا حرج عليك. وإنَّ الله تبارك وتعالى أعطى ذلك أُمّتي حيث يقول: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ يقول: من ضيق. الخبر[7].

٢ - ب: البزّاز، عن أبي البختريّ، عن جعفر، عن أبيه، عن عليّ عليه السلام قال: لا غلظ على مسلم في شيء[8].

---

(١) (٣) تفسير البيضاوي، ج ١ ص ٢١٧ و٢٣٤. (٤) تفسير البيضاوي، ج ٢ ص ١٥٣.

(٥) تفسير البيضاوي، ج ٢ ص ٢١١. (٦) تفسير البيضاوي، ج ٣ ص ٣٠٧.

(٧) قرب الإسناد، ص ٨٤ ح ٢٧٧. (٨) قرب الإسناد، ص ١١٣. وفيه: لا غلط...

٣ - ل: ابن الوليد، عن الصفّار، عن ابن عيسى، عن محمّد بن سنان، عن ابن مسكان، عن موسى بن بكر قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام : الرجل يغمى عليه اليوم واليومين والثلاثة والأربعة وأكثر من ذلك، كم يقضي من صلاته؟ فقال: ألا أُخبرك بما يجمع لك هذا وأشباهه، كلّما غلب الله عزّ وجلّ عليه من أمر فالله أعذر لعبده. وزاد فيه غيره: إنّ أبا عبد الله عليه السلام قال: وهذا من الأبواب الّتي يفتح كلّ باب منها ألف باب(١).

٤ - سن: عليّ بن الحكم، عن أبان الأحمر، عن حمزة الطيّار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال لي: اكتب، وأملى: إنّ من قولنا: إنّ الله يحتجُّ على العباد بالّذي آتاهم وعرّفهم، ثمّ أرسل إليهم رسولاً وأنزل عليه الكتاب، وأمر فيه ونهى، أمر فيه بالصلاة والصوم فنام رسول الله صلى الله عليه وآله عن الصلاة فقال: أنا أُنيمك وأنا أُوقظك، فإذا قمت فصلّ ليعلموا إذا أصابهم ذلك كيف يصنعون ليس كما يقولون: إذا نام عنها هلك؛ وكذلك الصيام أنا أمرضك وأنا أُصحك، فإذا شفيتك فاقضه. ثمّ قال أبو عبد الله عليه السلام : وكذلك إذا نظرت في جميع الأشياء لم تجد أحداً إلاّ ولله عليه حجّة وله فيه المشيّة، ولا أقول: إنّهم ما شاؤوا صنعوا. ثمّ قال: إنّ الله يهدي ويضلُّ، وقال: ما أُمروا إلاّ بدون سعتهم، وكلُّ شيء أُمر الناس به فهم يسعون له، وكلُّ شيء لا يسعون له فموضوع عنهم ولكن النّاس لا خير فيهم، ثمّ تلا: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ﴾ فوضع عنهم ﴿مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ﴾ قال: فوضع عنهم لأنّهم لا يجدون ما ينفقون، وقال: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾(٢).

شي: عن زرارة وحمران ومحمّد بن مسلم، عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام مثله.

٥ - سن: محمّد بن عليّ، عن حكم بن مسكين الثقفيّ، عن النضر بن قرواش قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّما احتجّ الله على العباد بما آتاهم وعرّفهم(٣).

سن: بعض أصحابنا، عن ابن أسباط، عن حكم بن مسكين مثله(٤).

٦ - سن: أبي، عن صفوان، عن منصور بن حازم قال: قال أبو عبد الله عليه السلام : الناس مأمورون ومنهيّون ومن كان له عذر عذره الله(٥).

٧ - سن: ابن فضّال، عن ثعلبة، عن حمزة بن الطيّار؛ وحدَّثنا أبي، عن فضالة عن أبان الأحمر، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ

---

(١) الخصال، ص ٦٤٤ باب ما بعد الألف ح ٢٤.
(٢) المحاسن، ص ٢٣٦ والآيات من سورة التوبة ٩١-٩٣.
(٣) المحاسن، ص ٢٣٦.
(٤) - (٥) المحاسن، ص ٢٧٥-٢٧٦.

﴿يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾ قال: حتّى يعرّفهم ما يرضيه وما يسخطه، وقال: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ قال: بيّن لها ما تأتي وما تترك؟ وقال: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ قال: عرّفناه فإمّا أخذ وإمّا ترك.

وسألته عن قول الله: ﴿يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ قال: يشتهي سمعه وبصره ولسانه ويده وقلبه؛ أما إنّه هو عسى شيء ممّا يشتهي فإنّه لا يأتيه إلاّ وقلبه منكر، لا يقبل الّذي يأتي، يعرف أنّ الحقّ غيره. وعن قوله: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ﴾ قال: نهاهم عن فعلهم فاستحبّوا العمى على الهدى وهم يعرفون[1].

٨ - سن: ابن فضّال، عن ابن بكير، عن زرارة قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ قال: علّمه السبيل فإمّا آخذ فهو شاكر، وإمّا تارك فهو كافر[2].

٩ - سن: ابن يزيد، عن رجل، عن الحكم بن مسكين، عن أيّوب بن الحرّ بيّاع الهرويّ قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: يا أيّوب ما من أحد إلاّ وقد يرد عليه الحقّ حتّى يصدع، قبله أم تركه، وذلك أنّ الله يقول في كتابه: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾[3].

بيان: الصدع الإظهار والتبيين، وقال البيضاويّ في قوله: ﴿فَيَدْمَغُهُ﴾ أي فيمحقه وإنّما استعار لذلك القذف وهو الرمي البعيد المستلزم لصلابة المرمي، والدمغ الّذي هو كسر الدماغ بحيث يشقّ غشاؤه المؤدّي إلى زهوق الرّوح تصويراً لإبطاله، ومبالغة فيه ﴿فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ هالك، والزهوق: ذهاب الروح، وذكره لترشيح المجاز[4].

١٠ - سن: أبي، عن يونس، عن حمّاد بن عثمان، عن عبد الأعلى قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: هل جعل في الناس أداة ينالون بها المعرفة؟ قال: لا؛ قلت: فهل كلّفوا المعرفة؟ قال: لا إنّ على الله البيان، لا يكلّف الله العباد إلاّ وسعها. ولا يكلّف نفساً إلاّ ما آتاها[5].

١١ - سن: عدّة من أصحابنا، عن عليّ بن أسباط، عن جميل بن درّاج، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ الله تبارك وتعالى ليمنّ على قوم وما فيهم خير فيحتجّ الله عليهم فيلزمهم الحجّة[6].

١٢ - سن: ابن محبوب، عن سيف بن عميرة، وعبدالعزيز العبديّ، وعبدالله ابن أبي يعفور، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أبى الله أن يعرّف باطلاً حقّاً، أبى الله أن يجعل الحقّ في

---

(١) - (٣) المحاسن، ص ٢٧٦. (٤) تفسير البيضاوي، ج ٣ ص ١٠٨.

(٥) - (٦) المحاسن، ص ٢٧٦-٢٧٧.

قلب المؤمن باطلاً، لا شكّ فيه، وأبى الله أن يجعل الباطل في قلب الكافر المخالف حقّاً، لا شكّ فيه، ولو لم يجعل هذا هكذا ما عرف حقّ من باطل[١].

١٣ - ل: الحسن بن محمّد السّكونيّ، عن محمّد بن عبد الله الحضرميّ، عن إبراهيم ابن أبي معاوية، عن أبيه، عن الأعمش، عن ابن ظبيان قال، أُتي عمر بامرأة مجنونة قد فجرت، فأمر برجمها، فمرّوا بها على عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فقال: ما هذه؟ قالوا: مجنونة فجرت فأمر بها عمر أن ترجم؛ قال: لا تعجلوا، فأتى عمر فقال له: أما علمت أنّ القلم رفع عن ثلاث: عن الصبيّ حتّى يحتلم، وعن المجنون حتّى يفيق، وعن النائم حتّى يستيقظ[٢]؟.

١٤ - يد، ل: العطّار، عن سعد، عن ابن يزيد، عن حمّاد، عن حريز، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: رفع عن أُمّتي تسعة: الخطأ، والنسيان، وما أكرهوا عليه، وما لا يعلمون، وما لا يطيقون، وما اضطرّوا إليه، والحسد، والطيرة والتفكّر في الوسوسة في الخلق ما لم ينطق بشفة[٣].

بيان: المراد بالرفع في أكثرها رفع المؤاخذة والعقاب، وفي بعضها يحتمل رفع التأثير، وفي بعضها النهي أيضاً، فأمّا اختصاص رفع الخطأ والنسيان بهذه الأمّة فلعلّه لكون سائر الأمم مؤاخذين بهما إذا كان مباديهما باختيارهم، على أنّه يحتمل أن يكون المراد اختصاص المجموع، فلا ينافي اشتراك البعض.

وأمّا ما أكرهوا عليه فلعلّه كان يلزمهم تحمّل المشاقّ العظيمة فيما أكرهوا عليه، وقد وسّع الله على هذه الأمّة بتوسيع دائرة التقيّة. وأمّا ما لا يعلمون فرفع كثير منها ظاهر كالصلاة في الثوب والمكان المغصوبين والثوب النجس، والسجود على الموضع النجس، وجهل الحكم في كثير من المسائل، والجهل بالأحكام الّتي لم تصل إلينا، ولعلّ سائر الأمم كانوا يؤاخذون بالقضاء والإعادة، واللّفظ وإن كان عامّاً لكنّه مختصّ بالإجماع بالموارد الخاصّة. وأمّا ما لا يطيقون فقد مرّ بيانه.

وأمّا الطيرة - بكسر الطاء وفتح الياء وسكونها، وهو ما يتشاءم به من الفال الرديّ - فيمكن أن يكون المراد برفعها النهي عنها، بأن لا تكون منهيّاً عنها في الأمم السالفة، ويحتمل أنّ يكون المراد تأثيرها، أو حرمة تأثّر النفس بها والاعتناء بشأنها، والأخير أظهر، وسيأتي بيانها. وكذا الحسد يحتمل الوجهين الأوّلين وثالثاً وهو عدم حرمة ما لا يظهر من الحسد، وهو أظهر كما ورد في الأخبار: ألاّ إن المؤمن لا يظهر الحسد.

وأمّا التفكّر في الوسوسة في الخلق ويحتمل أن يكون المعنى التفكّر فيما يوسوس الشيطان في القلب في الخالق ومبدئه وكيفيّة خلقه فإنّها معفوّ عنها ما لم يعتقد خلاف الحقّ،

---

(١) المحاسن، ص ٢٧٦-٢٧٧.
(٢) الخصال، ص ١٧٥ باب الثلاثة: ح ٢٣٣.
(٣) التوحيد، ص ٣٥٣ باب ٥٦ ح ٢٤.

وما لم ينطق بالكفر الّذي يخطر بباله، أو المراد التفكّر في خلق الأعمال ومسألة القضاء والقدر؛ أو المراد التفكّر فيما يوسوس الشيطان في النفس من أحوال المخلوقين وسوء الظنّ بهم في أعمالهم وأحوالهم، ويؤيّد الأخير كثير من الأخبار، وقد فصّلنا القول فيه في شرح روضة الكافي.

١٥ - **ين:** فضالة، عن سيف بن عميرة، عن إسماعيل الجعفيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: وضع عن هذه الأمّة ستّة: الخطأ، والنسيان، وما استكرهوا عليه، وما لا يعلمون، وما لا يطيقون، وما اضطرّوا عليه.

١٦ - **ين:** عن ربعيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الله عفى عن أمّتي ثلاثاً: الخطأ، والنسيان، والاستكراه. وقال أبو عبد الله عليه السلام: وفيها رابعة: وما لا يطيقون.

١٧ - **يد:** عن الحلبيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام: وضع عن أمّتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه.

١٨ - **ين:** عن أبي الحسن قال: سألته عن الرجل يستكره على اليمين فيحلف بالطلاق والعتاق وصدقة ما يملك، أيلزمه ذلك؟ فقال: لا. ثمّ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: وضع عن أمّتي ما أكرهوا عليه، وما لم يطيقوا، وما أخطأوا.

عد: اعتقادنا في التكليف هو أنّ الله تعالى لم يكلّف عباده إلاّ دون ما يطيقون كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ والوسع دون الطاقة.

١٩ - **قال الصادق** عليه السلام: والله ما كلف الله العباد إلاّ دون ما يطيقون لأنّه كلّفهم في كلّ يوم وليلة خمس صلوات، وكلّفهم في السنة صيام ثلاثين يوماً، وكلّفهم في كلّ مائتي درهم خمسة دراهم، وكلّفهم حجّة واحدة، وهم يطيقون أكثر من ذلك[١].

٢٠ - **ما:** جماعة، عن أبي المفضّل، عن أحمد بن محمّد بن الحسين العلويّ، عن محمّد ابن إسماعيل بن إبراهيم بن موسى، عن عمّيه عليّ والحسين ابني موسى بن جعفر، عن آبائه عليهم السلام عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: يوحي الله عزّ وجلّ إلى الحفظة الكرام: لا تكتبوا على عبدي المؤمن عند ضجره شيئاً[٢].

٢١ - **نهج:** قال أمير المؤمنين عليه السلام: قد بصرتم إن أبصرتم، وقد هديتم إن اهتديتم، وأسمعتم إن استمعتم[٣].

٢٢ - وقال عليه السلام: قد أضاء الصبح لذي عينين[٤].

---

(١) اعتقادات الصدوق، ص ٦٨-٦٩.
(٢) أمالي الطوسي، ص ٥٧١ مجلس ٢٢ ح ١١٨٣.
(٣) نهج البلاغة قصار الحكم، برقم ١٥٧.
(٤) نهج البلاغة قصار الحكم برقم ١٦٩.

٢٣ - كتاب الغارات لابراهيم بن محمّد الثقفيّ: بإسناده عن يحيى بن سعيد، عن أبيه قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: إنّه ليس لهالك هلك من يعذره في تعمّد ضلالة حسبها هدى، ولا ترك حقّ حسبه ضلالة(١).

٢٤ - سن: أبي، عن يونس رفعه قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: ليس من باطل يقوم بإزاء الحقّ إلّا غلب الحقُّ الباطل، وذلك قوله: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾(٢).

٢٥ - سن: النّوفليّ، عن السكونيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كلُّ قوم يعملون على ريبة من أمرهم، ومشكلة من رأيهم، وزارئ منهم على من سواهم، وقد تبيّن الحقّ من ذلك بمقايسة العدل عند ذوي الألباب(٣).

٢٦ - شي: عن زرارة وحمران ومحمّد بن مسلم، عن أحدهما عليهما السلام قال: في آخر البقرة لمّا دعوا أجيبوا: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ قال: ما افترض الله عليها ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ وكذا قوله: ﴿وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾(٤).

٢٧ - شي: عن عمرو بن مروان الخزّاز قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: رفعت عن أمّتي أربع خصال: ما أخطؤوا، وما نسوا، وما اكرهوا عليه، وما لم يطيقوا؛ وذلك في كتاب الله قول الله تبارك وتعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ وقول الله: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾(٥).

٢٨ - شي: عن محمّد بن حكيم رفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته أتستطيع النفس المعرفة؟ قال: فقال: لا، فقلت: يقول الله: ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾(٦) قال: هو كقوله: ﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾ قلت: فعابهم؟ قال: لم يعبهم بما صنع في قلوبهم، ولكن عابهم بما صنعوا ولو لم يتكلّفوا لم يكن عليهم شيء(٧).

بيان: أي الغطاء والمنع عن السمع والبصر إنّما ترتّبت على أعمالهم السيّئة، فإنّما عاتبهم على أفعالهم الّتي صارت أسباباً لتلك الحالات؛ أو المعنى أنّ المراد بالغطاء وعدم استطاعة السمع والبصر ما سلّطوا على أنفسهم من التعصّب والامتناع عن قبول الحقّ، لا شيء صنعه الله في قلوبهم وسمعهم وبصرهم.

---

(١) الغارات ص ٣٤٢.
(٢) - (٣) المحاسن، ص ٢٧٧.
(٤) - (٥) تفسير العياشي ج ١ ص ١٨٠ ح ٥٣٤ و٥٣٥.
(٦) سورة الكهف، الآية: ١٠١.
(٧) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٣٧٧ ح ٨٨.

٢٩ - كا: عليّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن عليّ بن عطيّة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كنت عنده وسأله رجل عن رجل يجيء منه الشيء على حدّ الغضب: يؤاخذه الله به؟ فقال: الله أكرم من أن يستغلق عبده. وفي نسخة أبي الحسن الأوّل عليه السلام: يستقلق عبده[1].

توضيح: قوله: من أن يستغلق عبده أي يكلّفه ويجبره فيما لم يكن له فيه اختيار، قال الفيروزآباديّ: استغلقني في بيعته: لم يجعل لي خياراً في ردّه. قوله: وفي نسخة أبي الحسن الأوّل يستقلق لعلّه كان الحديث في بعض الأصول مرويّاً عن أبي الحسن عليه السلام، وفيه كان «يستقلق» بالقاف، من القلق بمعنى الانزعاج والاضطراب، ويرجع إلى الأوّل بتكلّف.

تذنيب: قال السيّد المرتضى رحمه الله: إن سأل سائل عن قوله تعالى: ﴿مَا كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُواْ يُبْصِرُونَ﴾ كيف نفى استطاعتهم للسمع والإبصار، وأكثرهم كان يسمع بأذنه ويرى بعينه؟ قلنا: فيه وجوه:

أحدها: أن يكون المعنى: يضاعف لهم العذاب بما كانوا يستطيعون السمع فلا يسمعون، وبما كانوا يستطيعون الإبصار فلا يبصرون عناداً للحقّ، فأسقطت الباء من الكلام، وذلك جائز، كما جاز في قولهم: لأجزينّك بما عملت، ولأجزينّك ما عملت؛ ولأحدّثنّك بما عملت، ولأحدّثنك ما عملت.

والثاني: أنّهم لاستثقالهم استماع آيات الله وكراهتهم تذكّرها وتدبرها وتفهّمها جروا مجرى من لا يستطيع السمع كما يقول القائل: ما يستطيع فلان أن ينظر لشدّة عداوته إلى فلان، وما يقدر أن يكلّمه. ومعنى ما كانوا يبصرون: أنّ إبصارهم لم يكن نافعاً لهم ولا مجدياً عليهم مع الإعراض عن تأمّل آيات الله تعالى وتدبّرها، فلمّا انتفت عنهم منفعة الإبصار جاز أن ينفى عنهم الإبصار نفسه.

والثالث: أن يكون معنى نفي السمع والبصر راجعاً إلى آلهتهم لا إليهم، وتقدير الكلام: أولئك وآلهتهم لم يكونوا معجزين في الأرض، يضاعف لهم العذاب، ثمّ قال مخبراً عن الآلهة: ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون، وهذا الوجه يروى عن ابن عبّاس، وفيه أدنى بعد. ويمكن في الآية وجه آخر وهو أن تكون «ما» في قوله: ﴿مَا كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ﴾ ليست للنفي بل تجري مجرى قولهم: لأواصلنّك ما لاح نجم، ويكون المعنى: أنّ العذاب يضاعف لهم في الآخرة ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون، أي أنّهم معذّبون ما كانوا أحياءاً[2].

وقال رحمه الله في تأويل قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ﴾ قيل: المراد بنسينا تركنا،

---

(١) روضة الكافي الموجود مع الاصول طبعة الأعلمي، ص ٧٩١ ح ٣٦٠.
(٢) أمالي المرتضى، ج ٣ ص ١٤.

قال قطرب: معنى النسيان ههنا الترك، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ﴾[١] أي ترك، ولولا ذلك لم يكن فعله معصية، وكقوله تعالى: ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ أي تركوا طاعته فتركهم من ثوابه ورحمته، وقد يقول الرجل لصاحبه: لا تنسني من عطيّتك أي لا تتركني منها، وقد يمكن في الآية وجه آخر وهو أن يحمل النسيان على السهو وفقد العلوم، ويكون وجه الدعاء بذلك ما قد بيّنّاه فيما تقدّم من السؤال على سبيل الانقطاع إلى الله والاستغاثة به وإن كان مأموناً منه المؤاخذه بمثله، ويجري مجرى قوله: ﴿وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ وهذا الوجه أيضاً يمكن في قوله: ﴿أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ إذا كان الخطأ ما وقع سهواً أو عن غير عمد، فأمّا على ما يطابق الوجه الأوّل فقد يجوز أن يريد بالخطأ ما يفعل من المعاصي بالتأويل السيّئ، وعن جهل بأنّها معاص، لأنّ من قصد شيئاً على اعتقاده أنّه بصفة فوقع ما هو بخلاف معتقده يقال: قد أخطأ فكأنّه أمرهم بأن يستغفروا ممّا تركوه متعمّدين من غير سهو ولا تأويل، وممّا أقدموا عليه مخطئين متأوّلين، ويمكن أيضاً أن يريد بأخطأنا ههنا أذنبنا وفعلنا قبيحاً، وإن كانوا له متعمّدين وبه عالمين، لأنّ جميع معاصينا لله تعالى قد يوصف كلّها بأنّها خطأ من حيث فارقت الصواب، وإن كان فاعلها متعمّداً، وكأنّه أمرهم بأن يستغفروا ممّا تركوه من الواجبات، وممّا فعلوه من المقبّحات ليشتمل الكلام على جهتي الذنوب، والله أعلم بمراده[٢].

١٥ - باب علة خلق العباد وتكليفهم، والعلة التي من أجلها جعل الله في الدنيا اللذات والآلام والمحن

الآيات: الحجر «١٥»: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ﴾ «٨٥».

الأنبياء: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾.

المؤمنون «٢٣»: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ «١١٥».

الفرقان «٢٥»: ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ۖ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًۢا﴾ «٧٧».

الروم «٣٠»: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ﴾ «٨» «وقال تعالى»: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ «٤١».

الأحزاب «٣٣»: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ «٧٢».

---

(١) سورة طه، الآية: ١١٥.

(٢) أمالي المرتضى، ج ٤ ص ٤٣.

ص «٣٨»: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًاۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ «٢٧».

الزمر «٣٩»: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ «٥».

حمعسق [الشورى] «٤٢»: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ «٣٠».

الدخان «٤٤»: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾﴾.

الجاثية «٤٥»: ﴿وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ «٢٢».

الأحقاف «٤٦»: ﴿مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ «٣».

الذاريات «٥١»: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾﴾.

القيامة «٧٥»: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ «٣٦».

تفسير: قال البيضاويّ في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾: وإنّما خلقناها مشحونة بضروب البدائع تبصرةً للنظّار، وتذكرةً لذوي الاعتبار، وتسبيباً لما ينتظم به أمور العباد في المعاش والمعاد، فينبغي أن يتشبّثوا بها إلى تحصيل الكمال، ولا يغترّوا بزخارفها، فإنّها سريعة الزوال. ﴿لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا﴾ ما يتلهّى به ويلعب ﴿لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ﴾ من جهة قدرتنا، أو من عندنا ممّا يليق بحضرتنا من المجرّدات لا من الأجسام المرفوعة والأجرام المبسوطة، كعادتكم في رفع السقوف وتزويقها، وتسوية الفروش وتزيينها. وقيل: اللّهو: الولد بلغة اليمن. وقيل: الزوجة، والمراد الردُّ على النصارى. ﴿إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ ذلك، ويدلّ على جوابه الجواب المتقدّم. وقيل: «إن» نافية، والجملة كالنتيجة للشرطيّة ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ﴾[1] الّذي من عداد اللّهو ﴿فَيَدْمَغُهُ﴾ فيمحقه ﴿فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ هالك انتهى[2].

قوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا﴾ استدلال على البعث بأن لذّات هذه الدار الفانية لا تليق بأن تكون مقصودة لخلق هذه العالم مع هذه الآلام والمشاقّ والمصائب المشاهدة فيها فلو لم يكن لاستحقاق دار أُخرى باقية خالية عن المحن والآلام لكان الخلق عبثاً ولذا قال بعده: ﴿وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُاْ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ﴾ أي ما يصنع بكم أو لا يعتدُّ بكم لولا دعاؤكم إلى الدين، أو لولا عبادتكم، أو لولا دعاؤكم لله عند الشدائد، وهو المرويّ عن أبي جعفر عليه السلام.

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ١٨.

(٢) تفسير البيضاوي، ج ٣ ص ١٠٨.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ﴾ قيل: هي التكليف بالأوامر والنواهي، والمعنى أنّها لعظمة شأنها بحيث لو عرضت على هذه الأجرام العظام وكانت ذا شعور وإدراك ﴿فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ﴾ مع ضعف بنيته ورخاوة قوّته لا جرم فإنَّ الراعي لها بخير الدارين ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا﴾ حيث لم يراع حقّها ﴿جَهُولٗا﴾ بكنه عاقبتها. وقيل: المراد الطاعة الّتي تعمُّ الاختياريّة والطبيعيّة، وعرضها: استدعاؤها الّذي يعمُّ طلب الفعل من المختار وإرادة صدوره من غيره، وبحملها الخيانة فيها والامتناع عن أدائها. والظلم والجهالة: الخيانة والتقصير. وقيل: إنّه تعالى لمّا خلق هذه الأجرام خلق فيها فهماً وقال لها: إنّي فرضت فريضةً وناراً لمن عصاني، فقلن: نحن مسخّرات على ما خلقنا لا نحتمل فريضة، ولا نبغي ثواباً ولا عقاباً؛ ولمّا خلق آدم عرض عليه مثل ذلك فحمله، وكان ظلوماً لنفسه بتحمّل ما يشقُّ عليها، جهولاً بوخامة عاقبته وقيل: المراد بالأمانة العقل أو التكليف، وبعرضها عليهنَّ اعتبارها بالإضافة إلى استعدادهنَّ، وبإبائهنَّ الإباء الطبيعيّ الّذي هو عدم اللّياقة والاستعداد وبحمل الإنسان قابليّته واستعداده لها، وكونه ظلوماً جهولاً لما غلب عليه من القوّة الغضبيّة والشهويّة[1]، وقد ورد في بعض الروايات أنَّ المراد بها الخلافة والمراد بالإنسان أبوبكر، وسيأتي شرحها في أبواب الآيات النازلة في أمير المؤمنين عليه السلام.

١ - ع: أبي، عن أحمد بن إدريس، عن الحسين بن عبيد الله، عن الحسن بن عليّ بن أبي عثمان، عن عبد الكريم بن عبيد الله، عن سلمة بن عطا، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: خرج الحسين بن عليّ عليه السلام على أصحابه فقال: أيّها الناس! إنَّ الله جلَّ ذكره ما خلق العباد إلّا ليعرفوه، فإذا عرفوه عبدوه، فإذا عبدوه استغنوا بعبادته عن عبادة ما سواه فقال له رجل: يابن رسول الله بأبي أنت وأمّي فما معرفة الله؟ قال: معرفة أهل كلّ زمان إمامهم الّذي يجب عليهم طاعته.

قال الصدوق رحمه الله: يعني بذلك أنَّ يعلم أهل كلّ زمان أنَّ الله هو الّذي لا يخلّيهم في كلّ زمان من إمام معصوم، فمن عبد ربّاً لم يقم لهم الحجّة فإنّما عبد غير الله عزّ وجلّ[2].

بيان: يحتمل أنَّ يكون المراد أنَّ معرفة الله تعالى إنّما ينفع مع سائر العقائد الّتي منها معرفة الإمام، أو أنَّ معرفة الله إنّما يحصل من معرفة الإمام، إذ هو السبيل إلى معرفته تعالى.

٢ - ع: الطالقانيّ، عن عبد العزيز بن يحيى الجلوديّ، عن محمّد بن زكريّا الجوهريّ، عن جعفر بن محمّد بن عمارة، عن أبيه قال: سألت الصادق جعفر بن محمّد عليه السلام فقلت له: لمَ خلق الله الخلق؟ فقال: إنّ الله تبارك وتعالى لم يخلق خلقه عبثاً ولم يتركهم سدىً، بل خلقهم لإظهار قدرته، وليكلّفهم طاعته فيستوجبوا بذلك رضوانه، وما خلقهم ليجلب منهم منفعةً، ولا ليدفع بهم مضرّةً بل خلقهم لينفعهم ويوصلهم إلى نعيم الأبد[3].

---

(١) تفسير البيضاوي، ج ٣ ص ٣٩٥.
(٢) علل الشرائع، ج ١ ص ١٩ باب ٩ ح ١.
(٣) علل الشرائع، ج ١ ص ١٩ باب ٩ ح ٣.

٣ - ع: أبي، عن الحميريّ، عن هارون، عن ابن زياد قال: قال رجل لجعفر بن محمّد عليه السلام: يا أبا عبد الله إنّا خلقنا للعجب! قال: وما ذاك لله أنت؟ قال: خلقنا للفناء! فقال: مه يابن أخ! خلقنا للبقاء، وكيف تفنى جنّة لا تبيد ونار لا تخمد؟ ولكن قل: إنّما نتحوّل من دار إلى دار[١].

٤ - ع: الحسين بن يحيى بن ضريس البجليّ، عن أبيه، عن محمّد بن عمارة السكّريّ عن إبراهيم بن عاصم، عن عبد الله بن هارون الكرخيّ، عن أحمد بن عبد الله بن يزيد بن سلام بن عبد الله مولى رسول الله صلى الله عليه وآله، عن أبيه عبد الله، عن أبيه يزيد، عن أبيه سلام بن عبد الله أخي عبد الله بن سلام، عن عبد الله بن سلام مولى رسول الله صلى الله عليه وآله قال: في صحف موسى ابن عمران عليه السلام: يا عبادي إنّي لم أخلق الخلق لأستكثر بهم من قلّة، ولا لآنس بهم من وحشة، ولا لأستعين بهم على شيء عجزت عنه، ولا لجرّ منفعة ولا لدفع مضرّة، ولو أنّ جميع خلقي من أهل السماوات والأرض اجتمعوا على طاعتي وعبادتي لا يفترون عن ذلك ليلاً ولا نهاراً ما زاد ذلك في ملكي شيئاً، سبحاني وتعاليت عن ذلك[٢].

٥ - ع: السنانيّ، عن محمّد الأسديّ، عن النخعيّ، عن النوفليّ، عن علي بن سالم عن أبيه، عن أبي بصير قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قوله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ قال: خلقهم ليأمرهم بالعبادة، قال: وسألته عن قوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾[٣] قال: خلقهم ليفعلوا ما يستوجبون به رحمته فيرحمهم[٤].

بيان: قال الطبرسيّ رحمه الله في قوله تعالى: ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ أي لم أخلق الجنّ والإنس إلاّ لعبادتهم إيّاي فإذا عبدوني استحقّوا الثواب. وقيل: إلاّ لآمرهم وأنهاهم وأطلب منهم العبادة، واللاّم لام الغرض، والمراد أنّ الغرض في خلقهم تعريض الثواب، وذلك لا يحصل إلاّ بأداء العبادات، فصار كأنّه سبحانه خلقهم للعبادة، ثمّ إنّه إذا لم يعبده قوم لم يبطل الغرض، ويكون كمن هيّأ طعاماً لقوم ودعاهم ليأكلوه فحضروا ولم يأكله بعضهم، فإنّه لا ينسب إلى السفه ويصحّ غرضه، فإنّ الأكل موقوف على اختيار الغير، وكذلك المسألة فإنّ الله إذا أزاح علل المكلّفين من القدرة والآلة والألطاف وأمرهم بعبادته فمن خالف فقد أُتي من قبل نفسه لا من قبله سبحانه. وقيل: معناه: إلاّ ليقرّوا بالعبوديّة طوعاً وكرهاً. ثمّ قال تعالى: ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾ لنفي إيهام أن يكون ذلك لعائدة نفع تعود إليه تعالى فبيّن أنّه لعائدة النفع على الخلق دونه تعالى لأنّه غنيّ بنفسه، غير محتاج إلى غيره، وكلّ الخلق محتاجون إليه. وقيل: معناه: ما أريد أن يرزقوا أحداً من خلقي، وإنّما أسند الطعام

---

(١) - (٢) علل الشرائع، ج ١ ص ٢٢ باب ٩ ح ٥ و٩.

(٣) سورة هود، الآيتان: ١١٨ و١١٩. (٤) علل الشرائع، ج ١ ص ٢٤ باب ٩ ح ١٠.

إلى نفسه لأنّ الخلق كلّهم عيال الله، ومن أطعم عيال أحد فقد أطعمه[١].

٦ - ع: ابن الوليد، عن الصفّار، عن البرقيّ، عن عبد الله بن أحمد النهيكيّ، عن عليّ بن الحسن الطاطريّ، عن درست، عن جميل قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك ما معنى قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾؟ فقال: خلقهم للعبادة[٢].

٧ - ع: ابن المتوكّل، عن السعد آباديّ، عن البرقيّ، عن الحسن بن فضّال، عن ثعلبة، عن جميل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ قال: خلقهم للعبادة، قلت: خاصّة أم عامّة؟ قال: لا بل عامّة[٣].

بيان: لمّا توهّم الراوي أنّ معنى الآية أنّ الغرض من الخلق حصول نفس العبادة فيلزم تخلّف الغرض في الكفّار، فلهذا سأل ثانياً أنّ هذا خاصّ بالمؤمنين، أو عامّ لجميع الخلق؟ فأجاب عليه السلام بأنّه عامّ، إذ الغرض التكليف بالعبادة وقد حصل من الجميع.

٨ - ع: أبي، عن سعد، عن ابن يزيد، عن ابن أبي عمير، عن حفص بن البختريّ قال: إنّما جعلت العاهات في أهل الحاجة لئلّا يستتروا ولو جعلت في الأغنياء لسترت[٤].

٩ - لي: العطّار، عن سعد، عن النهديّ، عن ابن محبوب، عن سماعة، عن الصادق جعفر بن محمّد عليه السلام أنّه قال: إنّ العبد إذا كثرت ذنوبه ولم يجد ما يكفّرها به ابتلاه الله عزّ وجلّ بالحزن في الدنيا ليكفّرها [به]، فإن فعل ذلك به وإلاّ أسقم بدنه ليكفّرها به، فإن فعل ذلك به وإلاّ شدّد عليه عند موته ليكفّرها به، فإن فعل ذلك به وإلاّ عذّبه في قبره ليلقى الله عزّ وجلّ يوم يلقاه وليس شيء يشهد عليه بشيء من ذنوبه[٥].

١٠ - ما: الغضائري، عن عليّ بن محمّد العلويّ، عن الحسن بن عليّ بن صالح، عن الكلينيّ، عن عليّ بن محمّد، عن إسحاق بن إسماعيل النيسابوريّ، عن الصادق، عن آبائه عليهم السلام، عن الحسن بن عليّ عليه السلام قال: إنّ الله عزّ وجلّ بمنّه ورحمته لمّا فرض عليكم الفرائض لم يفرض ذلك عليكم لحاجة منه إليه بل رحمة منه، لا إله إلاّ هو، ليميز الخبيث من الطيّب، وليبتلي ما في صدوركم، وليمحّص ما في قلوبكم، ولتتسابقوا إلى رحمته، ولتتفاضل منازلكم في جنّته[٦]. إلى آخر ما سيأتي في كتاب الامامة.

١١ - نهج: قال أمير المؤمنين عليه السلام في بعض خطبه: بعث رسله بما خصّهم به من وحيه، وجعلهم حجّة له على خلقه، لئلّا تجب الحجّة لهم بترك الإعذار إليهم فدعاهم بلسان

---

(١) مجمع البيان، ج ٩ ص ٢٦٩. (٢) علل الشرائع، ج ١ ص ٢٥ باب ٩ ح ١١.
(٣) علل الشرائع، ج ١ ص ٢٥ باب ٩ ح ١٢. (٤) علل الشرائع، ج ١ ص ١٠٣ باب ٧٦ ح ١.
(٥) أمالي الصدوق، ص ٢٤٢ مجلس ٢٩ ح ٤ وزيادة [به] من المصدر.
(٦) أمالي الطوسي، ص ٦٥٤ مجلس ٣٤ ح ١٣٥٥.

الصدق إلى سبيل الحقّ، إلاّ أنّ الله قد كشف الحقّ لا أنّه جهل ما أخفوه من مصون أسرارهم ومكنون ضمائرهم، ولكن ليبلوهم أيّهم أحسن عملاً، فيكون الثواب جزاءاً والعقاب بواءاً[١].

بيان: قال في النهاية: الجراحات بواء أي سواء في القصاص، ومنه حديث عليّ عليه السلام: والعقاب بواء؛ وأصل البوء: اللّزوم.

١٢ - **ل:** أبي، عن الحميريّ، عن هارون، عن ابن زياد، عن جعفر بن محمّد، عن أبيه عليهما السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لولا ثلاث في ابن آدم ما طأطأ رأسه شيء: المرض، والفقر، والموت، وكلّهم فيه وإنّه معهم لوثّاب[٢].

١٣ - **ج:** وروي أنّه اتّصل بأمير المؤمنين عليه السلام أنّ قوماً من أصحابه خاضوا في التعديل والتجوير، فخرج حتّى صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: أيّها الناس! إنّ الله تبارك وتعالى لمّا خلق خلقه أراد أن يكونوا على آداب رفيعة، وأخلاق شريفة، فعلم أنّهم لم يكونوا كذلك إلاّ بأن يعرّفهم ما لهم وما عليهم، والتعريف لا يكون إلاّ بالأمر والنهي، والأمر والنهي لا يجتمعان إلاّ بالوعد والوعيد، والوعد لا يكون إلاّ بالترغيب، والوعيد لا يكون إلاّ بالترهيب، والترغيب لا يكون إلاّ بما تشتهيه أنفسهم وتلذّه أعينهم، والترهيب لا يكون إلاّ بضدّ ذلك، ثمّ خلقهم في داره وأراهم طرفاً من اللّذّات ليستدلّوا به على ما ورائهم من اللّذّات الخالصة الّتي لا يشوبها ألم، ألا وهي الجنّة؛ وأراهم طرفاً من الآلام ليستدلّوا به على ما ورائهم من الآلام الخالصة الّتي لا يشوبها لذّة، ألا وهي النار؛ فمن أجل ذلك ترون نعيم الدنيا مخلوطاً بمحنها، وسرورها ممزوجاً بكدرها وغمومها.

قيل: فحدّث الجاحظ بهذا الحديث فقال: هو جماع الكلام الّذي دوّنه الناس في كتبهم وتحاوروه بينهم. قيل: ثمّ سمع أبو عليّ الجبّائي بذلك فقال: صدق الجاحظ، هذا ما لا يحتمله الزيادة والنقصان[٣].

١٤ - **ج:** روى هشام بن الحكم أنّه سأل الزنديق أبا عبد الله عليه السلام: لأيّ علّة خلق الخلق وهو غير محتاج إليهم ولا مضطرّ إلى خلقهم، ولا يليق به العبث بنا؟ قال: خلقهم لإظهار حكمته، وإنفاذ علمه، وإمضاء تدبيره؛ قال: وكيف لا يقتصر على هذه الدار فيجعلها دار ثوابه ومحبس عقابه؟ قال: إنّ هذه دار بلاء، ومتجر الثواب، ومكتسب الرحمة، ملئت آفات وطبّقت شهوات ليختبر فيها عباده بالطاعة، فلا يكون دار عمل دار جزاء. الخبر[٤].

١٥ - **ما:** جماعة، عن أبي المفضّل، عن عبد الله بن الحسين العلويّ، عن عبد العظيم الحسنيّ، عن أبي جعفر الجواد، عن آبائه عليهم السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: المرض لا

---

(١) نهج البلاغة خطبة رقم ١٤٢ ص ٢٩٢.
(٢) الخصال، ص ١١٣ باب الثلاثة ح ٨٩.
(٣) الاحتجاج، ص ٢٠٧.
(٤) الاحتجاج، ص ٣٣٨.

أجر فيه، ولكنّه لا يدع على العبد ذنباً إلاّ حطّه، وإنّما الأجر في القول باللّسان، والعمل بالجوارح؛ وإنّ الله بكرمه وفضله يدخل العبد بصدق النيّة والسريرة الصالحة الجنّة[1].

١٦ -**ثو:** أبي، عن أحمد بن إدريس، ومحمّد العطّار جميعاً، عن الأشعريّ، عن محمّد ابن حسّان، عن الحسين بن محمّد النوفليّ، عن جعفر بن محمّد، عن محمّد بن عليّ، عن عيسى بن عبد الله العمريّ، عن أبيه، عن جدّه، عن أميرالمؤمنين عليه السلام، في المرض يصيب الصبيّ؟ قال: كفّارة لوالديه[2].

١٧ - **شي:** عن يعقوب بن شعيب[3]، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن قول الله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ قال: خلقهم للعبادة؛ قال: قلت وقوله: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾[4]؟ فقال: نزلت هذه بعد تلك[5].

١٨ -**كشف:** من كتاب الدلائل للحميريّ، عن داود بن أعين قال: تفكّرت في قول الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ قلت: خلقوا للعبادة، ويعصون ويعبدون غيره؛ والله لأسألنّ جعفراً عن هذه الآية؛ فأتيت الباب فجلست أريد الدخول عليه، إذ رفع صوته فقرأ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ثمّ قرأ: ﴿لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾ فعرفت أنّها منسوخة[6].

بيان: هذا الخبر والخبر السابق يدلاّن على أنّ آية ﴿وَمَا خَلَقْتُ﴾ منسوخة، ولعلّ المعنى أنّه على تقدير تسليم دلالتها على ما يزعمون فهي منسوخة بآيات معارضة لما نزلت بعدها، ويكون المراد بالنسخ البداء، أو التخصيص، أو التبيين.

أقول: إقامة البراهين العقليّة على حسن التكليف ووقوع الآلام والأحزان والأمراض ووجوب العوض على الله تعالى فيها، والفرق بين الثواب والعوض موكول إلى مظانّها من الكتب الكلاميّة، والتعرّض لها خروج عن مقصود الكتاب.

١٦ - باب عموم التكاليف

الآيات: المدثر «٧٤»: ﴿يَتَسَآءَلُونَ ۝٤٠ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝٤١ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ۝٤٢ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ۝٤٣﴾.

١ - **شي:** عن البرقيّ، عن بعض أصحابنا، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾[7] قال: هي للمؤمنين خاصّة[8].

---

(١) أمالي الطوسي، ص ٦٠٢ مجلس ٢٧ ح ١٢٤٥.
(٢) ثواب الأعمال، ص ٢٣٠.
(٣) في المصدر: يعقوب بن سعيد.
(٤) سورة هود، الآيتان: ١١٨-١١٩.
(٥) تفسير العياشي، ج ٢ ص ١٧٤ ح ٨٣.
(٦) كشف الغمة، ج ٢ ص ٤١٦.
(٧) سورة البقرة، الآية: ١٨٣.
(٨) تفسير العياشي، ج ١ ص ٩٧ ح ١٧٥.

٢ - **شي:** عن جميل بن درّاج قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ قال: فقال: هذه كلّها تجمع الضلاّل والمنافقين وكلّ من أقرّ بالدعوة الظاهرة(١).

بيان: كون ظاهر الخطاب المصدّر بيا أيّها الّذين آمنوا مختصّاً بالمؤمنين، أو بهم وبالمنافقين والمخالفين لا ينافي شمول التكاليف بدليل آخر لجميع المكلّفين، وقد حقّق ذلك في كتب الأصول وكتب الكلام(٢).

---

(١) تفسير العياشي، ج ١ ص ٩٧ ح ١٧٦.

(٢) الظاهر من الآيات والروايات المباركات والأدلّة العقلية، تعميم التكاليف الفرعيّة لكلّ من أقرّ بالدعوة الظاهريّة من الشهادة بالوحدانية والرسالة، وغيرهم مكلّفون بالأصول أعني الإيمان بالله وبرسوله، ثمّ التكاليف الفرعيّة، كما اختاره الكاشاني في الوافي، وصاحب الحدائق في باب غسل الجنابة، والمحدّث الأمين الأمترآبادي وغيرهم، واحتجّوا بذلك بوجوه ستة عقلية ونقلية. الأول: عدم الدليل على تكليف غيرهم وهو دليل العدم، كما هو المسلّم بينهم، والدليل الذي أقاموا عليل، كما سيجيء إن شاء الله. الثاني: لزوم تكليف ما لا يطاق، إذ تكليف الجاهل بما هو جاهل به تصوّراً وتصديقاً عين تكليف ما لا يطاق، وهو مما منعته الأدلة العقلية والنقلية. والثالث: أنّه لم ينقل أنه صلى الله عليه وآله أمر أحداً ممّن دخل في الإسلام أن يقضي صلاته وصيامه، وأن يغتسل من الجنابة بعد الإسلام، ولو أمر بذلك لنقل لنا. وما روي من أمر النبي صلى الله عليه وآله بالغسل لمن أراد الدخول في الإسلام، فخبر عاميّ. والرابع: اختصاص الخطاب في الآيات القرآنية بالذين آمنوا، وورود يا أيها الناس في بعض - وهو الأقل - يحمل على المؤمنين حمل المطلق على المقيد والعام على الخاص، كما هو القاعدة المسلّمة بينهم قدّس سرّهم. الخامس: الأخبار الدالّة على وجوب طلب العلم على كلّ مسلم فراجع ج١ مكرراً. السادس: الأخبار الدالّة على توقّف التكليف على الإقرار والتصديق بالشهادتين: الأولى: ما رواه في الكافي باب معرفة الإمام بسند صحيح بالاتفاق عن زرارة، قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: أخبرني عن معرفة الإمام منكم واجبة على جميع الخلق؟ فقال: إنّ الله عزّ وجلّ بعث محمّداً صلى الله عليه وآله إلى الناس أجمعين رسولاً وحجّة لله على جميع خلقه في أرضه، فمن آمن بالله وبمحمّد رسول الله صلى الله عليه وآله، واتبعه وصدّقه، فإنّ معرفة الإمام منّا واجبة عليه. ومن لم يؤمن بالله وبرسوله ولم يتبعه ولم يصدّقه ويعرف حقّهما، فكيف يجب عليه معرفة الإمام وهو لا يؤمن بالله ورسوله ويعرف حقهما؛ الخبر. وهذا كما ترى صريح الدلالة في أنه متى لم تجب معرفة الإمام قبل الإيمان بالله وبرسوله، فبطريق أولى معرفة سائر الفروع التي هي متلقّاة من الإمام عليه السلام. قال المحدث الكاشاني في الوافي في شرح هذه الصحيحة بالاتفاق: وفي هذا الحديث دلالة على أن الكفّار ليسوا مكلّفين بشرائع الإسلام كما هو الحق خلافاً لما اشتهر بين متأخري أصحابنا؛ انتهى. الثاني: ما عن الإحتجاج عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في حديث الزنديق الذي جاء مستدلاً بآيات اشبهت عليه، قال عليه السلام: فكان أول ما قيدهم به الاقرار بالوحدانية والربوبية وشهادة أن لا إله إلا الله، فلمّا أقروا بذلك تلاه بالإقرار لنبيّه صلى الله عليه وآله بالنبوة والشهادة بالرسالة. فلما انقادوا لذلك، فرض عليهم الصلاة ثمّ الصوم ثمّ الحج؛=

٣ - نهج: قال أمير المؤمنين عليه السلام: اعلموا أنّه لن يرضى عنكم بشيء سخطه على من

= الحديث. الثالث: ما رواه القمي في تفسيره في سورة السجدة مسنداً عن أبان بن تغلب قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: يا أبان! أترى أنّ الله عزّ وجلّ طلب من المشركين زكاة أموالهم وهم يشركون به، حيث يقول: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ۝﴾؟ قلت له: كيف ذاك جعلت فداك، فسّره لي؟ فقال: ويل للمشركين الذين أشركوا بالإمام الأوّل وهم بالأئمة الآخرين كافرون. يا أبان إنّما دعا الله العباد إلى الإيمان به، فإذا آمنوا بالله وبرسوله افترض عليهم الفرائض. قال الكاشاني في تفسير الصافي بعد نقل هذه الرواية: هذا الحديث يدلّ على ما هو التحقيق عندي من أنّ الكفار غير مكلّفين بالأحكام الشرعية ما داموا باقين على الكفر؛ إنتهى. قال العلامة المجلسي بعد نقل هذه الرواية: ويدلّ الخبر على أنّ المشركين بالله غير مكلّفين بالفروع، والمخالفين مكلّفون بها، وهو خلاف المشهور. الرابع: ما رواه العياشي في تفسيره، عن بريد العجلي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ﴾؛ إلى أن قال: ثمّ قال للناس: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فجمع المؤمنين إلى يوم القيامة: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ إيّانا عنى خاصّة، فإن خفتم تنازعاً في الأمر فارجعوا إلى الله وإلى الرسول وأولي الأمر منكم. هكذا نزلت وكيف يأمرهم بطاعة أولي الأمر ويرخص لهم في منازعتهم؟! إنما قيل ذلك للمأمورين الذين قيل لهم: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾. قال العلامة المجلسي في البحار ج٢٣، ورواه الكافي مفرّقاً على الأبواب. أقول: وهذه الوجوه الستة مع الروايات الأربعة استدلّ بها في الحدائق، ونزيدك عليها: ما رواه العياشي، عن جميل بن دراج قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن إبليس أكان من الملائكة؛ إلى أن قال: فقال له: جعلت فداك، قول الله عزّ وجلّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ في غير مكان في مخاطبة المؤمنين، أيدخل في هذه المنافقون؟ قال: نعم، يدخل في هذه المنافقون والضلال وكلّ من أقرّ بالدعوة الظاهرة؛ الكافي مسنداً عن جميل مثله؛ ج٦٠ وج١١. الكافي: الصحيح، عن جميل قال: كان الطيّار يقول لي: إبليس ليس من الملائكة؛ إلى أن قال: فدخلت أنا وهو على أبي عبد الله عليه السلام قال: فأحسن والله في المسألة، فقال: جعلت فداك أرأيت ما ندب الله إليه المؤمنين من قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أدخل في ذلك المنافقون معهم؟ قال: نعم، والضلال وكلّ من أقرّ بالدعوة الظاهرة، وكان إبليس ممّن أقرّ بالدعوة الظاهرة معهم. تفسير العيّاشي: عن إسحاق بن عمار قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ قال: هي الفطرة التي افترض الله على المؤمنين. الهداية: للصدوق قال: قال الصادق عليه السلام: الفطرة واجبة على كلّ مسلم؛ الخبر. الدعائم: عن أبي جعفر محمّد بن علي عليه السلام أنه سئل عن زكاة الفطر، قال: هي الزكاة التي فرضها الله عزّ وجلّ على جميع المؤمنين مع الصلاة بقوله: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾. تفسير العياشي: عن البرقي، عن بعض أصحابنا، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ قال: هي للمؤمنين خاصّة. تفسير العيّاشي: عن جميل بن درّاج قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ﴾، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ قال: فقال: هذه كلّها تجمع الضلال والمنافقين وكلّ من أقرّ بالدعوة الظاهرة. تفسير العيّاشي: عن محمّد بن خالد البرقي، عن بعض أصحابه، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله: =

كان قبلكم، ولن يسخط عليكم بشيء رضيه ممّن كان قبلكم، وإنّما تسيرون في أثر بيّن، وتتكلّمون برجع قول قد قاله الرجال من قبلكم[1].

١٧ - باب أن الملائكة يكتبون أعمال العباد

الآيات: الأنعام «٦»: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ «٦١».

يونس «١٠»: ﴿إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾ «٢١».

الرعد «١٣»: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ «١١».

مريم «١٩»: ﴿كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ﴾ «٧٩».

الأنبياء «٢١»: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ﴾ «٩٤».

المؤمنون «٢٣»: ﴿وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ «٦٢».

يس «٣٦»: ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ﴾ «١٢».

الزخرف «٤٣»: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ «٨٠».

الجاثية «٤٥»: ﴿كُلُّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾ «٢٨ - ٢٩».

ق «٥٠»: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾.

القمر «٥٤»: ﴿وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾﴾.

التكوير «٨١»: ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ «١٠».

الانفطار «٨٢»: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾.

الطارق «٨٦»: ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ «٤».

= ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ﴾ أهي لجماعة المسلمين؟ قال: هي للمؤمنين خاصة. الكافي: عن محمّد بن حفص بن خارجة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول؛ إلى أن قال: والأحكام تجري على القول والعمل فما أكثر من يشهد له المؤمنون بالإيمان ويجري عليه أحكام المؤمنين وهو عند الله كافر. وقد أصاب من أجرى عليه أحكام المؤمنين بظاهر قوله وعمله. وفي مسائل الجاثليق عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: فما الثلاثون؟ قال: ثلاثون ليلة من شهر رمضان صيامه فرض واجب على كل مؤمن إلا من كان مريضاً أو على سفر. واحتجّ العلامة في المنتهى على ما حكاه في الحدائق بآيات غير تامّة الدلالة مخدوشة بما عرفت، فإنّ المطلقات مقيّدات بغيرها وورود الروايات فيها على تفسير بخلاف ما يتراءى في بدء النظر منها فلا يجوز الاستدلال بآية مفسرة في الروايات بخلاف ظاهرها، فراجع إلى الحدائق وإلى عوائد الأيام ص٩٤. [مستدرك السفينة ج ٩ لغة «كلف»].

(١) نهج البلاغة خطبة رقم ١٨١ ص ٣٧١.

تفسير: قال الطبرسيّ رحمه الله: ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ أي ملائكة يحفظون أعمالكم، ويحصونها عليكم ويكتبونها[١]؛ وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ رُسُلَنَا﴾: يعني الملائكة الحفظة[٢].

وفي قوله تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ﴾: قيل: إنّها الملائكة يتعاقبون، تعقب ملائكة اللّيل ملائكة النهار وملائكة النهار ملائكة اللّيل، وهم الحفظة يحفظون على العبد عمله. وقيل: هم أربعة أملاك مجتمعون عند صلاة الفجر، وروي ذلك أيضاً عن أئمّتنا عليهم السلام؛ وقيل: إنّهم ملائكة يحفظونه من المهالك حتّى ينتهوا به إلى المقادير[٣].

وفي قوله تعالى: ﴿كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ﴾: أي سنأمر الحفظة بإثباته عليه لنجازيه به في الآخرة[٤]؛ وفي قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ﴾ أي نأمر ملائكتنا أن يكتبوا ذلك فلا يضيع منه شيء. وقيل: أي ضامنون جزاءه[٥]؛ وفي قوله تعالى: ﴿وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ﴾ يريد صحائف الأعمال[٦]؛ وفي قوله تعالى: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ﴾ إذ متعلقة بقوله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ أي ونحن أعلم به وأملك له حين يتلقّى المتلقّيان، وهما الملكان يأخذان منه عمله فيكتبانه كما يكتب المملى عليه ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ أراد: عن اليمين قعيد، وعن الشمال قعيد، فاكتفى بأحدهما عن الآخر؛ والمراد بالقعيد هنا الملازم الّذي لا يبرح، لا القاعد الّذي هو ضد القائم. وقيل: عن اليمين كاتب الحسنات، وعن الشمال كاتب السيّئات. وقيل: الحفظة أربعة: ملكان بالنهار، وملكان باللّيل، ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ﴾ أي ما يتكلّم بكلام فيلفظه، أي يرميه من فمه ﴿إِلَّا لَدَيْهِ﴾ حافظ حاضر معه، يعني الملك الموكّل به، إمّا صاحب اليمين، وإمّا صاحب الشمال، يحفظ عمله، لا يغيب عنه. والهاء في لديه تعود إلى القول أو إلى القائل. وعن أبي أمامة عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: إنّ صاحب الشمال ليرفع القلم ستّ ساعات عن العبد المسلم المخطئ أو المسيء، فإن ندم واستغفر الله منها ألقاها وإلاّ كتب واحدة.

وفي رواية أُخرى: إنّ صاحب اليمين أمير على صاحب الشمال، فإذا عمل حسنة كتبها له صاحب اليمين بعشر أمثالها، وإذا عمل سيّئة فأراد صاحب الشمال أن يكتبها قال له صاحب اليمين: أمسك، فيمسك عنه سبع ساعات، فإن استغفر الله منها لم يكتب عليه شيء وإن لم يستغفر الله كتبت له سيّئة واحدة[٧].

وقال في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾ أي من الملائكة يحفظون عليكم ما تعملون من الطاعات والمعاصي، ثمّ وصف الحفظة فقال: ﴿كِرَامًا﴾ على ربّهم ﴿كَاتِبِينَ﴾ يكتبون

(١) مجمع البيان، ج ٤ ص ٧٤.
(٢) مجمع البيان، ج ٥ ص ١٧٣.
(٣) مجمع البيان، ج ٦ ص ١٨.
(٤) مجمع البيان، ج ٦ ص ٤٤٨.
(٥) مجمع البيان، ج ٧ ص ١١٢.
(٦) مجمع البيان، ج ٧ ص ١٩٨.
(٧) مجمع البيان، ج ٩ ص ٢٤٠.

أعمال بني آدم يعلمون ما تفعلون من خير وشرّ فيكتبونه عليكم لا يخفى عليهم من ذلك شيء. وقيل إنَّ الملائكة تعلم ما يفعله العبد إمّا باضطرار وإمّا باستدلال. وقيل: معناه: يعلمون ما تفعلون من الظاهر دون الباطن[(١)].

١ - **كا:** عدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن يحيى بن المبارك، عن عبد الله بن جبلة، عن إسحاق بن عمّار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنَّ المؤمنين إذا قعدا يتحدّثان قالت الحفظة بعضها لبعض: اعتزلوا بنا فلعلّ لهما سرّاً وقد ستر الله عليهما؛ فقلت: أليس الله عزّ وجلّ يقول: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾؟ فقال: يا إسحاق إن كانت الحفظة لا تسمع فإنَّ عالم السرّ يسمع ويرى[(٢)].

٢ - **كا:** عليّ بن محمّد، عن سهل بن زياد، عن أحمد بن محمّد بن أبي نصر، عن عبد الرحمن بن سالم، عن إسحاق بن عمّار قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أخبرني بأفضل المواقيت في صلاة الفجر، فقال: مع طلوع الفجر إنَّ الله تعالى يقول: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾[(٣)] يعني صلاة الفجر تشهده ملائكة اللّيل وملائكة النهار، فإذا صلّى العبد الصبح مع طلوع الفجر أُثبتت له مرّتين، أثبتها ملائكة اللّيل وملائكة النهار[(٤)].

٣ - **نهج:** اعلموا عباد الله أنَّ عليكم رصداً من أنفسكم، وعيوناً من جوارحكم، وحفّاظ صدق يحفظون أعمالكم وعدد أنفاسكم، لا تستركم منهم ظلمة ليل داج، ولا يكنّكم منهم باب ذو رتاج[(٥)].

بيان: الرصد بالتحريك القوم يرصدون. والرتاج بالكسر: الغلق.

٤ - **ين:** الحسين بن علوان، عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألته عن موضع الملكين من الإنسان، قال: ههنا واحد، وههنا واحد. يعني عند شدقيه[(٦)].

٥ - **ين:** ابن أبي عمير، عن محمّد بن حمران، عن زرارة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ما من أحد إلاّ ومعه ملكان يكتبان ما يلفظه، ثمَّ يرفعان ذلك إلى ملكين فوقهما فيثبتان ما كان من خير وشرّ ويلقيان ما سوى ذلك[(٧)].

٦ - **ين:** حمّاد، عن حريز، وإبراهيم بن عمر، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: لا يكتب الملكان إلاّ ما نطق به العبد[(٨)].

٧ - **ين:** حمّاد، عن حريز، عن زرارة، عن أحدهما عليهما السلام قال: لا يكتب الملك إلاّ ما

---

(١) مجمع البيان، ج ١٠ ص ٢٨٦.
(٢) أصول الكافي، ج ٢ ص ٤٣٠ باب المصافحة ح ١٤.
(٣) سورة الإسراء، الآية: ٧٨.
(٤) فروع الكافي، ج ٣ ص ١٤٤ باب ١٧٣ ح ٢.
(٥) نهج البلاغة، ص ٣١٦ خطبة ١٥٥.
(٦) - (٨) كتاب الزهد، ص ١٢١ باب ٩ ح ١-٣.

يسمع قال الله عزّوجلّ: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾[(١)] قال: لا يعلم ثواب ذلك الذكر في نفس العبد غير الله تعالى[(٢)].

٨ - **ين:** النضر، عن حسين بن موسى، عن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنَّ في الهواء ملكاً يقال له: إسماعيل على ثلاثمائة ألف ملك، كلٌّ واحد منهم على مائة ألف، يحصون أعمال العباد، فإذا كان رأس السنة بعث الله إليهم ملكاً يقال له: السجلّ فانتسخ ذلك منهم، وهو قول الله تبارك وتعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾[(٣)].

٩ - **ين:** النضر، عن عاصم بن حميد، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ قال: هما الملكان. وسألته عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ﴾ قال: هو الملك الّذي يحفظ عليه عمله. وسألته عن قول الله عزّوجلّ: ﴿قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ﴾ قال: هو شيطان[(٤)].

١٠ - **ج:** سأل الزنديق الصادق عليه السلام: ما علّة الملائكة الموكّلين بعباده يكتبون عليهم ولهم، والله عالم السرّ وما هو أخفى؟ قال: استعبدهم بذلك وجعلهم شهوداً على خلقه ليكون العباد لملازمتهم إيّاهم أشدّ على طاعة الله مواظبةً، وعن معصيته أشدّ انقباضاً، وكم من عبد يهمُّ بمعصية فذكر مكانها فارعوى وكفَّ، فيقول: ربّي يراني، وحفظتي بذلك تشهد، وإنَّ الله برأفته ولطفه أيضاً وكلهم بعباده يذبّون عنهم مردة الشياطين، وهوامَّ الأرض، وآفات كثيرة من حيث لا يرون بإذن الله إلى أن يجيء أمر الله عزّوجلّ[(٥)].

١١ - **أقول:** روي في كتاب قضاء الحقوق وثواب الأعمال ورجال الكشّي بأسانيدهم عن إسحاق بن عمّار قال: لمّا كثر مالي أجلست على بابي بوّاباً يردّ عنّي فقراء الشيعة، فخرجت إلى مكّة في تلك السنة فسلّمت على أبي عبد الله عليه السلام، فردّ عليّ بوجه قاطب مزورّ، فقلت له: جعلت فداك ما الّذي غيّر حالي عندك؟ قال: تغيّرك على المؤمنين، فقلت: جعلت فداك والله إنّي لأعلم أنّهم على دين الله ولكن خشيت الشهرة على نفسي، فقال: يا إسحاق أما علمت أنَّ المؤمنين إذا التقيا فتصافحا أنزل الله بين إبهاميهما مائة رحمة، تسعة وتسعين لأشدّهما حبّاً، فإذا اعتنقا غمرتهما الرحمة، فإذا لبثا لا يريدان بذلك إلاّ وجه الله تعالى قيل لهما: غفر لكما؛ فإذا جلسا يتساءلان قالت الحفظة بعضها لبعض: اعتزلوا بنا عنهما فإنَّ لهما سرّاً وقد ستره الله عليهما؛ قال قلت: جعلت فداك فلا تسمع الحفظة قولهما ولا تكتبه وقد قال تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾؟ قال: فنكس رأسه طويلاً ثمّ رفعه وقد فاضت دموعه على لحيته، وقال: إن كانت الحفظة لا تسمعه ولا تكتبه فقد سمعه عالم السرّ

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٥.

(٢) - (٤) كتاب الزهد، ص ١٢٢ باب ٩ ح ٤ - ٦.

(٢) الاحتجاج، ص ٣٤٨.

وأخفى، يا إسحاق خف الله كأنّك تراه، فإن كنت لا تراه فإنّه يراك، فإن شككت أنّه يراك فقد كفرت وإن أيقنت أنّه يراك ثمّ بارزته بالمعصية فقد جعلته أهون الناظرين إليك[١].

١٢ - **سعد السعود**: رواه من كتاب قصص القرآن للهيصم بن محمّد النيسابوريّ قال: دخل عثمان على رسول الله ﷺ فقال: أخبرني عن العبد كم معه من ملك؟ قال: ملك على يمينك على حسناتك، وواحد على الشمال، فإذا عملت حسنةً كتب عشراً، وإذا عملت سيّئة قال الّذي على الشمال للّذي على اليمين اكتب؟ قال: لعلّه يستغفر ويتوب فإذا قال ثلاثاً قال: نعم أكتب، أراحنا الله منه فبئس القرين، ما أقلّ مراقبته لله عزّوجلّ! . وما أقلّ استحياءه منه! يقول الله: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ وملكان بين يديك ومن خلفك يقول الله سبحانه: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ﴾ وملك قابض على ناصيتك، فإذا تواضعت لله رفعك، وإذا تجبّرت على الله وضعك وفضحك، وملكان على شفتيك ليس يحفظان إلاّ الصلاة على محمّد ﷺ، وملك قائم على فيك لا يدع أن تدخل الحيّة في فيك، وملكان على عينيك، فهذه عشرة أملاك على كلّ آدميّ، وملائكة اللّيل سوى ملائكة النهار، فهؤلاء عشرون ملكاً على كلّ آدميّ، وإبليس بالنهار وولده باللّيل، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ﴾ الآية. وقال عزّوجلّ: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ﴾ الآية.

ثمّ قال السيّد رحمه الله: واعلم أنّ الله عزّوجلّ وكل بكلّ إنسان ملكين يكتبان عليه الخير والشرّ. ووردت الأخبار بأنّه يأتيه ملكان بالنهار وملكان باللّيل، وذلك قوله تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ﴾ لأنّهم يتعاقبون ليلاً ونهاراً، وإنّ ملكي النهار يأتيانه إذا انفجر الصبح فيكتبان ما يعمله إلى غروب الشمس، فإذا غربت نزل إليه الملكان الموكّلان بكتابة اللّيل، ويصعد الملكان الكاتبان بالنهار بديوانه إلى الله عزّوجلّ فلا يزال ذلك دأبهم إلى حضور أجله، فاذا حضر أجله قالا للرجل الصالح: جزاك الله من صاحب عنّا خيراً، فكم من عمل صالح أريتناه، وكم من قول حسن أسمعتناه، وكم من مجلس حسن أحضرتناه، فنحن لك اليوم على ما تحبّه، وشفعاء إلى ربّك؛ وإن كان عاصياً قالا له: جزاك الله من صاحب عنّا شرّاً، فلقد كنت تؤذينا، فكم من عمل سيّئ أريتناه، وكم من قول سيّئ أسمعتناه، وكم من مجلس سوء أحضرتناه، ونحن لك اليوم على ما تكره. وشهيدان عند ربّك[٢].

١٣ - وفي رواية أنّهما إذا أرادا النزول صباحاً ومساءاً نسخ لهما إسرافيل عمل العبد من اللّوح المحفوظ فيعطيهما ذلك، فإذا صعدا صباحاً ومساءاً بديوان العبد قابله إسرافيل بالنسخة الّتي نسخ لهما حتّى يظهر أنّه كان كما نسخ لهما[٣].

١٤ - وعن ابن مسعود أنّه قال: الملكان يكتبان أعمال العلانية في ديوان وأعمال السرّ في ديوان آخر[٤].

---

(١) ثواب الأعمال، ص ١٧٨ مع فارق في اللفظ. (٢) - (٤) سعد السعود، ص ٢٢٥.

١٥ - **كا:** العدّة، عن البرقيّ، عن عثمان بن عيسى، عن سماعة، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ المؤمن ليهمّ بالحسنة ولا يعمل بها فتكتب له حسنة، فإن هو عملها كتبت له عشر حسنات؛ وإن المؤمن ليهمّ بالسيّئة أن يعملها فلا يعملها فلا تكتب عليه(١).

١٦ - **كا:** العدّة عن البرقيّ، عن عليّ بن حفص العوسيّ، عن عليّ بن السائح، عن عبد الله بن موسى بن جعفر، عن أبيه قال: سألته عن الملكين: هل يعلمان بالذنب إذا أراد العبد أنّ يفعله أو الحسنة؟ فقال: ريح الكنيف وريح الطيّب سواء؟ قلت: لا، قال: إن العبد إذا همَّ بالحسنة خرج نفسه طيّب الريح فقال صاحب اليمين لصاحب الشمال: قم فإنّه قد همّ بالحسنة، فإذا فعلها كان لسانه قلمه، وريقه مداده، فأثبتها له؛ وإذا همّ بالسيّئة خرج نفسه منتن الرّيح فيقول صاحب الشمال لصاحب اليمين: قف فإنّه قد همّ بالسيّئة، فإذا هو فعلها كان لسانه قلمه، وريقه مداده، فأثبتها عليه(٢).

١٧ - **كا:** محمّد بن يحيى، عن ابن عيسى، عن عليّ بن الحكم، عن فضيل بن عثمان المراديّ قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أربع من كنّ فيه لم يهلك على الله بعدهنّ إلاّ هالك: يهمّ العبد بالحسنة فيعملها فإن هو لم يعملها كتب الله له حسنة بحسن نيّته، وإن هو عملها كتب الله له عشراً؛ ويهمّ بالسيّئة أن يعملها فإن لم يعملها لم يكتب عليه شيء وإن هو عملها أُجّل سبع ساعات، وقال صاحب الحسنات لصاحب السيّئات وهو صاحب الشمال: لا تعجل عسى أن يتبعها بحسنة تمحوها، فإنّ الله يقول: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَـٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ أو الاستغفار، فإن هو قال: «أستغفر الله الّذي لا إله إلاّ هو، عالم الغيب والشهادة، العزيز الحكيم، الغفور الرحيم ذو الجلال والإكرام وأتوب إليه» لم يكتب عليه شيء، وإن مضت سبع ساعات ولم يتبعها بحسنة ولا استغفار قال صاحب الحسنات لصاحب السيّئات: اكتب على الشقيّ المحروم(٣).

١٨ - **نهج:** قال أمير المؤمنين عليه السلام: فاتّقوا الله الّذي أنتم بعينه، ونواصيكم بيده، وتقلّبكم في قبضته، إنّ أسررتم علمه، وإن أعلنتم كتبه، وقد وكل بذلك حفظة كراماً، لا يسقطون حقّاً ولا يثبتون باطلاً(٤).

١٩ - **يب:** محمّد بن عليّ بن محبوب، عن اليقطينيّ، عن الحسن بن عليّ، عن إبراهيم ابن عبد الحميد قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان إذا أراد قضاء الحاجة وقف على باب المذهب ثمّ التفت يميناً وشمالاً إلى ملكيه فيقول أميطا عنّي فلكما الله عليّ أن لا أحدث حدثاً حتّى أخرج إليكما(٥).

٢٠ - **ين:** ابن المغيرة، عن جميل بن درّاج، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا همّ العبد

---

(١) - (٣) اصول الكافي، ج ٢ ص ٥٤٧ باب من يهم بالحسنة ح ٢ وح ٣ وح ٤.
(٤) نهج البلاغة، ص ٣٧٢ خطبة ١٨١.
(٥) تهذيب الأحكام، ص ١٨٨ باب ١٥ ح ٣.

بسيّئة لم تكتب عليه، وإذا همّ بحسنة كتبت له[1].

٢١ - عد: اعتقادنا أنّه ما من عبد إلاّ وملكان موكّلان به يكتبان جميع أعماله، ومن همّ بحسنة ولم يعملها كتب له حسنة، فإن عملها كتب له عشر، فإن همّ بسيّئة لم تكتب حتّى يعملها، فإن عملها كتب عليه سيّئةٌ واحدةٌ، والملكان يكتبان على العبد كلّ شيء حتّى النفخ في الرماد، قال الله عزّوجلّ : ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾.

ومرّ أمير المؤمنين عليه السلام برجل وهو يتكلّم بفضول الكلام فقال: يا هذا، إنّك تملي على كاتبيك كتاباً إلى ربّك فتكلّم بما يعنيك ودع ما لا يعنيك[2].

٢٢ - وقال عليه السلام : لا يزال الرجل المسلم يكتب محسناً ما دام ساكتاً فإذا تكلّم كتب إمّا محسناً أو مسيئاً، وموضع الملكين من ابن آدم الشدقان، صاحب اليمين يكتب الحسنات، وصاحب الشمال يكتب السيّئات، وملكا النهار يكتبان عمل العبد بالنهار، وملكا اللّيل يكتبان عمل العبد في اللّيل[3].

٢٣ - وروى الصدوق رحمه الله في كتاب فضائل الشيعة: عن أبيه، عن سعد، عن عبّاد بن سليمان، عن سدير الصيرفيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: دخلت عليه وعنده أبوبصير وميسر وعدّة من جلسائه، فلمّا أن أخذت مجلسي أقبل عليّ بوجهه، وقال: ياسدير أما إنّ وليّنا ليعبد الله قائماً وقاعداً ونائماً وحيّاً وميّتاً؛ قال: قلت جعلت فداك: أمّا عبادته قائماً وقاعداً وحيّاً فقد عرفنا، فكيف يعبدالله نائماً وميّتاً؟ قال: إنّ ولينا ليضع رأسه فيرقد فإذا كان وقت الصلاة وكل به ملكين خلقا في الأرض لم يصعدا إلى السماء ولم يريا ملكوتهما، فيصلّيان عنده حتّى ينتبه فيكتب الله ثواب صلاتهما له، والركعة من صلاتهما تعدل ألف صلاة من صلاة الآدميّين؛ وإنّ وليّنا ليقبضه الله إليه فيصعد ملكاه إلى السماء فيقولان: يا ربّنا عبدك فلان بن فلان انقطع واستوفى أجله، ولأنت أعلم منّا بذلك، فأذن لنا نعبدك في آفاق سمائك وأطراف أرضك؛ قال: فيوحي الله إليهما: إنّ في سمائي لمن يعبدني وما لي في عبادته من حاجة بل هو أحوج إليها، وإنّ في أرضي لمن يعبدني حقّ عبادتي، وما خلقت خلقاً أحوج إليّ منه فاهبطا إلى قبر وليّي؛ فيقولان: يا ربّنا من هذا يسعد بحبّك إيّاه؛ قال: فيوحي الله إليهما: ذلك من أخذ ميثاقه بمحمّد عبدي ووصيّه وذرّيّتهما بالولاية، اهبطا إلى قبر وليّي فلان بن فلان فصلّيا عنده إلى أن أبعثه في القيامة، قال: فيهبط الملكان فيصلّيان عند القبر إلى أن يبعثه الله فيكتب ثواب صلاتهما له، والركعة من صلاتهما تعدل ألف صلاة من صلاة الآدميّين، قال سدير: جعلت فداك يابن رسول الله فإذا وليكم نائماً وميّتاً أعبد منه حيّاً وقائماً؟ قال: فقال: هيهات يا سدير إنّ وليّنا ليؤمن على الله عزّوجلّ يوم القيامة فيجيز أمانه[4].

---

(١) كتاب الزهد، ص ١٤١ باب ١٢ ح ٨. (٢) - (٣) اعتقادات الصدوق، ص ٨٦.
(٤) فضائل الشيعة للصدوق، ص ٦٥ ح ٢٣.

٢٤ - **ما**: جماعة عن أبي المفضّل، عن أحمد بن محمّد بن إسحاق العلويّ العريضيّ، عن محمّد بن إسماعيل بن إبراهيم بن موسى بن جعفر، عن عمّيه عليّ والحسين ابني موسى، عن أبيهما موسى بن جعفر، عن آبائه، عن عليّ عليه السلام عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: يوحي الله عزّ وجلّ إلى الحفظة الكرام: لا تكتبوا على عبدي المؤمن عند ضجره شيئاً[١].

أقول: الأخبار الدالة على الكاتبين مبثوثة في الابواب السابقة واللاّحقة وفيما ذكرناه هنا كفاية.

٢٥ - محاسبة النفس: للسيّد عليّ بن طاووس قدّس الله روحه: من أمالي المفيد بإسناده إلى عليّ بن الحسين عليه السلام قال: إنّ الملك الموكّل على العبد يكتب في صحيفة أعماله، فأملوا بأوّلها وآخرها خيراً يغفر لكم ما بين ذلك[٢].

٢٦ - ومنه نقلاً من كتاب الدعاء لمحمّد بن الحسن الصفّار بإسناده عن الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: طوبى لمن وجد في صحيفة عمله يوم القيامة تحت كلّ ذنب: أستغفر الله[٣].

٢٧ - ومنه مرسلاً عن الصادق عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: لا تقطعوا نهاركم بكذا وكذا، وفعلنا كذا وكذا، فإنّ معكم حفظة يحصون عليكم وعلينا.

٢٨ - ومنه نقلاً من تبيان شيخ الطائفة في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ قال: روي في الخبر أنّ الأعمال تعرض على النبيّ صلى الله عليه وآله في كلّ اثنين وخميس فيعلمها، وكذلك تعرض على الأئمّة عليهم السلام فيعرفونها وهم المعنيّون بقوله: والمؤمنون[٤].

٢٩ - ومنه نقلاً من كتاب الأزمنة لمحمّد بن عمران المرزبانيّ قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يصوم الاثنين والخميس، فقيل له: لمَ ذلك؟ فقال صلى الله عليه وآله: إنّ الأعمال ترفع في كلّ اثنين وخميس، فأحبّ أن ترفع عملي وأنا صائم[٥].

٣٠ - وبإسناده عن أبي أيّوب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما من اثنين ولا خميس إلاّ ترفع فيه الأعمال إلاّ عمل المقادير[٦].

٣١ - ومنه نقلاً من كتاب التذييل لمحمّد بن النجّار بإسناده إلى الصادق عليه السلام قال: إذا كان يوم الخميس عند العصر أهبط الله عزّ وجلّ ملائكة من السماء إلى الارض، معها صحائف من فضّة، بأيديهم أقلام من ذهب تكتب الصلاة على محمّد وآله إلى غروب الشمس[٧].

٣٢ - ومنه نقلاً من كتب بعض الأصحاب بإسناده إلى عبد الصمد بن عبد الملك قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: آخر خميس من الشهر ترفع فيه الأعمال[٨].

---

(١) أمالي الطوسي، ص ٥٧١ مجلس ٢٢ ح ١١٨٣. (٢) - (٤) محاسبة النفس، ص ٢٢-٢٦.
(٥) - (٨) محاسبة النفس، ص ٣٠-٤٣.

٣٣ - ومنه بإسناده إلى شيخ الطائفة، بإسناده إلى عنبسة العابد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: آخر خميس في الشهر ترفع فيه أعمال الشهر(١).

٣٤ - ومنه نقلاً من كتاب خطب أمير المؤمنين عليه السلام لعبد العزيز الجلوديّ قال: إنّ ابن الكوّاء سأل أمير المؤمنين عن البيت المعمور والسقف المرفوع، قال: ويلك ذلك الضراح بيت في السماء الرابعة حيال الكعبة من لؤلؤة واحدة، يدخله كلّ يوم سبعون ألف ملك، لا يعودون إليه إلى يوم القيامة، فيه كتاب أهل الجنّة عن يمين الباب يكتبون أعمال أهل الجنّة، وفيه كتاب أهل النار عن يسار الباب يكتبون أعمال أهل النار بأقلام سود، فإذا كان وقت العشاء ارتفع الملكان فيسمعون منهما ما عمل الرّجل فذلك قوله تعالى: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾(٢).

٣٥ - ومنه نقلاً من كتاب ابن عمر الزاهد صاحب تغلب قال: أخبرني عطاء، عن الصباحيّ أُستاذ الإماميّة من الشيعة، عن جعفر بن محمّد الصادق، عن آبائه عليهم السلام قالوا: قال أمير المؤمنين عليه السلام: إنّ الملكين يجلسان على ناجذي الرجل، يكتبان خيره وشرّه، ويستمدّان من غريّه وربّما جلسا على الصماغين.

فسمعت تغلباً يقول: الاختيار من هذا كلّه ما قال أمير المؤمنين عليه السلام. قال: الناجذان: النابان، والغران: الشدقان، والصامغان والصماغان - ومن قالهما بالعين فقد صحّفهما -: مجتمعا الريق من الجانبين، وهما اللذان يسمّيهما العامّة الصوارين. وقال: سئل عن قول أمير المؤمنين عليه السلام: نظّفوا الصماغين فإنّهما مقعد الملكين، فقال تغلب: هما الموضع الّذي يجتمع فيه الريق من الإنسان، وهما الّذي يسمّيه العامّة الصوارين(٣).

بيان: روى في النهاية الخبرين عن أمير المؤمنين عليه السلام وقال: النواجذ: هي الّتي تبدو عند الضحك، وقال الغران بالضمّ: الشدقان. وقال: الصماغان: مجتمع الريق في جانبي الشفة. وقيل: هما ملتقى الشدقين، ويقال لهما: الصامغان والصماغان والصواران.

١٨ - باب الوعد والوعيد والحبط والتكفير

الآيات: البقرة «٢»: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ «٢١٧».

آل عمران «٣»: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ «٩»، «وقال تعالى»: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ «٢٢» «وقال»: ﴿إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ «١٩٤».

(١) - (٣) محاسبة النفس ص ٣٠-٤٣.

النساء «٤»: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ «٣١» وقال تعالى»: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ «١٢٣».

الأعراف «٧»: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ «١٤٧».

الأنفال «٨»: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ «٢٩».

التوبة «٩»: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ «١٧» «وقال»: ﴿أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ «٦٩».

الرعد «١٣»: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ ٣١.

الكهف «١٨»: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ «١٠٥».

العنكبوت «٢٩»: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ «٧».

الروم «٣٠»: ﴿وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ «٦» «وقال سبحانه»: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ «٦٠».

الأحزاب «٣٣»: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ «١٢» «وقال تعالى»: ﴿أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ «١٩».

الزمر «٣٩»: ﴿وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ﴾ «٢٠» «وقال تعالى»: ﴿لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ «٣٥».

المؤمن [غافر] «٤٠»: ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ «٧٧».

محمد «٤٧»: ﴿كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ «٢» وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ «٩» «وقال»: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ «٢٨» «وقال»: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ﴾ «٣٢».

الفتح «٤٨»: ﴿وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ «٥».

الحجرات «٤٩»: ﴿وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ «٢».

التغابن «٦٤»: ﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ﴾ «٩».

الطلاق «٦٥»: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ﴾ «٥».

التحريم «٦٦»: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ «٨».

الزلزلة: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨﴾.

تحقيق: اعلم أنّ المشهور بين متكلّمي الإماميّة بطلان الإحباط والتكفير، بل قالوا باشتراط الثواب والعقاب بالموافاة، بمعنى أنّ الثواب على الإيمان مشروط بأن يعلم الله منه أنّه يموت على الإيمان؛ والعقاب على الكفر والفسوق مشروطٌ بأن يعلم الله أنّه لا يسلم ولا يتوب وبذلك أوّلوا الآيات الدالّة على الإحباط والتكفير، وذهبت المعتزلة إلى ثبوت الإحباط والتكفير للآيات والأخبار الدالّة عليهما.

قال شارح المقاصد: لا خلاف في أنَّ من آمن بعد الكفر والمعاصي فهو من أهل الجنّة، بمنزلة من لا معصية له، ومن كفر - نعوذ بالله - بعد الإيمان والعمل الصالح فهو من أهل النار، بمنزلة من لا حسنة له؛ وإنّما الكلام فيمن آمن وعمل صالحاً وآخر سيّئاً كما يشاهد من الناس فعندنا مآله إلى الجنّة ولو بعد النار، واستحقاقه للثواب والعقاب بمقتضى الوعد والوعيد ثابت من غير حبوط، والمشهور من مذهب المعتزلة أنّه من أهل الخلود في النار إذا مات قبل التوبة، فأشكل عليهم الأمر في إيمانه وطاعاته، وما يثبت من استحقاقاته، أين طارت؟ وكيف زالت؟ فقالوا: بحبوط الطاعات، ومالوا إلى أنَّ السيّئات يذهبن الحسنات، حتّى ذهبت الجمهور منهم إلى أنَّ الكبيرة الواحدة تحبط ثواب جميع العبادات. وفساده ظاهر، أمّا سمعاً فللنصوص الدالّة على أنَّ الله تعالى لا يضيع أجر من أحسن عملاً وعمل صالحاً، وأمّا عقلاً فللقطع بأنّه لا يحسن من الحليم الكريم إبطال ثواب إيمان العبد ومواظبته على الطاعات طول العمر بتناول لقمة من الربا، أو جرعة من الخمر. قالوا: الاحباط مصرّح في التنزيل، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ﴾ وقوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ و﴿لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ﴾ قلنا: لا بالمعنى الّذي قصدتم، بل بمعنى أنَّ من عمل عملاً استحقّ به الذمّ، وكان يمكنه أن يعمله على وجه يستحقُّ به المدح والثواب؛ يقال: إنّه أحبط عمله كالصدقة مع المنّ والأذى وبدونها. وأمّا إحباط الطاعات بالكفر بمعنى أنّه لا يثاب عليها البتّة فليس من التنازع في شيء؛ وحين تنبّه أبو عليّ وأبو هاشم لفساد هذا الرأي رجعا من التمادي بعض الرجوع، فقالا: إنّ المعاصي إنّما يحبط الطاعات إذا أوردت عليها، وإن أُوردت الطاعات أحبطت المعاصي، ثمّ ليس النظر إلى أعداد الطاعات والمعاصي بل إلى مقادير الأوزار والأجور، فربَّ كبيرة يغلب وزرها أجر طاعات كثيرة، ولا سبيل إلى ضبط ذلك بل هو مفوّض إلى علم الله تعالى، ثمَّ افترقا فزعم أبو عليّ أنَّ الأقلّ يَسقط ولا يُسقط من الأكثر شيئاً، ويكون سقوط الأقلّ عقاباً إذا كان الساقط ثواباً، وثواباً إذا كان الساقط عقاباً، وهذا هو الإحباط المحض. قال أبو هاشم: الأقلّ يَسقط ويُسقط من الاكثر ما يقابله، مثلاً من له مائة جزء من العقاب واكتسب ألف جزء من الثواب فإنّه يسقط منه العقاب ومائة جزء من الثواب بمقابلته، ويبقى له تسعمائة جزء من الثواب، وكذا العكس، وهذا هو القول بالموازنة انتهى كلامه.

أقول: الحقّ أنّه لا يمكن إنكار سقوط ثواب الإيمان بالكفر اللاّحق الّذي يموت عليه، وكذا سقوط عقاب الكفر بالإيمان اللاّحق الّذي يموت عليه. وقد دلّت الأخبار الكثيرة على أنَّ كثيراً من المعاصي يوجب سقوط ثواب كثير من الطاعات، وأنَّ كثيراً من الطاعات كفّارة لكثير من السيّئات، والأخبار في ذلك متواترة، وقد دلّت الآيات على أنَّ الحسنات يذهبن السيّئات، ولم يقم دليل تامّ على بطلان ذلك، وأمّا أنَّ ذلك عامّ في جميع الطاعات والمعاصي فغير معلوم، وأمّا أنَّ ذلك على سبيل الإحباط والتكفير بعد ثبوت الثواب والعقاب، أو على سبيل الاشتراط بأنَّ الثّواب في علمه تعالى على ذلك العمل مشروطٌ بعدم وقوع ذلك الفسق بعده، وأنَّ العقاب على تلك المعصية مشروطٌ بعدم وقوع تلك الطاعة بعدها فلا يثيب، أولا ثواب وعقاب، فلا يهمّنا تحقيق ذلك، بل يرجع النزاع في الحقيقة إلى اللّفظ، لكنَّ الظاهر من كلام المعتزلة وأكثر الإماميّة أنّهم لا يعتقدون إسقاط الطاعة شيئاً من العقاب، أو المعصية شيئاً من الثواب سوى الإسلام والارتداد والتوبة، وأمّا الدلائل الّتي ذكروها لذلك فلا يخفى وهنها، وليس هذا الكتاب موضع ذكرها.

ثمَّ اعلم أنّه لا خلاف بين الإماميّة في عدم خلود أصحاب الكبائر من المؤمنين في النار، وأمّا أنّهم هل يدخلون النار، أو يعذّبون في البرزخ والمحشر فقط؟ فقد اختلف فيه الأخبار وسيأتي تحقيقها.

١ - **سن:** عليّ بن محمّد القاسانيّ، عمّن ذكره، عن عبد الله بن القاسم الجعفريّ، عن أبي عبد الله، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من وعده الله على عمل ثواباً فهو منجز له، ومن أوعده على عمل عقاباً فهو فيه بالخيار[1].

٢ - **كنز الكراجكي:** عن المفيد، عن أحمد بن الحسن بن الوليد، عن أبيه، عن محمّد ابن الحسن الصفّار، عن عليّ بن محمّد القاسانيّ، عن القاسم بن محمّد الإصبهانيّ، عن سليمان بن خالد المنقريّ، عن سفيان بن عيينة، عن حميد بن زياد، عن عطاء بن يسار، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: يوقف العبد بين يدي الله تعالى فيقول: قيسوا بين نعمي عليه وبين عمله، فتستغرق النعم العمل؛ فيقولون: قد استغرق النعم العمل، فيقول: هبوا له النعم، وقيسوا بين الخير والشرّ منه، فإن استوى العملان أذهب الله الشرّ بالخير، وأدخله الجنّة، وإن كان له فضل أعطاه الله بفضله، وإن كان عليه فضل وهو من أهل التقوى ولم يشرك بالله تعالى واتّقى الشرك به فهو من أهل المغفرة يغفر الله له برحمته إن شاء، ويتفضّل عليه بعفوه[2].

عد: اعتقادنا في الوعد والوعيد هو أن من وعده الله على عمل ثواباً فهو منجزه، ومن وعده على عمل عقاباً فهو فيه بالخيار، إنّ عذّبه فبعدله، وإن عفا عنه فبفضله، وما الله بظلاّم

---

(١) المحاسن، ص ٢٤٦.

(٢) كنز الفوائد، ج ١ ص ٢٢٣.

للعبيد، وقد قال الله عزّوجلّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾(١).

واعتقادنا في العدل هو أنّ الله تبارك وتعالى أمرنا بالعدل، وعاملنا بما هو فوقه وهو التفضّل، وذلك أنّه عزّوجلّ يقول: ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾(٢).

بيان: قال الشيخ المفيد قدّس الله روحه في شرح القول الأخير: العدل هو الجزاء على العمل بقدر المستحقّ عليه، والظلم هو منع الحقوق، والله تعالى كريم، جواد، متفضّل، رحيم، قد ضمن الجزاء على الأعمال، والعوض على المبتدأ من الآلام، ووعد التفضّل بعد ذلك بزيادة من عنده، فقال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ فخبّر أنّ للمحسن الثواب المستحقّ وزيادة من عنده، وقال: ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ يعني له عشر أمثال ما يستحقّ عليها ﴿وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ يريد أنّه لا يجازيه بأكثر ممّا يستحقّه. ثمّ ضمن بعد ذلك العفو، ووعد بالغفران، فقال سبحانه: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾ وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ وقال: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ والحقّ الّذي للعبد هو ما جعل الله حقّاً له واقتضاء جود الله وكرمه، وإن كان لو حاسبه بالعدل لم يكن له عليه بعد النعم الّتي أسلفها حقّ، لأنّه تعالى ابتدأ خلقه بالنعم، وأوجب عليهم بها الشكر، وليس أحد من الخلق يكافئ نعم الله تعالى عليه بعمل، ولا يشكره أحد إلاّ وهو مقصّر بالشكر عن حقّ النعمة، وقد أجمع أهل القبلة على أنّ من قال: إنّي وفيت جميع ما لله عليّ وكافأت نعمه بالشكر فهو ضالّ، وأجمعوا على أنّهم مقصّرون عن حقّ الشكر، وأن لله عليهم حقوقاً لو مدّ في أعمارهم إلى آخر مدى الزمان لمّا وفوا الله سبحانه بما له عليهم، فدلّ ذلك على أنّ ما جعله حقّاً لهم فإنّما جعله بفضله وجوده وكرمه، ولأنّ حال العامل الشاكر خلاف حال من لا عمل له في العقول، وذلك أنّ الشاكر يستحقّ في العقول الحمد، ومن لا عمل له فليس له في العقول حمد، وإذا ثبت الفصل بين العامل ومن لا عمل له كان ما يجب في العقول من حمده هو الّذي يحكم عليه بحقّه ويشار إليه بذلك، وإذا أوجبت العقول له مزيّة على من لا عمل له كان العدل من الله تعالى معاملته بما جعل في العقول له حقّاً، وقد أمر تعالى بالعدل ونهى عن الجور فقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ الآية انتهى(٣).

وقال العلاّمة رحمه الله في شرحه على التجريد: ذهب جماعة من معتزلة بغداد إلى أنّ العفو جائز عقلاً، غير جائز سمعاً، وذهب البصريّون إلى جوازه سمعاً وهو الحقّ، واستدلّ المصنّف رحمه الله بوجوه ثلاثة:

---

(١) سورة النساء، الآية: ٤٨. (٢) اعتقادات الصدوق، ص ٨٦.

(٣) تصحيح الاعتقاد، ص ٨٣-٨٥.

الأوّل: أنَّ العقاب حقّ لله تعالى فجاز تركه، والمقدّمتان ظاهرتان.

الثاني: أنَّ العقاب ضرر بالمكلّف، ولا ضرر في تركه على مستحقّه، وكلّ ما كان كذلك كان تركه حسناً، أمّا أنّه ضرر بالمكلّف فضروريّ، وأمّا عدم الضرر في تركه فقطعيّ، لأنّه تعالى غنيّ بذاته عن كلّ شيء، وأما أنّ ترك مثل هذا حسن فضروريّة[1]، وأمّا السمع فالآيات الدالّة على العفو كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ فإمّا أن يكون هذان الحكمان مع التوبة أو بدونها، والأوّل باطل لأنَّ الشرك يغفر مع التوبة فتعيّن الثاني، وأيضاً المعصية مع التوبة يجب غفرانها، وليس المراد في الآية المعصية الّتي يجب غفرانها لأنَّ الواجب لا يعلّق بالمشيّة، فما كان يحسن قوله: ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ فوجب عود الآية إلى معصية لا يجب غفرانها؛ ولقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾ و«على» يدلّ على الحال أو الغرض كما يقال: ضربت زيداً على عصيانه أي لأجل عصيانه، وهو غير مراد هنا قطعاً فتعيّن الأوّل، والله تعالى قد نطق في كتابه العزيز بأنّه عفوّ غفور، وأجمع المسلمون عليه، ولا معنى له إلاّ إسقاط العقاب عن العاصي انتهى[2].

أقول: سيأتي الآيات والأخبار في ذلك.

(١) في المصدر: فضروري.

(٢) كشف المراد ص ٣٩٢-٣٩٣.



الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام

تأليف

العلم العلامة الحجة فخر الأمة المولى

الشيخ محمد باقر المجلسي قدس سره

تحقيق وتصحيح

لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين

طبعة منقحة ومزدانة بتعاليق

العلامة الشيخ علي النمازي الشاهرودي قدس سره

الجزء السادس

منشورات

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات

بيروت - لبنان

ص ب : ٧١٢٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١٩ - باب عفو الله تعالى وغفرانه وسعة رحمته ونعمه على العباد

الآيات: البقرة «٢»: ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾ «٦٤» وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ في موضعين «١٧٣ و١٨٢»، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ «٢٠٧»، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ «٢١٨»، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ «٢٢١»، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ «٢٢٥» وقال تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ «٢٢٦»، وقال: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ «٢٣٥»، وقال: ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ «٢٥١».

آل عمران «٣»: ﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ «٣٠»، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾، وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ «١٢٩»، وقال: ﴿وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ «١٥٢»، وقال: ﴿وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ «١٥٥»، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ «١٧٤».

النساء «٤»: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ «٢٣»، وقال: ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ «٢٥»، وقال: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ «٢٧»، وقال: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ﴾ «٢٨»، وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ «٢٩»، وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ «٤٣»، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ «٤٨»، وقال: ﴿لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ «٦٤»، وقال: ﴿فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ «٩٩».

المائدة: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ «٣»، وقال: ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ «١٨»، وقال تعالى: ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1] «٣٤»، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ «٤٠».

الأنعام «٦»: ﴿فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾ «١٤٧».

---

(١) قال في المجمع: وفيه ـ يعني في هذه الآية ـ دلالة على بطلان القول، بالاحباط لأنّه لو كان أحد العملين محبطاً لم يكن لقوله: ﴿خَلَطُوا﴾ معنى، لأنّ الخلط يستعمل في الجمع مع الامتزاج وغيره. أقول: هذا صحيح لو كان القائل بالاحباط أراد أنّ كلّ ذنب وسيء محبط لأعمال الخير، وأمّا لو أراد البعض فلا، ويحمل هذا الخلط على غير الذنوب المحبطة. [مستدرك السفينة ج٣ لغة «خلط»].

الأعراف «٧»: ﴿قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ «١٥٦».

الأنفال «٨»: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ﴾ «٣٨».

التوبة «٩»: ﴿ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةٗ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ «٨٠»، وقال تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعۡتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمۡ خَلَطُواْ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ «١٠٢»، وقال تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ مُرۡجَوۡنَ لِأَمۡرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمۡ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيۡهِمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾ «١٠٦»، وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾ «١١٣»، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ «١١٧»، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ «١٢٠»، وقال تعالى: ﴿لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ «١٢١».

يوسف «١٢»: ﴿قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ «٩٢».

إبراهيم «١٤»: ﴿يَدۡعُوكُمۡ لِيَغۡفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرَكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ﴾ «١٠».

الحجر «١٥»: ﴿نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾.

الإسراء «١٧»: ﴿رَّبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِكُمۡۖ إِن يَشَأۡ يَرۡحَمۡكُمۡ أَوۡ إِن يَشَأۡ يُعَذِّبۡكُمۡۚ﴾ «٥٤».

النور «٢٤»: ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾ «١٠»، وقال تعالى: ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ «٢٠»، وقال تعالى: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ «٢٢».

القصص «٢٨»: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ «٨٤».

الأحزاب «٣٣»: ﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا﴾ «٤٧».

فاطر «٣٥»: ﴿وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهۡرِهَا مِن دَآبَّةٖ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرَۢا﴾ «٤٥».

الزمر «٣٩»: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ «٥٣».

المؤمن [غافر] «٤٠»: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ﴾ «٦١».

حمعسق [الشورى] «٤٢»: ﴿وَمَن يَقۡتَرِفۡ حَسَنَةٗ نَّزِدۡ لَهُۥ فِيهَا حُسۡنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ شَكُورٌ﴾ «٢٣».

الفتح «٤٨»: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ «١٤».

الحجرات «٤٩»: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ «٥».

النجم «٥٣»: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِۚ﴾ «٣٢».

الحديد «٥٧»: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ «٩»، وقال تعالى: ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِۙ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾.

١ - **ن:** القطّان والنقّاش والطالقانيّ، عن أحمد الهمدانيّ، عن عليّ بن الحسن بن فضّال، عن أبيه قال: قال الرضا عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَاۚ﴾[1] قال: إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم، وإن أسأتم فلها ربّ يغفر لها[2].

بيان: قيل: اللاّم بمعنى على، أي إن أسأتم فعلى أنفسكم، وقيل: أي فلها الجزاء والعقاب، وما في الخبر مبنيّ على الاكتفاء ببعض الكلام وهو شائع.

٢ - **ما:** المفيد، عن عمر بن محمّد، عن الحسين بن إسماعيل، عن عبد الله بن شبيب عن أبي العينا، عن محمّد بن مسعر قال: كنت عند سفيان بن عيينة فجاءه رجل فقال له: روي عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: إنّ العبد إذا أذنب ذنباً ثمّ علم أنّ الله عزّ وجلّ يطّلع عليه غفر له، فقال ابن عيينة: هذا كتاب الله عزّ وجلّ قال الله تعالى: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ﴾[3] فإذا كان الظنّ هو المردي كان ضدّه هو المنجي[4].

٣ - **ما:** المفيد، عن الحسين بن عليّ بن محمّد، عن أحمد بن محمّد المقري، عن يعقوب بن إسحاق، عن عمرو بن عاصم، عن معمّر بن سليمان، عن أبيه، عن أبي عثمان النهديّ، عن جندب الغفاريّ أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إنّ رجلاً قال يوماً: والله لا يغفر الله لفلان، قال الله عزّ وجلّ: من ذا الّذي تألّى عليّ أن لا أغفر لفلان؟ فإنّي قد غفرت لفلان، وأحبطت عمل المتألّي بقوله: لا يغفر الله لفلان[5].

بيان: قال الجزريّ: فيه: من يتألّى على الله يكذبه أي من حكم عليه وحلف كقولك: والله ليدخلنّ الله فلاناً النار، وهو من الأليّة: اليمين، يقال: آلى يؤلي إيلاءاً، وتألّى يتألّى تألّياً، والاسم الأليّة، ومنه الحديث: من المتألّي على الله؟.

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٧.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ١ ص ٢٦٤ باب ٢٨ ح ٤٩.

(٣) سورة فصلت، الآيتان: ٢٢-٢٣.

(٤) أمالي الطوسي، ص ٥٣ مجلس ٢ ح ٦٩.

(٥) أمالي الطوسي، ص ٥٨ مجلس ٢ ح ٨٤.

٤ - ما: المفيد، عن الحسين بن محمّد التمّار، عن محمّد بن القاسم الأنباريّ، عن أبيه، عن الحسين بن سليمان الزاهد قال: سمعت أبا جعفر الطائيّ الواعظ يقول: سمعت وهب بن منبّه يقول: قرأت في زبور داود أسطراً، منها ما حفظت، ومنها ما نسيت، فما حفظت قوله: يا داود اسمع منّي ما أقول - والحقّ أقول - من أتاني وهو يحبّني أدخلته الجنّة، يا داود اسمع منّي ما أقول - والحقّ أقول - من أتاني وهو مستحي من المعاصي الّتي عصاني بها غفرتها له وأنسيتها حافظيه، يا داود اسمع منّي ما أقول - والحقّ أقول - من أتاني بحسنة واحدة أدخلته الجنّة. قال داود: يا ربّ وما هذه الحسنة؟ قال: من فرّج عن عبد مسلم، فقال داود: إلهي لذلك لا ينبغي لمن عرفك أن ينقطع رجاؤه منك[1].

٥ - ما: المفيد، عن الجعابيّ، عن ابن عقدة، عن جعفر بن محمّد بن هشام، عن محمّد ابن إسماعيل البزّاز، عن إلياس بن عامر، عن أبان بن عثمان، عن أبي بصير قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: إذا دخل أهل الجنّة الجنّة بأعمالهم فأين عتقاء الله من النار[2]؟.

٦ - ين: فضيل بن عثمان عن أبي عبيدة قال: قلت: جعلت فداك ادع الله لي فإنّ لي ذنوباً كثيرة، فقال: مه يا أبا عبيدة لا يكون الشيطان عوناً على نفسك، إنّ عفو الله لا يشبهه شيء[3].

٧ - ين: ابن محبوب، عن الثماليّ، عن أبي إسحاق قال: قال عليّ عليه السلام: لأحدّثنكم بحديث يحقّ على كلّ مؤمن أن يعيه، فحدّثنا به غداة ونسيناه عشيّةً، قال: فرجعنا إليه فقلنا له: الحديث الّذي حدّثتناه به غداةً نسيناه وقلت: هو حقّ [على] كلّ مؤمن أن يعيه فأعده علينا، فقال: إنّه ما من مسلم يذنب ذنباً فيعفو الله عنه في الدنيا إلاّ كان أجلّ وأكرم من أن يعود عليه بعقوبة في الآخرة، وقد أجّله في الدنيا، وتلا هذه الآية: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾[4].

٨ - ما: ابن مخلّد، عن الرزّاز، عن محمّد بن الهيثم القاضي، عن محمّد بن إسماعيل بن عبّاس، عن أبيه، عن صمصم بن زرعة، عن شريح بن عبيد قال: كان جبير بن نفير يحدّث أنّ رجالاً سألوا النوّاس بن سمعان فقالوا: ما أرجى شيء سمعت لنا من رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فقال النوّاس: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: من مات وهو لا يشرك بالله عزّ وجلّ شيئاً فقد حلّت له مغفرته، إن شاء أن يغفر له، قال نوّاس عند ذلك: إنّي لأرجو أن لا يموت أحد تحلّ له مغفرة الله عز وجل إلاّ غفر له[5].

---

(١) أمالي الطوسي، ص ١٠٧.
(٢) أمالي الطوسي، ص ١٧٩ مجلس ٧ ح ٣٠٠.
(٣) الزهد، ص ١٧٨ باب ١٨ ح ١٢.
(٤) الزهد، ص ١٧٨ باب ١٨ ح ١١ والآية من سورة الشورى، الآية: ٣٠.
(٥) أمالي الطوسي، ص ٣٩٢ مجلس ١٤ ح ٨٦١.

٩ - **ثو:** أبي، عن سعد، عن البرقيّ، عن محمّد بن بكر، عن زكريّا بن محمّد، عن محمّد ابن عبد العزيز، عن محمّد بن مسلم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله: قال الله جلّ جلاله: من أذنب ذنباً فعلم أنّ لي أن أعذّبه وأنّ لي أن أعفو عنه عفوت عنه[١].

سن: أبي، عمّن ذكره، عن العلاء، عن محمّد بن مسلم مثله[٢].

١٠ - **ين:** بعض أصحابنا، عن حنّان بن سدير، عن رجل يقال له: روزبه، وكان من الزيديّة، عن الثماليّ قال: قال أبو جعفر عليه السلام: ما من عبد يعمل عملاً لا يرضاه الله إلاّ ستره الله عليه أوّلاً، فإذا ثنّى ستر الله، فإذا ثلّث أهبط الله ملكاً في صورة آدميّ يقول للناس: فعل كذا وكذا[٣].

١١ - **شي:** عن حسين بن هارون - شيخ من أصحاب أبي جعفر - عنه عليه السلام قال: سمعته يقرأ هذ الآية: ﴿وَءَاتَـٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ قال: ثمّ قال أبو جعفر عليه السلام: الثوب والشيء لم تسأله إيّاه أعطاك[٤].

١٢ - **يج:** قال أبو هاشم: سمعت أبا محمّد يقول: إنّ الله ليعفو يوم القيامة عفواً يحيط على العباد، حتّى يقول أهل الشرك: ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ فذكرت في نفسي حديثاً حدّثني به رجل من أصحابنا من أهل مكّة: أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قرأ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ﴾ فقال الرجل: ومن أشرك؟ فأنكرت ذلك وتنمّرت للرجل فأنا أقول في نفسي إذ أقبل عليّ فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾[٥] بئسما قال هذا، وبئسما روى![٦].

١٣ - **شي:** عن أبي معمّر السعديّ قال: قال عليّ بن أبي طالب عليه السلام في قوله: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: يعني أنّه على حقّ يجزي بالإحسان إحساناً وبالسيّئ سيّئاً، يعفو عمّن يشاء ويغفر سبحانه وتعالى[٧].

١٤ - **نوادر الراوندي:** بإسناده عن جعفر بن محمّد عن آبائه عليهم السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله قال الله: إنّي لأستحيي من عبدي وأمتي يشيبان في الإسلام ثمّ أعذّبهما[٨].

١٥ - **دعوات الراوندي:** روي أنّ في العرش تمثالاً لكلّ عبد فإذا اشتغل العبد بالعبادة رأت الملائكة تمثاله، وإذا اشتغل العبد بالمعصية أمر الله بعض الملائكة حتّى يحجبوه

---

(١) ثواب الأعمال، ص ٢١٤. (٢) المحاسن، ص ٢٦.
(٣) الزهد، ص ١٤٣ باب ١٢ ح ١٤.
(٤) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٢٤٨ ح ٣٠ من سورة إبراهيم.
(٥) سورة النساء، الآية: ٤٨. (٦) الخرائج والجرائح، ج ٢ ص ٦٨٦ باب ١٤ ح ٧.
(٧) تفسير العياشي، ج ٢ ص ١٦١ ح ٤٢ من سورة هود.
(٨) نوادر الراوندي، ص ٩٩ ح ٥٤.

بأجنحتهم لئلاّ تراه الملائكة، فذلك معنى قوله ﷺ: يامن أظهر الجميل وستر القبيح[١].

١٦ - وقال الصادق عليه السلام: سمعت الله يقول: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾[٢] أفتراك يجمع بين أهل القسمين في دار واحدة وهي النار[٣]؟.

١٧ - **عدة:** عن النبيّ ﷺ قال: ينادي مناد يوم القيامة تحت العرش: يا أمّة محمّد ما كان لي قبلكم فقد وهبته لكم، وقد بقيت التبعات بينكم فتواهبوا وادخلوا الجنّة برحمتي[٤].

أقول: سيأتي الأخبار في ذلك في أبواب الحشر.

فائدة: قال العلاّمة الدوّانيّ في شرح العقائد: المعتزلة والخوارج أوجبوا عقاب صاحب الكبيرة إذا مات بلا توبة، وحرّموا عليه العفو، واستدلّوا عليه بأنّ الله تعالى أوعد مرتكب الكبيرة بالعقاب، فلو لم يعاقب لزم الخلف في وعده والكذب في خبره، وهما محالان. ثمّ قال بعد ذكر أجوبة مردودة: الوجه في الجواب ما أشرنا إليه سابقاً من أنّ الوعد والوعيد مشروطان بقيود وشروط معلومة من النصوص، فيجوز التخلّف بسبب انتفاء بعض تلك الشروط، وأنّ الغرض منها إنشاء الترغيب والترهيب.

ثمّ قال: واعلم أنّ بعض العلماء ذهب إلى أنّ الخلف في الوعيد جائز على الله تعالى، وممّن صرّح به الواحديّ في التفسير الوسيط في قوله تعالى في سورة النساء: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ﴾[٥] الآية، حيث قال: والأصل في هذا أنّ الله تعالى يجوز أن يخلف الوعيد وإن كان لا يجوز أن يخلف الوعد، وبهذا وردت السنّة عن رسول الله ﷺ فيما أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمّد الإصبهانيّ، حدّثنا زكريّا بن يحيى الساجيّ، وأبوجعفر السلميّ، وأبو يعلى الموصليّ قالوا: حدّثنا هدبة بن خالد، حدّثنا سهل بن أبي حزم، حدّثنا ابن الميالي، عن أنس بن مالك أنّ رسول الله ﷺ قال: من وعده الله على عمله ثواباً فهو منجز له، ومن أوعده على عمله عقاباً فهو بالخيار.

وأخبرنا أبو بكر، حدّثنا محمّد بن عبد الله بن حمزة، حدّثنا أحمد بن الخليل الأصمعيّ، قال: جاء عمرو بن عبيد إلى أبي عمرو بن العلاء وقال: يا أبا عمرو يخلف الله ما وعده؟ قال: لا قال: أفرأيت من أوعده الله على عمل عقاباً أيخلف الله وعيده فيه؟ فقال أبو عمرو: من العجمة أتيت يا أبا عثمان، إنّ الوعد غير الوعيد، إنّ العرب لا تعدّ عيباً ولا خلفاً أن يعد شرّاً ثمّ لم يفعله، بل يرى ذلك كرماً وفضلاً، وإنّما الخلف أن يعد خيراً ثمّ لم يفعله. قال: فأوجدني هذا العرب؟ قال: نعم، أما سمعت قول الشاعر:

وإنّي إذا أوعدته أو وعدته لمخلف إيعادي ومنجز موعدي

---

(١) الدعوات للراوندي، ص ٦٠ ح ١٤٩.
(٢) سورة النحل، الآية: ٣٨.
(٣) الدعوات للراوندي، ص ٢٤٠ ح ٦٧٢.
(٤) عدة الداعي، ص ١٤٨.
(٥) سورة النساء، الآية: ٩٣.

والّذي ذكره أبو عمرو مذهب الكرام، ومستحسن عند كلّ أحد خلف الوعيد، كما قال السريّ الموصلي:

إذا وعد السرّاء أنجز وعده وإن أوعد الضرّاء فالعفو مانعه

وأحسن يحيى بن معاذ في هذا المعنى حيث قال: الوعد والوعيد حقّ، فالوعد حقّ العباد على الله تعالى، إذ من ضمن أنّهم إذا فعلوا ذلك أن يعطيهم كذا فالوفاء حقّهم عليه، ومن أولى بالوفاء من الله؟ والوعيد حقّ على العباد، قال: لا تفعلوا كذا فأعذّبكم، ففعلوا فإن شاء عفا وإن شاء أخذ لأنّه حقّه وهو أولى بالعفو والكرم، إنّه غفور رحيم. انتهى لفظه.

وقيل: إنّ المحقّقين على خلافه، كيف وهو تبديل للقول؟ وقد قال الله تعالى: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾[1].

قلت: إن حمل آيات الوعيد على إنشاء التهديد فلا خلف لأنّه حينئذ ليس خبراً بحسب المعنى، وإن حمل على الإخبار كما هو الظاهر فيمكن أن يقال بتخصيص المذنب المغفور عن عمومات الوعيد بالدلائل المنفصلة، ولا خلف على هذا التقدير أيضاً، فلا يلزم تبدّل القول؛ وأمّا إذا لم نقل بأحد هذين الوجهين فيشكل التفصّي عن لزوم التبدّل والكذب، اللّهمّ إلاّ أن يحمل آيات الوعيد على استحقاق ما أوعد به، لا على وقوعه بالفعل وفي الآية المذكورة إشارة إلى ذلك حيث قال: ﴿فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا﴾ انتهى.

وقال الشيخ المفيد قدّس الله روحه في كتاب العيون والمحاسن: حكى أبو القاسم الكعبيّ في كتاب الغرر عن أبي الحسين الخيّاط قال: حدّثني أبو مجالد قال: مرّ أبو عمرو بن العلاء بعمرو بن عبيد وهو يتكلّم في الوعيد قال: إنّما أتيتم من العجمة لأنّ العرب لا ترى ترك الوعيد ذمّاً، وإنّما ترى ترك الوعد ذمّاً، وأنشد:

وإنّي وإن أوعدته ووعدته لأخلف إيعادي وأنجز موعدي

قال: فقال له عمرو: أفليس تسمّى تارك الإيعاد مخلفاً؟ قال: بلى، قال: فتسمّي الله تعالى مخلفاً إذا لم يفعل ما أوعده؟ قال: لا، قال: فقد أبطلت شهادتك.

قال الشيخ رحمه الله: ووجدت أبا القاسم قد اعتمد على هذا الكلام واستحسنه ورأيته قد وضعه في أماكن شتّى من كتبه، واحتجّ به على أصحابنا الراجئة؛ فيقال له إنّ عمرو بن عبيد ذهب عن موضع الحجّة في الشعر، وغالط أبا عمرو بن العلاء؛ وجهل موضع المعتمد من كلامه وذلك أنّه إذا كانت العرب والعجم وكلّ عاقل يستحسن العفو بعد الوعيد ولا يعقلون بصاحبه ذمّاً فقد بطل أن يكون العفو من الله تعالى مع الوعيد قبيحاً لأنّه لو جاز أن يكون منه قبيحاً ما هو حسن في الشاهد عند كلّ عاقل لجاز أن يكون منه حسناً ما هو قبيح في الشاهد عند كلّ عاقل، وهذا نقض العدل والمصير إلى قول أهل الجور والجبر؛ مع أنّه إذا كان العفو

---

(١) سورة ق، الآية: ٢٩.

مستحسناً مع الخلف فهو أولى بأن يكون حسناً مع عدم الخلف، ونحن إذا قلنا: إنّ الله سبحانه يعفو مع الوعيد فإنّما نقول: إنّه توعّد بشرط يخرجه من الخلف في وعيده لأنّه حكيم لا يبعث؛ وإذا كان حسن العفو في الشاهد منّا يغمر قبح الخلف حتّى يسقط الذمّ عليه، وهو لو حصل في موضع لم يجزيه العفو، أو ما حاصل في معناه من الحسن لكان الذمّ عليه قائماً، ويجعل وجود الخلف كعدمه في ارتفاع اللّوم عليه فهو في إخراج الشرط المشهور عن القبح إلى صفة الحسن وإيجاب الحمد والشكر لصاحبه أحرى وأولى من إخراجه الخلف عمّا كان يستحقّ عليه من الذمّ عند حسن العفو وأوضح في باب البرهان، وهذا بيّن لمن تدبّره.

وشيء آخر وهو أنّا لا نطلق على كلّ تارك للإيعاد الوصف بأنّه مخلف لأنّه يجوز أن يكون قد شرط في وعيده شرطاً أخرجه به عن الخلف، وإن أطلقنا ذلك في البعض فلإحاطة العلم به، أو عدم الدليل على الشرط فنحكم على الظاهر، فإن كان أبو عمرو بن العلاء أطلق القول في الجواب إطلاقاً فإنّما أراد به الخصوص دون العموم، وتكلّم على معنى البيت الّذي استشهد به، وما رأيت أعجب من متكلّم يقطع على حسن معنى مع مضامّته لقبيح ويجعل حسنه مسقطاً للذمّ على القبيح، ثمّ يمتنع من حسن ذلك المعنى مع تعرّيه من ذلك القبيح ثمّ يفتخر بهذه النكتة عند أصحابه ويستحسن احتجاجه المؤدّي إلى هذه المناقضة، ولكنّ العصبيّة ترين القلوب.

٢٠ - باب التوبة وأنواعها وشرائطها

الآيات: البقرة «٢»: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ «٣٧»، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ «٥٤»، وقال: ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ «١٢٨»، وقال تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ «١٦٠»، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ «٢٢٢»، وقال تعالى: ﴿وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ﴾ «٢٧٩».

آل عمران «٣»: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ «٨٩»، وقال تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ «١٢٨».

النساء «٤»: ﴿وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَٰنِهَا مِنكُمْ فَـَٔاذُوهُمَاۖ فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿١٦﴾ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾﴾، وقال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ

﴿وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٢٦ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾، وقال تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ «١٤٦».

المائدة «٥»: ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝٣٣ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٣٤﴾، وقال تعالى: ﴿فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ «٣٩»، وقال تعالى: ﴿وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُّوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِّنْهُمْ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ «٧١»، وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ «٧٤».

الأنعام «٦»: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ «٥٤».

الأعراف «٧»: ﴿فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ «١٤٣»، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ «١٥٣».

التوبة «٩»: ﴿فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ «٣»، وقال تعالى: ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ «٥»، وقال تعالى: ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ «١١» وقال عز وجل: ﴿وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ﴾ «١٥»، وقال تعالى: ﴿فَإِن يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ «٧٤»، وقال سبحانه: ﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ «١٠٢»، وقال جل شأنه: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ «١٠٤»، وقال تعالى: ﴿وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ «١٠٦»، وقال سبحانه: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ﴾ «١١٢»، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ «١١٧»، وقال سبحانه: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ «١١٨».

هود «١١»: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾ «٣»، وقال تعالى - ناقلاً عن هود -: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾ «٥٢»، وقال - ناقلاً عن صالح عليه السلام -: ﴿فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ «٦١».

النحل «١٦»: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ «١١٩».

مريم «١٩»: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾ «٦٠».

طه «٢٠»: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾ «٨٢»، وقال سبحانه: ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ «١٢٢».

النور «٢٤»: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ «٥»، وقال سبحانه:

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾ «١٠»، وقال تعالى: ﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ «٣١».

الفرقان «٢٥»: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٧٠) وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا (٧١)﴾.

القصص «٢٨»: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ «١٦»، وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ﴾ «٦٧».

التنزيل [السجدة]: ﴿قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ «٢٩».

الأحزاب «٣٣»: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ «٢٤»، وقال تعالى: ﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًۢا﴾ «٧٣».

الزمر: ﴿وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ «٥٤».

المؤمن [غافر] «٤٠»: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ﴾ «٣»، وقال تعالى: ﴿فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ﴾ «٧».

حمعسق [الشورى] «٤٢»: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ «٢٥».

الأحقاف «٤٦»: ﴿إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ «١٥».

الحجرات «٤٩»: ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ «١١»، وقال تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ «١٢».

المجادلة «٥٨»: ﴿فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا۟ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ «١٣».

التحريم «٦٦»: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ «٤»، وقال تعالى: ﴿قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ﴾ «٥»، وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ «٨».

المزمل «٧٣»: ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ «٢٠».

البروج «٨٥»: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾ «١٠».

النصر «١١٠»: ﴿وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا﴾ «٣».

تفسير: قال الطبرسيّ رحمه الله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟﴾ أي ندموا على ما قدّموا وأصلحوا نيّاتهم فيما يستقبل من الأوقات، ﴿وَبَيَّنُوا۟﴾ اختلف فيه: فقال أكثر المفسّرين: بيّنوا ما كتموه من البشارة بالنبيّ صلى الله عليه وآله، وقيل: بيّنوا التوبة وإصلاح السريرة بالإظهار لذلك، فإنّ من ارتكب المعصية سرّاً كفاه التوبة سرّاً، ومن أظهر المعصية يجب عليه أن يظهر التوبة. وقيل: بيّنوا

التوبة بإصلاح العمل ﴿فَأُولَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ أي أقبل توبتهم ﴿وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ هذه اللّفظة للمبالغة، إمّا لكثرة ما يقبل التوبة، وإمّا لأنّه لا يردُّ تائباً منيباً أصلاً، ووصفه نفسه بالرحيم عقيب التوّاب يدلُّ على أنّ إسقاط العقاب بعد التوبة تفضّل من الله سبحانه ورحمةٌ من جهته على ما قاله أصحابنا، وأنّه غير واجب عقلاً على ما ذهب إليه المعتزلة؛ فإن قالوا: قد يكون الفعل الواجب نعمة إذا كان منعماً بسببه كالثواب والعوض لما كان منعماً بالتكليف وبالآلام الّتي يستحقُّ بها الأعواض جاز أن يطلق عليهما اسم النعمة؛ فالجواب أنّ ذلك إنّما قلناه في الثواب والعوض ضرورة، ولا ضرورة ههنا تدعو إلى ارتكابه[1].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ﴾: معناه لا توبة مقبولة ﴿عَلَى ٱللَّهِ﴾، أي عند الله إلاّ ﴿لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾ واختلف في معنى قوله بجهالة على وجوه: أحدها أنّ كلّ معصية يفعلها العبد جهالةٌ وإن كانت على سبيل العمد لأنّه يدعو إليها الجهل ويزيّنها للعبد، عن ابن عبّاس وعطاء ومجاهد وقتادة، وهو المرويُّ عن أبي عبد الله عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

وثانيها: أنّ معنى قوله تعالى: ﴿بِجَهَٰلَةٍ﴾ أنّهم لا يعلمون كنه ما فيه من العقوبة كما يعلم الشيء ضرورة، عن الفرّاء.

وثالثها: أنّ معناه أنّهم يجهلون أنّها ذنوب ومعاص فيفعلونها، إمّا بتأويل يخطئون فيه، وإمّا بأن يفرطوا في الاستدلال على قبحها عن الجبائيّ. وضعّف الرمّانيّ هذا القول لأنّه بخلاف ما أجمع عليه المفسّرون، ولأنّه يوجب أن لا يكون لمن علم أنّها ذنوب توبة لأنّ قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ﴾ يفيد أنّها لهؤلاء دون غيرهم. وقال أبو العالية وقتادة أجمعت الصحابة على أنّ كلّ ذنب أصابه العبد فبجهالة. وقال الزجّاج: إنّما قال: بجهالة لأنّهم في اختيارهم اللّذّة الفانية على اللّذّة الباقية جهّال فهو جهل في الاختيار ومعنى ﴿يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾ أي يتوبون قبل الموت لأنّ ما بين الإنسان وبين الموت قريبٌ، فالتوبة مقبولة قبل اليقين بالموت. وقال الحسن والضحّاك وابن عمر: القريب ما لم يعاين الموت. وقال السدّيّ: هو ما دام في الصحّة قبل المرض والموت.

وروي عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه أنّه قيل: فإن عاد وتاب مراراً؟ قال: يغفر الله له؛ قيل: إلى متى؟ قال: حتّى يكون الشيطان هو المحسور. وفي كتاب من لا يحضره الفقيه قال: قال رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ في آخر خطبة خطبها: من تاب قبل موته بسنة تاب الله عليه، ثمّ قال: وإنّ السنة لكثيرة من تاب قبل موته بشهر تاب الله عليه، ثمّ قال وإنّ الشهر لكثير من تاب قبل موته بيوم تاب الله عليه، ثمّ قال: وإنّ يوماً لكثير من تاب قبل موته بساعة تاب الله عليه، ثمّ قال: وإنّ الساعة لكثيرة، من تاب وقد بلغت نفسه هذه - وأهوى بيده إلى حلقه - تاب الله عليه.

(١) مجمع البيان، ج ١ ص ٤٤٨.

وروى الثعلبيّ بإسناده عن عبادة بن الصامت، عن النبيّ ﷺ هذا الخبر بعينه إلاّ أنّه قال في آخره: وإنّ الساعة لكثيرة من تاب قبل أن يغرغر بها تاب الله عليه.

وروى أيضاً بإسناده عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: لمّا هبط إبليس قال: وعزّتك وجلالك وعظمتك لا أفارق ابن آدم حتّى تفارق روحه جسده؛ فقال الله سبحانه: وعزّتي وجلالي وعظمتي لا أحجب التوبة عن عبدي حتّى يغرغر بها. ﴿فَأُوْلَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ أي يقبل توبتهم، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾ بمصالح العباد ﴿حَكِيمًا﴾ فيما يعاملهم به، ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ﴾ المقبولة الّتي تنفع صاحبها ﴿لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ أي المعاصي ويصرّون عليها ويسوّفون التوبة ﴿حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ﴾ أي أسبابه: من معاينة ملك الموت، وانقطع الرجاء من الحياة وهو حال اليأس الّتي لا يعلمها أحد غير المحتضر ﴿قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ﴾ أي فليس عند ذلك توبة. وأجمع أهل التأويل على أنّ هذه قد تناولت عصاة أهل الإسلام، إلاّ ما روي عن الربيع أنّه قال: إنّها في المنافقين، وهذا لا يصحّ لأنّ المنافقين من جملة الكفّار، وقد بيّن الكفّار بقوله: ﴿وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ أي وليست التوبة أيضاً للّذين يموتون على الكفر ثمّ يندمون بعد الموت ﴿أُوْلَئِكَ أَعْتَدْنَا﴾ أي هيّأنا ﴿لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ أي موجعاً. إنّما لم يقبل الله عزّ اسمه التوبة في حال البأس واليأس من الحياة لأنّه يكون العبد مُلجأً هناك إلى فعل الحسنات وترك القبائح فيكون خارجاً من حدّ التكليف إذ لا يستحقّ على فعله المدح ولا الذمّ، وإذا زال عنه التكليف لم تصحّ منه التوبة، ولهذا لم يكن أهل الآخرة مكلّفين ولا تقبل توبتهم[1]. انتهى كلامه رفع الله مقامه.

أقول: قال بعض المفسّرين: ومن لطف الله بالعباد أن أمر قابض الأرواح بالابتداء في نزعها من أصابع الرجلين، ثمّ يصعد شيئاً فشيئاً إلى أن تصل إلى الصدر، ثمّ تنتهي إلى الحلق ليتمكّن في هذه المهلة من الإقبال بالقلب على الله تعالى، والوصيّة والتوبة ما لم يعاين والاستحلال وذكر الله تعالى، فيخرج روحه وذكر الله على لسانه فيرجى بذلك حسن خاتمته، رزقنا الله ذلك بمنّه وكرمه.

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ﴾[2] قال المفسّرون: أي يوم القيامة فإنّه يوم نصر المسلمين على الكفرة، والفصل بينهم. وقيل: يوم بدر، أو يوم فتح مكّة، والمراد بالّذين كفروا المقتولون منهم فيه فإنّه لا ينفعهم إيمانهم حال القتل ولا يمهلون.

ثمّ اعلم أنّ المفسّرين اختلفوا في تفسير التوبة النصوح على أقوال:

منها أنّ المراد توبة تنصح النّاس أي تدعوهم إلى أن يأتوا بمثلها، لظهور آثارها الجميلة في صاحبها، أو ينصح صاحبها فيقلع عن الذنوب ثمّ لا يعود إليها أبداً.

---

(١) مجمع البيان، ج ٣ ص ٤٢-٤٤.

(٢) سورة السجدة، الآية: ٢٩.

ومنها أنّ النصوح ما كانت خالصة لوجه الله سبحانه من قولهم، عسل نصوح: إذا كان خالصاً من الشمع، بأن يندم على الذنوب لقبحها، وكونها خلاف رضى الله تعالى لا لخوف النار مثلاً.

ومنها أنّ النصوح من النصاحة وهي الخياطة لأنّها تنصح من الدين ما مزّقته الذنوب، أو يجمع بين التائب وبين أوليائه وأحبّائه، كما تجمع الخياطة بين قطع الثوب.

ومنها أنّ النصوح وصف للتائب، وإسناده إلى التوبة من قبيل الإسناد المجازيّ أي توبة تنصحون بها أنفسكم بأن تأتوا بها على أكمل ما ينبغي أن تكون عليه، حتّى تكون قالعة لآثار الذنوب من القلوب بالكلّيّة، وسيأتي في الأخبار تفسيرها ببعض تلك الوجوه.

ثمّ اعلم أنّ من القوم من استدلّ بالخبر الّذي نقله من الفقيه على جواز النسخ قبل الفعل لأنّه عليه السلام نسخ السنة بالشهر، والشهر باليوم؛ وفيه نظر إذ يمكن أن يكون هذا التدريج لبيان اختلاف مراتب التوبة، فإنّ التوبة الكاملة هي ما كانت قبل الموت بسنة ليتأتّى منه تدارك لما فات منه من الطاعات، وإزالة لما أثّرت فيه الذنوب من الكدورات والظلمات، ثمّ إن لم يتأتّ منه ولم يمهل لذلك فلا بدّ من شهر لتدارك شيء ممّا فات، وإزالة قليل من آثار السيّئات وهكذا، وأمّا توبة وقت الاحتضار فهي لأهل الاضطرار. والغرغرة: تردّد الماء وغيره من الأجسام المائعة في الحلق، والمراد هنا تردّد الروح وقت النزع.

١ - **ك**: أبي، عن سعد، وعبدالله بن جعفر الحميريّ، عن أيّوب بن نوح، عن الربيع ابن محمّد المسليّ، وعبدالله بن سليمان العامريّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما زالت الأرض إلاّ ولله تعالى ذكره فيها حجّة يعرف الحلال والحرام، ويدعو إلى سبيل الله عزّوجلّ، ولا تنقطع الحجّة من الأرض إلاّ أربعين يوماً قبل القيامة، فإذا رفعت الحجّة أغلقت أبواب التوبة، ولم ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أن ترفع الحجّة، أُولئك شرار من خلق الله وهم الّذين تقوم عليهم القيامة[1].

٢ - **كا**: عليّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن جميل بن درّاج، عن بكير، عن أبي عبد الله، أو عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ آدم عليه السلام قال: يا ربّ سلّطت عليّ الشيطان وأجريته منّي مجرى الدم فاجعل لي شيئاً، فقال: يا آدم جعلت لك أنّ من همّ من ذرّيّتك بسيّئة لم تكتب عليه، فإن عملها كتبت عليه سيّئة، ومن همّ منهم بحسنة فإن لم يعملها كتبت له حسنة، وإن هو عملها كتبت له عشراً. قال: يا ربّ زدني، قال: جعلت لك أنّ من عمل منهم سيّئة ثمّ استغفر غفرت له، قال: يا ربّ زدني، قال: جعلت لهم التوبة وبسطت لهم التوبة حتّى تبلغ النفس هذه، قال: يا ربّ حسبي[2].

(١) كمال الدين للصدوق، ص ٢٢٠ باب ٢٢ ح ٢٢.

(٢) أصول الكافي، ج ٢ ص ٥٥٦ باب فيما أعطى الله آدم وقت التوبة ح ١.

ين: ابن أبي عمير مثله. «ص ١٤٤ باب ١٢ ح ١٧»

٣ - يه: سئل الصادق عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ﴾[1] قال: ذلك إذا عاين أمر الآخرة[2].

٤ - كا: العدّة، عن أحمد بن محمّد، عن ابن فضّال، عمّن ذكره، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من تاب قبل موته بسنة قبل الله توبته، ثمّ قال: إنّ السنة لكثيرة من تاب قبل موته بشهر قبل الله توبته، ثمّ قال: إنّ الشهر لكثير من تاب قبل موته بجمعة قبل الله توبته؛ ثمّ قال: إنّ الجمعة لكثيرة من تاب قبل موته بيوم قبل الله توبته؛ ثمّ قال: إن اليوم لكثير من تاب قبل أن يعاين قبل الله توبته[3].

٥ - دعوات الراوندي: قال النبيّ صلى الله عليه وآله إنّ الله يقبل توبة عبده ما لم يغرغر، توبوا إلى ربّكم قبل أن تموتوا، وبادروا بالأعمال الزاكية قبل أن تشتغلوا، وصلوا الّذي بينكم وبينه بكثرة ذكركم إيّاه[4].

٦ - ف، لي: عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: لا شفيع أنجح من التوبة[5].

٧ - لي: أبي، عن سعد، عن ابن عيسى، عن ابن المغيرة، عن طلحة بن زيد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: مرّ عيسى بن مريم عليه السلام على قوم يبكون فقال: على ما يبكي هؤلاء؟ فقيل: يبكون على ذنوبهم، قال: فليدعوها يغفر لهم[6].

٨ - ثو: أبي، عن محمّد بن يحيى، عن الحسين بن إسحاق، عن عليّ بن مهزيار، عن الحسين بن سعيد، عن محمّد بن خالد، عن ابن المغيرة مثله[7].

٩ - فس: الحسين بن محمّد، عن محمّد بن الفضيل، عن أبي الحسن عليه السلام في قول الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا﴾[8] قال: يتوب العبد ثمّ لا يرجع فيه، وأحبّ عباد الله إلى الله المتّقي التائب[9].

١٠ - ل: أبي، عن سعد، عن ابن يزيد، عن ابن أبي عمير، عن عليّ الجهضميّ، عن أبي جعفر عليه السلام قال: كفى بالندم توبة[10].

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٨.
(٢) من لا يحضره الفقيه، ص ٥٢ ح ٣٥٢.
(٣) أصول الكافي، ج ٢ ص ٥٥١ باب فيما أعطى الله آدم وقت التوبة ح ٢.
(٤) الدعوات للراوندي، ص ٢٣٧.
(٥) أمالي الصدوق، ص ٢٦٤ مجلس ٥٢ ح ٩.
(٦) أمالي الصدوق، ص ٤٠١ مجلس ٧٥ ح ١.
(٧) ثواب الأعمال، ص ١٦٤.
(٨) سورة التحريم، الآية: ٨.
(٩) تفسير القمي، ج ٢ ص ٣٦٢.
(١٠) الخصال، ص ١٦ باب الواحد ح ٥٧.

بيان: إذ الندامة الصادقة تستلزم العزم على الترك في المستقبل غالباً، أو المعنى أنّه فرد من التوبة وإن لم يؤثّر ما تؤثّر التوبة الكاملة.

١١ - **ل:** حمزة العلويّ، عن عليّ، عن أبيه، عن ابن معبد، عن عبد الله بن القاسم، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله: يلزم الحقّ لأمّتي في أربع: يحبّون التائب، ويرحمون الضعيف، ويعينون المحسن، ويستغفرون للمذنب[1].

١٢ - **ل:** أبي، عن سعد، عن النهديّ، عن ابن محبوب، عن ابن رئاب، عن الحلبيّ قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّ المؤمن لا تكون سجيّته الكذب، ولا البخل، ولا الفجور، ولكن ربّما ألمّ بشيء من هذا لا يدوم عليه. فقيل له: أفيزني؟ قال نعم، هو مفتّن توّاب، ولكن لا يولد له من تلك النطفة[2].

١٣ - **ل:** العسكريّ، عن بدر بن الهيثم، عن عليّ بن منذر، عن محمّد بن الفضيل عن أبي الصباح قال: قال جعفر بن محمّد عليه السلام، من أعطي أربعاً لم يحرم أربعاً: من أعطي الدعاء لم يحرم الإجابة، ومن أعطي الاستغفار لم يحرم التوبة، ومن أعطي الشكر لم يحرم الزيادة، ومن أعطي الصبر لم يحرم الأجر[3].

١٤ - **ل:** العطّار: عن سعد، عن البرقيّ، عن أبيه، عن يونس، عن عمرو بن أبي المقدام، عن أبي عبد الله، عن أبيه عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أربع من كنّ فيه كان في نور الله الأعظم: من كانت عصمة أمره شهادة أن لا إله إلاّ الله وأنّي رسول الله، ومن إذا أصابته مصيبة قال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، ومن إذا أصاب خيراً قال: الحمد لله ربّ العالمين، ومن إذا أصاب خطيئة قال: أستغفر الله وأتوب إليه[4].

١٥ - **ل:** الأربعمائة قال أمير المؤمنين عليه السلام: توبوا إلى الله عزّ وجلّ وادخلوا في محبّته، فإنّ الله يحبّ التوّابين ويحبّ المتطهّرين، والمؤمن توّاب[5].

١٦ - **ن:** بالأسانيد الثلاثة عن الرضا، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: مثل المؤمن عند الله عزّ وجلّ كمثل ملك مقرّب، وإنّ المؤمن عند الله عزّ وجلّ أعظم من ذلك، وليس شيء أحبّ إلى الله من مؤمن تائب، أو مؤمنة تائبة[6].

صح: عن الرضا، عن آبائه عليهم السلام مثله.

١٧ - **ن:** بالإسناد إلى دارم، عن الرّضا، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

---

(١) الخصال، ص ٢٣٩ باب الأربعة ح ٨٨. (٢) الخصال، ص ١٢٩ باب الثلاثة ح ١٣٤.
(٣) الخصال، ص ٢٠٢ باب الأربعة ح ١٦. (٤) الخصال، ص ٢٢٢ باب الأربعة ح ٤٩.
(٥) الخصال، ص ٦٢٣ باب الأربعمائة فما فوق ح ١٠.
(٦) عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢ ص ٣٣ باب ٣١ ح ٣٣.

التائب من الذنب كمن لا ذنب له[١].

١٨ - **ما:** المفيد، عن محمّد بن الحسين المقري، عن عبد الله بن محمّد البصريّ، عن عبد العزيز بن يحيى، عن موسى بن زكريّا، عن أبي خالد، عن العينيّ، عن الشعبيّ قال سمعت عليّ بن أبي طالب عليه السلام يقول: العجب ممّن يقنط ومعه الممحاة! فقيل له: وما الممحاة؟ قال: الاستغفار[٢].

١٩ - **ما:** بإسناد أخي دعبل، عن الرضا، عن آبائه عليهم السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام تعطّروا بالاستغفار لا تفضحكم روائح الذنوب[٣].

٢٠ - **مع:** أبي، عن سعد، عن محمّد بن الحسين، عن ابن فضّال، عن ابن عقبة، عن أبيه، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ قال: هي الإقالة[٤].

٢١ - **مع:** أبي، عن محمّد العطّار، عن الأشعريّ، عن أحمد بن هلال قال: سألت أبا الحسن الأخير عليه السلام عن التوبة النصوح ما هي؟ فكتب عليه السلام: أن يكون الباطن كالظاهر وأفضل من ذلك[٥].

٢٢ - **مع:** ابن الوليد، عن الصفّار، عن ابن عيسى، عن موسى بن القاسم، عن البطائنيّ، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ قال: هو صوم الأربعاء والخميس والجمعة.

قال الصدوق رحمه الله: معناه أن يصوم هذه الأيّام ثمّ يتوب[٦].

٢٣ - **مع:** ابن المتوكّل، عن عليّ بن إبراهيم، عن اليقطينيّ، عن يونس، عن عبد الله بن سنان وغيره، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: التوبة النصوح هو أن يكون باطن الرجل كظاهره وأفضل[٧].

٢٤ - وقد روي أنّ التوبة النصوح هو أن يتوب الرجل من ذنب وينوي أن لا يعود إليه أبداً[٨].

٢٥ - **فس:** ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾[٩] قال: من قتل مؤمناً على دينه لم تقبل توبته، ومن قتل نبياً أو وصيّ نبيّ فلا توبة له لأنّه لا يكون مثله فيقاد به، وقد يكون الرجل بين المشركين واليهود والنصارى يقتل رجلاً من المسلمين على أنّه مسلم فإذا دخل في الإسلام محاه الله عنه

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢ ص ٧٤ باب ٣١ ح ٣٤٧.
(٢) أمالي الطوسي، ص ٨٨ مجلس ٣ ح ١٣٤.
(٣) أمالي الطوسي، ص ٣٧٢ مجلس ١٣ ح ٨٠١.
(٤) معاني الأخبار، ص ٢١٥.
(٥) - (٨) معاني الأخبار، ص ١٧٤.
(٩) سورة النساء، الآية: ٩٣.

لقول رسول الله ﷺ: الإسلام يجبّ ما كان قبله - أي يمحو - لأنّ أعظم الذنوب عند الله هو الشرك بالله فإذا قبلت توبته في الشرك قبلت فيما سواه؛ فأمّا قول الصادق عليه السلام: ليست له توبة فإنّه عنى من قتل نبياً أو وصيّاً فليست له توبة لأنّه لا يقاد أحد بالأنبياء وبالأوصياء إلاّ الأوصياء والأنبياء، والأنبياء والأوصياء لا يقتل بعضهم بعضاً، وغير النبيّ والوصيّ لا يكون مثل النبيّ والوصيّ فيقاد به؛ وقاتلهما لا يوفّق بالتوبة[١].

٢٦ - ع، ن: ابن عبدوس، عن ابن قتيبة، عن حمدان بن سليمان، عن إبراهيم بن محمّد الهمدانيّ قال: قلت للرضا عليه السلام: لأيّ علّة أغرق الله فرعون وقد آمن به وأقرّ بتوحيده؟ قال: لأنّه آمن عند رؤية البأس، والإيمان عند رؤية البأس غير مقبول، وذلك حكم الله تعالى ذكره في السلف والخلف، قال الله عزّ وجلّ: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوٓا ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾[٢] وقال عزّ وجلّ: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾[٣] وهكذا فرعون لمّا أدركه الغرق قال: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ فقيل له: ﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾[٤] الخبر[٥].

٢٧ - لي: الطالقانيّ، عن أحمد الهمدانيّ، عن أحمد بن صالح، عن موسى بن داود، عن الوليد بن هشام، عن هشام بن حسّان، عن الحسن بن أبي الحسن البصريّ، عن عبد الرحمن بن غنم الدوسيّ قال: دخل معاذ بن جبل على رسول الله ﷺ باكياً فسلّم فردّ عليه السلام ثمّ قال: ما يبكيك يا معاذ؟ فقال: يا رسول الله إنّ بالباب شابّاً طريّ الجسد، نقيّ اللّون، حسن الصورة، يبكي على شبابه بكاء الثكلى على ولدها، يريد الدخول عليك، فقال النبيّ ﷺ: أدخل عليّ الشابّ يا معاذ؛ فأدخله عليه فسلّم فردّ عليه السلام، ثمّ قال: ما يبكيك يا شابّ؟ قال: كيف لا أبكي وقد ركبت ذنوباً إن أخذني الله عزّ وجلّ ببعضها أدخلني نار جهنّم؟ ولا أراني إلاّ سيأخذني بها ولا يغفر لي أبداً، فقال رسول الله ﷺ: هل أشركت بالله شيئاً؟ قال: أعوذ بالله أن أشرك بربّي شيئاً، قال: أقتلت النفس الّتي حرّم الله؟ قال: لا، فقال النبيّ ﷺ: يغفر الله لك ذنوبك وإن كانت مثل الجبال الرواسي، فقال الشابّ: فإنّها أعظم من الجبال الرواسي، فقال النبيّ ﷺ: يغفر الله لك ذنوبك وإن كانت مثل الأرضين السبع وبحارها ورمالها وأشجارها وما فيها من الخلق، قال: فإنّها أعظم من الأرضين السبع وبحارها ورمالها وأشجارها وما فيها من الخلق! فقال النبيّ ﷺ: يغفر الله لك ذنوبك وإن كانت مثل السماوات ونجومها ومثل العرش والكرسيّ، قال: فإنّها أعظم من ذلك، قال:

---

(١) تفسير القمي، ج ١ ص ١٥٥.
(٢) سورة غافر، الآيتان: ٨٤-٨٥.
(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٥٨.
(٤) سورة يونس، الآيتان: ٩٠-٩١.
(٥) علل الشرائع، ج ١ ص ٧٦ باب ٥٣ ح ٢ وعيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢ ص ٨٣ باب ٣٢ ح ٧.

فنظر النبيّ صلى الله عليه وآله إليه كهيئة الغضبان ثمّ قال: ويحك يا شابّ ذنوبك أعظم أم ربّك؟ فخرّ الشابّ لوجهه وهو يقول: سبحان ربّي ما شيء أعظم من ربّي، ربّي أعظم يا نبي الله من كلّ عظيم، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: فهل يغفر الذنب العظيم إلاّ الربّ العظيم؟ قال الشابّ: لا والله يا رسول الله، ثمّ سكت الشابّ فقال له النبيّ صلى الله عليه وآله: ويحك ياشابّ ألا تخبرني بذنب واحد من ذنوبك؟ قال: بلى أخبرك: إنّي كنت أنبش القبور سبع سنين، أُخرج الأموات، وأنزع الأكفان، فماتت جارية من بعض بنات الأنصار فلمّا حملت إلى قبرها ودفنت وانصرف عنها أهلها وجنّ عليهم اللّيل أتيت قبرها فنبشتها ثمّ استخرجتها ونزعت ما كان عليها من أكفانها وتركتها متجرّدة على شفير قبرها، ومضيت منصرفاً فأتاني الشيطان فأقبل يزيّنها لي، ويقول: أما ترى بطنها وبياضها؟ أمّا ترى وركيها؟ فلم يزل يقول لي هذا حتّى رجعت إليها، ولم أملك نفسي حتّى جامعتها وتركتها مكانها، فإذا أنا بصوت من ورائي يقول: يا شاب ويل لك من ديّان يوم الدّين، يوم يقفني وإيّاك كما تركتني عريانة في عساكر الموتى، ونزعتنى من حفرتي وسلبتني أكفاني، وتركتني أقوم جنبةً إلى حسابي، فويل لشبابك من النار! . فما أظنّ أنّي أشمّ ريح الجنّة أبداً فما ترى لي يارسول الله؟ فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: تنحّ عنّي يافاسق؛ إنّي أخاف أن أحترق بنارك، فما أقربك من النار! ثمّ لم يزل عليه السلام يقول ويشير إليه حتّى أمعن من بين يديه، فذهب فأتى المدينة فتزوّد منها ثمّ أتى بعض جبالها فتعبّد فيها، ولبس مسحاً وغلّ يديه جميعاً إلى عنقه، ونادى: يا ربّ هذا عبدك بهلول، بين يديك مغلول، يا ربّ أنت الّذي تعرفني، وزلّ منّي ما تعلم سيّدي! يا ربّ أصبحت من النادمين، وأتيت نبيّك تائباً فطردني وزادني خوفاً، فأسألك باسمك وجلالك وعظمة سلطانك أن لا تخيّب رجائي؛ سيّدي! ولا تبطل دعائي ولا تقنّطني من رحمتك. فلم يزل يقول ذلك أربعين يوماً وليلة، تبكي له السباع والوحوش، فلمّا تمّت له أربعون يوماً وليلةً رفع يديه إلى السماء، وقال: اللّهم ما فعلت في حاجتي؟ إن كنت استجبت دعائي وغفرت خطيئتي فأوح إلى نبيّك، وإن لم تستجب لي دعائي ولم تغفر لي خطيئتي وأردت عقوبتي فعجّل بنار تحرقني، أو عقوبة في الدنيا تهلكني، وخلّصني من فضيحة يوم القيامة. فأنزل الله تبارك وتعالى على نبيّه صلى الله عليه وآله: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً﴾ يعني الزنا ﴿أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾ يعني بارتكاب ذنب أعظم من الزنا، ونبش القبور، وأخذ الأكفان ﴿ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾ يقول: خافوا الله فعجّلوا التوبة ﴿وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ يقول عزّ وجلّ: أتاك عبدي يا محمّد تائباً فطردته، فأين يذهب؟ وإلى من يقصد؟ ومن يسأل أن يغفر له ذنباً غيري؟ ثمّ قال عزّ وجلّ: ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ يقول: لم يقيموا على الزنا ونبش القبور وأخذ الأكفان ﴿أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾[1] فلمّا نزلت هذه الآية

(١) الآيات من سورة آل عمران: ١٣٥-١٣٦.

على رسول الله ﷺ خرج وهو يتلوها ويتبسّم، فقال لأصحابه: من يدلّني على ذلك الشابّ التائب؟ فقال معاذ: يا رسول الله بلغنا أنّه في موضع كذا وكذا، فمضى رسول الله ﷺ بأصحابه حتّى انتهوا إلى ذلك الجبل فصعدوا إليه يطلبون الشابّ فإذا هم بالشابّ قائم بين صخرتين، مغلولة يداه إلى عنقه، قد اسودّ وجهه، وتساقطت أشفار عينيه من البكاء، وهو يقول: سيّدي: قد أحسنت خلقي وأحسنت صورتي، فليت شعري ماذا تريد بي؟ أفي النار تحرقني؟ أو في جوارك تسكنني؟ اللّهم إنّك قد أكثرت الإحسان إليّ وأنعمت عليّ، فليت شعري ماذا يكون آخر أمري؟ إلى الجنّة تزفّني؟ أم إلى النار تسوقني؟ اللّهم إنّ خطيئتي أعظم من السماوات والأرض ومن كرسيّك الواسع وعرشك العظيم، فليت شعري تغفر خطيئتي أم تفضحني بها يوم القيامة؟ فلمّ يزل يقول نحو هذا وهو يبكي ويحثو التراب على رأسه وقد أحاطت به السباع! وصفّت فوقه الطير! وهم يبكون لبكائه! فدنا رسول الله ﷺ فأطلق يديه من عنقه، ونفض التراب عن رأسه، وقال: يا بهلول! أبشر فإنّك عتيق الله من النار. ثمّ قال عليه السلام لأصحابه: هكذا تداركوا الذنوب كما تداركها بهلول. ثمّ تلا عليه ما أنزل الله عزّ وجلّ فيه وبشّره بالجنّة[1].

٢٨ - ما: أبي، عن سعد، عن ابن عيسى، عن محمّد بن خالد، عن أحمد بن النضر، عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان غلام من اليهود يأتي النبيّ ﷺ كثيراً حتّى استخفّه وربّما أرسله في حاجته، وربّما كتب له الكتاب إلى قومه، فافتقده أيّاماً؛ فسأل عنه فقال له قائل: تركته في آخر يوم من أيّام الدنيا؛ فأتاه النبيّ ﷺ في أناس من أصحابه - وكان له عليه السلام بركة لا يكلّم أحداً إلاّ أجابه - فقال: يا فلان ففتح عينه وقال: لبّيك يا أبا القاسم! قال: قل: أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأنّي رسول الله؛ فنظر الغلام إلى أبيه فلم يقل له شيئاً، ثمّ ناداه رسول الله ﷺ ثانيةً وقال له مثل قوله الأوّل، فالتفت الغلام إلى أبيه فلم يقل له شيئاً، ثمّ ناداه رسول الله ﷺ الثالثة فالتفت الغلام إلى أبيه؛ فقال: إن شئت فقل وإن شئت فلا؛ فقال الغلام: أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأنّك رسول الله؛ ومات مكانه. فقال رسول الله ﷺ لأبيه: اخرج عنّا، ثمّ قال عليه السلام لأصحابه: اغسلوه وكفّنوه، وآتوني به أُصلّي عليه؛ ثمّ خرج وهو يقول: الحمد لله الّذي أنجى بي اليوم نسمة من النار[2].

٢٩ - ف: عن كميل بن زياد قال: قلت لأمير المؤمنين عليه السلام: ياأمير المؤمنين العبد يصيب الذنب فيستغفر الله منه فما حدّ الاستغفار؟ قال: يابن زياد، التوبة؛ قلت: بس؟ قال: لا، قلت: فكيف؟ قال: إنّ العبد إذا أصاب ذنباً يقول: أستغفر الله بالتحريك، قلت: وما التحريك؟ قال: الشفتان واللّسان يريد أن يتبع ذلك بالحقيقة، قلت: وما الحقيقة؟ قال:

---

(١) أمالي الصدوق، ص ٤٥ مجلس ١١ ح ٣.

(٢) أمالي الطوسي، ص ٤٣٨ مجلس ١٥ ح ٩٨٠.

تصديقٌ في القلب وإضمار أن لا يعود إلى الذنب الّذي استغفر منه؛ قال كميل: فإذا فعل ذلك فإنّه من المستغفرين؟ قال: لا، قال كميل: فكيف ذاك؟ قال: لأنّك لم تبلغ إلى الأصل بعد، قال كميل: فأصل الاستغفار ما هو؟ قال: الرجوع إلى التوبة من الذنب الّذي استغفرت منه، وهي أوّل درجة العابدين، وترك الذنب؛ والاستغفار اسم واقع لمعان ستّ:

أوّلها الندم على ما مضى؛ والثاني العزم على ترك العود أبداً، والثالث أن تؤدّي حقوق المخلوقين الّتي بينك وبينهم، والرابع أن تؤدّي حقّ الله في كلّ فرض؛ والخامس أن تذيب اللّحم الّذي نبت على السحت والحرام حتّى يرجع الجلد إلى عظمه، ثمّ تنشئ فيما بينهما لحماً جديداً، والسادس أن تذيق البدن ألم الطاعات كما أذقته لذّات المعاصي[1].

٣٠ - **عدة:** روي عن العالم عليه السلام أنه قال: والله ما أُعطي مؤمن قطُّ خير الدنيا والآخرة إلّا بحسن ظنّه بالله عزّ وجلّ، ورجائه له، وحسن خلقه، والكفّ عن اغتياب المؤمنين؛ والله تعالى لا يعذّب عبداً بعد التوبة والاستغفار إلّا بسوء ظنّه، وتقصيره في رجائه لله عزّ وجلّ، وسوء خلقه، واغتيابه المؤمنين. الخبر[2].

٣١ - **ثو:** ابن المتوكّل، عن محمّد بن جعفر، عن موسى بن عمران، عن الحسين بن يزيد، عن البطائنيّ، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أوحى الله عزّ وجلّ إلى داوود النبيّ على نبيّنا وآله وعليه السلام: يا داوود إنّ عبدي المؤمن إذا أذنب ذنباً ثمّ رجع وتاب من ذلك الذنب واستحيى منّي عند ذكره غفرت له، وأنسيته الحفظة، وأبدلته الحسنة، ولا أُبالي وأنا أرحم الرّاحمين[3].

٣٢ - **ثو:** أبي، عن أحمد بن إدريس، عن أحمد بن محمّد، عن ابن محبوب، عن معاوية ابن وهب قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إذا تاب العبد المؤمن توبة نصوحاً أحبّه الله، فستر عليه في الدنيا والآخرة، قلت: وكيف يستر عليه؟ قال: ينسي ملكيه ما كتبا عليه من الذنوب، وأوحى إلى جوارحه: اكتمي عليه ذنوبه، وأوحى إلى بقاع الأرض اكتمي عليه ما كان يعمل عليك من الذنوب؛ فيلقى الله حين يلقاه وليس شيء يشهد عليه بشيء من الذنوب[4].

٣٣ - **ثو:** ابن الوليد، عن الصفّار، عن ابن أبي الخطّاب، عن ابن أسباط، عن يحيى بن بشير، عن المسعوديّ قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: من تاب تاب الله عليه، وأُمرت جوارحه أن تستر عليه، وبقاع الأرض أن تكتم عليه، وأُنسيت الحفظة ما كانت تكتب عليه[5].

---

(١) تحف العقول، ص ١٣٧.
(٢) عدة الداعي، ص ١٤٧.
(٣) ثواب الأعمال، ص ١٦٠.
(٤) ثواب الأعمال، ص ٢٠٦.
(٥) ثواب الأعمال، ص ٢١٤.

٣٤ - ثو: أبي، عن سعد، عن ابن يزيد، عن ابن أبي عمير، عن سلمة بيّاع السابريّ، عن رجل، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من تاب في سنة تاب الله عليه، ثمّ قال: إنّ السنة لكثيرة، ثمّ قال: من تاب في شهر تاب الله عليه، ثمّ قال: إنّ الشهر لكثيرٌ، ثمّ قال: من تاب في يومه تاب الله عليه، ثمّ قال: إنّ يوماً لكثير، ثمّ قال: من تاب إذا بلغت نفسه هذه - يعني حلقه - تاب الله عليه[1].

ين: ابن أبي عمير، عن سلمة، عن جابر، عنه عليه السلام مثله[2].

٣٥ - ثو: ماجيلويه، عن عليّ، عن أبيه، عن النوفليّ، عن السكونيّ، عن الصادق، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن لله عزّ وجلّ فضولاً من رزقه ينحله من يشاء من خلقه، والله باسط يديه عند كلّ فجر لمذنب اللّيل هل يتوب فيغفر له؟ ويبسط يديه عند مغيب الشمس لمذنب النهار هل يتوب فيغفر له[3]؟.

٣٦ - سن: أبي رفعه قال: إنّ أميرالمؤمنين عليه السلام صعد المنبر بالكوفة فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: أيّها الناس! إنّ الذنوب ثلاثة، ثمّ أمسك، فقال له حبّة العرنيّ: يا أمير المؤمنين فسّرها لي، فقال: ما ذكرتها إلاّ وأنا أريد أن أفسّرها، ولكنّه عرض لي بهر حال بيني وبين الكلام؛ نعم الذنوب ثلاثة: فذنب مغفور، وذنب غير مغفور؛ وذنب نرجو لصاحبه ونخاف عليه. قيل: يا أميرالمؤمنين فبيّنها لنا، قال: نعم، أمّا الذنب المغفور فعبد عاقبه الله تعالى على ذنبه في الدنيا فالله أحكم وأكرم أن يعاقب عبده مرّتين، وأمّا الذّنب الّذي لا يغفر فظلم العباد بعضهم لبعض، إنّ الله تبارك وتعالى إذا برز لخلقه أقسم قسماً على نفسه فقال: وعزّتي وجلالي لا يجوزني ظلم ظالم ولو كفّ بكفّ، ولو مسحة بكفّ، ونطحة ما بين الشاة القرناء إلى الشاة الجمّاء؛ فيقتصّ الله للعباد بعضهم من بعض، حتّى لا يبقى لأحد عند أحد مظلمة، ثمّ يبعثهم الله إلى الحساب، وأمّا الذنب الثالث فذنب ستره الله على عبده ورزقه التوبة فأصبح خاشعاً من ذنبه، راجياً لربّه فنحن له كما هو لنفسه نرجو له الرحمة ونخاف عليه العقاب[4].

بيان: لعلّ المراد بالكفّ أوّلاً المنع والزجر، وبالثاني اليد؛ ويحتمل أن يكون المراد بهما معاً اليد أي تضرّر كفّ إنسان بكفّ آخر بغمز وشبهه، أو تلذّذ كفّ بكفّ، والمراد بالمسحة بالكفّ ما يشتمل على إهانة وتحقير أو تلذّذ، ويمكن حمل التلذّذ في الموضعين على ما إذا كان من امرأة ذات بعل، أو قهراً بدون رضى الممسوح، ليكون من حقّ الناس؛ والجمّاء: الّتي لا قرن لها. قال في النهاية: فيه: إنّ الله ليدين الجمّاء من ذوات القرن. الجمّاء الّتي لا قرن لها. ويدين أي يجزي انتهى.

---

(١) - (٢) ثواب الأعمال، ص ٢١٤.
(٣) الزهد، ص ١٤٠ باب ١٢ ح ٤.
(٤) ثواب الأعمال، ص ٢١٤.
(٥) المحاسن، ص ٧ باب الثلاثة.

وأمّا الخوف بعد التوبة فلعلّه لاحتمال التقصير في شرائط التوبة.

٣٧ - **ف**: عن أبي جعفر الثاني عليه السلام قال: تأخير التوبة اغترار، وطول التسويف حيرة، والاعتلال على الله هلكة، والإصرار على الذنب أمن لمكر الله، ولا يأمن مكر الله إلاّ القوم الخاسرون(١).

٣٨ - **يج**: روي أنّ أبا جعفر عليه السلام كان في الحجّ ومعه ابنه جعفر عليه السلام فأتاه رجل فسلّم عليه وجلس بين يديه ثمّ قال: إني أريد أن أسألك، قال: سل ابني جعفراً، قال: فتحوّل الرجل فجلس إليه ثمّ قال: أسألك؟ قال: سل عمّا بدا لك، قال: أسألك عن رجل أذنب ذنباً عظيماً، قال: أفطر يوماً في شهر رمضان متعمّداً؟ قال: أعظم من ذلك، قال: زنى في شهر رمضان؟ قال: أعظم من ذلك، قال: قتل النفس؟ قال: أعظم من ذلك، قال: إن كان من شيعة عليّ عليه السلام مشى إلى بيت الله الحرام وحلف أن لا يعود، و إن لم يكن من شيعته فلا بأس، فقال له الرجل: رحمكم الله يا ولد فاطمة - ثلاثاً - هكذا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله. ثمّ إنّ الرجل ذهب فالتفت أبو جعفر فقال: عرفت الرجل؟ قال: لا، قال: ذلك الخضر إنّما أردت أن أعرّفكه(٢).

بيان: لعلّ في الخبر سقطاً وإنّما أوردته كما وجدته، ويحتمل أن يكون السائل غرضه السؤال عن حال من جمع بين تلك الأعمال، ويكون سؤاله عليه السلام على الإعجاز، لعلمه بالمراد، ويكون المراد بالجواب أنّ المقتول إن كان من الشيعة فليمش إلى البيت لكمال قبول التوبة وإلاّ فلا بأس، ولو كان الضمير راجعاً إلى القاتل فلا بدّ من ارتكاب تكلّف في قوله عليه السلام: فلا بأس به.

٣٩ - **مص**: قال الصادق عليه السلام: التوبة حبل الله ومدد عنايته، ولا بدّ للعبد من مداومة التوبة على كلّ حال، وكلّ فرقة من العباد لهم توبة، فتوبة الأنبياء من اضطراب السرّ، وتوبة الأصفياء من التنفّس، وتوبة الأولياء من تلوين الخطرات، وتوبة الخاصّ من الاشتغال بغير الله، وتوبة العامّ من الذنوب؛ ولكلّ واحد منهم معرفة وعلم في أصل توبته ومنتهى أمره، وذلك يطول شرحه ههنا، فأمّا توبة العامّ فأن يغسل باطنه بماء الحسرة، والاعتراف بالجناية دائماً، واعتقاد الندم على ما مضى، والخوف على ما بقي من عمره، ولا يستصغر ذنوبه فيحمله ذلك إلى الكسل، ويديم البكاء والأسف على ما فاته من طاعة الله، ويحبس نفسه عن الشهوات، ويستغيث إلى الله تعالى ليحفظه على وفاء توبته، ويعصمه عن العود إلى ما سلف ويروض نفسه في ميدان الجهد والعبادة، ويقضي عن الفوائت من الفرائض، ويردّ المظالم، ويعتزل قرناء السوء، ويسهر ليله، و يظمأ نهاره، ويتفكّر دائماً في عاقبته، ويستهين بالله سائلاً

---

(١) تحف العقول، ص ٣٣٦ والآية من سورة الأعراف رقم ٩٩ بلفظ: فلا...

(٢) الخرائج والجرائح، ج ٢ ص ٦٣١ باب ١٤ ح ٣٢.

منه الاستقامة في سرّائه و ضرّائه، ويثبت عند المحن والبلاء كيلا يسقط عن درجة التوّابين، فإنّ في ذلك طهارة من ذنوبه، وزيادة في عمله، ورفعة في درجاته، قال الله عزّوجلّ: ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾[1].

بيان: من التنفّس أي بغير ذكر الله، وفي بعض النسخ على بناء التفعيل من تنفيس الهمّ أي تفريجه أي من الفرح والنشاط، والظاهر أنّه مصحّف، وتلوين الخطرات: إخطار الأمور المتفرّقة بالبال، وعدم اطمئنان القلب بذكر الله.

٤٠ - **شي:** عن أبي عمرو الزبيريّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: رحم الله عبداً لم يرض من نفسه أن يكون إبليس نظيراً له في دينه؛ وفي كتاب الله نجاة من الردى، وبصيرة من العمى، ودليل إلى الهدى، وشفاء لما في الصدور، فيما أمركم الله به من الاستغفار مع التوبة قال الله: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[2] وقال: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾[3] فهذا ما أمر الله به من الاستغفار، واشترط معه بالتوبة والإقلاع عمّا حرّم الله، فإنّه يقول: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾[4] وهذه الآية تدلّ على أنّ الاستغفار لا يرفعه إلى الله إلاّ العمل الصالح والتوبة[5].

٤١ - **شي:** عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله: ﴿وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ قال: الإصرار أن يذنب العبد ولا يستغفر ولا يحدث نفسه بالتوبة، فذلك الإصرار[6].

٤٢ - **شي:** عن أبي عمرو الزبيريّ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾[7] قال: لهذه الآية تفسير، يدلّ ذلك التفسير على أنّ الله لا يقبل من عمل عملاً إلاّ ممّن لقيه بالوفاء منه بذلك التفسير، وما اشترط فيه على المؤمنين، وقال: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ﴾ يعني كلّ ذنب عمله العبد وإن كان به عالماً فهو جاهل حين خاطر بنفسه في معصية ربّه، وقد قال في ذلك تبارك وتعالى - يحكي قول يوسف لإخوته -: ﴿هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾[8] فنسبهم إلى الجهل لمخاطرتهم بأنفسهم في معصية الله[9].

---

(١) مصباح الشريعة، ص ٩٧ باب ٤٤ والآية من سورة العنكبوت رقم ٣.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٣٥. (٣) سورة النساء، الآية: ١١٠.
(٤) سورة فاطر، الآية: ١٠.
(٥) - (٦) تفسير العياشي، ج ١ ص ٢٢٢ ح ١٤٣ وح ١٤٤ من سورة آل عمران.
(٧) سورة طه، الآية: ٨٢. (٨) سورة يوسف، الآية: ٨٩.
(٩) تفسير العياشي، ج ١ ص ٢٥٤ ح ٦٢. من تفسير سورة النساء.

٤٣ - **شي:** عن الحلبيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ﴾ قال: هو الفرار تاب حين لم تنفعه التوبة ولم تقبل منه(١).

٤٤ - **شي:** عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إذا بلغت النفس هذه - وأهوى بيده إلى حنجرته - لم يكن للعالم توبة، وكانت للجاهل توبة(٢).

ين: ابن أبي عمير، عن جميل بن درّاج، عنه عليه السلام مثله(٣).

بيان: ظاهره الفرق بين العالم والجاهل في قبول التوبة عند مشاهدة أحوال الآخرة وهو مخالف لما ذهب إليه المتكلّمون من عدم قبول التوبة في ذلك الوقت مطلقاً، وعدم الفرق في التوبة مطلقاً بين العالم والجاهل، ويمكن توجيهه بوجهين: الأوّل أن يكون المراد بالعالم من شاهد أحوال الآخرة، وبالجاهل من لم يشاهدها لأنّ بلوغ النفس إلى الحنجرة قد ينفكّ عن المشاهدة.

الثاني: أن يكون المراد نفي التوبة الكاملة عن العالم في هذا الوقت دون الجاهل، مع حمل تلك الحالة على عدم المشاهدة، إذ العالم غير معذور في تأخيرها إلى هذا الوقت.

٤٥ - **شي:** عن جابر، عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: كان إبليس أوّل من ناح، وأوّل من تغنّى، وأوّل من حدا؛ قال: لمّا أكل آدم من الشجرة تغنّى، قال: فلمّا أُهبط حدا به، قال: فلمّا استقرّ على الأرض ناح فأذكره ما في الجنّة، فقال آدم: ربّ! هذا الّذي جعلت بيني وبينه العداوة، لم أقو عليه وأنا في الجنّة، وإن لم تعنّي عليه لم أقو عليه؛ فقال الله: السيّئة بالسيّئة، والحسنة بعشر أمثالها إلى سبع مائة؛ قال: ربّ زدني، قال: لا يولد لك ولدٌ إلاّ جعلت معه ملكاً أو ملكين يحفظانه، قال: ربّ زدني، قال: التوبة معروضة في الجسد ما دام فيها الروح، قال: ربّ زدني، قال أغفر الذنوب ولا أُبالي، قال حسبي(٤).

٤٦ - **شي:** عن أبي عمرو الزبيريّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: رحم الله عبداً تاب إلى الله قبل الموت، فإنّ التوبة مطهّرةٌ من دنس الخطيئة، ومنقذة من شفا الهلكة، فرض الله بها على نفسه لعباده الصالحين، فقال: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(٥) ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾(٦) (٧).

---

(١) - (٢) تفسير العياشي، ج ١ ص ٢٥٤ ح ٦٣-٦٤. من تفسير سورة النساء.
(٣) الزهد، ص ١٤٠ باب ١٢ ح ٥.
(٤) تفسير العياشي، ج ١ ص ٣٠٣ ح ٢٧٦ من سورة النساء.
(٥) سورة الأنعام، الآية: ٥٤.
(٦) سورة النساء، الآية: ١١٠.
(٧) تفسير العياشي، ج ١ ص ٣٩٠ ح ٢٧ من تفسيره لسورة الأنعام.

٤٧ - م: أتى أعرابيّ إلى النبيّ ﷺ فقال: أخبرني عن التوبة إلى متى تقبل؟ فقال ﷺ: إنّ بابها مفتوح لابن آدم لا يسدّ حتّى تطلع الشمس من مغربها، وذلك قوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾[1] وهي طلوع الشمس من مغربها ﴿يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾[2].

٤٨ - شي: عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول في قوله: إنّه كان للأوّابين غفوراً قال: هم التوّابون المتعبّدون[3].

٤٩ - شي: عن أبي بصير قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فقال له رجل: بأبي و أمي إنّي أدخل كنيفاً لي ولي جيران، وعندهم جوار يتغنّين ويضربن بالعود، فربما أطلت الجلوس استماعاً منّي لهنّ، فقال: لا تفعل، فقال الرجل: والله ما هو شيء آتيه برجلي إنّما هو سماع أسمعه بأذني! فقال له أنت أما سمعت الله يقول: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾؟ قال: بلى والله، فكأنّي لم أسمع هذه الآية قطّ من كتاب الله من عجميّ ولا من عربيّ؛ لا جرم إنّي لا أعود إن شاء الله، وإنّي أستغفر الله فقال له: قم فاغتسل وصلّ ما بدا لك، فإنّك كنت مقيماً على أمر عظيم ما كان أسوأ حالك لو متّ على ذلك! احمد الله وسله التوبة من كلّ ما يكره، إنّه لا يكره إلاّ القبيح، والقبيح دعه لأهله فإنّ لكلّ أهلاً[4].

٥٠ - ين: بعض أصحابنا، عن عليّ بن شجرة، عن عيسى بن راشد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: ما من مؤمن يذنب ذنباً إلاّ أجّل سبع ساعات، فإن استغفر الله غفر له، وإنّه ليذكر ذنبه بعد عشرين سنة فيستغفر الله فيغفر له، وإنّ الكافر لينسى ذنبه لئلاّ يستغفر الله[5].

٥١ - ما: جماعة، عن أبي المفضّل، عن ابن عقدة، عن محمّد بن الفضل بن إبراهيم الأشعريّ، عن عليّ بن حسّان، عن عبد الرحمن بن كثير، عن الصادق، عن آبائه عن الحسن ابن عليّ عليهما السلام في خبر طويل احتجّ فيه على معاوية قال: فأمّا القرابة فقد نفعت المشرك وهي والله للمؤمن أنفع، قال رسول الله ﷺ لعمّه أبي طالب - وهو في الموت -: قل لا إله إلاّ الله أشفع لك بها يوم القيامة، ولم يكن رسول الله ﷺ يقول له ويعد إلاّ ما يكون منه على يقين، وليس ذلك لأحد من الناس كلّهم غير شيخنا - أعني أبا طالب - يقول الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[6] الخبر[7].

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٥٨. (٢) تفسير الإمام العسكري عليه السلام، ص ٤٧٨.
(٣) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٣٠٩ ح ٤٢ في تفسيره لسورة الإسراء.
(٤) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٣١٥ ح ٧٦. (٥) الزهد، ص ١٤٣ باب ١٢ ح ١٣.
(٦) سورة النساء، الآية: ١٨. (٧) الأمالي للطوسي، ص ٥٦٦ مجلس ٢١ ح ١١٧٤.

بيان: لعلّ هذا للإلزام على العامّة لقولهم بكفر أبي طالب عليه السلام؛ ويحتمل أن يكون المراد أنّه لمّا كان السؤال في ذلك الوقت مع علمه صلى الله عليه وآله بإيمانه لعلم الناس بإيمانه، فلو لم يكن للإيمان في هذا الوقت فائدة لم يحصل الغرض.

٥٢ - **جع:** قال النبيّ صلى الله عليه وآله: التائب إذا لم يستبن أثر التوبة فليس بتائب: يرضي الخصماء، ويعيد الصلوات، ويتواضع بين الخلق، ويتّقي نفسه عن الشهوات، ويهزل رقبته بصيام النهار، ويصفر لونه بقيام اللّيل، ويخمص بطنه بقلّة الأكل، ويقوس ظهره من مخافة النار، ويذيب عظامه شوقاً إلى الجنّة، ويرقّ قلبه من هول ملك الموت، و يجفّف جلده على بدنه بتفكّر الأجل، فهذا أثر التوبة، وإذا رأيتم العبد على هذه الصورة فهو تائب ناصح لنفسه[1].

٥٣ - وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أتدرون من التائب؟ قالوا: اللّهمّ لا؛ قال: إذا تاب العبد ولم يرض الخصماء فليس بتائب، ومن تاب ولم يزد في العبادة فليس بتائب، ومن تاب ولم يغيّر لباسه فليس بتائب، ومن تاب ولم يغيّر رفقاءه فليس بتائب، ومن تاب ولم يغيّر مجلسه فليس بتائب، ومن تاب ولم يغيّر فراشه ووسادته فليس بتائب ومن تاب ولم يغيّر خلقه ونيّته فليس بتائب، ومن تاب ولم يفتح قلبه ولم يوسّع كفّه فليس بتائب، ومن تاب ولم يقصّر أمله ولم يحفظ لسانه فليس بتائب، ومن تاب ولم يقدم فضل قوته من بدنه فليس بتائب؛ وإذا استقام على هذه الخصال فذاك التائب[2].

٥٤ - **نبه:** جابر بن يزيد الجعفيّ، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[3] قال: الإصرار أن يذنب ولا يحدّث نفسه بتوبة، فذاك الإصرار[4].

٥٥ - سيف بن يعقوب، عن أبي عبد الله عليه السلام: المقيم على الذنب وهو منه مستغفر كالمستهزئ[5].

٥٦ - ابن فضّال عمّن ذكره، عن أبي جعفر عليه السلام قال: لا والله ما أراد الله من الناس إلاّ خصلتين: أن يقرّوا له بالنعم فيزيدهم، وبالذنوب فيغفرها لهم[6].

٥٧ - وعنه عليه السلام قال: والله ما ينجو من الذنب إلاّ من أقرّ به[7].

٥٨ - وعن جعفر بن محمّد عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من أذنب ذنباً وهو ضاحك دخل النار وهو باك[8].

٥٩ - **نهج:** ما كان الله ليفتح على عبد باب الشكر ويغلق عنه باب الزيادة، ولا ليفتح على عبد باب الدعاء ويغلق عنه باب الإجابة، ولا ليفتح على عبد باب التوبة ويغلق عنه باب المغفرة[9].

---

(١) - (٢) جامع الأخبار، ص ٨٤.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٣٥.
(٤) - (٨) تنبيه الخواطر ج ١ ص ١٨.
(٩) نهج البلاغة قصار الحكم، ص ٧٢٣ رقم ٤٣٠.

٦٠ - **نهج:** قال عليه السلام - لقائل بحضرته: أستغفر الله -: ثكلتك أمّك، أتدري ما الاستغفار؟ إنّ الاستغفار درجة العلّيين وهو اسم واقع على ستّة معان، أوّلها الندم على ما مضى؛ والثاني العزم على ترك العود إليه أبداً؛ والثالث أن تؤدّي إلى المخلوقين حقوقهم حتى تلقى الله أملس ليس عليك تبعة؛ والرابع أن تعمد إلى كلّ فريضة عليك ضيّعتها فتؤدّي حقّها، والخامس أن تعمد إلى اللّحم الّذي نبت على السحت فتذيبه بالأحزان حتّى يلصق الجلد بالعظم وينشأ بينهما لحم جديد؛ والسادس أن تذيق الجسم ألم الطاعة كما أذقته حلاوة المعصية، فعند ذلك تقول: أستغفر الله[1].

بيان: ما سوى الأوّلين عند جمهور المتكلّمين من شرائط كمال التوبة كما ستعرف.

٦١ - **نهج:** وقال عليه السلام لرجل سأله أن يعظه: لا تكن ممّن يرجو الآخرة بغير العمل، ويرجئ التوبة بطول الأمل - وساق الكلام إلى أن قال عليه السلام -: إن عرضت له شهوة أسلف المعصية، وسوّف التوبة[2].

٦٢ - **نهج:** وقال عليه السلام: من أعطي أربعاً لم يحرم أربعاً: من أعطي الدعاء لم يحرم الإجابة، ومن أعطي التوبة لم يحرم القبول، ومن أعطي الاستغفار لم يحرم المغفرة ومن أعطي الشكر لم يحرم الزيادة؛ وتصديق ذلك في كتاب الله سبحانه؛ قال الله عزّ وجلّ في الدعاء: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ وقال في الاستغفار: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[3] وقال في الشكر: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ وقال في التوبة: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[4].

ما: الحسين بن إبراهيم، عن محمّد بن وهبان، عن محمّد بن أحمد بن زكريّا، عن الحسن بن فضّال، عن عليّ بن عقبة، عن أبي كهمش، عن بعض أصحابنا، عن أبي عبد الله عليه السلام مثله. «ص ٦٩٣ مجلس ٣٩ ح ١٤٧٣».

٦٣ - **نهج:** وسئل عليه السلام عن الخير ما هو؟ فقال: ليس الخير أن يكثر مالك وولدك ولكنّ الخير أن يكثر علمك، ويعظم حلمك، وأن تباهي الناس بعبادة ربّك، فإن أحسنت حمدت الله، وإن أسأت استغفرت الله؛ ولا خير في الدنيا إلاّ لرجلين: رجل أذنب ذنوباً فهو يتداركها بالتوبة، ورجل يسارع في الخيرات. ولا يقلّ عمل مع التقوى وكيف يقلّ ما يتقبّل[5]؟.

---

(١) نهج البلاغة قصار الحكم، ص ٧١٩ رقم ٤١٢.

(٢) نهج البلاغة قصار الحكم، ص ٦٦٢ رقم ١٥٠.

(٣) سورة النساء، الآية: ١١٠.

(٤) نهج البلاغة قصار الحكم، ص ٦٥٧ رقم ١٣٦.

(٥) نهج البلاغة قصار الحكم، ص ٦٤٥ رقم ٩٤ و٩٥.

٦٤ - ين: النضر، عن ابن سنان، عن حفص قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ما من عبد مؤمن يذنب ذنباً إلاّ أجّله الله سبع ساعات من النهار، فإن هو تاب لم يكتب عليه شيئاً وإن لم يفعل كتبت عليه سيّئة، فأتاه عباد البصريّ فقال له: بلغنا أنّك قلت: ما من عبد يذنب ذنباً إلاّ أجّله الله سبع ساعات من النهار؟ فقال: ليس هكذا قلت: ولكنّي قلت: ما من عبد مؤمن يذنب ذنباً إلاّ أجّله الله سبع ساعات من نهاره؛ هكذا قلت[1].

٦٥ - ين: فضالة، عن القاسم بن يزيد، عن محمّد بن مسلم قال: قال أبو جعفر عليه السلام إنّ من أحبّ عباد الله إلى الله المفتّن التوّاب[2].

٦٦ - ين: ابن أبي عمير، عن أبي أيّوب، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من عمل سيّئة أجّل فيها سبع ساعات من النهار، فإن قال: «أستغفر الله الذي لا إله إلاّ هو الحي القيوم» ثلاث مرّات لم يكتب عليه[3].

٦٧ - ين: ابن أبي عمير، عن عليّ الأحمسيّ، عمّن ذكره، عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: والله ما ينجو من الذنب إلاّ من أقرّ به[4].

٦٨ - ين: عليّ بن المغيرة، عن ابن مسكان، عن أبي عبيدة الحذّاء قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام [يقول]: ألا إنّ الله أفرح بتوبة عبده حين يتوب من رجل ضلّت راحلته في أرض قفر وعليها طعامه وشرابه، فبينما هو كذلك لا يدري ما يصنع ولا أين يتوجّه حتّى وضع رأسه لينام فأتاه آت فقال له: هل لك في راحلتك؟ قال: نعم، قال: هوذه فاقبضها؛ فقام إليها فقبضها، فقال أبو جعفر عليه السلام: والله أفرح بتوبة عبده حين يتوب من ذلك الرجل حين وجد راحلته[5].

٦٩ - كا: العدّة، عن البرقيّ، عن محمّد بن عليّ، عن محمّد بن الفضيل، عن الكنانيّ قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا﴾[6] قال: يتوب العبد من الذنب ثمّ لا يعود فيه. قال محمّد بن الفضيل سألت عنها أبا الحسن عليه السلام فقال: يتوب من الذنب ثمّ لا يعود فيه، وأحبّ العباد إلى الله المفتّنون التوّابون[7].

٧٠ - كا: عليّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن أبي أيّوب، عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا﴾ قال: هو الذنب الّذي لا يعود فيه أبداً؛ قلت: وأيّنا لم يعد؟ فقال: يا أبا محمّد إنّ الله يحبّ من عباده المفتّن التوّاب[8].

---

(١) - (٥) الزهد، ص ١٣٩ باب ١٢ ح ١ و٢ و٦ و٩ و١٠.

(٦) سورة التحريم، الآية: ٨.

(٧) أصول الكافي، ج ٢ ص ٥٤٨ باب التوبة ح ٣.

(٨) أصول الكافي، ج ٢ ص ٥٤٨ باب التوبة ح ٤.

ين: ابن أبي عمير مثله. «ص ١٤١ باب ١٢ ح ٧».

٧١ - كا: عليٌّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن بعض أصحابنا رفعه قال: إنّ الله عزّ وجلّ أعطى التائبين ثلاث خصال لو أعطى خصلة منها جميع أهل السماوات والأرض لنجوا بها: قوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾(١) فمن أحبّه الله لم يعذّبه، وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۝٧ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٨ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝٩﴾(٢) وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۝٦٨ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ۝٦٩ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٧٠﴾(٣) (٤).

٧٢ - كا: محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن ابن محبوب، عن العلاء، عن محمّد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: يا محمّد بن مسلم ذنوب المؤمن إذا تاب منها مغفورة له، فليعمل المؤمن لما يستأنف بعد التوبة والمغفرة، أما والله إنّها ليست إلاّ لأهل الإيمان. قلت: فإن عاد بعد التوبة والاستغفار من الذنوب وعاد في التوبة؟ فقال: يا محمّد ابن مسلم أترى العبد المؤمن يندم على ذنبه ويستغفر الله تعالى منه ويتوب ثمّ لا يقبل الله توبته؟ قلت: فإنّه فعل ذلك مراراً يذنب ثمّ يتوب ويستغفر؛ فقال: كلّما عاد المؤمن بالاستغفار والتوبة عاد الله عليه بالمغفرة وإنّ الله غفورٌ رحيمٌ يقبل التوبة ويعفو عن السيّئات، فإيّاك أن تقنّط المؤمنين من رحمة الله(٥).

٧٣ - كا: أبو عليّ الأشعريّ، عن محمّد بن عبد الجبّار، عن ابن فضّال، عن ثعلبة بن ميمون، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾(٦) قال: هو العبد يهمُّ بالذنب ثمّ يتذكّر فيمسك فذلك قوله: ﴿تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾(٧).

٧٤ - كا: عليّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن ابن أذينة، عن أبي عبيدة قال: سمعت

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٢٢.
(٢) سورة غافر، الآيات: ٧-٩.
(٣) سورة الفرقان، الآيات: ٦٨-٧٠.
(٤) أصول الكافي، ج ٢ ص ٥٤٨ باب التوبة ح ٥.
(٥) أصول الكافي، ج ٢ ص ٥٤٨ باب التوبة ح ٦.
(٦) سورة الأعراف، الآية: ٢٠١.
(٧) أصول الكافي، ج ٢ ص ٥٤٨ باب التوبة ح ٧.

أبا جعفر عليه السلام يقول: إنّ الله تعالى أشدّ فرحاً بتوبة عبده من رجل أضلّ راحلته وزاده في ليلة ظلماء فوجدها فالله أشدّ فرحاً بتوبة عبده من ذلك الرجل براحلته حين وجدها(١).

٧٥ - **كا:** محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن محمّد بن إسماعيل، عن عبد الله ابن عثمان، عن أبي جميلة قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إنّ الله يحبّ المفتّن التوّاب ومن لا يكون ذلك منه كان أفضل(٢).

٧٦ - **كا:** محمّد، عن أحمد، عن عليّ بن النعمان، عن محمّد بن سنان، عن يوسف بن أبي يعقوب بيّاع الأرز، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول: التائب من الذنب كمن لا ذنب له، والمقيم على الذنب وهو مستغفر منه كالمستهزئ(٣).

٧٧ - **كا:** عليّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن محمّد بن حمران، عن زرارة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّ العبد إذا أذنب ذنباً أُجّل من غداة إلى اللّيل فإن استغفر الله لم يكتب عليه(٤).

ين: ابن أبي عمير مثله. «ص ١٤٠ باب ١٢ ح ٣».

٧٨ - **كا:** عليٌّ، عن أبيه، وأبو عليّ الأشعريّ، ومحمد بن يحيى جميعاً، عن الحسين بن إسحاق، عن عليّ بن مهزيار، عن فضالة، عن عبد الصمد بن بشير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: العبد المؤمن إذا أذنب ذنباً أجّله الله سبع ساعات فإن استغفر الله لم يكتب عليه، وإن مضت الساعات ولم يستغفر كتبت عليه سيّئة، وإنَّ المؤمن ليذكر ذنبه بعد عشرين سنة حتى يستغفر ربّه فيغفر له، وإن الكافر لينساه من ساعته(٥).

٧٩ - **كا:** عليّ، عن أبيه، والعدّة، عن سهل، ومحمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد جميعاً، عن ابن محبوب، عن محمّد بن النعمان الأحول، عن سلام بن المستنير قال: كنت عند أبي جعفر عليه السلام فدخل عليه حمران بن أعين وسأله عن أشياء، فلمّا همَّ حمران بالقيام قال لأبي جعفر عليه السلام: أخبرك أطال الله بقاءك لنا وأمتعنا بك، أنّا نأتيك فما نخرج من عندك حتّى ترقّ قلوبنا، وتسلو أنفسنا عن الدُّنيا، ويهون علينا ما في أيدي الناس من هذه الأموال، ثمَّ نخرج من عندك فإذا صرنا مع الناس والتجّار أحببنا الدنيا! قال: فقال أبو جعفر عليه السلام: إنّما هي القلوب مرّة تصعب، ومرّة تسهل؛ ثمّ قال أبو جعفر عليه السلام: أما إنَّ أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله قالوا: يا رسول الله نخاف علينا النفاق، قال: فقال: ولِمَ تخافون ذلك؟ قالوا: إذا كنّا عندك فذكّرتنا ورغّبتنا وجلنا ونسينا الدنيا وزهدنا حتّى كأنّنا نعاين الآخرة والجنّة

---

(١) - (٣) اصول الكافي، ج ٢ ص ٥٤٩ باب التوبة ح ٨ و٩ و١٠.

(٤) أصول الكافي، ج ٢ ص ٥٤٩ باب الاستغفار ح ١.

(٥) أصول الكافي، ج ٢ ص ٥٤٩ باب الاستغفار ح ٣.

والنار ونحن عندك، فإذا خرجنا من عندك ودخلنا هذه البيوت وشممنا الأولاد ورأينا العيال والأهل يكاد أن نحوّل عن الحالة الّتي كنّا عليها عندك، حتّى كأنّا لم نكن على شيء، أفتخاف علينا أن يكون ذلك نفاقاً؟ فقال لهم رسول الله ﷺ : كلاّ إنّ هذه خطوات الشيطان فيرغّبكم في الدنيا، والله لو تدومون على الحالة الّتي وصفتم أنفسكم بها لصافحتكم الملائكة ومشيتم على الماء ولولا أنّكم تذنبون فتستغفرون الله لخلق الله خلقاً حتّى يذنبوا ثمّ يستغفروا الله فيغفر لهم، إنّ المؤمن مفتّن توّاب، أمّا سمعت قول الله عزّوجلّ : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ وقال: ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾[1].

اختتام فيه مباحث رائقة

الأول: في وجوب التوبة، ولا خلاف في وجوبها في الجملة، والأظهر أنّها إنّما تجب لما لم يكفّر من الذنوب، كالكبائر والصغائر الّتي أصرّت عليها، فإنّها ملحقة بالكبائر، والصغائر الّتي لم يجتنب معها الكبائر؛ فأمّا مع اجتناب الكبائر فهي مكفّرة إذا لم يصرّ عليها ولا يحتاج إلى التوبة عنها، لقوله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾[2] وسيأتي تحقيق القول في ذلك في باب الكبائر إن شاء الله تعالى.

قال المحقّق الطوسيّ قدّس الله روحه في التجريد: التوبة واجبة لدفعها الضرر. ولوجوب الندم على كلّ قبيح أو إخلال بواجب.

وقال العلاّمة رحمه الله في شرحه: التوبة هي الندم على المعصية لكونها معصية، والعزم على ترك المعاودة في المستقبل لأنّ ترك العزم يكشف عن نفي الندم، وهي واجبة بالإجماع، لكن اختلفوا فذهب جماعة من المعتزلة إلى أنّها تجب من الكبائر المعلوم كونها كبائر أو المظنون فيها ذلك، ولا تجب من الصغائر المعلوم أنّها صغائر؛ وقال آخرون: إنّها لا تجب من ذنوب تاب عنها من قبل؛ وقال آخرون: إنّها تجب من كلّ صغير وكبير من المعاصي، أو الإخلال بالواجب، سواء تاب منها قبل أو لم يتب.

وقد استدلّ المصنّف على وجوبها بأمرين: الأوّل أنّها دافعة للضرر الّذي هو العقاب أو الخوف فيه، ودفع الضرر واجب. الثاني أنّا نعلم قطعاً وجوب الندم على فعل القبيح أو الإخلال بالواجب؛ إذا عرفت هذا فنقول: إنّها تجب من كلّ ذنب، لأنّها تجب من المعصية لكونها معصية، ومن الإخلال بواجب لكونه كذلك، وهذا عامّ في كلّ ذنب وإخلال بواجب. انتهى[3].

أقول: ظاهر كلامه وجوب التوبة عن الذنب الّذي تاب منه، ولعلّه نظر إلى أنّ الندم على

---

(١) أصول الكافي، ج ٢ ص ٥٤٤ باب في تنقل أحوال القلب ح ١.

(٢) سورة النساء، الآية: ٣١.

(٣) كشف المراد، ص ٣٩٥.

القبيح واجب في كلّ حال وكذا ترك العزم على الحرام واجب دائماً؛ وفيه أنّ العزم على الحرام ما لم يأت به لا يترتّب عليه إثم، كما دلّت عليه الأخبار الكثيرة، إلاّ أن يقول: إنّ العفو عنه تفضّلاً لا ينافي كونه منهيّاً عنه كالصغائر المكفّرة، وأمّا الندم على ما صدر عنه فلا نسلّم وجوبه بعد تحقّق الندم سابقاً وسقوط العقاب، وإن كان القول بوجوبه أقوى.

الثاني: اختلف المتكلّمون في أنّه هل تتبعّض التوبة أم لا، والأوّل أقوى لعموم النصوص وضعف المعارض.

قال المحقّق في التجريد: ويندم على القبيح لقبحه، وإلاّ انتفت، وخوف النار إن كان الغاية فكذلك، وكذا الإخلال، فلا تصحّ من البعض، ولا يتمّ القياس على الواجب، ولو اعتقد فيه الحسن صحّت وكذا المستحقر؛ والتحقيق أنّ ترجيح الداعي إلى الندم عن البعض يبعث عليه، وإن اشترك الداعي في الندم على القبيح كما في الداعي إلى الفعل، ولو اشترك الترجيح اشترك وقوع الندم، وبه يتأوّل كلام أمير المؤمنين وأولاده عليهم السلام، وإلاّ لزم الحكم ببقاء الكفر على التائب منه، المقيم على صغيرة.

وقال العلاّمة: اختلف شيوخ المعتزلة هنا فذهب أبو هاشم إلى أنّ التوبة لا تصحّ من قبيح دون قبيح، وذهب أبو عليّ إلى جواز ذلك، والمصنّف رحمه الله استدلّ على مذهب أبي هاشم بأنّا قد بيّنّا بأنّه يجب أن يندم على القبيح لقبحه، ولولا ذلك لم تكن مقبولة، والقبح حاصل في الجميع، فلو تاب من قبيح دون قبيح كشف ذلك عن كونه تائباً عنه لا لقبحه؛ واحتجّ أبو عليّ بأنّه لو لم تصحّ التوبة من قبيح دون قبيح لم يصحّ الإتيان بواجب دون واجب، والتالي باطل، بيان الشرطيّة أنّه كما يجب عليه ترك القبيح لقبحه كذا يجب عليه فعل الواجب لوجوبه فلو لزم من اشتراك القبائح في القبح عدم صحّة التوبة من بعضها لزم من اشتراك الواجبات في الوجوب عدم صحّة الإتيان بواجب دون آخر، وأمّا بطلان التالي فبالإجماع، إذ لا خلاف في صحّة صلاة من أخلّ بالصوم.

وأجاب أبو هاشم بالفرق بين ترك القبيح لقبحه، وفعل الواجب لوجوبه بالتعميم في الأوّل دون الثاني، فإنّ من قال لا آكل الرمّانة لحموضتها فإنّه لا يقدم على أكل كلّ حامض لاتّحاد الجهة في المنع، ولو أكل الرمّانة لحموضتها لم يلزم أن يأكل كلّ رمانة حامضة فافترقا.

وإليه أشار المصنّف رحمه الله، ولا يتمّ القياس على الواجب أي لا يتمّ قياس ترك القبيح لقبحه على فعل الواجب لوجوبه، وقد تصحّ التوبة من قبيح دون قبيح إذا اعتقد التائب في بعض القبائح أنّها حسنة وتاب عمّا يعتقده قبيحاً، فإنّه تقبل توبته لحصول الشرط فيه، وهو ندمه على القبيح لقبحه، وإذا كان هناك فعلان أحدهما عظيم القبح والآخر صغيره وهو مستحقر بالنسبة إليه حتّى لا يكون معتدّاً به، ويكون وجوده بالنسبة إلى العظيم كعدمه حتّى

تاب فاعل القبيح عن العظيم فإنّه تقبل توبته، ومثال ذلك أنّ الإنسان إذا قتل ولد غيره وكسر له قلماً ثمّ تاب وأظهر الندم على قتل الولد دون كسر القلم فإنّه تقبل توبته، ولا يعتدّ العقلاء بكسر القلم وإن كان لابدّ من أن يندم على جميع إساءته، وكما أنّ كسر القلم حال قتل الولد لا يعدّ إساءةً فكذا العزم(١).

ثمّ قال رَحِمَهُ اللَّهُ: ولمّا فرغ من تقرير كلام أبي هاشم ذكر التحقيق في هذا المقام، وتقريره أن نقول: الحقّ أنّه يجوز التوبة عن قبيح دون قبيح لأنّ الأفعال تقع بحسب الدواعي، وتنتفي الصوارف فإذا ترجح الداعي وقع الفعل. إذا عرفت هذا فنقول: يجوز أن يرجّح فاعل القبائح دواعيه إلى الندم على بعض القبائح دون بعض، وإن كانت القبائح مشتركة في أنّ الداعي يدعو إلى الندم عليها، وذلك بأن يقترن ببعض القبائح قرائن زائدة كعظم الذنب، أو كثرة الزواجر عنه، أو الشناعة عند العقلاء عند فعله؛ ولا تقترن هذه القرائن ببعض القبائح فلا يندم عليها، وهذا كما في دواعي الفعل فإنّ الأفعال الكثيرة قد تشترك في الدواعي، ثمّ يؤثر صاحب الدواعي بعض تلك الأفعال على بعض، بأن يترجّح دواعيه إلى ذلك الفعل بما يقترن به من زيادة الدواعي، فلا استبعاد في كون قبح الفعل داعياً إلى العدم ثمّ يقترن ببعض القبائح زيادة الدواعي إلى الندم عليه فيرجّح لأجلها الداعي إلى الندم على ذلك البعض، ولو اشتركت القبائح في قوّة الدواعي اشتركت في وقوع الندم عليها ولم يصحّ الندم على البعض دون الآخر، وعلى هذا ينبغي أن يحمل كلام أمير المؤمنين عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وكلام أولاده كالرضا وغيره عَلَيْهِمُ السَّلَامُ حيث نقل عنهم نفي تصحيح التوبة عن بعض القبائح دون بعض، لأنّه لولا ذلك لزم خرق الإجماع والتالي باطل فالمقدّم مثله؛ بيان الملازمة أنّ الكافر إذا تاب عن كفره وأسلم وهو مقيم على الكذب إمّا أن يحكم بإسلامه وتقبل توبته من الكفر أو لا، والثاني خرق الإجماع لاتّفاق المسلمين على إجراء حكم المسلم عليه، والأوّل هو المطلوب، وقد التزم أبو هاشم استحقاقه عقاب الكفر وعدم قبول توبته وإسلامه، ولكن لا يمتنع إطلاق اسم الإسلام عليه(٢).

الثالث: اعلم أنّ العزم على عدم العود إلى الذنب فيما بقي من العمر لا بدّ منه في التوبة كما عرفت، وهل إمكان صدوره منه في بقيّة العمر شرط، حتّى لو زنى ثمّ جبّ وعزم على أن يعود إلى الزنا على تقدير قدرته عليه لم تصحّ توبته، أم ليس بشرط فتصحّ؟ الأكثر على الثاني، بل نقل بعض المتكلّمين إجماع السلف عليه، وأولى من هذا بصحّة التوبة من تاب في مرض مخوف غلب على ظنّه الموت فيه وأمّا التوبة عند حضور الموت وتيقّن الفوت وهو المعبّر عنه بالمعاينة فقد انعقد الإجماع على عدم صحّتها، وقد مرّ ما يدلّ عليه من الآيات والأخبار.

الرابع: في أنواع التوبة، قال العلاّمة رَحِمَهُ اللَّهُ: التوبة إمّا أن تكون من ذنب يتعلّق به تعالى خاصّة، أو يتعلّق به حقّ الآدميّ.

---

(١) كشف المراد، ص ٣٩٦.

(٢) كشف المراد، ص ٣٩٨.

والأوّل إمّا أن يكون فعل قبيح كشرب الخمر والزنا، أو إخلالاً بواجب كترك الزكاة والصلاة، فالأوّل يكفي في التوبة منه الندم عليه والعزم على ترك العود إليه. وأمّا الثاني فتختلف أحكامه بحسب القوانين الشرعيّة، فمنه ما لا بدّ مع التوبة من فعله أداءاً كالزكاة، ومنه ما يجب معه القضاء كالصلاة، ومنه ما يسقطان عنه كالعيدين، وهذا الأخير يكفي فيه الندم والعزم على ترك المعاودة كما في فعل القبيح، وأمّا ما يتعلّق به حقّ الآدميّ فيجب فيه الخروج إليهم منه، فإن كان أخذ مال وجب ردّه على مالكه أو ورثته إن مات، ولو لم يتمكّن من ذلك وجب العزم عليه، وكذا إن كان حدّ قذف، وإن كان قصاصاً وجب الخروج إليهم منه، بأن يسلّم نفسه إلى أولياء المقتول فإمّا أن يقتلوه أو يعفوا عنه بالدية أو بدونها؛ وإن كان في بعض الأعضاء وجب تسليم نفسه ليقتصّ منه في ذلك العضو إلى المستحقّ من المجنيّ عليه أو الورثة، وإن كان إضلالاً وجب إرشاد من أضلّه ورجوعه ممّا اعتقده بسببه من الباطل إن أمكن ذلك. واعلم أنّ هذه التوابع ليست أجزاءاً من التوبة فإنّ العقاب سقط بالتوبة، ثمّ إن قام المكلّف بالتبعات كان ذلك إتماماً للتوبة من جهة المعنى لأنّ ترك التبعات لا يمنع من سقوط العقاب بالتوبة عمّا تاب منه، بل يسقط العقاب ويكون ترك القيام بالتبعات بمنزلة ذنوب مستأنفة يلزمه التوبة منها، نعم التائب إذا فعل التبعات بعد إظهار توبته كان ذلك دلالة على صدق الندم، وإن لم يقم بها أمكن جعله دلالة على عدم صحّة الندم. ثمّ قال رحمه الله: المغتاب إمّا أن يكون قد بلغه اغتيابه أو لا، ويلزم الفاعل للغيبة في الأوّل الاعتذار عنه إليه لأنّه أوصل إليه ضرر الغمّ فوجب عليه الاعتذار منه والندم عليه، وفي الثاني لا يلزمه الاعتذار ولا الاستحلال منه لأنّه لم يفعل به ألماً، وفي كلا القسمين يجب الندم لله تعالى لمخالفة النهي، والعزم على ترك المعاودة[1].

وقال المحقّق في التجريد: وفي إيجاب التفصيل مع الذكر إشكال. وقال العلاّمة: ذهب قاضي القضاة إلى أنّ التائب إن كان عالماً بذنوبه على التفصيل وجب عليه التوبة عن كلّ واحدة منها مفصّلاً وإن كان يعلمها على الإجمال وجب عليه التوبة كذلك مجملاً، وإن كان يعلم بعضها على التفصيل وبعضها على الإجمال وجب عليه التوبة عن المفصّل بالتفصيل وعن المجمل بالإجمال، واستشكل المصنّف رحمه الله إيجاب التفصيل مع الذكر لإمكان الاجتزاء بالندم على كلّ قبيح وقع منه وإن لم يذكره مفصّلاً[2].

ثمّ قال المحقّق رحمه الله: وفي وجوب التجديد إشكال، وقال العلاّمة قدّس سرّه: إذا تاب المكلّف عن معصية ثمّ ذكرها هل يجب عليه تجديد التوبة؟ قال أبو علي: نعم بناءاً على أنّ المكلّف القادر بقدرة لا ينفكّ عن الضدّين: إمّا الفعل، أو الترك، فعند ذكر المعصية إمّا أن يكون نادماً عليها، أو مصرّاً عليها، والثاني قبيح فيجب الأوّل. وقال أبو هاشم: لا يجب

(١) كشف المراد، ص ٣٩٩.
(٢) كشف المراد، ص ٤٠٠.

لجواز خلوّ القادر بقدرة عنهما[1].

ثمّ قال المحقّق: وكذا المعلول مع العلّة. وقال الشارح: إذا فعل المكلّف العلّة قبل وجود المعلول هل يجب عليه الندم على المعلول، أو على العلّة، أو عليهما؟ مثاله الرامي إذا رمى قبل الإصابة، قال الشيوخ: عليه الندم على الإصابة لأنّها هي القبيح، وقد صارت في حكم الموجود، لوجوب حصوله عند حصول السبب، وقال القاضي: يجب عليه ندمان أحدهما على الرمي لأنّه قبيح، والثاني على كونه مولّداً للقبيح، ولا يجوز أن يندم على المعلول، لأنّ الندم على القبيح إنّما هو لقبحه، وقبل وجوده لا قبح[2].

الخامس: اعلم أنّه لا خلاف بين المتكلّمين في وجوب التوبة سمعاً، واختلفوا في وجوبها عقلاً، فأثبته المعتزلة لدفعها ضرر العقاب. قال الشيخ البهائيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هذا لا يدلّ على وجوب التوبة عن الصغائر ممّن يجتنب الكبائر لكونها مكفّرة، ولهذا ذهبت البهشميّة إلى وجوبها عن الصغائر سمعاً لا عقلاً، نعم الاستدلال بأنّ الندم على القبيح من مقتضيات العقل الصحيح يعمّ القسمين، وأمّا فوريّة الوجوب فقد صرّح بها المعتزلة، فقالوا: يلزم بتأخيرها ساعة إثم آخر، تجب التوبة منه أيضاً، حتّى أنّ من أخّر التوبة عن الكبيرة ساعة واحدةً فقد فعل كبيرتين، وساعتين أربع كبائر: الأوّلتان وترك التوبة عن كلّ منهما، وثلاث ساعات ثمان كبائر وهكذا، وأصحابنا يوافقونهم على الفوريّة، لكنّهم لم يذكروا هذا التفصيل فيما رأيته من كتبهم الكلاميّة.

السادس: سقوط العقاب بالتوبة ممّا أجمع عليه أهل الإسلام، وإنّما الخلاف في أنّه هل يجب على الله حتّى لو عاقب بعد التوبة كان ظلماً، أو هو تفضّل يفعله سبحانه كرماً منه ورحمة بعباده؟ فالمعتزلة على الأوّل، والأشاعرة على الثاني، وإلى الثاني ذهب شيخ الطائفة في كتاب الاقتصاد، والعلاّمة الحلّي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بعض كتبه الكلاميّة وتوقّف المحقّق الطوسيّ طاب ثراه في التجريد، ومختار الشيخين هو الظاهر من الأخبار وأدعية الصحيفة الكاملة وغيرها، وهو الّذي اختاره الشيخ الطبرسيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ونسبه إلى أصحابنا كما عرفت، ودليل الوجوب ضعيف مدخول، كما لا يخفى على من تأمّل فيه.

أقول: أثبتنا بعض أخبار التوبة في باب الاستغفار، وباب صفات المؤمن، وباب صفات خيار العباد وباب جوامع المكارم، وسيأتي تحقيق الكبائر والصغائر والذنوب وأنواعها وحبط الصغائر بترك الكبائر في أبوابها إن شاء الله تعالى.

٢١ - باب نفي العبث وما يوجب النقص من الاستهزاء والسخرية والمكر والخديعة عنه تعالى وتأويل الآيات فيها

الآيات: البقرة «٢»: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ «١٥».

(١) - (٢) كشف المراد، ص ٤٠٠.

النساء «٤»: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ﴾ «١٤٢».

الأنفال «٨»: ﴿وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ﴾ «٣٠».

التوبة «٩»: ﴿فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ﴾ «٧٩».

يونس «١٠»: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَسۡرَعُ مَكۡرًاۚ﴾ «٢١».

الرعد «١٣»: ﴿وَقَدۡ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَلِلَّهِ ٱلۡمَكۡرُ جَمِيعٗاۖ﴾ «٤٢».

النمل «٢٧»: ﴿وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا وَمَكَرۡنَا مَكۡرٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ «٥٠».

الطارق «٨٦»: ﴿إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيۡدٗا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَمۡهِلۡهُمۡ رُوَيۡدَۢا ﴿١٧﴾﴾.

تفسير: قال البيضاويّ: ﴿ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ﴾ يجازيهم على استهزائهم، سمّي جزاء الاستهزاء باسمه كما سمّي جزاء السيّئة سيّئة إمّا لمقابلة اللّفظ باللفظ، أو لكونه مماثلاً له في القدر، أو يرجع وبال الاستهزاء عليهم، فيكون كالمستهزئ بهم، أو ينزل بهم الحقارة والهوان الّذي هو لازم الاستهزاء والغرض منه، أو يعاملهم معاملة المستهزئ: أمّا في الدنيا فبإجراء أحكام المسلمين عليهم، واستدراجهم بالإمهال وزيادة في النعمة على التمادي في الطغيان؛ وأمّا في الآخرة فبأن يفتح لهم وهم في النار باباً إلى الجنّة فيسرعون نحوه، فإذا صاروا إليه سدّ عليهم الباب، وذلك قوله تعالى: ﴿فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ﴾[1].

﴿وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾ من مدّ الجيش وأمدّه: إذا زاده وقوّاه، لا من المدّ في العمر، فإنّه يعدّى باللاّم؛ والمعتزلة قالوا: لمّا منعهم الله ألطافه الّتي يمنحها المؤمنين وخذلهم بسبب كفرهم وإصرارهم وسدّهم طريق التوفيق على أنفسهم فتزايدت بسببه قلوبهم ريناً وظلمة، وتزايد قلوب المؤمنين انشراحاً ونوراً، أو مكّن الشيطان من إغوائهم فزادهم طغياناً، أسند ذلك إلى الله تعالى إسناد الفعل إلى المسبّب؛ وأضاف الطغيان إليهم لئلاّ يتوهّم أنّ إسناد الفعل إليه على الحقيقة، ومصداق ذلك أنّه لمّا أسند المدّ إلى الشياطين أطلق الغيّ، وقال: ﴿وَإِخۡوَٰنُهُمۡ يَمُدُّونَهُمۡ فِي ٱلۡغَيِّ﴾ وقيل: أصله: نمدّ لهم بمعنى نملي لهم، ونمدّ في أعمارهم كي ينتبهوا ويطيعوا، فما زادوا إلاّ طغياناً وعمهاً، فحذفت اللاّم وعدّي الفعل بنفسه، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ﴾ أو التقدير: يمدّهم استصلاحاً وهم مع ذلك يعمهون في طغيانهم[2].

وقال في قوله تعالى: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾: الخدع أن توهم غيرك خلاف ما تخفيه من المكروه لتنزله عمّا هو بصدده، وخداعهم مع الله ليس على ظاهره لأنّه لا تخفى عليه خافية، ولأنّهم لم يقصدوا خديعته، بل المراد إمّا مخادعة رسوله على حذف المضاف أو على أنّ معاملة الرسول معاملة الله من حيث إنّه خليفته كما قال: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ﴾ وإمّا أنّ

---

(١) سورة المطففين، الآية: ٣٤.
(٢) تفسير البيضاوي، ج ١ ص ٤٦.

صورة صنعهم مع الله من إظهار الإيمان واستبطان الكفر وصنع الله معهم بإجراء أحكام المسلمين عليهم استدراجاً لهم، وامتثال الرسول والمؤمنين أمر الله في إخفاء حالهم مجازاة لهم بمثل صنيعهم صورة صنيع المتخادعين[1].

وقال في قوله تعالى: ﴿وَيَمْكُرُ اللَّهُ﴾ : بردّ مكرهم، أو بمجازاتهم عليه، أو بمعاملة الماكرين معهم، بأن أخرجهم إلى بدر وقلّل المسلمين في أعينهم حتّى حملوا عليهم فقتلوا. ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ إذ لا يؤبه بمكرهم دون مكره، وإسناد أمثال هذا إنّما يحسن للمزاوجة، ولا يجوز إطلاقها ابتداءاً لما فيه من إيهام الذمّ[2].

وقال في قوله: ﴿سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾ : جازاهم على سخريتهم[3].

١ - يد، مع، ن: المعاذيّ، عن أحمد الهمدانيّ، عن عليّ بن الحسن بن فضّال عن أبيه قال: سألت الرضا عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ : ﴿سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾ وعن قوله: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ وعن قوله: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ﴾ وعن قوله: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ فقال: إن الله عزّ وجلّ لا يسخر ولا يستهزئ ولا يمكر ولا يخادع ولكنّه عزّ وجلّ يجازيهم جزاء السخرية وجزاء الاستهزاء وجزاء المكر والخديعة؛ تعالى الله عمّا يقول الظالمون علوّاً كبيراً[4].

ج: مرسلاً مثله[5].

٢ - م: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ قال موسى بن جعفر عليه السلام لمّا نصب النبيّ صلّى الله عليه وآله عليّاً عليه السلام يوم غدير خم وأمر عمر وتمام تسعة من رؤساء المهاجرين والأنصار أن يبايعوه بإمرة المؤمنين ففعلوا ذلك وتواطؤوا بينهم أن يدفعوا هذا الأمر عن عليّ عليه السلام وأن يهلكوهما، كان من مواطاتهم أن قال أوّلهم: ما اعتددت بشيء كاعتدادي بهذه البيعة ولقد رجوت أن يفسح الله بها لي في قصور الجنان ويجعلني فيها من أفضل النزّال والسكّان! وقال ثانيهم: بأبي أنت وأمّي يارسول الله ما وثقت بدخول الجنّة والنجاة من النار إلاّ بهذه البيعة والله ما يسرّني إن نقضتها أو نكثت بعدما أعطيت وأنّ لي طلاع ما بين الثرى إلى العرش لآلئ رطبة وجواهر فاخرة. وقال ثالثهم: والله يارسول الله لقد صرت من الفرح بهذه البيعة ومن السرور الفسيح من الآمال في رضوان الله ما أيقنت أنّه لو كانت ذنوب أهل الأرض كلّها عليّ لمحّصت عنّي بهذه البيعة - وحلف على ما قال من ذلك - ثمّ تتابع بمثل هذا

---

(١) تفسير البيضاوي، ج ١ ص ٤٠ والآية هي ٨٠ من سورة النساء.

(٢) تفسير البيضاوي، ج ٢ ص ١٤٧. (٣) تفسير البيضاوي، ج ٢ ص ١٩٨.

(٤) التوحيد، ص ١٦٣ باب ٢١ ح ١ ومعاني الأخبار، ص ١٣ وعيون أخبار الرضا عليه السلام ، ج ١ ص ١١٥ باب ١١ ح ١٩.

(٥) الاحتجاج، ص ٤١٠.

الاعتذار من بعدهم من الجبابرة والمتمرّدين؛ فقال الله عزّوجلّ لمحمّد صلى الله عليه وآله: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ﴾ يعني يخادعون رسول الله صلى الله عليه وآله بأيمانهم خلاف ما في جوانحهم ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ كذلك أيضاً الّذين سيّدهم وفاضلهم عليّ بن أبي طالب عليه السلام. ثمّ قال: ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾ ما يضرُّون بتلك الخديعة إلاّ أنفسهم فإنّ الله غنيّ عنهم وعن نصرتهم، ولولا إمهاله لهم ما قروا على شيء من فجورهم وطغيانهم ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ أنّ الامر كذلك وأنّ الله يطلع نبيّه على نفاقهم وكذبهم وكفرهم ويأمره بلعنهم في لعنة الظالمين الناكثين؛ وذلك اللّعن لا يفارقهم؛ في الدنيا يلعنهم خيار عباد الله، وفي الآخرة يبتلون بشدائد عقاب الله[1].

﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ إلى قوله: ﴿يَعْمَهُونَ﴾ قال موسى عليه السلام: وإذا لقي هؤلاء الناكثون للبيعة، المواطئون على مخالفة عليّ عليه السلام ودفع الأمر عنه، الّذين آمنوا قالوا آمنّا كإيمانكم، إذا لقوا سلمان والمقداد و أباذرّ وعمّار قالوا آمنّا بمحمّد وسلّمنا له بيعة عليّ وفضله كما آمنتم، وإنّ أوّلهم وثانيهم وثالثهم إلى تاسعهم ربما كانوا يلتقون في بعض طرقهم مع سلمان وأصحابه فإذا لقوهم اشمأزّوا منهم وقالوا: هؤلاء أصحاب الساحر والأهوج - يعنون محمّداً وعليّاً عليهما السلام - فيقول أوّلهم: انظروا كيف أسخر منهم وأكفُّ عاديتهم عنكم؛ فإذا التقوا قال أوّلهم: مرحباً بسلمان ابن الإسلام، ويمدحه بما قال النبيّ صلى الله عليه وآله فيه، وكذا كان يمدح تمام الأربعة؛ فلمّا جازوا عنهم كان يقول الأوّل كيف رأيتم سخريتي لهؤلاء وكفّي عاديتهم عنّي وعنكم، فيقول له: لا نزال بخير ما عشت لنا، فيقول لهم: فهكذا فلتكن معاملتكم لهم إلى أن تنتهزوا الفرصة فيهم مثل هذا، فإن اللّبيب العاقل من تجرّع على الغصّة حتى ينال الفرصة، ثمّ يعودون إلى أخدانهم من المنافقين المتمرّدين المشاركين لهم في تكذيب رسول الله صلى الله عليه وآله فيما أدّاه إليهم عن الله عزّوجلّ من ذكر تفضيل أميرالمؤمنين عليه السلام ونصبه إماماً على كافّة المسلمين، قالوا لهم: إنّا معكم فيما واطأناكم عليه من دفع عليّ عن هذا الأمر إن كانت لمحمّد كائنة، فلا يغرّنكم ولا يهولنكم ما تسمعونه منّا من تقريظهم وترونا نجترئ عليهم من مداراتهم فإنّا نحن مستهزئون بهم؛ فقال الله عزّوجلّ: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ يجازيهم جزاء استهزائهم في الدنيا والآخرة ﴿وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ يمهلهم ويتأنّى بهم ويدعوهم إلى التوبة، ويعدهم إذا تابوا المغفرة، وهم يعمهون لا يرعوون عن قبيح ولا يتركون أذى بمحمّد وعليّ يمكنهم إيصاله إليهما إلاّ بلغوه.

قال العالم عليه السلام: أمّا استهزاء الله بهم في الدنيا فهو إجراؤه إيّاهم على ظاهر أحكام المسلمين لإظهارهم السمع والطاعة، وأمّا استهزاؤه بهم في الآخرة فهو أنّ الله عزّوجلّ إذا أقرّهم في دار اللّعنة والهوان وعذّبهم بتلك الألوان العجيبة من العذاب وأقرّ هؤلاء المؤمنين في الجنان بحضرة محمّد صفيّ الله الملك الديّان أطلعهم على هؤلاء المستهزئين بهم في

(١) تفسير الإمام العسكري عليه السلام، ص ١١٣ ح ٥٩.

الدنيا حتّى يروا ما هم فيه من عجائب اللّعائن وبدائع النقمات فيكون لذّتهم وسرورهم بشماتتهم كلذّتهم وسرورهم بنعيمهم في جنان ربّهم، فالمؤمنون يعرفون أولئك الكافرين والمنافقين بأسمائهم وصفاتهم، والكافرون والمنافقون ينظرون فيرون هؤلاء المؤمنين الّذين كانوا بهم في الدنيا يسخرون لما كانوا من موالاة محمّد وعليّ و آلهما يعتقدون، فيرونهم في أنواع الكرامة والنعيم؛ فيقول هؤلاء المؤمنون المشرفون على هؤلاء الكافرين المنافقين: يافلان! ويا فلان! ويا فلان! - حتّى ينادوهم بأسمائهم - ما بالكم في مواقف خزيكم ماكثون؟ هلمّوا إلينا نفتح لكم أبواب الجنان لتخلصوا من عذابكم وتلحقوا بنا؛ فيقولون: ياويلنا أنّى لنا هذا؟ فيقول المؤمنون: انظروا إلى هذه الأبواب، فينظرون إلى أبواب من الجنان مفتّحة يخيّل إليهم أنّها إلى جهنّم الّتي فيها يعذّبون، ويقدّرون أنّهم يتمكّنون من أن يخلصوا إليها فيأخذون في السباحة في بحار حميمها، وعدوا من بين أيدي زبانيتها، وهم يلحقونهم يضربونهم بأعمدتهم ومرزباتهم وسياطهم فلا يزالون هكذا يسيرون هناك، وهذه الأصناف من العذاب تمسّهم حتّى إذا قدروا أن قد بلغوا تلك الأبواب وجدوها مردومة عنهم، وتدهدهم الزبانية بأعمدتها فتنكسهم إلى سواء الجحيم، ويستلقي أولئك المؤمنون على فرشهم في مجالسهم يضحكون منهم، مستهزئين بهم، فذلك قول الله عزّوجلّ: ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾[1] [2].

بيان: قال في القاموس: الهوج محرّكة: طول في حمق وطيش وتسرّع؛ والهوجاء: الناقة المسرعة.

أقول: سيأتي تمام الخبر في موضعه إن شاء الله تعالى.

٢٢ - باب عقاب الكفار والفجار في الدنيا

الآيات: الرعد «١٣»: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ «١١».

الكهف «١٨»: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ﴾. الآيات. «٣٢ - ٤٤»

طه «٢٠»: ﴿فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾ «٩٧».

حمعسق [الشورى] «٤٢»: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣١﴾﴾.

القلم «٦٨»: ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا

---

(١) سورة المطففين، الآيتان: ٣٤-٣٥.

(٢) تفسير الإمام العسكري عليه السلام، ص ١١٨ ح ٦٣ مع بعض الاختصار.

لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

تفسير: ﴿لَيَصْرِمُنَّهَا﴾ أي ليقطعنّها ﴿وَلَا يَسْتَثْنُونَ﴾ أي لا يقولون إن شاء الله ﴿طَآئِفٌ﴾ أي بلاء طائف ﴿كَٱلصَّرِيمِ﴾ أي كالبستان الّذي صرمت ثماره ﴿وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ﴾ أي يتشاورون بينهم خفية ﴿عَلَىٰ حَرْدٍ﴾ أي نكد، من حردت السنة: إذا لم يكن فيها مطر ﴿قَٰدِرِينَ﴾ عند أنفسهم على صرامها. وسيأتي تفسير سائر الآيات وتأويلها في مواضعها.

١ - **فس:** في رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ﴾ وهي النقمة ﴿أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ﴾[1] فتحلّ بقوم غيرهم فيرون ذلك ويسمعون به، والّذين حلّت بهم عصاة كفّار مثلهم، ولا يتّعظ بعضهم ببعض، ولن يزالوا كذلك حتّى يأتي وعد الله الّذي وعد المؤمنين من النصر ويخزي الكافرين[2].

٢ - **فس:** ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾ قال: نزلت في رجل كان له بستانان كبيران، عظيمان، كثيرا الثمار - كما حكى الله عزّ وجلّ - وفيهما نخل وزرع وماء، وكان له جار فقير فافتخر الغنيّ على الفقير، وقال له: ﴿أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ ثمّ دخل بستانه وقال: ﴿مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾﴾ فقال له الفقير ﴿أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾﴾ ثمّ قال الفقير للغنيّ: فهلاّ ﴿إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾ ثمّ قال الفقير: ﴿فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا﴾ أي محترقاً ﴿أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا﴾. فوقع فيها ما قال الفقير في تلك اللّيلة ﴿فَأَصْبَحَ﴾ الغنيّ ﴿يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ﴾ على ما أنفق فيها ﴿وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾﴾ وهذه عقوبة الغنيّ[3].

٣ - عن سليمان بن عبد الله قال: كنت عند أبي الحسن موسى عليه السلام قاعداً فأُتي بامرأة قد صار وجهها قفاها، فوضع يده اليمنى في جبينها ويده اليسرى من خلف ذلك ثمّ عصر وجهها عن اليمين، ثمّ قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ فرجع وجهها، فقال: احذري أن تفعلي كما فعلت، قالوا: يابن رسول الله وما فعلت؟ فقال: ذلك مستور إلاّ أن تتكلّم به، فسألوها فقالت: كانت لي ضرّة فقمت أُصلّي فظننت أنّ زوجي معها فالتفتّ إليها

---

(١) سورة الرعد، الآية: ٣١. (٢) تفسير القمي، ج ١ ص ٣٦٧.

(٣) تفسير القمي، ج ٢ ص ٩ في تفسيره لسورة الكهف، الآيات: ٣٢-٤٣.

فرأيتها قاعدة وليس هو معها، فرجع وجهها على ما كان[1].

٤ - **شي**: عن أبي عمرو المدائنيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ أبي كان يقول: إنّ الله قضى قضاءاً حتماً: لا ينعم على عبده بنعمة إيّاه قبل أن يحدث العبد ما يستوجب بذلك الذنب سلب تلك النعمة؛ وذلك قول الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[2].

٥ - **شي**: عن أحمد بن محمّد، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام في قول الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ﴾ فصار الأمر إلى الله تعالى[3].

٦ - **شي**: عن الحسين بن سعيد المكفوف كتب إليه في كتاب له: جعلت فداك ياسيّدي علّم مولاك ما لا يقبل لقائله دعوة وما لا يؤخّر لفاعله دعوة؟ وما حدّ الاستغفار الّذي وعد عليه نوح؟ والاستغفار الّذي لا يعذّب قائله؟ وكيف يلفظ بهما؟ وما معنى قوله: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ﴾ ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾؟ وقوله: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ﴾، ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾؟ وكيف تغيير القوم ما بأنفسهم حتى يغيّر ما بأنفسهم؟.

فكتب صلوات الله عليه: كافاكم الله عنّي بتضعيف الثواب والجزاء الحسن الجميل وعليكم جميعاً السلام ورحمة الله وبركاته، الاستغفار ألف، والتوكّل من توكّل على الله فهو حسبه، ومن يتّق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب، وأمّا قوله: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ﴾ من قال: بالإمامة واتّبع أمركم بحسن طاعتهم، وأمّا التغيّر فإنه لا يسيء إليهم حتّى يتولّوا ذلك بأنفسهم بخطاياهم وارتكابهم ما نهى عنه. وكتب بخطّه[4].

نهج: وأيم الله ما كان قوم قطّ في غضّ نعمة من عيش فزال عنهم إلاّ بذنوب اجترحوها، لأنّ الله تعالى ليس بظلاّم للعبيد، ولو أنّ الناس حين تنزل بهم النقم وتزول عنهم النعم فزعوا إلى ربّهم بصدق من نيّاتهم ووله من قلوبهم لردّ عليهم كلّ شارد وأصلح لهم كلّ فاسد[5].

توضيح: في غضّ نعمة أي في نعمة غضّة طريّة ناضرة. والوله بالتحريك: الحزن والخوف؛ والشارد: النافر.

٨ - **دعوات الراونديّ**: قال الصادق عليه السلام: اتّقوا الذنوب وحذّروها إخوانكم فوالله ما العقوبة إلى أحد أسرع منها إليكم، لأنّكم لا تؤاخذون بها يوم القيامة[6].

٩ - وقال زين العابدين عليه السلام: ما من مؤمن تصيبه رفاهية في دولة الباطل إلاّ ابتلي قبل موته ببدنه أو ماله حتّى يتوفّر حظّه في دولة الحقّ[7].

---

(١) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٢٢٠ في تفسيره لسورة الرعد ح ١٨.

(٢) - (٤) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٢٢١ في تفسيره لسورة الرعد ح ١٩ و٢٠ و٢١.

(٥) نهج البلاغة، ص ٣٦٠ خطبة رقم ١٧٦.

(٦) - (٧) الدعوات للراوندي، ص ٢٩١.

٢٣ - باب علل الشرائع والأحكام

الآيات: المائدة «٥»: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ «٦».

الأعراف «٧»: ﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ «٢٨».

حمعسق [الشورى] «٤٢»: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ﴾ «١٧».

الرحمن «٥٥»: ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ۝٧ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ۝٨﴾.

تفسير: قد فسّر جماعة من المفسّرين الميزان في الآيتين بالشرع، وبعضهم بالعدل وبعضهم بالميزان المعروف. وأمّا الأخبار ففيها ثلاثة فصول:

الفصل الأوّل العلل الّتي رواها الفضل بن شاذان.

١ - **ن، ع:** حدَّثني عبد الواحد بن محمّد بن عبدوس النيسابوريّ العطّار بنيسابور في شعبان سنة اثنتين وخمسين وثلاث مائة، قال: حدَّثني أبو الحسن عليّ بن محمد بن قتيبة النيسابوريّ قال: قال أبو محمّد الفضل بن شاذان؛ وحدَّثنا الحاكم أبو جعفر محمّد بن نعيم ابن شاذان رحمه الله، عن عمّه أبي عبد الله محمّد بن شاذان قال: قال الفضل بن شاذان النيسابوريّ: إن سأل سائل فقال: أخبرني هل يجوز أن يكلّف الحكيم عبده فعلاً من الأفاعيل لغير علّة ولا معنى؟ قيل له: لا يجوز ذلك لأنّه حكيم غير عابث ولا جاهل.

فإن قال: فأخبرني لمَ كلّف الخلق؟ قيل: لعلل.

فإن قال: فأخبرني عن تلك العلل معروفة موجودة هي أم غير معروفة ولا موجودة؟ قيل: بل هي معروفة وموجودة عند أهلها.

فإن قال: أتعرفونها أنتم أم لا تعرفونها؟ قيل لهم: منها ما نعرفه، ومنها ما لا نعرفه.

فإن قال: فما أوّل الفرائض؟ قيل: الإقرار بالله عزّ وجلّ وبرسوله وحجّته عليه السلام وبما جاء من عند الله عزّ وجلّ.

فإن قال: لم أمر الله الخلق بالإقرار بالله وبرسله وحججه وبما جاء من عند الله عز وجل؟ قيل: لعلل كثيرة:

منها أنّ من لم يقرّ بالله عزّ وجلّ لم يجتنب معاصيه ولم ينته عن ارتكاب الكبائر، ولم يراقب أحداً فيما يشتهي ويستلذّ من الفساد والظلم؛ فإذا فعل الناس هذه الأشياء وارتكب كلّ إنسان ما يشتهي ويهواه من غير مراقبة لأحد كان في ذلك فساد الخلق أجمعين، ووثوب بعضهم على بعض، فغصبوا الفروج والأموال وأباحوا الدماء والنساء (والسبي ع) وقتل بعضهم بعضاً من غير حقّ ولا جرم، فيكون في ذلك خراب الدنيا، وهلاك الخلق، وفساد الحرث والنسل.

ومنها أنّ الله عزّوجلّ حكيم، ولا يكون الحكيم ولا يوصف بالحكمة إلاّ الّذي يحظر الفساد، ويأمر بالصلاح، ويزجر عن الظلم، وينهى عن الفواحش، ولا يكون حظر الفساد والامر بالصلاح والنهي عن الفواحش إلاّ بعد الإقرار بالله عزّوجلّ ومعرفة الآمر والناهي، فلو ترك الناس بغير إقرار بالله ولا معرفته لم يثبت أمر بصلاح، ولا نهي عن فساد إذ لا آمر ولا ناهي.

ومنها أنّا وجدنا الخلق قد يفسدون بأمور باطنة، مستورة عن الخلق، فلولا الإقرار بالله عزّوجلّ وخشيته بالغيب لم يكن أحد إذا خلا بشهوته وإرادته يراقب أحداً في ترك معصية، وانتهاك حرمة، وارتكاب كبيرة، إذا كان فعله ذلك مستوراً عن الخلق، غير مراقب لأحد، وكان يكون في ذلك هلاك الخلق أجمعين، فلم يكن قوام الخلق وصلاحهم إلاّ بالإقرار منهم بعليم خبير، يعلم السرّ وأخفى، آمر بالصلاح، ناه عن الفساد، لا تخفى عليه خافية، ليكون في ذلك انزجار لهم عمّا يخلون به من أنواع الفساد.

فإن قال: فلمَ وجب عليهم معرفة الرسل والإقرار بهم والإذعان لهم بالطاعة؟ قيل: لأنّه لمّا لم يكن في خلقهم وقولهم وقواهم ما يكملون لمصالحهم، وكان الصانع متعالياً عن أن يرى، وكان ضعفهم وعجزهم عن إدراكه ظاهراً لم يكن بد من رسول بينه وبينهم، معصوم يُؤدّي إليهم أمره ونهيه وأدبه، ويقفهم على ما يكون به إحراز منافعهم ودفع مضارّهم، إذ لم يكن في خلقهم ما يعرفون به ما يحتاجون إليه من منافعهم ومضارّهم، فلو لم يجب عليهم معرفته وطاعته لم يكن لهم في مجيء الرسول منفعة ولا سدّ حاجة، ولكان يكون إتيانه عبثاً لغير منفعة ولا صلاح، وليس هذا من صفة الحكيم الّذي أتقن كلّ شيء.

فإن قال: فلمَ جعل أُولي الأمر وأمر بطاعتهم؟ قيل: لعلل كثيرة:

منها أنّ الخلق لمّا وقعوا على حدّ محدود وأُمروا أن لا يتعدّوا ذلك الحدّ (تلك الحدود ع) لما فيه من فسادهم لم يكن يثبت ذلك ولا يقوم إلاّ بأن يجعل عليهم فيه أميناً يمنعهم من التعدّي والدخول فيما حظر عليهم لأنّه لو لم يكن ذلك كذلك لكان أحد لا يترك لذّته ومنفعته لفساد غيره، فجعل عليهم قيّماً يمنعهم من الفساد، ويقيم فيهم الحدود والأحكام.

ومنها أنّا لا نجد فرقة من الفرق ولا ملّة من الملل بقوا وعاشوا إلاّ بقيّم و رئيس لما لا بدّ لهم منه في أمر الدين والدنيا؛ فلم يجز في حكمة الحكيم أن يترك الخلق ممّا يعلم أنّه لا بدّ لهم منه ولا قوام لهم إلاّ به، فيقاتلون به عدوّهم، ويقسّمون به فيئهم، ويقيم لهم جمعتهم وجماعتهم، ويمنع ظالمهم من مظلومهم.

ومنها أنّه لو لم يجعل لهم إماماً قيّماً أميناً حافظاً مستودعاً لدرست الملّة، وذهب الدين، وغيّرت السنّة والأحكام، ولزاد فيه المبتدعون، ونقص منه الملحدون، وشبّهوا ذلك على المسلمين، لأنّا قد وجدنا الخلق منقوصين محتاجين، غير كاملين، مع اختلافهم واختلاف

أهوائهم وتشتّت أنحائهم، فلو لم يجعل لهم قيّماً حافظاً لما جاء به الرسول ﷺ لفسدوا على نحو ما بيّنا، وغيّرت الشرائع و السنن والأحكام والإيمان، وكان في ذلك فساد الخلق أجمعين.

فإن قيل: فلمَ لا يجوز أن يكون في الأرض إمامان في وقت واحد أو أكثر من ذلك؟ قيل: لعلل:

منها أنّ الواحد لا يختلف فعله وتدبيره، والاثنين لا يتّفق فعلهما وتدبيرهما، و ذلك أنّا لم نجد اثنين إلاّ مختلفي الهمّ والإرادة، فإذا كانا اثنين ثمّ اختلف همّهما وإرادتهما وتدبيرهما وكانا كلاهما مفترضي الطاعة لم يكن أحدهما أولى بالطاعة من صاحبه، فكان يكون في ذلك اختلاف الخلق والتشاجر والفساد، ثمّ لا يكون أحد مطيعاً لأحدهما إلاّ وهو عاص للآخر فتعمُّ المعصية أهل الأرض، ثمّ لا يكون لهم مع ذلك السبيل إلى الطاعة والإيمان، ويكونون إنّما أُتوا في ذلك من قبل الصانع الّذي وضع لهم باب الاختلاف والتشاجر إذ أمرهم باتّباع المختلفين.

ومنها أنّه لو كانا إمامين كان لكلّ من الخصمين أن يدعو إلى غير ما يدعو إليه صاحبه في الحكومة، ثمّ لا يكون أحدهما أولى بأن يتّبع من صاحبه فتبطل الحقوق والأحكام والحدود.

ومنها أنّه لا يكون واحد من الحجّتين أولى بالنطق والحكم والأمر والنهي من الآخر، فإذا كان هذا كذلك وجب عليهما أن يبتدئا بالكلام، وليس لأحدهما أن يسبق صاحبه بشيء إذا كانا في الإمامة شرعاً واحداً، فإن جاز لأحدهما السكوت جاز السكوت للآخر مثل ذلك، وإذا جاز لهما السكوت بطلت الحقوق والأحكام وعطلّت الحدود، وصارت الناس كأنّهم لا إمام لهم.

فإن قال: فلمَ لا يجوز أن يكون الإمام من غير جنس الرسول عليه السلام؟ قيل: لعلل:

منها أنّه لمّا كان الإمام مفترض الطاعة لم يكن بدّ من دلالة تدلّ عليه ويتميّز بها من غيره، وهي القرابة المشهورة، والوصيّة الظاهرة ليعرف من غيره ويهتدى إليه بعينه.

ومنها أنّه لو جاز في غير جنس الرسول لكان قد فضل من ليس برسول على الرسل إذ جعل أولاد الرسل أتباعاً لأولاد أعدائه، كأبي جهل وابن أبي معيط، لأنّه قد يجوز بزعمه أن ينتقل ذلك في أولادهم إذا كانوا مؤمنين، فيصير أولاد الرسول تابعين، وأولاد أعداء الله وأعداء رسوله متبوعين، وكان الرسول أولى بهذه الفضيلة من غيره وأحقّ.

ومنها أنّ الخلق إذا أقرّوا للرسول بالرسالة وأذعنوا له بالطاعة لم يتكبّر أحد منهم عن أن يتّبع ولده ويطيع ذرّيّته ولم يتعاظم ذلك في أنفس الناس، وإذا كان في غير جنس الرسول كان كلّ واحد منهم في نفسه أنّه أولى به من غيره، ودخلهم من ذلك الكبر، ولم تسخ أنفسهم بالطاعة

لمن هو عندهم دونهم، فكان يكون في ذلك داعية لهم إلى الفساد والنفاق والاختلاف.

فإن قال: فلمَ وجب عليهم الإقرار والمعرفة بأنّ الله تعالى واحدٌ أحدٌ؟ قيل: لعلل:

منها أنّه لو لم يجب عليهم الإقرار والمعرفة لجاز أن يتوهّموا مدبّرين أو أكثر من ذلك، وإذا جاز ذلك لم يهتدوا إلى الصانع لهم من غيره لأنّ كلّ إنسان منهم كان لا يدري لعلّه إنّما يعبد غير الّذي خلقه، ويطيع غير الّذي أمره، فلا يكونون على حقيقة من صانعهم وخالقهم، ولا يثبت عندهم أمر آمر ولا نهي ناه، إذ لا يعرف الآمر بعينه ولا الناهي من غيره.

ومنها أنّه لو جاز أن يكون اثنين لم يكن أحد الشريكين أولى بأن يعبد ويطاع من الآخر، وفي إجازة أن يطاع ذلك الشريك إجازة أن لا يطاع الله، وفي أن لا يطاع الله عزّوجلّ الكفر بالله وبجميع كتبه ورسله، وإثبات كلّ باطل، وترك كلّ حقّ، وتحليل كلّ حرام، وتحريم كلّ حلال، والدخول في كلّ معصية، والخروج من كلّ طاعة، وإباحة كلّ فساد، وإبطال لكلّ حقّ.

ومنها أنّه لو جاز أن يكون أكثر من واحد لجاز لإبليس أن يدّعي أنّه ذلك الآخر، حتّى يضادّ الله تعالى في جميع حكمه، ويصرف العباد إلى نفسه، فيكون في ذلك أعظم الكفر وأشدّ النفاق.

فإن قال: فلمَ وجب عليهم الإقرار لله بأنّه ليس كمثله شيء؟ قيل: لعلل: منها أن يكونوا قاصدين نحوه بالعبادة والطاعة دون غيره، غير مشتبه عليهم أمر ربّهم وصانعهم ورازقهم.

ومنها أنّهم لو لم يعلموا أنّه ليس كمثله شيء لم يدروا لعلّ ربّهم وصانعهم هذه الأصنام الّتي نصبتها لهم آباؤهم والشمس والقمر والنيّران إذا كان جائزاً أن يكون عليهم مشبّهة[1]، وكان يكون في ذلك الفساد، وترك طاعاته كلّها، وارتكاب معاصيه كلّها، على قدر ما يتناهى إليهم من أخبار هذه الأرباب وأمرها ونهيها.

ومنها أنّه لو لم يجب عليهم أن يعرفوا أن ليس كمثله شيء لجاز عندهم أن يجري عليه ما يجري على المخلوقين من العجز والجهل والتغيير والزوال والفناء والكذب والاعتداء، ومن جازت عليه هذه الأشياء لم يؤمن فناؤه ولم يوثق بعدله، ولم يحقّق قوله وأمره ونهيه، ووعده ووعيده وثوابه وعقابه، وفي ذلك فساد الخلق وإبطال الربوبيّة.

فإن قال: لمَ أمر الله تعالى العباد ونهاهم؟ قيل: لأنّه لا يكون بقاؤهم وصلاحهم إلاّ بالأمر والنهي والمنع عن الفساد والتغاصب.

فإن قال: فلمَ تعبّدهم؟ قيل: لئلاّ يكونوا ناسين لذكره، ولا تاركين لأدبه، ولا لاهين عن أمره ونهيه، إذ كان فيه صلاحهم وقوامهم، فلو تركوا بغير تعبد لطال عليهم الأمد فقست قلوبهم.

---

(١) في العيون، مشتبه، وفي العلل: مشبهاً.

فإن قال: فلمَ أُمروا بالصلاة؟ قيل: لأنّ في الصلاة الإقرار بالربوبيّة، وهو صلاح عامّ لأنّ فيه خلع الأنداد، والقيام بين يدي الجبّار بالذل والاستكانة والخضوع، والاعتراف وطلب الإقالة من سالف الذنوب، ووضع الجبهة على الأرض كلّ يوم وليلة، ليكون العبد ذاكراً لله تعالى غير ناس له، ويكون خاشعاً، وجلاً، متذللاً، طالباً، راغباً في الزيادة للدين والدنيا، مع ما فيه من الانزجار عن الفساد، وصار ذلك عليه في كلّ يوم وليلة لئلاّ ينسى العبد مدبّره وخالقه فيبطر ويطغى، وليكون في ذكر خالقه والقيام بين يدي ربّه زاجراً له عن المعاصي، وحاجزاً ومانعاً عن أنواع الفساد.

فإن قال: فلمَ أُمروا بالوضوء وبدئ به؟ قيل: لأن يكون العبد طاهراً إذا قام بين يدي الجبّار عند مناجاته إيّاه، مطيعاً له فيما أمره، نقيّاً من الأدناس والنجاسة، مع ما فيه من ذهاب الكسل وطرد النعاس، وتزكية الفؤاد للقيام بين يدي الجبّار.

فإن قال: لمَ وجب ذلك على الوجه واليدين والرأس والرجلين؟ قيل: لأنّ العبد إذا قام بين يدي الجبّار فإنّما ينكشف من جوارحه ويظهر ما وجب فيه الوضوء، وذلك أنّه بوجهه يسجد ويخضع، وبيده يسأل ويرغب (ويرهب ويتبتّل ع) وينسك، وبرأسه يستقبل في ركوعه وسجوده، وبرجليه يقوم ويقعد.

فإن قال: فلمَ وجب الغسل على الوجه واليدين، وجعل المسح على الرأس والرجلين، ولم يجعل ذلك غسلاً كلّه أو مسحاً كله؟ قيل: لعلل شتّى:

منها أنّ العبادة العظمى إنّما هي الركوع والسجود، وإنّما يكون الركوع والسجود بالوجه واليدين لا بالرأس والرجلين.

ومنها أنّ الخلق لا يطيقون في كلّ وقت غسل الرأس والرجلين ويشتدّ ذلك عليهم في البرد والسفر والمرض وأوقات من اللّيل والنهار، وغسل الوجه واليدين أخفّ من غسل الرأس والرجلين، وإنّما وضعت الفرائض على قدر أقلّ الناس طاقة من أهل الصحّة ثمّ عمّ فيها القويّ والضعيف.

ومنها أنّ الرأس والرجلين ليسا هما في كلّ وقت باديين ظاهرين كالوجه واليدين، لموضع العمامة والخفّين وغير ذلك.

فإن قال: فلمَ وجب الوضوء ممّا خرج من الطرفين خاصّة ومن النوم دون سائر الأشياء؟ قيل: لأنّ الطرفين هما طريق النجاسة، وليس للإنسان طريق تصيبه النجاسة من نفسه إلاّ منهما، فأُمروا بالطهارة عندما تصيبهم تلك النجاسة من أنفسهم، وأمّا النوم فإنّ النائم إذا غلب عليه النوم يفتح كلّ شيء منه (واسترخى ع) وكان أغلب الأشياء عليه في الخروج منه الريح فوجب عليه الوضوء لهذه العلّة.

فإن قال: فلمَ لم يؤمروا بالغسل من هذه النجاسة كما أُمروا بالغسل من الجنابة؟ قيل: لأنّ

هذا شيء دائم غير ممكن للخلق الاغتسال منه كلّما يصيب ذلك، ولا يكلّف الله نفساً إلاّ وسعها، والجنابة ليس هي أمراً دائماً، إنّما هي شهوة يصيبها إذا أراد، ويمكنه تعجيلها وتأخيرها الأيّام الثلاثة والأقلّ والأكثر، وليس ذلك هكذا.

فإن قال: فلم أُمروا بالغسل من الجنابة ولم يؤمروا بالغسل من الخلاء وهو أنجس من الجنابة وأقذر؟ قيل: من أجل أنّ الجنابة من نفس الإنسان وهو شيء يخرج من جميع جسده، والخلاء ليس هو من نفس الإنسان إنّما هو غذاء يدخل من باب و يخرج من باب.

أقول: في بعض نسخ علل الشرائع زيادة هي هذه: فإن قال: فلمَ صار الاستنجاء فرضاً؟ قيل: لأنّه لا يجوز للعبد أن يقوم بين يدي الجبّار وشيء من ثيابه وجسده نجس.

قال مصنّف هذا الكتاب: غلط الفضل وذلك لأنّ الاستنجاء به ليس بفرض، و إنّما هو سنّة. رجعنا إلى كلام الفضل انتهى.

ولنرجع إلى المشترك بين الكتابين: فإن قال: أخبرني عن الأذان لمَ أُمروا به؟ قيل: لعلل كثيرة: منها أن يكون تذكيراً للساهي، وتنبيهاً للغافل، وتعريفاً لمن جهل الوقت واشتغل عن الصلاة، وليكون ذلك داعياً إلى عبادة الخالق، مرغّباً فيها، مقرّاً له بالتوحيد، مجاهراً بالإيمان، معلناً بالإسلام، مؤذناً لمن نسيها، وإنّما يقال: مؤذّن، لأنّه يؤذن بالصلاة.

فإن قال: فلم بدئ فيه بالتكبير قبل التسبيح والتهليل والتحميد؟ قيل: لأنّه أراد أن يبدأ بذكره واسمه لأنّ اسم الله تعالى في التكبير في أوّل الحرف، وفي التسبيح والتهليل والتحميد اسم الله في آخر الحرف فبدئ بالحرف الّذي اسم الله في أوّله لا في آخره.

فإن قال: فلم جعل مثنى مثنى؟ قيل: لأن يكون مكرّراً في آذان المستمعين، مؤكّداً عليهم، إن سها أحد عن الأوّل لم يسه عن الثاني، ولأنّ الصلاة ركعتان ركعتان فلذلك جعل الأذان مثنى مثنى.

فإن قال: فلمَ جعل التكبير في أوّل الأذان أربعاً؟ قيل: لأنّ أوّل الأذان إنّما يبدو غفلةً، وليس قبله كلام يتنبّه المستمع له فجعل ذلك تنبيهاً للمستمعين لما بعده في الأذان.

فإن قال: فلمَ جعل بعد التكبير شهادتين؟ قيل: لأنّ أوّل الإيمان التوحيد والإقرار لله عزّوجلّ بالوحدانيّة، والثاني الإقرار للرسول بالرسالة، وأنّ طاعتهما ومعرفتهما مقرونتان، وأنّ أصل الإيمان إنّما هو الشهادة، فجعل شهادتين في الأذان كما جعل في سائر الحقوق شهادتين، فإذا أقرّ لله بالوحدانيّة وأقرّ للرسول بالرسالة فقد أقرّ بجملة الإيمان، لأنّ أصل الإيمان إنّما هو الإقرار بالله وبرسوله.

فإن قال: فلمَ جعل بعد الشهادتين الدعاء إلى الصلاة؟ قيل: لأنّ الأذان إنّما وضع لموضع الصلاة وإنّما هو نداء إلى الصلاة، فجعل النداء إلى الصلاة في وسط الأذان فقدّم المؤذّن قبلها أربعاً: التكبيرتين والشهادتين، وأخّر بعدها أربعاً يدعو إلى الفلاح حثّاً على البرّ

والصلاة، ثمَّ دعا إلى خير العمل، مرغّباً فيها وفي عملها وفي أدائها، ثمَّ نادى بالتكبير والتهليل ليتمَّ بعدها أربعاً، كما أتمّ قبلها أربعاً، وليختم كلامه بذكر الله تعالى كما فتحه بذكر الله تعالى.

فإن قال: فلمَ جعل آخرها التهليل ولم يجعل آخرها التكبير كما جعل في أوّلها التكبير؟ قيل: لأنّ التهليل اسم الله في آخره فأحبّ الله تعالى أن يختم الكلام باسمه كما فتحه باسمه.

فإن قال: فلمَ لم يجعل بدل التهليل التسبيح أو التحميد واسم الله في آخرهما؟ قيل: لأنّ التهليل هو إقرار لله تعالى بالتوحيد وخلع الأنداد من دون الله، وهو أوّل الإيمان وأعظم من التسبيح والتحميد.

فإن قال: فلمَ بدئ في الاستفتاح والركوع والسجود والقيام والقعود بالتكبير؟ قيل: للعلّة الّتي ذكرناها في الأذان.

فإن قال: فلمَ جعل الدعاء في الركعة الأُولى قبل القراءة؟ ولم جعل في الركعة الثانية القنوت بعد القراءة؟ قيل: لأنّه أحبّ أن يفتح قيامه لربّه وعبادته بالتحميد والتقديس والرغبة والرهبة، ويختمه بمثل ذلك، ليكون في القيام عند القنوت طول فأحرى أن يدرك المدرك الركوع فلا تفوته الركعة في الجماعة.

فإن قال: فلمَ أمروا بالقراءة في الصلاة؟ قيل: لئلا يكون القرآن مهجوراً مضيّعاً، وليكون محفوظاً فلا يضمحلّ ولا يجهل.

فإن قال: فلمَ بدئ بالحمد في كلّ قراءة دون سائر السور؟ قيل: لأنّه ليس شيء من القرآن والكلام جمع فيه من جوامع الخير والحكمة ما جمع في سورة الحمد، وذلك أنّ قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ إنّما هو أداء لما أوجب الله تعالى على خلقه من الشكر، وشكرٌ لما وفّق عبده للخير ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ تمجيد له وتحميد وإقرار بأنّه هو الخالق المالك لا غيره ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ استعطاف وذكر لآلائه ونعمائه على جميع خلقه، ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ إقرار بالبعث والحساب والمجازاة، وإيجاب له ملك الآخرة كما أوجب له ملك الدنيا، ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ رغبةٌ وتقرّب إلى الله عزّوجلّ وإخلاص بالعمل له دون غيره ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ استزادة من توفيقه وعبادته واستدامة لما أنعم عليه ونصره، ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ استرشاد لأدبه واعتصام بحبله واستزادة في المعرفة بربّه وبعظمته وكبريائه ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ توكيد في السؤال والرغبة، وذكر لما قد تقدّم من نعمه على أوليائه، ورغبة في تلك النعم ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ استعاذة من أن يكون من المعاندين الكافرين، المستخفّين به وبأمره ونهيه ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ اعتصام من أن يكون من الضالّين الّذين ضلّوا عن سبيله من غير معرفة، وهم يحسبون أنّهم يحسنون صنعاً فقد اجتمع فيه من جوامع الخير والحكمة في أمر الآخرة والدنيا ما لا يجمعه شيء من الأشياء.

فإن قال: فلمَ جعل التسبيح في الركوع والسّجود؟ قيل: لعلل: منها أن يكون العبد مع خضوعه وخشوعه وتعبّده وتورّعه واستكانته وتذلّله وتواضعه وتقرّبه إلى ربّه مقدّساً له، ممجّداً، مسبّحاً، معظّماً، شاكراً لخالقه ورازقه، وليستعمل التسبيح والتحميد كما استعمل التكبير والتهليل، وليشغل قلبه وذهنه بذكر الله فلا يذهب به الفكر والأمانيّ إلى غير الله.

فإن قال: فلمَ جعل أصل الصلاة ركعتين؟ ولم زيد على بعضها ركعة وعلى بعضها ركعتان ولم يزد على بعضها شيء؟ قيل: لأنّ أصل الصلاة إنّما هي ركعةٌ واحدة لأنّ أصل العدد واحد، فإذا نقصت من واحد فليست هي صلاة، فعلم الله عزّوجلّ أن العباد لا يؤدّون تلك الركعة الواحدة الّتي لا صلاة أقلّ منها بكمالها وتمامها والإقبال عليها، فقرن إليها ركعة ليتمّ بالثانية ما نقص من الأولى، ففرض الله عزّوجلّ أصل الصلاة ركعتين، ثمّ علم رسول الله صلى الله عليه وآله أنّ العباد لا يؤدّون هاتين الركعتين بتمام ما أمروا به وكماله فضمّ إلى الظهر والعصر والعشاء الآخرة ركعتين ركعتين، ليكون فيهما تمام الركعتين الأوليين، ثمّ علم أنّ صلاة المغرب يكون شغل الناس في وقتها أكثر للانصراف إلى الأوطان (الإفطار خ ل) والأكل والوضوء والتهيئة للمبيت، فزاد فيها ركعةً واحدةً ليكون أخفّ عليهم، ولأن تصير ركعات الصلاة في اليوم واللّيلة فرداً، ثمّ ترك الغداة على حالها لأنّ الاشتغال في وقتها أكثر، والمبادرة إلى الحوائج فيها أعمّ ولأنّ القلوب فيها أخلا من الفكر لقلّة معاملات الناس باللّيل، ولقلّة الأخذ والإعطاء، فالإنسان فيها أقبل على صلاته منه في غيرها من الصلوات لأنّ الفكر أقلّ لعدم العمل من اللّيل.

فإن قال: فلمَ جعل التكبير في الاستفتاح سبع مرّات؟ قيل: لأنّ الفرض منها واحد، وسائرها سنّة، وإنّما جعل ذلك لأنّ التكبير في الركعة الأولى الّتي هي الأصل كلّه سبع تكبيرات: تكبيرة الاستفتاح، وتكبيرة الركوع، وتكبيرتي السجود، وتكبيرة أيضاً للركوع، وتكبيرتين للسجود؛ فإذا كبّر الإنسان أوّل الصلاة سبع تكبيرات فقد أحرز التكبير كلّه، فإن سها في شيء منها أو تركها لم يدخل عليه نقص في صلاته.

أقول: وفي العلل كما قال أبو جعفر وأبوعبدالله عليهما السلام من كبّر أوّل صلاته سبع تكبيرات أجزأه ويجزي تكبيرة واحدة، ثمّ إن لم يكبّر في شيء من صلاته أجزأه عنه ذلك وإنّما عنى بذلك إذا تركها ساهياً أو ناسياً؛ قال مصنّف هذا الكتاب: غلط الفضل إنّ تكبيرة الافتتاح فريضة وإنّما هي سنّة واجبة. رجعنا إلى كلام الفضل.

أقول: رجعنا إلى المشترك.

إن قال: فلمَ جعل ركعة وسجدتين؟ قيل: لأنّ الركوع من فعل القيام، والسجود من فعل القعود، وصلاة القاعد على النصف من صلاة القيام، فضوعف السجود ليستوي بالركوع فلا يكون بينهما تفاوت لأنّ الصلاة إنّما هي ركوع وسجود.

فإن قال: فلمَ جعل التشهّد بعد الركعتين؟ قيل: لأنّه كما قدّم قبل الركوع والسجود الأذان والدعاء والقراءة فكذلك أيضاً أمر بعدها بالتشهّد والتحميد والدعاء.

فإن قال: فلمَ جعل التسليم تحليل الصلاة ولم يجعل بدله تكبيراً أو تسبيحاً، أو ضرباً آخر؟ قيل: لأنّه لمّا كان في الدخول في الصلاة تحريم الكلام للمخلوقين والتوجه إلى الخالق كان تحليلها كلام المخلوقين والانتقال عنها، وابتداء المخلوقين بالكلام إنّما هو بالتسليم.

فإن قال: فلمَ جعل القراءة في الركعتين الأولين والتسبيح في الأخريين؟ قيل: للفرق بين ما فرضه الله عزّوجلّ من عنده وما فرضه من عند رسوله.

فإن قال: فلمَ جعلت الجماعة؟ قيل: لأن لا يكون الاخلاص والتوحيد والإسلام والعبادة لله إلاّ ظاهراً مكشوفاً مشهوداً، لأنّ في إظهاره حجّة على أهل الشرق والغرب لله عزّوجلّ، وليكون المنافق المستخفّ مؤدّياً لمّا أقرّ به يظهر الإسلام والمراقبة، ولتكون شهادات الناس بالإسلام بعضهم لبعض جائزة ممكنة، مع ما فيه من المساعدة على البرّ والتقوى والزجر عن كثير من معاصي الله عزّوجلّ.

فإن قال: فلمَ جعل الجهر في بعض الصلاة ولم يجعل في بعض؟ قيل: لأنّ الصلوات الّتي يجهر فيها إنّما هي صلوات تصلّى في أوقات مظلمة فوجب أن يجهر فيها، لأن يمرّ المارّ فيعلم أنّ ههنا جماعة، فإن أراد أن يصلّي صلّى، ولأنّه إن لم ير جماعة تصلّي سمع وعلم ذلك من جهة السماع؛ والصلاتان اللّتان لا يجهر فيهما فإنّهما بالنهار، وفي أوقات مضيئة فهي تدرك من جهة الرؤية، فلا يحتاج فيها إلى السماع.

فإن قال: فلمَ جعلت الصلوات في هذه الأوقات ولم تقدّم ولم تؤخّر؟ قيل: لأنّ الأوقات المشهورة المعلومة الّتي تعمّ أهل الأرض فيعرفها الجاهل والعالم أربعة: غروب الشمس معروف تجب عنده المغرب، وسقوط الشفق مشهور تجب عنده العشاء الآخرة؛ وطلوع الفجر مشهور معلوم تجب عنده الغداة، وزوال الشمس مشهور معلوم تجب عنده الظهر، ولم يكن للعصر وقت معروف مشهور مثل هذه الأوقات الأربعة فجعل وقتها عند الفراغ من الصلاة الّتي قبلها؛ وعلّة أخرى أنّ الله عزّوجلّ أحبّ أن يبدأ الناس في كلّ عمل أوّلاً بطاعته وعبادته، فأمرهم أوّل النهار أن يبدؤوا بعبادته ثمّ ينتشروا فيما أحبّوا من مرمّة دنياهم، فأوجب صلاة الغداة عليهم، فإذا كان نصف النهار و تركوا ما كانوا فيه من الشغل وهو وقت يضع الناس فيه ثيابهم، ويستريحون، ويشتغلون بطعامهم وقيلولتهم، فأمرهم أن يبدؤوا أوّلاً بذكره وعبادته فأوجب عليهم الظهر، ثمّ يتفرّغوا لما أحبّوا من ذلك، فإذا قضوا وطرهم وأرادوا الانتشار في العلم لآخر النهار بدؤوا أيضاً بعبادته، ثمّ صاروا إلى ما أحبّوا من ذلك فأوجب عليهم العصر، ثمّ ينتشرون فيما شاؤوا من مرمّة دنياهم فاذا جاء اللّيل ووضعوا زينتهم وعادوا إلى أوطانهم ابتدؤوا أوّلاً بعبادة ربّهم، ثمّ يتفرّغون لما أحبّوا من ذلك فأوجب

عليهم المغرب، فإذا جاء وقت النوم وفرغوا ممّا كانوا به مشتغلين أحبَّ أن يبدؤوا أوّلاً بعبادته وطاعته ثمّ يصيرون إلى ما شاؤوا أن يصيروا إليه من ذلك فيكونوا قد بدؤوا في كلّ عمل بطاعته وعبادته، فأوجب عليهم العتمة فإذا فعلوا ذلك لم ينسوه ولم يغفلوا عنه ولم تقس قلوبهم ولم تقلّ رغبتهم.

فإن قال: فلمَ إذا لم يكن للعصر وقت مشهور مثل تلك الأوقات أوجبها بين الظهر والمغرب، ولم يوجبها بين العتمة والغداة، أو بين الغداة والظهر؟ قيل: لأنّه ليس وقت على الناس أخفّ ولا أيسر ولا أحرى أن يعمّ فيه الضعيف والقويّ بهذه الصلاة من هذا الوقت، وذلك أنّ الناس عامّتهم يشتغلون في أوّل النهار بالتجارات والمعاملات والذهاب في الحوائج، وإقامة الأسواق، فأراد أن لا يشغلهم عن طلب معاشهم ومصلحة دنياهم وليس يقدر الخلق كلّهم على قيام اللّيل ولا يشعرون به ولا ينتبهون لوقته لو كان واجباً، ولا يمكنهم ذلك فخفّف الله تعالى عنهم، ولم يجعلها في أشدّ الأوقات عليهم، ولكن جعلها في أخفّ الأوقات عليهم كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾.

فإن قال: فلمَ يرفع اليدان في التكبير؟ قيل: لأنّ رفع اليدين هو ضرب من الابتهال والتبتّل والتضرّع، فأوجب الله عزّ وجلّ أن يكون العبد في وقت ذكره متبتّلاً متضرّعاً، مبتهلاً، ولأنّ في وقت رفع اليدين إحضار النيّة وإقبال القلب على ما قال وقصد.

أقول: في العلل: لأنّ الفرض من الذكر إنّما هو الاستفتاح وكلّ سنّة فإنّما تؤدّى على جهة الفرض، فلمّا أن كان في الاستفتاح الّذي هو الفرض رفع اليدين أحبَّ أن يؤدّوا السنّة على جهة ما يؤدّون الفرض. ولنرجع إلى المشترك.

فإن قال: فلمَ جعل صلاة السنّة أربعاً وثلاثين ركعة؟ قيل: لأنّ الفريضة سبع عشر ركعة فجعلت السنّة مثلي الفريضة، كمالاً للفريضة.

فإن قال: فلمَ جعل صلاة السنّة في أوقات مختلفة، ولم تجعل في وقت واحد؟ قيل: لأنّ أفضل الأوقات ثلاثة: عند زوال الشمس، وبعد المغرب، وبالأسحار، فأحبّ أن يصلّى له في كلّ هذه الأوقات الثلاثة، لأنّه إذا فرّقت السنّة في أوقات شتّى كان أداؤها أيسر وأخفّ من أن تجمع كلّها في وقت واحد.

فإن قال: فلمَ صارت صلاة الجمعة إذا كانت مع الإمام ركعتين، وإذا كانت بغير إمام ركعتين وركعتين؟ قيل: لعلل شتّى:

منها أنّ الناس يتخطّون إلى الجمعة من بعد، فأحبّ الله عزّ وجلّ أن يخفّف عنهم لموضع التعب الّذي صاروا إليه.

ومنها أنّ الإمام يحبسهم للخطبة وهم منتظرون للصلاة، ومن انتظر الصلاة فهو في صلاة في حكم التمام.

ومنها أنّ الصلاة مع الإمام أتمّ وأكمل لعلمه وفقهه وعدله وفضله.

ومنها أنّ الجمعة عيد وصلاة العيد ركعتان، ولم تقصّر لمكان الخطبتين.

فإن قال: فلمَ جعلت الخطبة؟ قيل: لأنّ الجمعة مشهد عامّ، فأراد أن يكون الإمام سبباً لموعظتهم (للأمير سبب إلى موعظتهم خ ل) وترغيبهم في الطاعة، وترهيبهم من المعصية، وتوفيقهم على ما أراد من مصلحة دينهم ودنياهم، ويخبرهم بما ورد عليهم من الآفات ومن الأهوال الّتي لهم فيها المضرّة والمنفعة.

فإن قال: فلمَ جعلت خطبتين؟ قيل: لأن يكون واحدة للثناء والتمجيد والتقديس لله عزّ وجلّ، والأخرى للحوائج والإعذار والإنذار والدعاء، وما يريد أن يعلّمهم من أمره ونهيه ما فيه الصلاح والفساد.

فإن قال: فلمَ جعلت الخطبة يوم الجمعة قبل الصلاة، وجعلت في العيدين بعد الصلاة؟ قيل: لأنّ الجمعة أمر دائم، وتكون في الشهر مراراً وفي السنة كثيراً، فإذا كثر ذلك على الناس ملّوا وتركوا ولم يقيموا عليه وتفرّقوا عنه فجعلت قبل الصلاة ليحتبسوا على الصلاة ولا يتفرّقوا ولا يذهبوا، وأمّا العيدين فإنّما هو في السنة مرّتين وهو أعظم من الجمعة والزحام فيه أكثر، والناس فيه أرغب، فإن تفرّق بعض الناس بقي عامّتهم، وليس هو بكثير فيملّوا ويستخفّوا به.

قال مصنّف هذا الكتاب رحمه الله: جاء هذا الخبر هكذا: والخطبتان في الجمعة والعيدين بعد الصلاة، لأنّهما بمنزلة الركعتين الأخراوين، وأوّل من قدّم الخطبتين عثمان بن عفّان لأنّه لمّا أحدث ما أحدث لم يكن الناس يقفون على خطبته، ويقولون: ما نصنع بمواعظه وقد أحدث ما أحدث؟ فقدّم الخطبتين ليقف الناس انتظاراً للصلاة فلا يتفرّقوا عنه.

فإن قال: فلمَ وجبت الجمعة على من يكون على فرسخين لا أكثر من ذلك؟ قيل: لأنّ ما يقصّر فيه الصلاة بريدان ذاهباً أو بريد ذاهباً وجائياً، والبريد أربعة فراسخ فوجبت الجمعة على من هو على نصف البريد الّذي يجب فيه التقصير، وذلك أنّه يجيء فرسخين ويذهب فرسخين فذلك أربعة فراسخ وهو نصف طريق المسافر.

فإن قال: فلمَ زيد في صلاة السنّة يوم الجمعة أربع ركعات؟ قيل: تعظيماً لذلك اليوم وتفرقةً بينه وبين سائر الأيّام.

فإن قال: فلمَ قصرت الصلاة في السفر؟ قيل: لأنّ الصلاة المفروضة أوّلاً إنّما هي عشر ركعات، والسبع إنّما زيدت فيها بعد، فخفّف الله عنه تلك الزيادة لموضع سفره وتعبه ونصبه، واشتغاله بأمر نفسه وظعنه وإقامته، لئلا يشتغل عمّا لا بدّ له من معيشته، رحمةً من الله تعالى وتعطّفاً عليه، إلاّ صلاة المغرب فإنّها لم تقصّر لأنّها صلاة مقصّرة في الأصل.

فإن قال: فلمَ يجب التقصير في ثمانية فراسخ لا أقلّ من ذلك ولا أكثر؟ قيل: لأنّ ثمانية فراسخ مسيرة يوم للعامة والقوافل والأثقال فوجب التقصير في مسيرة يوم.

فإن قال: فلمَ وجب التقصير في مسيرة يوم؟ قيل: لأنّه لو لم يجب في مسيرة يوم لما وجب في مسيرة سنة، وذلك أنّ كلّ يوم يكون بعد هذا اليوم فإنّما هو نظير هذا اليوم، فلو لم يجب في هذا اليوم لما وجب في نظيره إذا كان نظيره مثله لا فرق بينهما.

فإن قال: قد يختلف السير فلمَ جعلت أنت مسيرة يوم ثمانية فراسخ؟ قيل: لأنّ ثمانية فراسخ هي مسير الجمال والقوافل وهو السير الّذي يسيره الجمّالون والمكارون.

فإن قال: فلمَ ترك تطوّع النهار ولا يترك تطوّع اللّيل؟ قيل: لأنّ كلّ صلاة لا تقصير فيها فلا تقصير في تطوّعها، وذلك أنّ المغرب لا تقصير فيها فلا تقصير فيما بعدها من التطوّع، وكذلك الغداة لا تقصير فيما قبلها من التطوّع.

فإن قال: فما بال العتمة مقصّرة وليس تترك ركعتاها؟ قيل: إنّ تلك الركعتين ليستا من الخمسين، وإنّما هي زيادة في الخمسين تطوّعاً ليتمّ بها بدل كلّ ركعة من الفريضة ركعتين من النوافل.

فإن قال: فلمَ جاز للمسافر والمريض أن يصلّيا صلاة اللّيل في أوّل اللّيل؟ قيل لاشتغاله وضعفه ليحرز صلاته؛ فيستريح المريض في وقت راحته، ويشتغل المسافر بأشغاله وارتحاله وسفره.

فإن قال: فلمَ أُمروا بالصلاة على الميّت؟ قيل: ليشفعوا له ويدعوا له بالمغفرة لأنّه لم يكن في وقت من الأوقات أحوج إلى الشفاعة فيه والطلب والاستغفار من تلك الساعة.

فإن قال: فلمَ جعلت خمس تكبيرات دون أن يكبّر أربعاً أو ستّاً؟ قيل: إنّ الخمس إنّما أُخذت من الخمس الصلوات في اليوم والليلة.

أقول: في العلل: وذلك أنّه ليس في الصلاة تكبيرة مفروضة إلاّ تكبيرة الافتتاح فجمعت التكبيرات المفروضات في اليوم واللّيلة فجعلت صلاةً على الميّت. ولنرجع على المشترك.

فإن قال: فلمَ لم يكن فيها ركوع وسجود؟ قيل: لأنّه إنّما يريد بهذه الصلاة الشفاعة لهذا العبد الّذي قد تخلّى ممّا خلّف واحتاج إلى ما قدّم.

فإن قال: فلمَ أمر بغسل الميّت؟ قيل: لأنّه إذا مات كان الغالب عليه النجاسة والآفة والأذى، فأحبّ أن يكون طاهراً إذا باشر أهل الطهارة من الملائكة الّذين يلونه ويماسّونه فيما بينهم نظيفاً، موجهاً به إلى الله عزّ وجلّ، وليس من ميّت يموت إلاّ خرجت منه الجنابة، فلذلك أيضاً وجب الغسل.

فإن قال: فلمَ أُمروا بكفن الميّت؟ قيل: ليلقى ربّه عزّ وجلّ طاهر الجسد، ولئلاّ تبدو عورته لمن يحمله ويدفنه، ولئلاّ يظهر الناس على بعض حاله وقبح منظره ولئلاّ يقسو القلب من كثرة النظر إلى مثل ذلك للعاهة والفساد، وليكون أطيب لأنفس الأحياء، ولئلاّ يبغضه حميم فيلقي ذكره ومودّته فلا يحفظه فيما خلّف وأوصاه وأمره به وأحبّ.

فإن قال: فلمَ أُمروا بدفنه؟ قيل: لئلاّ يظهر الناس على فساد جسده وقبح منظره وتغيّر ريحه ولا يتأذّى به الأحياء بريحه وبما يدخل عليه من الآفة والفساد، وليكون مستوراً عن الأولياء والأعداء فلا يشمت عدوّ ولا يحزن صديق.

فإن قال: فلمَ أمر من يغسّله بالغسل؟ قيل: لعلّة الطهارة ممّا أصابه من نضح الميّت لأنّ الميّت إذا خرج منه الروح بقي منه أكثر آفته.

فإن قال: فلمَ لم يجب الغسل على من مسّ شيئاً من الأموات غير الإنسان كالطير والبهائم والسباع وغير ذلك؟ قيل: لأنّ هذه الأشياء كلّها ملبّسة ريشاً وصوفاً وشعراً ووبراً وهذا كلّه ذكيّ ولا يموت، وإنّما يماسّ منه الشيء الّذي هو ذكيّ من الحيّ والميّت.

أقول: في العلل: الّذي قد ألبسه وعلاه.

فإن قال: فلمَ جوّزتم الصلاة على الميّت بغير وضوء؟ قيل لأنّه ليس فيها ركوع ولا سجود، وإنّما هي دعاء ومسألة، وقد يجوز أن تدعو الله عزّوجلّ وتسأله على أيّ حال كنت، وإنّما يجب الوضوء في الصلاة الّتي فيها ركوع وسجود. ولنرجع إلى المشترك.

فإن قال: فلمَ جوّزتم الصلاة عليه قبل المغرب وبعد الفجر؟ قيل: لأنّ هذه الصلاة إنّما تجب في وقت الحضور والعلّة، وليست هي موقّتة كسائر الصلوات، وإنّما هي صلاة تجب في وقت حدوث الحدث ليس للإنسان فيه اختيار، وإنّما هو حقّ يؤدّى وجائز أن يؤدّى الحقوق في أيّ وقت كان، إذا لم يكن الحقّ موقّتاً.

فإن قال: فلمَ جعلت للكسوف صلاة؟ قيل: لأنّه آية من آيات الله عزّوجلّ لا يدرى ألرحمة ظهرت أم لعذاب؟ فأحبّ النبيّ صلّى الله عليه وآله أن تفزع أمّته إلى خالقها و راحمها عند ذلك ليصرف عنهم شرّها ويقيهم مكروهها، كما صرف عن قوم يونس حين تضرّعوا إلى الله عزّوجلّ.

فإن قال: فلمَ جعلت عشر ركعات؟ قيل: لأنّ الصلاة الّتي نزل فرضها من السماء إلى الأرض أوّلاً في اليوم واللّيلة فإنّما هي عشر ركعات فجمعت تلك الركعات ههنا؛ وإنّما جعل فيها السجود لأنّه لا يكون صلاة فيها ركوع إلاّ وفيها سجود، ولأن يختموا صلاتهم أيضاً بالسجود والخضوع، وإنّما جعلت أربع سجدات لأنّ كلّ صلاة نقص سجودها من أربع سجدات لا تكون صلاة لأنّ أقل الفرض من السجود في الصلاة لا يكون إلاّ على أربع سجدات.

فإن قال: فلمَ لم يجعل بدل الركوع سجوداً؟ قيل: لأنّ الصلاة قائماً أفضل من الصلاة قاعداً، ولأنّ القائم يرى الكسوف والانجلاء والساجد لا يرى.

فإن قال: فلمَ غيّرت عن أصل الصلاة الّتي افترضها الله؟ قيل: لأنّه صلّى لعلّة تغيّر أمر من الأمور وهو الكسوف، فلمّا تغيّرت العلّة تغيّر المعلول.

فإن قال: فلمَ جعل يوم الفطر العيد؟ قيل: لأن يكون للمسلمين مجمعاً يجتمعون فيه،

ويبرزون إلى الله عزّوجلّ فيحمدونه على ما منّ عليهم، فيكون يوم عيد، ويوم اجتماع، ويوم فطر، ويوم زكاة، ويوم رغبة، ويوم تضرّع، ولأنّه أوّل يوم من السنة يحلّ فيه الأكل والشرب، لأنّ أوّل شهور السنة عند أهل الحقّ شهر رمضان فأحبّ الله عزّوجلّ أن يكون لهم في ذلك اليوم مجمع يحمدونه فيه ويقدّسونه.

فإن قال: فلمَ جعل التكبير فيها أكثر منه في غيرها من الصلوات؟ قيل: لأنّ التكبير إنّما هو تعظيم لله وتمجيد على ما هدى وعافى، كما قال الله عزّوجلّ: ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

فإن قال: فلمَ جعل فيها اثنا عشر تكبيرة؟ قيل: لأنّه يكون في ركعتين اثنا عشر تكبيرة، فلذلك جعل فيها اثنا عشر تكبيرة.

فإن قال: فلمَ جعل سبع في الأُولى وخمس في الآخرة ولم يسوّ بينهما؟ قيل: لأنّ السنّة في صلاة الفريضة أن يستفتح بسبع تكبيرات فلذلك بدئ ههنا بسبع تكبيرات، وجعل في الثانية خمس تكبيرات لأنّ التحريم من التكبير في اليوم واللّيلة خمس تكبيرات، وليكون التكبير في الركعتين جميعاً وتراً وتراً.

فإن قال: فلمَ أُمروا بالصوم؟ قيل: لكي يعرفوا ألم الجوع والعطش فيستدلّوا على فقر الآخرة، وليكون الصائم خاشعاً، ذليلاً، مستكيناً، مأجوراً، محتسباً، عارفاً، صابراً لما أصابه من الجوع والعطش، فيستوجب الثواب مع ما فيه من الانكسار عن الشهوات، وليكون ذلك واعظاً لهم في العاجل، ورائضاً لهم على أداء ما كلّفهم ودليلاً في الآجل، وليعرفوا شدّة مبلغ ذلك على أهل الفقر والمسكنة في الدنيا فيؤدّوا إليهم ما افترض الله تعالى لهم في أموالهم.

فإن قال: لم جعل الصوم في شهر رمضان خاصّة دون سائر الشهور؛ قيل: لأنّ شهر رمضان هو الشهر الّذي أنزل الله تعالى فيه القرآن، وفيه فرّق بين الحقّ والباطل، كما قال الله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ وفيه نبّئ محمّد صلّى الله عليه وآله، وفيه ليلة القدر الّتي هي خير من ألف شهر، وفيها يفرق كلّ أمر حكيم، وهي رأس السنة، يقدّر فيها ما يكون في السنة من خير، أو شرّ، أو مضرّة، أو منفعة، أو رزق، أو أجل، ولذلك سمّيت ليلة القدر.

فإن قال: فلمَ أُمروا بصوم شهر رمضان لا أقلّ من ذلك ولا أكثر؟ قيل: لأنّه قوّة العباد الّتي يعم فيها القويّ والضعيف، وإنّما أوجب الله تعالى الفرائض على أغلب الأشياء وأعمّ القوى، ثمّ رخّص لأهل الضعف ورغّب أهل القوّة في الفضل، ولو كانوا يصلحون على أقلّ من ذلك لنقصهم، ولو احتاجوا إلى أكثر من ذلك لزادهم.

فإن قال: فلمَ إذا حاضت المرأة لا تصوم ولا تصلّي؟ قيل: لأنّها في حدّ النّجاسة فأحبّ

أن لا تعبد إلاّ طاهراً[1]، ولأنّه لا صوم لمن لا صلاة له.

فإن قال: فلمَ صارت تقضي الصيام ولا تقضي الصلاة؟ قيل: لعلل شتّى:

فمنها أنّ الصيام لا يمنعها من خدمة نفسها وخدمة زوجها، وإصلاح بيتها والقيام بأُمورها، والاشتغال بمرمّة معيشتها، والصلاة تمنعها من ذلك كلّه، لأنّ الصلاة تكون في اليوم واللّيلة مراراً فلا تقوى على ذلك، والصّوم ليس كذلك.

ومنها أنّ الصلاة فيها عناء وتعب واشتغال الأركان، وليس في الصوم شيء من ذلك، وإنّما هو الإمساك عن الطعام والشراب وليس فيه اشتغال الأركان.

ومنها أنّه ليس من وقت يجيء إلاّ تجب عليها فيه صلاة جديدة في يومها وليلتها وليس الصوم كذلك، لأنّه ليس كلّما حدث يوم وجب عليها الصوم، وكلّما حدث وقت الصلاة وجب عليها الصلاة.

فإن قال: فلمَ إذا مرض الرجل أو سافر في شهر رمضان فلم يخرج من سفره أو لم يفق من مرضه حتّى يدخل عليه شهر رمضان آخر وجب عليه الفداء للأوّل وسقط القضاء، فإذا أفاق بينهما أو أقام ولم يقضه وجب عليه القضاء والفداء؟ قيل: لأنّ ذلك الصوم إنّما وجب عليه في تلك السنة في ذلك الشهر، فأمّا الّذي لم يفق فإنّه لمّا أن مرّ عليه السنة كلّها وقد غلب الله عليه فلم يجعل له السبيل إلى أدائه سقط عنه، و كذلك كلّما غلب الله تعالى عليه مثل المغمى الّذي يغمى عليه يوماً وليلة فلا يجب عليه قضاء الصلاة، كما قال الصادق عليه السلام: كلما غلب الله على العبد فهو أعذر له؛ لأنّه دخل الشهر وهو مريض فلم يجب عليه الصوم في شهره ولا سنته للمرض الّذي كان فيه، ووجب عليه الفداء لأنّه بمنزلة من وجب عليه صوم فلم يستطع أداءه فوجب عليه الفداء، كما قال الله عزّوجلّ: ﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾[2] وكما قال الله عزّوجلّ: ﴿فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾[3] فأقام الصدقة مقام الصيام إذا عسر عليه.

فإن قال: فإن لم يستطع إذ ذاك فهو الآن يستطيع. قيل له: لأنّه لمّا أن دخل عليه شهر رمضان آخر وجب عليه الفداء للماضي، لأنّه كان بمنزلة من وجب عليه صوم في كفّارة فلم يستطعه فوجب عليه الفداء، وإذا وجب الفداء سقط الصوم، والصوم ساقط والفداء لازم، فإن أفاق فيما بينهما ولم يصمه وجب عليه الفداء لتضييعه والصوم لاستطاعته.

فإن قال: فلمَ جعل صوم السنة؟ قيل: ليكمل به صوم الفرض.

---

(١) في العيون: فأحب الله أن لا تعبده إلا طاهراً، وفي العلل: فأحب أن لا تتعبَّد إلا طاهرة، وهو الأوفق من الجميع.

(٢) سورة المجادلة، الآية: ٤. (٣) سورة البقرة، الآية: ١٩٦.

فإن قال: فلمَ جعل في كلّ شهر ثلاثة أيّام، وفي كلّ عشرة أيّام يوماً؟ قيل: لأنّ الله تبارك وتعالى يقول: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾[1] فمن صام في كلّ عشرة أيّام يوماً فكأنّما صام الدهر كلّه كما قال سلمان الفارسيّ رحمة الله عليه: «صوم ثلاثة أيام في الشهر صوم الدهر كله فمن وجد شيئاً غير الدهر فليصمه».

فإن قال: فلمَ جعل أوّل خميس من العشر الأوّل، وآخر خميس من العشر الآخر، وأربعاء في العشر الأوسط؟ قيل: أمّا الخميس فإنّه قال الصادق عليه السلام: «يعرض كل خميس أعمال العباد على الله» فأحبّ أن يعرض عمل العبد على الله تعالى وهو صائم.

فإن قال: فلمَ جعل آخر خميس؟ قيل: لأنّه إذا عرض عمل ثمانية أيّام والعبد صائم كان أشرف وأفضل من أن يعرض عمل يومين وهو صائم، وإنّما جعل أربعاء في العشر الاوسط لأنّ الصادق عليه السلام أخبر أنّ الله عزّ وجلّ خلق النار في ذلك اليوم وفيه أهلك الله القرون الأولى، وهو يوم نحس مستمرّ، فأحبّ أن يدفع العبد عن نفسه نحس ذلك اليوم بصومه.

فإن قال: فلمَ وجب في الكفّارة على من لم يجد تحرير رقبة الصيام دون الحجّ والصلاة وغيرهما؟ قيل: لأنّ الصلاة والحجّ وسائر الفرائض مانعةٌ للإنسان من التقلّب في أمر دنياه ومصلحة معيشته، مع تلك العلل الّتي ذكرناها في الحائض الّتي تقضي الصيام ولا تقضي الصلاة.

فإن قال: فلمَ وجب عليه صوم شهرين متتابعين، دون أن يجب عليه شهر واحدٌ أو ثلاثة أشهر؟ قيل: لأنّ الفرض الّذي فرضه الله عزّ وجلّ على الخلق هو شهر واحدٌ فضوعف هذا الشهر في الكفّارة توكيداً وتغليظاً عليه.

فإن قال: فلم جعلت متتابعين؟ قيل: لئلاّ يهون عليه الأداء فيستخفّ به، لأنّه إذا قضاه متفرّقاً هان عليه القضاء.

فإن قال: فلمَ أُمر بالحجّ؟ قيل: لعلّة الوفادة إلى الله عزّ وجلّ، وطلب الزيادة، والخروج من كلّ ما اقترف العبد تائباً ممّا مضى، مستأنفاً لما يستقبل، مع ما فيه من إخراج الأموال وتعب الأبدان، والاشتغال عن الأهل والولد، وحظر الأنفس عن اللّذات، شاخصاً في الحرّ والبرد، ثابتاً ذلك عليه، دائماً مع الخضوع والاستكانة والتذلّل، مع ما في ذلك لجميع الخلق من المنافع.

أقول: في العلل: كلُّ ذلك لطلب الرغبة إلى الله والرهبة منه، وترك قساوة القلب وخسارة الأنفس، ونسيان الذكر، وانقطاع الرجاء والأمل، وتجديد الحقوق، وحظر الأنفس عن الفساد، مع ما في ذلك من المنافع لجميع من «المشترك» في شرق الأرض وغربها ومن في

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٦٠.

البرّ والبحر ممّن يحجّ وممّن لا يحجّ: من بين تاجر، وجالب، وبائع ومشتري، وكاسب، ومسكين، ومكاري، وفقير، وقضاء حوائج أهل الأطراف في المواضع الممكن لهم الاجتماع فيها، مع ما فيه من التفقّه ونقل أخبار الأئمة عليهم السلام إلى كلّ صقع وناحية، كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[1] وليشهدوا منافع لهم.

فإن قال: فلمَ أمروا بحجّة واحدة لا أكثر من ذلك؟ قيل: لأنّ الله عزّ وجلّ وضع الفرائض على أدنى القوم قوّةً، كما قال عزّ وجلّ: ﴿فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ﴾ يعني شاةً ليسع له القويّ والضعيف، وكذلك سائر الفرائض إنّما وضعت على أدنى القوم قوّةً، وكان من تلك الفرائض الحجّ المفروض واحداً، ثمّ رغّب بعد أهل القوّة بقدر طاقتهم.

فإن قال: فلمَ أمروا بالتمتّع إلى الحجّ؟ قيل: ذلك تخفيف من ربكم ورحمة لأن يسلم الناس من إحرامهم ولا يطول ذلك عليهم فيدخل عليهم الفساد وأن يكون الحجّ والعمرة واجبين جميعاً فلا تعطّل العمرة ولا تبطل، ولا يكون الحجّ مفرداً من العمرة ويكون بينهما فصل وتمييز، وقال النبيّ صلى الله عليه وآله: «دخلت العمرة في الحج إلى يوم القيامة» ولولا أنّه صلى الله عليه وآله كان ساق الهدي ولم يكن له أن يحلّ حتّى يبلغ الهدي محلّه لفعل كما أمر الناس، ولذلك قال: «دخلت العمرة في الحج إلى يوم القيامة لو استقبلت من أمري ما استدبرت لفعلت كما أمرتكم ولكني سقت الهدي وليس لسائق الهدي أن يحل حتى يبلغ الهدي محله» فقام إليه رجل فقال: يا رسول الله نخرج حجّاجاً ورؤوسنا تقطر من ماء الجنابة، فقال: إنّك لن تؤمن بهذا أبداً.

أقول: ليس في العلل قوله: وقال النبيّ صلى الله عليه وآله إلى قوله: لن تؤمن بهذا، وهو موجود في العيون، وفي العلل مكانه زيادة ليست فيه وهي هذه: ويكون بينهما فصل وتمييز، وأن لا يكون الطواف بالبيت محظوراً لأنّ المحرم إذا طاف بالبيت قد أحلّ إلاّ لعلّة، فلولا التمتّع لم يكن للحاجّ أن يطوف لأنّه إن طاف أحلّ وفسد إحرامه ويخرج منه قبل أداء الحجّ، ولأن يجب على الناس الهدي والكفّارة فيذبحون وينحرون ويتقرّبون إلى الله جلّ جلاله فلا تبطل هراقة الدماء والصدقة على المسلمين. ولنرجع إلى المشترك بين الكتابين:

فإن قال: فلمَ جعل وقتها عشر ذي الحجّة؟ قيل: لأنّ الله تعالى أحبّ أن يعبد بهذه العبادة في أيّام التشريق فكان أوّل ما حجّت إليه الملائكة وطافت به في هذا الوقت فجعله سنّة ووقتاً إلى يوم القيامة، فأمّا النبيّون آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمّد صلوات الله عليهم وغيرهم من الأنبياء إنّما حجّوا في هذا الوقت فجعلت سنّة في أولادهم إلى يوم القيامة.

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١٢٢.

فإن قال: فلمَ أمروا بالإحرام؟ قيل: لأن يخشعوا قبل دخول حرم الله عزّوجلّ وأمنه، ولئلاّ يلهوا ويشتغلوا بشيء من أمر الدنيا وزينتها ولذّاتها، ويكونوا جادّين فيما فيه قاصدين نحوه، مقبلين عليه بكلّيّتهم، مع ما فيه من التعظيم لله عزّوجلّ ولنبيّه والتذلّل لأنفسهم عند قصدهم إلى الله عزّوجلّ ووفادتهم إليه، راجين ثوابه راهبين من عقابه، ماضين نحوه، مقبلين إليه بالذلّ والاستكانة والخضوع، والله الموفّق وصلى الله على محمّد وآله وسلم(١).

ع، ن: حدّثنا عبد الواحد بن محمّد بن عبدوس النيسابوريّ العطّار رضي الله عنه، قال: حدّثنا عليّ بن محمّد بن قتيبة النيسابوريّ، قال: قلت للفضل بن شاذان - لمّا سمعت منه هذه العلل -: أخبرني عن هذه العلل، أذكرتها عن الاستنباط والاستخراج وهي من نتائج العقل، أو هي ممّا سمعته ورويته؟ فقال لي: ما كنت لأعلم مراد الله عزّوجلّ بما فرض، ولا مراد رسول الله صلّى الله عليه وآله بما شرع وسنّ، ولا علل ذلك من ذات نفسي، بل سمعتها من مولاي أبي الحسن عليّ بن موسى الرضا عليه السلام المرّة بعد المرّة والشيء بعد الشيء فجمعتها. فقلت: فأحدّث بها عنك عن الرضا عليه السلام؟ قال: نعم(٢).

ن: وحدّثنا الحاكم أبو محمّد جعفر بن نعيم بن شاذان النيسابوريّ رضي الله عنه، عن عمّه أبي عبد الله محمّد بن شاذان، عن الفضل بن شاذان أنّه قال: سمعت هذه العلل من مولاي أبي الحسن عليّ بن موسى الرضا عليه السلام متفرّقة فجمعتها وألّفتها(٣).

بيان: قوله: منها أنّ من لم يقرّ أقول: لعلّ الفرق بين الوجه الأوّل والثاني هو أنّ المحذور في الوجه الأوّل عدم تحقّق الأفعال الحسنة، وعدم ترك الأفعال القبيحة وفي ذلك فساد الخلق وعدم بقائهم واختلال نظامهم، وفي الثاني المحذور عدم تحقّق الأمر والنهي اللّذين هما مقتضى حكمة الحكيم، فلو فرض الإتيان بالأفعال الحسنة والانتهاء عن الأعمال الفاحشة بدون أمر الله تعالى ونهيه أيضاً لتمّ الوجه الثاني بدون الأوّل، و الفرق بين الأوّل والثالث هو أنّ الأوّل جار في الأمور الظاهرة بخلاف الثالث، فإنّه مختصّ بالأمور الباطنة، فلو فرض أن يكون للناس حياء يردعهم عن إظهار الفواحش والظلم والفساد لتمّ الوجه الثالث أيضاً بخلاف الأوّل.

قوله: فلو لم يجب عليهم معرفته أي الرسول. قوله ثمّ اختلف همّهما، أقول: لعلّ المقصود نفي امامة من كان في عصر الأئمّة عليهم السلام من أئمّة الضلال إذ كانت آراؤهم مخالفة لآراء أئمّتنا، وأفعالهم مناقضة لأفعالهم. ويحتمل أن يكون إلزاماً على المخالفين إذ هم

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢ ص ١٠٦ باب ٣٤ ح ١ وعلل الشرائع ج ١ ص ٢٩٤ باب ١٨٢ ح ٩.
(٢) علل الشرائع، ج ١ ص ٣١٨ ذيل حديث ٩ وعيون اخبار الرضا عليه السلام، ج ٢ ص ١٢٧ باب ٣٤ ح ٢.
(٣) عيون اخبار الرضا عليه السلام، ج ٢ ص ١٢٧ باب ٣٤ ح ٣.

قائلون باجتهاد النبيّ والإمام في الأحكام، والاجتهاد مظنة الاختلاف كما يقولون في أمير المؤمنين عليه السلام ومعاوية. ثمّ اعلم أنّ المراد بالإمامين الأميران على طائفة واحدة أو اللّذان تكون لهما الرئاسة العامّة وإلاّ فينتقض باجتماع الأنبياء الكثيرين في عصر واحد في زمن بني إسرائيل.

قوله: منها أن يكونوا قاصدين أقول: لعلّ المنظور في الوجه الأوّل عدم تعيين شيء للعبادة، لأنّه يحتمل أن يكون كلّ شيء ربّهم حتّى الأشياء الّتي لم يعبدها أحد، وفي الثاني إضلال الناس بعبادة الأصنام وأشباهها باحتمال أن تكون هي ربّهم، ويحتمل أن يكون المراد بالوجه الأوّل هو أنّه لا بدّ لهم من معرفة ربّهم لتصحّ العبادة له ولا يمكنهم المعرفة بالكنه، وأقرب الوجوه الّتي تصل إليها عقول الخلق هو معرفته تعالى بأنّه لا يشبه شيئاً من الأشياء في ذاته وصفاته، ويحتمل أن يكون غرض السائل من الإقرار بأنّه ليس كمثله شيء الإقرار بجميع الصفات الثبوتيّة والسلبيّة فإنّ جميعها راجعة إليه، داخلة فيه إجمالاً، ولعلّ هذا أظهر.

قوله: لأنّ في الصلاة الإقرار بالربوبيّة أقول: إمّا لأنّها مشتملة على الإقرار بالربوبيّة في ربّ العالمين، وعلى التوحيد في التشهّد، وعلى الإخلاص في إيّاك نعبد و إيّاك نستعين؛ وإمّا لأنّ أصل عبادته تعالى دون غيره خلع للأنداد وإقرار بالربوبيّة، وأمّا الزجر عن الفساد فلأنّ من خواصّ الصلاة أنّها تصلح صاحبها وتزجره عن الفساد، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ ولا أقلّ أنّه في حال الصلاة ينزجر عن المعاصي وبعدها يستحيي عن ارتكاب كثير منها. واسم كان الضمير الراجع إلى المصلّي، وخبره الظرف، وزاجراً وحاجزاً منصوبان بالحاليّة.

قوله عليه السلام: ليسا هما في كلّ وقت باديين أي لا يحصل فيهما الكثافة والقذارة مثل ما يحصل في الوجه واليدين. قوله: وذلك لأنّ الاستنجاء به ليس بفرض أقول: لم يقيّد الفضل الاستنجاء بالماء حتّى يرد عليه إيراد الصدوق، مع أنّه يمكن تخصيصه بالمتعدّي، أو يقال: إنّ مراده الأعمّ من الوجوب التخييريّ، ويمكن توجيه كلامه بأنّ الفرض في عرف الحديث ما ثبت وجوبه بالقرآن، والاستنجاء لم يثبت وجوبه بنصّ القرآن حتّى يكون فرضاً؛ ويرد عليه: أنّ استعمال الفرض في الوجوب بالمعنى الأعمّ أيضاً شائع، غاية الأمر أن يكون مجازاً في عرفهم وارتكابه لتوجيه الكلام مجوّز.

قوله: وتعريفاً لمن جهل الوقت يمكن تخصيصه بمن لا يمكنه العلم بدخول الوقت ويحتمل أن يكون المراد أنّه يتنبّه لاحتمال دخول الوقت فيحصل العلم به، مع أنّه سيأتي كثير من الأخبار الدالّة على جواز الاعتماد على المؤذّنين في دخول الوقت.

قوله: مجاهراً بالإيمان أي الصلاة كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ أو

للتكلّم بالكلمتين. قوله: فجعل الأوّلين، يفهم منه أنّ التكبيرتين الأوليين ليستا من الأذان، وإنّما هما من المقدّمات الخارجة عنه، وبه يمكن الجمع بين الأخبار المختلفة في ذلك. قوله: ليكون لعلّ الأظهر: وليكون.

قوله: إنّما هو أداء أي علّمهم طريق الشكر أو حمد نفسه بدلاً عن خلقه. وقوله: وشكر تخصيص بعد التعميم. قوله: وإقرار بأنّه هو الخالق لأنّ المراد بالعالم ما يعلم به الصانع وهو كلّ ما سوى الله، وجمع ليدلّ على جميع أنواعه فإذا كان تعالى خالق الجميع ومدبّرهم فيكون هو الواجب تعالى وغيره آثاره.

قوله عليه السلام: استعطاف لأنّ ذكره تعالى بالرحمانيّة والرحيميّة نوعٌ من طلب الرحمة بل أكمل أفراده.

قوله: لأنّ التكبير في الركعة الأولى في العلل: في الصلوات الأول وهو الصواب أي التكبيرات الافتتاحيّة، إذ الأولى افتتاح للقراءة، والثانية افتتاح للركوع، والثالثة للسجود الأوّل، والرابعة للسجود الثاني، وهكذا إلى تمام الركعتين؛ وليست التكبيرات الّتي للرفع من الركوع والسجود بافتتاحيّة.

قوله: غلط الفضل أقول: بل اشتبه على الصدوق رحمه الله إذ الظّاهر أنّ تكبيرة الافتتاح فريضة لقوله تعالى: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ ولذا تبطل الصلاة بتركها عمداً وسهواً، على أنّه يحتمل أن يكون مراده بالفرض الواجب كما مرّ، والعجب من الصدوق أنّه مع ذكره في آخر الخبر أنّ هذا العلل كلّها مأخوذة عن الرضا عليه السلام وتصريحه في سائر كتبه بأنّها مرويّة عنه عليه السلام كيف يجترئ على الاعتراض عليها؟ ولعلّه ظنّ أنّ الفضل أدخل بينها بعض كلامه، فما لا يوافق مذهبه يحمله على أنّه من كلام الفضل ويعترض عليه، وفيه أيضاً ما لا يخفى.

قوله: إلى أن يصير في كلّ شيء أربعة أضعافه أقول: هذه العبارة غير موجودة في العيون، وفيه أنّه لا يوافق شيئاً من الأخبار المختلفة الواردة في آخر وقت العصر، فإنّه لم يرد في شيء من الأخبار أكثر من المثلين، ولعلّ فيه تصحيفاً، ولذا أسقطه في العيون.

قوله: ولأنّ في وقت رفع اليدين أقول: لعلّ المعنى أنّ في وقت ذكر الله تعالى يناسب التضرّع والابتهال، خصوصاً في وقت هذا الذكر المخصوص لأنّه وقت إحضار النيّة وإقبال القلب فيكون التضرّع والابتهال أنسب، ولمّا كان هذا الوجه إنّما يناسب تكبيرة الاستفتاح ذكر لاطّراده في سائر التكبيرات وجهاً آخر على ما في العلل، ولعلّ التضرّع والابتهال في رفع اليدين إنّما هو لدلالته على اختصاص الكبرياء بالله ونفيه عمّا سواه وأنّه تعالى لا يدرك بالأخماس والحواسّ الظاهرة والباطنة، كما سيأتي في علل الصلاة.

قوله عليه السلام: فجعلت السنّة مثلي الفريضة قال الوالد العلاّمة رحمه الله: لأنّ الغالب في

أحوال الناس أنّهم لا يمكنهم لتشبّثهم بعلائقهم إحضار القلب في أكثر من ثلث الصلاة، فلمّا صارت النافلة مثلي الفريضة أمكن تحصيل ثلث المجموع وهو يساوي عدد الفريضة.

قوله عليه السلام: ولم تقصّر لمكان الخطبتين الأظهر أنّه لا يختصّ بالوجه الأخير، بل الغرض دفع توهّم أنّها صلاة مقصورة كصلاة السفر، وذلك لأنّ الخطبتين فيها بمنزلة الركعتين فليست بمقصورة، أو الغرض بيان عدم جواز إيقاعها في السفر بتوهّم أنّها صلاة مقصورة، إذ الخطبة من شرائطها فلا تتحقّق بدونها، ومعها ليست بمقصورة لأنّها بمنزلة الركعتين، ويمكن أن يقرأ (لِمَ) بكسر اللاّم استفهاماً أي إنّما تقصّر العيد لمكان خطبتيه.

قوله عليه السلام: والمنفعة **أقول**: كأنّها معطوفة على الأهوال، ولا يبعد أن يكون الأهوال تصحيف الأحوال؛ وبعد ذلك في نسخ العلل زيادة ليست في العيون، وهي هذه: ولا يكون الصائر في الصلاة منفصلاً وليس بفاعل غيره ممّن يؤمُّ الناس في غير يوم الجمعة. ولعلّه لإغلاقه وعدم وضوح معناه أسقطه عن العيون، ويمكن توجيهه بوجوه:

الأول: أن يكون المراد بيان كون حالة الخطبة حالةً متوسّطةً بين حالة الصلاة وغيرها فيكون تقدير الكلام: أنّه لا يكون الصائر في الصلاة أي المتلبّس بها منفصلاً عنها في غير يوم الجمعة، وفي يوم الجمعة في حال الخطبة كذلك لأنّه كالداخل في الصلاة لاشتراط كثير من أحكام الصلاة فيها وكونها عوضاً عن الركعتين، وليس بداخل حقيقةً فيها، وليس فاعل غير الصلاة يؤمّ الناس في غير يوم الجمعة ويوم الجمعة كذلك، لأنّ الإمام في الخطبة يؤمّ الناس من حيث يلزمهم الاجتماع إليه والاستماع لكلامه كالاستماع لقراءته حال الصلاة وليست الخطبة بصلاة حقيقةً، فالباء في قوله: بفاعل زائدة والضمير في غيره راجع إلى الصلاة بتأويل الفعل.

الثاني: أن يرجع المعنى إلى الأوّل ويوجه العبارة بوجه آخر بأن يكون «وليس بفاعل» عطف تفسير لقوله: منفصلاً، ويكون قوله: «وغيره» حالاً للصائر، وقوله: «ممن يؤم» صفةً لغيره، أو حالاً أخرى للصائر، وحاصل المعنى: أنّ الصائر في الصلاة الّذي يكون غير إمام الجمعة ويؤمُّ الناس في غير يوم الجمعة لا يكون منفصلاً عن الصلاة، غير فاعل لها بخلاف يوم الجمعة، فإنّه كذلك في حال الخطبة، وليس في هذا الوجه شيء من التكلّفين السابقين.

الثالث: أن يكون ممّن يؤمُّ خبر كان وقوله: «منفصلاً» وقوله: «ليس بفاعل غيره» حالين للصائر، فيكون لبيان علّة أخرى للخطبة، والحاصل أنّه إنّما جعلت الخطبة لئلاّ يكون الصائر في صلاة الجمعة حال كونه منفصلاً ممتازاً عن سائر الأئمّة، ولا يفعلها غيره ممّن يؤمّ الناس في غير الجمعة، إذ يشترط في الخطبة العلم بما يعظ الناس ويأمرهم به والعمل بها، ولا يشترك ذلك في سائر الأئمّة، وهذا وجه قريب، وإن كان فيه بُعدٌ ما لفظاً، بل الاظهر عندي أنّه كان في الأصل: (ليكون) أي إنّما جعلت الخطبة ليكون الإمام في تلك الصلاة منفصلاً

ممتازاً ولا يفعل تلك الصلاة غيره من أئمّة الصلوات في سائر الأيّام. وفي هذا الوجه وفي قوله: فأراد أن يكون للأمير إشعار بأنّ هذه الصلاة إنّما يفعلها الأمراء أو المنصوبون من قبل الإمام عليه السلام.

الرابع: أن يكون قوله: ممّن يؤمُّ متعلّقاً بقوله: منفصلاً، ويكون قوله: وليس بفاعل غيره تفسيراً لقوله: منفصلاً، ويكون حاصل الكلام: أنّه إنّما جعلت الخطبة لئلاّ يكون المصلّي في يوم الجمعة منفصلاً عن المصلّي في غيره بأن يكون صلاته ركعتين، فإنّها مع الخطبتين بمنزلة أربع ركعات.

قوله: والخطبتان في الجمعة والعيدين بعد الصلاة أقول: لم يذهب إلى هذا القول فيما علمنا أحد من علمائنا غيره في هذين الكتابين، وسيأتي القول في ذلك في بابه. قوله: فوجبت الجمعة على من هو على نصف البريد في مناسبة هذا الأصل الحكم خفاء، ولعلّه مبنيّ على ما لا يصل إليه علمنا من المناسبات الواقعيّة، ويمكن أن يقال: لمّا كان الغالبُ في المسافرين الركبان، والقوافل المحملة المثقلة إنّما تقطع في بياض الأيّام القصار ثمانية فراسخ والتكليف بحضور صلاة الجمعة يتعلّق بالركبان والمشاة، والغالب فيهم المشاة، والماشي يسير غالباً نصف الراكب فلذا جعل هنا نصف ما جعل للمسافر؛ أو أنّ ليوم الجمعة أعمالاً أخرى غير الصلاة فجعل نصفه للصلاة ونصفه لسائر الأعمال، فلو وجب عليهم المسير أكثر من فرسخين لم يتيسّر له سائر الأعمال والله يعلم.

قوله: ليلقى ربّه طاهر الجسد أي لا يصير جسده كثيفاً من تراب القبر وغيره والمراد بملاقاة الربّ ملاقاة ملائكته ورحمته. قوله: لأنّ هذه الأشياء كلّها ملبّسة، لعلّ المعنى أنّه لمّا كان غالب المماسّة فيها هكذا فلذا رفع الغسل من رأس، فلا يتوهّم منه وجوب الغسل بمسّ ما تحلّه الحياة منها. قوله عليه السلام: يرى الكسوف أي آثاره من ضوء الشمس والقمر.

قوله عليه السلام: فلمّا تغيّرت العلة أي المناسب لهذه العلّة الدالّة على نزول العذاب زيادة تضرّع واستكانة ليست في سائر الصلوات فلذا زيد في ركوعاتها. قوله: لأنّ أوّل شهور السنة علة للتقييد بسنة الأكل. قوله: لأنّه يكون في ركعتين اثنا عشر تكبيرة أي مع تكبيرة القنوت.

قوله: فلذلك جعل فيها أي في القيام فقط، وإلاّ فالمجموع أزيد بعدد ما زيد فيها ويقال: راض الفرس رياضاً ورياضة: ذلّله فهو رائض. قوله: وفيه فرق أي في شهر رمضان بسبب نزول القرآن، ويحتمل إرجاع الضمير إلى القرآن.

قوله عليه السلام: وفيه نبّئ محمّد صلى الله عليه وآله لعلّ النبوّة والوحي كان في شهر رمضان، والرسالة والأمر بالتبليغ كان في شهر رجب.

قوله عليه السلام: لأنّه كان بمنزلة من وجب عليه صوم أقول: لعلّ التعليل مبنيٌّ على أنّ وقت القضاء هو ما بين الرمضانين، إذ لا يجوز له التأخير اختياراً عنه، فلمّا كان فيما بين ذلك

معذوراً سهّل الله عليه، وقبل منه الفداء، ولم يكن الله ليجمع عليه العوض والمعوّض، فلذا أسقط القضاء عنه بعد القدرة لانتقال فرضه إلى شيء آخر. قوله: لأنّه إذا عرض عمل ثمانية أيّام كذا في العيون؛ وفي العلل: ثلاثة أيّام، وعلى التقديرين يشكل فهمه، أمّا على الأوّل فيمكن توجيهه بوجهين: الأوّل أن يقال: العرض غير مختصّ بعمل الأسبوع بل يعرض عمل ما مرّ من الشهر في كلّ خميس، وإذا لم يكن في العشر الآخر خميسان فليس مورد هذه العلّة، وإذا كان فيه خميسان ففيه ثلاثة احتمالات: الأوّل: أن يكون الخميس الأوّل الحادي والعشرين، والخميس الثاني الثامن والعشرين؛ الثاني أن يكون الخميس الثاني التاسع والعشرين؛ الثالث أن يكون الخميس الثاني الثلاثين؛ وهذا الأخير أيضاً ليس بداخل في المفروض، لأنّ المفروض هو ما علم دخول خميسين فيه أوّلاً وههنا غير معلوم لاحتمال أن لا يكون للشهر سلخ فبقي الاحتمالان الأوّلان، وفي الثاني منهما يكون استيعاب الخميس الأوّل لأعمال الشهر أكثر كالثاني فلذا خصّه بالذكر، فنقول: دخول أعمال الشهر إلى العشرين معلوم فيهما، فأمّا بعده فما يدخل في عرض الخميس الأوّل منه يومان أي يوم وبعض يوم، ويدخل في الثاني زائداً على هذا ثمانية أيّام أي سبعة أيّام وبعض يوم، فبعض الخميس الأوّل حسب من اليومين وبعضه من الثمانية؛ فالمراد بقوله: إذا عرض عمل ثمانية أيّام أي زائداً على ما سيأتي من اليومين، وعلى ما هو المعلوم دخوله فيهما من العشرين؛ على أنّه يحتمل أن يكون المعروض في الخميس عمل العشر فلا يحتاج إلى إضافة العشرين، ويمكن أن يقال: أخذ في الخميس الأوّل أكثر محتملاته وفي الخميس الثاني أقلّ محتملاته استظهاراً وتأكيداً إذ على ما قرّرنا أكثر محتملات الخميس الأوّل أن يدخل فيه عرض عمل يومين من العشر بأن يكون في الثاني والعشرين، وأقلّ محتملات الثاني أن يدخل فيه ثمانية بأن يكون الأوّل في الحادي والعشرين وعلى هذا يندفع ويرتفع أكثر التكلّفات.

الثاني أن يكون المعروض في الخميس عمل الأسبوع فقط، لكن لمّا خصّ كلّ عشر بصوم يوم كان الأنسب أن يكون ما يعرض في خميس العشر الآخر أكثر استيعاباً لأيّامه، فإذا عرض في الخميس الأوّل فما هو من احتماليه أكثر استيعاباً هو أن يشمل يومين منه كما مرّ بيانه، وإذا عرض في الخميس الثاني يستوعب ثمانية أيّام من ذلك العشر على كلّ احتمال من الاحتمالات فيكون أولى بالصوم.

وأمّا على الثاني فيمكن توجيهه أيضاً بوجهين: الأوّل أنّه إذا لزمه صوم الخميس الثاني ففي بعض الشهور أي ما يكون سلخه الخميس يلزمه احتياطاً صوم خميسين، كما ورد في أخبار أخر فيعرض عمله في ثلاثة أيّام وهو صائم في بعض الأحيان بخلاف ما إذا كان المستحبّ صوم الخميس الأوّل من العشر الآخر فإنّه يكون دائماً عرض العمل في الشهر في يومين وهو صائم. الثاني أن يكون المقصود من السؤال بيان علّة جعل الخميس الثاني بعد الأربعاء سواء كان في العشر الوسط أو في العشر الأخير، وسواء كان الخميس الأوّل من

العشر الأخير أو الثاني منه، فالمراد بالجواب أنّه إنّما جعل هذا الخميس بعد الأربعاء لأن يعرض فيه صوم ثلاثة أيّام في هذا الشهر، مع أنّه يكون في يوم العرض صائماً أيضاً، وعلى التقادير لا يخلو من تكلّف.

قوله عليه السلام: واستخفّ بالإيمان أي بأعماله، والمراد هنا الصوم وسائر ما تلزم فيه الكفّارة، ويحتمل أن يكون بفتح الهمزة بناءاً على إطلاق اليمين على النذر وأنّ كفّارته كذلك.

قوله عليه السلام: لعلّة الوفادة الوفد: القوم يجتمعون ويردون البلاد، الواحد وافد وكذا من يقصد الأمراء بالزيادة، والاسترفاد والانتجاع، يقال: وفد يفد وفادة.

قوله: ثابتاً ذلك عليه دائماً أي في مدّة مديدة زائداً على أزمنة سائر الطاعات. قوله عليه السلام: ولأن يجب على الناس الهدي لعلّه مبنيّ على أنّ هدي التمتّع جبران لا نسك؛ فيكون قوله: والكفّارة عطف تفسير.

الفصل الثاني - ما ورد من ذلك برواية ابن سنان

١ -ع: عليّ بن أحمد، عن محمّد بن أبي عبد الله، عن محمّد بن إسماعيل، عن عليّ بن العبّاس، عن القاسم بن الربيع الصحّاف، عن محمّد بن سنان أنّ أبا الحسن عليّ بن موسى الرضا عليه السلام كتب إليه بما في هذا الكتاب جواب كتابه إليه يسأله عنه: جاءني كتابك تذكر أنّ بعض أهل القبلة يزعم أنّ الله تبارك وتعالى لم يحلّ شيئاً ولم يحرّمه لعلّة أكثر من التعبّد لعباده بذلك، قد ضلّ من قال ذلك ضلالاً بعيداً وخسر خسراناً مبيناً لأنّه لو كان كذلك لكان جائزاً أن يستعبدهم بتحليل ما حرّم وتحريم ما أحلّ حتّى يستعبدهم بترك الصلاة والصيام وأعمال البرّ كلّها، والإنكار له ولرسله وكتبه والجحود بالزنا والسرقة وتحريم ذوات المحارم وما أشبه ذلك من الأمور الّتي فيها فساد التدبير وفناء الخلق، إذ العلّة في التحليل والتحريم التعبّد لا غيره، فكان كما أبطل الله عزّ وجلّ به قول من قال ذلك إنّا وجدنا كلّ ما أحلّ الله تبارك وتعالى ففيه صلاح العباد وبقاؤهم ولهم إليه الحاجة الّتي لا يستغنون عنها، ووجدنا المحرّم من الأشياء لا حاجة للعباد إليه ووجدناه مفسداً داعياً إلى الفناء والهلاك، ثمّ رأيناه تبارك وتعالى قد أحلّ بعض ما حرّم في وقت الحاجة لما فيه من الصلاح في ذلك الوقت، نظير ما أحلّ من الميتة والدم ولحم الخنزير إذا اضطرّ إليه المضطرّ، لما في ذلك الوقت من الصلاح والعصمة ودفع الموت، فكيف دلّ الدليل على أنّه لم يحلّ إلاّ لما فيه من المصلحة للأبدان، وحرّم ما حرّم لما فيه من الفساد، وكذلك وصف في كتابه وأدّت عنه رسله وحججه كما قال أبو عبد الله عليه السلام: لو يعلم العباد كيف كان بدء الخلق ما اختلف اثنان. وقوله عليه السلام: ليس بين الحلال والحرام إلاّ شيء يسير، يحوله من شيء إلى شيء فيصير حلالاً وحراماً[1].

---

(١) علل الشرائع، ج ٢ ص ٣١٦ باب ٣٨٥ ح ٤٣.

بيان: قوله : بما في هذا الكتاب جواب كتابه إليه هذا كلام الصدوق ولمّا فرّق في كتاب العلل هذه العلل الواردة في هذا الخبر على الأبواب المناسبة لها ذكر صدر الخبر وأشار إلى أنّ ما فرّقه كلّها من تتمّة هذا الخبر، ولعلّه أسقط هذا ممّا رواه في العيون اختصاراً أو لم يكن هذا في بعض ما أورده هناك من الأسانيد. قوله عليه السلام : فكان كما أبطل الله يحتمل أن يكون إنّا وجدنا اسم كان، وكما أبطل الله خبره، أي يبطل ذلك وجداننا كما يبطله صريح الآيات الدالّة على أنّ الأحكام الشرعيّة معلّلة بالحكم الكاملة، ويحتمل أن يكون إنّا وجدنا استئنافاً.

قوله عليه السلام : كيف كان بدء الخلق أي لأيّ علّة خلقهم ولأي حكمة كلّفهم لم يختلفوا في أمثال تلك المسائل المتعلّقة بذلك. قوله عليه السلام : يحوله من شيء إلى شيء أي اختلاف الأحوال والأوقات والأزمان يوجب تغيّر الحكم لتبدُّل الحكمة كحرمة الميتة في حال الاختيار وحلّيّتها في حال الاضطرار، وكحرمة الأجنبيّة بدون الصيغة وحلّيّتها معها فظهر أنّ دقائق الحكم مرعيّة في كلّ حكم من الأحكام.

٢ - **ن:** ماجيلويه، عن عمّه، عن محمّد بن عليّ الكوفيّ، عن محمّد بن سنان، وحدّثنا عليّ بن أحمد بن محمّد بن عمران الدقّاق، ومحمّد بن أحمد السنانيّ، وعليّ بن عبد الله الورّاق، والحسين بن إبراهيم بن أحمد بن هشام المكتب رضي الله عنهم، قالوا: حدّثنا محمّد بن أبي عبد الله الكوفيّ، عن محمّد بن إسماعيل، عن عليّ بن العبّاس قال: حدّثنا القاسم بن الربيع الصحّاف، عن محمّد بن سنان، وحدّثنا عليّ بن أحمد بن أبي عبد الله البرقيّ، وعليّ بن عيسى المجاور في مسجد الكوفة، وأبو جعفر محمّد بن موسى البرقيّ بالري رضي الله عنهم، قالوا حدّثنا محمّد بن عليّ ماجيلويه، عن أحمد بن محمّد بن خالد، عن أبيه، عن محمّد بن سنان أنّ أبا الحسن عليّ بن موسى الرضا عليه السلام كتب إليه في جواب مسائله: علّة غسل الجنابة النظافة وتطهير الإنسان نفسه ممّا أصابه من أذاه، وتطهير سائر جسده لأنّ الجنابة خارجة من كلّ جسده فلذلك وجب عليه تطهير جسده كلّه، وعلّة التخفيف في البول والغائط لأنّه أكثر وأدوم من الجنابة فرضي فيه بالوضوء لكثرته ومشقّته ومجيئه بغير إرادة منه ولا شهوة، والجنابة لا تكون إلاّ بالاستلذاذ منهم و الإكراه لأنفسهم، وعلّة غسل العيد والجمعة وغير ذلك من الأغسال لما فيه من تعظيم العبد ربّه، واستقباله الكريم الجليل وطلب المغفرة لذنوبه، وليكون لهم يوم عيد معروف يجتمعون فيه على ذكر الله عزّ وجلّ، فجعل فيه الغسل تعظيماً لذلك اليوم، وتفضيلاً له على سائر الأيّام، وزيادة في النوافل والعبادة، وليكون تلك طهارة له من الجمعة إلى الجمعة، وعلّة غسل الميّت أنّه يغسّل لأنّه يطهر وينظف من أدناس أمراضه، وما أصابه من صنوف علله لأنّه يلقى الملائكة ويباشر أهل الآخرة، فيستحبّ إذا ورد على الله ولقي أهل الطهارة ويماسّونه ويماسّهم أن يكون طاهراً، نظيفاً، موجّهاً به إلى الله عزّ وجلّ ليطلب به ويشفع له؛ وعلّة أخرى أنّه يخرج من الأذى الّذي

منه خلق فيجنب فيكون غسله له؛ وعلّة اغتسال من غسّله أو مسّه فظاهرة لما أصابه من نضح الميّت لأنّ الميّت إذا خرجت الروح منه بقي أكثر آفة فلذلك يتطهّر منه ويطهّر.

وعلّة الوضوء الّتي من أجلها صار غسل الوجه والذراعين ومسح الرأس والرجلين فلقيامه بين يدي الله عزّوجلّ، واستقباله إيّاه بجوارحه الظاهرة، وملاقاته بها الكرام الكاتبين.

فغسل الوجه للسجود والخضوع، وغسل اليدين ليقلّبهما ويرغب بهما ويرهب و يتبتّل، ومسح الرأس والقدمين لأنّهما ظاهران مكشوفان يستقبل بهما في حالاته، وليس فيهما من الخضوع والتبتّل ما في الوجه والذراعين.

وعلّة الزكاة من أجل قوت الفقراء وتحصين أموال الأغنياء لأنّ الله تبارك وتعالى كلّف أهل الصحّة القيام بشأن أهل الزمانة والبلوى، كما قال عزّوجلّ: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ﴾ بإخراج الزكاة ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ﴾ بتوطين الأنفس على الصبر، مع ما في ذلك من أداء شكر نعم الله عزّوجلّ، والطمع في الزيادة، مع ما فيه من الرحمة والرأفة لأهل الضعف، والعطف على أهل المسكنة، والحثّ لهم على المواساة وتقوية الفقراء والمعونة لهم على أمر الدين، وهم عظة لأهل الغنى، وعبرة لهم ليستدلّوا على فقر الآخرة بهم وما لهم من الحثّ في ذلك على الشكر لله عزّوجلّ لما خوّلهم وأعطاهم والدعاء والتضرّع والخوف من أن يصيروا مثلهم في أمور كثيرة من أداء الزكاة والصدقات وصلة الأرحام واصطناع المعروف.

وعلّة الحجّ الوفادة إلى الله عزّوجلّ وطلب الزيادة والخروج من كلّ ما اقترف، وليكون تائباً ممّا مضى، مستأنفاً لما يستقبل، وما فيه من استخراج الأموال وتعب الأبدان وحظرها عن الشهوات واللّذّات، والتقرّب بالعبادة إلى الله عزّوجلّ، والخضوع والاستكانة والذلّ، شاخصاً في الحرّ والبرد والخوف والأمن، دائباً في ذلك دائماً، وما في ذلك لجميع الخلق من المنافع والرغبة والرهبة إلى الله عزّوجلّ ومنه ترك قساوة القلب وجسارة الأنفس ونسيان الذكر وانقطاع الرجاء والأمل، وتجديد الحقوق وحظر النفس عن الفساد، ومنفعة من في شرق الأرض وغربها، ومن في البرّ والبحر ممّن يحجّ ومن لا يحجّ، من تاجر وجالب وبائع ومشتري وكاسب ومسكين، وقضاء حوائج أهل الأطراف والمواضع الممكن لهم الاجتماع فيها كذلك ليشهدوا منافع لهم.

وعلّة فرض الحجّ مرّة واحدةً لأنّ الله عزّوجلّ وضع الفرائض على أدنى القوم قوّة فمن تلك الفرائض الحجّ المفروض واحد، ثمّ رغّب أهل القوّة على قدر طاقتهم.

وعلّة وضع البيت وسط الأرض أنّه الموضع الّذي من تحته دحيت الأرض، و كلّ ريح تهبّ في الدنيا فإنّها تخرج من تحت الركن الشاميّ، وهي أوّل بقعة وضعت في الأرض، لأنّها الوسط ليكون الفرض لأهل الشرق والغرب في ذلك سواء؛ وسمّيت مكّة مكّة لأنّ الناس كانوا يمكّون فيها، وكان يقال لمن قصدها: قد مكا، وذلك قول الله عزّوجلّ: ﴿وَمَا

كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً﴾(١) فالمكاء: الصفير، والتصدية: صفق اليدين.

وعلّة الطواف بالبيت أنَّ الله عزَّ وجلَّ قال للملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾(٢) فردّوا على الله عزَّ وجلَّ هذا الجواب فندموا فلاذوا بالعرش واستغفروا، فأحبَّ الله عزَّ وجلَّ أن يتعبّد بمثل ذلك العباد فوضع في السماء الرابعة بيتاً بحذاء العرش يسمّى الضراح، ثمَّ وضع في السّماء الدنيا بيتاً يسمّى المعمور بحذاء الضراح، ثمَّ وضع هذا البيت بحذاء البيت المعمور، ثمَّ أمر آدم عليه السلام فطاف به فتاب الله عزَّ وجلَّ عليه فجرى ذلك في ولده إلى يوم القيامة.

وعلّة استلام الحجر أنَّ الله تبارك وتعالى لمّا أخذ ميثاق بني آدم التقمه الحجر فمن ثمَّ كلّف الناس تعاهد ذلك الميثاق؛ ومن ثمَّ يقال عند الحجر: أمانتي أدّيتها وميثاقي تعاهدته لتشهد لي بالموافاة؛ ومنه قول سلمان رحمه الله: ليجيئنَّ الحجر يوم القيامة مثل أبي قبيس له لسان وشفتان يشهد لمن وافاه بالموافاة.

والعلّة الّتي من أجلها سمّيت منى منى أنَّ جبرئيل عليه السلام قال هناك لإبراهيم عليه السلام: تمنَّ على ربّك ما شئت، فتمنّى إبراهيم عليه السلام في نفسه أن يجعل الله مكان ابنه إسماعيل كبشاً يأمره بذبحه فداءاً له فأُعطي مناه.

وعلّة الصوم لعرفان مسّ الجوع والعطش ليكون العبد ذليلاً مستكيناً مأجوراً محتسباً صابراً، ويكون ذلك دليلاً له على شدائد الآخرة مع ما فيه من الانكسار له عن الشهوات، واعظاً له في العاجل، دليلاً على الآجل ليعلم شدّة مبلغ ذلك من أهل الفقر والمسكنة في الدنيا والآخرة.

وحرّم قتل النفس لعلّة فساد الخلق في تحليله لو أحلّ وفنائهم وفساد التدبير.

وحرّم الله عزَّ وجلَّ عقوق الوالدين لما فيه من الخروج عن التوقير لطاعة الله عزَّ وجلَّ، والتوقير للوالدين، وتجنّب كفر النعمة، وإبطال الشكر وما يدعو من ذلك إلى قلّة النسل وانقطاعه، لما في العقوق من قلّة توقير الوالدين والعرفان بحقّهما، وقطع الأرحام، والزهد من الوالدين في الولد، وترك التربية لعلّة ترك الولد برّهما.

وحرّم الزنا لما فيه من الفساد من قتل الأنفس، وذهاب الأنساب، وترك التربية للأطفال، وفساد المواريث، وما أشبه ذلك من وجوه الفساد.

وحرّم أكل مال اليتيم ظلماً لعلل كثيرة من وجوه الفساد، أوّل ذلك أنّه إذا أكل الإنسان مال اليتيم ظلماً فقد أعان على قتله إذ اليتيم غير مستغن، ولا محتمل لنفسه، ولا عليم بشأنه، ولا

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٣٥. (٢) سورة البقرة، الآية: ٣٠.

له من يقوم عليه ويكفيه كقيام والديه؛ فإذا أكل ماله فكأنّه قد قتله وصيّره إلى الفقر والفاقة، مع ما خوّف الله تعالى وجعل من العقوبة في قوله عزّ وجلّ : ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ﴾[1] وكقول أبي جعفر عليه السلام : إنّ الله وعد في أكل مال اليتيم عقوبتين: عقوبة في الدُّنيا، وعقوبة في الآخرة ففي تحريم مال اليتيم استغناء اليتيم واستقلاله بنفسه، والسلامة للعقب أن يصيبه ما أصابه، لما وعد الله تعالى فيه من العقوبة، مع ما في ذلك من طلب اليتيم بثاره إذا أدرك، ووقوع الشحناء والعداوة والبغضاء حتّى يتفانوا.

وحرّم الله تعالى الفرار من الزحف لما فيه من الوهن في الدين، والاستخفاف بالرسل، والأئمّة العادلة عليهم السلام ، وترك نصرتهم على الأعداء، والعقوبة لهم على إنكار ما دعوا إليه من الإقرار بالربوبيّة وإظهار العدل وترك الجور وإماتة الفساد، لما في ذلك من جرأة العدوّ على المسلمين وما يكون في ذلك من السبي والقتل، وإبطال دين الله عزّ وجلّ وغيره من الفساد.

وحرّم التعرّب بعد الهجرة للرجوع عن الدين، وترك المؤازرة للأنبياء والحجج عليهم السلام ، وما في ذلك من الفساد، وإبطال حقّ كلّ ذي حقّ لا لعلّة سكنى البدو، وكذلك لو عرف الرجل معالم الدين كاملةً لم يجز له مساكنة أهل الجهل، والخوف عليه لأنّه لا يؤمن أن يقع منه ترك العلم والدخول مع أهل الجهل والتمادي في ذلك.

وحرّم ما أُهلّ به لغير الله عزّ وجلّ للّذي أوجب الله عزّ وجلّ على خلقه من الإقرار به، وذكر اسمه على الذبائح المحلّلة، ولئلّا يسوّى بين ما تقرّب به إليه، وبين ما جعل عبادةً للشياطين والأوثان، لأنّ في تسمية الله عزّ وجلّ الإقرار بربوبيّته وتوحيده، وما في الإهلال لغير الله من الشرك به والتقرّب به إلى غيره، ليكون ذكر الله تعالى وتسميته على الذبيحة فرقاً بين ما أحلّ الله وبين ما حرّم الله، وحرّم سباع الطير والوحش كلّها لأكلها من الجيف ولحوم الناس والعذرة وما أشبه ذلك فجعل الله عزّ وجلّ دلائل ما أحلّ من الوحش والطير وما حرّم كما قال أبي عليه السلام : كلّ ذي ناب من السباع وذي مخلب من الطير حرام، وكلّ ما كانت له قانصة من الطير فحلال. وعلّة أُخرى يفرق بين ما أُحلّ من الطير وما حرّم قوله عليه السلام : كل ما دفّ، ولا تأكل ما صفّ.

وحرّم الأرنب لأنّها بمنزلة السنّور ولها مخاليب كمخاليب السنّور وسباع الوحش فجرت مجراها، مع قذرها في نفسها، وما يكون منها من الدم كما يكون من النساء لأنّها مسخ.

وعلّة تحريم الربا إنّما نهى الله عنه لما فيه من فساد الأموال لأنّ الإنسان إذا اشترى الدرهم بالدرهمين كان ثمن الدّرهم درهماً، وثمن الآخر باطلاً، فبيع الربا وشراؤه وكسٌ على كلّ حال على المشتري وعلى البائع؛ فحظر الله عزّ وجلّ الربا لعلّة فساد الأموال كما حظر على

(١) سورة النساء، الآية: ٩.

السفيه أن يدفع إليه ماله، لما يتخوّف عليه من إفساده حتّى يؤنس منه رشد؛ فلهذه العلّة حرّم الله الربا وبيع الدرهم بالدرهمين يداً بيد.

وعلّة تحريم الربا بعد البيّنة لما فيه من الاستخفاف بالحرام المحرّم وهي كبيرة بعد البيان وتحريم الله لها، ولم يكن ذلك منه إلاّ استخفافاً بالمحرّم للحرام، والاستخفاف بذلك دخول في الكفر.

وعلّة تحريم الربا بالنسبة لعلّة ذهاب المعروف، وتلف الأموال، ورغبة الناس في الربح، وتركهم القرض، والقرض من صنائع المعروف، ولما في ذلك من الفساد والظلم وفناء الأموال.

وحرّم الخنزير لأنّه مشوّه، جعله الله عزّوجلّ عظةً للخلق وعبرةً وتخويفاً ودليلاً على ما مسخ على خلقته، ولأنّ غذاءه أقذر الأقذار مع علل كثيرة؛ وكذلك حرّم القرد لأنّه مسخ مثل الخنزير، وجعل عظةً وعبرةً للخلق ودليلاً على ما مسخ على خلقته وصورته، وجعل فيه شيئاً من الإنسان ليدلّ على أنّه من الخلق المغضوب عليه.

وحرّمت الميتة لما فيها من فساد الأبدان والآفة، ولما أراد الله عزّوجلّ أن يجعل التسمية سبباً للتحليل وفرقاً بين الحلال والحرام.

وحرّم الله عزّوجلّ الدم كتحريم الميتة لما فيه من فساد الأبدان، ولأنّه يورث الماء الأصفر، ويبخر الفم، وينتن الريح، ويسيء الخلق، ويورث القسوة للقلب، وقلّة الرأفة والرحمة حتّى لا يؤمن أن يقتل ولده ووالده وصاحبه.

وحرّم الطحال لما فيه من الدم، ولأنّ علّته وعلّة الدم والميتة واحدة، لأنّه يجري مجراها في الفساد.

وعلّة المهر ووجوبه على الرجال ولا يجب على النساء أن يعطين أزواجهنّ لأنّ على الرجال مؤونة المرأة لأنّ المرأة بائعة نفسها، والرجل مشترٍ، ولا يكون البيع إلاّ بثمن، ولا الشراء بغير إعطاء الثمن؛ مع أنّ النساء محظورات عن التعامل والمجيء مع علل كثيرة.

وعلّة تزويج الرجل أربع نسوة وتحريم أن تتزوّج المرأة أكثر من واحد لأنّ الرجل إذا تزوّج أربع نسوة كان الولد منسوباً إليه، والمرأة لو كان لها زوجان أو أكثر من ذلك لم يعرف الولد لمن هو، إذ هم مشتركون في نكاحها، وفي ذلك فساد الأنساب والمواريث والمعارف.

وعلّة تزويج العبد اثنتين لا أكثر منه لأنّه نصف رجل حرّ في الطلاق والنكاح، لا يملك نفسه ولا له مال إنّما ينفق عليه مولاه، وليكون ذلك فرقاً بينه وبين الحرّ، وليكون أقلّ لاشتغاله عن خدمة مواليه.

وعلّة الطلاق ثلاثاً لما فيه من المهلة فيما بين الواحدة إلى الثلاث لرغبة تحدث، أو سكون غضب إن كان، وليكون ذلك تخويفاً وتأديباً للنساء وزجراً لهنّ عن معصية أزواجهنّ، فاستحقّت المرأة الفرقة والمباينة لدخولها فيما لا ينبغي من معصية زوجها.

وعلّة تحريم المرأة بعد تسع تطليقات فلا تحلّ له أبداً عقوبةً لئلّا يتلاعب بالطلاق، ولا تستضعف المرأة، وليكون ناظراً في أمره، متيقّظاً معتبراً، وليكون يأساً لهما من الاجتماع بعد تسع تطليقات.

وعلّة طلاق المملوك اثنتين لأنّ طلاق الأمة على النصف فجعله اثنتين احتياطاً لكمال الفرائض؛ وكذلك في الفرق في العدّة للمتوفّى عنها زوجها.

وعلّة ترك شهادة النساء في الطلاق والهلال لضعفهنّ عن الرؤية ومحاباتهنّ النساء في الطلاق، فلذلك لا يجوز شهادتهنّ إلاّ في موضع ضرورة مثل شهادة القابلة، وما لا يجوز للرجال أن ينظروا إليه، كضرورة تجويز شهادة أهل الكتاب إذا لم يوجد غيرهم، وفي كتاب الله عزّ وجلّ: ﴿ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ مسلمين، ﴿أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾[1] كافرين، ومثل شهادة الصبيان على القتل إذا لم يوجد غيرهم.

والعلّة في شهادة أربعة في الزنا واثنين في سائر الحقوق لشدّة حدّ المحصن لأنّ فيه القتل فجعلت الشهادة فيه مضاعفةً مغلّظةً، لما فيه من قتل نفسه، وذهاب نسب ولده ولفساد الميراث.

وعلّة تحليل مال الولد لوالده بغير إذنه وليس ذلك للولد لأنّ الولد موهوب للوالد في قول الله عزّ وجلّ: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ﴾[2] مع أنّه المأخوذ بمؤونته صغيراً وكبيراً، والمنسوب إليه والمدعوّ له لقول الله عزّ وجلّ: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾[3] وقول النبيّ صلى الله عليه وآله: أنت ومالك لأبيك، وليست الوالدة كذلك لا تأخذ من ماله إلاّ بإذنه، أو بإذن الأب لأنّ الأب مأخوذ بنفقة الولد، ولا تؤخذ المرأة بنفقة ولدها.

والعلّة في أنّ البيّنة في جميع الحقوق على المدّعي واليمين على المدّعى عليه ما خلا الدم لأنّ المدّعى عليه جاحد، ولا يمكن إقامة البيّنة على الجحود لأنّه مجهول؛ وصارت البيّنة في الدم على المدّعى عليه واليمين على المدّعي لأنّه حوط يحتاط به المسلمون لئلّا يبطل دم امرئ مسلم، وليكون ذلك زاجراً وناهياً للقاتل، لشدّة إقامة البيّنة عليه لأنّ من يشهد على أنّه لم يفعل قليل.

وأمّا علّة القسامة أن جعلت خمسين رجلاً فلما في ذلك من التغليظ والتشديد والاحتياط لئلّا يهدر دم امرئ مسلم.

وعلّة قطع اليمين من السارق لأنّه يباشر الأشياء غالباً بيمينه وهي أفضل أعضائه وأنفعها له فجعل قطعها نكالاً وعبرةً للخلق لئلّا يبتغوا أخذ الأموال من غير حلّها، ولأنّه أكثر ما يباشر السرقة بيمينه.

---

(١) سورة المائدة، الآية: ١٠٦.
(٢) سورة الشورى، الآية: ٤٩.
(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٥.

وحرّم غصب الأموال وأخذها من غير حلّها لما فيه من أنواع الفساد، والفساد محرّم لما فيه من الفناء وغير ذلك من وجوه الفساد.

وحرّم السرقة لما فيها من فساد الأموال وقتل الأنفس لو كانت مباحةً، ولما يأتي في التغاصب من القتل والتنازع والتحاسد، وما يدعو إلى ترك التجارات والصناعات في المكاسب، واقتناء الأموال إذا كان الشيء المقتنى لا يكون أحد أحقّ به من أحد.

وعلّة ضرب الزاني على جسده بأشدّ الضرب لمباشرته الزنا واستلذاذ الجسد كلّه به فجعل الضرب عقوبة له وعبرة لغيره وهو أعظم الجنايات.

وعلّة ضرب القاذف وشارب الخمر ثمانين جلدةً لأنّ في القذف نفي الولد، وقطع النسل، وذهاب النسب؛ وكذلك شارب الخمر لأنّه إذا شرب هذى وإذا هذى افترى فوجب حدّ المفتري.

وعلّة القتل بعد إقامة الحدّ في الثالثة على الزاني والزانية لاستخفافهما وقلّة مبالاتهما بالضرب حتّى كأنّهما مطلق لهما ذلك الشيء؛ وعلّة أخرى أنّ المستخفّ بالله وبالحدّ كافرٌ فوجب عليه القتل لدخوله في الكفر.

وعلّة تحريم الذكران للذاكران، والإناث للإناث لما ركّب في الإناث، وما طبع عليه الذكران، ولما في إتيان الذكران للذكران والإناث للإناث من انقطاع النسل و فساد التدبير وخراب الدنيا.

وأحلّ الله تعالى البقر والغنم والإبل لكثرتها وإمكان وجودها، وتحليل بقر الوحش وغيرها من أصناف ما يؤكل من الوحش المحلّلة لأنّ غذاءها غير مكروه ولا محرّم، ولا هي مضرّة بعضها ببعض، ولا مضرّة بالإنس، ولا في خلقها تشويه.

وكره أكل لحوم البغال والحمير الأهليّة لحاجة الناس إلى ظهورها واستعمالها والخوف من قلّتها، لا لقذر خلقها ولا قذر غذائها.

وحرّم النظر إلى شعور النساء المحجوب بالأزواج وإلى غيرهنّ من النساء لما فيه من تهييج الرجال، وما يدعو التهييج إليه من الفساد والدخول فيما لا يحلّ ولا يجمل وكذلك ما أشبه الشعور، إلاّ الّذي قال الله عزّوجلّ: ﴿وَٱلْقَوَاعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍ﴾(1) أي غير الجلباب، فلا بأس بالنظر إلى شعور مثلهنّ.

وعلّة إعطاء النساء نصف ما يعطى الرجال من الميراث لأنّ المرأة إذا تزوّجت أخذت، والرجل يعطي فلذلك وفّر على الرجال.

---

(1) سورة النور، الآية: ٦٠.

وعلّة أخرى في إعطاء الذكر مثلي ما تعطى الأنثى في عيال الذكر إن احتاجت، وعليه أن يعولها وعليه نفقتها. وليس على المرأة أن تعول الرجل ولا تؤخذ بنفقته إذا احتاج، فوفّر الله تعالى على الرجال لذلك، وذلك قول الله عزّوجلّ: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾(١).

وعلّة المرأة أنّها لا ترث من العقار شيئاً إلاّ قيمة الطوب والنقض لأنّ العقار لا يمكن تغييره وقلبه، والمرأة يجوز أن ينقطع ما بينها وبينه من العصمة ويجوز تغييرها وتبديلها، وليس الولد والوالد كذلك، لأنّه لا يمكن التفصّي منهما، والمرأة يمكن الاستبدال بها؛ فما يجوز أن يجيء ويذهب كان ميراثه فيما يجوز تبديله وتغييره إذ أشبهه وكان الثابت المقيم على حاله لمن كان مثله في الثبات والقيام(٢).

توضيح: قوله عليه السلام: لأنّه أكثر الضمير راجع إلى كلّ واحد من البول و الغائط. وقوله: وأدوم عطف تفسير لقوله: أكثر. قوله عليه السلام: ومشقّته لأنّه اشتغال بفعل لا استلذاذ فيه.

قوله عليه السلام: والإكراه لأنفسهم أي بإرادتهم، كأنّ المريد لشيء يكره نفسه عليه، والأظهر أنّه تصحيف «ولا إكراه». ثمّ اعلم أنّ الاختيار في الجنابة مبنيّ على الغالب، إذ الاحتلام يقع بغير اختيار.

قوله: لما فيه من تعظيم العبد الضمير راجع إلى العيد أو إلى الغسل. قوله عليه السلام: وزيادة في النوافل أي ثوابها أو هو نفسه زيادة فيها.

قوله عليه السلام: ليطلب به أي ليطلب الناس الأجر بسببه للصلاة عليه وتشييعه ودفنه، ويؤيّده ما في العلل: ليطلب وجهه أي وجه الله ورضاه، وفي بعض نسخ العيون: ليطالب فيه؛ فيكون قوله: ويشفع له عطفاً تفسيرياً له.

قوله عليه السلام: لأنّهما ظاهران مكشوفان علّة لأصل المسح، وقوله: وليس فيهما علّة للاكتفاء به بدون الغسل.

قوله عليه السلام: وتحصين أموال الأغنياء أي حفظها من الضياع، فإنّ أداء الزكاة يوجب عدم تلفها وضياعها. قوله عليه السلام: والحثّ لهم أي للأغنياء على المواساة بإعطاء أصل الزكاة، أو لأنّ إعطاء الزكاة يوجب تزكية النفس عن البخل، وهذا أنسب بلفظ المواساة، إذ هي المساهمة، والمساواة في المال بأن يعطي الفقراء مثل ما يأخذ لنفسه. قوله عليه السلام: من الحثّ في ذلك أي في الاستدلال والعبرة. قوله عليه السلام: في أمور كثيرة متعلّق بقوله: الشكر لله أو بمقدّر، أي تحصل تلك الفضائل في أمور كثيرة.

---

(١) سورة النساء، الآية: ٣٤.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢ ص ٩٥ باب ٣٣ ح ١.

قوله عليه السلام : ومنه متعلّق بالرهبة، كما أنّ إلى الله متعلّق بالرغبة قوله عليه السلام : وتجديد الحقوق عطف على الترك كما أنّ ما قبله معطوف على مدخوله.

قوله عليه السلام : وعلّة وضع البيت وسط الأرض أي لمَ يقال: إنّه وضع وسط الأرض؟ لأنّ الأرض دحيت من تحته إلى أطراف الأرض فلذا يقال: إنّه الوسط؛ أو المراد بالوسط وسط المعمورة تقريباً لكون بعض العمارة في العرض الجنوبيّ أيضاً، ويحتمل على بعد أن يكون الوسط بمعنى الأشرف وعلى الاحتمال الأوّل يمكن أن يكون هبوب الريح أيضاً علّة أُخرى لكونه وسطاً. قوله عليه السلام : كانوا يمكّون فيها هذا لا يساعدة الاشتقاق إلاّ أن يقال: كان أصل مكّة مكوة فصارت بكثرة الاستعمال هكذا؛ أو يقال: كان أصل المكاء المكّ فقلبت الكاف الثانية من باب أمليت وأمللت؛ أو يقال: إنّ بيان ذلك ليس لبيان مبدأ الاشتقاق، بل لبيان أنّ الّذين كان ذلك فعالهم أهلكهم ونقصهم، يقال مكّه: أهلكه ونقصه؛ ويمكن أن يكون مبنيّاً على الاشتقاق الكبير.

قوله عليه السلام : ليعلم فيه لفّ ونشر، فإنّ العلم بحال أهل الفقر في الدنيا علّة لكونه واعظاً، والعلم بحال أهل الفقر في الآخرة علّة لكونه دليلاً.

قوله عليه السلام : من قتل الأنفس أي للتغاير. قوله عليه السلام : والعقوبة لهم لعلّها معطوفة على نصرتهم أو على الأعداء، وعلى التقديرين ضمير الجمع راجع إلى الأعداء أو إلى الرسول والأئمّة. ودعوا على المعلوم أو على المجهول.

قوله عليه السلام : وكذلك لو عرف الرجل أي أنّ التعرّب بعد الهجرة إنّما يحرم لتضمّنه ترك نصرة الأنبياء والحجج عليهم السلام ، وترك الحقوق اللّازمة بين المسلمين والرجوع إلى الجهل لا لخصوص كونه في الأصل من أهل البادية، إذ يحرم على من كمل علمه من غير أهل البادية أيضاً أن يساكنهم لتلك العلّة. أو المعنى: أنّه ليس لخصوص سكنى البادية مدخل في ذلك بل لا يجوز لمن كمل علمه أن يساكن أهل الجهل من أهل القرى والبلاد أيضاً. وفي العلل: ولذلك وهو أظهر. قوله عليه السلام : والخوف عليه كأنّه معطوف على الجهل، أي مساكنة جماعة يخاف عليه من مجالستهم الضلال وترك الحقّ؛ ويحتمل أن يكون معطوفاً على ذلك إذا كان لذلك، وعلى التقديرين المراد عدم جواز مساكنة من يخاف عليه في مجالستهم ترك الدين أو الوقوع في المحرّمات.

قوله عليه السلام : فجعل الله عزّ وجلّ المفعول الثاني لجعل قوله: كلّ ذي ناب أي لمّا كانت العلّة في حرمتها أكلها اللّحوم وافتراسها الحيوانات جعل ضابط الحكم ما يدلّ عليه من الناب والمخلب. وقوله: وعلّة أُخرى يمكن أن يكون لبيان قاعدة أُخرى ذكرها استطراداً ويكون المراد بالعلّة القاعدة؛ ويحتمل أن يكون الصفيف أيضاً من علامات الجلادة والسبعيّة، ولا يبعد أن يكون «وعلّة أُخرى» كلام ابن سنان أدخلها بين كلامه عليه السلام بقرينة تغيير الأسلوب، وأمّا عدم القانصة فمن لوازم سباع الطير غالباً.

قوله عليه السلام : وكسٌ أي نقص. قوله عليه السلام : على المشتري متعلّق بالبيع. وقوله عليه السلام : على البائع متعلّق بالشراء على اللّفّ والنشر. قوله عليه السلام : بالحرام المحرّم أي المبيّن حرمته.

قوله عليه السلام : ولما أراد الله، لمّا كانت الميتة نوعين: الأوّل أن يكون موتها بغير الذبح فيجمد الدم في بدنها، ويورث أكلها فساد الأبدان والآفة؛ والثاني أن يكون ترك التسمية أو الاستقبال فقوله: لما أراد الله لهذا الفرد منها أي العلّة فيها أمر آخر يرجع إلى صلاح أديانهم لا أبدانهم.

قوله عليه السلام : احتياطاً لكمال الفرائض أي ليس ثلاث تطليقات نصف لعدم تنصّف الطلاق فإمّا أن يؤخذ واحدٌ أو اثنان فاختير الاثنان لرعاية الاحتياط.

قوله عليه السلام : ولا تؤخذ المرأة أي مع وجود الوالد وقدرته على الانفاق. قوله عليه السلام : لما ركّب في الإناث أي من الميل إلى الرجال أو من العضو الّذي يناسب وطء الرجال لهنّ.

وقال في النهاية: الجلباب الإزار والرداء؛ وقيل: الملحفة؛ وقيل: هو كالمقنعة تغطّي به المرأة رأسها وظهرها وصدرها؛ وقيل: ثوب أوسع من الخمار ودون الرداء انتهى. وقد ورد في الأخبار المعتبرة أنّها تضع من الثياب الجلباب، وهذا الخبر يدلّ على أنّه لا تضعه، ولعلّ لفظ «غير» زيد من النسّاخ كما هو في بعض النسخ؛ أو المراد بالجلباب ما يكشف بوضعه سائر الجسد غير الشعر وما يجوز لهنّ كشفه إذ قد فسّر بالقميص أيضاً.

قوله عليه السلام : وعليه نفقتها لعلّ المراد أنّه يجبر الرجال على نفقة النساء كالبنت والأمّ وإن كان فقيراً إذا كان قادراً على الكسب بخلاف العكس. والطوب بالضمّ: الآجر، وسيأتي توضيح تلك العلل في الأبواب المناسبة لها.

٣ - ن: ابن المتوكّل، عن السعدآباديّ، عن البرقيّ، عن أبيه، عن محمّد بن سنان قال: سمعت أبا الحسن عليّ بن موسى بن جعفر عليهما السلام يقول: حرّم الله الخمر لما فيها من الفساد ومن تغييرها عقول شاربيها، وحملها إيّاهم على إنكار الله عزّ وجلّ، والفرية عليه وعلى رسله، وسائر ما يكون منهم من الفساد والقتل، والقذف، والزنا، وقلّة الاحتجاز من شيء من الحرام، فبذلك قضينا على كلّ مسكر من الأشربة أنّه حرام محرّم، لأنّه يأتي من عاقبتها ما يأتي من عاقبة الخمر؛ فليجتنب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتولّانا وينتحل مودّتنا كلّ شراب مسكر فإنّه لا عصمة بيننا وبين شاربيها[1].

الفصل الثالث - في نوادر العلل ومتفرقاتها

١ - ع: ابن المتوكّل، عن السعد آباديّ، عن البرقيّ، عن إسماعيل بن مهران، عن أحمد ابن محمّد بن جابر، عن زينب بنت عليّ عليه السلام قالت: قالت فاطمة عليها السلام في خطبتها في

(١) عيون اخبار الرضا عليه السلام ، ج ٢ ص ١٠٥ باب ٣٣ ح ٢.

معنى فدك: لله فيكم عهد قدّمه إليكم، وبقيّة استخلفها عليكم، كتاب الله بيّنة بصائره، وآي منكشفة سرائره، وبرهان متجلّية ظواهره، مديم للبريّة استماعه، وقائد إلى الرضوان اتباعه، ومؤدّ إلى النجاة أشياعه، فيه تبيان حجج الله المنيرة، ومحارمه المحرّمة، وفضائله المدوّنة، وجمله الكافية، ورخصه الموهوبة، وشرائعه المكتوبة، وبيّناته الجالية؛ ففرض الإيمان تطهيراً من الشرك، والصلاة تنزيهاً من الكبر والزكاة زيادة في الرزق، والصيام تثبيتاً للإخلاص، والحجّ تسلية للدين، والعدل مسكاً للقلوب، والطاعة نظاماً للملّة، والإمامة لمّاً من الفرقة، والجهاد عزّاً للإسلام والصبر معونةً على الاستيجاب، والأمر بالمعروف مصلحةً للعامّة، وبرّ الوالدين وقاية عن السخط، وصلة الأرحام منماة للعدد، والقصاص حقناً للدماء، والوفاء للنذر تعرّضاً للمغفرة، وتوفية المكاييل والموازين تغييراً للبخسة، واجتناب قذف المحصنات حجباً عن اللّعنة، واجتناب السرقة إيجاباً للعفّة، ومجانبة أكل أموال اليتامى إجارة من الظلم، والعدل في الأحكام إيناساً للرعيّة؛ وحرّم الله عزّوجلّ الشرك إخلاصاً للربوبيّة، فاتّقوا الله حقّ تقاته فيما أمركم به، وانتهوا عمّا نهاكم عنه(١).

قال الصدوق رحمه‌الله: أخبرنا عليّ بن حاتم، عن محمّد بن أسلم، عن عبد الجليل الباقطانيّ، عن الحسن بن موسى الخشّاب، عن عبد الله بن محمّد العلويّ، عن رجال من أهل بيته، عن زينب بنت عليّ، عن فاطمة عليها‌السلام بمثله؛ وأخبرني عليّ بن حاتم أيضاً عن محمّد بن أبي عمير، عن محمّد بن عمارة، عن محمّد بن إبراهيم المصريّ، عن هارون بن يحيى الناشب، عن عبيدالله بن موسى العبسيّ، عن عبيدالله بن موسى المعمّريّ، عن حفص الأحمر، عن زيد بن عليّ، عن عمّته زينب بنت عليّ، عن فاطمة عليها‌السلام بمثله، وزاد بعضهم على بعض في اللّفظ(٢).

بيان: قولها: وبقيّة أي من رحمته أقامها مقام نبيّكم؛ قولها: بصائره أي دلائله المبصرة الواضحة.

قولها عليها‌السلام مديم للبريّة استماعه أي ما دام القرآن بينهم لا ينزل عليهم العذاب، كما ورد في الأخبار؛ هذا إذا قرئ استماعه بالرفع، وإذا قرئ بالنصب فالمعنى: أنّه يجب على الخلائق استماعه والعمل به إلى يوم القيامة، أو لا يكرّر بتكرّر الاستماع ولا يخلق بكثرة التلاوة.

قولها: اتباعه بصيغة المصدر ليناسب ما تقدّمه، أو الجمع ليوافق ما بعده. وفي الفقيه: المنوّرة مكان المنيرة، والمحدودة مكان المحرّمة، والمندوبة مكان المدوّنة.

---

(١) علل الشرائع، ج ١ ص ٢٨٩ باب ١٨٢ ح ٢ وفيه: والحجّ تسنية للدين.
(٢) علل الشرائع ج ١ ص ٢٨٩ باب ١٨٢ ح ٣ و٤.

قولها: وشرائعها المكتوبة أي الواجبة أو المقرّرة. والجالية: الواضحة. قولها: تثبيتاً للإخلاص لأنّه أمر عدميّ ليس فيه رياء. والسناء: الرفعة. قولها: مسكاً للقلوب أي يمسكها عن الخوف والقلق والاضطراب أو عن الجور والظلم.

قولها عليها السلام والطاعة أي طاعة الله والنبيّ والإمام، واللّمّ: الاجتماع. قولها عليها السلام: معونةً على الاستيجاب أي طلب إيجاب المطلوب والظفر به، وفي بعض النسخ: الاستنجاب أي طلب نجابة النفس.

قولها عليها السلام منماةً للعدد أي إذا وصلهم أحبّوه وأعانوه فيكثر عدد أتباعه وأحبّائه بهم، أو يزيد الله أولاده وأحفاده، وسيأتي شرح تمام الخطبة مفصّلاً في كتاب الفتن إن شاء الله تعالى.

٢ - ع: عليّ بن حاتم، عن أحمد بن عليّ العبديّ، عن الحسن بن إبراهيم الهاشميّ، عن إسحاق بن إبراهيم الديريّ، عن عبد الورّاق بن حاتم، عن معمّر بن قتادة، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: جاءني جبرئيل فقال لي: يا أحمد الإسلام عشرة أسهم وقد خاب من لا سهم له فيها: أوّلها شهادة أن لا إله إلاّ الله وهي الكلمة، والثّانية الصلاة وهي الطهر، والثالثة الزكاة وهي الفطرة، والرابعة الصوم وهي الجنّة، والخامسة الحجّ وهي الشريعة، والسادسة الجهاد وهو العزّ، والسابعة الأمر بالمعروف وهو الوفاء، والثامنة النهي عن المنكر وهو الحجّة، والتاسعة الجماعة وهي الألفة، والعاشرة الطاعة وهي العصمة.

قال: قال حبيبي جبرئيل: إنَّ مثل هذا الدين كمثل شجرة نابتة، الإيمان أصلها، والصّلاة عروقها، والزكاة ماؤها، والصوم سعفها، وحسن الخلق ورقها، والكفّ عن المحارم ثمرها؛ فلا تكمل شجرة إلاّ بالثمر، كذلك الإيمان لا يكمل إلاّ بالكف عن المحارم[1].

إيضاح: قوله صلى الله عليه وآله: وهي الكلمة أي هي الكلمة الجامعة التامّة الّتي تستحقّ أن تسمّى كلمة؛ أو هي مع الشهادة بالرسالة الّتي هي قرينتها كلمة بها يحكم بالإسلام.

قوله صلى الله عليه وآله: وهي الطهر أي مطهّرة من الذنوب. قوله صلى الله عليه وآله: وهي الفطرة تطلق الفطرة على دين الإسلام لأنَّ الناس مفطورون عليه، والحمل هنا للمبالغة في بيان اشتراط الإيمان بالزكاة.

قوله صلى الله عليه وآله: وهي الشريعة أي من أعظم الشرائع، ولذا سمّى الله تعالى تركه كفراً. قوله صلى الله عليه وآله: وهو العزّ أي يوجب عزّ الدين وغلبته على سائر الأديان. قوله صلى الله عليه وآله: وهو الوفاء أي بعهد الله حيث أخذ عهودهم على الأمر بالمعروف. قوله صلى الله عليه وآله: وهو الحجّة أي إتمام الحجّة لله على الخلق. قوله صلى الله عليه وآله: الجماعة أي في الصلاة، أو الاجتماع على الحقّ.

(١) علل الشرائع، ج ١ ص ٢٩١ باب ١٨٢ ح ٥.

قوله عليه السلام: وهي العصمة أي تعصم الناس عن الذنوب، وعن استيلاء الشيطان؛ والسعف بالتحريك: أغصان النخيل.

٣ - ع: أبي وابن الوليد، عن سعد، عن إبراهيم بن هاشم، عن ابن أبي عمير، عن جميل، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه سأله عن شيء من الحلال والحرام فقال: إنّه لم يجعل شيء إلاّ لشيء(١).

بيان: أي لم يشرّع الله تعالى حكماً من الأحكام إلاّ لحكمة من الحكم، ولم يحلّل الحلال إلاّ لحسنه، ولم يحرّم الحرام إلاّ لقبحه، لا كما تقوله الأشاعرة من نفي الغرض وإنكار الحسن والقبح العقليّين؛ ويمكن أن يعمّ بحيث يشمل الخلق والتقدير أيضاً، فإنّه تعالى لم يخلق شيئاً أيضاً إلاّ لحكمة كاملة وعلّة باعثة؛ وعلى نسخة الباء أيضاً يرجع إلى ما ذكرنا بأن تكون سببيّة، ويحتمل أن تكون للملابسة أي لم يخلق ولم يقدّر شيئاً في الدنيا إلاّ متلبّساً بحكم من الأحكام يتعلق به، وهو مخزون عند أهله من الأئمّة عليهم السلام.

٤ - **شي:** عن عليّ بن أبي حمزة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما من أحد أغير من الله تبارك وتعالى، ومن أغير ممّن حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن(٢)؟.

٥ - **نهج، قب:** قال أمير المؤمنين عليه السلام: فرض الله تعالى الإيمان تطهيراً من الشرك والصلاة تنزيهاً عن الكبر، والزكاة تسبيباً للرزق، والصيام ابتلاءاً لإخلاص المحق، والحجّ تقوية للدين، والجهاد عزّاً للإسلام، والأمر بالمعروف مصلحةً للعوام، والنهي عن المنكر ردعاً للسفهاء، وصلة الأرحام منماةً للعدد، والقصاص حقناً للدماء، وإقامة الحدود إعظاماً للمحارم، وترك شرب الخمر تحصيناً للعقل، ومجانبة السرقة إيجاباً للعفّة، وترك الزنا تحقيقاً للنسب، وترك اللّواط تكثيراً للنسل، والشهادات استظهاراً على المجاحدات، وترك الكذب تشريفاً للصدق، والسلم أماناً من المخاوف، والإمامة نظاماً للأمّة والطاعة تعظيماً للسلطان(٣).

٦ - **قب:** ممّا أجاب الرضا عليه السلام بحضرة المأمون لصباح بن نصر الهنديّ وعمران الصابي عن مسائلهما قال عمران: العين نور مركّبة أم الروح تبصر الأشياء من منظرها؟ قال عليه السلام: العين شحمة وهو البياض والسواد، والنظر للروح، دليله أنّك تنظر فيه فترى صورتك في وسطه، والإنسان لا يرى صورته إلاّ في ماء أو مرآة وما أشبه ذلك؛ قال صباح: فإذا عميت العين كيف صارت الروح قائمة والنظر ذاهب؟ قال: كالشمس طالعة يغشاها

---

(١) علل الشرائع، ج ١ ص ١٩ باب ٨ ح ١. (٢) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٢٠ ح ٣٧.
(٣) نهج البلاغة قصار الحكم، ص ٦٨٠ رقم ٢٥٤ ومناقب ابن شهرآشوب ج ٢ ص ٤٢.

الظلام؛ قالا : اين تذهب الروح؟ قال: أين يذهب الضوء الطالع من الكوّة في البيت إذا سدّت الكوّة؟ قال: أوضح لي ذلك، قال: الروح مسكنها في الدماغ، وشعاعها منبثّ في الجسد بمنزلة الشمس دارتها في السماء وشعاعها منبسط على الأرض، فإذا غابت الدارة فلا شمس، وإذا قطعت الرأس فلا روح.

قالا : فما بال الرجل يلتحي دون المرأة؟ قال عَلَيْتَلِارُ : زيّن الله الرجال باللّحى، وجعلها فصلاً يستدلُّ بها على الرجال من النساء.

قال عمران: ما بال الرجل إذا كان مؤنّثاً والمرأة إذا كانت مذكّرة؟ قال عَلَيْتَلِارُ : علّة ذلك أنّ المرأة إذا حملت وصار الغلام منها في الرحم موضع الجارية كان مؤنّثاً، وإذا صارت الجارية موضع الغلام كانت مذكّرة، وذلك أنّ موضع الغلام في الرحم ممّا يلي ميامنها، والجارية ممّا يلي مياسرها، وربّما ولدت المرأة ولدين في بطن واحد فإن عظم ثدياها جميعاً تحمل توأمين، وإن عظم أحد ثدييها كان ذلك دليلاً على أنّها تلد واحداً إلاّ أنّه إذا كان الثدي الأيمن أعظم كان المولود ذكراً، وإذا كان الأيسر أعظم كان المولود أنثى، وإذا كانت حاملاً فضمر ثديها الأيمن فإنّها تسقط غلاماً، وإذا ضمر ثديها الأيسر فإنّها تسقط أنثى، وإذا ضمرا جميعاً تسقطهما جميعاً. قالا : من أيّ شيء الطول والقصر في الإنسان؟ فقال: من قبل النطفة إذا خرجت من الذكر فاستدارت جاء القصر، وإن استطالت جاء الطول.

قال صباح : ما أصل الماء؟ قال عَلَيْتَلِارُ: أصل الماء خشية الله، بعضه من السماء ويسلكه في الأرض ينابيع، وبعضه ماء عليه الأرضون، وأصله واحد عذب فرات.

قال: فكيف منها عيون نفط وكبريت وقار وملح وأشباه ذلك؟ قال: غيّره الجوهر وانقلبت كانقلاب العصير خمراً، وكما انقلبت الخمر فصارت خلاًّ، وكما يخرج من بين فرث ودم لبناً خالصاً. قال: فمن أين أخرجت أنواع الجواهر؟ قال: انقلب منها كانقلاب النطفة علقة ثمّ مضغة ثمّ خلقة مجتمعة مبنيّة على المتضادات الاربع.

قال عمران: إذا كانت الأرض خلقت من الماء والماء بارد رطب فكيف صارت الأرض باردة يابسة؟ قال: سلبت النداوة فصارت يابسة.

قال : الحرّ أنفع أم البرد؟ قال: بل الحرّ أنفع من البرد؛ لأنّ الحرّ من حرّ الحياة والبرد من برد الموت وكذلك السموم القاتلة الحارّ منها أسلم وأقلّ ضرراً من السموم الباردة.

وسألاه عن علّة الصلاة فقال: طاعة أمرهم بها، وشريعة حملهم عليها، وفي الصلاة توقير له وتبجيل وخضوع من العبد إذا سجد، والإقرار بأنّ فوقه ربّاً يعبده ويسجد له.

وسألاه عن الصوم فقال عَلَيْتَلِارُ: امتحنهم بضرب من الطاعة كيما ينالوا بها عنده الدرجات ليعرّفهم فضل ما أنعم عليهم من لذّة الماء وطيب الخبز، وإذا عطشوا يوم صومهم ذكروا يوم العطش الأكبر في الآخرة وزادهم ذلك رغبة في الطاعة.

وسألاه لم حرّم الزنا؟ قال: لما فيه من الفساد، وذهاب المواريث، وانقطاع الأنساب، لا تعلم المرأة في الزنا من أحبلها؟ ولا المولود يعلم من أبوه؟ ولا أرحام موصولة، ولا قرابة معروفة[١].

بيان: الدارة: الحلقة والشعر المستدير على قرن الإنسان، أو موضع الذؤابة أطلقت هنا على جرم الشمس مجازاً. قوله عليه السلام: خشية الله أي لمّا نظر الله بالهيبة في الدرّة صارت ماءاً كما ورد في الخبر، والنظر مجاز، فلذا نسب الماء إلى الخشية ويحتمل أن يكون تصحيف خلقة الله.

٧ - **ين:** فضالة، عن أبان، عن زياد بن أبي رجاء، عن أبي عبيدة، عن أبي سخيلة، عن سلمان قال: بينا أنا جالس عند رسول الله صلى الله عليه وآله إذا قصد له رجل فقال: يا رسول الله المملوك، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ابتلي بك وبُليت به لينظر الله عزّ وجلّ كيف تشكر، وينظر كيف يصبر[٢].

٨ - **ين:** ابن أبي عمير، عن منصور بن يونس، عن الثماليّ، عن أحدهما عليهما السلام قال: إنّ الله تبارك وتعالى يقول: إنّ من عبادي من يسألني الشيء من طاعتي لأحبّه فأصرف ذلك عنه لكي لا يعجبه عمله[٣].

٩ - **ما:** جماعة، عن أبي المفضّل، عن عبيد الله بن الحسين بن إبراهيم، عن عليّ بن عبد الله بن الحسين بن عليّ بن الحسين، عن عليّ بن القاسم بن الحسين بن زيد، عن أبيه، عن جدّه الحسين، عن أبي عبد الله جعفر بن محمّد، عن آبائه، عن عليّ عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لولا أنّ الذنب خير للمؤمن من العجب ما خلّى الله عزّ وجلّ بين عبده المؤمن وبين ذنب أبداً[٤].

ع: أبي، عن سعد، عن ابن عيسى، عن عليّ بن الحكم، عن ابن أسباط رفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام مثله[٥].

١٠ - **نهج:** قال أمير المؤمنين عليه السلام: إن الله سبحانه وضع الثواب على طاعته والعقاب على معصيته ذيادةً لعباده عن نقمته، وحياشةً لهم إلى الجنّة[٦].

١١ - وقال عليه السلام في القاصعة: وكلّما كانت البلوى والاختبار أعظم كانت المثوبة والجزاء أجزل، ألا ترون أنّ الله سبحانه اختبر الأوّلين من لدن آدم صلوات الله عليه إلى

---

(١) مناقب ابن شهرآشوب ج ٤ ص ٣٨٢.
(٢) الزهد، ص ١١٢ باب ٧ ح ١٣.
(٣) الزهد، ص ١٣٧ باب ١١ ح ١٤.
(٤) أمالي الطوسي، ص ٥٧١ مجلس ٢٢ ح ١١٨٤.
(٥) علل الشرائع، ج ٢ ص ٥٥٠ باب ٣٨٥ ح ٨.
(٦) نهج البلاغة قصار الحكم، ص ٧٠٩ رقم ٣٦٧ وفيه: وحياته لهم إلى جنته.

الآخرين من هذا العالم بأحجار لا تضرّ ولا تنفع، ولا تبصر ولا تسمع، فجعلها بيته الحرام الّذي جعله للناس قياماً، ثمّ وضعه بأوعر بقاع الأرض حجراً، وأقلّ نتائق الدنيا مدراً «إلى قوله»: ولكنّ الله يختبر عباده بأنواع الشدائد، ويتعبّدهم بألوان المجاهد، ويبتليهم بضروب المكاره، إخراجاً للتكبّر من قلوبهم، وإسكاناً للتذلل في نفوسهم، وليجعل ذلك أبواباً فتحاً إلى فضله، وأسباباً ذللاً لعفوه، فالله الله في عاجل البغي، وآجل وخامة الظلم وسوء عاقبة الكبر «إلى قوله عليه السلام»: وعن ذلك ما حرس الله عباده المؤمنين بالصلوات والزكوات ومجاهدة الصيام في الأيّام المفروضات تسكيناً لأطرافهم، وتخشيعاً لأبصارهم، وتذليلاً لنفوسهم، وتخفيضاً لقلوبهم، وإذهاباً للخيلاء عنهم، لما في ذلك من تعفير عتاق الوجوه بالتراب تواضعاً، وإلصاق كرائم الجوارح بالأرض تصاغراً، ولحوق البطون بالمتون من الصيام تذلّلاً؛ مع ما في الزكاة من صرف ثمرات الأرض وغير ذلك إلى أهل المسكنة والفقر، انظروا إلى ما في هذه الأفعال من قمع نواجم الفخر، وقدع طوالع الكبر[1].

إلى آخر ما سيأتي مشروحاً في آخر المجلّد الخامس.

أبواب الموت وما يلحقه إلى وقت البعث والنشور

١ - باب حكمة الموت وحقيقته، وما ينبغي أن يعبر عنه

الآيات: الملك: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ «٢».

تفسير: قال الطبرسيّ: أي خلق الموت للتعبّد بالصبر عليه، والحياة للتعبّد بالشكر عليها، أو الموت للاعتبار، والحياة للتزوّد؛ وقيل قدّم الموت لأنّه إلى القهر أقرب، أو لأنّه أقدم. ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ أي ليعاملكم معاملة المختبر بالأمر والنهي فيجازي كلّاً بقدر عمله؛ وقيل: ليبلوكم أيّكم أكثر ذكراً للموت، وأحسن له استعداداً، وعليه صبراً، وأكثر امتثالاً في الحياة[2].

١ - **لي:** ابن الوليد، عن الصفّار، عن ابن يزيد، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إنّ قوماً أتوا نبيّاً لهم فقالوا: ادع لنا ربّك يرفع عنّا الموت؛ فدعا لهم فرفع الله تبارك وتعالى عنهم الموت، وكثروا حتّى ضاقت بهم المنازل وكثر النسل، وكان الرجل يصبح فيحتاج أن يطعم أباه وأمّه وجدّه وجدّ جدّه، ويوضّيهم ويتعاهدهم فشغلوا عن طلب المعاش فأتوه فقالوا: سل ربّك أن يردّنا إلى آجالنا الّتي كنّا عليها، فسأل ربّه عزّ وجلّ فردّهم إلى آجالهم[3].

كا: عليّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير مثله[4].

---

(١) نهج البلاغة، ص ٣٩٩ خطبة رقم ١٩٠. (٢) مجمع البيان، ج ١٠ ص ٦٩.
(٣) أمالي الصدوق، ص ٤١٢ مجلس ٧٧ ح ٢. (٤) الكافي، ج ٣ ص ١٣٣ باب ١٦٦ ح ٣٤.

٢ - **كا**: محمّد بن يحيى، عن الحسين بن إسحاق، عن عليّ بن مهزيار، عن فضالة، عن موسى بن بكر، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: الحياة والموت خلقان من خلق الله، فإذا جاء الموت فدخل في الإنسان لم يدخل في شيء إلاّ وخرجت منه الحياة(١).

٣ - **كا**: العدّة، عن سهل، عن بعض أصحابنا، عن محمّد بن سكين قال: سئل أبو عبد الله عليه السلام عن الرجل يقول: استأثر الله بفلان، فقال: ذا مكروه؛ فقيل: فلان يجود بنفسه، فقال: لا بأس، أما تراه يفتح فاه عند موته مرّتين أو ثلاثاً، فذلك حين يجود بها لما يرى من ثواب الله عزّ وجلّ وقد كان بها ضنيناً(٢).

بيان: قال الجزريّ: الاستئثار: الانفراد بالشيء، ومنه الحديث: إذا استأثر الله بشيء فالهُ عنه، انتهى. أقول: لعلّ كراهة ذلك لإشعاره بأنّه قبل ذلك لم يكن الله متفرّداً بالقدرة والتدبير فيه؛ أو لإيمائه إلى افتقاره سبحان بذلك وانتفاعه تعالى به.

٤ - **ع**: عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّما صار الإنسان يأكل ويشرب بالنار، ويبصر ويعمل بالنور، ويسمع ويشمّ بالريح، ويجد الطعام والشراب بالماء، ويتحرّك بالروح - وساق الحديث إلى أن قال -: فهكذا الإنسان خلق من شأن الدنيا وشأن الآخرة، فإذا جمع الله بينهما صارت حياته في الأرض لأنّه نزل من شأن السماء إلى الدنيا، فإذا فرّق الله بينهما صارت تلك الفرقة الموت، تردّ شأن الأخرى إلى السماء؛ فالحياة في الأرض، والموت في السماء، وذلك أنّه يفرّق بين الأرواح والجسد، فردّت الروح والنور إلى القدس الأولى(٣)، وترك الجسد لأنّه من شأن الدنيا، وإنّما فسد الجسد في الدنيا لأنّ الريح تنشف الماء فييبس فيبقى الطين فيصير رفاتاً ويبلى، ويرجع كلّ إلى جوهره الأوّل، وتحرّكت الروح بالنفس حركتها من الريح، فما كان من نفس المؤمن فهو نور مؤيّد بالعقل، وما كان من نفس الكافر فهو نار مؤيّد بالنكر، فهذه صورة نار، وهذه صورة نور، والموت رحمة من الله لعباده المؤمنين، ونقمة على الكافرين(٤).

أقول: سيأتي الخبر بتمامه وأسناده وشرحه في كتاب السماء والعالم.

٥ - **دعوات الراونديّ**: قال النبيّ صلى الله عليه وآله: لولا ثلاثة في ابن آدم ما طأطأ رأسه شيء: المرض، والموت، والفقر؛ وكلّهن فيه وإنّه لمعهنّ وثّاب(٥).

---

(١) - (٢) الكافي، ج ٣ ص ١٣٣ باب ١٦٦ ح ٣٥ و٣٦.

(٣) في المصدر: إلى القدرة.

(٤) علل الشرائع، ج ١ ص ١٣٢ باب ٩٦ ح ٥ وللحديث صدر وذيل.

(٥) الدعوات للراوندي، ص ١٧١ ح ٤٧٩. أقول: مقتضى هذه الروايات وغيرها أن حقيقة الموت والنوم خروج الروح عن البدن، والفرق أن في حال النوم يبقى العلاقة الرابطة بين الروح والبدن بخلاف الموت، فإنه لا يبقى وينقطع [النمازي].

٢ - باب علامات الكبر وأن ما بين الستين إلى السبعين معترك المنايا وتفسير أرذل العمر

الآيات: النحل «١٦»: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ «٧٠».

الحج «٢٢»: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾ «٥».

يس «٣٦»: ﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ «٦٨».

تفسير: قال الطبرسيّ رحمه الله: ﴿إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ﴾ أي أدون العمر وأوضعه، أي يبقيه حتّى يصير إلى حال الهرم والخوف فيظهر النقصان في جوارحه وحواسّه وعقله.

وروي عن عليّ عليه السلام أنّ أرذل العمر خمس وسبعون سنة. وروي مثل ذلك عن النبيّ صلى الله عليه وآله. وعن قتادة تسعون سنة[١].

﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾ أي ليرجع إلى حال الطفوليّة بنسيان ما كان علمه لأجل الكبر فكأنّه لا يعلم شيئاً ممّا كان عليه؛ وقيل: ليقلّ علمه بخلاف ما كان عليه في حال شبابه[٢].

١ - **ل:** ابن الوليد، عن الصفّار، عن ابن يزيد، عن ابن أبي عمير، عن ابن عبد الحميد، عن الصباح مولى أبي عبد الله عليه السلام قال: كنت مع أبي عبد الله عليه السلام فلمّا مررنا بأحد قال: ترى الثقب الّذي فيه؟ قلت: نعم، قال: أمّا أنا فلست أراه، وعلامة الكبَر ثلاث: كلال البصر، وانحناء الظهر، ورقّة القدم[٣].

٢ - **مع:** أبي، عن سعد، عن أحمد بن إدريس، عن الأشعريّ، عن ابن عبد الحميد، عمّن حدّثه قال: مات رجل من آل أبي طالب لم يكن حضره أبو الحسن عليه السلام؛ فجاءه قوم فلمّا جلس أمسك القوم كأنّ على رؤوسهم الطير، فكانوا في ذكر الفقراء والموت فلمّا جلس قال ابتداءاً منه: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما بين الستّين إلى السبعين معترك المنايا، ثمّ قال عليه السلام: الفقراء محن الإسلام[٤].

٣ - **فس:** محمّد بن جعفر، عن محمّد بن أحمد، عن العبّاس، عن ابن أبي نجران محمّد ابن القاسم، عن عليّ بن المغيرة، عن أبي عبد الله، عن أبيه عليهما السلام قال: إذا بلغ العبد مائة

---

(١) مجمع البيان، ج ٦ ص ١٧٧.
(٢) مجمع البيان، ج ٦ ص ١٧٧.
(٣) الخصال، ص ٨٨ باب الثلاثة ح ٢٣.
(٤) معاني الأخبار، ص ٤٠٢.

سنّة فهي أرذل العمر[١].

٤ - **ل:** روي أنّه إذا بلغ المائة فذلك أرذل العمر.

٥ - وروي: أنَّ أرذل العمر أن يكون عقله عقل ابن سبع سنين[٢].

٦ - **ف:** عن أبي الحسن الثالث عليه السلام أنّه قال يوماً: إنَّ أكل البطيخ يورث الجذام؛ فقيل له: أليس قد أمن المؤمن إذا أتى عليه أربعون سنة من الجنون والجذام والبرص؟ قال: نعم، ولكن إذا خالف المؤمن ما أُمر به ممّن آمنه لم يأمن أن تصيبه عقوبة الخلاف[٣].

٧ - **شي:** عن أبي بصير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إذا بلغ العبد ثلاثاً وثلاثين سنة فقد بلغ أشدّه، وإذا بلغ أربعين سنة فقد انتهى منتهاه، وإذا بلغ إحدى وأربعين فهو في النقصان، وينبغي لصاحب الخمسين أن يكون كمن هو في النزع[٤].

٨ - **دعوات الراوندي:** قال النبي صلى الله عليه وآله: المسلم إذا ضعف من الكبَر يأمر الله الملك أن يكتب له في حاله تلك ما كان يعمل وهو شابّ نشيط مجتمع[٥].

٩ - **نهج:** قال أمير المؤمنين عليه السلام: العمر الّذي أعذر الله فيه إلى ابن آدم ستّون سنة[٦].

٣ - باب الطاعون والفرار منه[٧]

الآيات: البقرة «٢»: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ «٢٤٣».

تفسير: قيل: نزلت في أهل داوردان قرية قبل واسط، وقع فيهم طاعون فخرجوا هاربين فأماتهم الله، فمرّ بهم حزقيل وقد عريت عظامهم وتفرّقت أوصالهم فتعجّب من ذلك، فأوحى الله إليه: ناد فيهم أن قوموا بإذن الله؛ فنادى فقاموا يقولون: سبحانك اللّهم وبحمدك لا إله إلاّ أنت؛ وقيل: نزلت في قوم من بني إسرائيل دعاهم ملكهم إلى الجهاد ففرّوا حذر الموت فأماتهم الله ثمانية أيام ثمّ أحياهم[٨].

---

(١) تفسير القمي، ج ٢ ص ٥٣.

(٢) الخصال، ص ٥٤٦ باب الأربعين فما فوق ح ٢٥.

(٣) تحف العقول، ص ٣٥٧.

(٤) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٣١٥ ح ٧٢.

(٥) الدعوات للراوندي، ص ١٦٣ ح ٤٥١.

(٦) نهج البلاغة، قصار الحكم ٣٢٨.

(٧) في المجمع في الخبر: فناء امّتي بالطعن والطاعون؛ الطعن القتل بالرماح، والطاعون المرض العام والوباء. قال بعض الشارحين: الطاعون الموت الكثير، وقيل: هو بثر وورم مولم جدّاً يخرج من لهيب ويسوّد ما حوله أو يخضرّ ويحصل منه خفقان القلب والقيء ويخرج في المرافق والإباط غالباً والأيدي والأصابع وسائر الجسد؛ انتهى. [النمازي].

(٨) تفسير البيضاوي، ج ١ ص ٢٠٩.

١ - ن: المفسّر، عن أحمد بن الحسن الحسينيّ، عن أبي محمّد العسكريّ، عن آبائه عليهم السلام قال: قيل للصادق عليه السلام: أخبرنا عن الطاعون، فقال: عذاب الله لقوم، ورحمة لآخرين؛ قالوا: وكيف تكون الرحمة عذاباً؟ قال: أما تعرفون أنّ نيران جهنّم عذاب على الكفّار، وخزنة جهنّم معهم فيها فهي رحمة عليهم[1].

ع: المفسّر، عن أحمد بن الحسن، عن الحسن بن عليّ الناصر، عن أبيه، عن الجواد، عن أبيه، عن جدّه عليهم السلام مثله[2].

٢ - ن: بالأسانيد الثلاثة، عن الرضا، عن آبائه عليهم السلام قال: قال عليّ عليه السلام: الطاعون ميتة وحيّة[3].

صح: عنه عليه السلام مثله.

بيان: وحيّة أي سريعة.

٣ - ع: ابن المتوكّل، عن السعدآباديّ، عن البرقيّ، عن ابن محبوب، عن عاصم بن حميد، عن عليّ بن المغيرة قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: القوم يكونون في البلد يقع فيها الموت، ألهم أن يتحوّلوا عنها إلى غيرها؟ قال: نعم؛ قلت: بلغنا أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله عاب قوماً بذلك؛ فقال: أولئك كانوا رتبة بإزاء العدوّ فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وآله أن يثبتوا في موضعهم، ولا يتحوّلوا منه إلى غيره، فلمّا وقع فيهم الموت تحوّلوا من ذلك المكان إلى غيره، فكان تحويلهم من ذلك المكان إلى غيره كالفرار من الزحف[4].

بيان: في بعض النسخ رئية بالهمزة من الرؤية أي كانوا يتراؤون العدو ويترقّبونهم، وفي بعضها رتبة بالتاء قبل الباء الموحّدة؛ أي رتّبوا وأُثبتوا بإزاء العدوّ.

٤ - مع: ابن الوليد، عن الصفّار، عن أحمد بن محمّد، عن أبيه، عن فضالة، عن أبان الأحمر قال: سأل بعض أصحابنا أبا الحسن عليه السلام عن الطاعون يقع في بلدة وأنا فيها، أتحوّل عنها؟ قال: نعم؛ قال: ففي القرية وأنا فيها أتحوّل عنها؟ قال: نعم؛ قال: ففي الدار وأنا فيها أتحوّل عنها؟ قال: نعم؛ قلت: فإنّا نتحدّث أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: الفرار من الطاعون كالفرار من الزحف، قال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله إنّما قال هذا في قوم كانوا يكونون في الثغور في نحو العدوّ. فيقع الطاعون فيخلّون أماكنهم ويفرّون منها، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك فيهم[5].

---

(١) عيون اخبار الرضا عليه السلام، ج ٢ ص ٦ باب ٣٠ ح ٥.
(٢) عيون اخبار الرضا عليه السلام، ج ٢ ص ٦ باب ٣١ ح ١٣٩.
(٣) علل الشرائع، ج ١ ص ٢٨٩ باب ٢٣٥ ح ٣.
(٤) علل الشرائع، ج ٢ ص ٢٣٧ باب ٢٩٧ ح ١. (٥) معاني الأخبار، ص ٢٥٤.

٥ - وروي: أنّه إذا وقع الطاعون في أهل مسجد فليس لهم أن يفرّوا منه إلى غيره[١].

بيان: يمكن أن تكون الرواية الأخيرة على تقدير صحّتها محمولة على الكراهة جمعاً بينها وبين ما سبق، والظاهر أنّ لخصوصيّة المسجد مدخلاً وليس لبيان الفرد الخفيّ لما رواه عليّ ابن جعفر في كتاب المسائل، عن أخيه موسى عليه السلام قال: سألته عن الوباء يقع في الأرض هل يصلح للرجل أن يهرب منه؟ قال: يهرب منه ما لم يقع في مسجده الّذي يصلي فيه، فإذا وقع في أهل مسجده الّذي يصلّي فيه فلا يصلح الهرب منه.

٦ - **ن:** جعفر بن عليّ بن أحمد، عن الحسن بن محمّد بن عليّ، عن محمّد بن عليّ، عن محمّد بن عمر بن عبد العزيز، عمّن سمع الحسن بن محمّد النوفليّ، عن الرضا عليه السلام قال: إنّ قوماً من بني إسرائيل هربوا من بلادهم من الطاعون وهم ألوف حذر الموت فأماتهم الله في ساعة واحدة، فعمد أهل تلك القرية فحظروا عليهم حظيرة فلم يزالوا فيها حتّى نخرت عظامهم فصاروا رميماً، فمرّ بهم نبيّ من أنبياء بني إسرائيل فتعجّب منهم ومن كثرة العظام البالية، فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: أتحبُّ أن أحييهم لك فتنذرهم؟ فقال: نعم يا ربّ، فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: أن نادهم، فقال: أيّتها العظام البالية! قومي بإذن الله عزّ وجلّ، فقاموا أحياءاً أجمعون ينفضون التراب عن رؤوسهم[٢].

٧ - **كا:** محمّد بن يحيى يرفعه، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: دعا نبيّ من الأنبياء على قومه فقيل له: أسلّط عليهم عدوّهم؟ فقال: لا، فقيل له: فالجوع؟ فقال: لا، فقيل له: ما تريد؟ فقال: موت دفيف يحزن القلب ويقلّ العدد: فأرسل عليهم الطاعون[٣].

٨ - **فس:** ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا﴾ الآية قال: إنّه كان وقع طاعون بالشام في بعض المواضع فخرج منهم خلق كثير هرباً من الطاعون فصاروا إلى مفازة فماتوا في ليلة واحدة كلّهم، وكانوا حتّى أنّ المارّ في تلك الطرق كان ينحّي عظامهم برجله عن الطريق، ثمّ أحياهم الله عزّ وجلّ وردّهم إلى منازلهم وعاشوا دهراً طويلاً ثمّ ماتوا ودفنوا[٤].

٩ - **كا:** العدّة، عن سهل، عن ابن محبوب، عن عمر بن يزيد، وغيره عن بعضهم، عن أبي عبد الله عليه السلام، وبعضهم عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ﴾[٥] فقال: إنّ هؤلاء

(١) معاني الأخبار، ص ٢٥٤.
(٢) عيون اخبار الرضا عليه السلام ج ١ ص ١٦٠ باب ١٢ ح ١.
(٣) الكافي، ج ٣ ص ١٣٤ باب ١٦٦ ح ٤١.
(٤) تفسير القمي، ج ١ ص ٨٨ وفيه: فبقوا حتى كانت عظامهم يمرّ بهم المارّ فينحيها...
(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٤٣.

أهل مدينة من مدائن الشام، وكانوا سبعين ألف بيت، وكان الطاعون يقع فيهم في كلّ أوان فكانوا إذا أحسّوا به خرج من المدينة الأغنياء لقوّتهم، وبقي فيها الفقراء لضعفهم، فكان الموت يكثر في الّذين أقاموا، ويقلّ في الّذين خرجوا، فيقول الّذين خرجوا: لو كنّا أقمنا لكثر فينا الموت، ويقول الّذين أقاموا: لو كنّا خرجنا لقلّ فينا الموت؛ قال: فأجمع رأيهم جميعاً أنّه إذا وقع الطاعون وأحسّوا به خرجوا كلّهم من المدينة، فلمّا أحسّوا بالطاعون خرجوا جميعاً وتنحّوا عن الطاعون حذر الموت، فساروا في البلاد ما شاء الله، ثمّ إنّهم مرّوا بمدينة خربة قد جلا أهلها عنها وأفناهم الطاعون فنزلوا بها فلمّا حطّوا رحالهم واطمأنّوا بها قال الله عزّ وجلّ: موتوا جميعاً، فماتوا من ساعتهم وصاروا رميماً عظاماً تلوح وكانوا على طريق المارّة فكنستهم المارّة فنحّوهم وجمعوهم في موضع؛ فمرّ بهم نبيّ من أنبياء بني إسرائيل يقال له: حزقيل فلمّا رأى تلك العظام بكى واستعبر، وقال: يا ربّ! لو شئت لأحييتهم الساعة كما أمتّهم فعمروا بلادك، وولدوا عبادك، وعبدوك مع من يعبدك من خلقك؛ فأوحى الله تعالى إليه: أفتحبُّ ذلك؟ فقال: نعم يا ربّ فأحيهم، قال: فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: قل: كذا وكذا، فقال الّذي أمره الله عزّ وجلّ أن يقوله - فقال أبو عبد الله عليه السلام: وهو الاسم الأعظم - فلمّا قال حزقيل ذلك الكلام نظر إلى العظام يطير بعضها إلى بعض فعادوا أحياءً ينظر بعضهم إلى بعض، يسبّحون الله عزّ ذكره، ويكبّرونه ويهلّلونه؛ فقال حزقيل عند ذلك: أشهد أنّ الله على كلّ شيء قدير. قال عمر بن يزيد: فقال أبو عبد الله عليه السلام: فيهم نزلت هذه الآية[1].

١٠ - **دعوات الراوندي:** سئل زين العابدين عليه السلام عن الطاعون: أنبرأ ممّن يلحقه فإنّه معذب؟ فقال عليه السلام: إن كان عاصياً فابرأ منه، طعن أو لم يطعن، وإن كان لله عزّ وجلّ مطيعاً فإنّ الطاعون ممّا تمحّص به ذنوبه؛ إنّ الله عزّ وجلّ عذّب به قوماً، ويرحم به آخرين، واسعة قدرته لما يشاء؛ أما ترون أنّه جعل الشمس ضياءً لعباده ومنضجاً لثمارهم ومبلّغاً لأقواتهم؟ وقد يعذّب بها قوماً يبتليهم بحرّها يوم القيامة بذنوبهم وفي الدنيا بسوء أعمالهم[2].

٤ - باب حب لقاء الله وذم الفرار من الموت

الآيات: البقرة «٢»: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾.

آل عمران «٣»: ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾

---

(١) الروضة من الكافي، ص ٧٦٨ ح ٢٣٧. (٢) الدعوات للراوندي، ص ١٧١ ح ٤٧٨.

«١٤٣»، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ «١٦٨».

النساء «٤»: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ «٧٨».

يونس «١٠»: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ (٧) أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٨)﴾.

الأحزاب: ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ «١٦».

الجمعة «٦٢»: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٦) وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٧) قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٨)﴾

تفسير: ﴿خَالِصَةً﴾ أي خاصّة بكم، والخطاب لليهود لقولهم: ﴿لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا﴾. ﴿فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ﴾ لأنه من أيقن أنّه من أهل الجنّة اشتاقها وأحبّ التخلّص إليها من الدار ذات الشوائب ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ أي من موجبات النار، وروي أنّهم لو تمنّوا الموت لغصّ كلّ إنسان بريقه فمات مكانه وما بقي على وجه الأرض يهوديّ[1] ﴿وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ أي أحرص منهم، أو خبر مبتدأ محذوف، صفته ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ﴾ أي ومنهم ناس يودّ أحدهم؛ وعلى هذا أيضاً يحتمل أن يكون المراد بالمشركين اليهود لقولهم: ﴿عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾ والزحزحة: التبعيد، ويحتمل أن يكون المراد عذاب الآخرة أو الأعمّ فيكون الزحزحة كناية عن رفعه عنهم؛ إذ بمقدار زيادة العمر يبعد عنهم عذاب البرزخ[2] ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ﴾ أي الحرب فإنّها من أسباب الموت، أو الموت بالشهادة، وهو توبيخ لمن لم يشهد بدراً وتمنّى الجهاد ثمّ شهد أحداً وفرّ ﴿لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ أي لا يتوقّعونه لإنكارهم البعث، أو لا يخافون عقابنا، إذ قد يكون الرجاء بمعنى الخوف ﴿فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ﴾ الخطاب وإن توجّه ظاهراً إلى اليهود لكنّه تعريض عامّ لكلّ من يدّعي ولاية الله ويكره الموت.

١ - **فس:** ﴿فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ قال: إنّ في التوراة مكتوب: أولياء الله يتمنّون الموت، ثمّ قال: ﴿إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ﴾[3].

٢ - **ين:** ابن أبي عمير، عن الحكم بن أيمن عن داود الأبزاريّ، عن أبي جعفر عليه السلام قال: ينادي منادٍ كلّ يوم: لد للموت واجمع للفناء وابن للخراب[4].

٣ - **ين:** ابن محبوب، عن أبي أيّوب، عن أبي عبيدة قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: جعلت فداك حدّثني بما أنتفع به، فقال: يا أبا عبيدة ما أكثر ذكر الموت إنسان إلاّ زهد في الدنيا[5].

---

(١) - (٢) تفسير البيضاوي، ج ١ ص ١٢٣-١٢٥.

(٣) تفسير القمي، ج ٢ ص ٢٤٨. (٤) - (٥) كتاب الزهد، ص ١٤٨ باب ١٤ ح ٢-٣.

٤ - **ين:** عليّ بن النعمان، عن ابن مسكان، عن داود، عن زيد بن أبي شيبة الزهريّ، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الموت، الموت، جاء الموت بما فيه، جاء بالروح والراحة والكرّة المباركة إلى جنّة عالية لأهل دار الخلود الّذين كان لها سعيهم وفيها رغبتهم، وجاء الموت بما فيه، جاء بالشقوة والندامة والكرّة الخاسرة إلى نار حامية لأهل دار الغرور الّذين كان لها سعيهم وفيها رغبتهم(١).

٥ - **وقال:** إذا استحقّت ولاية الشيطان والشقاوة جاء الأمل بين العينين وذهب الأجل وراء الظهر(٢).

٦ - **قال:** وقال: سئل رسول الله صلى الله عليه وآله: أيّ المؤمنين أكيس؟ قال: أكثرهم ذكراً للموت، وأشدهم استعداداً له(٣).

٧ - وقال أمير المؤمنين عليه السلام أيّها النّاس كلّ امرئ لاقٍ في فراره ما منه يفرّ، والأجل مساق النفس إليه، والهرب منه موافاته.

أقول: سيأتي شرحه في باب شهادة أميرالمؤمنين عليه السلام.

٨ - **لي:** الدقّاق عن محمّد بن هارون عن عبيدالله بن موسى، عن محمّد بن الحسين، عن محمّد بن محصن، عن ابن ظبيان، عن الصادق، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: لمّا أراد الله تبارك وتعالى قبض روح إبراهيم عليه السلام أهبط الله ملك الموت، فقال: السلام عليك يا إبراهيم! قال: وعليك السلام يا ملك الموت أداع أم ناع؟ قال: بل داع يا إبراهيم، فأجب؛ قال إبراهيم: فهل رأيت خليلاً يميت خليله؟ قال: فرجع ملك الموت حتّى وقف بين يدي الله جلّ جلاله فقال: إلهي قد سمعت ما قال خليلك إبراهيم، فقال الله جلّ جلاله يا ملك الموت إذهب إليه وقل له: هل رأيت حبيباً يكره لقاء حبيبه؟ إنّ الحبيب يحبّ لقاء حبيبه(٤).

٩ - **ل:** ابن المغيرة، عن جدّه، عن جدّه، عن السكونيّ، عن الصادق، عن أبيه عليه السلام قال أتى النبيّ صلى الله عليه وآله رجل فقال: ما لي لا أحب الموت؟ فقال له: ألك مال؟ قال: نعم، قال: فقدّمته؟ قال: لا، قال: فمن ثمّ لا تحبّ الموت(٥).

١٠ - **ل:** أبي، عن سعد، عن أحمد بن محمّد، عن ابن أبي عمير، عن حمزة بن حمران، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لم يخلق الله عزّ وجلّ يقيناً لا شكّ فيه أشبه بشكّ لا يقين فيه من الموت(٦).

١١ - **ل:** الفاميّ وابن مسرور معاً، عن ابن بطّة، عن البرقيّ، عن أبيه، عن ابن أبي

---

(١) - (٣) كتاب الزهد، ص ١٤٨ باب ١٤ ح ٤.

(٤) أمالي الصدوق، ص ١٦٤ مجلس ٣٦ ح ١.

(٥) - (٦) الخصال، ص ١٣-١٤ باب الواحد ح ٤٧ و٤٨.

عمير، عن هشام بن سالم، عن الصادق، عن أبيه، عن جدّه عليهم السلام قال: سئل أمير المؤمنين عليه السلام: بماذا أحببت لقاء الله؟ قال: لمّا رأيته قد اختار لي دين ملائكته ورسله وأنبيائه علمت أنّ الّذي أكرمني بهذا ليس ينساني فأحببت لقاءه[١].

١٢ - يد: الهمدانيّ، عن عليّ، عن أبيه، عن محمّد بن سنان، عن أبي الجارود عن أبي جعفر، عن آبائه عليهم السلام مثله.

١٣ - ل: الخليل، عن أبي العبّاس السرّاج، عن قتيبة، عن عبد العزيز، عن عمرو بن أبي عمرو، عن عاصم بن عمر بن قتادة، عن محمود بن لبيد أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: شيئان يكرههما ابن آدم: يكره الموت والموت راحة للمؤمن من الفتنة، ويكره قلّة المال وقلّة المال أقلّ للحساب[٢].

١٤ - ل: أبي، عن سعد، عن الإصبهانيّ، عن المنقريّ، عن غير واحد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من أحبّ الحياة ذلّ[٣].

١٥ - ن: المفسّر، عن أحمد بن الحسن الحسينيّ، عن أبي محمّد العسكريّ، عن آبائه عليهم السلام قال: جاء رجل إلى الصادق عليه السلام فقال: قد سئمت الدنيا فأتمنّى على الله الموت؛ فقال: تمنّ الحياة لتطيع لا لتعصي، فلأن تعيش فتطيع خير لك من أن تموت فلا تعصي ولا تطيع[٤].

١٦ - ما: ابن مخلّد، عن أبي عمرو، عن الحارث بن محمّد، عن الواقديّ محمّد بن عمر عن عبد الله بن جعفر الزهريّ، عن يزيد بن الهاد، عن هند بنت الحارث الفراسيّة، عن أم الفضل قالت: دخل رسول الله صلى الله عليه وآله على رجل يعوده وهو شاكٍ فتمنّى الموت فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا تتمنّ الموت فإنّك إن تك محسناً تزدد إحساناً إلى إحسانك وإن كنت مسيئاً فتؤخّر لتستعتب فلا تمنّوا الموت[٥].

١٧ - مع: ابن الوليد، عن الصفّار، عن ابن معروف، عن عليّ بن مهزيار، عن القاسم بن محمّد، عن عبد الصمد بن بشير، عن بعض أصحابه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: أصلحك الله من أحبّ لقاء الله أحبّ الله لقاءه؟ ومن أبغض لقاء الله أبغض الله لقاءه؟ قال: نعم، قلت: فوالله إنّا لنكره الموت! فقال: ليس ذاك حيث تذهب، إنّما ذلك عند المعاينة، إذا رأى ما يحبّ فليس شيء أحبّ إليه من أن يتقدّم، والله يحبّ لقاءه وهو يحبّ لقاء الله حينئذٍ، وإذا رأى ما يكره فليس شيء أبغض إليه من لقاء الله عزّ وجلّ والله عزّ وجلّ يبغض لقاءه[٦].

---

(١) الخصال، ص ٣٣ باب الإثنين ح ١.
(٢) الخصال، ص ٧٤ باب الإثنين ح ١١٥.
(٣) الخصال، ص ١٢٠ باب الثلاثة ح ١١٠.
(٤) عيون أخبار الرضا، ج ٢ ص ٦ باب ٣٠ ح ٣.
(٥) أمالي الطوسي، ص ٣٨٥ مجلس ١٣ ح ٨٣٧.
(٦) معاني الأخبار، ص ٢٣٧

ين: القاسم بن محمّد مثله[١].

١٨ - مع: محمّد بن إبراهيم، عن أحمد بن يونس المعاذيّ، عن أحمد الهمدانيّ، عن محمّد بن محمّد بن الأشعث، عن موسى بن إسماعيل، عن أبيه، عن جدّه، عن جعفر بن محمّد عليه السلام قال: كان للحسن بن عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليهما صديق وكان ماجناً فتباطأ عليه أيّاماً فجاءه يوماً فقال له الحسن عليه السلام: كيف أصبحت؟ فقال: يابن رسول الله أصبحت بخلاف ما أُحبّ ويحبّ الله ويحبّ الشيطان، فضحك الحسن عليه السلام ثمّ قال: وكيف ذاك؟ قال: لأنّ الله عزّ وجلّ يحبّ أن أُطيعه ولا أعصيه ولست كذلك، والشيطان يحبّ أن أعصي الله ولا أُطيعه ولست كذلك، وأنا أُحبّ أن لا أموت ولست كذلك؛ فقام إليه رجل فقال: يابن رسول الله ما بالنا نكره الموت ولا نحبّه؟ قال: فقال الحسن عليه السلام: إنّكم أخربتم آخرتكم وعمرتم دنياكم، فأنتم تكرهون النقلة من العمران إلى الخراب[٢].

توضيح: الماجن: من لا يبالي قولاً وفعلاً.

١٩ - مع: أبي، عن سعد، عن أحمد بن محمّد، عن ابن فضّال، عن يونس بن يعقوب عن شعيب العقرقوفيّ قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: شيء يروى عن أبي ذر رحمه الله أنّه كان يقول: ثلاثة يبغضها الناس وأنا أُحبّها: أُحبّ الموت، وأُحب الفقر، وأُحبّ البلاء. فقال: إنّ هذا ليس على ما ترون إنّما عنى: الموت في طاعة الله أحبّ إليّ من الحياة في معصية الله، والفقر في طاعة الله أحبّ إليّ من الغنى في معصية الله، والبلاء في طاعة الله أحبّ إليّ من الصحة في معصية الله[٣].

جا: أحمد بن الوليد، عن أبيه، عن الصفّار، عن ابن معروف، عن ابن مهزيار، عن ابن فضّال مثله[٤].

٢٠ - مع: أبي، عن سعد، عن البرقيّ، عن محمّد بن علي، عن الحارث بن الحسن الطحّان، عن إبراهيم بن عبد الله، عن فضيل بن يسار، عن أبي جعفر عليه السلام قال: لا يبلغ أحدكم حقيقة الإيمان حتّى يكون فيه ثلاث خصال: يكون الموت أحبّ إليه من الحياة، والفقر أحبّ إليه من الغنى، والمرض أحبّ إليه من الصحّة؛ قلنا: ومن يكون كذلك؟ قال: كلّكم، ثمّ قال: أيّما أحبّ إلى أحدكم: يموت في حبّنا، أو يعيش في بغضنا؟ فقلت: نموت والله في حبّكم أحبّ إلينا، قال: وكذلك الفقر والغنى والمرض والصحّة. قلت: إي والله[٥].

٢١ - لي: عن الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أكيس الناس من كان أشدّ ذكراً للموت[٦].

---

(١) الزهد، ص ١٥٥ باب ١٥ ح ٢.
(٢) معاني الأخبار، ص ٣٨٩.
(٣) معاني الأخبار، ص ١٦٥.
(٤) أمالي المفيد، ص ١٩٠.
(٥) معاني الأخبار، ص ١٢٩.
(٦) أمالي الصدوق، ص ٢٧ مجلس ٦ ح ٤.

٢٢ - **لي:** ابن المغيرة بإسناده عن السكونيّ، عن الصادق، عن آبائه عليهم السلام قال: قال عليٌّ عليه السلام: ما أنزل الموت حقَّ منزلته من عدَّ غداً من أجله[١].

٢٣ - **ين:** حمّاد بن عيسى، عن حسين بن المختار رفعه إلى سلمان الفارسيّ رضي الله عنه أنّه قال: لولا السجود لله ومجالسة قوم يتلفّظون طيب الكلام كما يتلفّظ طيب التمر لتمنّيت الموت. «ص ١٤٩ باب ٤ ح ٥».

٢٤ - **لي:** ماجيلويه، عن عمّه، عن البرقيّ، عن أبيه، عن خلف بن حمّاد، عن أبي الحسن العبديّ، عن الأعمش، عن عباية بن ربعيّ قال: إنّ شابّاً من الأنصار كان يأتي عبد الله بن العبّاس، وكان عبد الله يكرمه ويدينه فقيل له: إنّك تكرم هذا الشابّ وتدينه وهو شابّ سوء! يأتي القبور فينبشها باللّيالي! فقال عبد الله بن العبّاس: إذا كان ذلك فأعلموني، قال: فخرج الشابّ في بعض اللّيالي يتخلّل القبور فأُعلم عبد الله بن العبّاس بذلك فخرج لينظر ما يكون من أمره ووقف ناحية ينظر إليه من حيث لا يراه الشابّ، قال: فدخل قبراً قد حفر، ثمّ اضطجع في اللّحد، ونادى بأعلى صوته يا ويحي إذا دخلت لحدي وحدي، ونطقت الأرض من تحتي فقالت: لا مرحباً ولا أهلاً قد كنت أُبغضك وأنت على ظهري، فكيف وقد صرت في بطني؟! بل ويحي إذا نظرت إلى الأنبياء وقوفاً والملائكة صفوفاً، فمن عدلك غداً من يخلّصني؟ ومن المظلومين من يستنقذني؟ ومن عذاب النار من يجيرني؟ عصيت من ليس بأهل أن يعصى، عاهدت ربّي مرّة بعد أُخرى فلم يجد عندي صدقاً ولا وفاءاً. وجعل يردّد هذا الكلام ويبكي فلمّا خرج من القبر التزمه ابن عبّاس وعانقه ثمّ قال له: نعم النبّاش، نعم النبّاش، ما أنبشك للذنوب والخطايا! ثمّ تفرّقا[٢].

٢٥ - **ب:** اليقطينيّ، عن القدّاح، عن الصادق، عن أبيه عليه السلام قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله: استحيوا من الله حقَّ الحياء، قالوا: وما نفعل يارسول الله؟ قال: فإن كنتم فاعلين فلا يبيتنَّ أحدكم إلاّ وأجله بين عينيه، وليحفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، وليذكر القبر والبلى، ومن أراد الآخرة فليدع زينة الحياة الدنيا[٣].

بيان: وما وعى أي وليحفظ ما وعاه الرأس من البصر والسمع واللّسان وغيرها من المشاعر عن ارتكاب ما يسخط الله، وليحفظ البطن وما حواه من الطعام والشراب أن يكونا من حرام، ويمكن أن يعمّ البطن بحيث يشمل الفرج أيضاً.

٢٦ - **ل:** الأربعمائة: قال أمير المؤمنين عليه السلام: أكثروا ذكر الموت، ويوم خروجكم من القبور، وقيامكم بين يدي الله عزّ وجلّ تهون عليكم المصائب[٤].

---

(١) أمالي الصدوق، ص ٩٦ مجلس ٢٣ ح ٤. (٢) أمالي الصدوق، ص ٢٧١ مجلس ٥٣ ح ١١.
(٣) قرب الإسناد، ص ٢٣ ح ٧٩. (٤) الخصال، ص ٦١٦ حديث الأربعمائة ح ١٠.

٢٧ - **ن:** المفسّر، عن أحمد بن الحسن الحسينيّ، عن أبي محمّد العسكريّ، عن آبائه عليهم السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: كم من غافل ينسج ثوباً ليلبسه وإنّما هو كفنه، ويبني بيتاً ليسكنه وإنّما هو موضع قبره(١).

٢٨ - **ن:** بالإسناد إلى دارم، عن الرضا، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أكثروا من ذكر هادم اللّذّات(٢).

٢٩ - **ما:** فيما أوصى به أمير المؤمنين عليه السلام عند وفاته: قصّر الأمل، واذكر الموت، وازهد في الدنيا، فإنّك رهن موت، وغرض بلاء، وصريع سقم(٣).

٣٠ - **ما:** فيما كتب أمير المؤمنين عليه السلام لمحمّد بن أبي بكر: عباد الله! إنّ الموت ليس منه فوت فاحذروه قبل وقوعه وأعدّوا له عدته، فإنّكم طرد الموت إن أقمتم له أخذكم وإن فررتم منه أدرككم، وهو ألزم لكم من ظلّكم، الموت معقود بنواصيكم، والدنيا تطوى خلفكم، فأكثروا ذكر الموت عند ما تنازعكم إليه أنفسكم من الشهوات، وكفى بالموت واعظاً، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله كثيراً ما يوصي أصحابه بذكر الموت فيقول: أكثروا ذكر الموت فإنّه هادم اللّذّات، حائل بينكم وبين الشهوات(٤).

٣١ - **ما:** جماعة، عن أبي المفضّل، عن أحمد بن عبد الله بن عمّار، عن عليّ بن محمّد ابن سليمان، عن محمّد بن الحارث بن بشير، عن القاسم بن الفضيل، عن عباد المنقريّ عن الصادق، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لو أنّ البهائم يعلمون من الموت ما تعلمون أنتم ما أكلتم منها سميناً(٥).

بيان: لا ينافي هذا الخبر ما سيأتي من الأخبار في أنّ الموت ممّا لم تبهم عنه البهائم، إذ المعنى فيه: لو علموا كما تعلمون من خصوصيّات الموت وشدائده؛ فلا ينافي علمهم بأصل الموت؛ أو المراد: أنّهم لو كانوا مكلّفين وعلموا ما أوعد الله من العقاب لما كانوا غافلين كغفلتكم، ولذا قال صلى الله عليه وآله: من الموت.

٣٢ - **مص:** قال الصادق عليه السلام: ذكر الموت يميت الشهوات في النفس، ويقلع منابت الغفلة، ويقوّي القلب بمواعد الله، ويرقّ الطبع، ويكسر أعلام الهوى، ويطفئ نار الحرص، ويحقّر الدنيا، وهو معنى ما قال النبيّ صلى الله عليه وآله: فكر ساعة خير من عبادة سنة؛ وذلك عندما يحلّ أطناب خيام الدنيا، ويشدّها في الآخرة، ولا يشكّ بنزول الرحمة على ذاكر الموت بهذه

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ١ ص ٢٩٧ باب ٢٨ ح ٥٤.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام ج ٢ ص ٧٠ باب ٣١ ح ٣٢٥.

(٣) أمالي الطوسي، ص ٧ مجلس ١ ضمن ح ٨.

(٤) أمالي الطوسي، ص ٢٧ مجلس ١ ضمن ح ٣١.

(٥) أمالي الطوسي، ص ٤٥٣ مجلس ١٦ ضمن ح ١٠١١.

الصفة، ومن لا يعتبر بالموت وقلّة حيلته وكثرة عجزه وطول مقامه في القبر وتحيّره في القيامة فلا خير فيه.

قال النبيّ ﷺ: اذكروا هادم اللّذّات، فقيل: وما هو يا رسول الله؟ فقال: الموت؛ فما ذكره عبد على الحقيقة في سعة إلاّ ضاقت عليه الدنيا، ولا في شدّة إلاّ اتّسعت عليه، والموت أوّل منزل من منازل الآخرة، وآخر منزل من منازل الدنيا، فطوبى لمن أكرم عند النزول بأوّلها، وطوبى لمن أحسن مشايعته في آخرها، والموت أقرب الأشياء من بني آدم وهو يعدّه أبعد، فما أجرأ الإنسان على نفسه! وما أضعفه من خلق! وفي الموت نجاة المخلصين وهلاك المجرمين، ولذلك اشتاق من اشتاق إلى الموت وكره من كره.

قال النبيّ ﷺ: من أحب لقاء الله أحبّ الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه[1].

بيان: قوله عليه السلام: وذلك أي فكر الساعة الّذي هو خير من عبادة سنة. وحلّ أطناب خيام الدنيا كناية عن قطع العلائق عنها وعن شهواتها، وكذا شدُّها في الآخرة عبارة عن جعل ما يأخذه ويدعه في الدنيا لتحصيل الآخرة.

٣٣ - **شي:** عن محمّد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت له: أخبرني عن الكافر الموت خير له أم الحياة؟ فقال: الموت خير للمؤمن والكافر، قلت: ولمَ؟ قال: لأن الله يقول: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ﴾ ويقول: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾[2].

٣٤ - **سر:** من كتاب أبي القاسم بن قولوية رحمه الله قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: بلغ أمير المؤمنين عليه السلام موت رجل من أصحابه ثمّ جاء خبر آخر أنّه لم يمت، فكتب إليه: بسم الله الرحمن الرحيم أمّا بعد فإنّه قد كان أتانا خبر ارتاع له إخوانك، ثمّ جاء تكذيب الخبر الأوّل، فأنعم ذلك إن سررنا، وإنّ السرور وشيك الانقطاع يبلغه عمّا قليل تصديق الخبر الأوّل، فهل أنت كائن كرجل قد ذاق الموت ثمّ عاش بعده فسأل الرجعة فأسعف بطلبته فهو متأهّب بنقل ما سرّه من ماله إلى دار قراره، لا يرى أنّ له مالاً غيره؟ واعلم أنّ اللّيل والنهار دائبان في نقص الأعمار وإنفاد الأموال وطيّ الآجال؛ هيهات هيهات قد صبّحا عاداً وثمود وقروناً بين ذلك كثيراً فأصبحوا قد وردوا على ربّهم وقدموا على أعمالهم، واللّيل والنهار غضّان جديدان لا يبليهما ما مرّا به يستعدّان لمن بقي بمثل ما أصابا من مضى، واعلم أنّما أنت نظير إخوانك وأشباهك مثلك كمثل الجسد قد نزعت قوّته فلم يبق إلاّ حشاشة نفسه، ينتظر الداعي فنعوذ بالله ممّا نعظ به ثمّ نقصر عنه[3].

---

(١) مصباح الشريعة، ص ١٧١ باب ٨١.
(٢) تفسير العياشي، ج ١ ص ٢٣٠ ح ١٧٣.
(٣) السرائر، ج ٣ ص ٦٣٤.

بيان: فأنعم ذلك أي أقرّ عيون إخوانك، يقال: نعم الله بك عيناً، وأنعم الله بك عيناً، وأنعم صباحاً؛ ويقال: ما أنعمنا بك أي ما أقدمك فسررنا بلقائك، وأنعمت على فلان أي أصرت إليه نعمة. والحشاش والحشاشة بضمّهما: بقيّة الروح في الجسد في المريض.

٣٥ - **ضه:** قال رسول الله ﷺ: أكيس الناس من كان أشدّ ذكراً للموت(١).

٣٦ - وقال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته: فإنّ الغاية أمامكم، وإنّ وراءكم الساعة تحدوكم، تخفّفوا تلحقوا فإنّما ينتظر بأوّلكم آخركم(٢).

٣٧ - وقال أيضاً في خطبته: فما ينجو من الموت من يخافه، ولا يعطى البقاء من أحبّه، ومن جرى في عنان أمله عثر به أجله، وإذا كنت في إدبار والموت في إقبال فما أسرع الملتقى! الحذر الحذر! فوالله لقد ستر حتّى كأنّه غفر(٣).

٣٨ - وتبع أمير المؤمنين جنازة فسمع رجلاً يضحك فقال: كأنّ الموت فيها على غيرنا كتب، وكأنّ الحقّ فيها على غيرنا وجب، وكأنّ الّذي نرى من الأموات سفر عمّا قليل إلينا راجعون نبوّئهم أجداثهم ونأكل تراثهم، قد نسينا كلّ واعظ وواعظة، ورمينا بكلّ جائحة، وعجبت لمن نسي الموت وهو يرى الموت! ومن أكثر ذكر الموت رضي من الدنيا باليسير(٤).

٣٩ - قال الصادق عليه السلام مكتوب في التوراة: نحنا لكم فلم تبكوا، وشوّقناكم فلم تشتاقوا، أعلم القتّالين أنَّ لله سيفاً لا ينام وهو جهنّم؛ أبناء الأربعين أوفوا للحساب، أبناء الخمسين زرع قد دنا حصاده، أبناء الستّين ماذا قدّمتم وماذا أخّرتم؟ أبناء السبعين عدّوا أنفسكم في الموتى، أبناء الثمانين تكتب لكم الحسنات ولا تكتب عليكم السيّئات، أبناء التسعين أنتم أسراء الله في أرضه! ثمّ قال: ما يقول كريم أسر رجلاً؟ ماذا يصنع به؟ قلت: يطعمه ويسقيه ويفعل به؛ فقال: ما ترى الله صانعاً بأسيره(٥)؟.

بيان: الغاية: الموت أو الجنّة والنار. قوله عليه السلام: ينتظر بأولكم أي إنّما ينتظر ببعث الأوّلين ونشرهم مجيء الآخرين وموتهم. لقد ستر أي الذنوب حتّى كأنّه قد غفرها، فاحذروا عقاب ما ستره واشكروه على هذا الستر؛ ويحتمل على بعد أن يكون المعنى ستر الموت عن الخلائق بحيث يظنّون أنّه رفع عنهم لكثرة غفلتهم عنه. قوله: (أوفوا) أي أكملوا وسلّموا ما طلب منكم من الأعمال لأنكم تحاسبون عليها. قوله: زرع أي أنتم أو أعمالكم.

٤٠ - **تم:** في كتاب محمّد بن محمّد بن الأشعث بإسناده أنّ مولانا عليّاً عليه السلام قال: ما رأيت إيماناً مع يقين أشبه منه بشكّ على هذا الإنسان، إنّه كلّ يومٍ يودع إلى القبور، ويشيّع، وإلى غرور الدنيا يرجع، وعن الشهوة والذنوب لا يقلع، فلو لم يكن لابن آدم المسكين ذنب

---

(١) - (٥) روضة الواعظين، ص ٥٣٤ و٥٣٧.

يتوكّفه ولا حساب يقف عليه إلاّ موت يبدّد شمله ويفرّق جمعه ويُيتّم ولده لكان ينبغي له أن يحاذر ما هو فيه بأشدّ النصب والتعب، ولقد غفلنا عن الموت غفلة أقوام غير نازل بهم، وركنّا إلى الدنيا وشهواتها ركون أقوام قد أيقنوا بالمقام، وغفلنا عن المعاصي والذنوب غفلة أقوام لا يرجون حساباً ولا يخافون عقاباً(١).

بيان: لعلّ الضمير في قوله عليه السلام: منه راجع إلى الموت المتقدّم ذكره في الرواية، أو المعلوم بقرينة المقام، وقوله: على الإنسان متعلّق بقوله: أشبه، والظاهر أنّه سقط منه شيء؛ والتوكّف: التوقّع، أي يتوقّع وينتظر عقابه.

٤١ - **جع:** قال النبيّ صلى الله عليه وآله: أفضل الزهد في الدنيا ذكر الموت، وأفضل العبادة ذكر الموت، وأفضل التفكّر ذكر الموت، فمن أثقله ذكر الموت وجد قبره روضة من رياض الجنّة(٢).

٤٢ - وقال رجل لأبي ذر رحمه الله: ما لنا نكره الموت؟ قال: لأنكم عمرتم الدنيا وخربتم الآخرة فتكرهون أن تنتقلوا من عمران إلى خراب؛ قيل له: فكيف ترى قدومنا على الله؟ قال: أمّا المحسن فكالغائب يقدم على أهله، وأمّا المسيء فكالآبق يقدم على مولاه؛ قيل: فكيف ترى حالنا عند الله؟ قال: اعرضوا أعمالكم على كتاب الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾﴾ قال الرجل: فأين رحمة الله؟ قال: إنّ رحمة الله قريب من المحسنين(٣).

٤٣ - **كتاب الدرّة الباهرة:** قيل لأمير المؤمنين عليه السلام: ما الاستعداد للموت؟ فقال: أداء الفرائض واجتناب المحارم والاشتمال على المكارم، ثمّ لا يبالي أوقع على الموت أو وقع الموت عليه؟ والله لا يبالي ابن أبي طالب أوقع على الموت أم وقع الموت عليه(٤)؟.

٤٤ - **دعوات الراونديّ:** قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا يتمنّينّ أحدكم الموت لفتر نزل به(٥).

٤٥ - وقال: لا تتمنّوا الموت فإنّ هول المطّلع شديد، وإن من سعادة المرء أن يطول عمره، ويرزقه الله الإنابة إلى دار الخلود(٦).

٤٦ - وقال أمير المؤمنين عليه السلام: بقيّة عمر المرء لا قيمة له، يدرك بها ما قد فات، ويحيي ما مات(٧).

أقول: سيأتي أخبار الاستعداد للموت في باب موضوع له في كتاب المكارم.

تحقيق مقام لرفع شكوك وأوهام: ربما يتوهّم التنافي بين الآيات والأخبار الدالّة على

---

(١) فلاح السائل، ص ٢١٤.
(٢) جامع الأخبار، ص ١٦٢.
(٣) جامع الأخبار، ص ١٦٤.
(٤) الدرة الباهرة، ص ٢٨.
(٥) - (٧) الدعوات للراوندي، ص ١٢٢.

حبّ لقاء الله، وبين ما يدلّ على ذمّ طلب الموت، وما ورد في الأدعية من استدعاء طول العمر وبقاء الحياة، وما روي من كراهة الموت عن كثير من الأنبياء والأولياء، ويمكن الجواب عنه بوجوه:

الأوّل: ما ذكره الشهيد رَحِمَهُ‌اللهُ في الذكرى من أنّ حبّ لقاء الله غير مقيّد بوقت، فيحمل على حال الاحتضار ومعاينة ما يحبّ، واستشهد لذلك بما مرّ من خبر عبد الصمد بن بشير.

الثاني: أنّ الموت ليس نفس لقاء الله فكراهته من حيث الألم الحاصل منه لا يستلزم كراهة لقاء الله، وهذا لا ينفع في كثير من الأخبار.

الثالث: أنّ ما ورد في ذمّ كراهة الموت فهي محمولة على ما إذا كرهه لحبّ الدنيا وشهواتها والتعلّق بملاذّها، وما ورد بخلاف ذلك على ما إذا كرهه لطاعة الله تعالى وتحصيل مرضاته وتوفير ما يوجب سعادة النشأة الأُخرى، ويؤيّده خبر سلمان.

الرابع: أنّ كراهة الموت إنّما تذمّ إذا كانت مانعة من تحصيل السعادات الأُخرويّة بأن يترك الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهجران الظالمين لحبّ الحياة والبقاء، والحاصل أنّ حبّ الحياة الفانية الدنيويّة إنّما يذمّ إذا آثرها على ما يوجب الحياة الباقية الأُخرويّة، ويدلّ عليه خبر شعيب العقرقوفيّ، وفضيل بن يسار، وهذا الوجه قريب من الوجه الثالث.

الخامس: أنّ العبد يلزم أن يكون في مقام الرضا بقضاء الله، فإذا اختار الله له الحياة فيلزمه الرضا بها والشكر عليها، فلو كره الحياة والحال هذه فقد سخط ما ارتضاه الله له وعلم صلاحه فيه، وهذا ممّا لا يجوز، وإذا اختار الله تعالى له الموت يجب أن يرضى بذلك، ويعلم أنّ صلاحه فيما اختاره الله له فلو كره ذلك كان مذموماً، وأمّا الدعاء لطلب الحياة والبقاء لأمره تعالى بذلك فلا ينافي الرضاء بالقضاء، وكذا في الصحّة والمرض والغنى والفقر وسائر الأحوال المتضادّة يلزم الرضا بكلّ منها في وقته، وأمرنا بالدعاء لطلب خير الأمرين عندنا، فما ورد في حبّ الموت إنّما هو إذا أحبّ الله تعالى ذلك لنا، وأمّا الاقتراح عليه في ذلك وطلب الموت فهو كفر لنعمة الحياة، غير ممدوح عقلاً وشرعاً كطلب المرض والفقر وأشباه ذلك، وهذا وجه قريب، ويؤيّده كثير من الآيات والأخبار والله تعالى يعلم.

٥ - باب ملك الموت وأحواله وأعوانه وكيفيّة نزعه للروح

الآيات: الأنعام «٦»: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ «٦١».

الأعراف «٧»: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓا۟ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَـٰفِرِينَ﴾ «٣٧».

يونس «١٠»: ﴿وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ﴾ «١٠٤».

النحل «١٦»: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ﴾ «٢٨»، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ﴾ «٣٢».

التنزيل [السجدة]: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ «١١».

الزمر «٣٩»: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ «٤٢».

تفسير: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ﴾ أي المقتدر المستولي على عباده ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ أي ملائكة يحفظون أعمالكم ويحصونها عليكم ﴿تَوَفَّتْهُ﴾ أي تقبض روحه ﴿رُسُلُنَا﴾ يعني أعوان ملك الموت ﴿وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ لا يضيّعون ولا يقصّرون فيما أمروا به من ذلك[1] ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا﴾ أي ملك الموت وأعوانه ﴿يَتَوَفَّوْنَهُمْ﴾ أي يقبضون أرواحهم؛ وقيل: معناه: حتّى إذا جاءتهم الملائكة لحشرهم يتوفّونهم إلى النار يوم القيامة ﴿قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا﴾ أي ذهبوا عنّا وافتقدناهم فلا يقدرون على الدفع عنّا وبطلت عبادتنا إيّاهم[2].

وقال الطبرسيّ رحمه الله في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾: أي وكّل بقبض أرواحكم؛ عن ابن عبّاس قال: جعلت الدنيا بين يدي ملك الموت مثل جام يأخذ منها ما شاء إذا قضى عليه الموت من غير عناء، وخطوته ما بين المشرق والمغرب. وقيل: إنّ له أعواناً كثيرةً من ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فعلى هذا المراد بملك الموت الجنس ويدلّ عليه قوله: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ وقوله: ﴿تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ وأمّا إضافة التوفّي إلى نفسه في قوله: ﴿يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ فلأنّه سبحانه خلق الموت ولا يقدر عليه أحد سواه[3].

١ - ج: في خبر الزنديق المدّعي للتناقض في القرآن قال أمير المؤمنين عليه السلام في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ وقوله: ﴿يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ﴾ و﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ و﴿تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ﴾ و﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ﴾: فهو تبارك وتعالى أجلّ وأعظم من أن يتولّى ذلك بنفسه، وفعل رسله وملائكته فعله، لأنّهم بأمره يعملون، فاصطفى جلّ ذكره من الملائكة رسلاً وسفرةً بينه وبين خلقه وهم الّذين قال الله فيهم: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾[4] فمن كان من أهل الطاعة تولّت قبض روحه ملائكة الرحمة، ومن كان من أهل المعصية تولّى قبض روحه ملائكة النقمة، ولملك الموت أعوان من ملائكة الرحمة والنقمة يصدرون عن أمره، وفعلهم فعله، وكلّ ما يأتونه منسوب إليه، وإذا كان فعلهم فعل ملك الموت، وفعل ملك الموت فعل الله لأنّه يتوفّى الأنفس على يد من

---

(١) مجمع البيان، ج ٤ ص ٧٤.
(٢) مجمع البيان، ج ٤ ص ٢٥٠.
(٣) مجمع البيان، ج ٨ ص ١٠٤.
(٤) سورة الحج، الآية: ٧٥.

يشاء، ويعطي ويمنع ويثيب ويعاقب على يد من يشاء، وإنّ فعل أمنائه فعله، كما قال: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾[١].

٢ - فس: أبي، عن ابن أبي عمير، عن هشام، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لمّا أسري بي إلى السماء رأيت ملكاً من الملائكة بيده لوح من نور لا يلتفت يميناً ولا شمالاً مقبلاً عليه، ثبه كهيئة الحزين؛ فقلت: من هذا ياجبرئيل؟! فقال: هذا ملك الموت، مشغول في قبض الأرواح؛ فقلت: أدنني منه ياجبرئيل لأكلّمه، فأدناني منه فقلت له: يا ملك الموت أكلّ من مات أو هو ميّت فيما بعد أنت تقبض روحه؟ قال: نعم، قلت: وتحضرهم بنفسك؟ قال: نعم، ما الدنيا كلّها عندي فيما سخّرها الله لي ومكّنني منها إلاّ كدرهم في كفّ الرجل يقلّبه كيف يشاء، وما من دار في الدنيا إلاّ وأدخلها في كلّ يوم خمس مرّات، وأقول إذا بكى أهل البيت على ميّتهم: لا تبكوا عليه فإنّ لي إليكم عودة وعودة حتّى لا يبقى منكم أحد؛ قال رسول الله: كفى بالموت طامّة يا جبرئيل! فقال جبرئيل: ما بعد الموت أطمّ وأعظم من الموت[٢]!

٣ - ن: بالأسانيد الثلاثة، عن الرضا، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لمّا أسري بي إلى السماء رأيت في السماء الثالثة رجلاً قاعداً: رجلٌ له في المشرق، ورجل في المغرب، وبيده لوح ينظر فيه، ويحرّك رأسه؛ فقلت: يا جبرئيل من هذا؟ فقال: ملك الموت عليه السلام[٣].

٤ - ن: بهذا الإسناد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا كان يوم القيامة يقول الله عزّ وجلّ لملك الموت: يا ملك الموت وعزّتي وجلالي وارتفاعي في علوّي لأذيقنّك طعم الموت كما أذقت عبادي[٤].

٥ - ما: ابن الصلت، عن ابن عقدة، عن عليّ بن محمّد، عن داود، عن الرضا عن آبائه عليهم السلام، عن النبيّ صلى الله عليه وآله مثله[٥].

٦ - يد: القطّان، عن ابن زكريّا، عن ابن حبيب، عن أحمد بن يعقوب بن مطر، عن محمّد بن الحسن بن عبد العزيز، عن أبيه، عن طلحة بن زيد، عن عبد الله بن عبيد، عن أبي معمّر السعدانيّ - في خبر من أتى أمير المؤمنين عليه السلام مدّعياً للتناقض في القرآن - قال عليه السلام: أمّا قوله: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾ وقوله: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ وقوله: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾

(١) الاحتجاج، ص ٢٤٧. (٢) تفسير القمي، ج ١ ص ٣٨٩.
(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام ج ٢ ص ٣٥ باب ٣١ ح ٤٨.
(٤) عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢ ص ٣٥ باب ٣١ ح ٥٠.
(٥) أمالي الطوسي، ص ٣٣٦ مجلس ١٢ ح ٦٨٢.

وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمُ﴾ فإنّ الله تبارك وتعالى يدبّر الأمور كيف يشاء، ويوكّل من خلقه من يشاء بما يشاء، أمّا ملك الموت فإنّ الله عزّوجلّ يوكّله بخاصّة من يشاء من خلقه، ويوكّل رسله من الملائكة خاصّة بمن يشاء من خلقه تبارك وتعالى، والملائكة الّذين سمّاهم الله عزّوجلّ وكلهم بخاصّة من يشاء من خلقه، إنّه تبارك وتعالى يدبّر الأمور كيف يشاء، وليس كلّ العلم يستطيع صاحب العلم أن يفسّره لكلّ الناس، لأنّ منهم القويّ والضعيف، ولأنّ منه ما يطاق حمله، ومنه ما لا يطاق حمله إلاّ من يسهّل الله له حمله وأعانه عليه من خاصّة أوليائه، وإنّما يكفيك أن تعلم أنّ الله المحيي المميت، وأنّه يتوفّى الأنفس على يدي من يشاء من خلقه من ملائكته وغيرهم[١].

أقول: تمامه في كتاب القرآن.

٧ - **شي:** عن حمران قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله: ﴿إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ قال: هو الّذي سمّي لملك الموت عليه السلام في ليلة القدر[٢].

٨ - **جع:** قال إبراهيم الخليل عليه السلام لملك الموت: هل تستطيع أن تريني صورتك الّتي تقبض فيها روح الفاجر؟ قال: لا تطيق ذلك، قال: بلى، قال: فأعرض عنّي؛ فأعرض عنه ثمّ التفت فإذا هو برجل أسود، قائم الشعر، منتن الريح، أسود الثياب، يخرج من فيه ومناخره لهيب النار والدخان؛ فغشي على إبراهيم ثمّ أفاق، فقال: لو لم يلق الفاجر عند موته إلاّ صورة وجهك لكان حسبه[٣].

٩ - **نهج:** من خطبة له عليه السلام ذكر فيها ملك الموت: هل تحسّ به إذا دخل منزلاً؟ أم هل تراه إذا توفّى أحداً؟ بل كيف يتوفّى الجنين في بطن أمّه: أيلج عليه من بعض جوارحها؟ أم الروح أجابته بإذن ربّها؟ أم هو ساكن معه في أحشائها؟ كيف يصف إلهه من يعجز عن صفة مخلوق مثله[٤]؟.

١٠ - **كا:** عليّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: ما من أهل بيت شعر ولا وبر إلاّ وملك الموت يتصفّحهم في كلّ يوم خمس مرّات[٥].

بيان: لعلّ الأظهر «مدر» مكان «وبر».

١١ - **كا:** محمّد بن يحيى: عن أحمد بن محمّد، عن الحسين بن سعيد، عن الحسين بن علوان، عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألته عن لحظة ملك

---

(١) التوحيد، ص ٢٦٨ باب ٣٦ ح ٥.

(٢) تفسير العياشي، ج ٢ ص ١٣١ في تفسيره لسورة يونس ح ٢٤.

(٣) جامع الأخبار، ص ١٦٦.

(٤) نهج البلاغة، ص ٢٤٨ خطبة رقم ١١١.

(٥) الكافي، ج ٣ ص ١٣١ باب ١٦٦ ح ٢٢.

الموت، قال: أما رأيت الناس يكونون جلوساً فتعتريهم السكتة فما يتكلّم أحد منهم؟ فتلك لحظة ملك الموت حيث يلحظهم[١].

ين: ابن علوان مثله[٢].

١٢ - **كا:** عليّ، عن أبيه، عن عمرو بن عثمان، عن المفضّل بن صالح، عن زيد الشحّام قال: سئل أبو عبد الله عليه السلام عن ملك الموت يقال: الأرض بين يديه كالقصعة يمدّ يده حيث يشاء؛ فقال: نعم[٣].

١٣ - **يه:** قال الصادق عليه السلام: قيل لملك الموت عليه السلام: كيف تقبض الأرواح وبعضها في المغرب وبعضها في المشرق في ساعة واحدة؟ فقال: أدعوها فتجيبني. قال: وقال ملك الموت عليه السلام: إنّ الدنيا بين يديّ كالقصعة بين يدي أحدكم، يتناول منها ما يشاء، والدنيا عندي كالدرهم في كفّ أحدكم يقلّبه كيف شاء[٤].

١٤ - **ل:** ابن إدريس، عن أبيه، عن محمّد بن أحمد، عن أبي عبد الله الرازيّ، عن ابن أبي عثمان، عن موسى بن بكر، عن أبي الحسن الأوّل عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ الله تبارك وتعالى اختار من كلّ شيء أربعة؛ اختار من الملائكة جبرئيل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت عليهم السلام[٥].

١٥ - **يه:** سئل الصادق عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ وعن قول الله عزّ وجلّ: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾ وعن قول الله عزّ وجلّ: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ﴾ و ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ وعن قول الله عزّ وجلّ: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ وعن قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ وقد يموت في الساعة الواحدة في جميع الآفاق ما لا يحصيه إلاّ الله عزّ وجلّ فكيف هذا؟ فقال: إنّ الله تبارك وتعالى جعل لملك الموت أعواناً من الملائكة يقبضون الأرواح بمنزلة صاحب الشرطة له أعوان من الإنس يبعثهم في حوائجهم فتتوفّاهم الملائكة ويتوفّاهم ملك الموت من الملائكة مع ما يقبض هو، ويتوفّاه الله عزّ وجلّ من ملك الموت[٦].

١٦ - **كا:** أبو عليّ الأشعريّ، عن محمّد بن عبد الجبّار، عن ابن فضّال، عن عليّ بن عقبة، عن أسباط بن سالم مولى أبان قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك يعلم ملك الموت بقبض من يقبض؟ قال: لا إنّما هي صكاك تنزل من السماء: اقبض نفس فلان بن فلان[٧].

---

(١) الكافي، ج ٣ ص ١٣٢ باب ١٦٦ ح ٣١.
(٢) الزهد، ص ١٢٣ باب ٩ ح ٧.
(٣) الكافي، ج ٣ ص ١٣٢ باب ١٦٦ ح ٢٤.
(٤) من لا يحضره الفقيه، ص ٥٢ ح ٣٥٤.
(٥) الخصال، ص ٢٢٥ باب الأربعة ح ٥٨.
(٦) من لا يحضره الفقيه، ص ٥٣ ح ٣٦٨.
(٧) الكافي، ج ٣ ص ١٣١ باب ١٦٦ ح ٢١.

ما: الحسين بن إبراهيم القزويني، عن محمّد بن وهبان، عن محمّد بن أحمد بن زكريّا، عن الحسن بن فضّال، عن عليّ بن عقبة مثله. «ص ٦٩٣ مجلس ٣٩ ح ١٤٧٥».

١٧ - **كا:** محمّد بن يحيى، عن الحسين بن إسحاق، عن عليّ بن مهزيار، عن عليّ بن إسماعيل الميثميّ، عن عبد الأعلى مولى آل سام قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: قول الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾ قال: فما هو عندك؟ قلت: عدد الأيّام، قال: إن الآباء والأمّهات يحصون ذلك، لا ولكنّه عدد الأنفاس[1].

١٨ - **كا:** عليٌّ، عن أبيه، عن بكر بن محمّد الأزديّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ﴿إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿تَعْمَلُونَ﴾[2] قال: تعدّ السنين، ثمّ تعدّ الشهور، ثمّ تعد الأيّام، ثمّ تعدّ الساعات، ثمّ يعدّ النفس، ﴿إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[3].

ب: ابن سعد، عن الأزديّ مثله[4].

٦ - باب سكرات الموت وشدائده وما يلحق المؤمن والكافر عنده

الآيات: النساء «٤»: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ «٩٧».

الأنفال «٨»: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ «٥٠».

يونس «١٠»: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾.

الأحزاب «٣٣»: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾ «٤٤».

السجدة [فصلت] «٤١»: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ «٣٠».

محمد «٤٧»: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ﴾ «٢٧».

ق «٥٠»: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ «١٩».

الواقعة «٥٦»: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾﴾.

---

(١) الكافي، ج ٣ ص ١٣١ باب ١٦٦ ح ٣٣.
(٢) سورة الجمعة، الآية: ٨.
(٣) الكافي، ج ٣ ص ١٣٤ باب ١٦٦ ح ٤٤.
(٤) قرب الإسناد، ص ٤١ ح ١٣١.

المنافقون «٦٣»: ﴿وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ «١٠».

القيامة «٧٥»: ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ (٢٦) وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ (٢٧) وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ (٢٨) وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ (٢٩) إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ (٣٠)﴾.

الفجر «٨٩»: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي (٣٠)﴾.

تفسير: قال الطبرسيّ رحمه الله: ﴿تَوَفَّاهُمُ﴾ أي تقبض أرواحهم الملائكة: ملك الموت أو ملك الموت وغيره؛ فإنّ الملائكة تتوفّى، وملك الموت يتوفّى، والله يتوفّى، وما يفعله ملك الموت أو الملائكة يجوز أن يضاف إلى الله تعالى إذا فعلوه بأمره، وما تفعله الملائكة جاز أن يضاف إلى ملك الموت إذا فعلوه بأمره ﴿فِيمَ كُنتُمْ﴾ أي في أيّ شيء كنتم من دينكم على وجه التقرير لهم والتوبيخ لفعلهم ﴿قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ يستضعفنا أهل الشرك بالله في أرضنا وبلادنا، ويمنعوننا من الإيمان بالله واتّباع رسوله[1].

﴿وَلَوْ تَرَىٰ﴾ يا محمّد ﴿إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ﴾ أي يقبضون أرواحهم عند الموت ﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾ يريد أستاههم، ولكنّ الله سبحانه كنّى عنها، وقيل: وجوههم ما أقبل منهم، وأدبارهم ما أدبر منهم، والمراد: يضربون أجسادهم من قدّامهم ومن خلفهم، والمراد بهم قتلى بدر. وقيل: معناه: سيضربهم الملائكة عند الموت ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ أي وتقول الملائكة للكفّار استخفافاً بهم: ذوقوا عذاب الحريق بعد هذا في الآخرة. وقيل: إنّه كان مع الملائكة يوم بدر مقامع من حديد كلّما ضربوا المشركين بها التهبت النار في جراحاتهم فذلك قوله: ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾[2].

﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي صدقوا بالله ووحدانيّته ﴿وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ مع ذلك معاصيه ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ قيل فيه أقوال:

أحدها: أنّ البشرى في الحياة الدنيا هي ما بشّرهم الله تعالى به في القرآن على الأعمال الصالحة، ونظيره قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ وقوله: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ﴾.

وثانيها: أنّ البشارة في الحياة الدنيا بشارة الملائكة للمؤمنين عند موتهم: ألاّ تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنّة الّتي كنتم توعدون.

وثالثها: أنّها في الدنيا الرؤيا الصالحة، يراها المؤمن لنفسه أو ترى له، وفي الآخرة الجنّة وهي ما تبشّرهم الملائكة عند خروجهم من القبور وفي القيامة إلى أن يدخلوا الجنّة

---

(١) مجمع البيان، ج ٣ ص ١٦٩-١٧٠. (٢) مجمع البيان، ج ٤ ص ٤٨٠.

يبشّرونهم بها حالاً بعد حال، وهو المرويّ عن أبي جعفر عليه‌السلام ، وروي ذلك في حديث مرفوع عن النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله .

وروى عقبة بن خالد عن أبي عبد الله عليه‌السلام أنّه قال: يا عقبة لا يقبل الله من العباد يوم القيامة إلاّ هذا الدين الّذي أنتم عليه، وما بين أحدكم وبين أن يرى ما تقرّ به عينه إلاّ أن تبلغ نفسه إلى هذه - وأومأ بيده إلى الوريد - الخبر بطوله، ثمّ قال: إنّ هذا في كتاب الله وقرأ هذه الآية. وقيل: إنّ المؤمن يفتح له باب إلى الجنّة في قبره فيشاهد ما أعدّ له في الجنّة قبل دخولها ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ أي لا خلف لما وعد الله ولا خلاف[1].

وفي قوله تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾ روي عن البراء أنّه قال: يوم يلقون ملك الموت لا يقبض روح مؤمن إلاّ سلّم عليه.

وفي قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ أي استمرّوا على أنّ الله ربّهم وحده لم يشركوا به شيئاً، أو ثمّ استقاموا على طاعته وأداء فرائضه. وروى محمّد بن الفضيل قال: سألت أبا الحسن الرضا عليه‌السلام عن الاستقامة فقال: هي والله ما أنتم عليه ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ يعني عند الموت، وروي ذلك عن أبي عبد الله عليه‌السلام . وقيل: تستقبلهم الملائكة إذا خرجوا من قبورهم في الموقف بالبشارة من الله تعالى. وقيل: إنّ البشرى تكون في ثلاثة مواطن: عند الموت، وفي القبر، وعند البعث ﴿أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾ أي يقولون لهم: لا تخافوا عقاب الله ولا تحزنوا لفوت الثواب. وقيل: لا تخافوا ما أمامكم من أمور الآخرة، ولا تحزنوا على ما وراءكم وعلى ما خلّفتم من أهل وولد. وقيل: لا تخافوا ولا تحزنوا على ذنوبكم، فإنّي أغفرها لكم. وقيل: إنّ الخوف يتناول المستقبل، والحزن يتناول الماضي أي لا تخافوا فيما يستقبل من الأوقات، ولا تحزنوا على ما مضى[2].

﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ﴾ أي غمرة الموت وشدّته الّتي تغشي الإنسان وتغلب على عقله ﴿بِالْحَقِّ﴾ أي أمر الآخرة حتّى عرفه صاحبه واضطرّ إليه. وقيل: معناه: جاءت سكرة الموت بالحقّ الّذي هو الموت ﴿ذَلِكَ﴾ أي ذلك الموت ﴿مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ أي تهرب وتميل[3].

﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾﴾ أي فهلاّ إذا بلغت النفس الحلقوم عند الموت وأنتم يا أهل الميّت ﴿حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ﴾ أي ترون تلك الحال وقد صار إلى أن يخرج نفسه. وقيل: معناه: تنظرون لا يمكنكم الدفع ولا تملكون شيئاً ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ﴾ بالعلم والقدرة ﴿وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ ذلك ولا تعلمونه. وقيل: معناه: ورسلنا الّذين يقبضون روحه أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون رسلنا ﴿فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَا﴾ يعني فهلاّ ترجعون نفس من يعزّ

(١) مجمع البيان، ج ٥ ص ٢٠٥.
(٢) مجمع البيان، ج ٩ ص ٢٠-٢١.
(٣) مجمع البيان، ج ٩ ص ٢٤٠.

عليكم إذا بلغت الحلقوم وتردّونها إلى موضعها إن كنتم غير مجزيّين بثواب وعقاب وغير محاسبين. وقيل: أي غير مملوكين. وقيل: أي غير مبعوثين، والمراد أنّ الأمر لو كان كما تقولونه من أنّه لا بعث ولا حساب ولا جزاء ولا إله يحاسب ويجازي فهلاّ رددتم الأرواح والنفوس من حلوقكم إلى أبدانكم إن كنتم صادقين في قولكم، فإذا لم تقدروا على ذلك فاعلموا أنّه من تقدير مقدّر حكيم وتدبير مدبّر عليم[١].

﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ﴾ ذلك المحتضر ﴿مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ عند الله ﴿فَرَوْحٌ﴾ أي فله روح وهو الراحة والاستراحة من تكاليف الدنيا ومشاقّها. وقيل: الروح: الهواء الّذي تستلذّه النفس ويزيل عنها الهمّ ﴿وَرَيْحَانٌ﴾ يعني الرزق في الجنّة. وقيل: هو الريحان المشموم من ريحان الجنّة يؤتى به عند الموت فيشمّه.

وقيل: الروح: الرحمة، والريحان: كلّ نباهة وشرف. وقيل: الروح: النجاة من النار، والريحان: الدخول في دار القرار. وقيل: روح في القبر، وريحان في الجنّة. وقيل: روح في القبر، وريحان في القيامة[٢].

﴿فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾ أي فترى فيهم ما تحبّ لهم من السلامة من المكاره والخوف. وقيل: معناه: فسلام لك أيّها الإنسان الّذي هو من أصحاب اليمين من عذاب الله، وسلّمت عليك ملائكة الله؛ قال الفرّاء: فسلام لك إنّك من أصحاب اليمين؛ فحذف إنّك. وقيل: معناه: فسلام لك منهم في الجنّة لأنّهم يكونون معك ويكون ﴿لَّكَ﴾ بمعنى عليك. ﴿فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾ أي فنزلهم الّذي أعدّ لهم من الطعام والشراب من حميم جهنّم ﴿وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾ أي إدخال نار عظيمة[٣].

﴿كَلَّآ﴾ أي ليس يؤمن الكافر بهذا. وقيل: معناه: حقاً ﴿إِذَا بَلَغَتِ﴾ أي النفس أو الروح ﴿ٱلتَّرَاقِيَ﴾ أي العظام المكتنفة بالحلق، وكنّي بذلك عن الإشفاء على الموت. وقيل: ﴿مَنْ رَاقٍ﴾ أي وقال من حضره: هل من راق أي من طبيب شاف يرقيه ويداويه فلا يجدونه؛ أو قالت الملائكة: من يرقى بروحه؟ أملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب؟ وقال الضحّاك: أهل الدنيا يجهّزون البدن وأهل الآخرة يجهّزون الروح ﴿وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ﴾ أي وعلم عند ذلك أنّه الفراق من الدنيا والأهل والمال والولد؛ وجاء في الحديث أنّ العبد ليعالج كرب الموت وسكراته، ومفاصله يسلّم بعضها على بعض تقول: عليك السلام تفارقني وأفارقك إلى يوم القيامة.

﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ﴾ فيه وجوه: أحدها التفت شدّة أمر الآخرة بأمر الدنيا؛ والثاني التفت

---

(١) مجمع البيان، ج ٩ ص ٣٧٧. (٢) مجمع البيان، ج ٩ ص ٣٧٩.

(٣) مجمع البيان، ج ٩ ص ٣٧٩-٣٨٠.

حال الموت بحال الحياة؛ والثالث التفّت ساقاه عند الموت لأنّه تذهب القوّة فتصير كجلد يلتفّ بعضه ببعض؛ وقيل: هو أن يضطرب فلا يزال يمدّ إحدى رجليه ويرسل الأُخرى ويلفّ إحداهما بالأُخرى. وقيل: هو التفاف الساقين في الكفن؛ والرابع التفّت ساق الدنيا بساق الآخرة وهو شدَّة كرب الموت بشدّة هول المطّلع؛ والمعنى في الجميع أنّه تتابعت عليه الشدائد فلا يخرج من شدَّة إلاّ جاء أشدّ منها.

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ﴾ أي مساق الخلائق إلى المحشر الّذي لا يملك فيه الأمر والنهي إلاّ الله تعالى. وقيل: يسوق الملك بروحه إلى حيث أمر الله به، إن كان من أهل الجنّة فإلى علّيين، وإن كان من أهل النار فإلى سجّين[1].

﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾ بالإيمان، المؤمنة، الموقنة بالثواب والبعث. وقيل: المطمئنّة الآمنة بالبشارة بالجنّة عند الموت ويوم البعث. وقيل: النفس المطمئنّة الّتي يبيضُّ وجهها وتعطى كتابها بيمينها فحينئذ تطمئنّ ﴿ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ أي يقال لها عند الموت وقيل: عند البعث: ارجعي إلى ثواب ربّك وما أعدّه لك من النعيم. وقيل: ارجعي إلى الموضع الّذي يختصّ الله سبحانه بالأمر والنهي فيه دون خلقه. وقيل: إنَّ المراد: ارجعي إلى صاحبك وجسدك فيكون الخطاب للروح أن ترجع إلى الجسد ﴿رَاضِيَةً﴾ بثواب الله ﴿مَّرْضِيَّةً﴾ أعمالها الّتي عملتها. وقيل: راضيةً عن الله بما أعدّ لها، مرضيةً رضي عنها ربّها بما عملت من طاعته. وقيل: راضيةً بقضاء الله في الدنيا حتّى رضي الله عنها ورضي باعتقادها وأفعالها ﴿فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى﴾ أي في زمرة عبادي الصالحين المصطفين الّذين رضيت عنهم ﴿وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾ الّتي وعدتكم بها وأعددت نعيمكم فيها[2].

١ - **ل:** ابن إدريس، عن أبيه، عن محمّد بن سالم، عن أحمد بن النضر، عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الناس اثنان: واحد أراح، وآخر استراح، فأمّا الّذي استراح فالمؤمن إذا مات استراح من الدنيا وبلائها، وأمّا الّذي أراح فالكافر إذا مات أراح الشجر والدوابّ وكثيراً من الناس[3].

٢ - **مع:** ماجيلويه، عن عمّه، عن البرقيّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن بعض أصحابنا، عن أبي عبد الله عليه السلام مثله[4].

٣ - **جا، ما:** المفيد، عن الصدوق، عن ماجيلويه، عن عمّه، عن البرقيّ، عن أبيه، ومحمّد بن سنان معاً، عن محمّد بن عطيّة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الموت كفّارة لذنوب المؤمنين[5].

---

(١) مجمع البيان، ج ١٠ ص ٢٠٣.
(٢) مجمع البيان، ج ١٠ ص ٣٥٥.
(٣) الخصال، ص ٣٨ باب الاثنين ح ٢١.
(٤) معاني الأخبار، ص ١٤٣.
(٥) الأمالي للمفيد، ص ٢٨٣ مجلس ٣٣ ح ٨ وأمالي الطوسي، ص ١١٠ مجلس ٤ ح ١٦٧.

٤ - **ما**: المفيد، عن ابن قولويه، عن أبيه، عن سعد، عن ابن عيسى، عن ابن محبوب، عن حنّان بن سدير، عن أبيه، قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فذكر عنده المؤمن وما يجب من حقّه، فالتفت إليّ أبو عبد الله عليه السلام فقال لي: يا أبا الفضل ألا أحدّثك بحال المؤمن عند الله؟ فقلت: بلى فحدّثني جعلت فداك، فقال: إذا قبض الله روح المؤمن صعد ملكاه إلى السماء فقالا: يا ربّ عبدك ونعم العبد؛ كان سريعاً إلى طاعتك، بطيئاً عن معصيتك، وقد قبضته إليك، فما تأمرنا من بعده؟ فيقول الجليل الجبّار: اهبطا إلى الدنيا وكونا عند قبر عبدي ومجّداني وسبّحاني وهلّلاني وكبّراني واكتبا ذلك لعبدي حتّى أبعثه من قبره[1].

أقول: سيأتي تمامه في باب قضاء حاجة المؤمن.

٥ - **ما**: المفيد، عن عمرو بن محمّد الصيرفيّ، عن محمّد بن همام، عن الفزاريّ، عن سعيد بن عمر، عن الحسن بن ضوء، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال عليّ بن الحسين زين العابدين عليه السلام: قال الله عزّ وجلّ: ما من شيء أتردّد عنه تردّدي عن قبض روح المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته، فإذا حضره أجله الّذي لا يؤخّر فيه بعثت إليه بريحانتين من الجنّة، تسمّى إحداهما المسخية، والأخرى المنسية؛ فأمّا المسخية فتسخيه عن ماله، وأمّا المنسية فتنسيه أمر الدنيا[2].

٦ - **ن**: المفسّر، عن أحمد بن الحسن الحسينيّ، عن أبي محمّد العسكريّ، عن آبائه عليهم السلام قال: قيل للصادق عليه السلام: صف لنا الموت، قال عليه السلام: للمؤمن كأطيب ريح يشمّه فينعس لطيبه وينقطع التعب والألم كلّه عنه، وللكافر كلسع الأفاعي ولدغ العقارب أو أشدّ. قيل: فإنّ قوماً يقولون: إنّه أشدّ من نشر بالمناشير! وقرض بالمقاريض! ورضخ بالأحجار! وتدوير قطب الأرحية على الأحداق، قال: كذلك هو على بعض الكافرين والفاجرين، ألا ترون منهم من يعاين تلك الشدائد؟ فذلكم الّذي هو أشدّ من هذا لا من عذاب الآخرة فإنّه أشدّ من عذاب الدنيا؛ قيل: فما بالنا نرى كافراً يسهل عليه النزع فينطفئ وهو يحدث ويضحك ويتكلّم، وفي المؤمنين أيضاً من يكون كذلك، وفي المؤمنين والكافرين من يقاسي عند سكرات الموت هذه الشدائد؟ فقال: ما كان من راحة للمؤمن هناك فهو عاجل ثوابه، وما كان من شديدة فتمحيصه من ذنوبه ليرد الآخرة نقيّاً، نظيفاً، مستحقاً لثواب الأبد، لا مانع له دونه؛ وما كان من سهولة هناك على الكافر فليوفّى أجر حسناته في الدنيا ليرد الآخرة وليس له إلاّ ما يوجب عليه العذاب، وما كان من شدّة على الكافر هناك فهو ابتداء عذاب الله له بعد نفاد حسناته ذلكم بأنّ الله عدل لا يجور[3].

---

(١) أمالي الطوسي، ص ١٩٥ مجلس ٧ ح ٣٣٣ وللحديث تتمة.

(٢) أمالي الطوسي، ص ٤١٢ مجلس ١٤ ح ٩٣٢.

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ١ ص ٢٤٨ باب ٢٨ ح ٩.

ع، مع: المفسّر، عن أحمد بن الحسن الحسينيّ، عن الحسن بن عليّ الناصريّ، عن أبيه، عن أبي جعفر الثاني، عن أبيه، عن جدّه، عن الصادق عليه السلام مثله(١).

٧ - مع: الهمدانيّ، عن عليّ، عن أبيه، عن أبي محمّد الأنصاريّ - وكان خيّراً - عن عمّار الأسديّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لو أنّ مؤمناً أقسم على ربّه عزّ وجلّ أن لا يميته ما أماته أبداً، ولكن إذا حضر أجله بعث الله عزّ وجلّ إليه ريحين: ريحاً يقال له: المنسية، وريحاً يقال له: المسخية، فأمّا المنسية فإنّها تنسيه أهله وماله، وأمّا المسخية فإنّها تسخي نفسه عن الدنيا حتّى يختار ما عند الله تبارك وتعالى(٢).

٨ - ل: الأربعمائة قال أمير المؤمنين عليه السلام: تمسّكوا بما أمركم الله به، فما بين أحدكم وبين أن يغتبط ويرى ما يحبّ إلاّ أن يحضره رسول الله صلى الله عليه وآله، وما عند الله خير وأبقى، وتأتيه البشارة من الله عزّ وجلّ فتقرّ عينه ويحب لقاء الله(٣).

بيان: الاغتباط: كون الإنسان على حال يغبطه الناس ويتمنّون حاله.

٩ - مع: المفسّر، عن أحمد بن الحسن الحسينيّ، عن الحسن بن عليّ الناصريّ، عن أبيه، عن أبي جعفر الجواد، عن آبائه عليهم السلام قال: قيل لامير المؤمنين عليه السلام: صف لنا الموت، فقال: على الخبير سقطتم، هو أحد ثلاثة أمور يرد عليه: إمّا بشارة بنعيم الأبد، وإمّا بشارة بعذاب الأبد، وإمّا تحزينٌ وتهويلٌ وأمره مبهم، لا تدري من أيّ الفرق هو؛ فأمّا وليّنا المطيع لأمرنا فهو المبشّر بنعيم الأبد، وأمّا عدوّنا المخالف علينا فهو المبشّر بعذاب الأبد، وأمّا المبهم أمره الّذي لا يدرى ما حاله فهو المؤمن المسرف على نفسه لا يدري ما يؤول إليه حاله، يأتيه الخبر مبهماً مخوفاً، ثمّ لن يسوّيه الله عزّ وجلّ بأعدائنا لكن يخرجه من النار بشفاعتنا، فاعملوا وأطيعوا ولا تتكلوا ولا تستصغروا عقوبة الله عزّ وجلّ فإنّ من المسرفين من لا تلحقه شفاعتنا إلاّ بعد عذاب ثلاثمائة ألف سنة.

وسئل الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام: ما الموت الّذي جهلوه؟ قال: أعظم سرور يرد على المؤمنين إذا نقلوا عن دار النكد إلى نعيم الأبد، وأعظم ثبور يرد على الكافرين إذا نقلوا عن جنّتهم إلى نار لا تبيد ولا تنفد.

وقال عليّ بن الحسين عليه السلام لمّا اشتدّ الأمر بالحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام نظر إليه من كان معه فإذا هو بخلافهم لأنّهم كلّما اشتدّ الأمر تغيّرت ألوانهم وارتعدت فرائصهم ووجلت قلوبهم، وكان الحسين عليه السلام وبعض من معه من خصائصه تشرق ألوانهم، وتهدأ جوارحهم، وتسكن نفوسهم؛ فقال بعضهم لبعض: انظروا لا يبالي بالموت! فقال لهم

(١) علل الشرائع، ج ١ ص ٢٨٨ باب ٢٣٥ ح ٢، معاني الأخبار، ص ٢٨٧.
(٢) معاني الأخبار، ص ١٤٢.
(٣) الخصال، ص ٦١٤ حديث الأربعمائة.

الحسين عليه السلام: صبراً بني الكرام! فما الموت إلا قنطرةٌ تعبر بكم عن البؤس والضرّاء إلى الجنان الواسعة والنعيم الدائمة، فأيّكم يكره أن ينتقل من سجن إلى قصر؟ وما هو لأعدائكم إلاّ كمن ينتقل من قصر إلى سجن وعذاب، إنّ أبي حدّثني عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّ الدنيا سجن المؤمن وجنّة الكافر، والموت جسر هؤلاء إلى جنانهم، وجسر هؤلاء إلى جحيمهم، ما كَذبت ولا كُذبت.

وقال محمّد بن عليّ عليه السلام: قيل لعليّ بن الحسين عليه السلام: ما الموت؟ قال: للمؤمن كنزع ثياب وسخة قملة، وفكّ قيود وأغلال ثقيلة، والاستبدال بأفخر الثياب وأطيبها روائح، وأوطأ المراكب، وآنس المنازل؛ وللكافر كخلع ثياب فاخرة، والنقل عن منازل أنيسة، والاستبدال بأوسخ الثياب وأخشنها، وأوحش المنازل وأعظم العذاب.

وقيل لمحمّد بن عليّ عليه السلام: ما الموت؟ قال: هو النوم الّذي يأتيكم كلّ ليلة، إلاّ أنّه طويل مدّته، لا ينتبه منه إلاّ يوم القيامة، فمن رأى في نومه من أصناف الفرح ما لا يقادر قدره ومن أصناف الأهوال ما لا يقادر قدره فكيف حال فرح في النوم ووجل فيه؟ هذا هو الموت فاستعدّوا له[1].

بيان: النكد الشدّة والعسر. والثبور: الهلاك:

١٠ - **مع:** المفسّر، عن أحمد بن الحسن الحسينيّ، عن أبي محمّد العسكريّ، عن آبائه عليهم السلام قال: دخل موسى بن جعفر عليه السلام على رجل قد غرق في سكرات الموت وهو لا يجيب داعياً فقالوا له: يابن رسول الله وددنا لو عرفنا كيف الموت وكيف حال صاحبنا؟ فقال: الموت هو المصفاة تصفّي المؤمنين من ذنوبهم فيكون آخر ألم يصيبهم كفّارة آخر وزر بقي عليهم؛ وتصفّي الكافرين من حسناتهم فيكون آخر لذّة أو راحة تلحقهم هو آخر ثواب حسنة تكون لهم، وأمّا صاحبكم هذا فقد نخل من الذنوب نخلاً وصفّي من الآثام تصفيةً، وخُلّص حتّى نقي كما ينقى الثوب من الوسخ، وصلح لمعاشرتنا أهل البيت في دارنا دار الأبد[2].

١١ - **مع:** بهذا الإسناد، عن محمّد بن عليّ عليه السلام قال: مرض رجل من أصحاب الرضا عليه السلام فعاده فقال: كيف تجدك؟ قال: لقيت الموت بعدك - يريد ما لقيه من شدّة مرضه - فقال: كيف لقيته؟ فقال: أليماً شديداً، فقال: ما لقيته إنّما لقيت ما ينذرك به، ويعرّفك بعض حاله، إنّما الناس رجلان: مستريح بالموت، ومستراح به منه، فجدّد الإيمان بالله وبالولاية تكن مستريحاً، ففعل الرجل ذلك[3]، والحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة.

١٢ - **مع:** بهذا الإسناد، عن عليّ بن محمّد عليه السلام قال: قيل لمحمّد بن عليّ بن

(١) معاني الأخبار، ص ٢٨٨.
(٢) معاني الأخبار، ص ٢٨٩.
(٣) معاني الأخبار، ص ٢٨٩.

موسى عليه السلام: ما بال هؤلاء المسلمين يكرهون الموت؟ قال: لأنّهم جهلوه فكرهوه ولو عرفوه وكانوا من أولياء الله عزّ وجلّ لأحبّوه ولعلموا أنّ الآخرة خير لهم من الدنيا. ثمّ قال عليه السلام: يا أبا عبد الله ما بال الصبيّ والمجنون يمتنع من الدواء المنقي لبدنه والنافي للألم عنه؟ قال: لجهلهم بنفع الدواء، قال: والّذي بعث محمّداً بالحقّ نبيّاً إنّ من استعدّ للموت حقّ الاستعداد فهو أنفع له من هذا الدواء لهذا المتعالج، أما إنّهم لو عرفوا ما يؤدّي إليه الموت من النعيم لاستدعوه وأحبّوه أشدّ ما يستدعي العاقل الحازم الدواء لدفع الآفات واجتلاب السلامة(١).

١٣ - **مع**: بهذا الإسناد عن الحسن بن عليّ عليه السلام قال: دخل عليّ بن محمّد عليه السلام على مريض من أصحابه وهو يبكي ويجزع من الموت، فقال له: يا عبد الله تخاف من الموت لأنّك لا تعرفه، أرأيتك إذا اتّسخت وتقذّرت وتأذّيت من كثرة القذر والوسخ عليك وأصابك قروح وجرب وعلمت أنّ الغسل في حمّام يزيل ذلك كلّه أما تريد أن تدخله فتغسل ذلك عنك؟ أو تكره أن تدخله فيبقى ذلك عليك؟ قال: بلى يابن رسول الله؛ قال: فذلك الموت هو ذلك الحمّام، وهو آخر ما بقي عليك من تمحيص ذنوبك وتنقيتك من سيّئاتك، فإذا أنت وردت عليه وجاورته فقد نجوت من كلّ غمّ وهمّ وأذى، ووصلت إلى كلّ سرور وفرح، فسكن الرجل ونشط واستسلم وغمض عين نفسه ومضى لسبيله. وسئل الحسن بن عليّ بن محمّد عليه السلام عن الموت ما هو؟ فقال: هو التصديق بما لا يكون. حدّثنا أبي، عن أبيه، عن جدّه، عن الصادق عليهم السلام قال: إنّ المؤمن إذا مات لم يكن ميّتاً، فإنّ الميّت هو الكافر، إنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ يعني المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن(٢).

بيان: قوله عليه السلام: هو التصديق بما لا يكون أي هو ما يستلزم التصديق بأمور لا تكون بزعمه أي لا يتوقّع حصولها ممّا يشاهده من غرائب أحوال النشأة الآخرة؛ أو المعنى: أنّ الموت أمر، التصديق به تصديق بما لا يكون، إذ المؤمن لا يموت بالموت، والكافر أيضاً لا يموت بالموت بل كان ميّتاً قبله؛ ففيه حذف مضاف أي التصديق بالموت تصديق بما لا يكون.

١٤ - **ل**: الأربعمائة عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: ما من الشيعة عبد يقارف أمراً نهيناه عنه فيموت حتّى يبتلى ببليّة تمحّص بها ذنوبه، إمّا في مال، وإمّا في ولد، وإمّا في نفسه حتّى يلقى الله عزّ وجلّ وما له ذنب، وإنّه ليبقى عليه الشيء من ذنوبه فيشدّد به عليه عند موته(٣).

١٥ - **ع**: أبي، عن عليّ بن محمّد ماجيلويه، عن الكوفيّ، عن محمّد بن سنان، عن المفضّل قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: يا مفضّل إيّاك والذنوب، وحذّرها شيعتنا، فوالله ما

---

(١) - (٢) معاني الأخبار، ص ٢٨٩-٢٩١. (٣) الخصال، ص ٦٣٥ باب الأربعمائة ح ١٠.

هي إلى أحد أسرع منها إليكم، إنّ أحدكم لتصيبه المعرّة من السلطان وما ذاك إلاّ بذنوبه، وإنّه ليصيبه السقم وما ذاك إلاّ بذنوبه، وإنّه ليحبس عنه الرزق وما هو إلاّ بذنوبه، وإنّه ليشدّد عليه عند الموت وما هو إلاّ بذنوبه، حتّى يقول من حضره: لقد غمّ بالموت؛ فلمّا رأى ما قد دخلني قال: أتدري لمَ ذاك يا مفضّل؟ قال: قلت: لا أدري جعلت فداك؛ قال: ذاك والله أنّكم لا تؤاخذون بها في الآخرة وعجّلت لكم في الدنيا[1].

بيان: قال الفيروزآباديّ: المعرّة: الإثم، والأذى، والغرم، والدية، والخيانة. قوله عليه السلام: لقد غمّ بالموت أي صار مغموماً متألّماً بالموت غاية الغمّ لشدّته، وقال الجوهريّ: غم يومنا بالفتح، فهو يوم غمّ: إذا كان يأخذ بالنفس من شدّة الحرّ.

١٦ - **مع:** أبي، عن سعد، عن ابن يزيد، عن يحيى بن المبارك، عن عليّ بن الصلت، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كنّا معه في جنازة فقال بعض القوم: بارك الله لي في الموت وفيما بعد الموت، فقال له أبو عبد الله عليه السلام: فيما بعد الموت فضلٌ، إذا بورك لك في الموت فقد بورك لك فيما بعده[2].

١٧ - **ع:** عليّ بن حاتم، عن القاسم بن محمّد، عن حمدان بن الحسين، عن الحسين ابن الوليد، عن عمران بن الحجّاج، عن عبد الرحمن، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت لأيّ علّة إذا خرج الروح من الجسد وجد له مسّاً، وحيث ركّبت لم يعلم به؟ قال: لأنّه نما عليها البدن[3].

بيان: قوله عليه السلام: لأنّه نما عليها البدن أي أنّ الألم إنّما هو لألفة الروح بالبدن لنموّه عليها لا لمحض الإخراج حتّى يكون لإدخال الروح أيضاً ألم؛ أو أنّه لمّا نما عليها البدن وبلغ حدّاً يعرف الآلام والأوجاع فلذا يتألّم بإخراج الروح، بخلاف حالة الإدخال فإنّه قبل دخول الروح ما كان يجد شيئاً لعدم الحياة، وبعده لا ألم يحسّ به، ويحتمل وجهاً ثالثاً وهو أنّ السائل لما توهّم أنّ الروح يدخل حقيقة في البدن سأل عن الحكمة في عدم تأثّر البدن بدخول الروح وتأثّره بالخروج، مع أنّ العكس أنسب، فأجاب عليه السلام بأنّ الروح الحيوانيّ لا يدخل من خارج في البدن، بل إنّما تتولّد فيه وينمو البدن عليها. والمسّ أوّل ما يحسّ به من التعب والألم منه.

١٨ - **ن، ل:** ابن الوليد، عن سعد، عن أحمد بن حمزة الأشعريّ، عن ياسر الخادم قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: إنّ أوحش ما يكون هذا الخلق في ثلاثة مواطن: يوم يولد ويخرج من بطن أمّه فيرى الدنيا، ويوم يموت فيعاين الآخرة وأهلها، ويوم يبعث فيرى

---

(١) علل الشرائع، ج ١ ص ٣٤٦ باب ٢٣٥ ح ١. (٢) معاني الأخبار، ص ٣٨٢.
(٣) علل الشرائع، ج ١ ص ٣٥٩ باب ٢٦١ ح ١.

أحكاماً لم يرها في دار الدنيا؛ وقد سلّم الله عزّ وجلّ على يحيى عليه السلام في هذه الثلاثة المواطن وآمن روعته فقال: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ وقد سلّم عيسى بن مريم عليه السلام على نفسه في هذه الثلاثة المواطن فقال: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾[1].

١٩ - ل: أبي، عن سعد، عن الإصبهانيّ، عن المنقريّ عن عبد الرزّاق، عن معمّر عن الزهريّ قال: قال عليّ بن الحسين عليهما السلام أشدّ ساعات ابن آدم ثلاث ساعات: الساعة الّتي يعاين فيها ملك الموت، والساعة الّتي يقوم فيها من قبره، والساعة الّتي يقف فيها بين يدي الله تبارك وتعالى فإمّا إلى الجنّة وإمّا إلى النار. ثمّ قال: إن نجوت يابن آدم عند الموت فأنت أنت وإلاّ هلكت؛ وإن نجوت يابن آدم حين توضع في قبرك فأنت أنت وإلاّ هلكت؛ وإن نجوت حين يحمل الناس على الصراط فأنت أنت وإلاّ هلكت؛ وإن نجوت حين يقوم الناس لربّ العالمين فأنت أنت وإلاّ هلكت. ثمّ تلا: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ قال: هو القبر، وإنّ لهم فيه لمعيشة ضنكاً، والله إنّ القبر لروضةٌ من رياض الجنّة، أو حفرةٌ من حفر النار. ثمّ أقبل على رجل من جلسائه فقال له: قد علم ساكن السماء ساكن الجنّة من ساكن النار فأيّ الرجلين أنت؟ وأيّ الدارين دارك[2]؟

٢٠ - لي: أبي، عن سعد، عن النهديّ، عن ابن محبوب، عن جميل بن صالح، عن محمّد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام أنّه سئل عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾ قال: ذاك قول ابن آدم إذا حضره الموت قال: هل من طبيب؟ هل من دافع؟ قال: ﴿وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ﴾ يعني فراق الأهل والأحبّة عند ذلك، قال: ﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ﴾ قال: التفّت الدنيا بالآخرة، قال: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ﴾ إلى ربّ العالمين يومئذ المصير[3].

٢١ - كا: عليّ، عن أبيه، عن عمرو بن عثمان، عن المفضّل بن صالح، عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام مثله[4].

٢٢ - لي، ن: الطالقانيّ، عن ابن عقدة، عن عليّ بن الحسن بن فضّال، عن أبيه عن الرضا عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام قال: لمّا حضرت الحسن بن علي عليهما السلام الوفاة بكى فقيل: يابن رسول الله أتبكي ومكانك من رسول الله صلى الله عليه وآله مكانك الّذي أنت به وقد قال فيك رسول الله صلى الله عليه وآله ما قال، وقد حججت عشرين حجّة ماشياً، وقد قاسمت ربّك مالك ثلاث مرّات حتّى النعل والنعل؟ فقال عليه السلام: إنّما أبكي لخصلتين: لهول المطّلع، وفراق الأحبّة[5].

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ١ ص ٢٥٧ باب ٢٦ ح ١١ والآيتان من سورة مريم ١٥ و٣٣.

(٢) الخصال، ص ١١٩ باب الثلاثة ح ١٠٨.

(٣) أمالي الصدوق، ص ٢٥٣ مجلس ٥١ ح ١.

(٤) الكافي، ج ٣ ص ١٣٢ باب ١٦٦ ح ٣٢.

(٥) أمالي الصدوق، ص ١٨٤ مجلس ٣٩ ح ٩، وعيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ١ ص ٣٠٣ باب ٢٨ ح ٦٢.

٢٣ - ين: النضر، عن ابن سنان، عمّن سمع أبا جعفر عليه السلام مثله؛ وفيه: وقد حججت عشرين حجّة راكباً، وعشرين حجّة ماشياً[1]. وما في رواية الصدوق أظهر[2].

٢٤ - سن: ابن فضّال، عن ابن فضيل، عن أبي حمزة الثماليّ قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: قال الله تبارك وتعالى: ما تردّدت عن شيء أنا فاعله كتردّدي عن المؤمن، فإنّي أُحبّ لقاءه ويكره الموت، فأزويه عنه، ولو لم يكن في الأرض إلاّ مؤمن واحد لاكتفيت به عن جميع خلقي، وجعلت له من إيمانه أنساً لا يحتاج معه إلى أحد[3].

٢٥ - سن: ابن فضّال، عن أبي جميلة، عن محمّد الحلبيّ قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: قال الله تبارك وتعالى: ليأذن بحرب منّي مستذلّ عبدي المؤمن، وما تردّدت عن شيء كتردّدي في موت المؤمن؛ إنّي لأحب لقاءه ويكره الموت فأصرفه عنه، وإنّه ليدعوني في أمر فأستجيب له لما هو خير له، ولو لم يكن في الدنيا إلاّ واحد من عبيدي مؤمن لاستغنيت به عن جميع خلقي، ولجعلت له من إيمانه أنساً لا يستوحش فيه إلى أحد[4].

بيان: قوله تعالى: فأستجيب له لما هو خير له أي أعطيه عوضاً عمّا يسألني من الأُمور الفانية ما أعلمه أنّه خير له من اللّذّات الباقية.

٢٦ - سن: أبي، عمّن حدّثه، عن أبي سلام النخّاس، عن محمّد بن مسلم قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: والله لا يصف عبد هذا الأمر فتطعمه النار، قلت: إنّ فيهم من يفعل ويفعل! فقال: إنّه إذا كان ذلك ابتلى الله تبارك وتعالى أحدهم في جسده فإن كان ذلك كفارة لذنوبه وإلاّ ضيّق الله عليه في رزقه، فإن ذلك كفّارة لذنوبه وإلاّ شدّد الله عليه عند موته حتّى يأتي الله ولا ذنب له، ثمّ يدخله الجنّة[5].

٢٧ - سن: ابن محبوب، عن محمّد بن القاسم، عن داود بن فرقد، عن يعقوب بن شعيب قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: رجل يعمل بكذا وكذا - فلم أدع شيئاً إلاّ قلته - وهو يعرف هذا الأمر، فقال: هذا يرجى له والناصب لا يرجى له؛ وإن كان كما تقول لا يخرج من الدنيا حتّى يسلّط الله عليه شيئاً يكفر الله عنه به، إمّا فقراً وإمّا مرضاً[6].

٢٨ - جع: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: فوالّذي نفس محمّد بيده لو يرون مكانه ويسمعون كلامه لذهلوا عن ميّتهم ولبكوا على نفوسهم، حتّى إذا حمل الميّت على نعشه رفرف روحه فوق النعش، وهو ينادي: يا أهلي ويا ولدي لا تلعبنّ بكم الدنيا كما لعبت بي فجمعت المال من حلّه وغير حلّه، ثمّ خلّفته لغيري فالمهنأ له والتبعة عليّ، فاحذروا مثل ما حلّ بي. وقيل: ما من ميّت يموت حتّى يتراءى له ملكان الكاتبان عمله فإن كان مطيعاً قالا له: جزاك الله عنّا

---

(١) - (٢) الزهد، ص ١٥٠ باب ١٤ ح ٦. (٣) - (٤) المحاسن، ١٥٩-١٦٠.
(٥) - (٦) المحاسن، ص ١٧٢.

خيراً، فربّ مجلس صدق أجلستنا، وعمل صالح قد أحضرتنا؛ وإن كان فاجراً قالا: لا جزاك الله عنّا خيراً فربّ مجلس سوء قد أجلستنا، وعمل غير صالح قد أحضرتنا، وكلام قبيح قد أسمعتنا[١].

٢٩ - وقال النبيّ ﷺ: إذا رضي الله عن عبد قال: يا ملك الموت اذهب إلى فلان فأتني بروحه، حسبي من عمله، قد بلوته فوجدته حيث أُحبّ؛ فينزل ملك الموت ومعه خمسمائة من الملائكة معهم قضبان الرياحين وأُصول الزعفران، كلُّ واحد منهم يبشّره ببشارة سوى بشارة صاحبه، ويقوم الملائكة صفّين لخروج روحه، معهم الريحان فإذا نظر إليهم إبليس وضع يده على رأسه ثمّ صرخ؛ فيقول له جنوده: ما لك يا سيّدنا؟ فيقول: أما ترون ما أُعطي هذا العبد من الكرامة؟ أين كنتم عن هذا؟ قالوا: جهدنا به فلم يطعنا[٢].

٣٠ - **كنز:** أبو طاهر المقلّد بن غالب، عن رجاله بإسناده المتّصل إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وهو ساجد يبكي حتّى علا نحيبه وارتفع صوته بالبكاء، فقلنا: يا أمير المؤمنين لقد أمرضنا بكاؤك وأمضّنا وشجانا، وما رأيناك قد فعلت مثل هذا الفعل قطّ، فقال: كنت ساجداً أدعو ربّي بدعاء الخيرات في سجدتي فغلبتني عيني فرأيت رؤيا هالتني وأقلقتني، رأيت رسول الله ﷺ قائماً وهو يقول: يا أبا الحسن طالت غيبتك فقد اشتقت إلى رؤياك، وقد أنجز لي ربّي ما وعدني فيك. فقلت يا رسول الله وما الّذي أنجز لك فيّ؟ قال: أنجز لي فيك وفي زوجتك وابنيك وذرّيّتك في الدرجات العلى في علّيّين، قلت: بأبي أنت وأُمّي يا رسول الله فشيعتنا؟ قال: شيعتنا معنا، وقصورهم بحذاء قصورنا، ومنازلهم مقابل منازلنا؛ قلت: يا رسول الله فما لشيعتنا في الدنيا؟ قال: الأمن والعافية، قلت: فما لهم عند الموت؟ قال: يحكم الرجل في نفسه ويؤمر ملك الموت بطاعته، قلت: فما لذلك حدّ يعرف؟ قال: بلى، إنّ أشدّ شيعتنا لنا حبّاً يكون خروج نفسه كشرب أحدكم في يوم الصيف الماء البارد الّذي ينتقع به القلوب وإنّ سائرهم ليموت كما يغبط أحدكم على فراشه كأقرّ ما كانت عينه بموته[٣].

٣١ - **فر:** أبو القاسم العلويّ معنعناً عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام جعلت فداك يستكره المؤمن على خروج نفسه؟ قال: فقال: لا والله، قال: قلت: وكيف ذاك، قال: إنّ المؤمن إذا حضرته الوفاة حضر رسول الله ﷺ وأهل بيته: أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين وجميع الأئمّة عليهم الصلاة والسلام، - ولكن أكنّوا عن اسم فاطمة - ويحضره جبرئيل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل عليهم السلام، قال: فيقول أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام: يارسول الله إنّه كان ممّن يحبّنا ويتولّانا فأحبّه، قال فيقول رسول الله ﷺ: يا جبرئيل إنّه ممّن كان يحبّ عليّاً وذرّيّته فأحبّه، قال فيقول جبرئيل لميكائيل وإسرافيل عليهما السلام مثل ذلك، ثمّ يقولون جميعاً لملك الموت: إنّه ممّن كان يحبّ

---

(١) - (٢) جامع الأخبار، ص ١٦٧.
(٣) تأويل الآيات الظاهرة ص ٧٥١ سورة المطففين.

محمّداً وآله ويتولّى عليّاً وذرّيّته فارفق به، قال فيقول ملك الموت: والّذي اختاركم وكرّمكم واصطفى محمّداً ﷺ بالنبوّة، وخصّه بالرسالة لأنا أرفق به من والد رفيق، وأشفق عليه من أخ شفيق، ثمَّ قام إليه ملك الموت فيقول: يا عبد الله أخذت فكاك رقبتك؟ أخذت رهان أمانك؟ فيقول: نعم، فيقول الملك: فبماذا؟ فيقول: بحبّي محمّداً وآله، وبولايتي عليّ بن أبي طالب وذرّيّته، فيقول: أمّا ما كنت تحذر فقد آمنك الله منه، وأمّا ما كنت ترجو فقد أتاك الله به، افتح عينيك فانظر إلى ما عندك؛ قال: فيفتح عينيه فينظر إليهم واحداً واحداً، ويفتح له باب إلى الجنّة فينظر إليها، فيقول له: هذا ما أعدّ الله لك، وهؤلاء رفقاؤك، أفتحبّ اللّحاق بهم أو الرجوع إلى الدنيا؟ قال: فقال أبو عبد الله عليه السلام: أما رأيت شخوصه ورفع حاجبيه إلى فوق من قوله: لا حاجة لي إلى الدنيا ولا الرجوع إليها؟ ويناديه مناد من بطنان العرش يسمعه ويسمع من بحضرته: يا أيّتها النفس المطمئنّة إلى محمّد ووصيّه والأئمّة من بعده ارجعي إلى ربّك راضية بالولاية، مرضيّة بالثواب، فادخلي في عبادي مع محمّد وأهل بيته وادخلي جنّتي غير مشوبة[1].

بيان: قوله عليه السلام: ولكن أكنّوا عن اسم فاطمة أي لا تصرّحوا باسمها عليها السلام لئلّا يصير سبباً لإنكار الضعفاء من الناس.

قوله عليه السلام: من قوله: لا حاجة أي رفع حاجبيه إشارة إلى الإباء والامتناع عن الرجوع إلى الدنيا. قوله عليه السلام: غير مشوبة أي حال كون الجنّة غير مشوبة بالمحن والآلام.

٣٢ - **فر:** محمّد بن عيسى بن زكريّا الدهقان، معنعناً عن محمّد بن سليمان الديلميّ، عن أبيه قال: سمع الإفريقيّ يقول: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن المؤمن: أيستكره على قبض روحه؟ قال: لا والله، قلت: وكيف ذاك؟ قال: لأنّه إذا حضره ملك الموت جزع؛ فيقول له ملك الموت: لا تجزع فوالله لأنا أبرّ بك وأشفق من والد رحيم لو حضرك، افتح عينيك وانظر، قال: ويتهلّل له رسول الله وأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب والحسن والحسين والأئمّة من بعدهم والزهراء عليهم الصلاة والسلام، قال: فينظر إليهم فيستبشر بهم، فما رأيت شخوصه؟ قلت: بلى، قال: فإنّما ينظر إليهم قال: قلت: جعلت فداك قد يشخص المؤمن والكافر، قال: ويحك إنّ الكافر يشخص منقلباً إلى خلفه لأنّ ملك الموت إنّما يأتيه ليحمله من خلفه، والمؤمن أمامه، وينادي روحه منادٍ من قبل ربّ العزّة من بطنان العرش فوق الأفق الأعلى ويقول: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾ إلى محمّد وآله - صلوات الله عليهم - ﴿ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾[2]، فيقول ملك الموت: إنّي قد أمرت أن أخيّرك الرجوع إلى الدنيا والمضيّ، فليس شيء أحبّ إليه من إسلال روحه[3].

(١) تفسير فرات الكوفي، ص ٥٥٣. (٢) سورة الفجر، الآيات: ٢٧-٣٠.

(٣) تفسير فرات الكوفي، ص ٥٥٤.

٣٣ - **نهج:** لا ينزجر من الله بزاجر، ولا يتّعظ منه بواعظ، وهو يرى المأخوذين على الغرّة حيث لا إقالة ولا رجعة كيف نزل بهم ما كانوا يجهلون، وجاءهم من فراق الدنيا ما كانوا يأمنون، وقدموا من الآخرة على ما كانوا يوعدون، فغير موصوف ما نزل بهم، اجتمعت عليهم سكرة الموت وحسرة الفوت، ففترت لها أطرافهم، وتغيّرت لها ألوانهم، ثمّ ازداد الموت فيهم ولوجاً فحيل بين أحدهم وبين منطقه، وإنّه لبين أهله ينظر ببصره ويسمع بأذنه على صحّة من عقله وبقاء من لبّه، ويفكر فيم أفنى عمره؟ وفيم أذهب دهره؟ ويتذكّر أموالاً جمعها أغمض في مطالبها، وأخذها من مصرّحاتها ومشتبهاتها، قد لزمته تبعات جمعها، وأشرف على فراقها، تبقى لمن وراءه ينعمون بها فيكون المهنأ لغيره، والعبء على ظهره، والمرء قد غلقت رهونه بها، يعضّ يده ندامةً على ما أصحر له عند الموت من أمره، ويزهد فيما كان يرغب فيه أيّام عمره، ويتمنّى أنّ الّذي كان يغبطه بها ويحسده عليها قد حازها دونه، فلم يزل الموت يبالغ في جسده حتّى خالط سمعه، فصار بين أهله لا ينطق بلسانه ولا يسمع بسمعه، يردّد طرفه بالنظر في وجوههم، يرى حركات ألسنتهم ولا يسمع رجع كلامهم، ثمّ ازداد الموت التياطاً فقبض بصره كما قبض سمعه، وخرجت الروح من جسده فصار جيفة بين أهله، قد أوحشوا من جانبه، وتباعدوا من قربه، لا يسعد باكياً ولا يجيب داعياً، ثمّ حملوه إلى مخطّ من الأرض، وأسلموه فيه إلى عمله، وانقطعوا عن زورته حتّى إذا بلغ الكتاب أجله[1]. إلى آخر ما سيأتي في باب صفة المحشر.

بيان: ما كانوا يجهلون أي من تفصيل أهواله وسكراته أو لعدم استعدادهم له كأنّهم جاهلون؛ والولوج: الدخول؛ والمصرّحات: يحتمل الحلال الصريح والحرام الصريح؛ والعبء بالكسر: الحمل؛ ويقال: غلق الرهن يغلق غلوقاً: إذا بقي في يد المرتهن لا يقدر راهنه على فكّه، على ما أصحر له أي انكشف، وأصله الخروج إلى الصحراء، والضمير في أمره راجع إلى الموت أو المرء؛ ولا يسمع رجع كلامهم أي ما يتراجعونه بينهم من الكلام؛ والالتياط: الالتصاق؛ قد أوحشوا من جانبه أي وجعلوا مستوحشين، والمستوحش: المهموم الفزع.

٣٤ - **كا:** العدّة، عن سهل، عن محمّد بن الفضيل، عن أبي حمزة قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: إنّ آية المؤمن إذا حضره الموت يبيضّ وجهه أشدّ من بياض لونه، ويرشح جبينه، ويسيل من عينيه كهيئة الدموع فيكون ذلك خروج نفسه؛ وإنّ الكافر تخرج نفسه سيلاً من شدقه، كزبد البعير، أو كما تخرج نفس البعير[2].

٣٥ - **كا:** عليّ، عن أبيه، عن محمّد بن عيسى، عن يونس، عن إدريس القمّيّ قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّ الله عزّ وجلّ يأمر ملك الموت فيردّ نفس المؤمن ليهون عليه

---

(١) نهج البلاغة، ص ٢٣٩ خطبة رقم ١٠٨. (٢) الكافي، ج ٣ ص ٧٠ باب ٨٤ ح ١١.

ويخرجها من أحسن وجهها فيقول الناس: لقد شدّد على فلان الموت؛ وذلك تهوين من الله عزّوجلّ عليه. وقال: يصرف عنه إذا كان ممّن سخط الله عليه، أو ممّن أبغض الله أمره أن يجذب الجذبة الّتي بلغتكم بمثل السفّود من الصوف المبلول، فيقول الناس: لقد هوّن على فلان الموت[1].

بيان: قوله عليه السلام: فيردّ نفس المؤمن أي يردّ الروح إلى بدنه بعد قرب النزع مرّةً بعد أخرى لئلاّ يشقّ عليه مفارقة الدنيا دفعةً، والكافر يصرف عنه ذلك؛ وقيل: يرى منزله في الجنّة ثمّ يرد إليه الروح كاملاً ليرضى بالموت ويهون عليه، أو يردّ عليه روحه مرّةً بعد أخرى ليخفّف بذلك سيّئاته ويهون عليه أمر الآخرة، والأوّل أظهر. والسفّود بالتشديد: الحديدة الّتي يشوى بها اللّحم.

٣٦ - **فس:** في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ أي على ولاية أمير المؤمنين عليه السلام ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ قال: عند الموت ﴿أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ قال: كنّا نحرسكم من الشياطين ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾ أي عند الموت ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾ يعني في الجنّة ﴿نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾[2].

٣٧ - **كا:** عليّ، عن عبد الله بن المغيرة، عن السكونيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الميّت إذا حضره الموت أوثقه ملك الموت ولولا ذلك ما استقرّ[3].

٣٨ - **يه:** سئل رسول الله صلّى الله عليه وآله: كيف يتوفّى ملك الموت المؤمن؟ فقال: إنّ ملك الموت ليقف من المؤمن عند موته موقف العبد الذليل من المولى فيقوم هو وأصحابه لا يدنو منه حتّى يبدأ بالتسليم ويبشّره بالجنّة[4].

٣٩ - **لي:** بإسناده عن أبي سعيد الخدريّ قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: من صام من رجب أربعة وعشرين يوماً فإذا نزل به ملك الموت تراءى له في صورة شابّ، عليه حلّة من ديباج أخضر، على فرس من أفراس الجنان، وبيده حرير أخضر ممسك بالمسك الأذفر، وبيده قدح من ذهب مملوءً من شراب الجنان، فسقاه إيّاه عند خروج نفسه يهون عليه سكرات الموت، ثمّ يأخذ روحه في ذلك الحرير فيفوح منها رائحة يستنشقها أهل سبع سماوات فيظلّ في قبره ريّان حتّى يرد حوض النبيّ صلّى الله عليه وآله[5].

---

(١) الكافي، ج ٣ ص ٧١ باب ٨٥ ح ١.
(٢) تفسير القمي، ج ٢ ص ٢٣٧ في تفسيره لسورة فصلت الآيات: ٣٠-٣٢.
(٣) الكافي، ج ٣ ص ١٢٨ باب ١٦٦ ح ٢. (٤) من لا يحضره الفقيه، ص ٥٣ ح ٣٦٥.
(٥) أمالي الصدوق، ص ٤٣٢ مجلس ٨٠ ح ١.

أقول: سيأتي الحديث بإسناده في كتاب الصوم.

٤٠ - **ما:** المفيد، عن الجعابيّ، عن ابن عقدة، عن أحمد بن سلمة، عن إبراهيم بن محمّد، عن الحسن بن حذيفة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: مرض رجل من أصحاب سلمان رحمه الله فافتقده فقال: أين صاحبكم؟ قالوا: مريض، قال: امشوا بنا نعوده، فقاموا معه فلمّا دخلوا على الرجل إذا هو يجود بنفسه؛ فقال سلمان: يا ملك الموت ارفق بوليّ الله، فقال ملك الموت بكلام سمعه من حضر: يا أبا عبد الله إنّي أرفق بالمؤمنين، ولو ظهرت لأحد لظهرت لك[١].

عد: الاعتقاد في الموت قيل لأمير المؤمنين عليه السلام: صف لنا الموت، فقال: على الخبير سقطتم، وساق الحديث إلى آخر ما رويناه من كتاب معاني الأخبار عن كلّ إمام في ذلك[٢].

وقال الشيخ المفيد قدّس الله روحه في شرحه: ترجم الباب بالموت وذكر غيره وقد كان ينبغي أن يذكر حقيقة الموت، أو يترجم الباب بمآل الموت وعاقبة الأموات فالموت هو مضادّ الحياة، يبطل معه النموّ، ويستحيل معه الإحساس، وهو من فعل الله تعالى، ليس لأحد فيه صنع، ولا يقدر عليه أحد إلاّ الله تعالى، قال الله سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْيِۦ وَيُمِيتُ﴾ فأضاف الإحياء والإماتة إلى نفسه، وقال: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ فالحياة ما كان بها النموّ والإحساس، ويصحّ معها القدرة والعلم، والموت ما استحال معه النموّ والإحساس، ولم يصحّ معه القدرة والعلم، وفعل الله تعالى الموت بالأحياء لنقلهم من دار العمل والامتحان إلى دار الجزاء والمكافاة، وليس يميت الله عبداً إلاّ وإماتته أصلح له من بقائه، ولا يحييه إلاّ وحياته أصلح له من موته، وكلّ ما يفعله الله تعالى بخلقه فهو أصلح لهم وأصوب في التدبير، وقد يمتحن الله تعالى كثيراً من خلقه بالآلام الشديدة قبل الموت ويعفي آخرين من ذلك، وقد يكون الألم المتقدّم للموت ضرباً من العقوبة لمن حلّ به، ويكون استصلاحاً له ولغيره، ويعقبه نفعاً عظيماً وعوضاً كثيراً، وليس كلّ من صعب عليه خروج نفسه كان بذلك معاقباً، ولا كلّ من سهل عليه الأمر في ذلك كان به مكرماً مثاباً، وقد ورد الخبر بأنّ الآلام الّتي تتقدّم الموت تكون كفّارات لذنوب المؤمنين، وتكون عقاباً للكافرين، وتكون الراحة قبل الموت استدراجاً للكافرين، وضرباً من ثواب المؤمنين، وهذا أمر مغيّب عن الخلق، لم يظهر الله تعالى أحداً من خلقه على إرادته فيه، تنبيهاً له حتّى يميز له حال الامتحان من حال العقاب، وحال الثواب من حال الاستدراج، تغليظاً للمحنة ليتمّ التدبير الحكميّ في الخلق.

فأمّا ما ذكره أبو جعفر من أحوال الموتى بعد وفاتهم فقد جاءت الآثار به على التفصيل، وقد أورد بعض ما جاء في ذلك إلاّ أنّه ليس ممّا ترجم به الباب في شيء، والموت على كلّ

---

(١) أمالي الطوسي، ص ١٢٨ مجلس ٥ ح ٢٠٢. (٢) اعتقادات الصدوق، ص ٧٧.

حال أحد بشارات المؤمن، إذ كان أوّل طرقه إلى محلّ النعيم، وبه يصل إلى ثواب الأعمال الجميلة في الدنيا، وهو أوّل شدة تلحق الكافر من شدائد العقاب وأوّل طرقه إلى حلول العقاب إذ كان الله تعالى جعل الجزاء على الأعمال بعده، وصيّره سبباً لنقله من دار التكليف إلى دار الجزاء، وحال المؤمن بعد موته أحسن من حاله قبله، وحال الكافر بعد موته أسوأ من حاله قبله، إذ المؤمن صائر إلى جزائه بعد مماته، والكافر صائر إلى جزائه بعد مماته[١].

٤١ - وقد جاء الحديث من آل محمّد عليهم السلام أنّهم قالوا: الدنيا سجن المؤمن، والقبر بيته، والجنّة مأواه؛ والدنيا جنّة الكافر، والقبر سجنه، والنار مأواه[٢].

٤٢ - وروي عنهم عليهم السلام أنّهم قالوا: الخير كلّه بعد الموت، والشرّ كلّه بعد الموت. ولا حاجة بنا مع نصّ القرآن بالعواقب إلى الأخبار، وقد ذكر الله جزاء الصالحين فبيّنه، وذكر عقاب الفاسقين ففصّله، وفي بيان الله وتفصيله غنى عمّا سواه انتهى[٣].

أقول: سيأتي خبر طويل يشتمل على تكلّم سلمان مع الأموات في باب أحواله رضي الله عنه.

٤٣ - **كا:** محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن الحسين بن سعيد، عن النضر بن سويد، عن يحيى الحلبيّ، عن سليمان بن داود، عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام قوله عزّ وجلّ: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ﴾ إلى قوله: ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ فقال إنّها إذا بلغت الحلقوم أري منزله في الجنّة فيقول: ردّوني إلى الدنيا حتّى أخبر أهلي بما أرى، فيقال له: ليس إلى ذلك سبيل[٤].

٤٤ - **كا:** عليّ بن إبراهيم، عن محمّد بن عيسى، عن يونس، عن الهيثم بن واقد، عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وآله على رجل من أصحابه وهو يجود بنفسه فقال: يا ملك الموت ارفق بصاحبي فإنّه مؤمن، فقال: أبشر يا محمّد فإنّي بكلّ مؤمن رفيق، واعلم يا محمّد أنّي أقبض روح ابن آدم فيجزع أهله فأقوم في ناحية من دارهم فأقول: ما هذا الجزع فوالله ما تعجّلناه قبل أجله، وما كان لنا في قبضه من ذنب، فإن تحتسبوه وتصبروا تؤجروا، وإن تجزعوا تأثموا وتوزروا، واعلموا أنّ لنا فيكم عودة ثمّ عودة، فالحذر الحذر! إنّه ليس في شرقها ولا في غربها أهل بيت مدر ولا وبر إلاّ وأنا أتصفّحهم في كلّ يوم خمس مرّات، ولأنا أعلم بصغيرهم وكبيرهم منهم بأنفسهم، ولو أردت قبض روح بعوضة ما قدرت عليها حتّى يأمرني ربّي بها. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّما يتصفّحهم في مواقيت الصلاة، فإن كان ممّن يواظب عليها عند مواقيتها لقّنه شهادة أن لا إله إلاّ الله، وأنّ محمّداً رسول الله، ونحّى عنه ملك الموت إبليس[٥].

---

(١) - (٣) تصحيح الاعتقاد، ص ٧٤.
(٤) الكافي، ج ٣ ص ٧١ باب ٨٤ ح ١٥.
(٥) الكافي، ج ٣ ص ٧١ باب ٨٥ ح ٢.

٤٥ - **كا:** عليّ، عن أبيه، عن ابن محبوب، عن المفضّل بن صالح، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام مثله بأدنى تغيير.

بيان: استدلّ بهذا الخبر على أنّ القابض لأرواح غير الإنسان من الحيوانات أيضاً هو ملك الموت عليه السلام، وفيه نظر.

٤٦ - **كا:** عليّ، عن أبيه، عن النوفليّ، عن السكونيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال، إنّ أمير المؤمنين صلوات الله عليه اشتكى عينه فعاده النبيّ صلى الله عليه وآله فإذا هو يصيح، فقال له النبيّ صلى الله عليه وآله: أجزعاً أم وجعاً؟ فقال: يا رسول الله ما وجعت وجعاً قطّ أشدّ منه! فقال: يا عليّ إنّ ملك الموت إذا نزل لقبض روح الكافر نزل معه سفّود من نار فتنزع روحه به فتصيح جهنّم، فاستوى عليٌّ عليه السلام جالساً فقال: يارسول الله أعد عليّ حديثك فقد أنساني وجعي ما قلت، ثمّ قال: هل يصيب ذلك أحداً من أُمّتك؟ قال: نعم حاكم جائر، وآكل مال اليتيم ظلماً، وشاهد زور[1].

٤٧ - **كا:** عليّ بن محمّد، عن بعض أصحابنا، عن عليّ بن الحكم، عن ربيع بن محمّد، عن عبد الله بن سليم العامريّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ عيسى بن مريم عليه السلام جاء إلى قبر يحيى بن زكريّا عليه السلام وكان سأل ربّه أن يحييه له، فدعاه فأجابه وخرج إليه من القبر، فقال له: ما تريد منّي؟ فقال له: أريد أن تؤنسني كما كنت في الدنيا، فقال له: يا عيسى ما سكنت عنّي حرارة الموت وأنت تريد أن تعيدني إلى الدنيا وتعود عليّ حرارة الموت؛ فتركه فعاد إلى قبره[2].

بيان: لعلّ ذوق حرارة الموت إنّما يكون بعد استمرار التعيّش في الدنيا وعود التعلّقات كما كانت.

٤٨ - **كا:** عليّ، عن أبيه، عن ابن محبوب، عن أبي أيّوب، عن يزيد الكناسيّ عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ فتية من أولاد ملوك بني إسرائيل كانوا متعبّدين، وكانت العبادة في أولاد ملوك بني إسرائيل، وإنّهم خرجوا يسيرون في البلاد ليعتبروا فمرّوا بقبر على ظهر الطريق قد سفى عليه السافي، ليس يتبين منه إلاّ رسمه، فقالوا: لو دعونا الله الساعة فينشر لنا صاحب هذا القبر فساءلناه كيف وجد طعم الموت؟ فدعوا الله، وكان دعاؤهم الّذي دعوا الله به: أنت إلهنا يا ربّنا، ليس لنا إله غيرك، والبديع الدائم، غير الغافل، الحيّ الّذي لا يموت، لك في كلّ يوم شأن، تعلم كلّ شيء بغير تعليم؛ انشر لنا هذا الميّت بقدرتك. قال: فخرج من ذلك القبر رجل أبيض الرأس واللّحية ينفض رأسه من التراب فزعاً، شاخصاً بصره إلى السماء، فقال لهم: ما يوقفكم على قبري؟ فقالوا: دعوناك لنسألك كيف وجدت طعم الموت؟ فقال لهم: لقد سكنت في قبري تسعة وتسعين سنة، ما ذهب عنّي ألم الموت وكربه،

---

(١) الكافي، ج ٣ ص ١٢٩ باب ١٦٦ ح ١٠. (٢) الكافي، ج ٣ ص ١٣٣ باب ١٦٦ ح ٣٧.

ولا خرج مرارة طعم الموت من حلقي، فقالوا له: متَّ يوم متَّ وأنت على ما نرى أبيض الرأس واللّحية؟ قال: لا، ولكن لمّا سمعت الصيحة: (اخرج) اجتمعت تربة عظامي إلى روحي، فبقيت فيه فخرجت فزعاً، شاخصاً بصري، مهطعاً إلى صوت الداعي، فابيضّ لذلك رأسي ولحيتي[1].

توضيح: قال الجزريّ: السافي: الريح الّتي تسفي التراب.

٤٩ - **محص:** عن منصور، عن معاوية، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: قال الله تعالى: ما من عبد أريد أن أدخله الجنّة إلاّ ابتليته في جسده، فإن كان ذلك كفّارة لذنوبه وإلاّ سلّطت عليه سلطاناً، فإن كان ذلك كفّارة لذنوبه وإلاّ ضيّقت عليه في رزقه، فإن كان ذلك كفّارة لذنوبه وإلاّ شدّدت عليه عند الموت حتّى يأتيني ولا ذنب له ثمّ أدخله الجنّة، وما من عبد أريد أن أدخله النّار إلاّ صحّحت له جسمه، فإن كان ذلك تمام طلبته عندي وإلاّ آمنت خوفه من سلطانه فإن كان ذلك تمام طلبته عندي وإلا وسّعت عليه رزقه، فإن كان ذلك تمام طلبته عندي وإلاّ يسّرت عليه عند الموت حتّى يأتيني ولا حسنة له ثمّ أدخله النار[2].

أقول: سيأتي مثله بأسانيد في باب شدّة ابتلاء المؤمن وباب علّة ابتلائه.

٥٠ - **ما:** الغضائريّ، عن عليّ بن محمّد العلويّ، عن الحسن بن عليّ بن صالح الصوفيّ، عن أحمد بن الحسن الحسينيّ، عن الحسن بن عليّ، عن أبيه، عن محمّد بن عليّ ابن موسى، عن أبيه، عن جدّه عليهم السلام قال: قيل للصادق جعفر بن محمّد عليه السلام: صف لنا الموت، قال: للمؤمن كأطيب طيب يشمّه فينعس لطيبه وينقطع التعب والألم عنه؛ والكافر كلسع الأفاعي ولدغ العقارب وأشدّ[3].

٥١ - **ما:** جماعة، عن أبي المفضّل، عن عبد الله بن محمّد بن قيس، عن أبي الحسن الثالث، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الناس اثنان: رجل أراح، ورجل استراح، فأمّا الّذي استراح فالمؤمن استراح من الدنيا ونصبها، وأفضى إلى رحمة الله وكريم ثوابه؛ وأمّا الّذي أراح فالفاجر أراح منه النّاس والشجر والدوابّ وأفضى إلى ما قدّم[4].

٥٢ - **دعوات الراوندي:** روي بأنّ المحتضر يحضره صفّ من الملائكة عن يمينه عليهم ثياب خضر، وصفّ عن يساره عليهم ثياب سود، ينتظر كلّ واحد من الفريقين في قبض روحه، والمريض ينظر إلى هؤلاء مرّة وإلى هؤلاء أخرى، ويبعث الله ملكاً إلى المؤمن

---

(١) الكافي، ج ٣ ص ١٣٣ باب ١٦٦ ح ٣٨. (٢) كتاب التمحيص، ص ٤٠٥ الباب ٢ ح ٣٦.
(٣) أمالي الطوسي، ص ٦٥٢ مجلس ٣٤ ح ١٣٥٢.
(٤) أمالي الطوسي، ص ٥٧١ مجلس ٢٢ ح ١١٨٢.

يبشّره، ويأمر ملك الموت أن يتراءى له في أحسن صورة، فإذا أخذ في قبض روحه وارتقى إلى ركبتيه شفع إلى جبرئيل وقد أمره الله أن ينزل إلى عبده أن يرخّص له في توديع أهله وولده، فيقول له: أنت مخيّر بين أن أمسح عليك جناحي، أو تنظر إلى ميكائيل، فيقول: أين ميكائيل؟ فإذا به وقد نزل في جوق من الملائكة فينظر إليه ويسلّم عليه، فإذا بلغت الروح إلى بطنه وسرّته شفع إلى ميكائيل أن يمهله فيقول له: أنت مخيّر بين أن أمسح عليك جناحي، أو تنظر إلى الجنّة، فيختار النظر إلى الجنّة فيتضاحك، ويأمر الله ملك الموت أن يرفق به، فإذا فارقته روحه تبعاه الملكان اللّذان كانا موكّلين به يبكيان ويترحّمان عليه، ويقولان: رحم الله هذا العبد كم أسمعنا الخير، وكم أشهدنا على الصّالحات، وقالا: يا ربّنا إنّا كنّا موكّلين به وقد نقلته إلى جوارك فما تأمرنا؟ فيقول تعالى: تلزمان قبره وتترحّمان عليه وتستغفران له إلى يوم القيامة، فإذا كان يوم القيامة أتياه بمركب فأركباه ومشيا بين يديه إلى الجنّة وخدماه في الجنّة[1].

٧ - باب ما يعاين المؤمن والكافر عند الموت وحضور الأئمة عليهم السلام عند ذلك وعند الدفن، وعرض الأعمال عليهم صلوات الله عليهم

١ - م: إنّ المؤمن الموالي لمحمّد وآله الطيّبين، والمتّخذ لعليّ بعد محمّد إمامه الّذي يحتذي مثاله، وسيّده الّذي يصدّق أقواله ويصوّب أفعاله ويطيعه بطاعة من يندبه من أطايب ذرّيّته لأمور الدين وسياسته، إذا حضره من أمر الله تعالى ما لا يردّ ونزل به من قضائه ما لا يصدّ، وحضره ملك الموت وأعوانه وجد عند رأسه محمّداً رسول الله، ومن جانب آخر عليّاً سيّد الوصيّين، وعند رجليه من جانب الحسن سبط سيّد النبيّين، ومن جانب آخر الحسين سيّد الشهداء أجمعين، وحواليه بعدهم خيار خواصّهم ومحبّيهم، الّذين هم سادة هذه الأمّة بعد ساداتهم من آل محمّد، ينظر العليل المؤمن إليهم فيخاطبهم - بحيث يحجب الله صوته عن آذان حاضريه كما يحجب رؤيتنا أهل البيت ورؤية خواصّنا عن أعينهم ليكون إيمانهم بذلك أعظم ثواباً لشدّة المحنة عليهم -.

فيقول المؤمن: بأبي أنت وأمّي يا رسول ربّ العزّة، بأبي أنت وأمّي يا وصيّ رسول ربّ الرحمة، بأبي أنتما وأمّي يا شبلي محمّد وضرغاميه، يا ولديه، وسبطيه، يا سيّدي شباب أهل الجنّة المقرّبين من الرحمة والرضوان، مرحباً بكم معاشر خيار أصحاب محمّد وعليّ وولديهما، ما كان أعظم شوقي إليكم! وما أشدّ سروري الآن بلقائكم! يا رسول الله هذا ملك الموت قد حضرني ولا أشكّ في جلالتي في صدره لمكانك ومكان أخيك.

فيقول رسول الله صلى الله عليه وآله: كذلك هو؛ فأقبل[2] رسول الله صلى الله عليه وآله على ملك الموت فيقول: يا ملك الموت استوص بوصيّة الله في الإحسان إلى مولانا وخادمنا ومحبّنا ومؤثرنا، فيقول له

(١) الدعوات للراوندي، ص ٢٨١.

(٢) في المصدر: ثم يقبل... وهو الأوفق.

ملك الموت: يا رسول الله مره أن ينظر إلى ما أعدّ الله له في الجنان، فيقول له رسول الله صلى الله عليه وآله: لينظر إلى العلو فينظر إلى ما لا يحيط به الألباب، ولا يأتي عليه العدد والحساب.

فيقول ملك الموت: كيف لا أرفق بمن ذلك ثوابه، وهذا محمّد وأعزّته زوّاره؟ يا رسول الله لولا أنّ الله جعل الموت عقبة لا يصل إلى تلك الجنان إلاّ من قطعها لما تناولت روحه، ولكن لخادمك ومحبّك هذا أسوة بك وبسائر أنبياء الله ورسله وأوليائه الّذين أذيقوا الموت لحكم الله تعالى.

ثمّ يقول محمّد: يا ملك الموت هاك أخانا قد سلّمناه إليك فاستوص به خيراً، ثمّ يرتفع هو ومن معه إلى روض الجنان وقد كشف من الغطاء والحجاب لعين ذلك المؤمن العليل فيراهم المؤمن هناك بعد ما كانوا حول فراشه فيقول: يا ملك الموت الوحى الوحى، تناول روحي ولا تلبثني ههنا، فلا صبر لي عن محمّد وأعزّته، وألحقني بهم، فعند ذلك يتناول ملك الموت روحه فيسلّها كما يسلّ الشعرة من الدقيق، وإن كنتم ترون أنّه في شدّة فليس هو في شدة بل هو في رخاء ولذّة، فإذا أُدخل قبره وجد جماعتنا هناك.

وإذا جاءه منكر ونكير قال أحدهما للآخر: هذا محمّد وعليّ والحسن والحسين وخيار صحابتهم بحضرة صاحبنا فلنتّضع لهما فيأتيان فيسلّمان على محمّد سلاماً مفرداً، ثمّ يسلّمان على عليّ سلاماً مفرداً، ثمّ يسلّمان على الحسنين سلاماً يجمعانهما فيه، ثمّ يسلّمان على سائر من معنا من أصحابنا، ثمّ يقولون: قد علمنا يا رسول الله زيارتك في خاصّتك لخادمك ومولاك، ولولا أنّ الله يريد إظهار فضله لمن بهذه الحضرة من الملائكه ومن يسمعنا من ملائكته بعدهم لما سألناه، ولكن أمر الله لا بدّ من امتثاله، ثمّ يسألانه فيقولان: من ربّك؟ وما دينك؟ ومن نبيّك؟ ومن إمامك؟ وما قبلتك؟ ومن شيعتك؟ ومن إخوانك؟

فيقول: الله ربّي، ومحمّدٌ نبيّي، وعليٌّ وصيُّ محمّد إمامي، والكعبة قبلتي، والمؤمنون الموالون لمحمّد وعليّ وآلهما وأوليائهما المعادون لأعدائهما إخواني، أشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّداً عبده ورسوله، وأنّ أخاه عليّاً وليّ الله، وأنّ من نصبهم للإمامة من أطايب عترته وخيار ذرّيّته خلفاء الأُمّة وولاة الحقّ والقوّامون بالصدق؛ فيقولان: على هذا حييت، وعلى هذا متَّ، وعلى هذا تبعث إن شاء الله تعالى، وتكون مع من تتولّاه في دار كرامة الله ومستقرّ رحمته.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: وإن كان لأوليائنا معادياً ولأعدائنا موالياً ولأضدادنا بألقابنا ملقّباً فإذا جاءه ملك الموت لنزع روحه مثّل الله عزّ وجلّ لذلك الفاجر سادته الّذين اتّخذهم أرباباً من دون الله، عليهم من أنواع العذاب ما يكاد نظره إليهم يهلكه ولا يزال يصل إليه من حرّ عذابهم ما لا طاقة له به، فيقول له ملك الموت: يا أيّها الفاجر الكافر تركت أولياء الله إلى أعدائه، فاليوم لا يغنون عنك شيئاً، ولا تجد إلى مناص سبيلاً، فيرد عليه من العذاب ما لو قسّم أدناه

على أهل الدنيا لأهلكهم، ثمّ إذا دلّي في قبره رأى باباً من الجنّة مفتوحاً إلى قبره يرى منه خيراتها؛ فيقول له منكر ونكير: انظر إلى ما حرمت من تلك الخيرات، ثمّ يفتح له في قبره باب من النار يدخل عليه منه من عذابها فيقول: يا ربّ لا تقم الساعة يا ربّ لا تقم الساعة[(١)].

بيان: الضرغام بالكسر الأسد.

٢ - م: قوله عزّوجلّ: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُوا رَبِّهِمْ﴾[(٢)] الّذين يقدّرون أنّهم يلقون ربّهم اللّقاء الّذي هو أعظم كراماته، وإنّما قال: يظنّون لأنّهم لا يرون بماذا يختم لهم، والعاقبة مستورة عنهم ﴿وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ إلى كراماته، ونعيم جنانه، لإيمانهم وخشوعهم، لا يعلمون ذلك يقيناً لأنّهم لا يأمنون أن يغيّروا ويبدّلوا؛ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا يزال المؤمن خائفاً من سوء العاقبة، لا يتيقّن الوصول إلى رضوان الله حتّى يكون وقت نزع روحه وظهور ملك الموت له.

وذلك أنّ ملك الموت يرد على المؤمن وهو في شدّة علّة[(٣)]، وعظيم ضيق صدره، بما يخلّف من أمواله، ولما هو عليه من اضطراب أحواله في معامليه وعياله، وقد بقيت في نفسه مرارتها وحسراتها، واقتطع دون أمانيّه فلم ينلها، فيقول له ملك الموت: ما لك تجرع غصصك؟ قال: لاضطراب أحوالي واقتطاعك لي دون آمالي، فيقول له ملك الموت: وهل يحزن عاقل من فقد درهم زائف واعتياض ألف ألف ضعف الدنيا؟ فيقول: لا، فيقول ملك الموت: فانظر فوقك، فينظر فيرى درجات الجنّة وقصورها الّتي يقصر دونها الأمانيّ، فيقول ملك الموت: تلك منازلك ونعمك وأموالك وأهلك وعيالك، ومن كان من أهلك ههنا وذرّيّتك صالحاً فهم هناك معك، أفترضى به بدلاً ممّا هناك؟ فيقول: بلى والله.

ثمّ يقول: انظر فينظر فيرى محمّداً وعليّاً والطيّبين من آلهما في أعلا علّيّين، فيقول: أوتراهم؟ هؤلاء ساداتك وأئمّتك، هم هناك جلّاسك وأُناسك، أفما ترضى بهم بدلاً ممّن تفارق ههنا؟ فيقول: بلى وربّي، فذلك ما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾[(٤)] فما أمامكم من الأهوال كفيتموها، ولا تحزنوا على ما تخلفونه من الذراريّ والعيال، فهذا الّذي شاهدتموه في الجنان بدلاً منهم، وأبشروا بالجنّة الّتي كنتم توعدون هذه منازلكم وهؤلاء ساداتكم أُناسكم وجلاسكم[(٥)].

---

(١) تفسير الإمام العسكري عليه السلام، ص ٢٢١ ح ٩٨. الروايات الواردة عن طريق العامة في حضور الرسول صلى الله عليه وآله وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام عند المحتضر، فإن كان محباً لهم يرفق به. في إحقاق الحق ج ٩ ص ٤٥٩ [النمازي].

(٢) سورة البقرة، الآية: ٤٦.

(٣) في المصدر: علّته.

(٤) سورة فصلت، الآية: ٣٠.

(٥) تفسير الإمام العسكري عليه السلام، ص ٢٣٨ ح ١١٦-١١٧.

٣ - ين: القاسم، عن كليب الأسديّ قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلني الله فداك، بلغنا عنك حديث، قال: وما هو؟ قلت: قولك: إنّما يغتبط صاحب هذا الأمر إذا كان في هذه - وأومأت بيدك إلى حلقك - فقال: نعم، إنّما يغتبط أهل هذا الأمر إذا بلغت هذه - وأومأ بيده إلى حلقه - أمّا ما كان يتخوّف من الدنيا فقد ولّى عنه وأمامه رسول الله صلى الله عليه وآله وعليّ والحسن والحسين، صلوات الله عليهم[1].

٤ - ين: النضر، عن يحيى الحلبيّ، عن أيّوب قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّ أشدّ ما يكون عدوّكم كراهيةً لهذا الأمر حين تبلغ نفسه هذه - وأومأ بيده إلى حنجرته - ثمّ قال: إنّ رجلاً من آل عثمان كان سبّابة لعليّ عليه السلام فحدّثتني مولاةٌ له كانت تأتينا قالت: لمّا احتضر قال: مالي ولهم؟ قلت: جعلني الله فداك ما له قال هذا؟ فقال: لما أُري من العذاب، أما سمعت قول الله تبارك وتعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[2]؟ هيهات هيهات! لا والله حتّى يكون ثبات الشيء في القلب وإن صلّى وصام[3].

٥ - شي: عن عبد الرحيم قال: قال أبو جعفر عليه السلام: إنّما أحدكم حين يبلغ نفسه ههنا ينزل عليه ملك الموت فيقول: أمّا ما كنت ترجو فقد أعطيته، وأمّا ما كنت تخافه فقد أمنت منه، ويفتح له باب إلى منزله من الجنّة، ويقال له: انظر إلى مسكنك في الجنّة، وانظر هذا رسول الله وعليّ والحسن والحسين عليهم السلام رفقاؤك، وهو قول الله: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾[4].

٦ - شي: عن أبي حمزة الثماليّ قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: ما يصنع بأحدنا عند الموت؟ قال: أما والله يا أبا حمزة ما بين أحدكم وبين أن يرى مكانه من الله ومكانه منّا إلا أن يبلغ نفسه ههنا - ثمّ أهوى بيده إلى نحره - ألا أبشّرك يا أبا حمزة؟ فقلت: بلى جعلت فداك، فقال: إذا كان ذلك أتاه رسول الله صلى الله عليه وآله وعليّ عليه السلام معه، يقعد عند رأسه، فقال له - إذا كان ذلك - رسول الله صلى الله عليه وآله: أما تعرفني؟ أنا رسول الله هلمّ إلينا، فما أمامك خير لك ممّا خلّفت، أمّا ما كنت تخاف فقد أمنته، وأمّا ما كنت ترجو فقد هجمت عليه، أيّتها الروح اخرجي إلى روح الله ورضوانه؛ ويقول له عليّ عليه السلام مثل قول رسول الله صلى الله عليه وآله. ثمّ قال: يا أبا حمزة، ألا أخبرك بذلك من كتاب الله؟ قول الله: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ الآية[5].

٧ - جا: عليّ بن محمّد بن الزبير، عن محمّد بن عليّ بن مهديّ، عن محمّد بن عليّ بن عمرو عن أبيه، عن جميل بن صالح، عن أبي خالد الكابليّ، عن الأصبغ بن نباتة قال: دخل

---

(١) الزهد، ص ١٥٧ باب ١٥ ح ٨.
(٢) سورة النساء، الآية: ٦٥.
(٣) الزهد، ص ١٥٧ باب ١٥ ح ٩.
(٤) تفسير العياشي، ج ٢ ص ١٣٣ ح ٣٢.
(٥) تفسير العياشي، ج ٢ ص ١٣٤ ح ٣٤.

الحارث الهمدانيّ على أمير المؤمنين عليّ عليه السلام في نفر من الشيعة وكنت فيهم، فجعل الحارث يتّئد في مشيته ويخبط الأرض بمحجنه وكان مريضاً، فأقبل عليه أمير المؤمنين عليه السلام - وكانت له منه منزلة - فقال: كيف تجدك يا حارث؟ فقال: نال الدهر يا أمير المؤمنين منّي، وزادني أوباً غليلاً اختصام أصحابك ببابك، قال: وفيم خصومتهم؟ قال: فيك وفي الثلاثة من قبلك، فمن مفرط منهم غال، ومقتصد تال، ومن متردّد مرتاب، لا يدري أيقدم أم يحجم؟! فقال: حسبك يا أخا همدان، ألا إنّ خير شيعتي النمط الأوسط، إليهم يرجع الغالي، وبهم يلحق التالي، فقال له الحارث: لو كشفت - فداك أبي وأمّي - الرين عن قلوبنا وجعلتنا في ذلك على بصيرة من أمرنا، قال: قدك فإنّك امرؤ ملبوس عليك، إنّ دين الله لا يعرف بالرجال بل بآية الحقّ؛ فاعرف الحقّ تعرف أهله.

يا حارث إنّ الحقّ أحسن الحديث والصادع به مجاهد، وبالحقّ أخبرك فارعني سمعك، ثمّ خبّر به من كانت له حصانة من أصحابك، ألا إنّي عبد الله، وأخو رسوله، وصدّيقه الأوّل قد صدّقته وآدم بين الروح والجسد، ثمّ إنّي صدّيقه الأوّل في أمّتكم حقّاً فنحن الأوّلون، ونحن الآخرون، ونحن خاصّته يا حارث وخالصته وأنا صفوه ووصيّه ووليّه، وصاحب نجواه وسرّه، أوتيت فهم الكتاب، وفصل الخطاب وعلم القرون والأسباب، واستودعت ألف مفتاح يفتح كلّ مفتاح ألف باب، يفضي كلّ باب إلى ألف عهد، وأيّدت واتخذت وأمددت بليلة القدر نفلاً، وإنّ ذلك ليجري لي ولمن استحفظ من ذرّيّتي ما جرى اللّيل والنهار حتّى يرث الله الأرض ومن عليها؛ وأبشرك يا حارث لتعرفني عند الممات، وعند الصراط، وعند الحوض، وعند المقاسمة.

قال الحارث، وما المقاسمة؟ قال: مقاسمة النار أقاسمها قسمة صحيحة، أقول: هذا وليّي فاتركيه، وهذا عدوّي فخذيه. ثمّ أخذ أمير المؤمنين عليه السلام بيد الحارث فقال: يا حارث أخذت بيدك كما أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله بيدي، فقال لي - وقد شكوت إليه حسد قريش والمنافقين لي -: إنّه إذا كان يوم القيامة أخذت بحبل الله وبحجزته - يعني عصمته - من ذي العرش تعالى، وأخذت أنت يا عليّ بحجزتي، وأخذ ذرّيّتك بحجزتك وأخذ شيعتكم بحجزكم؛ فماذا يصنع الله بنبيّه؟ وما يصنع نبيّه بوصيّه؟ خذها إليك يا حارث قصيرة من طويلة، أنت مع من أحببت ولك ما اكتسبت - يقولها ثلاثاً - فقام الحارث يجرّ رداءه ويقول: ما أبالي بعدها متى لقيت الموت أو لقيني. قال جميل بن صالح: وأنشدني أبو هاشم السيّد الحميريّ رحمه الله فيما تضمّنه هذا الخبر:

قول عليّ لحارث عجب ... كم ثمّ أعجوبة له حملا
يا حار همدان من يمت يرني ... من مؤمن أو منافق قبلا
يعرفني طرفه وأعرفه ... بنعته واسمه وما عملا
وأنت عند الصراط تعرفني ... فلا تخف عثرة ولا زللا

أسقيك من بارد على ظمأ تخاله في الحلاوة العسلا
أقول للنار حين توقف للعرض دعيه لا تقتلي الرجلا
دعيه لا تقربيه إنّ له حبلاً بحبل الوصيّ متصلا[١]

ما: جماعة، عن أبي المفضّل، عن محمّد بن عليّ بن مهديّ، وغيره، عن محمّد بن عليّ ابن عمرو مثله[٢].

بيان: يتّئد أي يتثبّت ويتأنّى، من التؤدة؛ وفي «ما» يتأوّد أي يتعوّج. وخبطه: ضربه شديداً. والمحجن كمنبر: العصا المعوجة. وأوب كفرح: غضب؛ وفي «ما» أواراً وغليلاً، والأوار بالضم: حرارة الشمس، وحرارة العطش؛ والغليل: الحقد والضغن، وحرارة الحبّ والحزن؛ وأحجم عنه: كفّ أو نكص هيبةً؛ وقد إذا كانت اسميّة تكون على وجهين: اسم فعل مرادفة ليكفي، نحو قولهم: قدني درهم، واسم مرادف لحسب؛ ذكره الفيروزآباديّ، وقال: أرعني سمعك وراعني: استمع لمقالي.

قوله عليه السلام: نفلاً أي زائداً على ما أعطيت من الفضائل والكرائم. قوله عليه السلام: قبلاً أي مقابلةً وعياناً. وقوله عليه السلام: تخاله أي تظنّه.

٨ - **فس:** أبي، عن ابن أبي عمير، عن ابن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما يموت موال لنا مبغض لأعدائنا إلاّ ويحضره رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين والحسن والحسين صلوات الله عليهم فيرونه ويبشرونه، وإن كان غير موال لنا يراهم بحيث يسؤوه والدليل على ذلك قول أمير المؤمنين عليه السلام لحارث الهمدانيّ:

يا حار همدان من يمت يرني من مؤمن أو منافق قبلا[٣]

٩ - **ما:** المفيد، عن المراغيّ، عن محمّد بن صالح السبيعيّ، عن صالح بن أحمد، عن عيسى بن عبد الرحمن، عن الحسن بن الحسين العرنيّ، عن يحيى بن عليّ، عن أبان بن تغلب، عن أبي داود الأنصاريّ، عن الحارث الهمدانيّ قال: دخلت على أمير المؤمنين عليّ ابن أبي طالب عليه السلام فقال: ما جاء بك؟ فقلت: حبّي لك يا أمير المؤمنين، فقال: يا حارث أتحبّني؟ قلت: نعم والله يا أمير المؤمنين، قال: أما لو بلغت نفسك الحلقوم رأيتني حيث تحبّ، ولو رأيتني وأنا أذود الرجال عن الحوض ذود غريبة الإبل لرأيتني حيث تحبُّ، ولو رأيتني وأنا مارٌّ على الصراط بلواء الحمد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله لرأيتني حيث تحبّ[٤].

ما: المفيد، عن المرزبانيّ، عن عبد الله بن الحسن، عن محمّد بن رشيد، قال: آخر شعر

(١) أمالي المفيد، ص ٣ مجلس ١ ح ٣.
(٢) أمالي الطوسي، ص ٦٢٥ مجلس ٣٠ ح ١٢٩٢. (٣) تفسير القمي، ج ٢ ص ٢٢٧.
(٤) أمالي الطوسي، ص ٤٨ مجلس ٢ ح ٦١.

قاله السيّد بن محمّد رَحِمَهُ اللهُ قبل وفاته بساعة، وذلك أنّه أغمي عليه واسودّ لونه ثمّ أفاق وقد ابيضّ وجهه وهو يقول:

أُحب الّذي من مات من أهل ودّه ... تلقّاه بالبشرى لدى الموت يضحك
ومن مات يهوى غيره من عدوّه ... فليس له إلاّ إلى النار مسلك
أبا حسن! تفديك نفسي وأسرتي ... ومالي وما أصبحت في الأرض أملك
أبا حسن! إنّي بفضلك عارف ... وإنّي بحبل من هواك لممسك
وأنت وصيّ المصطفى وابن عمّه ... وإنّا نعادي مبغضيك ونترك
مُواليك ناج، مؤمن، بيّن الهدى ... وغاليك معروف الضلالة، مشرك
ولاح لحاني في عليّ وحزبه ... فقلت لحاك الله إنّك أعفك

ومعنى أعفك أحمق[1].

توضيح: لحا الله فلاناً: قبّحه ولعنه؛ ولحيت الرجل ألحاه لحياً: لمته، والملاحاة: المنازعة.

١٠ - **ع:** أبي، عن سعد، عن إبراهيم بن مهزيار، عن أخيه عليّ، عن فضالة، عن معاوية ابن وهب، عن يحيى بن سابور قال: سمعت أبا عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول في الميّت تدمع عينه عند الموت فقال: ذلك عند معاينة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يرى ما يسرّه، قال: ثمّ قال: أما ترى الرجل إذا يرى ما يسّره فتدمع عينه ويضحك[2]؟.

كا: محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد عن عليّ بن الحكم عن معاوية بن وهب مثله[3].

ين: فضالة مثله[4].

مع: ابن الوليد، عن الصفّار، عن ابن معروف، عن عليّ بن مهزيار، عن فضالة مثله[5].

١١ - **فس:** ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (٢٨)﴾ قال: إذا حضر المؤمن الوفاة نادى منادٍ من عند الله يا أيّتها النفس المطمئنة ارجعي راضية بولاء عليّ مرضيّة بالثواب، فادخلي في عبادي وادخلي جنّتي؛ فلا يكون له همّة إلاّ اللّحوق بالنداء[6].

١٢ - **ل:** الأربعمائة قال أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: تمسّكوا بما أمركم الله به، فما بين أحدكم وبين أن يغتبط ويرى ما يحبّ إلاّ أن يحضره رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وما عند الله خير وأبقى؛ وتأتيه البشارة من الله عَزَّ وَجَلَّ فتقرّ عينه ويحبّ لقاء الله[7].

---

(١) أمالي الطوسي، ص ٤٩ مجلس ٢ ح ٦٣.
(٢) علل الشرائع، ج ١ ص ٣٥٦ باب ٢٥٣ ح ١.
(٣) الكافي، ج ٣ ص ٧٠ باب ٨٤ ح ٦.
(٤) الزهد، ص ١٥٥ باب ١٥ ح ٣.
(٥) معاني الأخبار، ص ٢٣٦.
(٦) تفسير القمي، ج ٢ ص ٤١٨.
(٧) الخصال، باب الأربعمائة ح ١٠.

١٣ - ير، أحمد بن الحسين، عن أبيه، عن عبد الكريم بن يحيى الخثعميّ، عن بريد بن معاوية العجليّ قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: ﴿اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾[1] فقال: ما من مؤمن يموت ولا كافر فيوضع في قبره حتّى يعرض عمله على رسول الله صلى الله عليه وآله وعلى عليّ عليه السلام فهلمّ جرّاً إلى آخر من فرض الله طاعته على العباد[2].

١٤ - سن، أبي، عن حمزة بن عبد الله، عن جميل بن درّاج، عن كليب بن معاوية الأسديّ قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: ما بين من وصف هذا الأمر وبين أن يغتبط ويرى ما تقرّ به عينه إلاّ أن تبلغ نفسه هذه، فيقال: أمّا ما كنت ترجو فقد قدمت عليه، وأمّا ما كنت تتخوّف فقد أمنت منه، وإنّ إمامك لإمام صدق أقدم على رسول الله صلى الله عليه وآله وعليّ والحسن والحسين عليهم السلام[3].

١٥ - سن، ابن فضّال، عن عليّ بن عقبة، عن عبد الله بن الوليد النخعيّ قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: أشهد على أبي عليه السلام أنّه كان يقول: ما بين أحدكم وبين أن يغتبط ويرى ما تقرّ به عينه إلاّ أن تبلغ نفسه هذه - وأومأ بيده إلى حلقه - وقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾[4] فنحن والله ذرّيّة رسول الله صلى الله عليه وآله[5].

١٦ - سن، أبي، عن النضر، عن يحيى الحلبيّ، عن شجرة أخي بشير النبّال قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: ما بين أحدكم وبين أن يعاين ما تقرّ به عينه إلاّ أن تبلغ نفسه هذه - وأومأ بيده إلى حلقه[6] -.

١٧ - سن، ابن فضّال، عن حمّاد بن عثمان، عن عبد الحميد بن عواض قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إذا بلغت نفس أحدكم هذه قيل له: أمّا ما كنت تحزن من همّ الدنيا وحزنها فقد أمنت منه، ويقال له: أمامك رسول الله وعليّ وفاطمة عليهم السلام[7].

سن، ابن فضّال، عن أبي جميلة، عن أبي بكر الحضرميّ، عن أبي عبد الله عليه السلام مثله، وزاد فيه الحسن والحسين عليهما السلام[8].

١٨ - سن، أبي، عن النضر بن سويد، عن يحيى الحلبيّ، عن عبد الحميد الطائيّ قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إنّ أشدّ ما يكون عدوّكم كراهة لهذا الأمر إذا بلغت نفسه هذه - وأشار بيده إلى حلقه - وأشدّ ما يكون أحدكم اغتباطاً بهذا الأمر إذا بلغت نفسه هذه - وأومأ بيده إلى حلقه - فينقطع عنه أهوال الدنيا وما كان يحاذر منها ويقال: أمامك رسول الله وعليّ وفاطمة، ثمّ قال: أمّا فاطمة فلا تذكرها[9].

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١٠٥.
(٢) بصائر الدرجات، ص ٣٩٧ ج ٩ باب ٥ ح ٨.
(٣) المحاسن، ص ١٧٤.
(٤) سورة الرعد، الآية: ٣٨.
(٥) - (٩) المحاسن، ص ١٧٥.

ين: النضر مثله، وفي آخره: ويقال له: أمامك رسول الله ﷺ وعليّ والأئمة[1].

١٩ - سن: ابن فضّال، عن محمّد بن فضيل، عن ابن أبي يعفور قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: قد استحييت مما أردّد هذا الكلام عليكم: ما بين أحدكم وبين أن يغتبط إلاّ أن تبلغ نفسه هذه - وأهوى بيده إلى حنجرته - يأتيه رسول الله ﷺ وعليّ عليه السلام فيقولان له: أمّا ما كنت تخاف فقد آمنك الله منه، وأمّا ما كنت ترجو فأمامك[2].

٢٠ - سن: ابن فضّال، عن عليّ بن عقبة، عن أبيه قال: دخلنا على أبي عبد الله عليه السلام أنا والمعلّى بن خنيس فقال: يا عقبة لا يقبل الله من العباد يوم القيامة إلاّ هذا الّذي أنتم عليه؛ وما بين أحدكم وبين أن يرى ما تقرّ به عينه إلاّ أن تبلغ نفسه هذا - وأومأ بيده إلى الوريد - قال: ثمّ اتكأ وغمز إليّ المعلّى أن سله فقلت: يابن رسول الله إذا بلغت نفسه هذه فأيّ شيء يرى؟ - فردّد عليه بضعة عشر مرّة أيّ شيء يرى؟ - فقال في كلّها: يرى؛ لا يزيد عليها، ثمّ جلس في آخرها فقال: يا عقبة قلت: لبّيك وسعديك، فقال: أبيت إلاّ أن تعلم؟ فقلت: نعم يابن رسول الله، إنّما ديني مع دمي فإذا ذهب دمي كان ذلك، وكيف بك يا بن رسول الله كلّ ساعة؟ وبكيت، فرقّ لي فقال: يراهما والله، قلت: بأبي أنت وأمّي من هما؟ فقال: ذاك رسول الله ﷺ وعليّ عليه السلام، يا عقبة لن تموت نفس مؤمنة أبداً حتّى تراهما، قلت: فإذا نظر إليهما المؤمن أيرجع إلى الدنيا؟ قال: لا بل يمضي أمامه، فقلت له: يقولان شيئاً جعلت فداك؟ فقال: نعم يدخلان جميعاً على المؤمن فيجلس رسول الله ﷺ عند رأسه، وعليّ عند رجليه، فيكبّ عليه رسول الله ﷺ فيقول: يا وليّ الله أبشر أنا رسول الله، إنّي خير لك ممّا تترك من الدنيا؛ ثمّ ينهض رسول الله فيقوم عليه عليّ صلوات الله عليهما حتّى يكبّ عليه فيقول: يا وليّ الله أبشر أنا عليّ بن أبي طالب الّذي كنت تحبّني أما لأنفعك، ثمّ قال أبو عبد الله عليه السلام: أما إنّ هذا في كتاب الله عزّ وجلّ، قلت: أين هذا جعلت فداك من كتاب الله؟ قال: في سورة يونس قول الله تبارك وتعالى ههنا: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾[3].

شي: عن عقبة بن خالد مثله[4].

بيان: إنّما ديني مع دمي المراد بالدم الحياة أي لا أترك طلب الدين ما دمت حيّاً، فإذا ذهب دمي أي متُّ كان ذلك أي ترك الطلب؛ أو المعنى: أنّه إنّما يمكنني تحصيل الدين ما دمت حيّاً، فقوله: فإذا ذهب دمي استفهام إنكاريّ أي بعد الموت كيف يمكنني طلب الدين؟ وفي «شي»: فإذا ذهب ديني كان ذلك، فالمعنى: إنّ ديني مقرون بحياتي فمع عدم الدين

---

(١) الزهد، ص ١٥٧ باب ١٥ ح ٦. (٢) المحاسن، ص ١٧٥-١٧٦.

(٣) المحاسن، ص ١٧٥-١٧٦ والآيتان من سورة يونس: ٦٣-٦٤.

(٤) تفسير العياشي، ج ٢ ص ١٣٣ ح ٣٣ من سورة يونس.

فكأنّي لست بحيّ، فقوله: كان ذلك أي كان الموت. وفي «الكافي»: إنّما ديني مع دينك فإذا ذهب ديني كان ذلك. أي إنّ ديني إنّما يستقيم إذا كان موافقاً لدينك فإذا ذهب ديني لعدم علمي بما تعتقده كان ذلك أي الخسران والهلاك والعذاب الأبديّ، أشار إليه مبهماً لتفخيمه؛ وأمّا استشهاده عليه السلام بالآية فالظاهر أنّه فسّر البشرى في الحياة الدنيا بما يكون عند الموت، ويحتمل أن يكون عليه السلام فسّر البشرى في الآخرة بذلك لأنّ تلك الحالة من مقدّمات النشأة الآخرة، فالبشرى في الحياة الدنيا بالمنامات الحسنة كما ورد في أخبار أخر، أو بما بشّر الله في كتبه وعلى لسان أنبيائه، والأوّل أظهر.

٢١ - **سن:** محمّد بن عليّ، عن محمّد بن أسلم، عن الخطّاب الكوفيّ، ومصعب الكوفيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال لسدير: والّذي بعث محمّداً بالنبوّة وعجل روحه إلى الجنّة ما بين أحدكم وبين أن يغتبط ويرى سروراً أو تبيّن له الندامة والحسرة إلاّ أن يعاين ما قال الله عزّ وجلّ في كتابه: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ وأتاه ملك الموت بقبض روحه فينادي روحه فتخرج من جسده، فأمّا المؤمن فما يحسُّ بخروجها، وذلك قول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾ ثمّ قال: ذلك لمن كان ورعاً مواسياً لإخوانه، وصولاً لهم، وإن كان غير ورع ولا وصول لإخوانه قيل له: ما منعك من الورع والمواساة لإخوانك؟ أنت ممّن انتحل المحبّة بلسانه ولم يصدّق ذلك بفعل وإذا لقي رسول الله صلّى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام لقاهما معرضين، مقطبين في وجهه، غير شافعين له؛ قال سدير: من جدع الله أنفه؛ قال أبو عبد الله عليه السلام: فهو ذاك[1].

بيان: جدع الأنف أي قطعه، كناية عن المذلّة، أي من أذلّه الله يكون كذلك، ويحتمل أن يكون «من» استفهاماً، أي من يكون كذلك؟ فقوله: جدع الله أنفه جملة دعائيّة فأجاب عليه السلام بأنّه هو الّذي ذكرت لك سابقاً.

٢٢ - **سن:** ابن محبوب، عن العلاء، عن محمّد قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: اتّقوا الله واستعينوا على ما أنتم عليه بالورع والاجتهاد في طاعة الله، فإنّ أشدّ ما يكون أحدكم اغتباطاً بما هو عليه لو قد صار في حدّ الآخرة وانقطعت الدنيا عنه؛ فإذا كان في ذلك الحدّ عرف أنّه قد استقبل النعيم والكرامة من الله، والبشرى بالجنّة، وأمن ممّن كان يخاف، وأيقن أنّ الّذي كان عليه هو الحقّ، وأنّ من خالف دينه على باطل هالكٌ[2].

٢٣ - **سن:** أبي، عن النضر، عن يحيى، عن قتيبة الأعشى، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أما إنّ أحوج ما تكونون فيه إلى حبّنا حين تبلغ نفس أحدكم هذه - وأومأ بيده إلى نحره - ثمّ قال: لا بل إلى ههنا - وأهوى بيده إلى حنجرته - فيأتيه البشير فيقول: أمّا ما كنت تخافه فقد أمنت منه[3].

---

(١) - (٣) المحاسن، ص ١٧٧-١٧٨.

٢٤ - سن: بالإسناد عن يحيى الحلبيّ، عن بشير الكناسيّ قال: دخلنا على أبي عبد الله عليه السلام فقال: حدّث أصحابكم أنّ أبي كان يقول: ما بين أحدكم وبين أن يغتبط إلا أن تبلغ نفسه هذه - وأومأ بيده إلى حلقه[١].

٢٥ - صح: عن الرضا، عن آبائه عليهم السلام قال: قال عليّ بن أبي طالب عليه السلام: من أحبّني وجدني عند مماته بحيث يحبّ، ومن أبغضني وجدني عند مماته بحيث يكره[٢].

٢٦ - شي: محمّد، عن يونس، عن بعض أصحابنا، قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام: «كل نفس ذائقة الموت ومبشورة» كذا نزل بها على محمّد صلى الله عليه وآله، إنّه ليس أحد من هذه الأمّة إلاّ يستبشرون، فأمّا المؤمنون فيبشّرون إلى قرّة عين، وأمّا الفجّار فيبشّرون إلى خزي الله إيّاهم[٣].

٢٧ - شي: عن الحارث بن المغيرة، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ قال: هو رسول الله صلى الله عليه وآله[٤].

٢٨ - شي: عن ابن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله في عيسى عليه السلام: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ فقال: إيمان أهل الكتاب إنّما هو لمحمّد صلى الله عليه وآله[٥].

٢٩ - شي: عن المشرقيّ، عن غير واحد في قوله: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ يعني بذلك محمّداً صلى الله عليه وآله، إنّه لا يموت يهوديّ ولا نصرانيّ أبداً حتّى يعرف أنّه رسول الله صلى الله عليه وآله، وأنّه قد كان به كافراً[٦].

٣٠ - شي: عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ قال: ليس من أحد من جميع الأديان يموت إلاّ رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين حقّاً من الأوّلين والآخرين[٧].

٣١ - شي: عن صفوان بن مهران، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الشيطان ليأتي الرجل من أوليائنا عند موته، يأتيه عن يمينه وعن يساره ليصدّه عمّا هو عليه فيأبى الله له ذلك، وكذلك قال الله: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾[٨].

٣٢ - ين: صفوان، عن ابن مسكان، عن أبي عمرو البزّاز قال: كنّا عند أبي جعفر عليه السلام جلوساً فقام فدخل البيت وخرج فأخذ بعضادتي الباب فسلّم فرددنا عليه السلام، ثمّ قال: والله إنّي لأحبّ ريحكم وأرواحكم، وإنّكم لعلى دين الله ودين ملائكته، وما بين أحدكم وبين

(١) المحاسن، ص ١٧٧-١٧٨. (٢) صحيفة الإمام الرضا عليه السلام ص ٥٧ ح ٤٥.
(٣) - (٧) تفسير العياشي، ج ١ ص ٣٠٩-٣١٠ ح ٢٩٨ إلى ٣٠٢ من سورة النساء.
(٨) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٢٤٢ ح ١٦ من سورة ابراهيم.

أن يرى ما تقرّ به عينه إلاّ أن تبلغ نفسه ههنا - وأومأ بيده إلى حنجرته - وقال: فاتّقوا الله وأعينوا على ذلك بورع[١].

٣٣ - م: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾﴾[٢] قال الإمام عليه السلام: قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بالله في ردّهم نبوّة محمّد صلى الله عليه وآله، وولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام وآلهما عليهم السلام ﴿وَمَاتُواْ﴾ على كفرهم ﴿وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ﴾ يوجب الله تعالى لهم البعد من الرحمة والسحق من الثواب ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ وعليهم لعنة الملائكة يلعنونهم ﴿وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ كلّ يلعنهم، لأنّ كلاًّ من المأمورين المنتهين يلعنون الكافرين والكافرون أيضاً يقولون: لعن الله الكافرين، فهم في لعن أنفسهم أيضاً ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ في اللّعنة، في نار جهنّم ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ يوماً ولا ساعةً ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ لا يؤخّرون ساعةً إلاّ يحلّ بهم العذاب. قال عليّ بن الحسين عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ هؤلاء الكاتمين لصفة رسول الله صلى الله عليه وآله والجاحدين لحلية عليّ وليّ الله إذا أتاهم ملك الموت ليقبض أرواحهم أتاهم بأفظع المناظر وأقبح الوجوه؛ فيحيط بهم عند نزع أرواحهم مردة شياطينهم الّذين كانوا يعرفونهم، ثمّ يقول ملك الموت: أبشري أيّتها النفس الخبيثة الكافرة بربّها بجحد نبوّة نبيّها صلى الله عليه وآله وإمامة عليّ وصيّه عليه السلام بلعنة من الله وغضب؛ ثمّ يقول: ارفع رأسك وطرفك وانظر، فيرى دون العرش محمّداً صلى الله عليه وآله على سرير بين يدي عرش الرحمن ويرى عليّاً عليه السلام على كرسيّ بين يديه، وسائر الأئمّة عليهم السلام على مراتبهم الشريفة بحضرته ثمّ يرى الجنان قد فتحت أبوابها، ويرى القصور والدرجات والمنازل الّتي تقصر عنها أمانيّ المتمنّين، فيقول له: لو كنت لأوليائك موالياً كانت روحك يعرج بها إلى حضرتهم، وكان يكون مأواك في تلك الجنان، وكانت تكون منازلك وأولياؤك ومجاوروك ومقاربوك، فانظر، فيرفع حجب الهاوية فيراها بما فيها من بلاياها ودواهيها وعقاربها وحيّاتها وأفاعيها وصروف عذابها ونكالها، فيقال له: فتلك إذاً منازلك. ثمّ تمثّل له شياطينه هؤلاء الّذين كانوا يغوونه ويقبل منهم مقرّنين هناك في الأصفاد والأغلال، فيكون موته بأشدّ حسرة وأعظم أسف[٣].

٣٤ - ين: صفوان، عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: ما بين أحدكم وبين أن يرى ما تقرّ به عينه إلاّ أن تبلغ نفسه هذه، فيأتيه ملك الموت فيقول: أمّا ما كنت تطمع فيه من الدنيا فقد فاتك، فأمّا ما كنت تطمع فيه من الآخرة فقد أشرفت عليه، وأمامك سلف صدق رسول الله صلى الله عليه وآله وعليّ وإبراهيم[٤].

---

(١) الزهد، ص ١٥٨ باب ١٥ ح ١٠. (٢) سورة البقرة، الآيتان: ١٦١-١٦٢.

(٣) تفسير الإمام العسكري عليه السلام، ص ٥٧٢ ح ٣٣٤.

(٤) الزهد، ص ١٥٩ باب ١٥ ح ١١.

٣٥ - ين: صفوان، عن قتيبة الأعشى قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: عاديتم فينا الآباء والأبناء والأزواج، وثوابكم على الله، إنّ أحوج ما تكونون فيه إلى حبّنا إذا بلغت النفس هذه - وأومأ بيده إلى حلقه(١) -.

٣٦ - قب: زريق، عن الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ قال: هو أن يبشّراه بالجنّة عند الموت، يعني محمّداً وعليّاً عليهما السلام(٢).

٣٧ - الفضيل بن يسار، عن الباقرين عليهما السلام قالا: حرام على روح أن تفارق جسدها حتّى ترى محمّداً وعليّاً وحسناً وحسيناً بحيث تقرّ عينها(٣).

٣٨ - الحافظ أبو نعيم بالإسناد عن هند الجمليّ، عن أميرالمؤمنين عليه السلام؛ وروى الشعبيّ وجماعة من أصحابنا عن الحارث الأعور عنه عليه السلام: ولا يموت عبد يحبّني إلاّ رآني حيث يحبّ، ولا يموت عبد يبغضني إلاّ رآني حيث يكره(٤).

٣٩ - سئل الصادق عليه السلام عن الميّت: تدمع عينه عند الموت؛ فقال عليه السلام: ذاك عند معاينة رسول الله صلى الله عليه وآله فيرى ما يسرّ(٥).

٤٠ - لي: حمدويه وإبراهيم معاً، عن أيّوب بن نوح، عن صفوان، عن عاصم بن حميد، عن فضيل الرسّان، عن أبي عمرو البزّاز، عن الشعبيّ، عن الحارث الأعور قال: أتيت أمير المؤمنين عليه السلام ذات ليلة فقال: يا أعور ما جاء بك؟ قال: فقلت يا أميرالمؤمنين جاء بي والله حبّك، قال: أما إنّي سأحدّثك لشكرها، أما إنّه لا يموت عبد يحبّني فتخرج نفسه حتّى يراني حيث يحبّ، ولا يموت عبد يبغضني فتخرج نفسه حتّى يراني حيث يكره؛ قال: ثمّ قال لي الشعبيّ بعد: أما إنّ حبّه لا ينفعك، وبغضه لا يضرّك(٦).

٤١ - كش: محمّد بن مسعود، عن جعفر بن أحمد بن أيّوب، عن العمركيّ، عن ابن فضّال، عن يونس بن يعقوب، عن سعيد بن يسار أنّه حضر أحد ابني سابور وكان لهما ورع وإخبات، فمرض أحدهما - ولا أحسبه إلاّ زكريّا بن سابور - قال: فحضرته عند موته قال: فبسط يده ثمّ قال: ابيضّت يدي يا عليّ قال: فدخلت على أبي عبد الله عليه السلام - وعنده محمّد بن مسلم - فلمّا قمت من عنده ظننت أنّ محمّد بن مسلم أخبره بخبر الرجل فأتبعني برسول فرجعت إليه فقال: أخبرني خبر الرجل الّذي حضرته عند الموت، أيّ شيء سمعته يقول؟ قلت بسط يده، فقال: ابيضّت يدي يا عليّ، فقال أبو عبد الله عليه السلام: رآه والله رآه والله رآه والله(٧).

كا: محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن ابن فضّال مثله(٨).

---

(١) الزهد، ص ١٥٩ باب ١٥ ح ١٢. (٢) - (٥) مناقب ابن شهرآشوب، ج ٣ ص ٢٥٨.
(٦) أمالي الطوسي، ص ٣٤ مجلس ٢ ح ٣٤. (٧) رجال الكشي، ص ٦٢٦.
(٨) الكافي، ج ٣ ص ٦٨ باب ٨٤ ح ٣.

٤٢ - **كشف:** حدّث الحسين بن عون قال: دخلت على السيّد بن محمّد الحميريّ عائداً في علّته الّتي مات فيها، فوجدته يساق به، ووجدت عنده جماعة من جيرانه وكانوا عثمانيّة، وكان السيّد جميل الوجه، رحب الجبهة، عريض ما بين السالفين، فبدت في وجهه نكتة سوداء مثل النقطة من المداد، ثمَّ لم تزل تزيد وتنمي حتّى طبّقت وجهه بسوادها، فاغتمّ لذلك من حضره من الشيعة، وظهر من الناصبة سرورٌ وشماتةٌ، فلم يلبث بذلك إلاّ قليلاً حتّى بدت في ذلك المكان من وجهه لمعةٌ بيضاء فلم تزل تزيد أيضاً وتنمي حتّى أسفر وجهه وأشرق، وافترّ السيّد ضاحكاً مستبشراً فقال:

كذب الزاعمون أنَّ عليّاً ... لن ينجّي محبّه من هنات
قد وربّي دخلت جنّة عدن ... وعفا لي الإله عن سيّئاتي
فابشروا اليوم أولياء عليّ ... وتوالوا الوصيّ حتّى الممات
ثمَّ من بعده تولّوا بنيه ... واحداً بعد واحد بالصفات

ثمَّ أتبع قوله هذا: أشهد أن لا إله إلاّ الله حقّاً حقّاً، وأشهد أنَّ محمّداً رسول الله حقّاً حقّاً، وأشهد أنَّ عليّاً أمير المؤمنين حقّاً حقّاً، أشهد أن لا إله إلاّ الله، ثمَّ أغمض عينه لنفسه فكأنّما كانت روحه زبالة طفئت أو حصاة سقطت. قال عليّ بن الحسين: قال لي أبي الحسين بن عون: وكان أذينة حاضراً فقال: الله أكبر ما من شهد كمن لم يشهد؛ أخبرني - وإلاّ صمّتا - الفضيل بن يسار، عن أبي جعفر وعن جعفر عليهما السلام أنّهما قالا: حرام على روح أن تفارق جسدها حتّى ترى الخمسة: محمّداً وعليّاً وفاطمة وحسناً وحسيناً بحيث تقرّ عينها، أو تسخن عينها، فانتشر هذا الحديث في الناس فشهد جنازته والله الموافق والمفارق[1].

ما: جماعة، عن أبي المفضّل، عن يحيى بن عليّ بن عبد الجبّار، عن عمّه محمّد بن عبد الجبّار، عن عليّ، عن أبيه الحسين بن عون مثله[2].

قب: لمّا احتضر السيّد الحميريّ بدت في وجهه نكتة سوداء؛ وساق الحديث مثله وزاد بعد قوله: واحداً بعد واحد بالصفات ثمَّ قال:

أحبّ الّذي من مات من أهل ودّه ... تلقّاه بالبشرى لدى الموت يضحك
ومن كان يهوى غيره من عدوّه ... فليس له إلاّ إلى النار مسلك

«القصيدة»[3]

بيان: قال الجوهريّ: السالفة: ناحية مقدّم العنق من لدن معلّق القرط إلى قلت الترقوة، والذبالة بالضمّ: الفتيلة.

٤٣ - **بشا:** محمّد بن أحمد بن شهريار، عن محمّد بن محمّد النوسيّ، عن محمّد بن عليّ

---

(١) كشف الغمة، ج ٢ ص ٤٠.
(٢) أمالي الطوسي، ص ٦٢٧ مجلس ٣٠ ح ١٢٩٣.
(٣) مناقب ابن شهرآشوب، ج ٣ ص ٢٥٨.

القرشيّ، عن جعفر بن محمّد بن عمر الأحمسيّ، عن عبيد بن كثير الهلاليّ، عن يحيى بن مساور، عن أبي الجارود، عن أبي جعفر، عن آبائه عليهم السلام، عن النبيّ صلى الله عليه وآله، قال يحيى بن مساور: أخبرنا أبو خالد الواسطيّ، عن زيد بن عليّ، عن أبيه عليه السلام قالوا: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: والّذي نفسي بيده لا تفارق روح جسد صاحبها حتّى تأكل من ثمار الجنّة أو من شجرة الزقّوم، وحين ترى ملك الموت تراني وترى عليّاً وفاطمة وحسناً وحسيناً عليهم السلام، فإن كان يحبّنا قلت: يا ملك الموت ارفق به إنّه كان يحبّني ويحبّ أهل بيتي، وإن كان يبغضنا قلت: يا ملك الموت شدّد عليه إنّه كان يبغضني ويبغض أهل بيتي[1].

٤٤ - **فر:** عبيد بن كثير معنعناً، عن جعفر بن محمّد، عن أبيه عليهما السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ياعليّ إنّ فيك مثلاً من عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام، قال الله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾[2] يا عليّ إنّه لا يموت رجل يفتري على عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام حتّى يؤمن به قبل موته ويقول فيه الحقّ حيث لا ينفعه ذلك شيئاً، وإنّك على مثله لا يموت عدوّك حتّى يراك عند الموت فتكون عليه غيظاً وحزناً حتّى يقرّ بالحقّ من أمرك ويقول فيك الحقّ، ويقرّ بولايتك حيث لا ينفعه ذلك شيئاً، وأمّا وليّك فإنّه يراك عند الموت فتكون له شفيعاً ومبشّراً وقرّة عين[3].

٤٥ - **دعوات الراوندي:** عن محمّد بن عليّ عليه السلام قال: مرض رجل من أصحاب الرضا عليه السلام فعاده فقال: كيف تجدك؟ قال لقيت الموت بعدك - يريد ما لقيه من شدّة مرضه - فقال: كيف لقيته؟ قال: شديداً أليماً، قال: ما لقيته إنّما لقيت ما يبدؤك به ويعرّفك بعض حاله؛ إنّما الناس رجلان: مستريح بالموت، ومستراح منه، فجدّد الإيمان بالله وبالولاية تكن مستريحاً، ففعل الرجل ذلك ثمّ قال: يابن رسول الله هذه ملائكة ربّي بالتحيّات والتحف يسلّمون عليك وهم قيام بين يديك فأذن لهم في الجلوس، فقال الرضا عليه السلام: اجلسوا ملائكة ربّي، ثمّ قال للمريض: سلهم أمروا بالقيام بحضرتي؟ فقال المريض: سألتهم فذكروا أنّه لو حضرك كلّ من خلقه الله من ملائكته لقاموا لك ولم يجلسوا حتّى تأذن لهم، هكذا أمرهم الله عزّ وجلّ، ثمّ غمّض الرجل عينيه وقال: السلام عليك يابن رسول الله هذا شخصك ماثل لي مع أشخاص محمّد ومن بعده الأئمّة عليهم السلام، وقضى الرجل[4].

٤٦ - وعن الحارث الأعور قال: قال أتيت أميرالمؤمنين عليه السلام ذات يوم نصف النهار فقال: ما جاء بك؟ قلت: حبّك والله، قال: إن كنت صادقاً لتراني في ثلاث مواطن: حيث تبلغ نفسك هذه - وأومأ بيده إلى حنجرته - وعند الصراط، وعند الحوض[5].

---

(١) بشارة المصطفى، ص ٦.
(٢) سورة النساء، الآية: ١٥٩.
(٣) تفسير فرات الكوفي، ص ١١٦ ح ١١٩.
(٤) الدعوات للراوندي، ص ٢٤٨ ح ٦٩٨.
(٥) الدعوات للراوندي، ص ٢٤٩ ح ٦٩٩.

٤٧ - كا: عليّ بن محمّد بن بندار، عن أحمد بن أبي عبد الله، عن محمّد بن عليّ، عن عبد الرحمن بن أبي هاشم، عن أبي خديجة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما من أحد يحضره الموت إلاّ وكل به إبليس من شياطينه من يأمره بالكفر ويشكّكه في دينه حتّى تخرج نفسه، فمن كان مؤمناً لم يقدر عليه؛ فإذا حضرتم موتاكم فلقّنوهم شهادة أن لا إله إلاّ الله، وأنّ محمّداً رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى يموت(1).

٤٨ - كا: محمّد بن يحيى، عن محمّد بن الحسين، عن عبد الرحمن بن أبي هاشم، عن سالم بن أبي سلمة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: حضر رجلاً الموت فقيل: يا رسول الله إنّ فلاناً قد حضره الموت، فنهض رسول الله صلى الله عليه وآله ومعه ناس من أصحابه حتّى أتاه وهو مغمى عليه، قال: فقال: يا ملك الموت كفّ عن الرجل حتّى أسأله، فأفاق الرجل فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: ما رأيت؟ قال: رأيت بياضاً كثيراً وسواداً كثيراً، فقال: فأيّهما كان أقرب إليك؟ فقال: السواد؛ فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: قل: اللّهمّ اغفر لي الكثير من معاصيك، واقبل منّي اليسير من طاعتك؛ فقال ثمّ أغمي عليه فقال: ياملك الموت خفّف عنه ساعةً حتّى أسأله، فأفاق الرجل: فقال: ما رأيت؟ قال: رأيت بياضاً كثيراً وسواداً كثيراً، قال: فأيّهما كان أقرب إليك؟ فقال، البياض، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: غفر الله لصاحبكم. قال: فقال أبو عبد الله عليه السلام: إذا حضرتم ميّتاً فقولوا له هذا الكلام ليقوله(2).

٤٩ - كا: عدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن محمّد بن سليمان، عن أبيه، عن سدير الصيرفيّ قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك يابن رسول الله هل يكره المؤمن على قبض روحه؟ قال: لا والله إنّه إذا أتاه ملك الموت لقبض روحه جزع عند ذلك فيقول له ملك الموت: ياوليّ الله لا تجزع، فوالّذي بعث محمّداً صلى الله عليه وآله لأنا أبرّ بك وأشفق عليك من والد رحيم لو حضرك، افتح عينيك فانظر؛ قال: ويمثّل له رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين والأئمّة من ذرّيّتهم عليهم السلام فيقال له: هذا رسول الله وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين والأئمّة رفقاؤك، قال: فيفتح عينيه فينظر فينادي روحه مناد من قبل ربّ العزّة فيقول: يا أيّتها النفس المطمئنّة إلى محمّد وأهل بيته ارجعي إلى ربّك راضيةً بالولاية، مرضيةً بالثواب، فادخلي في عبادي - يعني محمّداً وأهل بيته - وادخلي جنّتي، فما من شيء أحبّ إليه من استلال روحه واللّحوق بالمنادي(3).

٥٠ - كا: عليّ بن إبراهيم، عن محمّد بن عيسى، عن يونس، عن خالد بن عمارة، عن أبي بصير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إذا حيل بينه وبين الكلام أتاه رسول الله صلى الله عليه وآله ومن شاء الله، فجلس رسول الله صلى الله عليه وآله عن يمينه، والآخر عن يساره، فيقول له رسول الله صلى الله عليه وآله:

(1) الكافي، ج ٣ ص ٦٥ باب ٨٠ ح ٦.
(2) الكافي، ج ٣ ص ٦٦ باب ٨٠ ح ١٠.
(3) الكافي، ج ٣ ص ٦٧ باب ٨٣ ح ٢.

أمّا ما كنت ترجو فهو ذا أمامك، وأمّا ما كنت تخاف منه فقد أمنت منه، ثمّ يفتح له باب إلى الجنّة فيقول: هذا منزلك في الجنّة فإن شئت رددناك إلى الدنيا ولك فيها ذهب وفضّة؛ فيقول: لا حاجة لي في الدنيا، فعند ذلك يبيضّ لونه، ويرشح جبينه، وتتقلّص شفتاه، وتنتشر منخراه، وتدمع عينه اليسرى، فأيّ هذه العلامات رأيت فاكتف بها، فإذا خرجت النفس من الجسد فيعرض عليها كما يعرض عليه وهي في الجسد فيختار الآخرة فيغسّله فيمن يغسّله، ويقلّبه فيمن يقلّبه، فإذا أُدرج في أكفانه ووضع على سريره خرجت روحه تمشي بين أيدي القوم قدماً وتلقّاه أرواح المؤمنين يسلّمون عليه ويبشّرونه بما أعد الله له جلّ ثناؤه من النعيم، فإذا وضع في قبره ردّ إليه الروح إلى وركيه ثمّ يسئل عمّا يعلم، فإذا جاء بما يعلم فتح له ذلك الباب الّذي أراه رسول الله ﷺ، فيدخل عليه من نورها وبردها وطيب ريحها، قال: قلت: جعلت فداك فأين ضغطة القبر؟ فقال: هيهات ما على المؤمنين منها شيء، والله إنّ هذه الأرض لتفتخر على هذه فتقول، وطئ على ظهري مؤمن ولم يطأ على ظهرك مؤمن، وتقول له الأرض، لقد كنت أُحبّك وأنت تمشي على ظهري، فأمّا إذا ولّيتك فستعلم ما أصنع بك، فيفتح له مدّ بصره[1].

بيان: يشكل الجمع بين هذا الخبر وخبر فاطمة بنت أسد وسعد بن معاذ، إلاّ أن يقال: كان ذلك العموم في صدر الإسلام ثمّ نسخه الله ورفعه عن كمل المؤمنين، أو يخصّ المؤمن في هذا الخبر بالمعصومين، ويمكن أن يقال في خبر فاطمة: إنّ النبيّ ﷺ إنّما فعل ذلك لما وعدها لمزيد اطمئنانها والله يعلم.

٥١ - **كا:** محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن محمّد بن سنان، عن عمّار بن مروان قال: حدّثني من سمع أبا عبد الله عليه السلام يقول: منكم والله يقبل، ولكم والله يغفر، إنّه ليس بين أحدكم وبين أن يغتبط ويرى السرور وقرّة العين إلاّ أن تبلغ نفسه ههنا - وأومأ بيده إلى حلقه - ثمّ قال: إنّه إذا كان ذلك واحتضر حضره رسول الله ﷺ وعليّ وجبرئيل وملك الموت عليه السلام فيدنو منه عليّ عليه السلام فيقول: يا رسول الله إنّ هذا كان يحبّنا أهل البيت فأحبّه، ويقول رسول الله ﷺ: ياجبرئيل إنّ هذا كان يحبّ الله ورسوله وأهل بيت رسوله فأحبّه، ويقول جبرئيل لملك الموت إنّ هذا كان يحبّ الله ورسوله وأهل بيت رسوله فأحبّه وارفق به، فيدنو منه ملك الموت فيقول: يا عبد الله أخذت فكاك رقبتك؟ أخذت أمان براءتك؟ تمسّكت بالعصمة الكبرى في الحياة الدنيا؟ قال: فيوفّقه الله عزّ وجلّ فيقول: نعم، فيقول: وما ذاك؟ فيقول: ولاية عليّ بن أبي طالب، فيقول: صدقت، أمّا الّذي كنت تحذره فقد آمنك الله منه، وأمّا الّذي كنت ترجوه فقد أدركته، أبشر بالسلف الصالح مرافقة رسول الله ﷺ وعليّ وفاطمة عليهم السلام، ثمّ يسلّ نفسه سلاً رفيقاً، ثمّ ينزل بكفنه من الجنّة، وحنوطه من الجنّة بمسك

(١) الكافي، ج ٣ ص ٦٨ باب ٨٤ ح ٢.

أذفر، فيكفّن بذلك الكفن ويحنّط بذلك الحنوط، ثمّ يكسى حلّة صفراء من حلل الجنّة، فإذا وضع في قبره فتح الله له باباً من أبواب الجنّة يدخل عليه من روحها وريحانها، ثمّ يفسح له عن أمامه مسيرة شهر وعن يمينه وعن يساره، ثمّ يقال له: نم نومة العروس على فراشها، أبشر بروح وريحان وجنّة نعيم وربّ غير غضبان، ثمّ يزور آل محمّد في جنان رضوى، فيأكل معهم من طعامهم، ويشرب معهم من شرابهم، ويتحدّث معهم في مجالسهم، حتّى يقوم قائمنا أهل البيت، فإذا قام قائمنا بعثهم الله فأقبلوا معه يلبّون زمراً زمراً، فعند ذلك يرتاب المبطلون، ويضمحلّ المحلّون - وقليل ما يكونون - هلكت المحاضير، ونجا المقرّبون، من أجل ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام: أنت أخي، وميعاد ما بيني وبينك وادي السلام؛ قال: وإذا احتضر الكافر حضره رسول الله صلى الله عليه وآله وعليّ وجبرئيل وملك الموت عليهم السلام فيدنو منه عليّ عليه السلام فيقول: يا رسول الله إنّ هذا كان يبغضنا أهل البيت فأبغضه، ويقول رسول الله صلى الله عليه وآله: ياجبرئيل إنّ هذا كان يبغض الله ورسوله وأهل بيت رسوله فأبغضه، ويقول جبرئيل: ياملك الموت إنّ هذا كان يبغض الله ورسوله وأهل بيت رسوله فأبغضه واعنف عليه، فيدنو منه ملك الموت فيقول: يا عبد الله أخذت فكاك رهانك؟ أخذت أمان براءتك من النار؟ تمسّكت بالعصمة الكبرى في الحياة الدنيا؟ فيقول: لا، فيقول: أبشر ياعدوّ الله بسخط الله عزّ وجلّ وعذابه والنار، أمّا الّذي كنت تحذره فقد نزل بك؛ ثمّ يسل نفسه سلاً عنيفاً. ثمّ يوكّل بروحه ثلاثمائة شيطان كلّهم يبزق في وجهه ويتأذّى بروحه. فإذا وضع في قبره فتح له باب من أبواب النار فيدخل عليه من قيحها ولهبها[١].

ين: محمّد بن سنان مثله. «ص ١٥٤ باب ١٥ ح ١».

بيان: المحلّون: الّذين لا يرون حرمة الأئمّة عليهم السلام ولا يتابعونهم، قال الفيروزآباديّ: رجل محلّ: منتهك للحرام، أو لا يرى للشهر الحرام حرمة؛ ويقال: رجل محضير أي كثير العدو، والمحاضير جمعه أي الّذين يستعجلون في طلب الفرج بقيام القائم عليه السلام، والمقرّبون بفتح الراء أي أهل التسليم والانقياد، فإنّهم المقرّبون عند الله؛ أو بكسر الراء أي الّذين يقولون: الفرج قريب، ولا يستبطؤنه.

٥٢ - **كا:** محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن الحسين بن سعيد، عن النضر بن سويد، عن يحيى الحلبيّ، عن ابن مسكان، عن عبد الرحيم القصير قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: حدّثني صالح بن ميثم، عن عباية الأسديّ أنّه سمع عليّاً عليه السلام يقول: والله لا يبغضني عبدٌ أبداً يموت على بغضي إلاّ رآني عند موته حيث يكره، ولا يحبّني عبدٌ أبداً فيموت على حبّي إلاّ رآني عند موته حيث يحبّ، فقال أبو جعفر عليه السلام: نعم، ورسول الله صلى الله عليه وآله باليمين[٢].

(١) - (٢) الكافي، ج ٣ ص ٦٩ باب ٨٤ ح ٤-٥.

ين: النضر مثله[1].

٥٣ - **كا:** العدّة، عن سهل، عن ابن محبوب، عن عبد العزيز العبديّ، عن ابن أبي يعفور قال: كان خطّاب الجهني خليطاً لنا، وكان شديد النصب لآل محمّد ﷺ، وكان يصحب نجدة الحروريّ قال: فدخلت عليه أعوده للخلطة والتقيّة، فإذا هو مغمى عليه في حدّ الموت، فسمعته يقول: ما لي ولك يا عليّ؟ فأخبرت بذلك أبا عبد الله عليه السلام، فقال أبو عبد الله عليه السلام: رآه وربّ الكعبة، رآه وربّ الكعبة، رآه وربّ الكعبة[2].

٥٤ - **كا:** العدّة، عن سهل، عن البزنطيّ، عن حمّاد بن عثمان، عن عبد الحميد بن عوّاض قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إذا بلغت نفس أحدكم هذه قيل له: أمّا ما كنت تحذر من همّ الدنيا وحزنها فقد أمنت منه، ويقال له: رسول الله وعليٌّ وفاطمة عليهم السلام أمامك[3].

٥٥ - **ين:** النضر، عن يحيى الحلبيّ، عن سليمان بن داود، عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما معنى قول الله تبارك وتعالى: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾﴾[4] الآيات، قال: إنّ نفس المحتضر إذا بلغت الحلقوم وكان مؤمناً رأى منزله من الجنّة فيقول: ردّوني إلى الدنيا حتّى أخبر أهلها بما أرى، فيقال له: ليس إلى ذلك سبيل[5].

٥٦ - **ين:** حمّاد بن عيسى، عن حسين بن المختار، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: إن المؤمن إذا مات رأى رسول الله ﷺ وعليّاً بحضرته[6].

أقول: قد مرّ كثير من أخبار هذا الباب في الأبواب السابقة، وسيأتي كثير منها في باب البرزخ وغيرها.

وقال البرسيّ في مشارق الأنوار: روى المفيد بإسناده عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ لعليّ عليه السلام: يا عليّ إنّ محبّيك يفرحون في ثلاثة مواطن عند خروج أنفسهم وأنت هناك تشهدهم، وعند المسألة في القبور وأنت هناك تلقّنهم، وعند العرض على الله وأنت هناك تعرّفهم.

تذييل: اعلم أنّ حضور النبيّ ﷺ والأئمّة صلوات الله عليهم عند الموت ممّا قد ورد به الأخبار المستفيضة، وقد اشتهر بين الشيعة غاية الاشتهار، وإنكار مثل ذلك لمحض استبعاد الأوهام ليس من طريقة الأخبار، وأمّا نحو حضورهم وكيفيّته فلا يلزم الفحص عنه، بل يكفي فيه وفي أمثاله الإيمان به مجملاً على ما صدر عنهم عليهم السلام، وما يقال من أنّ هذا خلاف الحسّ والعقل: أمّا الأوّل فلأنّا نحضر الموتى إلى قبض روحهم ولا نرى عندهم أحداً، وأمّا الثاني فلأنّه يمكن أن يتّفق في آن واحد قبض أرواح آلاف من الناس في مشارق الأرض

---

(١) الزهد: ص ١٥٦ باب ١٥ ح ٤.
(٢) - (٣) الكافي، ج ٣ ص ٧٠ باب ٨٤ ح ٩-١٠.
(٤) سورة الواقعة، الآيتان: ٨٣-٨٤.
(٥) - (٦) الزهد، ص ١٥٦ باب ١٥ ح ٥و٧.

ومغاربها، ولا يمكن حضور الجسم في زمان واحد في أمكنة متعدّدة. فيمكن الجواب عن الأوّل بوجوه:

الأوّل: أنّ الله تعالى قادرٌ على أن يحجبهم عن أبصارنا لضرب من المصلحة، كما ورد في أخبار الخاصّة والعامّة في تفسير قوله تعالى: ﴿جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾[1] أنّ الله تعالى أخفى شخص النبيّ ﷺ عن أعدائه مع أنّ أولياءه كانوا يرونه، وإنكار أمثال ذلك يفضي إلى إنكار أكثر معجزات الأنبياء والأوصياء ﷺ وقد مرّ فيما نقلنا من تفسير العسكريّ ﷺ التصريح بهذا الوجه.

الثاني: أنّه يمكن أن يكون حضورهم بجسد مثاليّ لطيف لا يراه غير المحتضر، كحضور ملك الموت وأعوانه، وسيأتي الأخبار في سائر الموتى أنّ أرواحهم في البرزخ تتعلّق بأجساد مثاليّة، وأمّا الحيّ من الأئمّة ﷺ فلا يبعد تصرّف روحه لقوّته في جسد مثاليّ أيضاً.

الثالث: أنّه يمكن أن يخلق الله تعالى لكلّ منهم مثالاً بصورته وهذه الأمثلة يكلّمون الموتى ويبشّرونهم من قبلهم ﷺ كما ورد في بعض الأخبار بلفظ التمثيل.

الرابع: أنّه يمكن أن يرتسم صورهم في الحسّ المشترك بحيث يشاهدهم المحتضر ويتكلّم معهم كما في المبرسم.

الخامس: ما ذكره السيّد المرتضى رضي الله عنه وهو أنّ المعنى أنّه يعلم في تلك الحال ثمرة ولايتهم وانحرافه عنهم لأنّ المحبّ لهم يرى في تلك الحال ما يدلّه على أنّه من أهل الجنّة وكذا المبغض لهم يرى ما يدلّه على أنّه من أهل النار، فيكون حضورهم وتكلّمهم استعارة تمثيليّة، ولا يخفى أنّ الوجهين الأخيرين بعيدان عن سياق الأخبار، بل مثل هذه التأويلات ردّ للأخبار، وطعن في الآثار. وأمّا الجواب عن الوجه الثاني فبأنّه إنّما يتمّ الشبهة إذا ثبت وقوع هذا الاتّفاق، ومحض الإمكان لا يكفي في ذلك، مع أنّه إذا قلنا بأنّ حضورهم في الأجساد المثاليّة يمكن أن يكون لهم أجساد مثاليّة كثيرة لما جعل الله لهم من القدرة الكاملة الّتي بها امتازوا عن سائر البشر؛ وفي الوجوه الثلاثة الأخيرة على تقدير صحّتها اندفاع هذا الإيراد ظاهر، والأحوط والأولى في أمثال تلك المتشابهات الإيمان بها، وعدم التعرّض لخصوصيّاتها وتفاصيلها وإحالة علمها إلى العالم ﷺ كما مرّ في الأخبار الّتي أوردناها في باب التسليم، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

٨ - باب أحوال البرزخ والقبر وعذابه وسؤاله وسائر ما يتعلق بذلك

الآيات: البقرة: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾«١٥٤».

آل عمران «٣»: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ

(١) سورة الإسراء، الآية: ٤٥.

بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾﴾.

إبراهيم: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ «٢٧».

طه: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ «١٢٤».

المؤمنون «٢٣»: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّآ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾.

المؤمن [غافر] «٤٠»: ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ «١١».

تفسير: قال الطبرسيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قوله تعالى: ﴿بَلْ أَحْيَآءٌ﴾ فيه أقوال: أحدها - وهو الصحيح - أنّهم أحياء على الحقيقة إلى أن تقوم الساعة، وهو قول ابن عبّاس ومجاهد وقتادة، وإليه ذهب الحسن وعمرو بن عبيد وواصل بن عطاء، واختاره الجبائيّ الرمّاني وجميع المفسّرين.

الثاني: أنَّ المشركين كانوا يقولون: أصحاب محمّد يقتلون نفوسهم في الحروب بغير سبب، ثمّ يموتون فيذهبون؛ فأعلمهم الله أنّه ليس الأمر على ما قالوه وأنّهم سيحيون يوم القيامة ويثابون، عن البلخيّ، ولم يذكر ذلك غيره.

والثالث: معناه: لا تقولوا: هم أموات في الدين بل هم أحياء بالطاعة والهدى، ومثله قوله سبحانه: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ فجعل الضلال موتاً والهداية حياة؛ عن الأصمّ.

والرابع: أنَّ المراد أنّهم أحياءٌ لما نالوا من جميل الذكر والثناء، كما روي عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من قوله: هلك خزّان الأموال والعلماء باقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقودة، وآثارهم في القلوب موجودة. والمعتمد هو القول الأوّل لأنّ عليه إجماع المفسّرين، ولأنّ الخطاب للمؤمنين وكانوا يعلمون أنّ الشهداء على الحقّ والهدى وأنّهم ينشرون ويحيون يوم القيامة، فلا يجوز أنَّ يقال لهم: ﴿وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ من حيث إنّهم كانوا يشعرون بذلك ويقرّون به، ولأنّ حمله على ذلك يبطل فائدة تخصيصهم بالذكر، ولو كانوا أيضاً أحياءاً بما حصل لهم من جميل الثناء لما قيل أيضاً: ﴿وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ لأنّهم كانوا يشعرون بذلك، ووجه تخصيص الشهداء بكونهم أحياءاً - وإن كان غيرهم من المؤمنين قد يكونون أحياءاً في البرزخ - أنّه على جهة البشارة بذكر حالهم ثمّ البيان لما يختصّون به من أنّهم يرزقون كما في الآية الأخرى؛ فإن قيل: فنحن نرى جثث الشهداء مطروحةً على الأرض لا يتصرّف ولا يرى فيها شيء من علامات الأحياء! فالجواب - على مذهب من يقول بأنّ الإنسان هو الروح من أصحابنا - أنّ الله تعالى جعل لهم أجساماً كأجسامهم في دار الدنيا يتنعّمون فيها دون أجسامهم الّتي في القبور فإنّ النعيم والعذاب إنّما يصل عنده إلى النفس الّتي هي الإنسان المكلّف عنده، دون الجثّة ويؤيّده كثير من الأخبار.

وأمّا على مذهب من قال من أصحابنا إنّ الإنسان هذه الجثّة المشاهدة وإنّ الروح هو النفس المتردّد في مخارق الحيوان وهو أجزاء الجوّ فيقول: إنّه يلطف أجزاء من الإنسان لا يمكن أن يكون الحيّ حيّاً بأقلّ منها، يوصل إليها النعيم، وإن لم تكن تلك الجملة بكمالها لأنّه لا معتبر بالأطراف وأجزاء السمن في كون الحيّ حيّاً فإنّ الحيّ لا يخرج بمفارقتها من كونه حيّاً، وربما قيل: بأنّ الجثّة يجوز أن تكون مطروحةً في الصورة ولا يكون ميّتاً فيصل إليها اللّذات، كما أنّ النائم حيّ وتصل إليه اللّذات مع أنّه لا يحسّ ولا يشعر بشيء من ذلك، فيرى في النوم ما يجد به السرور والالتذاذ، حتّى أنّه يودّ أن يطول نومه ولا ينتبه، وقد جاء في الحديث أنّه يفسح له مدّ بصره ويقال له: نم نومة العروس؛ وقوله: ﴿وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ أي لا تعلمون أنّهم أحياء، وفي هذه الآية دلالة على صحّة مذهبنا في سؤال القبر وإثابة المؤمن فيه وعقاب العصاة على ما تظاهرت به الأخبار، وإنّما حمل البلخيّ الآية على حياة الحشر لإنكاره عذاب القبر[١]. انتهى كلامه رفع الله مقامه.

وقال الرازيّ في تفسير تلك الآية بعد نقل ما ذكره الطبرسيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ من الأقوال الأربعة واختيار القول الأوّل: وهذا قول أكثر المفسّرين، وهذا دليل على أنّ المطيعين يصل ثوابهم إليهم وهم في القبر؛ فإن قيل: نحن نشاهد أجسادهم ميتة في القبور فكيف يصحّ ما ذهبتم إليه؟ قلنا: أمّا عندنا فالبنية ليست شرطاً في الحياة، ولا امتناع في أنّ الله تعالى يعيد الحياة إلى كلّ واحد من تلك الذرّات والأجزاء الصغيرة من غير حاجة إلى التركيب والتأليف؛ وأمّا عند المعتزلة فلا يبعد أن يعيد الله الحياة إلى الأجزاء الّتي لا بدّ منها في مائيّة الحياة بغير الأطراف، ويحتمل أن يحييهم إذا لم يشاهدوا. ثمّ قال: وأكثر العلماء على ترجيح هذا القول، ويدلّ عليه وجوه: أحدها أنّ الآيات الدالّة على عذاب القبر كثيرةٌ كقوله تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾ والموتان لا يحصلان إلاّ عند حصول الحياة في القبر، وقال تعالى: ﴿أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا﴾ والفاء للتعقيب، وقال: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ وإذا ثبت عذاب القبر وجب القول بثواب القبر أيضاً لأنّ العذاب حقّ الله تعالى على العبد، والثواب حقّ العبد على الله تعالى، فإسقاط العذاب أحسن من إسقاط الثواب، فحيث ما أسقط العقاب إلى القيامة بل حقّقه في القبر كان ذلك في الثواب أولى.

وثانيها: أنّ المعنى لو كان على ما قيل في سائر الأقوال لم يكن لقوله: ﴿وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ معنى، لأنّ الخطاب للمؤمنين وقد كانوا يعلمون أنّهم سيحيون يوم القيامة، وأنّهم ماتوا على هدى ونور.

وثالثها: أنّ قوله: ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ دليل على حصول الحياة في البرزخ مثل المبعث.

---

(١) مجمع البيان، ج ١ ص ٤٣٧-٤٣٩.

ورابعها: قوله ﷺ: القبر روضةٌ من رياض الجنّة أو حفرة من حفر النيران والأخبار في ثواب القبر وعذابه كالمتواترة، وكان ﷺ يقول في آخر صلاته: وأعوذ بك من عذاب القبر.

وخامسها: لو كان المراد بقوله: «إنهم أحياء» أنهم سيحيون فحينئذ لا يبقى لتخصيصهم بهذا فائدة.

وسادسها: أنّ الناس يزورون قبور الشهداء ويعظّمونها وذلك يدلّ من بعض الوجوه على ما ذكرناه. واعلم أنّ في الآية قولاً آخر وهو أنّ ثواب القبر وعذابه للروح لا للقالب، وهذا القول مبنيّ على معرفة الروح، ولنشر إلى حاصل قول هؤلاء، فنقول: إنّهم قالوا: إنّه لا يجوز أن يكون الإنسان عبارة عن هذا الهيكل المخصوص لوجهين: الأوّل أنّ أجزاء هذا الهيكل أبداً في النموّ والذبول والزيادة والنقصان والاستكمال والذوبان، ولا شكّ أنّ الإنسان من حيث هو هو باق من أوّل عمره إلى آخره، والباقي غير ما هو غير باق، فالمشار إليه عند كلّ أحد بقوله: (أنا) وجب أن يكون مغايراً لهذا الهيكل.

الثاني أنّي أكون عالماً بأنّي (أنا) حال ما أكون غافلاً عن هذه الأعضاء الظاهرة فما دلّ عليه قولنا: (أنا) مغايرٌ لهذه الأعضاء والأبعاض، ثمّ اختلفوا عند ذلك في أنّ الّذي يشير إليه كلّ أحد بقوله: (أنا) أيّ شيء هو؟ والأقوال فيها كثيرة، إلاّ أن أشدّها تحصيلاً وجهان: أحدهما: أنّها أجزاء جسمانيّة ساريةٌ في هذا الهيكل سريان النار في الفحم، والدهن في السمسم، وماء الورد في الورد، والقائلون بهذا القول فريقان: أحدهما الّذين اعتقدوا تماثل الأجسام فقالوا: إنّ تلك الأجسام متماثلة لسائر الأجزاء الّتي منها يؤلّف هذا الهيكل، إلاّ أنّ القادر المختار سبحانه يبقي بعض الأجزاء من أوّل العمر إلى آخره فتلك الأجزاء هي الّتي يشير إليها كلّ أحد بأنا، ثمّ إنّ تلك الأجزاء حيّة بحياة يخلقها الله فيها، فإذا أزال الحياة عنها ماتت، وهذا قول أكثر المتكلّمين.

وثانيهما: أنّ الّذين اعتقدوا اختلاف الأجسام زعموا أنّ الأجسام الّتي هي باقيةٌ من أوّل العمر إلى آخره أجسامٌ مخالفةٌ بالماهيّة للأجسام الّتي منها ائتلف هذا الهيكل وتلك الأجسام حيّة لذاتها، مدركة لذاتها، نورانيّة لذاتها؛ فإذا خالطت هذا البدن وصارت ساريةً في هذا الهيكل سريان النار في الفحم صار هذا الهيكل مستنيراً بنور ذلك الروح، متحرّكاً بتحريكه، ثمّ إن هذا الهيكل أبداً في الذوبان والتحليل إلاّ أنّ تلك الأجزاء باقيةٌ بحالها، وإنّما لا يعرض لها التحليل لأنّها مخالفةٌ بالماهيّة لهذه الأجسام، فإذا فسد هذا القالب انفصلت تلك الأجسام اللّطيفة النورانيّة إلى عالم السماوات والقدس والطهارة إن كانت من جملة السعداء، أو إلى الجحيم وعالم الآفات إن كانت من جملة الأشقياء.

والقول الثاني: إنّ الّذي يشير إليه كلّ أحد بقوله: (أنا) موجودٌ ليس بمتحيّز ولا قائم بالمتحيّز، وإنّه ليس داخل العالم ولا خارجاً عنه، ولا يلزم من كونه كذلك أن يكون مثلاً لله

تعالى لأنّ الاشتراك في السلوب لا يوجب الاشتراك في الماهيّة، وقالوا: هذه الأرواح بعد مفارقة الأبدان تتألّم وتلتذّ إلى أن يردّها الله تعالى إلى الأبدان يوم القيامة، فهناك يحصل الالتذاذ والتألّم للأبدان، فهذا قولٌ قال به عالم من الناس، قالوا: وإن لم يقم عليه برهان قاهر على القول به ولكن لم يقم دليل على فساده، وأنّه ممّا يزيل الشكوك والشبهات عمّا ورد في كتاب الله من ثواب القبر وعقابه فوجب المصير إليه فهذا هو الإنسان في توجيه هذا القول[1].

أقول: ثمّ قال الرازيّ في تفسير آية آل عمران بعد اختيار القول الأوّل فيها أيضاً: يحتمل أن يكون الروح جسماً مخصوصاً سارياً في هذه الجثّة سريان النار في الفحم، ويحتمل أن يكون جوهراً قائماً بنفسه، ليس بجسم ولا حالّ في الجسم، وعلى كلا المذهبين فإنّه لا يبعد أنّه لمّا مات البدن انفصل ذلك الشيء حيّاً، وإن قلنا أماته الله إلاّ أنّه تعالى يعيد الحياة إليه، وعلى هذا التقدير تزول الشبهات بالكلّيّة عن ثواب القبر كما في هذه الآية، وعن عذابه كما في قوله تعالى: ﴿أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا﴾ فثبت أنّه لا امتناع في ذلك، وظاهر الآية دالّة عليه، فوجب المصير إليه، والّذي يؤكّد ما قلناه القرآن والحديث والعقل، أمّا القرآن فآيات: إحداها قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ٢٧ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ الآية، ولا شكّ أنّ المراد بقوله: ﴿ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ بالموت، ثمّ قال: ﴿فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي﴾ «وفاء التعقيب يدلّ على أنّ حصول هذه الحالة يكون عقيب الموت. وثانيها قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ وهذا عبارة عن موت البدن؛ ثمّ قال: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ﴾ فقوله ﴿رُدُّوٓاْ﴾ ضمير عنهم، وإنّما هو هو بحياته وذاته المخصوصة، فدلّ على أنّ ذلك باق بعد موت البدن. وثالثها قوله: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ٨٨ فَرَوۡحٞ وَرَيۡحَانٞ وَجَنَّتُ نَعِيمٖ ٨٩﴾ وفاء التعقيب يدلّ على أنّ قيامة كلّ أحد حاصلة بعد موته، وأمّا قيامته الكبرى فهي حاصلة في الوقت المعلوم عند الله.

وأيضاً روي أنّه ﷺ يوم بدر كان ينادي المقتولين ويقول: هل وجدتم ما وعد ربّكم حقّاً؟ فقيل: يارسول الله إنّهم أموات فكيف تناديهم؟ فقال ﷺ: إنّهم أسمع منكم؛ وأيضاً قال ﷺ: أنبياء الله لا يموتون بل ينقلون من دار إلى دار.

وأمّا المعقول فمن وجوه: الأوّل أنّ وقت النوم يضعف البدن وضعفه لا يقتضي ضعف النفس، بل النفس تقوى عند النوم فتشاهد الأحوال وتطّلع على المغيبات، فهذا يقوي الظنّ في أنّ موت البدن لا يستعقب موت النفس.

الثاني: أنّ كثرة الأفكار سبب لجفاف الدماغ، وجفافه مؤدّ إلى الموت، وهذه الأفكار سبب لاستكمال النفس بالمعارف الإلهيّة، وهو غاية كمال النفس، فما هو سبب لكمال النفس فهو سبب لنقصان البدن، فهذا يقوي الظنّ في أنّ النفس لا تموت بموت البدن.

---

(١) تفسير الرازي، ج ٤ ص ١٢٦-١٢٧.

الثالث: أنّ أحوال النفس على ضدّ أحوال البدن، وذلك لأنّ النفس إنّما تفرح وتبتهج بالمعارف الإلهيّة، كما قال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ وقال ﷺ: أبيت عند ربّي يطعمني ويسقيني. ولا شكّ أنّ ذلك الشراب ليس إلاّ عبارة عن المعرفة والمحبّة والاستنارة بأنوار عالم الغيب؛ وأيضاً فإنّا نرى أنّ الإنسان إذا غلب عليه الاستبشار بخدمة سلطان أو الفوز بمنصب أو بالوصول إلى معشوق قد ينسى الطعام والشراب، وبالجملة فالسعادات النفسانيّة كالمضادّات للسعادات الجسمانيّة، وكلّ ذلك يغلب على الظنّ أنّ النفس مستقلّة بذاتها ولا تعلّق لها بالبدن ومتى كان كذلك وجب أن لا تموت النفس بموت البدن وأمّا قوله تعالى: ﴿يُرْزَقُونَ﴾ فاعلم أنّ المتكلّمين قالوا: الثواب منفعةٌ خالصةٌ، دائمةٌ، مقرونةٌ بالتعظيم، فقوله: ﴿يُرْزَقُونَ﴾ إشارة إلى المنفعة، وقوله: ﴿فَرِحِينَ﴾ إشارة إلى الفرح الحاصل بسبب ذلك التعظيم؛ وأمّا الحكماء فإنّهم قالوا: إذا أشرقت جواهر الأرواح القدسيّة بالأنوار الإلهيّة كانت مبتهجةً من وجهين: أحدهما بكون ذواتها مستنيرةً، مشرقةً، متلألئة بتلك المعارف الإلهيّة، والثاني بكونها ناظرةً إلى ينبوع النور ومصدر الرحمة والجلالة، قالوا: وابتهاجها بهذا القسم الثاني أتمّ من ابتهاجها بالأوّل، فقوله: ﴿يُرْزَقُونَ﴾ إشارة إلى الدرجة الأولى، وقوله: ﴿فَرِحِينَ﴾ إلى الدرجة الثانية، ولذا قال: ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ يعني فرحهم ليس بالرزق، بل بإيتاء الرزق، لأنّ المشغول بالرزق مشغول بنفسه، والناظر إلى إيتاء الرزق مشغول بالرازق، ومن طلب الرزق لغيره فهو محجوب. انتهى(١).

وقال الشيخ الطبرسيّ رحمه الله في تفسير تلك الآية: قول ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ فيه وجهان أحدهما أنّهم بحيث لا يملك أحد لهم نفعاً ولا ضرّاً إلاّ ربّهم، وليس المراد في ذلك قرب المسافة لأنّه مستحيل عليه سبحانه، والآخر أنّهم عند ربّهم أحياء من حيث يعلمهم كذلك دون الناس.

وروي عن ابن عبّاس وابن مسعود وجابر أنّ النبيّ ﷺ قال: لمّا أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في حواصل طيور خضر ترد أنهار الجنّة وتأكل من ثمارها.

وروي عنه ﷺ أنّه قال لجعفر بن أبي طالب - وقد استشهد في غزاة مؤتة -: رأيته له جناحان يطير بهما مع الملائكة في الجنّة. وأنكر بعضهم حديث الأرواح وقال: إنّ الروح عرضٌ لا يجوز أن يتنعّم، وهذا لا يجوز، لأنّ الروح جسم رقيق هوائيّ مأخوذ من الريح، ويدلّ على ذلك أنّه يخرج من البدن ويرد عليه وهي الحسّاسة الفعّالة، دون البدن، وليست من الحياة في شيء لأنّ ضدّ الحياة الموت، وليس كذلك الروح وهذا قول عليّ بن عيسى. ﴿يُرْزَقُونَ﴾ من نعيم الجنّة غدوّاً وعشيّاً. وقيل: يرزقون النعيم في قبورهم ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ

(١) تفسير الرازي، ج ٩ ص ٤٢٨-٤٢٩.

ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ أي مسرورين بما أعطاهم الله من ضروب نعمه في الجنّة، وقيل: في قبورهم. وقيل: فرحين بما نالوا من الشهادة وجزائها ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ﴾ أي يسرّون بإخوانهم الّذين فارقوهم وهم أحياء في الدنيا على مناهجهم من الإيمان والجهاد، لعلمهم بأنّهم إذا استشهدوا لحقوا بهم وصاروا من كرامة الله تعالى إلى مثل ما صاروا إليه، يقولون: إخواننا يقتلون كما قتلنا؛ فيصيبون من النعيم مثل ما أصبنا.

وقيل: إنّه يؤتى الشهيد بكتاب فيه ذكر من تقدّم عليه من إخوانه فيسرّ بذلك ويستبشر كما يستبشر أهل الغائب بقدومه في الدنيا. وقيل: معناه: لم يلحقوا بهم في الفضل إلاّ أنّ لهم فضلاً عظيماً بتصديقهم وإيمانهم ﴿أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ أي يستبشرون بأن لا خوف عليهم، وذلك لأنّه بدلٌ من قوله: ﴿بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ﴾ لأنّ الّذين يلحقون بهم مشتملون على عدم الحزن، والاستبشار هنا إنّما يقع بعدم خوف هؤلاء اللاّحقين، ومعناه: لا خوف عليهم فيمن خلّفوه من ذرّيّتهم لأنّ الله تعالى يتولاهم ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ على ما خلّفوا من أموالهم لأنّ الله قد أجزل لهم ما عوّضهم. وقيل: معناه: لا خوف عليهم فيما يقدمون عليه لأنّ الله تعالى محّص ذنوبهم بالشهادة؛ ولا هم يحزنون على مفارقة الدنيا فرحاً بالآخرة ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ﴾ يعني هؤلاء الّذين قتلوا في سبيل الله ﴿بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ﴾ الفضل والنعمة عبارتان يعبّر بهما عن معنى واحد. وقيل: النعمة: ما استحقّوه بطاعتهم، والفضل: ما زادهم سبحانه من المضاعفة(١).

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أي يثبّتهم في كرامته وثوابه بقولهم الثابت الّذي وجد منهم وهو كلمة الإيمان، لأنّه ثابت بالحجج والأدلّة. وقيل: معناه: يثبت الله المؤمنين بسبب كلمة التوحيد وحرمتها في الحياة الدنيا حتّى لا يزلّوا ولا يضلّوا عن طريق الحقّ، ويثبّتهم بها في الآخرة حتّى لا يزلّوا ولا يضلّوا عن طريق الجنّة. وقيل: معناه: يثبّتهم بالتمكين في الأرض والنصرة والفتح في الدنيا، وبإسكانهم الجنّة في الآخرة. وقال أكثر المفسّرين أنّ المراد بقوله: ﴿فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ في القبر والآية وردت في سؤال القبر، وهو قول ابن عبّاس وابن مسعود، وهو المرويّ عن أئمّتنا عَلَيْهِمُ السَّلَامُ(٢).

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ يعني أنّ هؤلاء الكفّار إذا أشرفوا على الموت سألوا الله تعالى عند ذلك الرجعة إلى دار التكليف، فيقول أحدهم: ﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ﴾ وفي معناه قولان: أحدهما أنّهم استغاثوا أوّلاً بالله ثمّ رجعوا إلى مسألة الملائكة فقال لهم: ارجعوني، أي ردّوني إلى الدنيا؛ والآخر أنّه على عادة العرب في تعظيم المخاطب ﴿لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَـٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ أي في تركتي، أو في دنياي، فإنّه ترك الدنيا وصار

---

(١) مجمع البيان، ج ٢ ص ٤٤٤.

(٢) مجمع البيان، ج ٦ ص ٧٦.

إلى الآخرة، أو فيما ضيّعت وفرّطت أي في صلاتي وصيامي وطاعاتي؛ ثمَّ قال سبحانه في الجواب عن سؤالهم: ﴿كَلَّآ﴾ أي لا يرجع إلى الدنيا ﴿إِنَّهَا﴾ أي مسألة الرجعة ﴿كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا﴾ أي كلام يقوله ولا فائدة له في ذلك، أو كلمة يقولها بلسانه وليس لها حقيقة، مثل قوله: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ ﴿وَمِن وَرَآئِهِم﴾ أي ومن بين أيديهم ﴿بَرْزَخٌ﴾ أي حاجز بين الموت والبعث في القيامة من القبور. وقيل: حاجز بينهم وبين الرجوع إلى الدنيا وهم فيه ﴿إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ وقيل: البرزخ: الإمهال إلى يوم القيامة وهو القبر، وكلّ فصل بين شيئين فهو برزخ(١).

وقال رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾: اختلف في معناه على وجوه: أحدها أنَّ الإماتة الأولى في الدنيا بعد الحياة، والثانية في القبر قبل البعث، والإحياء الأولى في القبر للمسألة، والثانية في الحشر، عن السدّيّ وهو اختيار البلخيّ.

وثانيها: أنَّ الإماتة الأُولى حال كونهم نطفاً فأحياهم الله في الدنيا، ثمَّ أماتهم الموتة الثانية، ثمَّ أحياهم للبعث، فهاتان حياتان ومماتان.

وثالثها: أنّ الحياة الأُولى في الدنيا، والثانية في القبر، ولم يرد الحياة يوم القيامة؛ والموتة الأُولى في الدنيا، والثانية في القبر انتهى(٢).

أقول: اختار الرازيّ في تفسيره الوجه الأوّل، ثمَّ ذكر عليه وجوهاً من الاعتراض وأجاب عنها ولا نطيل الكلام بذكرها.

وقال الشيخ البهائيّ قدّس الله روحه: اشتهر الاحتجاج في الكتب الكلاميّة في إثبات عذاب القبر بقوله تعالى: - حكايةً عن الكفّار - ﴿رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ الآية، وتقريره أنّه سبحانه حكى عنهم على وجه يشعر بتصديق الاعتراف بإماتتين وإحياءين، فإحدى الإماتتين في الدنيا، والأُخرى في القبر بعد السؤال، وأحد الإحيائين فيه للسؤال، والآخر في القيامة؛ وأمّا الإحياء في الدنيا فإنّما سكتوا لأنّ غرضهم الإحياء الّذي عرفوا فيه قدرة الله سبحانه على البعث، ولهذا قالوا: ﴿فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا﴾ أي بالذنوب الّتي حصلت بسبب إنكار الحشر، والإحياء في الدنيا لم يكونوا فيه معترفين بذنوبهم. قال المحقّق الشريف في شرح المواقف: إنّ تفسير هذه الآية على هذا الوجه هو الشائع المستفيض بين المفسّرين؛ ثمّ قال: وأمّا حمل الإماتة الأُولى على خلقهم أمواتاً في أطوار النطفة، وحمل الإماتة الثانية على الإماتة الطارئة على الحياة، وحمل الاحياءين على الإحياء في الدنيا والحشر فقد ردّ بأنّ الإماتة إنّما تكون بعد سابقة الحياة، ولا حياة في أطوار النطفة، وبأنّه قول شذّاذ من المفسّرين، والمعتمد هو قول الأكثرين. انتهى كلامه.

---

(١) مجمع البيان، ج ٧ ص ٢٠٨.
(٢) مجمع البيان، ج ٨ ص ٤٢٩.

فقد جعل التفسير بالوجه الأوّل مستفيضاً، وبالوجه الثاني شاذّاً، ويخطر بالبال أنّ الأمر بالعكس فإنّ الشائع المستفيض بين المفسّرين هو ما جعله شاذّاً، والشاذّ النادر هو ما جعله مستفيضاً، ولعلّ هذا من سهو قلمه، فإنّ التفاسير المشهورة الّتي عليها المدار في هذه الأعصار هي الكشّاف، ومفاتح الغيب، ومعالم التنزيل، ومجمع البيان، وجوامع الجامع، وتفسير النيشابوريّ، وتفسير البيضاويّ، ولم يختر أحدٌ من هؤلاء تفسير الآية بالوجه الأوّل، بل أكثرهم إنّما اختاروا التفسير الثاني.

وأمّا التفسير الأوّل فبعضهم نقله ثمّ زيّفه وبعضهم اقتصر على مجرّد نقله من غير ترجيح؛ فلو كان هو الشائع المستفيض كما زعمه السيّد المحقّق لما كان الحال على هذا المنوال؛ قال في الكشّاف: أراد بالإماتتين خلقهم أمواتاً أوّلاً، وإماتتهم عند انقضاء آجالهم، وبالإحيائين الإحياء الأول، وإحياء البعث.

ثمّ قال بعد ذلك: فإن قلت: كيف صحّ أن يسمّى خلقهم أمواتاً إماتةً؟ قلت: كما صحّ أن تقول: سبحان من صغّر جسم البعوضة وكبّر جسم الفيل، وقولك للحفّار: ضيّق فم الركيّة ووسّع أسفلها، وليس ثمّ نقل من كبر إلى صغر، ولا من صغر إلى كبر، ولا من ضيق إلى سعة، ولا من سعة إلى ضيق، وإنّما أردت الإنشاء على تلك الصفات، والسبب في صحّته أن الصغر والكبر جائزان معاً على المصنوع الواحد من غير ترجيح لأحدهما، وكذلك الضيق والسعة، فإذا اختار الصانع أحد الجائزين وهو متمكّن منهما على السواء فقد صرف المصنوع عن الجائز الآخر، فجعل صرفه عنه كنقله منه، ومن جعل الإماتتين الّتي بعد حياة الدنيا، والّتي بعد حياة القبر لزمه إثبات ثلاث إحياءات وهو خلاف ما في القرآن، إلاّ أن يتمحّل فيجعل إحداها غير معتدّ بها، أو يزعم أنّ الله يحييهم في القبور وتستمرّ بهم تلك الحياة فلا يموتون بعدها ويعدّهم في المستثنين من الصعقة في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ﴾.

فإن قلت: كيف تسبّب هذا لقوله: ﴿فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا﴾؟ قلت: قد أنكروا البعث فكفروا وتبع ذلك من الذنوب ما لا يحصى لأنّ من لم يخش العاقبة تخرّق في المعاصي، فلمّا رأوا الإماتة والإحياء قد تكرّرا عليهم علموا بأنّ الله تعالى قادرٌ على الإعادة قدرته على الإنشاء، فاعترفوا بذنوبهم الّتي اقترفوها من إنكار البعث، وما تبعه من معاصيهم. انتهى كلامه.

وقال الشيخ أمين الإسلام في جوامع الجامع: أراد بالإماتتين خلقهم أمواتاً أوّلاً، وإماتتهم عند انقضاء آجالهم؛ وبالإحيائين الإحياء الأول، وإحياء البعث. وقيل: الإماتتان هما الّتي في الدنيا بعد الحياة، والّتي في القبر قبل البعث، والإحياءان هما الذي في القبر للمساءلة، والذي في البعث انتهى. وفي كلام هذين الفاضلين كفاية والله الموفّق.

ثمّ قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وعساك تقول: إنّ تفسير الآية على ما هو الشائع المستفيض كما ذكرته يقتضي سكوت الكفّار عن الإحياء والإماتة الواقعين في القبر، فما السبب في سكوتهم

عنهما؟ فنقول: إنّ الحياة في القبر حياةٌ برزخيّةٌ ناقصة، ليس معها من آثار الحياة سوى الإحساس بالألم أو اللّذّة، حتّى أنّه قد توقّف بعض الأمّة في عود الروح إلى الميّت، فلذلك لم يعتدّوا بها في جنب الحياتين الأخريين، قال في شرح المقاصد: اتّفق أهل الحقّ على أنّه تعالى يعيد إلى الميّت في القبر نوع حياة قدر ما يتألّم ويلتذّ، لكن توقّفوا في أنّه هل يعاد الروح إليه أم لا؟ وما يتوهّم من امتناع الحياة بدون الروح ممنوع، وإنّما ذلك في الحياة الكاملة الّتي تكون معها القدرة والأفعال الاختياريّة. انتهى كلامه. والحقّ أنّ الروح يتعلّق به وإلاّ لما قدر على إجابة الملكين، ولكنّه تعلّقٌ ضعيفٌ، كما يشعر به ما رواه في الكافي عن الصادق عليه السلام في حديث طويل: فيدخل عليه ملكا القبر: منكر ونكير فيلقيان فيه الروح إلى حقويه، الحديث. وقد يستبعد تعلّق الروح بمن أكلته السباع، أو أحرق وتفرّقت أجزاؤه يميناً وشمالاً، ولا استبعاد فيه نظراً إلى قدرة الله سبحانه على حفظ أجزائه الأصليّة عن التفرّق، أو جمعها بعده، وتعلّق الروح بها تعلّقاً ما، وقد روي عن أئمّتنا عليهم السلام ما يدلّ على أنّ الأجزاء الأصليّة محفوظةٌ إلى يوم القيامة. انتهى كلامه ضاعف الله إكرامه.

أقول: الشيخ الطبرسيّ رحمه الله وإن اختار في الجوامع التفسير الثاني اختار في المجمع التفسير الأوّل حيث قدّمه على غيره، والرازيّ بالغ في اختيار الأوّل وذبّ عنه قول من أنكره، وقال: احتجّ أكثر العلماء بهذه الآية على إثبات عذاب القبر، والبيضاويّ ذكرهما وقدّم الثاني، لأنّه يقتصّ أثر الزمخشريّ غالباً فظهر أنّ ما ذكره السيّد الشريف ليس ببعيد عن الصواب في هذا الباب.

١ - **فس:** ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ الآية، فإنّه حدّثني أبي، عن ابن محبوب، عن أبي عبيدة الحذّاء، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: هم والله شيعتنا، إذا دخلوا الجنّة واستقبلوا الكرامة من الله استبشروا بمن لم يلحق بهم من إخوانهم من المؤمنين في الدنيا ﴿أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ وهو ردّ على من يبطل الثواب والعقاب بعد الموت[1].

٢ - **فس:** ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾ فإنّها نزلت في مانع الزكاة قوله: ﴿وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ قال: البرزخ هو أمر بين أمرين، وهو الثواب والعقاب بين الدنيا والآخرة، وهو ردّ على من أنكر عذاب القبر والثواب والعقاب قبل يوم القيامة، وهو قول الصادق عليه السلام: والله ما أخاف عليكم إلا البرزخ، فأمّا إذا صار الأمر إلينا فنحن أولى بكم وقال عليّ بن الحسين عليه السلام إنّ القبر روضةٌ من رياض الجنّة، أو حفرةٌ من حفر النيران[2].

---

(١) تفسير القمي، ج ١ ص ٣٤. (٢) تفسير القمي، ج ٢ ص ٦٩.

وأقول: قد مضى خبر عليّ بن الحسين عليه السلام في باب الموت أنّه عليه السلام تلا: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ قال: هو القبر، وإنّ لهم فيه لمعيشة ضنكاً، والله إن القبر لروضةٌ من رياض الجنّة، أو حفرة من حفر النيران. أقول: هذا الخبر يدلّ على أنّ المراد بالمعيشة الضنك في الآية هو عذاب القبر، ويؤيّده ذكر القيامة بعدها، وإليه ذهب كثير من المفسّرين، ولا يجوز أن يراد بها سوء الحال في الدنيا لأنّ كثيراً من الكفّار في الدنيا في معيشة طيبة هنيئة غير ضنك، والمؤمنين بالضدّ من ذلك.

قال الطبرسيّ رحمه الله: ﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ أي عيشاً ضيّقاً، وهو أن يقتر الله عليه الرزق، عقوبة له على إعراضه فإن وسّع عليه فإنّه يضيق عليه المعيشة بأن يمسكه ولا ينفقه على نفسه، وإن أنفقه فإنّ الحرص على الجمع وزيادة الطلب يضيق المعيشة عليه. وقيل: هو عذاب القبر، عن ابن مسعود وأبي سعيد الخدري والسدّيّ ورواه أبو هريرة مرفوعاً. وقيل: هو طعام الزقّوم والضريع في جهنّم لأنّ مآله إليها وإن كان في سعة من الدنيا وقيل: معناه: أن يكون عيشه منغّصاً بأن ينفق إنفاق من لا يوقن بالخلف. وقيل: وهو الحرام في الدنيا والّذي يؤدّي إلى النار. وقيل: عيشاً ضيقاً في الدنيا لقصرها وسائر ما يشوبها ويكدّرها، وإنّما العيش الرغد في الجنّة(١).

٣ - **كا:** عليّ، عن أبيه، عن حمّاد، عن حريز، عن زرارة قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: أرأيت الميّت إذا مات لم تجعل معه الجريدة؟ قال: يتجافى عنه العذاب والحساب ما دام العود رطباً، قال: والعذاب كلّه في يوم واحد، في ساعة واحدة، قدر ما يدخل القبر ويرجع القوم، وإنّما جعلت السعفتان لذلك فلا يصيبه عذاب ولا حساب بعد جفوفهما إن شاء الله(٢).

٤ - **كا:** عليّ، عن أبيه، عن عبد الله بن المغيرة، عن حريز، وفضيل وعبدالرحمن قالوا: قيل لأبي عبد الله عليه السلام: لأيّ شيء يوضع مع الميّت الجريدة؟ قال: إنّه يتجافى عنه العذاب ما دامت رطبة(٣)..

٥ - **ين:** ابن أبي البلاد، عن أبيه، عن بعض أصحابه يرفعه إلى النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال لبعض أصحابه: كيف أنت إذا أتاك فتّانا القبر؟ فقال: يارسول الله ما فتّانا القبر؟ قال: ملكان فظّان غليظان، أصواتهما كالرعد القاصف، وأبصارهما كالبرق الخاطف، يطآن في أشعارهما، ويحفران بأنيابهما، فيسألانك، قال: وأنا على مثل هذه الحال؟ قال: وأنت على مثل حالك هذه، قال: إذن أكفيهما(٤).

٦ - **شف:** من تفسير الحافظ محمّد بن مؤمن الشيرازيّ بإسناده رفعه قال: أقبل صخر بن

---

(١) مجمع البيان، ج ٧ ص ٦٣-٦٤. (٢) الكافي، ج ٣ ص ٧٩ باب ٩٥ ح ٤.

(٣) الكافي، ج ٣ ص ٨٠ باب ٩٥ ح ٧ وكلمة (العذاب) زيادة من المصدر.

(٤) الزهد، ص ١٦٤ باب ١٦ ح ٨.

حرب حتّى جلس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا محمّد هذا الأمر لنا بعدك أم لمن؟ قال: يا صخر الأمر بعدي لمن هو منّي بمنزلة هارون من موسى، فأنزل الله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ يعني يسألك أهل مكّة عن خلافة عليّ بن أبي طالب ﴿عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ۝ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ۝﴾ منهم المصدّق بولايته وخلافته، ومنهم المكذّب ﴿كَلَّا﴾ ردّ عليهم ﴿سَيَعْلَمُونَ﴾ سيعرفون خلافته بعدك أنّها حقّ يكون ﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾[1] سيعرفون خلافته وولايته إذ يُسألون عنها في قبورهم، فلا يبقى ميّت في شرق ولا غرب ولا في برّ ولا في بحر إلاّ ومنكر ونكير يسألانه عن ولاية أمير المؤمنين بعد الموت، يقولان للميّت: من ربّك؟ وما دينك؟ ومن نبيّك؟ ومن إمامك[2]؟.

٧ - **كا:** أبو عليّ الأشعريّ، عن محمّد بن عبد الجبّار، ومحمّد بن إسماعيل، عن الفضل ابن شاذان جميعاً، عن صفوان، عن ابن مسكان، عن الحسن بن زياد الصيقل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: الجريدة تنفع المؤمن والكافر[3].

٨ - **ج:** في حديث الزنديق الّذي سأل الصادق عليه السلام عن مسائل أن قال: أخبرني عن السراج إذا انطفأ أين يذهب نوره؟ قال: يذهب فلا يعود؛ قال: فما أنكرت أن يكون الإنسان مثل ذلك إذا مات وفارق الروح البدن لم يرجع إليه أبداً كما لا يرجع ضوء السراج إليه إذا انطفأ؟ قال: لم تصب القياس إنّ النار في الأجسام كامنةٌ والأجسام قائمةٌ بأعيانها كالحجر والحديد، فإذا ضرب أحدهما بالآخر سطعت من بينهما نار تقتبس منها سراج له ضوء، فالنار ثابتةٌ في أجسامها والضوء ذاهب، والروح جسم رقيقٌ قد أُلبس قالباً كثيفاً ليس بمنزلة السراج الّذي ذكرت؛ إنّ الّذي خلق في الرحم جنيناً من ماء صاف، وركّب فيه ضروباً مختلفةً من عروق وعصب وأسنان وشعر وعظام وغير ذلك هو يحييه بعد موته ويعيده بعد فنائه، قال: فأين الروح؟ قال: في بطن الأرض حيث مصرع البدن إلى وقت البعث؛ قال: فمن صلب أين روحه؟ قال: في كفّ الملك الّذي قبضها حتّى يودعها الأرض؛ قال: أفيتلاشى الروح بعد خروجه عن قالبه أم هو باق؟ قال: بل هو باق إلى وقت ينفخ في الصور، فعند ذلك تبطل الأشياء وتفنى، فلا حسّ ولا محسوس، ثمّ أُعيدت الأشياء كما بدأها مدبّرها، وذلك أربعمائة سنة تسبت فيها الخلق، وذلك بين النفختين[4].

أقول: سيأتي تمام الخبر مشروحاً في كتاب الاحتجاجات.

٩ - **ين:** القاسم، وعثمان بن عيسى، عن عليّ، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ سعداً لمّا مات شيّعه سبعون ألف ملك، فقام رسول الله صلى الله عليه وآله على قبره فقال: ومثل سعد يضمّ، فقالت أمّه: هنيئاً لك يا سعد وكرامةً؛ فقال لها رسول الله: يا أُمّ سعد لا تحتمي

---

(١) سورة النبأ، الآيات: ١-٥.
(٢) اليقين في إمرة أمير المؤمنين ص ٤.
(٣) الكافي، ج ٣ ص٧٩ باب ٩٥ ح ١.
(٤) الاحتجاج، ص٣٤٩.

على الله، فقالت: يا رسول الله قد سمعناك وما تقول في سعد، فقال: إنّ سعداً كان في لسانه غلظ على أهله(١).

١٠ - وقال أبو بصير: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن رقيّة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا ماتت قام رسول الله صلى الله عليه وآله على قبرها، فرفع يده تلقاء السماء ودمعت عيناه، فقالوا له: يارسول الله إنّا قد رأيناك رفعت رأسك إلى السماء ودمعت عيناك، فقال: إنّي سألت ربّي أن يهب لي رقيّة من ضمّة القبر(٢).

١١ - **فس:** أحمد بن إدريس، عن أحمد بن محمّد، عن ابن أبي عمير، عن إسحاق بن عبد العزيز، عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾ قال: في قبره ﴿وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾ قال: في الآخرة ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾﴾ في القبر ﴿وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾(٣).

١٢ - **فس:** وأمّا الردّ على من أنكر الثواب والعقاب فقوله: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾(٤) فإذا قامت القيامة تبدّل السماوات والأرض، وقوله: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ فأمّا الغدوّ والعشيّ إنّما يكونان في الدنيا في دار المشركين، وأمّا في القيامة فلا يكون غدوٌّ ولا عشيٌّ، وقوله: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ يعني في جنان الدنيا الّتي ينقل إليها أرواح المؤمنين، فأمّا في جنّات الخلد فلا يكون غدوٌّ ولا عشيٌّ وقوله: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ فقال الصادق عليه السلام: البرزخ: القبر، وهو الثواب والعقاب بين الدنيا والآخرة، والدليل على ذلك أيضاً قول العالم عليه السلام: والله ما يخاف عليكم إلاّ البرزخ؛ وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ وقال الصادق عليه السلام: يستبشرون والله في الجنّة بمن لم يلحق بهم من خلفهم من المؤمنين في الدنيا، ومثله كثير ممّا هو ردّ على من أنكر عذاب القبر(٥).

١٣ - **ما:** فيما كتب أمير المؤمنين عليه السلام لمحمّد بن أبي بكر: يا عباد الله ما بعد الموت لمن لا يغفر له أشدّ من الموت، القبر فاحذروا ضيقه وضنكه وظلمته وغربته، إنّ القبر يقول كلّ يوم: أنا بيت الغربة، أنا بيت التراب، أنا بيت الوحشة، أنا بيت الدود والهوامّ؛ والقبر

---

(١) - (٢) الزهد، ص ١٦٢ باب ١٦ ح ٣-٤.

(٣) تفسير القمي، ج٢ ص ٣٢٩ في تفسيره لسورة الواقعة الآيات: ٨٨-٩٤.

(٤) سورة هود، الآيات: ١٠٥-١٠٧.

(٥) تفسير القمي، ج ١ ص ٣١ وفيه: فالغدوّ والعشيّ إنما . . . وهو الصواب.

روضةٌ من رياض الجنّة، أو حفرة من حفر النار، إن العبد المؤمن إذا دفن قالت له الأرض: مرحباً وأهلاً، قد كنت ممّن أحبّ أن تمشي على ظهري، فإذا وليتك فستعلم كيف صنيعي بك؛ فيتّسع له مدّ البصر، وإنّ الكافر إذا دفن قالت له الأرض: لا مرحباً بك ولا أهلاً، لقد كنت من أبغض من يمشي على ظهري فإذا وليتك فستعلم كيف صنيعي بك، فتضمّه حتّى تلتقي أضلاعه، وإنّ المعيشة الضنك الّتي حذّر الله منها عدوّه عذاب القبر، إنّه يسلّط على الكافر في قبره تسعة وتسعين تنّيناً فينهشن لحمه، ويكسرن عظمه، يتردّدن عليه كذلك إلى يوم يبعث؛ لو أنّ تنّيناً منها نفخ في الأرض لم تنبت زرعاً؛ يا عباد الله إنّ أنفسكم الضعيفة وأجسادكم الناعمة الرقيقة الّتي يكفيها اليسير تضعف عن هذا، فإن استطعتم أن تجزعوا لأجسادكم وأنفسكم بما لا طاقة لكم به ولا صبر لكم عليه فاعملوا بما أحبّ الله واتركوا ما كره الله[1].

بيان: قوله عليه السلام: تسعة وتسعين تنّيناً قال الشيخ البهائيّ رحمه الله: قال بعض أصحاب الحال: ولا ينبغي أن يتعجّب من التخصيص بهذا العدد، فلعلّ عدد هذه الحيّات بقدر عدد الصفات المذمومة من الكبر والرياء والحسد والحقد وسائر الأخلاق والملكات الرديّة، فإنّها تنشعب وتتنوّع أنواعاً كثيرةً، وهي بعينها تنقلب حيّات في تلك النشأة. انتهى كلامه. ولبعض أصحاب الحديث في نكتة التخصيص بهذا العدد وجه ظاهريّ إقناعيّ، محصّله أنّه قد ورد في الحديث أنّ لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنّة، ومعنى إحصائها الإذعان باتّصافه عزّ وعلا بكلّ منها، وروى الصادق عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: إنّ لله مائة رحمة، أنزل منها رحمةً واحدةً بين الجنّ والإنس والبهائم، وأخّر تسعة وتسعين رحمةً يرحم بها عباده، فتبيّن من الحديث الأوّل أنّه سبحانه بيّن لعباده معالم معرفته بهذه الأسماء التسعة والتسعين، ومن الحديث الثاني أنّ لهم عنده في النشأة الأخرويّة تسعة وتسعين رحمة، وحيث إنّ الكافر لم يعرف الله سبحانه بشيء من تلك الأسماء جعل له في مقابل كلّ اسم رحمة تنّين ينهشه في قبره. هذا حاصل كلامه وهو كما ترى.

١٤ - ع، **لي:** عليّ بن الحسين بن الشقير الهمدانيّ، عن جعفر بن أحمد بن يوسف، عن عليّ بن بزرج الخيّاط، عن عمر بن اليسع، عن عبد الله بن اليسع، عن ابن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أتي رسول الله صلى الله عليه وآله فقيل له: إنّ سعد بن معاذ قد مات، فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وقام أصحابه معه، فأمر بغسل سعد وهو قائم على عضادة الباب، فلمّا أن حنّط وكفّن وحمل على سريره تبعه رسول الله صلى الله عليه وآله بلا حذاء ولا رداء، ثمّ كان يأخذ يمنة السرير مرّةً ويسرة السرير مرّة حتّى انتهى به إلى القبر، فنزل رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى لحّده وسوّى اللّبن عليه، وجعل يقول: ناولوني حجراً، ناولوني تراباً رطباً، يسدّ به ما بين اللّبن، فلمّا أن فرغ

---

(١) أمالي الطوسي ص ٢٨ مجلس ١ ضمن ح ٣١.

وحثا التراب عليه وسوّى قبره قال رسول الله ﷺ: إنّي لأعلم أنّه سيبلى ويصل البلى إليه، ولكنّ الله يحبّ عبداً إذا عمل عملاً أحكمه، فلمّا أن سوّى التربة عليه قالت أمّ سعد: يا سعد هنيئاً لك الجنّة، فقال رسول الله ﷺ: يا أمّ سعد مه، لا تجزمي على ربّك فإنّ سعداً قد أصابته ضمّة؛ قال: فرجع رسول الله ﷺ ورجع الناس فقالوا له: يارسول الله لقد رأيناك صنعت على سعد ما لم تصنعه على أحد، إنّك تبعت جنازته بلا رداء ولا حذاء، فقال ﷺ: إنّ الملائكة كانت بلا رداء ولا حذاء فتأسّيت بها، قالوا: وكنت تأخذ يمنة السرير مرّةً، ويسرة السرير مرّةً، قال: كانت يدي في يد جبرئيل آخذ حيث يأخذ، قالوا: أمرت بغسله وصلّيت على جنازته ولحّدته في قبره ثمّ قلت: إنّ سعداً قد أصابته ضمّة! قال: فقال ﷺ: نعم إنّه كان في خلقه مع أهله سوء[1].

ما: الغضائريّ عن الصدوق مثله. «ص ٤٢٧ مجلس ١٥ ح ٩٥٥».

١٥ - **لي:** العطّار، عن أبيه، عن البرقيّ، عن محمّد بن عليّ الكوفيّ، عن التفليسيّ، عن إبراهيم بن محمّد، عن الصادق، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله ﷺ: مرّ عيسى بن مريم عليه السلام بقبر يعذّب صاحبه، ثمّ مرّ به من قابل فإذا هو ليس يعذّب، فقال: يا ربّ مررت بهذا القبر عام أوّل فكان صاحبه يعذّب، ثمّ مررت به العام فإذا هو ليس يعذّب؟ فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: ياروح الله إنّه أدرك له ولد صالح فأصلح طريقاً وآوى يتيماً فغفرت له بما عمل ابنه[2].

١٦ - **ثو، لي:** ابن الوليد، عن الصفّار، عن ابن هاشم، عن النوفليّ، عن السكونيّ، عن الصادق، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله ﷺ: ضغطة القبر للمؤمن كفّارةٌ لما كان منه من تضييع النعم[3].

ع: أبي، عن عليّ، عن أبيه، عن النوفليّ مثله. «ج ١ ص ٣٧٠ باب ٢٦٢ ح ٣».

١٧ - **لي:** ابن الوليد، عن سعد، بن البرقيّ، عن ابن أبي نجران، والحسين بن سعيد معاً، عن حمّاد، عن حريز، عن أبان بن تغلب، عن الصادق عليه السلام قال: من مات ما بين زوال الشمس يوم الخميس إلى زوال الشمس من يوم الجمعة من المؤمنين أعاذه الله من ضغطة القبر[4].

ثو: أبي، عن أحمد بن إدريس، عن الأشعريّ عن عليّ بن إسماعيل عن حمّاد مثله[5].

---

(١) علل الشرائع، ج ١ ص ٣٧٠ باب ٢٦٢ ح ٤، وأمالي الصدوق، ص ٣١٤ مجلس ٦١ ح ٢.
(٢) أمالي الصدوق، ص ٤١٤ مجلس ٧٧ ح ٨.
(٣) ثواب الأعمال، ص ٢٣٤ ح ١ أمالي الصدوق ص ٤٣٤ مجلس، ٨٠ ح ٢.
(٤) أمالي الصدوق، ص ٢٣١ مجلس ٤٧ ح ١١.
(٥) ثواب الأعمال، ص ٢٣٠.

١٨ - ع: ابن الوليد، عن الصفّار، عن السنديّ بن محمّد، عن صفوان بن يحيى، عن صفوان بن مهران، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أُقعد رجلٌ من الأخيار في قبره، فقيل له: إنّا جالدوك مائة جلدة من عذاب الله، فقال: لا أطيقها، فلم يزالوا به حتّى انتهوا إلى جلدة واحدة فقالوا: ليس منها بدّ، قال: فبما تجلدونيها؟ قالوا: نجلدك لأنّك صلّيت يوماً بغير وضوء، ومررت على ضعيف فلم تنصره؛ قال: فجلدوه جلدةً من عذاب الله عزّ وجلّ فامتلأ قبره ناراً[1].

١٩ - ين: فضالة، عن أبان، عن بشير النبّال قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: خاطب رسول الله صلى الله عليه وآله قبر سعد فمسحه بيده واختلج بين كتفيه، فقيل له: يا رسول الله رأيناك خاطبت واختلج بين كتفيك وقلت: سعد يفعل به هذا! فقال: إنّه ليس من مؤمن إلاّ وله ضمّة[2].

٢٠ - ين: عليّ بن النعمان، عن ابن مسكان، عن سليمان بن خالد قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عمّا يلقى صاحب القبر، فقال: إنّ ملكين يقال لهما: منكر ونكير يأتيان صاحب القبر فيسألانه عن رسول الله صلى الله عليه وآله فيقولان: ما تقول في هذا الرجل الّذي خرج فيكم؟ فيقول: من هو؟ فيقولان: الّذي كان يقول: إنّه رسول الله، أحقّ ذلك؟ قال: فإذا كان من أهل الشكّ قال: ما أدري، قد سمعت الناس يقولون، فلست أدري أحقّ ذلك أم كذب؟ فيضربانه ضربةً يسمعها أهل السماوات وأهل الأرض إلاّ المشركين، وإذا كان متيقّناً فإنّه لا يفزع فيقول: أعن رسول الله تسألاني؟ فيقولان: أتعلم أنّه رسول الله؟ فيقول: أشهد أنّه رسول الله حقّاً، جاء بالهدى ودين الحقّ، قال: فيرى مقعده من الجنّة ويفسح له عن قبره، ثمّ يقولان له: نم نومةً ليس فيها حلم في أطيب ما يكون النائم[3].

٢١ - ع: عليّ بن حاتم، عن أحمد بن محمّد الهمدانيّ، عن المنذر بن محمّد، عن الحسين ابن محمّد، عن عليّ بن القاسم، عن أبي خالد، عن زيد بن عليّ، عن أبيه، عن جدّه، عن عليّ عليه السلام قال: عذاب القبر يكون من النميمة، والبول، وعزب الرجل عن أهله[4].

٢٢ - لي: عليّ بن حاتم، عن عليّ بن الحسين النحويّ، عن البرقيّ، عن أبيه، عن سليمان بن مقبل، عن موسى بن جعفر، عن أبيه عليه السلام قال: إذا مات المؤمن شيّعه سبعون ألف ملك إلى قبره، فإذا أُدخل قبره أتاه منكر ونكير فيقعدانه ويقولان له: من ربّك؟ وما دينك؟ ومن نبيّك؟ فيقول: ربّي الله، ومحمد نبيّي، والإسلام ديني، فيفسحان له في قبره مدّ بصره، ويأتيانه بالطعام من الجنّة، ويدخلان عليه الروح والريحان، وذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾ يعني في قبره ﴿وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾ يعني في الآخرة، ثمّ قال عليه السلام: إذا مات الكافر شيّعه سبعون ألفاً من الزبانية إلى قبره، وإنّه ليناشد حامليه بصوت

---

(١) علل الشرائع، ج ١ ص ٣٥٩ باب ٢٦٢ ح١.

(٢) - (٣) الزهد، ص ١٦٢ باب ١٦ ح ٥-٦. (٤) علل الشرائع، ج ١ ص ٣٦٠ باب ٢٦٢ ح٢.

يسمعه كلّ شيء إلاّ الثقلان ويقول: لو أنّ لي كرّة فأكون من المؤمنين، ويقول: ارجعون لعلّي أعمل صالحاً فيما تركت، فتجيبه الزبانية، كلاّ إنّها كلمةٌ أنت قائلها، ويناديهم ملك: لو ردّ لعاد لما نهي عنه، فإذا أُدخل قبره وفارقه الناس أتاه منكر ونكير في أهول صورة فيقيمانه ثمّ يقولان له: من ربّك؟ وما دينك؟ ومن نبيّك؟ فيتلجلج لسانه ولا يقدر على الجواب، فيضربانه ضربةً من عذاب الله يذعر لها كلّ شيء، ثمّ يقولان له: من ربّك؟ وما دينك؟ ومن نبيّك؟ فيقول: لا أدري فيقولان له: لا دريت ولا هديت ولا أفلحت؛ ثمّ يفتحان له باباً إلى النار وينزلان إليه من الحميم من جهنّم، وذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾﴾ يعني في القبر ﴿وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾ يعني في الآخرة[1].

٢٣ - لي: القطّان، عن السكّريّ، عن الجوهري، عن ابن عمارة، عن أبيه قال: قال الصادق عليه السلام: من أنكر ثلاثة أشياء فليس من شيعتنا: المعراج، والمسألة في القبر، والشفاعة[2].

٢٤ - لي: أبي، عن الحميريّ، عن ابن عيسى، عن ابن محبوب، عن عبد الله بن غالب، عن أبيه، عن سعيد بن المسيّب قال: كان عليّ بن الحسين صلوات الله عليه يعظ الناس ويزهّدهم في الدنيا، ويرغّبهم في أعمال الآخرة بهذا الكلام في كلّ جمعة في مسجد الرسول صلى الله عليه وآله وحفظ عنه وكتب، كان يقول: أيّها الناس اتّقوا الله، واعلموا أنّكم إليه ترجعون، فتجد كلّ نفس ما عملت في هذه الدنيا من خير محضراً وما عملت من سوء تودّ لو أنّ بينها وبينه أمداً بعيداً، ويحذّركم الله نفسه، ويحك ابن آدم الغافل! وليس بمغفول عنه! ابن آدم إنّ أجلك أسرع شيء إليك، قد أقبل نحوك حثيثاً يطلبك، ويوشك أن يدركك، وكأن قد أوفيت أجلك، وقبض الملك روحك، وصرت إلى منزل وحيداً فردّ إليك فيه روحك، واقتحم عليك فيه ملكاك: منكر ونكير لمساءلتك وشديد امتحانك، ألا وإنّ أوّل ما يسألانك عن ربّك الّذي كنت تعبده، وعن نبيّك الّذي أُرسل إليك، وعن دينك الّذي كنت تدين به، وعن كتابك الّذي كنت تتلوه، وعن إمامك الّذي كنت تتولاه، ثمّ عن عمرك فيما أفنيته؟ ومالك من أين اكتسبته وفيما أتلفته؟ فخذ حذرك وانظر لنفسك، وأعدّ للجواب قبل الامتحان والمسألة والاختبار، فإن تك مؤمناً تقياً، عارفاً بدينك، متّبعاً للصادقين، موالياً لأولياء الله لقّاك الله حجّتك، وأنطق لسانك بالصواب فأحسنت الجواب، فبشّرت بالجنّة والرضوان من الله، والخيرات الحسان، واستقبلتك الملائكة بالروح والريحان، وإن لم تكن كذلك تلجلج لسانك، ودحضت حجّتك، وعميت عن الجواب، وبشّرت بالنار، واستقبلتك ملائكة العذاب بنزل من حميم وتصلية جحيم[3].

---

(١) أمالي الصدوق، ص ٢٣٩ مجلس ٤٨ ح ١٢. (٢) أمالي الصدوق، ص ٢٤٢ مجلس ٤٩ ح٥.
(٣) أمالي الصدوق، ص ٤٠٧ مجلس ٧٦ ح١.

أقول: تمامه في أبواب المواعظ.

٢٥ - **فس:** أبي، عن النضر، عن يحيى الحلبيّ، عن عبد الحميد الطائيّ، عن محمّد بن مسلم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ العبد إذا أُدخل قبره أتاه منكر ففزع منه يسأل عن النبيّ صلى الله عليه وآله فيقول له: ما تقول في هذا الرجل الّذي كان بين أظهركم؟ فإن كان مؤمناً قال: أشهد أنّه رسول الله جاء بالحقّ، فيقال له: ارقد رقدةً لا حلم فيها، ويتنحّى عنه الشيطان، ويفسح له في قبره سبعة أذرع، ويرى مكانه من الجنّة، قال: وإذا كان كافراً قال: ما أدري، فيضرب ضربةً يسمعها كلّ من خلق الله إلاّ الإنسان ويسلّط عليه الشيطان، وله عينان من نحاس أو نار كالبرق الخاطف فيقول له: أنا أخوك، ويسلّط عليه الحيّات والعقارب، ويظلم عليه قبره، ثمّ يضغطه ضغطةً تختلف أضلاعه عليه، ثمّ قال بأصابعه فشرجها[1].

بيان: ثمّ قال بأصابعه القول هنا بمعنى الفعل، أي أدخل أصابعه بعضها في بعض لتوضيح اختلاف الأضلاع، أي تدخل أضلاعه من جانب في أضلاعه من جانب آخر. وقوله: شرجها، في أكثر النسخ بالجيم، قال الفيروزآباديّ: الشرج: الفرقة، والمزج والجمع ونضد اللّبن، والتشريج: الخياطة المتباعدة، وتشرّج اللّحم بالشحم: تداخل. انتهى. وفي بعض النسخ بالحاء المهملة أي أوضح وبيّن اختلاف الأضلاع.

٢٦ - **فس:** أبي، عن عليّ بن مهزيار، عن عمرو بن عثمان، عن المفضّل بن صالح، عن جابر، عن إبراهيم بن العلاء، عن سويد بن غفلة، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: إنّ ابن آدم إذا كان في آخر يوم من الدنيا وأوّل يوم من الآخرة مثّل له ماله وولده وعمله، فيلتفت إلى ماله فيقول: والله إنّي كنت عليك لحريصاً شحيحاً، فما لي عندك؟ فيقول: خذ منّي كفنك، ثمّ يلتفت إلى ولده فيقول: والله إنّي كنت لكم لمحبّاً، وإنّي كنت عليكم لمحامياً، فماذا لي عندكم؟ فيقولون: نؤدّيك إلى حفرتك ونواريك فيها؛ ثمّ يلتفت إلى عمله فيقول: والله إنّي كنت فيك لزاهداً، وإنّك كنت عليّ لثقيلاً، فماذا عندك؟ فيقول: أنا قرينك في قبرك، ويوم حشرك حتّى أُعرض أنا وأنت على ربّك، فإن كان لله وليّاً أتاه أطيب الناس ريحاً، وأحسنهم منظراً، وأزينهم رياشاً، فيقول: أبشر بروح من الله وريحان وجنّة نعيم، قد قدمت خير مقدم، فيقول: من أنت؟ فيقول: أنا عملك الصالح، ارتحل من الدنيا إلى الجنّة، وإنّه ليعرف غاسله، ويناشد حامله أن يعجّله، فإذا أُدخل قبره أتاه ملكان وهما فتّانا القبر، يجرّان أشعارهما، ويبحثان الأرض بأنيابهما، وأصواتهما كالرعد القاصف، وأبصارهما كالبرق الخاطف، فيقولان له: من ربّك ومن نبيّك وما دينك؟ فيقول: الله ربّي، ومحمّد نبيّي، والإسلام ديني، فيقولان: ثبّتك الله فيما تحبّ وترضى، وهو قول الله: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ الآية، فيفسحان له في قبره مدّ بصره، ويفتحان له باباً إلى

(١) تفسير القمي، ج ٢ ص ١٢٠.

الجنّة، ويقولان له: نم قرير العين نوم الشابّ الناعم، وهو قوله: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾[١] وإذا كان لربّه عدوّاً فإنّه يأتيه أقبح خلق الله رياشاً، وأنتنه ريحاً، فيقول له: أبشر بنزل من حميم، وتصلية جحيم؛ وإنّه ليعرف غاسله، ويناشد حامله أن يحبسه، فإذا أُدخل قبره أتياه ممتحنا القبر فألقيا عنه أكفانه، ثمّ قالا له: من ربّك؟ ومن نبيّك؟ وما دينك؟ فيقول: لا أدري! فيقولان له: ما دريت ولا هديت، فيضربانه بمرزبة ضربة ما خلق الله دابّة إلاّ وتذعر لها ما خلا الثقلين، ثمّ يفتحان له باباً إلى النار، ثمّ يقولان له: نم بشرّ حال؛ فهو من الضيق مثل ما فيه القنا من الزجّ حتّى أنّ دماغه يخرج من بين ظفره ولحمه، ويسلّط الله عليه حيّات الأرض وعقاربها وهوامّها فتنهشه حتّى يبعثه الله من قبره، وإنّه ليتمنّى قيام الساعة ممّا هو فيه من الشرّ[٢].

٢٧ - **ما:** ابن الصلت، عن ابن عقدة، عن قاسم بن جعفر بن أحمد، عن عباد بن أحمد القزوينيّ، عن عمّه، عن أبيه، عن جابر، عن إبراهيم بن عبد الأعلى، عن سويد بن غفلة ذكر أنَّ عليّ بن أبي طالب وعبدالله بن عبّاس ذكرا أنَّ ابن آدم إذا كان في آخر يوم من الدنيا وأوّل يوم من الآخرة مثّل له ماله وولده وعمله. وساق الحديث مثل ما مرّ[٣].

شي: عن ابن غفلة مثله[٤].

٢٨ - **كا:** عليّ، عن أبيه، عن عمرو بن عثمان؛ وعدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن البزنطيّ والحسن بن عليّ جميعاً، عن أبي جميلة، عن جابر، عن عبد الأعلى، وعليّ بن إبراهيم، عن محمّد بن عيسى، عن يونس، عن إبراهيم بن عبد الأعلى، عن سويد بن غفلة مثله؛ وقال في آخره: وقال جابر: قال أبو جعفر عليه السلام: قال النبيّ صلى الله عليه وآله: إنّي كنت أنظر إلى الإبل والغنم وأنا أرعاها - وليس من نبيّ إلاّ وقد رعى الغنم - وكنت أنظر إليها قبل النبوّة وهي متمكّنة في المكينة ما حولها شيء يهيّجها حتّى تذعر فتطير، فأقول: ما هذا؟ وأعجب، حتّى حدّثني جبرئيل عليه السلام أنّ الكافر يضرب ضربةً ما خلق الله شيئاً إلاّ سمعها ويذعر لها إلاّ الثقلين؛ فقلنا: ذلك لضربة الكافر، فنعوذ بالله من عذاب القبر[٥].

بيان: قوله عليه السلام: مثّل له أي صوّر له كلّ من الثلاثة بصورة مثاليّة يخاطبها وتخاطبه ويجوز أن يراد بالتمثّل خطور هذه الثلاثة بالبال وحضور صورها في الخيال، وحينئذ يكون المخاطبة بلسان الحال لا بلسان المقال. والشحّ: البخل مع الحرص، والزهد في الشيء: ضدّ الرغبة فيه. الرياش: اللّباس الفاخر، وقال الجزريّ: فيه: تفتنون في القبور. يريد مسألة منكر ونكير من فتنة الامتحان والاختبار.

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٢٤.
(٢) تفسير القمي، ج ١ ص ٣٧١.
(٣) أمالي الطوسي، ص ٣٤٧ مجلس ١٢ ح ٧١٩.
(٤) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٢٤٤ ح ٢٠.
(٥) الكافي، ج ٣ ص ١١٩ باب ١٥٨ ذيل حديث ١ وفيه: فقلت: ذلك...

قوله عليه السلام: يخدّان الأرض[1] أي يشقّانها؛ والقاصف: الشديد الصوت. قوله عليه السلام: وهو قول الله الضمير عائد إلى قول الملكين: ثبّتك الله، والمضاف محذوف، والتقدير: هو مدلول قول الله عزّ وجلّ. وقيل: هو عائد إلى تثبيت المؤمن على ما يجيب به الملكين، كما يدلّ عليه ما روي عن النبيّ صلّى الله عليه وآله أنّه ذكر قبض روح المؤمن فقال: ثمّ يعاد روحه في جسده، ويأتيه ملكان فيجلسانه في قبره ويقولان له: من ربّك؟ وما دينك؟ فيقول: ربّي الله، وديني الإسلام، ونبيّي محمّد، فينادي مناد من السماء: أن صدق عبدي. فذلك قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾[2].

والفسحة بالضمّ السعة، والمراد بمدّ البصر مداه وغايته الّتي ينتهي إليها؛ وقرّة العين: برودتها وانقطاع بكائها ورؤيتها ما كانت مشتاقة إليه، والقرّة بالضمّ: ضدّ الحرّ، والعرب تزعم أنّ دمع الباكي من شدّة السرور باردٌ، ودمع الباكي من الحزن حارٌّ، فقرّة العين كنايةٌ عن الفرح والسرور. والناعم من النعمة بالكسر وهو ما يتنعّم به من المال ونحوه، أو بالفتح وهي نفس التنعّم، ولعلّ الثاني أولى.

قوله تعالى: ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ﴾ المراد اليوم المذكور في قوله تعالى قبل هذه الآية: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾[3] وهذا الحديث يدلّ على أنّ المراد بذلك اليوم يوم الموت، وبالملائكة ملائكة الموت، وهو قول كثير من المفسّرين، وفسّر بعضهم ذلك اليوم بيوم القيامة، والملائكة بملائكة النار، والمراد بالمستقرّ المكان الّذي يستقرّ فيه، وبالمقيل مكان الاستراحة، مأخوذٌ من مكان القيلولة؛ قال الشيخ البهائيّ رحمه الله: ويحتمل أن يراد بأحدهما الزمان أي إنّ مكانهم وزمانهم أطيب ما يتخيّل من الأمكنة والأزمان، ويحتمل المصدريّة فيهما، أو في أحدهما.

أبشر بنزل من حميم البشارة هنا على سبيل التهكّم، والنزل بضمّتين: ما يعدُّ للضيف النازل على الإنسان من الطعام والشراب، وفيه تهكّم أيضاً. والحميم: الماء الشديدة الحرارة، يسقى منه أهل النار، أو يصب على أبدانهم، والأنسب بالنزل السقي. والتصلية التلويح على النار. أتاه ممتحنا القبر إضافة اسم الفاعل إمّا إلى معموله على حذف المضاف أي ممتحنا صاحب القبر، أو إلى غير معموله كمصارع مصر وهذا أولى، وتخصيص إلقاء الأكفان بعدوّ الله ظاهر لما فيه من الشناعة المناسبة لحاله. واليافوخ[4]: هو الموضع الّذي يتحرّك من رأس الطفل إذا كان قريب عهد بالولادة؛ والمرزبة بالراء المهملة والزاء المعجمة والباء الموحّدة: عصاة من حديد. والقنا جمع قناة وهي الرمح؛ والزجّ: الحديدة الّتي في أسفل الرمح.

---

(١) في خبر القمّي: يختان وفي الطوسي: يحكّان، وقد أوردها هنا: يبحثان.

(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٢٧. (٣) سورة الفرقان، الآية: ٢٢.

(٤) لم ترد هذه اللفظة في خبر القمي ووردت في الطوسي هكذا: فيضربان يافوخه بمرزبّة...

٢٩ - **ما:** الحفّار، عن إسماعيل بن عليّ الدعبليّ، عن أبيه، عن أخي دعبل، عن شعبة ابن الحجّاج، عن علقمة بن مزيد، عن سعد بن عبيدة، عن البراء بن عازب، عن النبيّ ﷺ في قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[١] قال: في القبر إذا سئل الموتى[٢].

أقول: سيأتي في باب الدفن في خبر فاطمة بنت أسد أنّه قال النبيّ ﷺ: والّذي نفس محمّد بيده لقد سمعت فاطمة تصفيق يميني على شمالي.

٣٠ - **فس:** في رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا﴾ يعني أرواح المؤمنين، سبق أرواحهم إلى الجنّة بمثل الدنيا، وأرواح الكافرين إلى النار بمثل ذلك[٣].

٣١ - **م:** قال عليّ بن أبي طالب عليه السلام: من قوّى مسكيناً في دينه، ضعيفاً في معرفته على ناصب مخالف فأفحمه لقّنه الله يوم يدلى في قبره أن يقول: الله ربّي، ومحمّد نبيّي، وعليّ وليّي، والكعبة قبلتي، والقرآن بهجتي وعدّتي، والمؤمنون إخواني، والمؤمنات أخواتي، فيقول الله: أدليت بالحجّة فوجبت لك أعالي درجات الجنّة، فعند ذلك يتحوّل عليه قبره أنزه رياض الجنّة[٤].

٣٢ - **ما:** المفيد، عن ابن قولويه، عن محمّد بن همام، عن الحميريّ، عن ابن عيسى، عن الحسين بن سعيد، عن القاسم بن محمّد، عن الحسين بن أحمد، عن ابن ظبيان قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فقال: ما يقول الناس في أرواح المؤمنين بعد موتهم؟ قلت: يقولون: في حواصل طيور خضر، فقال: سبحان الله المؤمن أكرم على الله من ذلك، إذا كان ذلك أتاه رسول الله ﷺ وعليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام ومعهم ملائكة الله عزّ وجلّ المقرّبون، فإن أنطق الله لسانه بالشهادة له بالتوحيد، وللنبيّ ﷺ بالنبوّة، والولاية لأهل البيت شهد على ذلك رسول الله ﷺ وعليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام والملائكة المقرّبون معهم؛ وإن اعتقل لسانه خصّ الله نبيّه ﷺ بعلم ما في قلبه من ذلك فشهد به، وشهد على شهادة النبيّ عليّ وفاطمة والحسن والحسين على جماعتهم من الله أفضل السلام، ومن حضر معهم من الملائكة، فإذا قبضه الله إليه صيّر تلك الروح إلى الجنّة في صورة كصورته فيأكلون ويشربون، فإذا قدم عليهم القادم عرفهم بتلك الصورة الّتي كانت في الدنيا[٥].

٣٣ - **لي:** ابن سعيد الهاشميّ، عن فرات، عن محمّد بن أحمد بن عليّ الهمدانيّ، عن

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٢٧.
(٢) أمالي الطوسي، ص ٣٧٧ مجلس ١٣ ح ٨٠٧.
(٣) تفسير القمي، ج ٢ ص ٣٩٦.
(٤) تفسير الإمام العسكري عليه السلام ص ٣٤٦ ح ٢٢٨.
(٥) أمالي الطوسي، ص ٤١٨ مجلس ١٤ ح ٩٤٢.

الحسن بن عليّ الشاميّ، عن أبيه، عن أبي جرير، عن عطاء الخراسانيّ رفعه عن عبد الرحمن ابن غنم قال: لمّا أسري بالنبيّ ﷺ مرّ على شيخ قاعد تحت شجرة وحوله أطفال، فقال رسول الله ﷺ: من هذا الشيخ يا جبرئيل؟ قال: هذا أبوك إبراهيم عليه السلام قال: فما هؤلاء الأطفال حوله؟ قال: هؤلاء أطفال المؤمنين حوله يغذوهم[(١)].

٣٤ - **فس:** أبي، عن سليمان الديلميّ، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ أطفال شيعتنا من المؤمنين تربّيهم فاطمة عليها السلام[(٢)].

٣٥ - **ثو:** أبي، عن سعد، عن أحمد بن محمّد، عن ابن محبوب، عن عبد الله بن مرحوم عن ابن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا دخل المؤمن قبره كانت الصلاة عن يمينه والزكاة عن يساره؛ والبرّ مطلّ عليه، ويتنحّى الصبر ناحيةً؛ قال: فإذا دخل عليه الملكان اللّذان يليان مساءلته قال الصبر للصلاة والزكاة والبرّ: دونكم صاحبكم، فإن عجزتم عنه فأنا دونه[(٣)].

بيان: أطلّ عليه: أشرف، وفي بعض النسخ بالظاء المعجمة.

٣٦ - **سن:** ابن محبوب رفعه عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من مات يوم الجمعة كتب له براءة من ضغطة القبر[(٤)].

٣٧ - **سن:** ابن فضّال، عن أبي جميلة، عن ابن طريف، عن أبي جعفر عليه السلام قال: من مات ليلة الجمعة كتب الله له براءةً من عذاب النار، ومن مات يوم الجمعة أُعتق من النار[(٥)].

٣٨ - وقال أبو جعفر عليه السلام: بلغني أنّ النبيّ ﷺ قال: من مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة رفع عنه عذاب القبر[(٦)].

٣٩ - **ير:** سلمة بن خطّاب، عن عبد الله بن محمّد، عن عبد الله بن القاسم، عن عيسى بن شلقان قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّ أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام كانت له خؤولة في بني مخزوم، وإنّ شابّاً منهم أتاه فقال: يا خالي إنّ أخي وابن أبي مات، وقد حزنت عليه حزناً شديداً، قال: فتشتهي أن تراه؟ قال: نعم، قال: فأرني قبره، فخرج ومعه برد رسول الله السحاب، فلمّا انتهى إلى القبر تململت شفتاه ثمّ ركضه برجله فخرج من قبره وهو يقول: رميكا - بلسان الفرس - فقال له عليّ عليه السلام: ألم تمت وأنت رجل من العرب؟ قال: بلى، ولكنّا متنا على سنّة فلان وفلان فانقلبت ألسنتنا[(٧)].

٤٠ - **ير:** عليّ بن الحسن بن فضّال، عن أبيه، عن علاء بن يحيى المكفوف، عن عمر بن

---

(١) أمالي الصدوق، ص ٣٦٥ مجلس ٦٩ ح ٢ وللحديث صدر وذيل.
(٢) تفسير القمي، ج ٢ ص ٣٠٩ في تفسيره لسورة الطور، الآية: ١٢.
(٣) لم أجده في ثواب الأعمال ولكنه في الكافي، ج ٢ ص ٣٨٠ باب الصبر ح ٨.
(٤) - (٦) المحاسن، ص ٦٠. (٧) بصائر الدرجات، ص ٢٦٢ ج ٦ باب ٤ ح ٣.

أبي زياد، عن عطيّة الأبزاريّ قال: طاف رسول الله ﷺ بالكعبة فإذا آدم بحذاء الركن اليمانيّ فسلّم عليه رسول الله ﷺ، ثمّ انتهى إلى الحجر فإذا نوح عليه السلام بحذائه رجل طويل فسلّم عليه رسول الله ﷺ[1].

٤١ - ير: محمّد بن الحسين، عن الحكم بن بكر، عن أبي سعيد المكاريّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن أمير المؤمنين عليه السلام لقي أبابكر فقال له: ما أمرك رسول الله ﷺ أن تطيعني؟ فقال: لا ولو أمرني لفعلت، قال: فانطلق بنا إلى مسجد قبا، فانطلق معه فإذا رسول الله ﷺ يصلّي، فلمّا انصرف قال عليّ: يارسول الله إنّي قلت لأبي بكر: ما أمرك رسول الله أن تطيعني؟ فقال: لا، فقال رسول الله ﷺ: بلى قد أمرتك فأطعه، قال: فخرج فلقي عمر وهو ذعر، فقال له: ما لك؟ فقال: قال رسول الله ﷺ كذا وكذا، قال: تبّاً لأمّتك، تترك أمرهم، ما تعرف سحر بني هاشم[2]؟

٤٢ - ير: محمّد بن عيسى، عن إبراهيم بن أبي البلاد، عن عبيد بن عبد الرحمن الخثعميّ، عن أبي إبراهيم عليه السلام قال: خرجت مع أبي إلى بعض أمواله، فلمّا برزنا إلى الصحراء استقبله شيخ، أبيض الرأس واللّحية، فسلّم عليه فنزل إليه أبي أسمعه يقول له: جعلت فداك، ثمّ جلسا فتساءلا طويلاً، ثمّ قام الشيخ وانصرف وودّع أبي، وقام ينظر في قفاه حتّى توارى عنه، فقلت لأبي: من هذا الشيخ الّذي سمعتك تقول له ما لم تقله لأحد؟ قال: هذا أبي[3].

٤٣ - ير: محمّد بن عيسى، عن عثمان بن عيسى، عمّن أخبره، عن عباية الأسديّ قال: دخلت على أمير المؤمنين عليه السلام وعنده رجل رثّ الهيئة، وأميرالمؤمنين عليه السلام مقبل عليه يكلّمه، فلمّا قام الرجل قلت: يا أمير المؤمنين من هذا الّذي أشغلك عنّا؟ قال: هذا وصيّ موسى عليه السلام[4].

أقول: قد أوردنا أمثال تلك الأخبار الدالّة على الأجساد المثاليّة في باب احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام على أبي بكر، وفي باب غصب الخلافة، وفي باب كفر الثلاثة، وفي باب أنّ الأئمّة عليهم السلام يظهرون بعد الموت، وفي أبواب المعجزات، فلا نوردها هنا حذراً من الإطالة والتكرار.

٤٤ - ير: إبراهيم بن هاشم، عن عليّ بن أسباط، عن بكر بن جناح، عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لمّا ماتت فاطمة بنت أسد أمّ أمير المؤمنين، جاء عليّ إلى النبيّ ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: يا أبا الحسن ما لك؟ قال: أمّي ماتت؛ قال: فقال النبيّ ﷺ:

---

(١) بصائر الدرجات، ص ٢٦٦ ج ٦ باب ٥ ح ١٣.
(٢) - (٣) بصائر الدرجات، ص ٢٦٩-٢٧٠ ج ٦ باب ٥ ح ١٧ و١٨.
(٤) بصائر الدرجات، ص ٢٧٠ ج ٦ باب ٥ ح ١٩.

وأمّي والله، ثمّ بكى، وقال: وا أمّاه ثمّ قال لعليّ عليه السلام: هذا قميصي فكفّنها فيه، وهذا ردائي فكفّنها فيه، فإذا فرغتم فآذنوني؛ فلمّا أخرجت صلّى عليها النبيّ صلى الله عليه وآله صلاةً لم يصل قبلها ولا بعدها على أحد مثلها، ثمّ نزل على قبرها فاضطجع فيه، ثمّ قال لها: يافاطمة! قالت: لبّيك يا رسول الله، فقال: فهل وجدت ما وعد ربّك حقّاً؟ قالت: نعم فجزاك الله خير جزاء، وطالت مناجاته في القبر، فلمّا خرج قيل: يارسول الله لقد صنعت بها شيئاً في تكفينك إيّاها ثيابك، ودخولك في قبرها، وطول مناجاتك، وطول صلاتك، ما رأيناك صنعته بأحد قبلها؛ قال: أمّا تكفيني إيّاها فإنّي لمّا قلت لها: يعرض الناس يوم يحشرون من قبورهم فصاحت وقالت وا سوأتاه! فلبّستها ثيابي وسألت الله في صلاتي عليها أن لا يبلي أكفانها حتّى تدخل الجنّة فأجابني إلى ذلك؛ وأمّا دخولي في قبرها فإنّي قلت لها يوماً: إنّ الميّت إذا أدخل قبره وانصرف الناس عنه دخل عليه ملكان: منكر ونكير فيسألانه، فقالت: وا غوثاه بالله، فما زلت أسأل ربّي في قبرها حتّى فتح لها باب من قبرها إلى الجنّة فصار روضةً من رياض الجنّة[1].

يج: مرسلاً مثله. «ج١ ص ٩٠».

٤٥ - **سن**: عثمان بن عيسى، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن جلّ عذاب القبر في البول[2].

٤٦ - **خص، ير**: الحسين بن محمّد، عن المعلّى، عن أبي الفضل المدينيّ، عن أبي مريم الأنصاريّ، عن منهال بن عمرو، عن زرّ بن حبيش قال: سمعت عليّاً عليه السلام يقول: إنّ العبد إذا أدخل حفرته أتاه ملكان اسمهما: منكر ونكير، فأوّل من يسألانه عن ربّه، ثمّ عن نبيّه، ثمّ عن وليّه، فإن أجاب نجا، وإن عجز عذّباه؛ فقال له رجل: ما لمن عرف ربّه ونبيّه ولم يعرف وليّه؟ فقال: مذبذب لا إلى هؤلاء، ولا إلى هؤلاء، ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلاً، ذلك لا سبيل له. وقد قيل للنبيّ صلى الله عليه وآله: من الوليّ يا نبيّ الله؟ قال: وليّكم في هذا الزمان عليّ، ومن بعده وصيّه، ولكلّ زمان عالم يحتجّ الله به لئلاّ يكون كما قال الضلاّل قبلهم حين فارقتهم أنبياؤهم: ﴿رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ﴾ تمام ضلالتهم جهالتهم بالآيات وهم الأوصياء، فأجابهم الله: ﴿قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا۟ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾[3] وإنّما كان تربّصهم أن قالوا: نحن في سعة عن معرفة الأوصياء حتّى نعرف إماماً، فعيّرهم الله بذلك، والأوصياء هم أصحاب الصراط، وقوف عليه، لا يدخل الجنّة إلاّ من عرفهم وعرفوه، ولا يدخل النار إلاّ من أنكرهم وأنكروه لأنّهم عرفاء الله، عرّفهم عليهم عند أخذ المواثيق عليهم، ووصفهم في كتابه فقال عزّ وجلّ: ﴿وَعَلَى

---

(١) بصائر الدرجات، ص ٢٧٤ ج ٦ باب ٧ ح ٩.

(٢) المحاسن، ص ٧٨.

(٣) سورة طه، الآيتان: ١٣٤، ١٣٥.

ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَٰهُمْ﴾ هم الشهداء على أوليائهم، والنبيّ الشهيد عليهم، أخذ لهم مواثيق العباد بالطاعة، وأخذ النبيّ ﷺ عليهم المواثيق بالطاعة، فجرت نبوّته عليهم، وذلك قول الله: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾﴾[(١)] [(٢)].

٤٧ - **سن:** أبي، عن حمزة بن عبد الله، عن جميل بن درّاج قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إنّ المؤمنين إذا أخذوا مضاجعهم أصعد الله بأرواحهم إليه، فمن قضى له عليه الموت جعله في رياض الجنّة في كنوز رحمته، ونور عزّته، وإن لم يقدّر عليها الموت بعث بها مع أمنائه من الملائكة إلى الأبدان الّتي هي فيها[(٣)].

٤٨ - **سن:** ابن فضّال، عن حمّاد بن عثمان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ذكر الأرواح: أرواح المؤمنين، فقال: يلتقون؛ قلت: يلتقون؟ قال: نعم ويتساءلون ويتعارفون حتّى إذا رأيته قلت: فلان[(٤)].

٤٩ - **سن:** ابن محبوب، عن إبراهيم بن إسحاق الجازيّ قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أين أرواح المؤمنين؟ فقال: أرواح المؤمنين في حجرات في الجنّة، يأكلون من طعامها، ويشربون من شرابها، ويتزاورون فيها، ويقولون: ربّنا أقم لنا الساعة لتنجز لنا ما وعدتنا، قال: قلت: فأين أرواح الكفّار؟ فقال في حجرات النار، يأكلون من طعامها، ويشربون من شرابها ويتزاورون فيها، ويقولون: ربّنا لا تقم لنا الساعة لتنجز لنا ما وعدتنا[(٥)].

٥٠ - **سن:** ابن أبي نجران والبزنطيّ معاً، عن عاصم بن حميد، عن أبي بصير، عن أحدهما عليه السلام قال: إذا مات العبد المؤمن دخل معه في قبره ستّة صور، فيهنّ صورة أحسنهنّ وجهاً، وأبهاهنّ هيئةً، وأطيبهنّ ريحاً، وأنظفهنّ صورةً؛ قال: فيقف صورةٌ عن يمينه، وأخرى عن يساره، وأخرى بين يديه، وأخرى خلفه، وأخرى عند رجله، وتقف الّتي هي أحسنهنّ فوق رأسه، فإن أُتي عن يمينه منعته الّتي عن يمينه، ثمّ كذلك إلى أن يؤتى من الجهات الستّ، قال: فتقول أحسنهنّ صورةً: ومن أنتم جزاكم الله عنّي خيراً؟ فتقول الّتي عن يمين العبد: أنا الصلاة، وتقول الّتي عن يساره: أنا الزكاة وتقول الّتي بين يديه: أنا الصيام، وتقول الّتي خلفه: أنا الحجّ والعمرة، وتقول الّتي عند رجليه: أنا برّ من وصلت من إخوانك؛ ثم يقلن: من أنت؟ فأنت أحسننا وجهاً، وأطيبنا ريحاً، وأبهانا هيئة، فتقول: أنا الولاية لآل محمّد صلوات الله عليهم أجمعين[(٦)].

٥١ - **يج:** روى عبد الله بن طلحة قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الوزغ، قال: هو الرجس، مسخ، فإذا قتلته فاغتسل - يعني شكراً - وقال: إنّ أبي كان قاعداً في الحجر ومعه

(١) سورة النساء، الآيتان: ٤١، ٤٢.
(٢) بصائر الدرجات، ص ٤٥٤ ج ١٠ باب ١٦ ح ٩.
(٣) - (٥) المحاسن، ص ١٧٨.
(٦) المحاسن، ص ٢٨٨.

رجل يحدّثه فإذا هو الوزغ يولول بلسانه، فقال أبي عليه السلام للرجل: أتدري ما يقول هذا الوزغ؟ قال الرجل: لا أعلم ما يقول، قال: فإنّه يقول: لئن ذكرت عثمان لأسبّنّ عليّاً، وقال: إنّه ليس يموت من بني أُميّة ميّت إلاّ مسخ وزغاً؛ وقال عليه السلام: إنّ عبد الملك لمّا نزل به الموت مسخ وزغاً فكان عنده ولده ولم يدروا كيف يصنعون، وذهب ثمّ فقدوه، فأجمعوا على أن أخذوا جذعاً فصنعوه كهيئة رجل ففعلوا ذلك، وألبسوا الجذع، ثمّ كفّنوه في الأكفان، لم يطّلع عليه أحدٌ من الناس إلاّ ولده وأنا[1].

٥٢ - **خص**: سعد، عن ابن عيسى، ومحمّد بن عبد الجبّار معاً، عن ابن بزيع عن منصور بن يونس، عن أبي بكر الحضرميّ، عن أبي جعفر عليه السلام قال: لا يسأل في القبر إلاّ من محض الإيمان محضاً، أو محض الكفر محضاً، فقلت له: فسائر الناس؟ فقال: يلهى عنهم.

٥٣ - **شي**: عن زيد الشحّام قال: سئل أبو عبد الله عليه السلام عن عذاب القبر، قال: إنّ أبا جعفر عليه السلام حدّثنا أنّ رجلاً أتى سلمان الفارسيّ فقال: حدّثني؛ فسكت عنه، ثمّ عاد فسكت، فأدبر الرجل وهو يقول ويتلو هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾[2] فقال له: أقبل، إنّا لو وجدنا أميناً لحدّثناه، ولكن أعدّ لمنكر ونكير إذا أتياك في القبر فسألاك عن رسول الله صلى الله عليه وآله، فإن شككت أو التويت ضرباك على رأسك بمطرقة معهما تصير منه رماداً، قال: فقلت: ثمّ مه؟ قال: تعود، ثمّ تعذّب، قلت: وما منكر ونكير؟ قال: هما قعيدا القبر، قلت: أملكان يعذّبان الناس في قبورهم؟ فقال: نعم[3].

٥٤ - **م**: قوله عزّ وجلّ: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[4] قال الإمام عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لكفّار قريش واليهود: كيف تكفرون بالله الّذي دلّكم على طرق الهدى، وجنّبكم إن أطعتموه سبل الردى، وكنتم أمواتاً في أصلاب آبائكم وأرحام أُمّهاتكم فأحياكم، أخرجكم أحياءاً ثمّ يميتكم في هذه الدنيا ويقبركم، ثمّ يحييكم في القبور، وينعّم فيها المؤمنين بنبوّة محمّد وولاية عليّ، ويعذّب فيها الكافرين بهما، ثمّ إليه ترجعون في الآخرة بأن تموتوا في القبور بعد، ثمّ تحيوا للبعث يوم القيامة، ترجعون إلى ما وعدكم من الثواب على الطاعات إن كنتم فاعليها، ومن العقاب على المعاصي إن كنتم مقارفيها؛ فقيل له: يابن رسول الله ففي القبور نعيمٌ وعذابٌ؟ قال: إي والّذي بعث محمّداً بالحقّ نبيّاً، وجعله زكيّاً، هادياً، مهديّاً، وجعل أخاه عليّاً بالعهد وفيّاً، وبالحقّ مليّاً ولدى الله مرضيّاً، وإلى الجهاد سابقاً، ولله في أحواله موافقاً، وللمكارم حائزاً،

---

(١) الخرائج والجرائح، ج ١ ص ٢٨٣ باب ٦ ح ١٧. (٢) سورة البقرة، الآية: ١٥٩.
(٣) تفسير العياشي، ج ١ ص ٩٠ ح ١٣٩ في تفسيره لسورة البقرة.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٨.

وبنصر الله على أعدائه فائزاً، وللعلوم حاوياً، ولأولياء الله موالياً، ولأعدائه مناوياً، وبالخيرات ناوياً[١]، وللقبائح رافضاً، وللشيطان مخزياً، وللفسقة المردة مقصياً، ولمحمّد ﷺ نفساً، وبين يديه لدى المكاره جُنّةً وترساً، آمنت به أنا وأبي عليّ بن أبي طالب عبد ربّ الأرباب، المفضّل على أولي الألباب، الحاوي لعلوم الكتاب، زين من يوافي يوم القيامة في عرصات الحساب بعد محمّد صفيّ الكريم العزيز الوهّاب، إنّ في القبر نعيماً يوفّر الله به حظوظ أوليائه، وإنّ في القبر عذاباً يشدّد الله به على أشقياء أعدائه[٢].

أقول: تمامه في باب ما يعاين المؤمن والكافر عند الموت من قوله: إنّ المؤمن الموالي إلى آخر الخبر.

٥٥ - البرسيّ في مشارق الأنوار: عن الفضل بن شاذان من كتاب صحائف الأبرار: إن أمير المؤمنين عليه السلام اضطجع في نجف الكوفة على الحصى فقال قنبر: يا مولاي ألا أفرش لك ثوبي تحتك؟ فقال: لا إن هي إلاّ تربة مؤمن، أو مزاحمته في مجلسه، فقال الأصبغ بن نباتة: أمّا تربة مؤمن فقد علمنا أنّها كانت أو ستكون، فما معنى مزاحمته في مجلسه؟ فقال: يابن نباتة إنّ في هذا الظهر أرواح كلّ مؤمن ومؤمنة في قوالب من نور على منابر من نور[٣].

٥٦ - **شي:** عن محمّد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إذا وضع الرجل في قبره أتاه ملكان: ملك عن يمينه، وملك عن شماله، وأقيم الشيطان بين يديه، عيناه من نحاس، فيقال له: كيف تقول في هذا الرجل الّذي خرج بين ظهرانيكم؟ قال: فيفزع لذلك، فيقول - إن كان مؤمناً -: عن محمّد تسألاني؟ فيقولان له عند ذلك: نم نومةً لا حلم فيها، ويفسح له في قبره سبعة أذرع، ويرى مقعده من الجنّة، وإن كان كافراً قيل له: ما تقول في هذا الرجل الّذي خرج بين ظهرانيكم؟ فيقول: ما أدري! ويخلّى بينه وبين الشيطان، ويضرب بمرزبة من حديد يسمع صوته كلّ شيء، وهو قول الله: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾[٤].

شي: عن زرارة، وحمران ومحمّد بن مسلم عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام مثله[٥].

٥٨ - **قب:** كتاب الشيرازيّ، سفيان بن عيينة، عن الزهريّ، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة في قوله: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾ يعني بقول: لا إله إلاّ الله، محمّد رسول الله ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾؛ ثمّ قال: ﴿وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾، قال: هذا في القبر يدخلان عليه ملكان فظّان، غليظان، يحفران القبر بأنيابهما، وأصواتهما كالرعد القاصف، وأعينهما كالبرق الخاطف، ومع كلّ واحد منهما مرزبةٌ فيها ثلاثمائة وستّون عقدة، في كلّ عقدة

---

(١) في المصدر: ناهضاً.

(٢) تفسير الإمام العسكري عليه السلام ص ٢١٠ ح ٩٧-٩٨. (٣) مشارق أنوار اليقين، ص ١٣٤.

(٤) - (٥) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٢٤٤ في تفسيره لسورة إبراهيم ح ١٩ و١٧.

ثلاثمائة وستّون حلقة وزن كلّ حلقة كوزن حديد الدنيا، لو اجتمع عليها أهل السماء والأرض أن يقلّوها ما أقلّوها، هي في أيديهم أخفّ من جناح بعوض، فيدخلان القبر على الميّت، ويجلسانه في قبره، ويسألانه: من ربّك؟ فيقول المؤمن: الله ربّي، ثمَّ يقولان: فمن نبيّك؟ فيقول المؤمن: محمّد نبيّي، فيقولان: ما قبلتك؟ فيقول المؤمن: الكعبة قبلتي، فيقولان له: من إمامك؟ فيقول المؤمن: إمامي عليّ بن أبي طالب؛ فيقولان له: صدقت. ثمَّ قال: ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ يعني عن ولاية عليّ في القبر، والله ليسألنّ عن ولايته على الصراط، ووالله ليسألنّ عن ولايته في الحساب ثمَّ قال سفيان بن عيينة: ومن روى عن ابن عبّاس أنَّ المؤمن يقول: القرآن إمامي فقد أصاب أيضاً، وذلك أنَّ الله تعالى بين إمامة عليّ عليه السلام في القرآن[1].

٥٨ - جا: عليّ بن بلال المهلبيّ، عن عليّ بن عبد الله بن أسد الإصفهانيّ، عن إبراهيم ابن محمّد الثقفيّ، عن إسماعيل بن يسار، عن عبد الله بن ملح، عن عبد الوهّاب بن إبراهيم الأزديّ، عن أبي صادق، عن مزاحم بن عبد الوارث، عن محمّد بن زكريّا، عن شعيب بن واقد المزنيّ، عن محمّد بن سهل مولى سليمان بن عليّ بن عبد الله بن العبّاس عن أبيه، عن قيس مولى عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال: إنَّ عليّاً أمير المؤمنين عليه السلام كان قريباً من الجبل بصفّين، فحضرت صلاة المغرب فأمعن بعيداً، ثمَّ أذّن، فلمّا فرغ عن أذانه إذا رجل مقبل نحو الجبل، أبيض الرأس واللّحية والوجه، فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، مرحباً بوصيّ خاتم النبيّين، وقائد الغرّ المحجّلين، والأعزّ المأمون، والفاضل الفائز بثواب الصدّيقين، وسيّد الوصيّين؛ فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: وعليك السلام، كيف حالك؟ فقال: بخير أنا منتظر روح القدس، ولا أعلم أحداً أعظم في الله عز وجل اسمه بلاءاً ولا أحسن ثواباً منك، ولا أرفع عند الله مكاناً، اصبر ياأخي على ما أنت فيه حتّى تلقى الحبيب، فقد رأيت أصحابنا ما لقوا بالأمس من بني إسرائيل، نشروهم بالمناشير، وحملوهم على الخشب، ولو تعلم هذه الوجوه التربة الشائهة - وأومأ بيده إلى أهل الشام - ما أعدّ لهم في قتالك من عذاب وسوء نكال لأقصروا، ولو تعلم هذه الوجوه المبيضّة - وأومأ بيده إلى أهل العراق - ماذا لهم من الثواب في طاعتك لودّت أنّها قرضت بالمقاريض، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته. ثمَّ غاب من موضعه، فقام عمّار بن ياسر، وأبوالهيثم بن التيّهان، وأبو أيّوب الأنصاريّ، وعبادة بن الصامت، وخزيمة بن ثابت، وهاشم المرقال في جماعة من شيعة أميرالمؤمنين عليه السلام - وقد كانوا سمعوا كلام الرجل - فقالوا: يا أميرالمؤمنين من هذا الرجل؟ فقال لهم أميرالمؤمنين عليه السلام: هذا شمعون وصيّ عيسى عليه السلام، بعثه الله يصبّرني على قتال أعدائه، فقالوا له: فداك آباؤنا وأمهاتنا، والله

(١) مناقب ابن شهرآشوب، ج ٣ ص ٢٥٩.

لننصرنّك نصرنا لرسول الله ﷺ، ولا يتخلّف عنك من المهاجرين والأنصار إلاّ شقيّ؛ فقال لهم أميرالمؤمنين عليه السلام معروفاً[١].

يج: عن عليّ بن حسّان، عن عبد الرحمن بن كثير، عن أبي عبد الله عليه السلام مثله[٢].

٥٩ - فس: في الخبر الطويل في المعراج عن أبي عبد الله عليه السلام (إلى أن قال:) فإذا أنا بقوم بين أيديهم موائد من لحم طيّب ولحم خبيث وهم يأكلون الخبيث ويدعون الطيّب، فسألت جبرئيل من هؤلاء؟ فقال: الّذين يأكلون الحرام ويدعون الحلال من أمّتك. قال: ثمّ مررت بأقوام لهم مشافر كمشافر الابل، يقرض اللّحم من أجسامهم، ويلقى في أفواههم، فقلت: من هؤلاء يا جبرئيل؟ فقال: هم الهمّازون اللّمّازون، ثمّ مررت بأقوام ترضخ وجوههم ورؤوسهم بالصخر، فقلت: من هؤلاء ياجبرئيل؟ فقال: الّذين يتركون صلاة العشاء، ثمّ مضيت فإذا أنا بأقوام يقذف بالنار في أفواههم فتخرج من أدبارهم، فقلت: من هؤلاء يا جبرئيل؟ قال: هؤلاء الّذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً، إنّما يأكلون في بطونهم ناراً، وسيصلون سعيراً، ثمّ مضيت فإذا أنا بأقوام يريد أحدهم أن يقوم فلا يقدر من عظم بطنه! فقلت: من هؤلاء يا جبرئيل؟ قال: هؤلاء الّذين يأكلون الربا لا يقومون إلاّ كما يقوم الّذي يتخبّطه الشيطان من المسّ، وإنّهم لبسبيل آل فرعون، يعرضون على النار غدوّاً وعشيّاً، يقولون: ربّنا متى تقوم الساعة؟ ولا يعلمون أنّ الساعة أدهى وأمرّ، ثمّ مررت بنساء معلّقات بثديهنّ، فقلت: من هؤلاء ياجبرئيل؟ فقال: هنّ اللّواتي يورثن أموال أزواجهنّ أولاد غيرهم[٣].

أقول: سيأتي الخبر بإسناده تماماً في باب المعراج.

٦٠ - يل، فض: قيل: لمّا ماتت فاطمة بنت أسد أمّ أمير المؤمنين عليه السلام أقبل عليّ بن أبي طالب عليه السلام باكياً فقال له النبيّ ﷺ: ما يبكيك؟ لا أبكى الله عينك، قال: توفيت والدتي يا رسول الله، قال له النبيّ ﷺ: بل ووالدتي ياعليّ فلقد كانت تجوع أولادها وتشبعني، وتشعث أولادها وتدهنني، والله لقد كان في دار أبي طالب نخلةٌ فكانت تسابق إليها من الغداة لتلتقط... ثمّ تجنيه - رضي الله عنها - فإذا خرجوا بنو عمّي تناولني ذلك، ثمّ نهض عليه السلام فأخذ في جهازها وكفّنها بقميصه ﷺ، وكان في حال تشييع جنازتها يرفع قدماً ويتأنّى في رفع الآخر، وهو حافي القدم، فلمّا صلّى عليها كبرّ سبعين تكبيرة، ثمّ لحّدها في قبرها بيده الكريمة بعد أن نام في قبرها، ولقّنها الشهادة، فلمّا أهيل عليها التراب وأراد الناس الانصراف، جعل رسول الله ﷺ يقول لها: ابنك، ابنك، ابنك، لا جعفر، ولا عقيل، ابنك، ابنك: عليّ بن أبي طالب، قالوا: يا رسول الله فعلت فعلاً ما رأينا مثله قط: مشيك

---

(١) الأمالي للمفيد، ص ١٠٤ مجلس ١٢ ح ٥. (٢) الخرائج والجرائح، ج ٢ ص ٧٤٣.
(٣) تفسير القمي، ج ١ ص ٣٩٨.

حافي القدم، وكبّرت سبعين تكبيرةً، ونومك في لحدها، وقميصك عليها، وقولك لها: ابنك، ابنك، لا جعفر، ولا عقيل، فقال ﷺ: أمّا التأنّي في وضع أقدامي ورفعها في حال التشييع للجنازة فلكثرة ازدحام الملائكة، وأمّا تكبيري سبعين تكبيرةً فإنّها صلّى عليها سبعون صفّاً من الملائكة، وأمّا نومي في لحدها فإنّي ذكرت في حال حياتها ضغطة القبر فقالت: وا ضعفاه، فنمت في لحدها لأجل ذلك حتّى كفيتها ذلك، وأمّا تكفيني لها بقميصي فإنّي ذكرت لها في حياتها القيامة وحشر الناس عراةً فقالت: وا سوأتاه، فكفّنتها به، لتقوم يوم القيامة مستورة، وأمّا قولي لها: ابنك، ابنك، لا جعفر، ولا عقيل فإنّها لمّا نزل عليها الملكان وسألاها عن ربّها فقالت: الله ربّي، وقالا: من نبيّك؟ قالت: محمد نبيّي، فقالا: من وليّك وإمامك؟ فاستحيت أن تقول: ولدي، فقلت لها: قولي: ابنك عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فأقرّ الله بذلك عينها[١].

٦١ - **كش:** روى أصحابنا أنّ أبا الحسن الرضا عليه السلام قال بعد موت ابن أبي حمزة: إنّه أقعد في قبره فسئل عن الأئمّة عليهم السلام فأخبر بأسمائهم حتّى انتهى إليّ فسئل فوقف، فضرب على رأسه ضربة امتلأ قبره ناراً[٢].

٦٢ - **كش:** محمّد بن الحسين، عن أبي عليّ الفارسيّ، عن محمّد بن عيسى، عن يونس قال: دخلت على الرضا عليه السلام فقال لي: مات عليّ بن أبي حمزة؟ قلت: نعم، قال: قد دخل النار، قال: ففزعت من ذلك، قال: أما إنّه سئل عن الإمام بعد موسى أبي فقال: لا أعرف إماماً بعده، فقيل: لا؟ فضرب في قبره ضربة اشتعل قبره ناراً[٣].

بيان: فقيل: لا هذا استفهام إنكاريّ.

٦٣ - **جع:** روي عن الصادق عليه السلام أنّه قال: من مات ما بين زوال الشمس من يوم الخميس إلى زوال الشمس من يوم الجمعة من المؤمنين أعاذه الله من ضغطة القبر[٤].

٦٤ - وقال النبيّ ﷺ: إنّ القبر أوّل منازل الآخرة، فإن نجا منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه فما بعده ليس أقلّ منه[٥].

٦٥ - كتاب المحتضر للحسن بن سليمان قال: روى الفضل بن شاذان في كتاب القائم عليه السلام عن ابن طريف، عن ابن نباتة في حديث طويل يذكر فيه أنّ أمير المؤمنين عليه السلام خرج من الكوفة ومرّ حتّى أتى الغريّين فجازه فلحقناه وهو مستلق على الأرض بجسده ليس تحته ثوب، فقال له قنبر: يا أميرالمؤمنين ألا أبسط ثوبي تحتك؟ قال: لا، هل هي إلاّ تربة

---

(١) الفضائل لابن شاذان، ص ١٠١ مع اختصار في اللفظ وبعض فوارق.
(٢) رجال الكشي، ص ٧٠٥.
(٣) رجال الكشي، ص ٧٤٢.
(٤) جامع الأخبار، ص ١٦١.
(٥) جامع الأخبار، ص ١٦٦.

مؤمن أو مزاحمته في مجلسه؟ قال الأصبغ: فقلت: يا أمير المؤمنين تربة مؤمن قد عرفناه كانت أو تكون، فما مزاحمته في مجلسه؟ فقال: يابن نباتة لو كشف لكم لرأيتم أرواح المؤمنين في هذا الظهر حلقاً يتزاورون ويتحدّثون، إنّ في هذا الظهر روح كلّ مؤمن، وبوادي برهوت نسمة كلّ كافر.

٦٦ - ومن الكتاب المذكور للفضل عن محمّد بن إسماعيل، عن محمّد بن سنان، عن عمّار بن مروان، عن زيد الشحّام، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ أرواح المؤمنين يرون آل محمّد عليهم السلام في جبال رضوى فتأكل من طعامهم، وتشرب من شرابهم، وتحدّث معهم في مجالسهم حتّى يقوم قائمنا أهل البيت عليه السلام فإذا قام قائمنا بعثهم الله وأقبلوا معه يلبّون زمراً فزمراً، فعند ذلك يرتاب المبطلون، ويضمحلّ المنتحلون، وينجو المقرّبون.

٦٧ - ومن كتاب الشفاء والجلاء عن عليّ بن الحسين عليه السلام قال: إنّ المؤمن ليقال لروحه وهو يغسّل: أيسرّك أن تردّ إلى الجسد الّذي كنت فيه؟ فيقول: ما أصنع بالبلاء والخسران والغمّ.

٦٨ - **كا:** بعض أصحابنا، عن عليّ بن العبّاس، عن الحسن بن عبد الرحمن، عن أبي الحسن عليه السلام قال: إنّ الأحلام لم تكن في ما مضى في أوّل الخلق، وإنّما حدثت، فقلت: وما العلّة في ذلك؟ فقال: إنّ الله عزّ ذكره بعث رسولاً إلى أهل زمانه فدعاهم إلى عبادة الله وطاعته فقالوا: إن فعلنا ذلك فما لنا؟ ما أنت بأكثرنا مالاً ولا بأعزّنا عشيرة، فقال: إن أطعتموني أدخلكم الله الجنّة، وإن عصيتموني أدخلكم الله النار، فقالوا: وما الجنّة والنار؟ فوصف لهم ذلك، فقالوا: متى نصير إلى ذلك؟ فقال: إذا متّم، فقالوا: لقد رأينا أمواتنا صاروا عظاماً ورفاتاً، فازدادوا له تكذيباً وبه استخفافاً، فأحدث الله عزّ وجلّ فيهم الأحلام فأتوه فأخبروه بما رأوا وما أنكروا من ذلك، فقال: إنّ الله عز ذكره أراد أن يحتجّ عليكم بهذا، هكذا تكون أرواحكم إذا متّم وإن بليت أبدانكم تصير الأرواح إلى عقاب حتّى تبعث الأبدان[1].

٦٩ - **نهج:** قال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة: حتّى إذا انصرف المشيّع ورجع المتفجّع أقعد في حفرته نجيّاً لبهتة السؤال وعثرة الامتحان، وأعظم ما هنالك بليّة نزل الحميم، وتصلية الجحيم، وفورات السعير، لا فترة مريحة، ولا دعة مزيحة، ولا قوّة حاجزة، ولا موتة ناجزة، ولا سنّة مسلية بين أطوار الموتات وعذاب الساعات[2].

بيان: بهته: أخذه بغتة، وبهت أي دهش وتحيّر. وفورة الحرّ: شدّته.

٧٠ - **نهج:** قال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة: وبادروا الموت في غمراته، وامهدوا له

---

(١) الروضة من الكافي الموجود مع الأصول، ص ٧١٤ ح ٥٧.

(٢) نهج البلاغة، ص ١٧٣ خطبة رقم ٨٢.

قبل حلوله، وأعدّوا له قبل نزوله، فإنّ الغاية القيامة وكفى بذلك واعظاً لمن عقل، ومعتبراً لمن جهل، وقبل بلوغ الغاية ما تعلمون من ضيق الأرماس، وشدّة الإبلاس، وهول المطّلع، وروعات الفزع، واختلاف الأضلاع، واستكاك الأسماع، وظلمة اللّحد، وخيفة الوعد، وغمّ الضريح، وردم الصفيح[١].

بيان: الأرماس جمع الرمس وهو القبر، والإبلاس: اليأس والانكسار والحزن. وقال الجزريّ، المطلع: مكان الاطلاع من الموضع العالي، ومنه الحديث: لافتديت من هول المطلع أي الموقف يوم القيامة، أو ما يشرف عليه من أمر الآخرة عقيب الموت، فشبّهه بالمطلع الّذي يشرف عليه من موضع عال. واختلاف الأضلاع: كناية عن ضغطة القبر، إذ يحصل بسببها تداخل الأضلاع واختلافها. والضريح: الشقّ في وسط القبر، واللّحد في الجانب. والصفيح: الحجر، والمراد بردمه هنا سدّ القبر به.

٧١ - **دعوات الراوندي:** قال أبو جعفر عليه السلام: من أتمّ ركوعه لم يدخله وحشة القبر[٢].

٧٢ - وروى ابن عبّاس: عذاب القبر ثلاثة أثلاث: ثلث للغيبة، وثلث للنميمة، وثلث للبول[٣].

٧٣ - وعن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّ لله تعالى ملكين يقال لهما: ناكر ونكير ينزلان على الميّت فيسألانه عن ربّه ونبيّه ودينه وإمامه، فإن أجاب بالحقّ سلّموه إلى ملائكة النعيم، وإن أرتج عليه سلّموه إلى ملائكة العذاب[٤].

٧٤ - **سن:** أبي، عن النضر، عن يحيى الحلبيّ، عن ابن مسكان، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال لي: يا أبا محمّد إنّ الميّت منكم على هذا الأمر شهيد، قلت: وإن مات على فراشه؟ قال: وإن مات على فراشه حيّ عند ربّه يرزق[٥].

٧٥ - **ير:** أحمد بن محمّد، عن جعفر بن محمّد بن مالك، عن محمّد بن عمّار، عن أبي بصير قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فركض برجله الأرض فإذا بحر فيه سفن من فضّة فركب وركبت معه حتّى انتهى إلى موضع فيه خيام من فضّة فدخلها ثمّ خرج، فقال: رأيت الخيمة الّتي دخلتها أولاً؟ فقلت: نعم، قال: تلك خيمة رسول الله صلى الله عليه وآله، والأخرى خيمة أمير المؤمنين، والثالثة خيمة فاطمة، والرابعة خيمة خديجة، والخامسة خيمة الحسن، والسادسة خيمة الحسين، والسابعة خيمة عليّ بن الحسين، والثامنة خيمة أبي، والتاسعة خيمتي، وليس أحد منّا يموت إلاّ وله خيمة يسكن فيها[٦].

---

(١) نهج البلاغة، ص ٣٨٨ خطبة رقم ١٨٨.
(٢) الدعوات للراوندي، ص ٢٧٦ ح ٧٩٥.
(٣) الدعوات للراوندي، ص ٢٧٩ ح ٨١٢.
(٤) الدعوات للراوندي، ص ٢٨٠ ح ٨١٦.
(٥) المحاسن، ص ١٦٤.
(٦) بصائر الدرجات، ص ٣٧٦ ج ٨ باب ١٣ ح ٥.

٧٦ - **تفسير النعماني:** فيما سيأتي في كتاب القرآن بإسناده عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: وأمّا الردّ على من أنكر الثواب والعقاب في الدُّنيا بعد الموت قبل القيامة فيقول الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ الآية ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾[1] يعني السماوات والأرض قبل القيامة، فإذا كانت القيامة بدّلت السماوات والأرض، ومثل[2] قوله تعالى: ﴿وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ وهو أمر بين أمرين، وهو الثواب والعقاب بين الدنيا والآخرة، ومثله قوله تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾ والغدوّ والعشيّ لا يكونان في القيامة الّتي هي دار الخلود، وإنّما يكونان في الدنيا، وقال الله تعالى في أهل الجنّة: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ والبكرة والعشيّ إنّما يكونان من اللّيل والنهار في جنّة الحياة قبل يوم القيامة، قال الله تعالى: ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾[3] ومثله قوله سبحانه: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ الآية.

٧٧ - **فس:** ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ﴾ قال: منكم يعني من الشيعة ﴿إِنسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ قال: معناه: إنّه من تولّى أمير المؤمنين صلوات الله عليه وتبرّأ من أعدائه وأحلّ حلاله وحرّم حرامه ثمّ دخل في الذنوب ولم يتب في الدنيا عذّب لها في البرزخ، ويخرج يوم القيامة وليس له ذنب يسأل عنه يوم القيامة[4].

٧٨ - **فر:** عن أحمد بن عليّ بن عيسى الزهريّ رفعه إلى أصبغ بن نباتة قال: توجّهت إلى أمير المؤمنين عليه السلام لأُسلّم عليه فلم ألبث أن خرج فقمت قائماً على رجلي فاستقبلته فضرب بكفّه إلى كفّي فشبّك أصابعه في أصابعي ثمّ قال لي: يا أصبغ بن نباتة قلت: لبّيك وسعديك يا أمير المؤمنين، فقال: إنَّ وليّنا وليّ الله، فإذا مات كان في الرفيق الأعلى، وسقاه الله من نهر أبرد من الثلج، وأحلى من الشهد؛ فقلت: جعلت فداك وإن كان مذنباً؟ قال: نعم ألم تقرأ كتاب الله: ﴿فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[5].

٧٩ - **لي:** الحسين بن عليّ بن أحمد، عن أحمد بن محمّد، عن محمّد بن أبي بكر، عن أحمد بن محمّد النوفليّ، عن إسحاق بن يزيد، عن حمّاد بن عيسى، عن زرعة بن محمّد، عن المفضّل بن عمر قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: كيف كان ولادة فاطمة عليها السلام؟ فقال عليه السلام - وساق الحديث إلى أن قال -: فبينا هي كذلك إذ دخل عليها أربع نسوة سمر طوال كأنّهنّ من نساء بني هاشم ففزعت منهنّ لمّا رأتهنّ، فقالت إحداهنّ: لا تحزني يا خديجة إنّا رسل

---

(١) سورة هود، الآيات: ١٠٥-١٠٨.
(٢) الظاهر: ومثله.
(٣) سورة الإنسان، الآية: ١٣.
(٤) تفسير القمي، ج ٢ ص ٣٢٣.
(٥) تفسير فرات الكوفي، ص ٢٩٣ ح ٣٩٦.

ربّك إليك، ونحن أخواتك، أنا سارة، وهذه آسية بنت مزاحم وهي رفيقتك في الجنّة، وهذه مريم بنت عمران، وهذه كلثم أخت موسى، بعثنا الله إليك لنلي منك ما تلي النساء من النساء. الحديث(١).

٨٠ - **ير:** عن معاوية بن حكيم، عن الوشّاء قال: قال لي الرضا عليه‌السلام بخراسان: رأيت رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله ههنا والتزمته(٢).

٨١ - **ير:** محمّد بن عيسى، عن ابن أبي عمير، وعليّ بن الحكم، عن الحكم بن مسكين، عن أبي عمارة، عن أبي عبد الله عليه‌السلام؛ وعثمان بن عيسى، عن أبان بن تغلب، عن أبي عبد الله عليه‌السلام: إنَّ أميرالمؤمنين عليه‌السلام لقي أبابكر فاحتجّ عليه ثمَّ قال له: أما ترضى برسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله بيني وبينك؟ قال: وكيف لي به؟ فأخذ بيده وأتى مسجد قبا، فإذا رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله فيه فقضى على أبي بكر فرجع أبو بكر مذعوراً فلقي عمر فأخبره فقال: تبّاً لك، أما علمت سحر بني هاشم(٣)؟.

٨٢ - **ختص:** عليّ بن محمّد الحجّال، عن اللؤلؤيّ، عن محمّد بن سنان، عن عبد الملك بن عبد الله القميّ، عن أخيه إدريس قال: سمعت أبا عبد الله عليه‌السلام يقول: بينا أنا وأبي متوجّهين إلى مكّة وأبي قد تقدّمني في موضع يقال له: ضجنان، إذ جاء رجل في عنقه سلسلة يجرّها فأقبل عليّ فقال: اسقني اسقني، فصاح بي أبي: لا تسقه لا سقاه الله، قال: وفي طلبه رجل يتبعه فجذب سلسلة جذبة طرحه بها في أسفل درك من النار(٤).

٨٣ - **ختص:** ابن عيسى، عن الأهوازيّ، عن الجوهريّ، عن أبان بن عثمان، عن بشير النبّال قال: قال أبو عبد الله عليه‌السلام: كنت مع أبي بعسفان في واد بها أو بضجنان، فنفرت بغلته فإذا رجلٌ في عنقه سلسلة، وطرفها في يد آخر يجرّه: فقال: اسقني، فقال الرجل: لا تسقه لا سقاه الله، فقلت لأبي: من هذا؟ فقال: هذا معاوية(٥).

٨٤ - **ير:** عن أحمد بن محمّد، عن الحسين بن سعيد، عن إبراهيم بن أبي البلاد؛ وحدّثني محمّد بن الحسين، عن إبراهيم بن أبي البلاد، قال: قلت لأبي الحسن الرضا عليه‌السلام: حدّثني عبد الكريم بن حسّان، عن عبيدة بن عبد الله بن بشر الخثعميّ، عن أبيه أنّه قال: كنت ردف أبي وهو يريد العريض، قال: فلقيه شيخ أبيض الرأس واللّحية يمشي قال: فنزل إليه فقبّل بين عينيه، فقال إبراهيم: ولا أعلمه إلاّ أنّه قبّل يده، ثمَّ جعل يقول له: جعلت فداك، والشيخ يوصيه، قال: وقام أبي حتّى توارى الشيخ ثمَّ ركب، فقلت: يا أبة من هذا الّذي صنعت به ما لم أرك صنعته بأحد؟ قال: هذا أبي يا بنيّ(٦).

---

(١) أمالي الصدوق، ص ٤٧٥ مجلس ٨٧ ح ١.
(٢) بصائر الدرجات، ص ٢٦٣ ج ٦ باب ٥ ح ١.
(٣) بصائر الدرجات، ص ٢٦٣ ج ٦ باب ٥ ح ٢.
(٤) - (٥) الاختصاص، ص ٢٧٦.
(٦) بصائر الدرجات، ص ٢٦٣ ج ٦ باب ٥ ح ٣.

٨٥ - ير: الحسين بن محمّد، عن معلّى بن محمّد، عن عبد الله بن بشير، عن عثمان بن مروان، عن سماعة قال: كنت عند أبي الحسن عليه السلام فأطلت الجلوس عنده فقال: أتحبّ أن ترى أبا عبد الله عليه السلام فقلت: وددت والله، فقال: قم وادخل ذلك البيت، فدخلت البيت فإذا أبو عبد الله عليه السلام قاعد[1].

٨٦ - ير: محمّد بن الحسين، عن موسى بن سعدان، عن الحسين بن أبي العلاء، عن هارون بن خارجة، عن يحيى ابن أمّ الطويل قال: صحبت عليّ بن الحسين عليهما السلام من المدينة إلى مكّة وهو على بغلته وأنا على راحلة، فجزنا وادي ضجنان فإذا نحن برجل أسود في رقبته سلسلة وهو يقول: ياعليّ بن الحسين اسقني، فوضع رأسه على صدره ثمّ حرّك دابّته، قال: فالتفتُّ فإذا برجل يجذبه وهو يقول: لا تسقه لا سقاه الله، قال: فحرّكت راحلتي ولحقت بعليّ بن الحسين عليه السلام فقال لي: أيّ شيء رأيت؟ فأخبرته فقال: ذاك معاوية لعنه الله[2].

٨٧ - عد: اعتقادنا في النفوس أنّها هي الأرواح الّتي بها الحياة، وأنّها الخلق الأوّل، لقول النبيّ صلى الله عليه وآله: إنّ أوّل ما أبدع الله سبحانه وتعالى هي النفوس مقدّسة مطهّرة فأنطقها بتوحيده، ثمّ خلق بعد ذلك سائر خلقه. واعتقادنا فيها أنّها خلقت للبقاء ولم تخلق للفناء، لقول النبيّ صلى الله عليه وآله: ما خلقتم للفناء، بل خلقتم للبقاء، وإنّما تنقلون من دار إلى دار، وإنّها في الأرض غريبة وفي الأبدان مسجونة. واعتقادنا فيها: أنّها إذا فارقت الأبدان فهي باقية، منها منعّمة، ومنها معذّبة، إلى أن يردّها الله عزّ وجلّ بقدرته إلى أبدانها.

وقال عيسى بن مريم للحواريّين: بحقّ أقول لكم: إنّه لا يصعد إلى السماء إلاّ ما نزل منها. وقال الله جلّ ثناؤه: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾[3] فما لم يرفع منها إلى الملكوت فهي تهوي في الهاوية، وذلك لأنّ الجنّة درجات، والنار دركات، وقال عزّ وجلّ: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ وقال عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ۝٥٤ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ۝٥٥﴾[4] وقال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ۝١٦٩ فَرِحِينَ﴾[5] إلى آخرها. وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ﴾[6] إلى آخرها. وقال النبيُّ صلى الله عليه وآله: الأرواح جنود مجنّدة فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف.

وقال الصادق عليه السلام: إنّ الله آخى بين الأرواح في الأظلّة قبل أن يخلق الأبدان بألفي عام، فلو قد قام قائمنا أهل البيت لورّث الأخ الّذي آخى بينهما في الأظلّة، ولم يورّث الأخ من الولادة.

---

(١) بصائر الدرجات، ص ٢٦٥ ج ٦ باب ٥ ح ٨. (٢) بصائر الدرجات، ص ٢٧٣ ج ٦ باب ٧ ح ٦.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٦٧. (٤) سورة القمر، الآيتان: ٥٤-٥٥.
(٥) سورة آل عمران، الآيتان: ١٦٩-١٧٠. (٦) سورة البقرة، الآية: ١٥٤.

وقال عليه السلام: إنّ الأرواح لتلتقي في الهواء فتعارف وتسائل، فإذا أقبل روح من الأرض قالوا: دعوه فقد أفلت من هول عظيم، ثمّ سألوه ما فعل فلان، وما فعل فلان فكلّ ما قال: قد بقي رجوه أن يلحق بهم، وكلّ ما قال: قد مات قالوا: هوى هوى. وقال تعالى: ﴿وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ﴾(١) وقال تعالى: ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴿١١﴾﴾ ومثل الدنيا كمثل البحر والملاّح والسفينة.

وقال لقمان لابنه: يابنيّ إنّ الدنيا بحر عميق وقد هلك فيها عالم كثير، فاجعل سفينتك فيها الإيمان بالله، واجعل زادك فيها تقوى الله، واجعل شراعها التوكّل على الله، فإن نجوت فبرحمة الله، وإن هلكت فبذنوبك، وأشدّ ساعاته يوم يولد، ويوم يموت، ويوم يبعث. ولقد سلّم الله تعالى على يحيى في هذه الساعات فقال الله تعالى: ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾﴾(٢) وقد سلّم عيسى على نفسه فقال: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾(٣). والاعتقاد في الروح أنّه ليس من جنس البدن، وأنّه خلق آخر لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾(٤).

واعتقادنا في الأنبياء والرسل والأئمّة عليهم السلام أنّ فيهم خمسة أرواح: روح القدس، وروح الإيمان، وروح القوّة، وروح الشهوة، وروح المدرج. وفي المؤمنين أربعة أرواح: روح الإيمان، وروح القوّة، وروح الشهوة، وروح المدرج. وفي الكافرين والبهائم ثلاثة أرواح: روح القوّة، وروح الشهوة، وروح المدرج. وأمّا قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾(٥) فإنّه خلق أعظم من جبرئيل وميكائيل، كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله ومع الأئمّة وهو من الملكوت(٦).

أقول: قال الشيخ المفيد قدّس الله روحه في شرح هذا الكلام: كلام أبي جعفر في النفس والروح ليس على مذهب التحقيق، فلو اقتصر على الأخبار ولم يتعاط ذكر معانيها كان أسلم له من الدخول في باب يضيق عنه سلوكه، ثمّ قال رحمه الله: النفس عبارة من معان: أحدها ذات الشيء، والآخر الدم السائل، والآخر النفس الّذي هو الهواء، والرابع هو الهوى وميل الطبع، فأمّا شاهد المعنى الأوّل فهو قولهم: هذا نفس الشيء، أي ذاته وعينه؛ وشاهد الثاني قولهم: كلّما كانت النفس سائلة فحكمه كذا وكذا؛ وشاهد الثالث قولهم: فلان هلكت نفسه إذا انقطع نفسه ولم يبق في جسمه هواء يخرج من حواسّه؛ وشاهد الرابع قول الله تعالى: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ يعني الهوى داع إلى القبيح، وقد يعبّر بالنفس عن النقمة، قال الله:

---

(١) سورة طه، الآية: ٨١.
(٢) سورة مريم، الآية: ١٥.
(٣) سورة مريم، الآية: ٣٣.
(٤) سورة المؤمنون، الآية: ١٤.
(٥) سورة الإسراء، الآية: ٨٥.
(٦) اعتقادات الصدوق، ص ٧٥.

﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ يريد به نقمته وعقابه. وأمّا الروح فعبارة عن معان: أحدها الحياة، والثاني القرآن، والثالث ملك من ملائكة الله، والرابع جبرئيل عليه السلام، فشاهد الأوّل قولهم: كلّ ذي روح فحكمه كذا، يريدون كلّ ذي حياة، وقولهم فيمن مات: قد خرجت منه الروح يعنون الحياة؛ وشاهد الثاني قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾ يعني القرآن، وشاهد الثالث قوله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ﴾ وشاهد الرابع قوله تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ﴾ يعني جبرئيل عليه السلام. فأمّا ما ذكره أبو جعفر ورواه أنّ الأرواح مخلوقة قبل الأجسام بألفي عام فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف، فهو حديث من أحاديث الآحاد، وخبر من طرق الأفراد، وله وجه غير ما ظنّه من لا علم له بحقائق الأشياء، وهو أنّ الله تعالى خلق الملائكة عليهم السلام قبل البشر بألفي عام، فما تعارف منها قبل خلق البشر ائتلف عند خلق البشر، وما لم يتعارف منها إذ ذاك اختلف بعد خلق البشر، وليس الأمر كما ظنّه أصحاب التناسخ، ودخلت الشبهة فيه على حشويّة الشيعة فتوهّموا أنّ الذوات الفعّالة المأمورة المنهيّة كانت مخلوقة في الذرّ، وتتعارف وتعقل وتفهم وتنطق، ثمّ خلق الله لها أجساداً من بعد ذلك فركّبها فيها، ولو كان ذلك كذلك لكنّا نعرف ما كنّا عليه، وإذا ذكّرنا به ذكرناه، ولا يخفى علينا الحال فيه ألا ترى أنّ من نشأ ببلد من البلاد فأقام فيها حولاً ثمّ انتقل إلى غيره لم يذهب عنه علم ذلك، وإن خفي عليه لسهوه عنه فذكّر به ذكره، ولولا أنّ الأمر كذلك لجاز أن يولد إنسان منّا ببغداد وينشأ بها ويقيم عشرين سنة فيها ثمّ ينتقل منها إلى مصر آخر فينسى حاله ببغداد ولا يذكر منها شيئاً وإن ذكّر به وعدّد عليه علامات حاله ومكانه ونشوئه، وهذا ما لا يذهب إليه عاقل.

والّذي صرّح به أبو جعفر في معنى الروح والنفس هو قول التناسخيّة بعينه من غير أن يعلم أنّه قولهم، فالجناية بذلك على نفسه وغيره عظيمة.

وأمّا ما ذكره من أنّ الأنفس باقية فعبارة مذمومة ولفظ يضادّ ألفاظ القرآن، قال الله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾[(١)] والّذي حكاه من ذلك وتوهمه هو مذهب كثير من الفلاسفة الملحدين الّذين زعموا أنّ الأنفس لا يلحقها الكون والفساد وأنّها باقية، وإنّما تفنى وتفسد الأجسام المركّبة، وإلى هذا ذهب بعض أصحاب التناسخ، وزعموا أنّ الأنفس لم تزل تتكرّر في الصور والهياكل لم تحدث ولم تفن ولم تعدم وأنّها باقية غير فانية، وهذا من أخبث قول وأبعده من الصواب، وشنع به الناصبة على الشيعة ونسبوهم به إلى الزندقة ولو عرف مثبته ما فيه لما تعرّض له، لكنّ أصحابنا المتعلّقين بالأخبار أصحاب سلامة وبعد ذهن وقلّة فطنة، يمرّون على وجوههم فيما سمعوه من الاحاديث ولا ينظرون في سندها، ولا يفرّقون بين حقّها وباطلها، ولا يفهمون ما يدخل عليهم في إثباتها، ولا يحصلون معاني ما

---

(١) سورة الرحمن، الآيتان: ٢٦-٢٧.

يطلقونه منها؛ والّذي ثبت من الحديث في هذا الباب أنّ الأرواح بعد موت الأجساد على ضربين: منها ما ينقل إلى الثواب والعقاب، ومنها ما يبطل فلا يشعر بثواب ولا عقاب.

وقد روي عن الصادق عليه السلام ما ذكرناه في هذا المعنى وبيّناه، فسئل عمّن مات في هذه الدار أين تكون روحه؟ فقال: من مات وهو ماحض للإيمان محضاً أو ماحض للكفر محضاً نقلت روحه من هيكله إلى مثله في الصورة، وجوزي بأعماله إلى يوم القيامة، فإذا بعث الله من في القبور أنشأ جسمه وردّ روحه إلى جسده وحشره ليوفّيه أعماله، فالمؤمن ينتقل روحه من جسده إلى مثل جسده في الصورة فيجعل في جنّات من جنان الدنيا يتنعّم فيها إلى يوم المآب، والكافر ينتقل روحه من جسده إلى مثله بعينه ويجعل في نار فيعذّب بها إلى يوم القيامة، وشاهد ذلك في المؤمن قوله تعالى: ﴿قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي﴾[1] وشاهد ما ذكرناه في الكافر قوله تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۖ﴾ فأخبر سبحانه أنّ مؤمناً قال بعد موته وقد أُدخل الجنّة: ياليت قومي يعلمون، وأخبر أنّ كافراً يعذّب بعد موته غدوّاً وعشيّاً ويوم تقوم الساعة يخلد في النار، والضرب الآخر من يلهى عنه ويعدم نفسه عند فساد جسمه، فلا يشعر بشيء حتّى يبعث، وهو من لم يمحض الإيمان محضاً، ولا الكفر محضاً، وقد بيّن الله تعالى ذلك عند قوله: ﴿إِذۡ يَقُولُ أَمۡثَلُهُمۡ طَرِيقَةً إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا يَوۡمٗا﴾[2] فبيّن أنّ قوماً عند الحشر لا يعلمون مقدار لبثهم في القبور حتّى يظنّ بعضهم أنّ ذلك كان عشراً، أو يظنّ بعضهم: أنّ ذلك كان يوماً، وليس يجوز أن يكون ذلك من وصف من عذّب إلى بعثه ونعّم إلى بعثه، لأنّ من لم يزل منعماً أو معذّباً لا يجهل عليه حاله فيما عومل به، ولا يلتبس عليه الأمر في بقائه بعد وفاته.

وقد روي عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: إنّما يُسأل في قبره من محض الإيمان محضاً، أو محض الكفر محضاً، فأمّا ما سوى هذين فإنّه يلهى عنه، وقال في الرجعة: إنّما يرجع إلى الدنيا عند قيام القائم عليه السلام من محض الإيمان محضاً أو محض الكفر محضاً، فأمّا ما سوى هذين فلا رجوع لهم إلى يوم المآب.

وقد اختلف أصحابنا فيمن ينعّم ويعذّب بعد موته فقال بعضهم: المنعّم والمعذّب هو الروح الّتي توجّه إليها الأمر والنهي والتكليف، وسمّوها جوهراً، وقال آخرون: بل الروح الحياة جعلت في جسد كجسده في دار الدنيا، وكلا الأمرين يجوزان في العقل، والأظهر عندي قول من قال: إنّها الجوهر المخاطب، وهو الّذي تسمّيه الفلاسفة البسيط، وقد جاء في الحديث أنّ الأنبياء صلوات الله عليهم خاصّة والأئمّة عليهم السلام من بعدهم ينقلون بأجسادهم وأرواحهم من الأرض إلى السماء فينعّمون في أجسادهم الّتي كانوا فيها عند مقامهم في الدنيا، وهذا خاصّ بحجج الله دون من سواهم من الناس.

---

(١) سورة يس، الآيتان: ٢٦-٢٧.
(٢) سورة طه، الآية: ١٠٤.

وقد روي عن النبيّ ﷺ أنّه قال: من صلّى عليّ عند قبري سمعته، ومن صلى عليّ من بعيد بُلّغته. وقال ﷺ: من صلّى عليّ مرّة صلّيت عليه عشراً، ومن صلّى عليّ عشراً صليت عليه مائة، فليكثر امرؤ منكم الصلاة عليّ أو فليقلّ. فبيّن أنّه ﷺ بعد خروجه من الدنيا يسمع الصلاة عليه، ولا يكون كذلك إلاّ وهو حيّ عند الله تعالى، وكذلك أئمّة الهدى صلوات الله عليهم يسمعون سلام المسلّم عليهم من قرب ويبلغهم سلامه من بعد، وبذلك جاءت الآثار الصادقة عنهم، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ﴾ الآية.

وروي عن النبيّ ﷺ أنّه وقف على قليب بدر فقال للمشركين الّذين قتلوا يومئذٍ وقد أُلقوا في القليب: لقد كنتم جيران سوء لرسول الله ﷺ، أخرجتموه من منزله وطردتموه، ثمّ اجتمعتم عليه فحاربتموه، فقد وجدت ما وعدني ربّي حقّاً، فقال له عمر: يا رسول الله، ما خطابك لهام قد صديت؟ فقال له: مه يابن الخطّاب، فوالله ما أنت بأسمع منهم، وما بينهم وبين أن تأخذهم الملائكة بمقامع الحديد إلاّ أن أعرض بوجهي هكذا عنهم.

وعن أمير المؤمنين صلوات الله عليه أنّه ركب بعد انفصال الأمر من حرب البصرة فصار يتخلّل بين الصفوف حتّى مرّ على كعب بن سورة - وكان هذا قاضي البصرة ولّاه إيّاها عمر بن الخطّاب فأقام بها قاضياً بين أهلها زمن عمر وعثمان، فلمّا وقعت الفتنة بالبصرة علّق في عنقه مصحفاً وخرج بأهله وولده يقاتل أميرالمؤمنين عليه السلام فقتلوا بأجمعهم - فوقف عليه أمير المؤمنين وهو صريع بين القتلى فقال: أجلسوا كعب بن سورة، فأجلس بين نفسين، فقال: يا كعب بن سورة قد وجدت ما وعدني ربّي حقّاً، فهل وجدت ما وعدك ربّك حقّاً؟ ثمّ قال: أضجعوا كعباً؛ وسار قليلاً فمر بطلحة بن عبد الله صريعاً فقال: أجلسوا طلحة، فأجلسوه، فقال: يا طلحة قد وجدت ما وعدني ربّي حقّاً فهل وجدت ما وعدك ربّك حقّاً؟ ثمّ قال: أضجعوا طلحة، فقال له رجل من أصحابه: يا أمير المؤمنين ما كلامك لقتيلين لا يسمعان منك؟ فقال: يا رجل فوالله لقد سمعا كلامي كما سمع أهل القليب كلام رسول الله ﷺ. وهذا من الأخبار الدالّة على أنّ بعض من يموت تردّ إليه روحه لتنعيمه أو لتعذيبه، وليس ذلك بعامّ في كلّ من يموت بل هو على ما بيّنّاه. انتهى كلامه رحمه الله [1].

وأقول: أمّا تشنيعه على الصدوق رحمه الله بالقول بسبق الأرواح فسيأتي في كتاب السماء والعالم أخبار مستفيضة في ذلك ولا استبعاد فيه، ولم يقم برهان تامّ على نفيه، وما ذكره من أنّه لا بدّ أن يذكر الإنسان تلك الحالة فغير مسلّم مع بعد العهد وتخلّل حالة الجنينيّة والطفوليّة وغيرهما بينهما، ولا استبعاد في أن ينسيه الله تعالى ذلك لكثير من المصالح، مع أنّا لا نذكر أكثر أحوال الطفوليّة فأيّ استبعاد في نسيان ما قبلها؟ وأمّا القول ببقاء الأرواح فقد قال رحمه الله

(١) تصحيح الاعتقاد، ص ٦٣.

به في بعضها فأيّ استبعاد في القول بذلك في جميعها؟ وما ذكره من الأخبار لا يدلّ على فناء الأرواح الملهوّ عنهم، بل على عدم إثابتها وتعذيبها، وإن كان الطعن على الصدوق في أنّه يتضمّن كلامه أنّه لا يفني الله الأرواح في وقت من الأوقات فليس كلامه مصرّحاً بذلك مع أنّ في إفنائها أيضاً كلاماً سيأتي في موضعه.

٨٨ - **ما:** محمّد بن أحمد بن شاذان القميّ، عن أبي عبد الله محمّد بن عليّ، عن محمّد بن جعفر بن بطّة، عن محمّد بن الحسن، عن حمزة بن يعلى، عن محمّد بن داود النهديّ، عن عليّ بن الحكم، عن الربيع بن محمّد المسلي عن عبد الله بن سليمان عن الباقر عليه السلام قال: سألته عن زيارة القبور، قال: إذا كان يوم الجمعة فزرهم، فإنّه من كان منهم في ضيق وسّع عليه ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس يعلمون بمن أتاهم في كلّ يوم، فإذا طلعت الشمس كانوا سدى؛ قلت: فيعلمون بمن أتاهم فيفرحون به؟ قال: نعم ويستوحشون له إذا انصرف عنهم(١).

بيان: السدى بالضمّ ويفتح: المهمل، ولعلّ المعنى: أنّهم يوم الجمعة بعد طلوع الشمس أيضاً مهملون غير معذّبين، أو المعنى أنّه يوسّع عليهم في يوم الجمعة أو الزيارة في يوم الجمعة تصير سبباً لذلك. وقوله: ما بين طلوع الفجر استئناف كلام. أي في كلّ يوم يطلعون على زوّارهم في ذلك الوقت لأنّهم في القبور فإذا طلعت الشمس يرخّص لهم فيخرجون من قبورهم.

٨٩ - **كا:** عليّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن حفص بن البختريّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ المؤمن ليزور أهله فيرى ما يحبّ ويستر عنه ما يكره، وإنّ الكافر ليزور أهله فيرى ما يكره ويستر عنه ما يحبّ؛ قال: ومنهم من يزور كلّ جمعة ومنهم من يزور على قدر عمله(٢).

٩٠ - **كا:** محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن عليّ بن الحكم، عن عليّ بن أبي حمزة، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما من مؤمن ولا كافر إلاّ وهو يأتي أهله عند زوال الشمس، فإذا رأى أهله يعملون بالصالحات حمد الله على ذلك، وإذا رأى الكافر أهله يعملون بالصالحات كانت عليه حسرة(٣).

٩١ - **كا:** العدّة، عن سهل، عن ابن محبوب، عن إسحاق بن عمّار، عن أبي الحسن الأوّل عليه السلام قال: سألته عن الميّت يزور أهله؟ قال: نعم، فقلت: في كم يزور؟ قال: في الجمعة وفي الشهر وفي السنة على قدر منزلته، فقلت: في أيّ صورة يأتيهم؟ قال: في صورة

---

(١) أمالي الطوسي، ص ٦٨٨ مجلس ٣٩ ح ١٤٦٢.

(٢) - (٣) الكافي، ج ٣ ص ١١٧-١١٨ باب ١٥٧ ح ١-٢.

طائر لطيف يسقط على جدرهم ويشرف عليهم، فإن رآهم بخير فرح، وإن رآهم بشرّ وحاجة وحزن اغتمّ[1].

٩٢ - **كا:** العدّة، عن سهل، عن إسماعيل بن مهران، عن درست الواسطيّ عن إسحاق ابن عمّار، عن عبد الرحيم القصير قال: قلت له: المؤمن يزور أهله؟ فقال: نعم يستأذن ربّه فيأذن له فيبعث معه ملكين فيأتيهم في بعض صور الطير يقع في داره ينظر إليهم ويسمع كلامهم[2].

٩٣ - **كا:** العدّة، عن سهل، عن محمّد بن سنان، عن إسحاق بن عمّار قال: قلت لأبي الحسن الأوّل عليه السلام: يزور المؤمن أهله؟ فقال: نعم، فقلت: في كم؟ قال على قدر فضائلهم، منهم من يزور في كلّ يوم، ومنهم من يزور في كلّ يومين، ومنهم من يزور في كلّ ثلاثة أيام؛ قال: ثمّ رأيت في مجرى كلامه أنه يقول: أدناهم منزلة يزور كلّ جمعة، قال: قلت: في أيّ ساعة؟ قال: عند زوال الشمس ومثل ذلك، قال: قلت: في أيّ صورة؟ قال: في صورة العصفور أو أصغر من ذلك، يبعث الله عزّ وجلّ معه ملكاً فيريه ما يسرّه، ويستر عنه ما يكره، فيرى ما يسرّه ويرجع إلى قرّة عين[3].

أقول: روى السيّد في سعد السعود من كتاب عبد الواحد بن عبد الله بن يونس الموصليّ قال: أخبرنا محمّد بن عليّ، عن أبي جعفر بن عبد الجبّار، عن إبراهيم بن عبد الحميد قال: كان أبو الحسن موسى عليه السلام في دار أبيه فتحوّل منها بعياله، فقلت له: جعلت فداك أتحوّلت من دار أبيك؟ فقال: إنّي أحببت أن أوسّع على عيال أبي إنّهم كانوا في ضيق فأحببت أن أوسّع عليهم حتّى يعلم أنّي وسّعت على عياله، قلت: جعلت فداك هذا للإمام خاصّة أو للمؤمنين؟ قال: هذا للإمام وللمؤمنين، ما من مؤمن إلاّ وهو يلمّ بأهله كلّ جمعة، فإن رأى خيراً حمد الله عزّ وجلّ، وإن رأى غير ذلك استغفر واسترجع[4].

٩٤ - **كا:** العدّة، عن سهل، عن الحسن بن عليّ، عن بشير الدهّان، عن أبي عبد الله عليه السلام، وعليّ بن إبراهيم، عن محمّد بن عيسى، عن يونس، عن أبي جميلة، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام، عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا حمل عدوّ الله إلى قبره نادى حملته: ألا تسمعون يا إخوتاه، إنّي أشكو إليكم ما وقع فيه أخوكم الشقيّ: إنّ عدوّ الله خدعني فأوردني ثمّ لم يصدرني. وأقسم لي إنّه ناصح لي فغشّني وأشكو إليكم دنياً غرّتني حتّى إذا اطمأننت إليها صرعتني، وأشكو إليكم أخلاّء الهوى منوني ثمّ تبرّؤوا منّي وخذلوني، وأشكو إليكم أولاداً حميت عنهم وآثرتهم على نفسي فأكلوا مالي وأسلموني، وأشكو إليكم مالاً منعت فيه حقّ الله فكان وباله عليّ وكان نفعه لغيري، وأشكو إليكم داراً

---

(١) - (٣) الكافي، ج ٣ ص ١١٧-١١٨ باب ١٥٧ ح ٣-٥.

(٤) سعد السعود، ص ٢٣٦.

أنفقت عليها حريبتي وصار سكّانها غيري وأشكو إليكم طول الثوى في قبر ينادي: أنا بيت الدود، أنا بيت الظلمة والوحشة والضيق، يا إخوتاه فاحبسوني ما استطعتم، واحذروا مثل ما لقيت، فإنّي قد بشّرت بالنار والذلّ والصغار وغضب العزيز الجبّار، وا حسرتاه على ما فرّطت في جنب الله ويا طول عولتاه فما لي من شفيع يطاع، ولا صديق يرحمني، فلو أنّ لي كرّة فأكون من المؤمنين(١).

٩٥ - **كا:** محمّد بن يحيى، عن محمّد بن الحسين، عن عمرو بن عثمان، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام مثله. وزاد فيه: فما يفتر ينادي حتّى يدخل قبره، فإذا أُدخل حفرته ردّت الروح في جسده، وجاء ملكا القبر فامتحناه، قال: وكان أبو جعفر عليه السلام يبكي إذا ذكر هذا الحديث(٢).

٩٦ - **كا:** عليّ بن إبراهيم، عن محمّد بن عيسى، عن يونس، عن عمرو بن شمر، عن جابر قال: قال عليّ بن الحسين عليه السلام: ما ندري كيف نصنع بالناس؟! إن حدّثناهم بما سمعنا من رسول الله صلى الله عليه وآله ضحكوا، وإن سكتنا لم يسعنا. قال: فقال ضمرة بن معبد: حدّثنا، فقال: هل تدرون ما يقول عدوّ الله إذا حمل على سريره؟ قال: فقلنا: لا، قال: فإنّه يقول لحملته: ألا تسمعون؟ إني أشكو إليكم عدوّ الله خدعني وأوردني ثمّ لم يصدرني، وأشكو إليكم إخواناً واخيتهم فخذلوني، وأشكو إليكم داراً أنفقت فيها حريبتي فصار سكّانها غيري، فارفقوا بي ولا تستعجلوا. قال ضمرة: يا أبا الحسن إن كان هذا يتكلّم بهذا الكلام يوشك أن يثب على أعناق الّذين يحملونه، قال: فقال عليّ بن الحسين عليه السلام: اللهمّ إن كان ضمرة هزئ من حديث رسولك فخذه أخذ أسف، قال: فمكث أربعين يوماً ثمّ مات، فحضره مولى له قال: فلمّا دفن أتى عليّ بن الحسين عليه السلام فجلس إليه فقال له: من أين جئت يا فلان؟ قال: من جنازة ضمرة، فوضعت وجهي عليه حين سوّي عليه فسمعت صوته والله أعرفه كما كنت أعرفه وهو حيّ وهو يقول: ويلك يا ضمرة بن معبد! اليوم خذلك كلُّ خليل وصار مصيرك إلى الجحيم فيها مسكنك ومبيتك والمقيل. قال: فقال عليّ بن الحسين عليه السلام أسأل الله العافية، هذا جزاء من يهزأ من حديث رسول الله صلى الله عليه وآله(٣).

توضيح: حريبة الرجل ماله الّذي يعيش به.

٩٧ - **كا:** أبو عليّ الأشعريّ، عن محمّد بن عبد الجبّار، عن الحجّال، عن ثعلبة عن أبي بكر الحضرميّ قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: لا يسأل في القبر إلاّ من محض الإيمان محضاً، أو محض الكفر محضاً، والآخرون يلهون عنهم(٤).

٩٨ - **كا:** عدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن عبد الرحمن بن أبي نجران عن

---

(١) - (٣) الكافي، ج ٣ ص ١٩٩ باب ١٥٨ ح ٢-٤.
(٤) الكافي، ج ٣ ص ١٢٠ باب ١٥٩ ح ١.

عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّما يسأل في قبره من محض الإيمان والكفر محضاً، وأمّا ما سوى ذلك فيلهى عنه(١).

كا: أبو عليّ الأشعريّ، عن محمّد بن عبد الجبّار، عن محمّد بن إسماعيل، عن منصور ابن يونس، عن ابن بكير، عن أبي جعفر عليه السلام مثله(٢).

٩٩ - **كا:** محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن الحسين بن سعيد، عن النضر بن سويد، عن يحيى الحلبيّ، عن بريد بن معاوية، عن محمّد بن مسلم قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: لا يسأل في القبر إلاّ من محض الإيمان محضاً، أو محض الكفر محضاً(٣).

بيان: من محض بفتح الميم اسم موصول؛ وبكسر الميم حرف جرّ وقراءة محض مصدراً ليكون المعنى: أنّه لا يسأل عن الأعمال بل عن العقائد تصحيف يأباه صريح الأخبار، بل المعنى: أنّه لا يسأل عن المستضعفين المتوسّطين بين الإيمان والكفر.

١٠٠ - **كا:** بهذا الإسناد، عن يحيى الحلبيّ، عن هارون بن خارجة، عن أبي بصير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: يسأل وهو مضغوط(٤).

بيان: لعلّ المعنى أنَّ الضغطة والسؤال متلازمان، فكل من لا يضغط لا يسأل وبالعكس؛ أو يسأل في حالة الضغطة، ويحتمل أن يكون الغرض إثبات الحالتين حسب.

١٠١ - **كا:** عدّة من أصحابنا، عن البرقيّ، عن عثمان بن عيسى، عن البطائنيّ عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أيفلت من ضغطة القبر أحد؟ قال: فقال: نعوذ بالله منها، ما أقلّ من يفلت من ضغطة القبر! إنّ رقيّة لمّا قتلها عثمان وقف رسول الله صلى الله عليه وآله على قبرها فرفع رأسه إلى السماء فدمعت عيناه وقال للناس: إنّي ذكرت هذه وما لقيت، فرققت لها واستوهبتها من ضغطة القبر، قال: فقال: اللّهمَّ هب لي رقيّة من ضغطة القبر فوهبها الله له. قال: وإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله خرج في جنازة سعد وقد شيّعه سبعون ألف ملك فرفع رسول الله صلى الله عليه وآله رأسه إلى السماء ثمّ قال: مثل سعد يضمّ؟ قال: قلت: جعلت فداك إنّا نحدَّث أنّه كان يستخفّ بالبول، فقال: معاذ الله إنّما كان من زعارة في خلقه على أهله، قال: فقالت أُمّ سعد: هنيئاً لك يا سعد، قال: فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله: يا أُمّ سعد لا تحتمي على الله(٥).

١٠٢ - **كا:** محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن محمّد بن عيسى، عن الحسن بن عليّ، عن غالب بن عثمان، عن بشير الدهّان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: يجيء الملكان: منكر ونكير إلى الميّت حين يدفن، أصواتهما كالرعد القاصف، وأبصارهما كالبرق الخاطف، يخطّان الأرض بأنيابهما، ويطآن في شعورهما، فيسألان الميّت: من ربّك وما دينك؟ قال: فإذا كان مؤمناً قال: الله ربّي، وديني الإسلام؛ فيقولان له: ما تقول في هذا

---

(١) - (٥) الكافي، ج ٣ ص ١٢٠ باب ١٥٩ ح ٢-٦.

الرجل الّذي خرج بين ظهرانيكم؟ فيقول: أعن محمّد رسول الله تسألاني؟ فيقولان له: تشهد أنّه رسول الله ﷺ؟ فيقول: أشهد أنّه رسول الله، فيقولان له: نم نومة لا حلم فيها؛ ويفسح له في قبره تسعة أذرع، ويفتح له باب إلى الجنّة ويرى مقعده فيها، وإذا كان الرجل كافراً دخلا عليه وأقيم الشيطان بين يديه، عيناه من نحاس، فيقولان له: من ربّك؟ وما دينك؟ وما تقول في هذا الرجل الّذي قد خرج من بين ظهرانيكم، فيقول: لا أدري، فيخلّيان بينه وبين الشيطان فيسلّط عليه في قبره تسعة وتسعين تنّيناً، ولو أن تنّيناً واحداً منها نفخ في الأرض ما أنبتت شجراً أبداً، ويفتح له باب إلى النار ويرى مقعده فيها[1].

إيضاح: قال الجزريّ: فيه: الرؤيا من الله والحلم من الشيطان؛ الحلم عبارة عمّا يراه النائم في نومه من الأشياء، لكن غلبت الرؤيا على ما يراه من الخير والشيء الحسن، والحلم على ما يراه من الشرّ والشيء القبيح.

١٠٣ - **كا:** عدّةٌ من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن محمّد بن الحسن بن شمّون، عن عبد الله بن عبد الرحمن، عن عبد الله بن القاسم، عن أبي بكر الحضرميّ قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: أصلحك الله من المسؤلون في قبورهم؟ قال: من محض الإيمان ومن محض الكفر، قال: قلت: فبقيّة هذا الخلق؟ قال: يلهون والله عنهم ما يعبأ بهم، قال: وقلت: وعمّ يسألون؟ قال: عن الحجّة القائمة بين أظهركم فيقال للمؤمن: ما تقول في فلان بن فلان؟ فيقول: ذاك إمامي، فيقول: نم أنام الله عينيك، ويفتح له باب من الجنّة فما يزال يتحفه من روحها إلى يوم القيامة؛ ويقال للكافر: ما تقول في فلان بن فلان؟ قال: فيقول: قد سمعت به وما أدري ما هو! فيقال له: لا دريت، قال: ويفتح له باب من النار فلا يزال يتحفه من حرّها إلى يوم القيامة[2].

١٠٤ - **كا:** محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن عليّ بن حديد، عن جميل، عن عمرو بن الأشعث أنّه سمع أبا عبد الله عليه السلام يقول: يسأل الرجل في قبره فإذا أثبت فسح له في قبره سبعة أذرع وفتح له باب إلى الجنّة، وقيل له: نم نومة العروس قرير العين[3].

١٠٥ - **كا:** عدّةٌ من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن عبد الرحمن بن أبي نجران، عن عاصم بن حميد، عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إذا وضع الرجل في قبره أتاه ملكان: ملك عن يمينه، وملك عن يساره، وأقيم الشيطان بين عينيه، عيناه من نحاس فيقال له: كيف تقول في الرجل الّذي كان بين ظهرانيكم؟ قال: فيفزع له فزعة، فيقول إذا كان مؤمناً: أعن محمّد رسول الله ﷺ تسألاني؟ فيقولان له: نم نومة لا حلم فيها، ويفسح له في قبره تسعة أذرع، ويرى مقعده من الجنّة، وهو قول الله عزّ وجلّ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ

---

(١) - (٣) الكافي، ص ١٢١ باب ١٥٩ ح ٧-٩.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ فإذا كان كافراً قالا له: من هذا الرجل الّذي خرج بين ظهرانيكم؟ فيقول: لا أدري، فيخلّيان بينه وبين الشيطان[1].

ين: النضر، عن عاصم مثله. «ص ١٦٠ باب ١٦ ح ٤».

١٠٦ - **كا:** محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن الحسين بن سعيد، عن إبراهيم ابن أبي البلاد، عن بعض أصحابه، عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال: يقال للمؤمن في قبره: من ربّك؟ قال: فيقول: الله، فيقال له: ما دينك؟ فيقول: الإسلام، فيقال: من نبيّك؟ فيقول: محمّد صلى الله عليه وآله، فيقال: من إمامك؟ فيقول: فلان، فيقال: كيف علمت بذلك؟ فيقول: أمر هداني الله له وثبّتني عليه، فيقال له: نم نومة لا حلم فيها نومة العروس، ثمّ يفتح له باب إلى الجنّة فيدخل إليه من روحها وريحانها، فيقول: يا ربّ عجل قيام الساعة لعلّي أرجع إلى أهلي ومالي، ويقال للكافر. من ربّك؟ فيقول: الله، فيقال: من نبيّك؟ فيقول: محمّد، فيقال: ما دينك؟ فيقول: الإسلام، فيقال: من أين علمت ذلك؟ فيقول: سمعت الناس يقولون فقلت، فيضربانه بمرزبة لو اجتمع عليها الثقلان: الإنس والجنّ لم يطيقوها، قال: فيذوب كما يذوب الرصاص، ثمّ يعيدان فيه الروح فيوضع قلبه بين لوحين من نار، فيقول: يا ربّ أخّر قيام الساعة[2].

ين: ابن أبي البلاد مثله. «ص ١٦١ باب ١٦ ح ٥».

بيان: هذا الخبر يدلّ على أنّ إسلام المخالفين لعدم توسّلهم بأئمّة الهدى عليهم السلام ظنّيٌّ تقليديٌّ لم يهدهم الله للرسوخ فيه، وإنّما الهداية واليقين مع متابعتهم عليهم السلام.

١٠٧ - **كا:** محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن الحسين بن سعيد، عن القاسم بن محمّد، عن عليّ بن أبي حمزة، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ المؤمن إذا أُخرج من بيته شيّعه الملائكة إلى قبره يزدحمون عليه، حتّى إذا انتهي به إلى قبره قالت له الأرض: مرحباً بك وأهلاً، أما والله لقد كنت أحبُّ أن يمشي عليّ مثلك، لترينَّ ما أصنع بك؛ فيوسّع له مدّ بصره، ويدخل عليه في قبره ملكا القبر وهما قعيدا القبر: منكر ونكير فيلقيان فيه الروح إلى حقويه فيقعدانه ويسألانه فيقولان: من ربّك؟ فيقول: الله، فيقولان: ما دينك؟ فيقول: الإسلام، فيقولان: من نبيّك؟ فيقول: محمّد صلى الله عليه وآله، فيقولان: ومن إمامك؟ فيقول: فلان؛ قال: فينادي منادٍ من السماء: صدق عبدي، افرشوا له في قبره من الجنّة، وافتحوا له في قبره باباً إلى الجنّة، وألبسوه من ثياب الجنّة حتّى يأتينا، وما عندنا خير له؛ ثم يقال له: نم نومة العروس نم نومة لا حلم فيها. قال: وإن كان كافراً خرجت الملائكة تشيّعه إلى قبره يلعنونه حتّى إذا انتهي به إلى قبره قالت له الأرض: لا مرحباً بك ولا أهلاً، أما والله لقد كنت أبغض أن يمشي عليّ مثلك، لا جرم لترينَّ ما أصنع بك اليوم، فتضيق عليه حتّى

---

(١) - (٢) الكافي، ص ١٢١ باب ١٥٩ ح ١٠ و١١.

تلتقي جوانحه؛ قال: ثمّ يدخل عليه ملكا القبر وهما قعيدا القبر: منكر ونكير؛ قال أبو بصير: جعلت فداك يدخلان على المؤمن والكافر في صورة واحدة؟ فقال: لا، قال: فيقعدانه ويلقيان فيه الروح إلى حقويه فيقولان له: من ربّك؟ فيتلجلج ويقول: قد سمعت الناس يقولون، فيقولان له: لا دريت، ويقولان له ما دينك؟ فيتلجلج، فيقولان له: لا دريت، ويقولان له: من نبيّك؟ فيقول: قد سمعت الناس يقولون، فيقولان له: لا دريت ويسأل عن إمام زمانه قال: فينادي مناد من السماء: كذب عبدي، افرشوا له في قبره من النار، وألبسوه من ثياب النار، وافتحوا له باباً إلى النار حتّى يأتينا، وما عندنا شرّ له، فيضربانه بمرزبة ثلاث ضربات ليس منها ضربة إلاّ يتطاير قبره ناراً، لو ضرب بتلك المرزبة جبال تهامة لكانت رميماً. وقال أبو عبد الله عليه السلام: ويسلّط الله عليه في قبره الحيّات تنهشه نهشاً، والشيطان يغمّه غمّاً، قال: ويسمع عذابه من خلق الله إلاّ الجنّ والإنس، قال: وإنّه ليسمع خفق نعالهم ونفض أيديهم، وهو قول الله عزّ وجلّ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾(١).

شي: عن أبي بصير مثله. «ج ١ ص ٢٤٣ ح ١٨ من سورة إبراهيم».

بيان: قوله: لا دريت دعاء عليه، أو استفهام إنكاريّ أي علمت وتمّت الحجّة عليك في الدنيا وإنّما جحدت بشقاوتك.

١٠٨ - **كا:** عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن محبوب، عن عبد الله بن كولوم، عن أبي سعيد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا دخل المؤمن قبره كانت الصلاة عن يمينه، والزكاة عن يساره، والبرّ مطلّ عليه، قال: فيتنحّى الصبر ناحية، فإذا دخل عليه الملكان اللّذان يليان مساءلته قال الصبر للصلاة والزكاة: دونكما صاحبكم فإن عجزتم عنه فأنا دونه(٢).

١٠٩ - **كا:** عليّ بن محمّد، عن أحمد الخراسانيّ، عن أبيه قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إذا وضع الميّت في قبره مثّل له شخص فقال له: ياهذا كنّا ثلاثة، كان رزقك فانقطع بانقطاع أجلك، وكان أهلك فخلّفوك وانصرفوا عنك، وكنت عملك فبقيت معك، أما إنّي كنت أهون الثلاثة عليك(٣).

١١٠ - **كا:** عنه، عن أبيه رفعه قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: يسأل الميّت في قبره عن خمس: عن صلاته، وزكاته، وحجّه، وصيامه، وولايته إيّانا أهل البيت، فتقول الولاية عن جانب القبر للأربع: ما دخل فيكنّ من نقص فعليّ تمامه(٤).

١١١ - **كا:** عليّ بن إبراهيم، عن محمّد بن عيسى، عن يونس قال: سألته عن المصلوب: يعذّب عذاب القبر؟ قال: فقال: نعم إنّ الله عزّ وجلّ يأمر الهواء أن يضغطه(٥).

---

(١) - (٣) الكافي، ج ٣ ص ١٢٢ باب ١٥٩ ح ١٢ و١٣ و١٤.

(٤) - (٥) الكافي، ج ٣ ص ١٢٣ باب ١٥٩ ح ١٥ و١٦.

وفي رواية أخرى: سئل أبو عبد الله عليه السلام عن المصلوب يصيبه عذاب القبر؟ فقال: إنَّ ربّ الأرض هو ربّ الهواء، فيوحي الله عزّ وجلّ إلى الهواء فيضغطه ضغطة أشدّ من ضغطة القبر[١].

١١٢ - **كا:** حميد بن زياد، عن الحسن بن محمّد بن سماعة، عن غير واحد، عن أبان، عن أبي بصير، عن أحدهما عليهما السلام قال: لمّا ماتت رقيّة ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الحقي بسلفنا الصالح عثمان بن مظعون وأصحابه؛ قال: وفاطمة عليها السلام على شفير القبر تنحدر دموعها في القبر، ورسول الله صلى الله عليه وآله يتلقّاه بثوبه قائم يدعو، قال: إنّي لأعرف ضعفها وسألت الله عزّ وجلّ أن يجيرها من ضمّة القبر[٢].

١١٣ - **كا:** محمّد بن يحيى، عن محمّد بن الحسين، عن عبد الرحمن بن أبي هاشم، عن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما من قبر إلاّ وهو ينطق كلّ يوم ثلاث مرّات: أنا بيت التراب، أنا بيت البلى، أنا بيت الدود؛ قال: فإذا دخله عبد مؤمن قال: مرحباً وأهلاً، أما والله لقد كنت أحبّك وأنت تمشي على ظهري فيكف إذا دخلت بطني؟! فسترى ذلك قال: فيفسح له مدّ البصر ويفتح له باب يرى مقعده من الجنّة، قال: ويخرج من ذلك رجل لم تر عيناه شيئاً أحسن منه فيقول: يا عبد الله ما رأيت شيئاً قط أحسن منك، فيقول: أنا رأيك الحسن الّذي كنت عليه وعملك الصالح الّذي كنت تعمله، قال: ثمّ تؤخذ روحه فتوضع في الجنّة حيث رأى منزله، ثمّ يقال له: نم قرير العين، فلا تزال نفحة من الجنّة تصيب جسده، يجد لذّتها وطيبها حتّى يبعث؛ قال: وإذا دخل الكافر قالت: لا مرحباً بك ولا أهلاً، أما والله لقد كنت أبغضك وأنت تمشي على ظهري، فكيف إذا دخلت بطني؟ سترى ذلك؛ فتضمّ عليه فتجعله رميماً ويعاد كما كان، ويفتح له باب إلى النار فيرى مقعده من النار؛ ثمّ قال: ثمّ إنّه يخرج منه رجل أقبح من رأى قطّ قال: فيقول: يا عبد الله من أنت؟ ما رأيت شيئاً أقبح منك! قال: فيقول: أنا عملك السيّئ الّذي كنت تعمله، ورأيك الخبيث، قال: ثمّ تؤخذ روحه فتوضع حيث رأى مقعده من النار، ثمّ لم تزل نفحة من النار تصيب جسده فيجد ألمها وحرّها إلى يوم البعث، ويسلّط على روحه تسعة وتسعون تنّيناً تنهشه ليس فيها تنّين ينفخ على ظهر الأرض فتنبت شيئاً[٣].

١١٤ - **كا:** عدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن الحسن بن عليّ، عن غالب بن عثمان، عن بشير الدهّان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ للقبر كلاماً في كلّ يوم، يقول: أنا بيت الغربة، أنا بيت الوحشة، أنا بيت الدود، أنا القبر، أنا روضة من رياض الجنّة أو حفرة من حفر النار[٤].

١١٥ - **كا:** محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن أحمد بن محمّد، عن

---

(١) - (٢) الكافي، ج ٣ ص ١٢٣ باب ١٥٩ ح ١٧ و١٨.
(٣) الكافي، ج ٣ ص ١٢٣ باب ١٦٠ ح ١. (٤) الكافي، ج ٣ ص ١٢٤ باب ١٦٠ ح ٢.

عبد الرحمن بن حمّاد، عن عمرو بن يزيد قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنّي سمعتك وأنت تقول: كلّ شيعتنا في الجنّة على ما كان فيهم، قال صدّقتك، كلّهم والله في الجنّة؛ قال: قلت: جعلت فداك إنّ الذنوب كثيرة كبائر، فقال: أمّا في القيامة فكلّكم في الجنّة بشفاعة النبيّ المطاع أو وصيّ النبيّ، ولكنّي والله أتخوّف عليكم في البرزخ، قلت: وما البرزخ؟ قال: القبر منذ حين موته إلى يوم القيامة(١).

١١٦ - **كا**: عليّ بن محمّد، عن عليّ بن الحسن، عن الحسين بن راشد، عن المرتجل بن معمّر، عن ذريح المحاربيّ، عن عباية الأسديّ، عن حبّة العرنيّ قال: خرجت مع أمير المؤمنين عليه السلام إلى الظهر فوقف بوادي السلام كأنّه مخاطب لأقوام فقمت بقيامه حتّى أعييت، ثمّ جلست حتّى مللت، ثمّ قمت حتّى نالني مثل ما نالني أوّلاً، ثمّ جلست حتّى مللت، ثمّ قمت وجمعت ردائي فقلت: يا أمير المؤمنين إنّي قد أشفقت عليك من طول القيام فراحة ساعة، ثمّ طرحت الرداء ليجلس عليه فقال: يا حبّة إن هو إلاّ محادثة مؤمن أو مؤانسته، قال: قلت: يا أمير المؤمنين وإنّهم لكذلك؟ قال: نعم ولو كشف لك لرأيتهم حلقاً حلقاً محتبين يتحادثون، فقلت أجسام أم أرواح؟ فقال: أرواح، وما من مؤمن يموت في بقعة من بقاع الأرض إلاّ قيل لروحه: الحقي بوادي السلام؛ وإنّها لبقعة من جنّة عدن(٢).

١١٧ - **كا**: عدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن الحسن بن عليّ، عن أحمد بن عمر رفعه عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: إنّ أخي ببغداد وأخاف أن يموت بها، فقال: ما تبالي حيثما مات، أما إنّه لا يبقى مؤمن في شرق الأرض وغربها إلاّ حشر الله روحه إلى وادي السلام، فقلت له: وأين وادي السلام؟ قال: ظهر الكوفة، أما إنّي كأنّي بهم حلق حلق قعود يتحدّثون(٣).

١١٨ - **كا**: عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن الحسن بن محبوب، عن أبي ولاّد الحنّاط، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: جعلت فداك يروون أنّ أرواح المؤمنين في حواصل طيور خضر حول العرش، فقال: لا، المؤمن أكرم على الله من أن يجعل روحه في حوصلة طير، لكن في أبدان كأبدانهم(٤).

١١٩ - **كا**: عدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن عبد الرحمن بن أبي نجران، عن مثنّى الحنّاط عن أبي بصير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إنّ أرواح المؤمنين لفي شجرة من الجنّة يأكلون من طعامها، ويشربون من شرابها، ويقولون: ربّنا أقم لنا الساعة، وأنجز لنا ما وعدتنا، وألحق آخرنا بأوّلنا(٥).

---

(١) الكافي، ج ٣ ص ١٢٤ باب ١٦٠ ح ٣.
(٢) - (٣) الكافي، ج ٣ ص ١٢٤ باب ١٦١ ح ١-٢.
(٤) الكافي، ج ٣ ص ١٢٤ باب ١٦٢ ح ١.
(٥) الكافي، ج ٣ ص ١٢٤-١٢٥ باب ١٦٢ ح ٢.

١٢٠ - **كا:** سهل بن زياد، عن إسماعيل بن مهران، عن درست بن أبي منصور، عن ابن مسكان، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الأرواح في صفة الأجساد في شجرة في الجنّة تعارف وتسائل، فإذا قدمت الروح على الأرواح تقول: دعوها فإنّها قد أفلتت من هول عظيم، ثمّ يسألونها: ما فعل فلان؟ وما فعل فلان؟ فإن قالت لهم، تركته حيًّا ارتجوه، وإن قالت لهم: قد هلك قالوا: قد هوى هوى[1].

١٢١ - **كا:** عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن محمّد بن عثمان، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن أرواح المؤمنين فقال: في حجرات في الجنّة، يأكلون من طعامها، ويشربون من شرابها، ويقولون: ربّنا أقم لنا الساعة، وأنجز لنا ما وعدتنا، وألحق آخرنا بأوّلنا[2].

ين: ابن أبي عمير، عن عليّ، عن أبي بصير مثله. «ص ١٦٤ باب ١٦ ح ٩».

١٢٢ - **كا:** عليّ، عن أبيه، عن محسن بن أحمد، عن محمّد بن حمّاد، عن يونس بن يعقوب، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا مات الميّت اجتمعوا عنده يسألونه عمّن مضى وعمّن بقي فإن كان مات ولم يرد عليهم قالوا: قد هوى هوى، ويقول بعضهم لبعض: دعوه حتّى يسكن ممّا مرّ عليه من الموت[3].

١٢٣ - **كا:** محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن محمّد بن خالد، عن القاسم بن محمّد، عن الحسين بن أحمد، عن يونس بن ظبيان قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فقال: ما يقول الناس في أرواح المؤمنين؟ فقلت: يقولون: تكون في حواصل طيور خضر في قناديل تحت العرش، فقال أبو عبد الله عليه السلام: سبحان الله! المؤمن أكرم على الله من أن يجعل روحه في حوصلة طير، يايونس إذا كان ذلك أتاه محمّد صلى الله عليه وآله وعليّ وفاطمة والحسن والحسين والملائكة المقرّبون عليهم السلام فإذا قبضه الله عزّ وجلّ صيّر تلك الروح في قالب كقالبه في الدنيا، فيأكلون ويشربون، فإذا قدم عليهم القادم عرفوه بتلك الصورة الّتي كانت في الدنيا[4].

ين: القاسم مثله. «ص ١٦٤ باب ١٦ ح ١٠».

١٢٤ - **كا:** محمّد بن أحمد، عن الحسين بن سعيد، عن أخيه الحسن، عن زرعة، عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنّا نتحدّث عن أرواح المؤمنين أنّها في حواصل طير خضر ترعى في الجنّة وتأوي إلى قناديل تحت العرش، فقال: لا، إذاً ما هي في حواصل طير، قلت: فأين هي؟ قال: في روضة كهيئة الأجساد في الجنّة[5].

---

(١) - (٣) الكافي، ج ٣ ص ١٢٤-١٢٥ باب ١٦٢ ح ٣-٥.

(٤) - (٥) الكافي، ج ٣ ص ١٢٤-١٢٥ باب ١٦٢ ح ٦-٧.

١٢٥ - **كا:** عليّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن محمّد بن عثمان، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن أرواح المشركين، فقال: في النار يعذّبون، يقولون: ربّنا لا تقم لنا الساعة ولا تنجز لنا ما وعدتنا، ولا تلحق آخرنا بأوّلنا[١].

ين: ابن أبي عمير: عن عليّ، عن أبي بصير مثله. «ص ١٦٤ باب ١٦ ح ٩».

١٢٦ - **كا:** عدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن عبد الرحمن بن أبي نجران، عن مثنّى، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ أرواح الكفّار في نار جهنّم يعرضون عليها يقولون: ربّنا لا تقم لنا الساعة، ولا تنجز لنا ما وعدتنا، ولا تلحق آخرنا بأوّلنا[٢].

١٢٧ - **دعوات الراوندي:** قال أمير المؤمنين عليه السلام: ليس بيننا وبين الجنّة أو النار إلاّ الموت[٣].

فذلكة: اعلم أنّ الّذي ظهر من الآيات الكثيرة والأخبار المستفيضة والبراهين القاطعة هو أنّ النفس باقية بعد الموت، إمّا معذّبة إن كان ممّن محض الكفر، أو منعّمة إن كان ممّن محض الإيمان، إو يلهى عنه إن كان من المستضعفين، ويردُّ إليه الحياة في القبر إمّا كاملاً إو إلى بعض بدنه كما مرّ في بعض الأخبار، ويسأل بعضهم عن بعض العقائد وبعض الأعمال، ويثاب ويعاقب بحسب ذلك، وتضغط أجساد بعضهم، وإنّما السؤال والضغطة في الأجساد الأصليّة، وقد يرتفعان عن بعض المؤمنين كمن لقّن كما سيأتي، أو مات في ليلة الجمعة أو يومها أو غير ذلك ممّا مرّ وسيأتي في تضاعيف أخبار هذا الكتاب، ثمّ تتعلّق الروح بالأجساد المثاليّة اللّطيفة الشبيهة بأجسام الجنّ والملائكة، المضاهية في الصورة للأبدان الأصليّة فينعّم ويعذّب فيها، ولا يبعد أن يصل إليه الآلام ببعض ما يقع على الأبدان الأصليّة لسبق تعلّقه بها، وبذلك يستقيم جميع ما ورد في ثواب القبر وعذابه واتّساع القبر وضيقه، وحركة الروح وطيرانه في الهواء وزيارته لأهله، ورؤية الأئمّة عليهم السلام بأشكالهم، ومشاهدة أعدائهم معذّبين، وسائر ما ورد في أمثال ذلك ممّا مرّ وسيأتي، فالمراد بالقبر في أكثر الأخبار ما يكون الروح فيه في عالم البرزخ، وهذا يتمّ على تجسّم الروح وتجرّده، وإن كان يمكن تصحيح بعض الأخبار بالقول بتجسّم الروح أيضاً بدون الأجساد المثاليّة، لكن مع ورود الأجساد المثاليّة في الأخبار المعتبرة المؤيّدة بالأخبار المستفيضة لا محيص عن القول بها، وليس هذا من التناسخ الباطل في شيء، إذ التناسخ لم يتمّ دليل عقليّ على امتناعه إذ أكثرها عليلة مدخولة ولو تمّت لا تجري أكثرها فيما نحن فيه كما لا يخفى على من تدبّر فيها، والعمدة في نفيه ضرورة الدين وإجماع المسلمين، وظاهر أنّ هذا غير داخل فيما انعقد الإجماع والضرورة على نفيه، كيف وقد قال به كثير من المسلمين كشيخنا المفيد قدّس الله

---

(١) - (٢) الكافي، ج ٣ ص ١٢٥ باب ١٦٣ ح ١ و٢. (٣) الدعوات للراوندي، ص ٢٣٦.

روحه وغيره من علمائنا المتكلّمين والمحدّثين؟ بل لا يبعد القول بتعلّق الروح بالأجساد المثاليّة عند النوم أيضاً كما يشهد به ما يرى في المنام، وقد وقع في الأخبار تشبيه حالة البرزخ وما يجري فيها بحالة الرؤيا وما يشاهد فيها كما مرّ، بل يمكن أن يكون للنفوس القويّة العالية أجساد مثاليّة كثيرة كأئمّتنا صلوات الله عليهم حتّى لا نحتاج إلى بعض التأويلات والتوجيهات في حضورهم عند كلّ ميت، وسائر ما سيأتي في كتاب الإمامة في غرائب أحوالهم من عروجهم إلى السماوات كلّ ليلة جمعة وغير ذلك.

ثمّ اعلم أنّ عذاب البرزخ وثوابه ممّا اتّفقت عليه الأُمّة سلفاً وخلفاً، وقال به أكثر أهل الملل ولم ينكره من المسلمين إلاّ شرذمة قليلة لا عبرة بهم، وقد انعقد الإجماع على خلافهم سابقاً ولاحقاً، والأحاديث الواردة فيه من طرق العامّة والخاصّة متواترة المضمون، وكذا بقاء النفوس بعد خراب الأبدان مذهب أكثر العقلاء من الملّيّين والفلاسفة، ولم ينكره إلاّ فرقة قليلة كالقائلين بأنّ النفس هي المزاج وأمثاله ممّن لا يعبأ بهم ولا بكلامهم، وقد عرفت ما يدلّ عليه من الأخبار الجليّة وقد أُقيمت عليه البراهين العقليّة، ولنذكر بعض كلمات علماء الفريقين في المقامين.

قال نصير الملّة والدين قدّس الله روحه في التجريد: عذاب القبر واقع لإمكانه وتواتر السمع بوقوعه.

وقال العلاّمة الحلّي نوّر الله ضريحه في شرحه: نقل عن ضرار أنّه أنكر عذاب القبر، والإجماع على خلافه.

وقال الشيخ المفيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أجوبة المسائل السرويّة حيث سئل ما قوله - أدام الله تأييده - في عذاب القبر وكيفيّته؟ ومتى يكون؟ وهل تردّ الأرواح إلى الأجساد عند التعذيب أم لا؟ وهل يكون العذاب في القبر أو يكون بين النفختين؟

الجواب: الكلام في عذاب القبر طريقه السمع دون العقل. وقد ورد عن أئمّة الهدى عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ أنّهم قالوا: ليس يعذّب في القبر كلّ ميّت، وإنّما يعذّب من جملتهم من محض الكفر محضاً، ولا ينعّم كلّ ماض لسبيله، وإنّما ينعّم منهم من محض الإيمان محضاً، فأمّا ما سوى هذين الصنفين فإنّه يلهى عنهم، وكذلك روي أنّه لا يسأل في قبره إلاّ هذان الصنفان خاصّة، فعلى ما جاء به الأثر من ذلك يكون الحكم ما ذكرناه، فأمّا عذاب الكافر في قبره ونعيم المؤمنين فيه فإنّ الخبر أيضاً قد ورد بأنّ الله تعالى يجعل روح المؤمن في قالب مثل قالبه في الدنيا في جنّة من جنّاته ينعّمه فيها إلى يوم الساعة، فإذا نفخ في الصور أنشأ جسده الّذي بلي في التراب وتمزّق ثمّ أعاده إليه وحشره إلى الموقف، وأمر به إلى جنّة الخلد، فلا يزال منعّماً ببقاء الله عَزَّ وَجَلَّ غير أنّ جسده الّذي يعاد فيه لا يكون على تركيبه في الدنيا، بل تعدل طباعه، وتحسن صورته، فلا يهرم مع تعديل الطباع، ولا يمسّه نصب في الجنّة ولا

لغوب؛ والكافر يجعل في قالب كقالبه في الدنيا في محلّ عذاب يعاقب به، ونار يعذّب بها حتّى الساعة، ثمّ أنشئ جسده الّذي فارقه في القبر ويعاد إليه، ثمّ يعذّب به في الآخرة عذاب الأبد، ويركّب أيضاً جسده تركيباً لا يفنى معه، وقد قال الله عز وجل اسمه: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ﴾(١) وقال في قصة الشهداء: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ﴾ فدلّ على أنّ العذاب والثواب يكونان قبل يوم القيامة وبعدها، والخبر وارد بأنّه يكون مع فراق الروح الجسد من الدنيا، والروح ههنا عبارة عن الفعّال الجوهر البسيط، وليس بعبارة عن الحياة الّتي يصحّ معها العلم والقدرة لأنَّ هذه الحياة عرض لا يبقى ولا يصحّ الإعادة فيه فهذا ما عوّل عليه بالنقل وجاء به الخبر على ما بيّنّاه.

ثمّ سئل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما قوله - أدام الله تمكينه - في معنى قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ﴾ أهم أحياء في الحقيقة على ما تقتضيه الآية أم الآية مجاز؟ وأنَّ أجسادهم الآن في قبورهم أم في الجنّة؟ فإنّ المعتزلة من أصحاب أبي هاشم يقولون: إنَّ ا لله تعالى ينزع من جسد كلّ واحد منهم أجزاءاً قدر ما يتعلّق به الروح، وأنّه تعالى يرزقهم على ما نطقت به الآية، وما سوى هذا من أجزاء أبدانهم فهي في قبورهم كأجساد سائر الموتى.

الجواب: هذا المحكيّ عن أصحاب أبي هاشم لأنَّ المحفوظ عنه الإنسان المخاطب المأمور المنهيّ هو البنية الّتي لا تصحّ الحياة إلاّ بها وما سوى ذلك من الجسد ليس بإنسان ولا يتوجّه إليه أمر ولا نهي ولا تكليف، وإن كان القوم يزعمون أنَّ تلك البنية لا تفارق ما جاورها من الجسد فيعذّب أو ينعّم فهو مقال يستمرّ على أنّ البنية الّتي ذكروها هو المكلّف المأمور المنهيّ، وباقي جسده في القبر، إلاّ أنّهم لم يذكروا كيف يعذّب من عذّب ويثاب من أثيب؟ أفي دار غير الدنيا أم فيها؟ وهل يحيى بعد الموت أو تفارق الجملة في الدنيا فلا يلحقه موت؟ ثمّ لم يحك عنهم في أيّ محلّ يعذّبون ويثابون؟ وفيما قالوه من ذلك فليس به أثر ولا يدلّ عليه العقل، وإنّما هو يخرج منهم على الظنّ والحساب، ومن بنى مذهبه على الظنّ في مثل هذا الباب كان بمقالته مفترياً؛ ثمّ الّذي يفسد قولهم من بعد ما دلّ على أنّ الإنسان المأمور المنهيّ هو الجوهر البسيط، وأنَّ الأجزاء المؤلّفة لا يصحّ أن تكون فعّالة، ودلائل ذلك يطول بإثباتها الكتاب، وفيما أومأنا إليه منها كفاية فيما تعلّق به السؤال وبالله التوفيق.

وسئل عنه قدّس الله روحه في المسائل العكبريّة عن قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ الآية، هل يكون الرزق لغير جسم؟ وما صورة هذه الحياة؟ فإنّا مجمعون على أنّ الجواهر لا تبلى شيئاً، فما الفرق حينئذ في الحياة بين المؤمن والكافر؟

---

(١) سورة غافر، الآية: ٤٦.

فأجاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ بأنّ الرزق لا يكون عندنا إلاّ للحيوان، والحيوان عندنا ليسوا بأجسام بل ذوات أُخرجوا في هذه الدار إلى الأجساد، وتعذّر عليهم كثير من الأفعال إلاّ بها، فإن أُغنوا عنها بعد الوفاة جاز أن يرزقوا مع عدمها رزقاً يحصل لهم به اللّذات، وإن افتقروا إليها كان الرزق لهم حينئذ بحسبه في الدنيا على السواء، فأمّا قوله: ما صورة هذه الحياة؟ فالحياة لا صورة لها لأنّها عرض من الأعراض وهي تقوم بالذات الفعّالة دون الأجساد الّتي تقوم بها حياة النموّ دون الحياة الّتي هي شرط في العلم والقدرة ونحوهما من الأعراض، وقوله: إنّا مجمعون على أنّ الجواهر لا تبلى شيئاً فليس ذلك كما ظنّ، ولو كان كما توهّم لم يمتنع أن توجد الحياة لبعض الجواهر وترفع عن بعض، كما توجد حياة النموّ لبعض الأجساد وترفع من بعض بالاتّفاق، ولو قلنا: إنّ الحياة بعد النقلة من هذه الدار تعمّ أهل الكفر والإيمان لم يفسد ذلك علينا أصلاً في الدين، فكانت الحياة لأهل الإيمان شرطاً في وصول اللّذّات إليهم، والحياة لأهل الكفر شرطاً في وصول الآلام إليهم بالعقاب انتهى.

وقال شارح المقاصد: اتّفق الإسلاميّون على حقيقة سؤال منكر ونكير في القبر وعذاب الكفّار وبعض العصاة فيه، ونسب خلافه إلى بعض المعتزلة؛ قال بعض المتأخّرين منهم: حكي إنكار ذلك عن ضرار بن عمرو، وإنّما نسب إلى المعتزلة - وهم برآء منه - لمخالطة ضرار إيّاهم، وتبعه قوم من السفهاء من المعاندين للحقّ ونحوه؛ قال في المواقف: وقال المحقّق الدوانيّ في شرح العقائد العضديّة: عذاب القبر للمؤمن والفاسق والكافر حقّ لقوله تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ الآية، وقوله: ﴿رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ ولقوله ﷺ: إنّ أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشيّ، إن كان من أهل الجنّة فمن الجنّة، وإن كان من أهل النار فمن النار، فيقال: هذا مقعدك حتّى نبعثك يوم القيامة. وقوله ﷺ: استنزهوا من البول فإنّ عامّة عذاب القبر منه. وقوله ﷺ: القبر إمّا روضة من رياض الجنّة، أو حفرة من حفر النيران. ونقل العلاّمة التفتازانيّ عن السيّد أبي الشجاع أنّ الصبيان يسألون وكذا الأنبياء عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ. وقيل: إنّ الأنبياء لا يسألون لأنّ السؤال على ما ورد في الحديث عن ربّه وعن دينه وعن نبيّه، ولا يعقل السؤال عن النبيّ ﷺ من نفس النبيّ، وأنت خبير بأنّه لا يدلّ على عدم السؤال مطلقاً بل عدم السؤال عن نبيّه فقط، وذلك أيضاً في الّذي لا يكون على ملّة نبيّ آخر. واختلف الناس في عذاب القبر فأنكره قوم بالكلّيّة وأثبته آخرون، ثمّ اختلف هؤلاء فمنهم من أثبت التعذيب وأنكر الإحياء وهو خلاف العقل، وبعضهم لم يثبت العذاب بالفعل بل قال: تجتمع الآلام في جسده فإذا حشر أحسّ بها دفعة، وهذا إنكار لعذاب القبر حقيقة، ومنهم من قال بإحيائه لكن من غير إعادة الروح، ومنهم من قال بالاحياء وإعادة الروح ولا يلزم أن يرى أثر الحياة فيه حتّى أنّ المأكول في بطن الحيوانات يحيى ويسأل وينعّم ويعذّب ولا ينبغي أن ينكر لأنّ من أخفى النار في الشجر الأخضر قادر على إخفاء العذاب والنعيم.

قال الإمام الغزاليّ[1] في الإحياء: اعلم أنّ لك ثلاث مقامات في التصديق بأمثال هذا:

(١) الغزالي أبو حامد محمّد بن محمّد الطوسي الشافعي المعروف بحجّة الإسلام صاحب التصانيف المعروفة منها إحياء العلوم الذي اختصره أخوه أحمد الغزالي وهذّبه المحقّق الكاشاني صاحب الوافي وسمّاه المحجّة البيضاء في تهذيب الاحياء. وقال أبوالفرج ابن الجوزي الحنبلي الفاضل المطلع الخبير، الذي كان له يد طولى في التفسير والحديث والفقه وفي كلّ العلوم، في الغزاليّ: وجاء أبو حامد الغزالي فصنّف لهم أي الصوفية كتاب الاحياء على طريقة القوم وملأه بالاحاديث الباطلة، وهو لا يعلم بطلانها. وقال: إنّ هذه الكتب كتب بدع وضلالات. وقال أيضاً في كتاب تلبيس ابليس ص٥٩٧: وقد حكى أبو حامد الغزالي في كتاب الاحياء قال: كان بعض الشيوخ في بداية ارادته يكسل عن القيام، فألزم نفسه القيام على رأسه طول الليل لتسمح نفسه بالقيام عن طوع. قال: وعالج بعضهم حبّ المال بأن باع جميع ماله ورماه في البحر إذا خاف من تفرقته على الناس وعونة الجود ورياء البذل وكان بعضهم يستأجر من يشتمه على ملأ من الناس ليعوّد نفسه الحلم، وكان آخر يركب البحر في الشتاء عند اضطراب الموج ليصير شجاعاً. قال المصنّف: أعجب من جميع هؤلاء عندي أبو حامد كيف حكى هذه الأشياء ولم ينكرها وكيف ينكرها وقد أتى بها في معرض التعليم، وقال قبل أن يورد هذه الحكايات ينبغي للشيخ أن ينظر إلى حالة المبتدي فإن رأى معه مالاً فاضلاً عن قدر حاجته أخذه وصرفه في الخير وفرغ قلبه منه حتّى لا يلتفت إليه، وإن رأى الكبرياء قد غلب عليه أمره ان يخرج إلى السوق للكدّ ويكلفه السؤال والمواظبة على ذلك، وإن رأى الغالب عليه البطالة استخدمه في بيت الماء وتنظيفه وكنس المواضع القذرة وملازمة المطبخ ومواضع الدخان، وإن رأى شره الطعام غالباً عليه ألزمه الصوم، وإن رآه عزباً ولم تنكسر شهوته بالصوم امره أن يفطر ليلة على الماء دون الخبز وليلة على الخبز دون الماء ويمنعه اللحم رأساً. قلت: وإنّي لأتعجّب من أبي حامد كيف يأمر بهذه الأشياء التي تخالف الشريعة وكيف يحلّ القيام على الرأس طول الليل فينعكس الدم إلى وجهه ويورثه ذلك مرضاً شديداً وكيف يحلّ رمي المال في البحر وقد نهى رسول الله ﷺ عن إضاعة المال وهل يحلّ سبّ مسلم بلا سبب وهل يجوز للمسلم أن يستأجر على ذلك وكيف يجوز ركوب البحر زمان اضطرابه وذلك زمان قد سقط فيه الخطاب بأداء الحج وكيف يحلّ السؤال لمن يقدر ان يكتسب فما أرخص ما باع أبو حامد الغزالي الفقه بالتصوف. وقال أيضاً ص٣٧٩: وحكى أبو حامد الغزالي عن ابن الكريني أنّه قال: نزلت في محلة فعرفت فيها بالصلاح، فدخلت الحمّام وغيبت عليّ ثياباً فاخرة فسرقتها ولبستها، ثمّ لبست مرقعتي فوقها وخرجت فجعلت أمشي قليلاً قليلاً فلحقوني فنزعوا مرقعتي وأخذوا الثياب وصفعوني، فصرت بعد ذلك أعرف بلص الحمّام فسكنت نفسي. قال أبو حامد: فهكذا كانوا يروّضون أنفسهم حتّى يخلصهم الله من النظر إلى الخلق، ثمّ من النظر إلى النفس وأرباب الأحوال ربّما عالجوا انفسهم بما لا يفتي به الفقيه مهما رأوا صلاح قلوبهم ثمّ يتداركون ما فرّط منهم من صورة التقصير كما فعل هذا في الحمّام. قلت: سبحان من أخرج أبا حامد من دائرة الفقه بتصنيفه كتاب الاحياء فليته لم يحك فيه مثل هذا الذي لا يحلّ والعجب انّه يحكيه ويستحسنه ويسمّي أصحابه أرباب أحوال وأيّ حالة أقبح وأشدّ من حال من يخالف الشرع ويرى المصلحة في المنهيّ عنه وكيف يجوز ان يطلب صلاح القلوب بفعل المعاصي أو قد عدم في الشريعة ما يصلح قلبه حتّى يستعمل ما لا يحلّ فيها، وكيف يحلّ للمسلم=

أحدها - وهو الأظهر والأصحّ - أن تصدّق بأنّ الحيّة مثلاً موجودة تلدغ الميّت ولكنّا لا نشاهد ذلك، فإنّ تلك العين لا تصلح لمشاهدة تلك الأُمور الملكوتيّة، وكلّ ما يتعلّق بالآخرة فهو من عالم الملكوت، أما ترى أنّ الصحابة كيف كانوا يؤمنون بنزول جبرئيل عليه السلام، وما كانوا يشاهدونه، ويؤمنون أنّه صلى الله عليه وآله يشاهده؟ فإن كنت لا تؤمن بهذا، فتصحيح الإيمان بالملائكة والوحي عليك أوجب، وإن آمنت به وجوّزت أن يشاهد النبيّ صلى الله عليه وآله ما لا تشاهده الأُمّة فيكف لا تجوّز هذا في الميّت؟.

المقام الثاني: أن تتذكّر أمر النائم فإنّه يرى في نومه حيّة تلدغه وهو يتألّم بذلك حتّى يرى في نومه يصيح ويعرق جبينه، وقد ينزعج من مكانه، كلّ ذلك يدرك من نفسه ويتأذّى به كما يتأذّى اليقظان، وأنت ترى ظاهره ساكناً ولا ترى في حواليه حيّة، والحيّة موجودة في حقّه، والعذاب حاصل، ولكنّه في حقّك غير مشاهد، وإن كان العذاب ألم اللّدغ فلا فرق بين حيّة تتخيّل أو تشاهد.

المقام الثالث: أنّ الحيّة بنفسها لا تؤلم بل الّذي يلقاك منها هو السمّ ثمّ السمّ ليس هو الألم، بل عذابك في الأثر الّذي يحصل فيك من السمّ، فلو حصل مثل ذلك من غير سمّ فكان ذلك العذاب قد توفّر، وقد لا يمكن تعريف ذلك النوع من العذاب إلاّ بأن يضاف إلى السبب الّذي يفضي إليه في العادة، والصفات المهلكات تنقلب مؤذيات ومؤلمات في النفس عند الموت فتكون آلامها كآلام لدغ الحيّات من غير وجود الحيّات.

فإن قلت: ما الصحيح من هذه المقامات الثلاثة؟ فاعلم أنّ من الناس من لم يثبت إلاّ الثالث، وإنّما الحقّ الّذي انكشف لنا من طريق الاستبصار أنّ كلّ ذلك في حيّز الإمكان، وأنّ من ينكر بعض ذلك فهو لضيق حوصلته وجهله باتّساع قدرة الله وعجائب تدبيره منكر من أفعال الله تعالى ما لم يأنس به ولم يألفه، وذلك جهل وقصور، بل هذه الطرق الثلاثة في التعذيب ممكن، والتصديق بها واجبٌ، وربّ عبد يعاقب بنوع واحد من هذه الأنواع الثلاثة؛ هذا هو الحقّ فصدّق به.

أن يعرض نفسه لأن يقال عنه سارق وهل يجوز ان يقصد وهن دينه ومحو ذلك عند شهداء الله في الأرض، ثمّ كيف يجوز التصرّف في مال الغير بغير إذنه، ثمّ في نص مذهب أحمد والشافعي انّ من سرق من الحمام ثياباً عليها حافظ وجب قطع يده. فعجبي من هذا الفقيه المستلب عن الفقه بالتصوف أكثر من تعجّبي من هذا المستلب الثياب؛ انتهى. وادّعى انه رأى الله تعالى في المنام وقال له: يا أبا حامد! قلت: أو الشيطان يكلمني؟ قال: لا بل أنا الله المحيط بجهاتك الست. وتمام الكلام في ذلك في كتاب الغدير ط٢ ج١١ ص١٥٩. القصص الخرافية في حقّه من جعل يده في يد سيّد المرسلين ج١١ ص١٦١. كلمات الأميني قدّس سره حول كتابه إحياء العلوم ص١٦١ - ١٦٧. [مستدرك السفينة ج ٧ لغة «غزل»].

ثمّ قال: وسؤال منكر ونكير حقّ لقوله ﷺ: إذا أقبر الميّت أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما: منكر، وللآخر: نكير، يقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فإن كان مؤمناً فيقول: هو عبد الله ورسوله، أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأشهد أنّ محمّداً رسول الله، فيقولان: قد كنّا نعلم أنّك تقول هذا، ثمّ يفسح في قبره سبعين ذراعاً في سبعين ذراعاً، ثمّ ينوّر له فيه، ثمّ يقال له: نم، فيقول: أرجع إلى أهلي فأخبرهم؟ فيقولان: نم كنومة العروس الّذي لا يوقظه إلاّ أحبّ أهله، حتّى يبعثه الله من مضجعه ذلك؛ وإن كان منافقاً قال: سمعت الناس يقولون فقلت مثله، لا أدري! فيقولان: قد كنّا نعلم أنّك تقول ذلك، فيقال للأرض: التئمي عليه، فتلتئم عليه فتختلف أضلاعه، فلا يزال فيه معذّباً حتّى يبعثه الله من مضجعه ذلك. وأنكر الجبائيّ وابنه والبلخيّ تسمية الملكين منكراً ونكيراً، وقالوا: إنّما المنكر ما يصدر من الكافر عند تلجلجه إذا سئل، والنكير إنّما هو تقريع الكافر، وهو خلاف ظاهر الحديث، والأحاديث الصحيحة الدالّة على عذاب القبر ونعيمه وسؤال الملكين أكثر من أن تحصر بحيث يبلغ قدره المشترك حدّ التواتر وإن كان كلّ منها خبر الآحاد، واتّفق عليه السلف الصالح قبل ظهور المخالف، وأنكره مطلقاً ضرار بن عمرو وأكثر متأخري المعتزلة، وبعض الروافض متمسّكين بأنّ الميّت جماد فلا يعذّب، وما سبق حجّة عليهم، ومن تأمّل عجائب الملك والملكوت وغرائب صنعه تعالى لم يستنكف عن قبول أمثال هذا، فإنّ للنفس نشآت، وفي كلّ نشأة تشاهد صوراً تقتضيها تلك النشأة، فكما أنّها تشاهد في المنام أموراً لم تكن تشاهد في اليقظة فكذا تشاهد في حال الانخلاع عن البدن أموراً لم تكن تشاهد في الحياة، وإلى هذا يشير من قال: الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا. انتهى كلامه.

ولا يخفى على أحد أنّ ما نسبه هو وغيره إلى الشيعة في هذا الباب فرية بلا مرية، ولا يوجد من ذلك في كتبهم عين ولا أثر، وقد سمعت بعض كلماتهم في ذلك، ولعلّه رأى ذلك في بعض كتب الملاحدة من الاسماعيليّة وغيرهم الملصقين بهذه الفرقة المحقّة فنسب ذلك إليهم مجملاً، وهذا تدليس قبيح ولا سيّما من الفضلاء.

ثمّ اعلم أنّه روى العامّة في كتبهم عن أبي أمامة الباهليّ أنّ النبيّ ﷺ قال: إذا مات أحدكم وسوّيتم عليه التراب فليقم أحدكم عند قبره ثمّ ليقل: يافلان بن فلانة فإنّه يسمع ولا يجيب، ثمّ ليقل: يافلان بن فلانة - الثانية - فيستوي قاعداً، ثمّ ليقل: يا فلان بن فلانة؛ فإنّه يقول: أرشدنا رحمك الله، فيقول: اذكر ما خرجت عليه من الدنيا: شهادة أن لا إله إلاّ الله، وأنّ محمّداً عبده ورسوله، وأنّك رضيت بالله ربّاً، وبالإسلام ديناً، وبمحمّد نبيّاً، وبالقرآن إماماً؛ فإنّ منكراً ونكيراً يتأخّر كلّ واحد منهما فيقول: انطلق فما يقعدنا عند هذا وقد لقّن حجّته؟ فقال: يارسول الله، فإن لم يعرف أمّه؟ قال: فلينسبه إلى حوّاء.

وقال الشيخ البهائيّ قدّس الله روحه: قد يتوهّم أنّ القول بتعلّق الأرواح بعد مفارقة أبدانها

العنصريّة بأشباح أخر كما دلّت عليه الأحاديث قول بالتناسخ، وهذا توهّم سخيف لأنّ التناسخ الّذي أطبق المسلمون على بطلانه هو تعلّق الأرواح بعد خراب أجسادها بأجسام أخر في هذا العالم، إمّا عنصريّة كما يزعم بعضهم ويقسّمه إلى النسخ والمسخ والفسخ والرسخ، أو فلكيّة ابتداءاً أو بعد تردّدها في الأبدان العنصريّة على اختلاف آرائهم الواهية المفصّلة في محلّها، وأمّا القول بتعلّقها في عالم آخر بأبدان مثاليّة مدّة البرزخ إلى أن تقوم قيامتها الكبرى فتعود إلى أبدانها الأوّليّة بإذن مبدعها إمّا بجمع أجزائها المتشتّتة أو بإيجادها من كتم العدم كما أنشأها أوّل مرّة فليس من التناسخ في شيء، وإن سمّيته تناسخاً فلا مشاحّة في التسمية إذا اختلف المسمّى، وليس إنكارنا على التناسخيّة وحكمنا بتكفيرهم بمجرّد قولهم بانتقال الروح من بدن إلى آخر، فإنّ المعاد الجسمانيّ كذلك عند كثير من أهل الإسلام، بل بقولهم بقدم النفوس وتردّدها في أجسام هذا العالم وإنكارهم المعاد الجسمانيّ في النشأة الأُخرويّة.

قال الفخر الرازيّ في نهاية العقول: إنّ المسلمين يقولون بحدوث الأرواح وردّها إلى الأبدان لا في هذا العالم، والتناسخيّة يقولون بقدمها وردّها إليها في هذا العالم، وينكرون الآخرة والجنّة والنار، وإنّما كفروا من أجل هذا الإنكار انتهى كلامه ملخّصاً. فقد ظهر البون البعيد بين القولين؛ انتهى كلامه زاد الله في إكرامه.

ثمّ اعلم أنّ مقتضى قواعد العدليّة وظواهر النصوص الماضية والآتية أنّه إنّما يسأل في القبر المكلّفون الكاملون لا الأطفال والمجانين والمستضعفون، وأمّا الأنبياء والأئمّة عليهم السلام وإن كان المفهوم من فحوى عدم سؤال من لقّن وأمثالهم وما مرّ أنّه يسأل وهو مضغوط على بعض محتملاته وغيره ممّا يدلّ على رفعة شأنهم عدم السؤال عنهم، لكن لمّا لم نر فيه نصّاً صريحاً فالأولى عدم التعرّض له نفياً وإثباتاً، ولذا لم يتعرّض له علماؤنا رضوان الله عليهم.

قال صاحب المحجّة البيضاء في مذهب آل العباء: اختلف أهل السنّة في أنّ الأنبياء عليهم السلام هل يسألون في القبر أم لا؟ وكذا في الأطفال، فقيل: الأصحّ أنّ الأنبياء عليهم السلام لا يسألون. وقال الصفّار: ليس في هذا نصّ ولا خبر ولا دليل فانتفي ذلك عنهم، وما روي عنه صلى الله عليه وآله من الاستعاذة من عذاب القبر فذلك للمبالغة في إظهار الافتقار إلى الله تعالى، وقيل: هو تحكّم محض لجواز أن يقال: آمن الرسول بما أُنزل إليه من ربّه فكما جاز أن يسأل المؤمن عمّا آمن به فيقال: من ربّك وما دينك؟ فكذا الرسول يسأل عمّا آمن به؛ فعلم أنّ حمل الاستعاذة على المبالغة تحكّم بغير دليل، ولأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله صاحب عهدة عظيمة لأنّه إنّما بعث لبيان الشرائع وصرف القلوب إلى الله تعالى فلم لا يجوز أن يسأل عمّا كان في عهدته؟ حتّى قيل: وسؤالهما الأنبياء بهذه العبارة: على ماذا تركتم أُمّتكم؟ والحقّ أنّ الأئمّة كالأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين في هذه الأمور كلّها، ولم أر في كتب الإماميّة هذه المسألة لا نفياً

ولا إثباتاً، والّذي يطمئنّ إليه قلبي أنّهم مع الأئمّة سلام الله عليهم مستثنون من هذه الأحكام. انتهى.

وقال الصدوق رحمه الله في رسالة العقائد: اعتقادنا في المسألة في القبر أنّها حقّ لا بدّ منها، فمن أجاب بالصواب فإذا بروح وريحان في قبره وبجنّة نعيم في الآخرة ومن لم يأت بالصواب فله نزل من حميم في قبره وتصلية جحيم في الآخرة، وأكثر ما يكون عذاب القبر من النميمة وسوء الخلق والاستخفاف بالبول، وأشدّ ما يكون عذاب القبر على المؤمن مثل اختلاج العين أو شرطة حجّام، ويكون ذلك كفّارة لما بقي عليه من الذنوب الّتي تكفّرها الهموم والغموم والأمراض وشدّة النزف عند الموت، فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كفّن فاطمة بنت أسد في قميصه بعدما فرغت النساء من غسلها، وحمل جنازتها على عاتقه حتّى أوردها قبرها، ثمّ وضعها ودخل القبر واضطجع فيه ثمّ قام فأخذها على يديه ووضعها في قبرها، ثمّ انكبّ عليها يناجيها طويلاً ويقول لها: ابنك ابنك، ثمّ خرج وسوّى عليها التراب، ثمّ انكبّ على قبرها فسمعوه وهو يقول: اللّهم إنّي أودعتها إيّاك، ثمّ انصرف، فقال له المسلمون: يارسول الله إنّا رأيناك صنعت اليوم شيئاً لم تصنعه قبل اليوم، فقال: اليوم فقدت برّ أبي طالب إنّها كانت يكون عندها الشيء فتؤثرني به على نفسها وولدها، وإنّي ذكرت القيامة وأن الناس يحشرون عراة فقالت واسوأتاه! فضمنت لها أن يبعثها الله تعالى كاسية، وذكرت ضغطة القبر فقالت: وا ضعفاه! فضمنت لها أن يكفيها الله تعالى ذلك فكفّنتها بقميصي واضطجعت في قبرها لذلك وانكببت عليها فلقّنتها ما تسأل عنه، وإنّما سئلت عن ربّها فقالت: الله، وسئلت عن نبيّها فأجابت، وسئلت عن وليّها وإمامها فأرتج عليها، فقلت لها: ابنك ابنك.

أقول: وقال الشيخ المفيد نوّر الله ضريحه في شرح هذا الكلام: جاءت الأخبار الصحيحة عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّ الملائكة تنزل على المقبورين فتسألهم عن أديانهم، وألفاظ الأخبار بذلك متقاربة، فمنها أنّ ملكين لله تعالى يقال لهما: ناكر ونكير ينزلان على الميّت فيسألانه عن ربّه ونبيّه ودينه وإمامه فإن أجاب بالحقّ سلّموه إلى ملائكة النعيم، وإن أرتج عليه سلّموه إلى ملائكة العذاب؛ وقيل في بعض الأخبار: إنّ اسمي الملكين اللّذين ينزلان على المؤمن مبشر وبشير؛ وقيل: إنّه إنّما سمّي ملكا الكافر ناكراً ونكيراً لأنّه ينكر الحقّ، وينكر ما يأتيانه به ويكرهه؛ وسمّي ملكا المؤمن مبشراً وبشيراً لأنّهما يبشّرانه من الله تعالى بالرضا والثواب المقيم، وإنّ هذين الاسمين ليسا بلقب لهما، وإنّهما عبارة عن فعلهما، وهذه أمور تتقارب بعضها من بعض ولا تستحيل معانيها والله أعلم بحقيقة الأمر فيها؛ وقد قلنا فيما سلف: إنّما ينزل الملكان على من محض الإيمان محضاً، أو محض الكفر محضاً، ومن سوى هذين فيلهى عنه، وبيّنا أنّ الخبر جاء بذلك فمن جهته قلنا فيه ما ذكرناه.

فصل: وليس ينزل الملكان إلاّ على حيّ ولا يسألان إلاّ من يفهم المسألة ويعرف

معناها، وهذا يدلّ على أنّ الله تعالى يحيي العبد بعد موته للمساءلة، ويديم حياته بنعيم إن كان يستحقّه، أو بعذاب إن كان يستحقّه - نعوذ بالله من سخطه ونسأله التوفيق لما يرضيه برحمته - والغرض من نزول الملكين ومساءلتهما العبد أنّ الله يؤكّل بالعبد بعد موته ملائكة النعيم وملائكة العذاب، وليس للملائكة طريق إلى ما يستحقّه العبد إلاّ بإعلام الله تعالى ذلك لهم، فالملكان اللّذان ينزلان على العبد أحدهما من ملائكة النعيم، والآخر من ملائكة العذاب، فإذا هبطا لما وكّلا به استفهما حال العبد بالمساءلة فإن أجاب بما يستحقّ به النعيم قام بذلك ملك النعيم وعرج عنه ملك العذاب، وإن ظهرت فيه علامة استحقاقه العذاب وكل به ملك العذاب وعرج عنه ملك النعيم؛ وقد قيل: إنّ الملائكة الموكّلين بالنعيم والعقاب غير الملكين الموكّلين بالمساءلة، وإنّما يعرف ملائكة النعيم وملائكة العقاب ما يستحقّه العبد من جهة ملكي المساءلة، فإذا ساءلا العبد وظهر منه ما يستحقّ به الجزاء تولّى منه ذلك ملائكة الجزاء، وعرج ملكا المساءلة إلى مكانهما من السماء، وهذا كلّه جائز ولسنا نقطع بأحد دون صاحبه، إذ الأخبار فيه متكافئة، والعادة لنا في معنى ما ذكرناه التوقّف والتجويز.

فصل: وإنّما وكّل الله تعالى ملائكة المساءلة وملائكة العذاب والنعيم بالخلق تعبّداً لهم بذلك، كما وكّل الكتبة من الملائكة عليهم السلام بحفظ أعمال الخلق وكتبها ونسخها ورفعها تعبّداً لهم بذلك، وكما تعبّد طائفة من الملائكة بحفظ بني آدم وطائفة منهم بإهلاك الأمم، وطائفة بحمل العرش، وطائفة بالطواف حول البيت المعمور، وطائفة بالتسبيح، وطائفة بالاستغفار للمؤمنين، وطائفة بتنعيم أهل الجنّة، وطائفة بتعذيب أهل النار والتعبّد لهم بذلك ليثيبهم عليها، ولم يتعبّد الله الملائكة بذلك عبثاً كما لم يتعبّد البشر والجنّ بما تعبّدهم به لعباً بل تعبّد الكلّ للجزاء، وما تقتضيه الحكمة من تعريفهم نفسه تعالى والتزامهم شكر النعمة عليهم، وقد كان الله تعالى قادراً على أن يفعل العذاب بمستحقّه من غير واسطة وينعّم المطيع من غير واسطة، لكنّه علّق ذلك على الوسائط لما ذكرناه وبيّنّا وجه الحكمة فيه ووصفناه، وطريق مساءلة الملكين الأموات بعد خروجهم من الدنيا بالوفاة هو السمع، وطريق العلم بردّ الحياة إليهم عند المساءلة هو العقل، إذ لا تصحّ مساءلة الأموات واستخبار الجمادات، وإنّما يحسن الكلام للحيّ العاقل لما يكلّم به، وتقريره وإلزامه بما يقدر عليه، مع أنّه قد جاء في الخبر أنّ كلّ مساءل تردّ اليه الحياة عند مساءلته ليفهم ما يقال له؛ فالخبر بذلك أكّد ما في العقل، ولو لم يرد بذلك خبر لكفى حجّة العقل فيه على ما بيّنّاه. انتهى كلامه رحمه الله[1].

وأقول: لمّا كانت هذه المسألة من أعظم الأصول الإسلاميّة وقد أكثرت المتفلسفة والملاحدة الشبه فيها ورام بعض من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه تأويلها وتحريفها أطنبت الكلام فيها بعض الإطناب، وأرجو من فضل ربّي أن يوفّقني لأن أعمل في ذلك رسالة مفردة

---

(١) تصحيح الاعتقاد: ص ٧٧ - ٨٢.

عن هذا الكتاب، والله الموفّق لكلّ خير وصواب. وقد أثبتنا الأخبار النافعة في هذا المقصد الأقصى في باب الاحتضار، وباب الجريدتين، وباب الدفن، وباب التلقين وغيرها من أبواب الجنائز؛ وباب أحوال أولاد آدم، وأبواب معجزات الأئمّة عليهم السلام وغرائب أحوالهم، وسيأتي خبر طويل في تكلّم سلمان مع بعض الأموات في باب أحواله رضي الله عنه، وسيأتي في أكثر الأبواب ما يناسب الباب لاسيّما في باب فضل فاطمة بنت أسد رضي الله عنها، وباب فضل ليلة الجمعة ويومها، وأبواب المواعظ، وأبواب فضائل الأعمال وغيرها ممّا تطول الإشارة إليها فكيف ذكرها.

٩ - باب آخر في جنة الدنيا ونارها وهو من الباب الاول

الآيات: مريم «١٩»: ﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا ﴿٦١﴾ لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا إِلَّا سَلَٰمٗاۖ وَلَهُمۡ رِزۡقُهُمۡ فِيهَا بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ﴿٦٢﴾﴾.

الحج: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوۡ مَاتُواْ لَيَرۡزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدۡخِلَنَّهُم مُّدۡخَلٗا يَرۡضَوۡنَهُۥۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٞ ﴿٥٩﴾﴾.

يس «٣٦»: ﴿إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾

المؤمن [غافر] «٤٠»: ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾.

نوح «٧١»: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا﴾.

تفسير: ﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٍ﴾ أي جنّات إقامة ﴿ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ أي وعدها إيّاهم وهي غائبة عنهم، أو وهم غائبون عنها، أو وعدهم بإيمانهم بالغيب ﴿إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ﴾ الّذي هو الجنّة ﴿مَأۡتِيّٗا﴾ يأتيها أهلها الموعود لهم. وقيل: المفعول بمعنى الفاعل أي آتياً ﴿لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا﴾ أي فضول كلام ﴿إِلَّا سَلَٰمٗا﴾ أي ولكن يسمعون قولاً يسلمون فيه من العيب والنقيصة، أو إلاّ تسليم الملائكة عليهم، أو تسليم بعضهم على بعض على الاستثناء المنقطع. ﴿وَلَهُمۡ رِزۡقُهُمۡ فِيهَا بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا﴾ قال الطبرسيّ رحمه الله: قال المفسّرون: ليس في الجنّة شمس ولا قمر فيكون لهم بكرة وعشيّ، والمراد: أنّهم يؤتون رزقهم على ما يعرفونه من مقدار الغداة والعشيّ؛ وقيل: كانت العرب إذا أصاب أحدهم الغداء والعشاء أعجب به وكانت تكره الأكلة الواحدة في اليوم فأخبر الله تعالى أنّ لهم في الجنّة رزقهم بكرة وعشيّاً على قدر ذلك الوقت، وليس ثمّ ليل وإنّما هو ضوء ونور. وقيل: إنّهم يعرفون مقدار اللّيل بإرخاء الحجب وفتح الأبواب انتهى[1].

---

(١) مجمع البيان، ج ٦ ص ٤٣٣-٤٣٤.

أقول: سيأتي نقلاً من تفسير عليّ بن إبراهيم أنّ هذا في جنّة الدنيا، فلا يحتاج إلى هذه التكلّفات.

قوله تعالى: ﴿لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ قيل: هذا في جنّة الدنيا كقوله تعالى في الآية الأُخرى: ﴿بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ وقال الطبرسيّ في قصّة مؤمن آل يس عند قوله تعالى: ﴿إِنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ﴾: عن ابن مسعود قال: إنّ قومه لمّا سمعوا ذلك القول منه وطئوه بأرجلهم حتّى مات فأدخله الله الجنّة وهو حيّ فيها يرزق وهو قوله: ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ﴾ وقيل: رجموه حتّى قتلوه؛ وقيل: إنّ القوم لمّا أرادوا أن يقتلوه رفعه الله إليه فهو في الجنّة ولا يموت إلاّ بفناء الدنيا وهلاك الجنّة عن الحسن ومجاهد، وقالا: إنّ الجنّة الّتي دخلها يجوز هلاكها، وقيل: إنّهم قتلوه إلاّ أنّ الله سبحانه أحياه وأدخله الجنّة فلمّا دخلها قال: ﴿يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾ الآية. وفي هذا دلالة على نعيم القبر لأنّه إنّما قال ذلك وقومه أحياء، وإذا جاز نعيم القبر جاز عذاب القبر فإنّ الخلاف فيهما واحد[1].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله تعالى: ﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ﴾: أي أحاط ونزل بهم ﴿سُوءُ الْعَذَابِ﴾ أي مكروهه وما يسوء منه، وسوء العذاب في الدنيا الغرق وفي الآخرة النار، وذلك قوله: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ أي يعرض آل فرعون على النار في قبورهم صباحاً ومساءاً فيعذّبون؛ وعن نافع عن ابن عمر أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إنّ أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشيّ، إن كان من أهل الجنّة من الجنّة، وإن كان من أهل النار فمن النار، يقال: هذا مقعدك حتّى يبعثك الله يوم القيامة؛ أورده البخاريّ ومسلم في الصحيحين. وقال أبو عبد الله عليه السلام: ذلك في الدنيا قبل يوم القيامة لأنّ نار القيامة لا تكون غدوّاً وعشيّاً، ثمّ قال: إن كانوا إنّما يعذّبون غدوّاً وعشيّاً ففيما بين ذلك هم من السعداء ولكن هذا في نار البرزخ قبل يوم القيامة، ألم تسمع قوله عزّ وجلّ: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾[2].

وقال البيضاويّ: ﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ﴾ أي من أجل خطيئاتهم، و ﴿مَا﴾ مزيدة للتأكيد والتفخيم ﴿أُغْرِقُوا﴾ بالطوفان ﴿فَأُدْخِلُوا نَارًا﴾، المراد عذاب القبر أو عذاب الآخرة والتعقيب لعدم الاعتداد بما بين الإغراق والإدخال، أو لأنّ المسبّب كالمتعقّب للسبب وإن تراخى عنه لفقد شرط أو وجود مانع[3].

١ - **ل:** أبي، عن عليّ، عن أبيه، عن ابن أبي نجران، عن ابن حميد، عن ابن قيس، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سأل الشاميّ الّذي بعثه معاوية ليسأل عمّا بعث إليه ابن الأصفر

(١) مجمع البيان، ج ٨ ص ٢٦٩. (٢) مجمع البيان، ج ٨ ص ٤٤٥.

(٣) تفسير البيضاوي، ج ٤ ص ٣٣٠.

الحسين بن عليّ عليه السلام عن العين الّتي تأوي إليها أرواح المشركين فقال: هي عين يقال لها: سلمى. الخبر[١].

ج: مرسلاً مثله. «ص ٢٦٨».

٢ - **ع:** ابن الوليد، عن الصفّار، عن ابن هاشم، عن عثمان، عن الحسين بن بشّار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن جنّة آدم فقال: جنّة من جنان الدنيا تطلع فيها الشمس والقمر، ولو كانت من جنان الخلد ما خرج منها أبداً[٢].

كا: عليّ، عن أبيه، عن البزنطيّ، عن الحسين بن ميسّر، عنه عليه السلام مثله[٣].

٣ - **فس:** أبي رفعه قال: سئل الصادق عليه السلام عن جنّة آدم أمن جنان الدنيا كانت أم من جنان الآخرة؟ فقال: كانت من جنان الدنيا تطلع فيها الشمس والقمر، ولو كانت من جنان الآخرة ما خرج منها أبداً الخبر[٤].

٤ - **فس:** ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ قال: ذلك في جنات الدنيا قبل القيامة، والدليل على ذلك قوله: ﴿بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ فالبكرة والعشيّ لا تكونان في الآخرة في جنان الخلد، وإنّما يكون الغدوّ والعشيّ في جنان الدنيا الّتي تنقل إليها أرواح المؤمنين، وتطلع فيها الشمس والقمر[٥].

٥ - **فس:** ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ فهذا هو في نار الدنيا قبل القيامة، وأمّا قوله: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ يعني في جنان الدنيا الّتي تنقل إليها أرواح المؤمنين ﴿مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ يعني غير مقطوع من نعيم الآخرة في الجنّة يكون متّصلاً به[٦].

٦ - **فس:** ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ قال: ذلك في الدنيا قبل القيامة وذلك أنّ في القيامة لا يكون غدوّاً ولا عشيّاً، لأنّ الغدوّ والعشاء إنّما يكون في الشمس والقمر وليس في جنان الخلد ونيرانها شمس ولا قمر، قال: وقال رجل لأبي عبد الله عليه السلام: ما تقول في قول الله عزّ وجلّ: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام: مايقول الناس فيها؟ فقال: يقولون: إنّها في نار الخلد وهم لا يعذّبون فيما بين ذلك، فقال عليه السلام: فهم من السعداء، فقيل له: جعلت فداك فكيف هذا؟ فقال: إنّما هذا في الدنيا فأمّا في نار

(١) الخصال، ص ٤٤١ باب العشرة ح ٣٣.
(٢) علل الشرائع، ج ٢ ص ٣٢٥ باب ٣٨٥ ح ٥٥.
(٣) الكافي، ج ٣ ص ١٢٦ باب ١٦٤ ح ٢.
(٤) تفسير القمي، ج ١ ص ٥٣.
(٥) تفسير القمي، ج ٢ ص ٢٦.
(٦) تفسير القمي، ج ١ ص ٣٣٩ في تفسيره لسورة هود، الآيات: ١٠٤-١٠٨.

الخلد فهو قوله: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾(١).

٧ - **فس:** أبي، عن الحسن بن محبوب، عن عليّ بن رئاب، عن ضريس الكناسيّ عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت له: جعلت فداك ما حال الموحّدين المقرين بنبوّة محمّد صلى الله عليه وآله من المسلمين المذنبين الّذين يموتون وليس لهم إمام ولا يعرفون ولايتكم؟ فقال: أمّا هؤلاء فإنّهم في حفرهم لا يخرجون منها فمن كان له عمل صالح ولم يظهر منه عداوة فإنّه يخدّ له خدّاً إلى الجنّة الّتي خلقها الله بالمغرب، فيدخل عليه الروح في حفرته إلى يوم القيامة حتّى يلقى الله فيحاسبه بحسناته وسيّئاته، فإمّا إلى الجنّة وإمّا إلى النار فهؤلاء الموقوفون لأمر الله، قال: وكذلك يفعل بالمستضعفين والبله والأطفال وأولاد المسلمين الّذين لم يبلغوا الحلم، وأمّا النصّاب من أهل القبلة فإنّه يخدّ لهم خدّاً إلى النار الّتي خلقها الله في المشرق فيدخل عليهم اللّهب والشرر والدخان وفورة الحميم إلى يوم القيامة، ثمّ بعد ذلك مصيرهم إلى الجحيم(٢).

٨ - **فس:** الحسين بن عبد الله السكينيّ عن أبي سعيد البجليّ، عن عبد الملك بن هارون، عن أبي عبد الله عليه السلام عن آبائه صلوات الله عليهم قال: كان فيما سأل ملك الروم الحسن بن عليّ عليه السلام أن سأله عن أرواح المؤمنين أين يكونون إذا ماتوا؟ قال: تجتمع عند صخرة بيت المقدس في ليلة الجمعة، وهو عرش الله الأدنى منها يبسط الله الأرض وإليها يطويها وإليه المحشر ومنها استوى ربّنا إلى السماء والملائكة؛ ثمّ سأل عن أرواح الكفّار أين تجتمع؟ قال: تجتمع في وادي حضرموت وراء مدينة اليمن(٣).

٩ - **ختص، ير:** الحسن بن أحمد، عن سلمة، عن الحسن بن عليّ بن بقّاح عن ابن جبلة، عن عبد الله بن سنان قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الحوض فقال لي: حوض ما بين بصرى إلى صنعاء أتحبّ أن تراه؟ قلت: نعم جعلت فداك، قال: فأخذ بيدي وأخرجني إلى ظهر المدينة ثمّ ضرب برجله فنظرت إلى نهر يجري لا تدرك حافتيه إلاّ الموضع الّذي أنا فيه قائم، فإنّه شبيه بالجزيرة فكنت أنا وهو وقوفاً فنظرت إلى نهر يجري من جانبه هذا ماء أبيض من الثلج، ومن جانبه هذا لبن أبيض من الثلج، وفي وسطه خمر أحسن من الياقوت، فما رأيت شيئاً أحسن من تلك الخمر بين اللّبن والماء، فقلت له: جعلت فداك من أين يخرج هذا؟ ومن أين مجراه؟ فقال: هذه العيون الّتي ذكرها الله في كتابه أنهار في الجنّة، عين من ماء، وعين من لبن، وعين من خمر تجري في هذا النهر؛ ورأيت حافتيه عليهما شجر فيهنّ حور متعلّقات برؤوسهنّ شعر ما رأيت شيئاً أحسن منهنّ وبأيديهنّ آنية ما رأيت آنية أحسن منها ليست من آنية الدنيا، فدنا من إحداهن فأومأ إليها بيده لتسقيه فنظرت إليها وقد مالت لتغرف من النهر فمال الشجر معها فاغترفت ثمّ ناولته فشرب ثمّ ناولها وأومأ إليها فمالت لتغرف

---

(١) تفسير القمي، ج ٢ ص ٢٢٩.
(٢) تفسير القمي، ج ٢ ص ٢٣٢.
(٣) تفسير القمي، ج ٢ ص ٢٤٤ وفيه: ومنها المحشر.

فمالت الشجرة معها فاغترفت ثمّ ناولته فناولني فشربت فما رأيت شراباً كان ألين منه ولا ألذّ منه، وكانت رائحته رائحة المسك، فنظرت في الكأس فإذا فيه ثلاثة ألوان من الشراب، فقلت له: جعلت فداك ما رأيت كاليوم قطّ، ولا كنت أرى أنّ الأمر هكذا، فقال لي: هذا أقلّ ما أعدّه الله لشيعتنا، إنّ المؤمن إذا توفّي صارت روحه إلى هذا النهر ورعت في رياضه وشربت من شرابه، وإنّ عدوّنا إذا توفّي صارت روحه إلى وادي برهوت فأخلدت في عذابه، وأطعمت من زقّومه، وأسقيت من حميمه، فاستعيذوا بالله من ذلك الوادي[١].

١٠ - **مل:** محمّد الحميريّ، عن أبيه، عن عليّ بن محمّد بن سليمان، عن محمّد بن خالد، عن عبد الله بن حمّاد، عن عبد الله الأصمّ، عن عبد الله بن بكر الأرّجانيّ قال: صحبت أبا عبد الله عليه السلام في طريق مكّة من المدينة فنزلنا منزلاً يقال له: عسفان[٢] ثمّ مررنا بجبل أسود عن يسار الطريق موحش، فقلت له: يابن رسول الله ما أوحش هذا الجبل! ما رأيت في الطريق مثل هذا، فقال لي: يابن بكر تدري أيّ جبل هذا؟ قلت: لا، قال: هذا جبل يقال له: الكمد وهو على واد من أودية جهنّم، وفيه قتلة أبي الحسين عليه السلام، استودعهم فيه، تجري من تحتهم مياه جهنّم من الغسلين والصديد والحميم، وما يخرج من جبّ الحوى، وما يخرج من الفلق من آثام، وما يخرج من طينة الخبال، وما يخرج من جهنّم، وما يخرج من لظى ومن الحطمة، وما يخرج من سقر، وما يخرج من الجحيم، وما يخرج من الهاوية، وما يخرج من السعير - وفي نسخة أخرى: وما يخرج من جهنّم، وما يخرج من لظى ومن الحطمة، وما يخرج من سقر، وما يخرج من الحميم - وما مررت بهذا الجبل في سفري فوقفت به إلاّ رأيتهما يستغيثان إليّ، وإنّي لأنظر إلى قتلة أبي فأقول لهما: هؤلاء إنّما فعلوا ما أسّستما لم ترحمونا إذ وليتم، وقتلتمونا وحرمتمونا، ووثبتم على حقّنا، واستبددتم بالأمر دوننا، فلا رحم الله من يرحمكما، ذوقا وبال ما قدّمتما، وما الله بظلاّم للعبيد؛ فقلت له: جعلت فداك أين منتهى هذا الجبل؟ قال: إلى الأرض السادسة وفيها جهنّم على وادٍ من أوديته، عليه حفظة أكثر من نجوم السماء وقطر المطر وعدد ما في البحار وعدد الثرى، قد وكّل كلّ ملك منهم بشيء وهو مقيم عليه لا يفارقه[٣].

بيان: تمامه في باب غرائب أحوال الأئمّة عليهم السلام. وجبّ الحوى لعلّه تصحيف جبّ الحزن لما روي أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: تعوّذوا بالله من جبّ الحزن؛ وهو اسم جبّ في جهنّم.

١١ - **كا:** محمّد بن يحيى، عن محمّد بن أحمد بإسناد له قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام:

---

(١) الاختصاص، ص ٣٢١ وبصائر الدرجات، ص ٣٧٤ ج ٨ باب ١٣ ح ٣.

(٢) أقول: في المجمع: عسفان كعثمان، موضع بين مكة والمدينة يذكر ويؤنث بينه وبين مكة مرحلتان، ونونه زائدة [النمازي].

(٣) كامل الزيارات، ص ٥٣٩ باب ١٠٨ ح ٢.

شرّ بئر في النار برهوت الّذي فيه أرواح الكفّار(١).

١٢ - **كا:** العدّة عن سهل وعليّ بن إبراهيم، عن أبيه جميعاً، عن جعفر بن محمّد الأشعريّ، عن القدّاح، عن أبي عبد الله، عن آبائه عليهم السلام قال: قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: شرّ ماء على وجه الأرض ماء برهوت، وهو الّذي بحضرموت يرده هام الكفّار(٢).

١٣ - **كا:** عليّ، عن أبيه، عن النوفليّ، عن السكونيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: شرّ اليهود يهود بيسان، وشرّ النصارى نصارى نجران، وخير ماء على وجه الأرض ماء زمزم، وشرّ ماء على وجه الأرض ماء برهوت، وهو واد بحضرموت ترد عليه هام الكفّار وصداهم(٣).

بيان: قال الجزريّ: فيه: لا عدوى ولا هامة، الهامة: الرأس، واسم طائر، وهو المراد في الحديث، وذلك أنّهم كانوا يتشاءمون بها، وهي من طير اللّيل؛ وقيل: هي البومة؛ وقيل: إنّ العرب كانت تزعم أنّ روح القتيل الّذي لا يدرك بثاره تصير هامة فتقول: اسقوني اسقوني، فإذا أدرك بثاره طارت؛ وقيل: كانوا يزعمون أنّ عظام الميّت - وقيل: روحه - تصير هامة فتطير ويسمّونه الصدى فنفاه الإسلام ونهاهم عنه انتهى. والمراد بالهام والصدى في الخبر أرواح الكفّار، وإنّما عبّر عنها بهما لأنّهم كانوا هكذا يعبّرون عنها، وإن كان ما زعموه في ذلك باطلاً.

١٤ - **كا:** العدّة، عن أحمد بن محمّد، وسهل بن زياد، وعليّ بن إبراهيم، عن أبيه جميعاً، عن ابن محبوب، عن ابن رئاب، عن ضريس الكناسيّ قال: سألت أبا جعفر عليه السلام أنّ الناس يذكرون أنّ فراتنا يخرج من الجنّة، فكيف هو وهو يقبل من المغرب وتصبّ فيه العيون والأودية؟ قال: فقال أبو جعفر عليه السلام - وأنا أسمع -: إنّ لله جنّة خلقها الله في المغرب وماء فراتكم هذا يخرج منها، وإليها تخرج أرواح المؤمنين من حفرهم عند كلّ مساء، فتسقط على ثمارها وتأكل منها وتتنعّم فيها وتتلاقى وتتعارف، فإذا طلع الفجر هاجت من الجنّة فكانت في الهواء فيما بين السماء والأرض تطير ذاهبةً وجائيةً وتعهد حفرها إذا طلعت الشمس وتتلاقى في الهواء وتتعارف؛ قال: وإنّ لله ناراً في المشرق خلقها ليسكنها أرواح الكفّار، ويأكلون من زقّومها، ويشربون من حميمها ليلهم، فإذا طلع الفجر هاجت إلى واد باليمن يقال له: برهوت أشدّ حرّاً من نيران الدنيا كانوا فيه يتلاقون ويتعارفون، فإذا كان المساء عادوا إلى النار فهم كذلك إلى يوم القيامة؛ قال: قلت: أصلحك الله ما حال الموحّدين المقرّين بنبوّة محمّد صلى الله عليه وآله من المسلمين المذنبين الّذين يموتون وليس لهم إمام ولا يعرفون ولايتكم؟ فقال: أمّا هؤلاء فإنّهم في حفرهم لا يخرجون منها، فمن كان منهم له

---

(١) - (٣) الكافي، ج ٣ ص ١٢٥ باب ١٦٣ ح ٣-٥.

عمل صالح ولم تظهر منه عداوة فإنّه يخدّ له خدٌّ إلى الجنّة الّتي خلقها الله في المغرب فيدخل عليه منها الروح في حفرته إلى يوم القيامة، فيلقى الله فيحاسبه بحسناته وسيّئاته، فإمّا إلى الجنّة، أو إلى النار، فهؤلاء موقوفون لأمر الله، قال: وكذلك يفعل الله بالمستضعفين والبله والأطفال وأولاد المسلمين الّذين لم يبلغوا الحلم، فأمّا النصّاب من أهل القبلة فإنّهم يخدّ لهم خدٌّ إلى النار الّتي خلقها الله في المشرق فيدخل عليهم منها اللّهب والشرر والدخان وفورة الحميم إلى يوم القيامة، ثمَّ مصيرهم إلى الحميم ثمَّ في النار يسجرون ثمَّ قيل لهم: أين ما كنتم تدعون من دون الله؟ أين إمامكم الّذي اتّخذتموه دون الإمام الّذي جعله الله للناس إماماً[1].

١٥ - **كا:** محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن أبي يحيى الواسطيّ، عن بعض أصحابنا، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنَّ من وراء اليمن وادياً يقال له: وادي برهوت، ولا يجاور ذلك الوادي إلاّ الحيّات السود والبوم من الطير، في ذلك الوادي بئر يقال لها: بلهوت يغدى ويراح إليها بأرواح المشركين يسقون من ماء الصديد[2].

١٦ - **فس:** أبي، عن أحمد بن النضر، عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: جاء رجل إلى النبيّ صلى الله عليه وآله فقال: يارسول الله رأيت أمراً عظيماً، فقال: وما رأيت؟ قال: كان لي مريض ونعت له من ماء بئر الأحقاف يستشفى به في برهوت، قال: فتهيّأت ومعي قربة وقدح لآخذ من مائها وأصبّ في القربة إذا شيء قد هبط من جو السماء كهيئة السلسلة وهويقول: ياهذا اسقني، الساعة أموت، فرفعت رأسي ورفعت إليه القدح لأسقيه فإذا رجل في عنقه سلسلة فلمّا ذهبت أُناوله القدح اجتذب حتّى علّق بالشمس، ثمَّ أقبلت على الماء أغترف إذ أقبل الثانية وهو يقول: العطش العطش ياهذا اسقني الساعة أموت، فرفعت القدح لأسقيه فاجتذب حتّى علّق بعين الشمس حتّى فعل ذلك الثالثة، وشددت قربتي ولم أسقه فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ذاك قابيل بن آدم قتل أخاه، وهو قوله عزّ وجلّ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾[3].

بيان: سيأتي أمثال هذا الخبر بطرق متعدّدة في أبواب أحوال الأئمّة عليهم السلام، وباب أحوال أولاد آدم عليه السلام وغيرها.

١٧ - **ير:** محمّد بن الحسين، عن البزنطيّ، عن عبد الكريم، عن محمّد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: جاء أعرابيّ إلى أبي جعفر عليه السلام فقال: من أين جئت ياأعرابيّ قال: من الأحقاف أحقاف عاد... قال: رأيت وادياً مظلماً فيه الهام والبوم لا يبصر قعره قال:

---

(١) الكافي، ج ٣ ص ١٢٦ باب ١٦٤ ح ١. (٢) روضة الكافي، ص ٧٩٥ ح ٣٧٥.
(٣) تفسير القمي، ج ١ ص ٣٦٢ في تفسيره لسورة الرعد، الآية: ١٤.

وتدري ما ذاك الوادي؟ قال: لا والله ما أدري، قال: ذاك برهوت فيه نسمة كلّ كافر[١].

١٨ - كتاب زيد النرسيّ: عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: إذا كان يوم الجمعة ويوما العيدين أمر الله رضوان خازن الجنان أن ينادي في أرواح المؤمنين وهم في عرصات الجنان: إنّ الله قد أذن لكم الجمعة بالزيارة إلى أهاليكم وأحبّائكم من أهل الدنيا، ثمّ يأمر الله رضوان أن يأتي لكلّ روح بناقة من نوق الجنّة عليها قبّة من زبرجد خضراء غشاؤها من ياقوتة رطبة صفراء، على النوق جلال وبراقع من سندس الجنان وإستبرقها، فيركبون تلك النوق، عليهم حلل الجنّة، متوّجون بتيجان الدرّ الرطب تضيء كما تضيء الكواكب الدرّيّة في جوّ السماء من قرب الناظر إليها لا من البعد، فيجتمعون في العرصة، ثمّ يأمر الله جبرئيل من أهل السماوات أن يستقبلوهم فتستقبلهم ملائكة كلّ سماء وتشيّعهم ملائكة كلّ سماء إلى السماء الأُخرى فينزلون بوادي السلام وهو واد بظهر الكوفة، ثمّ يتفرّقون في البلدان والأمصار حتّى يزوروا أهاليهم الّذين كانوا معهم في دار الدنيا، ومعهم ملائكة يصرفون وجوههم عمّا يكرهون النظر إليه إلى ما يحبّون، ويزورون حفر الأبدان حتّى ما إذا صلّى الناس وراح أهل الدنيا إلى منازلهم من مصلاّهم نادى فيهم جبرئيل بالرحيل إلى غرفات الجنان فيرحلون، قال: فبكى رجل في المجلس فقال: جعلت فداك هذا للمؤمن فما حال الكافر؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام: أبدان ملعونة تحت الثرى في بقاع النار، وأرواح خبيثة مسكونة بوادي برهوت من بئر الكبريت في مركبات الخبيثات الملعونات، يؤدّي ذلك الفزع والأهوال إلى الأبدان الملعونة الخبيثة تحت الثرى في بقاع النار، فهي بمنزلة النائم إذا رأى الأهوال، فلا تزال تلك الأبدان فزعة ذعرة، وتلك الأرواح معذّبة بأنواع العذاب في أنواع المركبات المسخوطات الملعونات المصفوفات مسجونات فيها لا ترى روحاً ولا راحة إلى مبعث قائمنا، فيحشرها الله من تلك المركبات فتردّ في الأبدان، وذلك عند النشرات فتضرب أعناقهم، ثمّ تصير إلى النار أبد الآبدين ودهر الداهرين[٢].

بيان: ظاهره كون أرواح السعداء في عالم البرزخ في الجنّة الّتي في السماء، ويمكن تخصيصها ببعض المقرّبين، والمراد بالمركبات الخبيثات الأجساد المثاليّة المناسبة لأرواحهم الملعونة، ويدلّ على أنّ للأجساد الأصليّة أيضاً حظّاً من العذاب.

١٠ - باب ما يلحق الرجل بعد موته من الأجر

١ - **ل:** أبي، عن الحميريّ، عن ابن عيسى، عن ابن محبوب، عن ابن رئاب، عن الحلبيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ليس يتبع الرجل بعد موته من الأجر إلاّ ثلاث

---

(١) بصائر الدرجات، ص ٤٦٢ ج ١٠ باب ١٨ ح ٩ وللحديث ذيل.
(٢) الأصول الستة عشر، ص ٤٣.

خصال: صدقة أجراها في حياته فهي تجري بعد موته إلى يوم القيامة، صدقة موقوفة لا تورث، أو سنّة هدى سنّها وكان يعمل بها وعمل بها من بعده غيره؛ أو ولد صالح يستغفر له[١].

٢ - **ل:** أبي، عن سعد، عن اليقطينيّ، عن محمّد بن شعيب، عن الهيثم، عن أبي كهمش، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ستّ خصال ينتفع بها المؤمن من بعد موته: ولد صالح يستغفر له، ومصحف يقرأ فيه، وقليب يحفره، وغرس يغرسه، وصدقة ماء يجريه، وسنّة حسنة يؤخذ بها بعده[٢].

٣ - **ما:** المفيد، عن أحمد بن الوليد، عن أبيه، عن الصفّار، عن ابن عيسى، عن يونس، عن السريّ بن عيسى، عن عبد الخالق بن عبد ربّه قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: خير ما يخلفه الرجل بعده ثلاثة: ولد بارّ يستغفر له، وسنّة خير يقتدى به فيها، وصدقة تجري من بعده[٣].

٤ - **لي:** محمّد بن عليّ، عن عليّ بن إبراهيم، عن محمّد بن عيسى، عن منصور، عن هشام بن سالم، عن الصادق جعفر بن محمّد عليه السلام قال: ليس يتبع الرجل بعد موته من الأجر إلاّ ثلاث خصال: صدقة أجراها في حياته فهي تجري بعد موته، وسنّة هدى سنّها فهي يُعمل بها بعد موته، وولد صالح يستغفر له[٤].

٥ - **سن:** أبي، عن أبان بن عثمان عن معاوية بن عمّار قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أيّ شيء يلحق الرجل بعد موته؟ قال: يلحقه الحجّ عنه، والصدقة عنه، والصوم عنه[٥].

أبواب المعاد وما يتبعه ويتعلق به

١ - باب أشراط الساعة، وقصة يأجوج ومأجوج

الآيات: الأنعام «٦»: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ «١٥٨».

الكهف «١٨»: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا

---

(١) الخصال، ص ١٥١ باب الثلاثة ح ١٨٤.

(٢) الخصال، ص ٣٦٣ باب الستة ح ٩ وفيه: كهمس، وهو الصحيح.

(٣) أمالي الطوسي، ص ٢٣٧ مجلس ٩ ح ٤٢٠.

(٤) أمالي الصدوق، ص ٣٨ مجلس ٩ ح ٧.

(٥) المحاسن، ص ٧٢.

﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا (٩٨) وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا (٩٩)﴾.

الأنبياء «٢١»: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ (٩٦) وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ (٩٧)﴾ وقال: ﴿وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾ «١٠٩».

النمل «٢٧»: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ «٨٢».

الزخرف «٤٣»: ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ «٦١».

الدخان «٤٤»: ﴿يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ (١٠) يَغْشَى النَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ (١١) رَّبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ (١٢) أَنَّىٰ لَهُمُ الذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ (١٣) ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ (١٤) إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ (١٥) يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنتَقِمُونَ (١٦)﴾.

محمد: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ﴾ «١٨».

تفسير: قال الطبرسيّ رحمه الله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾ أي ما ينتظر هؤلاء الكفار ﴿إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ لقبض أرواحهم؛ وقيل: لإنزال العذاب والخسف بهم؛ وقيل: لعذاب القبر ﴿أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾ أي أمر ربّك بالعذاب فحذف المضاف، أو يأتي ربّك بجلائل آياته فيكون حذف الجارّ فوصل الفصل ثم حذف المفعول لدلالة الكلام عليه لقيام الدليل في العقل عليه؛ أو المعنى: أو يأتي إهلاك ربّك إيّاهم بعذاب عاجل أو آجل بالقيامة كما يقال: قد أتاهم فلان أي قد أوقع بهم ﴿أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ وذلك نحو خروج الدابّة أو طلوع الشمس من مغربها.

وروي عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: بادروا بالأعمال ستّاً: طلوع الشمس من مغربها، والدابّة، والدجّال، والدخان، وخريصة أحدكم - أي موته - وأمر العامّة يعني القيامة ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ الّذي يضطرّهم إلى المعرفة ويزول التكليف، عندها ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ﴾ لأنّه ينسدّ باب التوبة بظهور آيات القيامة. ﴿أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ عطف على قوله: آمنت، وفيه أقوال:

أحدها: أنّه إنّما قال ذلك على جهة التغليب لأنّ أكثر من ينتفع بإيمانه حينئذ من كسب في إيمانه خيراً.

وثانيها: أنّه لا ينفع أحداً فعل الإيمان ولا فعل خير في تلك الحال لأنّه حال زوال التكليف، فالمعنى أنّه لا ينفعه إيمانه حينئذ وإن كسب في إيمانه خيراً.

وثالثها: أنّه للإبهام في أحد الأمرين، والمعنى: أنّه لا ينفع في ذلك اليوم إيمان نفس إذا لم تكن آمنت قبل ذلك اليوم أو ضمّت إلى إيمانها أعمال الخير، فإنّها إذا آمنت قبل نفعها

إيمانها، وكذلك إذا ضمّت إلى الإيمان طاعة نفعتها أيضاً وهذا أقوى[١].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله: ﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾: فسادهم أنّهم كانوا يخرجون فيقتلونهم ويأكلون لحومهم ودوابّهم، وقيل: كانوا يخرجون أيّام الربيع فلا يدعون شيئاً أخضر إلاّ أكلوه، ولا يابساً إلاّ احتملوه، عن الكلبيّ.

وقيل: إنّهم أرادوا سيفسدون في المستقبل عند خروجهم، وورد في الخبر عن حذيفة قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وآله عن يأجوج ومأجوج، قال: يأجوج أمّة، ومأجوج أمّة، كلّ أمّة أربعمائة أمّة لا يموت الرجل منهم حتّى ينظر إلى ألف ذكر من صلبه كلّ قد حمل السلاح، قلت: يارسول الله صفهم لنا، قال: هم ثلاثة أصناف: صنف منهم أمثال الأرز، قلت: يارسول الله وما الأرز؟ قال شجر بالشام طويل، وصنف منهم طولهم وعرضهم سواء وهؤلاء الّذين لا يقوم لهم جبل ولا حديد، وصنف منهم يفترش أحدهم إحدى أُذنيه ويلتحف بالأخرى، ولا يمرّون بفيل ولا وحش ولا جمل ولا خنزير إلاّ أكلوه، من مات منهم أكلوه، مقدّمتهم بالشام، وساقتهم بخراسان، يشربون أنهار المشرق وبحيرة طبريّة.

قال وهب ومقاتل: إنّهم من ولد يافث بن نوح أبي الترك، وقال السدّيّ: الترك سريّة من يأجوج ومأجوج خرجت تغير فجاء ذو القرنين فضرب السدّ فبقيت خارجه، وقال قتادة: إنّ ذا القرنين بنى السدّ على أحد وعشرين قبيلة، وبقيت منهم قبيلة دون السدّ فهم الترك. وقال كعب: هم نادرة من ولد آدم، وذلك أنّ آدم احتلم ذات يوم وامتزجت نطفته بالتراب فخلق الله من ذلك الماء والتراب يأجوج ومأجوج فهم متّصلون بنا من جهة الأب دون الأمّ وهذا بعيد.

﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ﴾ أي يعلوه ويصعدوه ﴿وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ أي لم يستطيعوا أن ينقبوا أسفله لكثافته وصلابته، فنفى بذلك كلّ عيب يكون في السدّ؛ وقيل: إنّ هذا السدّ وراء بحر الروم بين جبلين هناك يلي مؤخّرهما البحر المحيط؛ وقيل: إنّه وراء دربند وخزران من ناحية أرمينيّة وآذربيجان؛ وقيل: إنّ مقدار ارتفاع السدّ مائتا ذراع، وعرض الحائط نحو من خمسين ذراعاً.

قال ذوالقرنين: ﴿هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي﴾ أي هذا السدّ نعمة من الله لعباده أنعم بها عليهم في دفع شرّ يأجوج ومأجوج عنهم ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي﴾ يعني إذا جاء وقت أشراط الساعة ووقت خروجهم الّذي قدّره الله تعالى ﴿جَعَلَهُ دَكَّاءَ﴾ أي جعل السدّ مستوياً مع الأرض مدكوكاً أو ذا دكّ، وإنّما يكون ذلك بعد قتل عيسى بن مريم الدجّال عن ابن مسعود؛ وجاء في الحديث أنّهم يدأبون في حفره نهارهم حتّى إذا أمسوا وكادوا لا يبصرون شعاع الشمس قالوا: نرجع غداً ونفتحه ولا يستثنون فيعودون من الغد وقد استوى كما كان حتّى إذا جاء وعد الله قالوا:

(١) مجمع البيان، ج ٤ ص ٢٠٠.

غداً نخرج ونفتح إن شاء الله فيعودون إليه وهو كهيئة حين تركوه بالأمس فيخرقونه فيخرجون على الناس فينشفون المياه، وتتحصّن الناس في حصونهم منهم؛ فيرمون سهامهم إلى السماء فترجع وفيها كهيئة الدماء فيقولون: قد قهرنا أهل الأرض وعلونا أهل السماء فيبعث الله نغفاً في أقفائهم فتدخل في آذانهم فيهلكون بها، فقال النبيّ ﷺ: والّذي نفس محمّد بيده إنّ دوابّ الأرض لتسمن وتشكر من لحومهم شكراً؛ وفي تفسير الكلبيّ: إنّ الخضر واليسع يجتمعان كلّ ليلة على ذلك السدّ يحجبان يأجوج ومأجوج عن الخروج.

﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ أي وتركنا يأجوج ومأجوج يوم انقضاء أمر السدّ يموجون في الدنيا مختلطين لكثرتهم ويكون حالهم كحال الماء الّذي يتموّج باضطراب أمواجه؛ وقيل: إنّه أراد سائر الخلق الجنّ والإنس أي تركنا الناس يوم خروج يأجوج ومأجوج يختلط بعضهم ببعض لأنّ ذلك علَم للساعة[١].

وقال رحمه الله في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾ أي فتحت جهتهم، والمعنى انفرج سدّهم بسقوط أو هدم أوكسر وذلك من أشراط الساعة ﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾ أي من كلّ نشز من الأرض يسرعون، يعني أنّهم يتفرّقون في الأرض فلا ترى أكمة إلاّ وقوم منهم يهبطون منها مسرعين يقولون: ﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ﴾ أي الموعود الصدق وهو قيام الساعة، فإذا هي شاخصة أبصار الّذين كفروا أي لا تكاد تطرف من شدّة ذلك اليوم وهوله، ﴿يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾ أي اشتغلنا بأمور الدنيا، وغفلنا عن هذا اليوم فلم نتفكّر فيه، بل كنّا ظالمين بأن عصينا الله تعالى وعبدنا غيره[٢].

وقال في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ أي وجب العذاب والوعيد عليهم، وقيل: معناه: إذا صاروا بحيث لا يفلح أحد منهم ولا أحد بسببهم. وقيل: إذا غضب الله عليهم؛ وقيل: إذا نزل العذاب بهم عند اقتراب الساعة فسمّي المقول قولاً ﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ﴾ تخرج بين الصفا والمروة فتخبر المؤمن بأنّه مؤمن، والكافر بأنّه كافر وعند ذلك يرتفع التكليف ولا تقبل التوبة، وهو علَم من أعلام الساعة؛ وقيل: لا يبقى مؤمن إلاّ مسحته، ولا يبقى منافق إلاّ حطمته، تخرج ليلة جمع والناس يسيرون إلى منى؛ عن ابن عمر؛ وروى محمّد بن كعب قال: سئل عليّ عليه السلام عن الدابّة فقال: أما والله ما لها ذنب وإنّ لها للحية؛ وفي هذا إشارة إلى أنّها من الإنس.

وروى ابن عبّاس أنّها دابّة من دوابّ الأرض لها زغب وريش ولها أربع قوائم. وعن حذيفة، عن النبيّ ﷺ قال: دابّة الأرض طولها ستّون ذراعاً، لا يدركها طالب، ولا يفوتها هارب، فتسم المؤمن بين عينيه وتكتب بين عينيه: مؤمن، وتسم الكافر بين عينيه وتكتب بين

---

(١) مجمع البيان، ج ٦ ص ٣٨٧-٣٩١ وفيه: وتسكر.. سكراً.

(٢) مجمع البيان، ج ٧ ص ١١٤-١١٥.

عينيه: كافر، ومعها عصا موسى، وخاتم سليمان، فتجلو وجه المؤمن بالعصا، وتخطم أنف الكافر بالخاتم، حتّى يقال: يامؤمن، وياكافر.

وروي عن النبيّ ﷺ أنّه تكون للدابّة ثلاث خرجات من الدهر: فتخرج خروجاً بأقصى المدينة فيفشو ذكرها بالبادية ولا يدخل ذكرها القرية يعني مكّة، ثمّ تمكث زماناً طويلاً، ثمّ تخرج خرجة أخرى قريباً من مكّة فيفشو ذكرها في البادية ويدخل ذكرها القرية يعني مكّة، ثمّ صار الناس يوماً في أعظم المساجد على الله حرمةً وأكرمها على الله عزّوجلّ يعني المسجد الحرام لم ترعهم إلاّ وهي في ناحية المسجد تدنو وتدنو كذا ما بين الركن الأسود إلى باب بني مخزوم عن يمين الخارج في وسط من ذلك فيرفض الناس عنها، وتثبت لها عصابة عرفوا أنّهم لن يعجزوا الله، فخرجت عليهم تنفض رأسها من التراب فمرت بهم فجلت عن وجوههم حتّى تركتها كأنّها الكواكب الدرّيّة، ثمّ ولّت في الأرض لا يدركها طالب، ولا يعجزها هارب، حتّى أنّ الرجل يقوم فيتعوّذ منها بالصلاة فتأتيه من خلفه فتقول: يافلان الآن تصلّي؟ فيقبل عليها بوجهه فتسمه في وجهه فيتجاور الناس في ديارهم، ويصطحبون في أسفارهم، ويشتركون في الأموال، يعرف المؤمن من الكافر فيقال للمؤمن: يامؤمن، وللكافر: ياكافر. وروي عن وهب أنّه قال: وجهها وجه رجل، وسائر خلقها خلق الطير. ومثل هذا لا يعرف إلاّ من النبوّات الإلهيّة.

وقوله: ﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾ أي تكلّمهم بما يسوؤهم؛ وهو أنّهم يصيرون إلى النار بلسان يفهمونه؛ وقيل: تحدّثهم بأنّ هذا مؤمن وهذا كافر؛ وقيل: تكلّمهم بأن تقول لهم: بأنّ الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون، وهو الظاهر؛ وقيل: ﴿بِآيَاتِنَا﴾ معناه بكلامها وخروجها[1].

وقال في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ﴾ يعني أنّ نزول عيسى عليه السلام من أشراط الساعة يعلم به قربها ﴿فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾ أي بالساعة لا تكذّبوا بها ولا تشكّوا فيها؛ وقال ابن جريج أخبرني أبوالزبير أنّه سمع جابر بن عبد الله يقول: سمعت النبيّ ﷺ يقول: كيف أنتم إذا نزل عيسى بن مريم فيقول أميرهم: تعال صلّ بنا فيقول: لا؟ إنّ بعضكم على بعض أمراء تكرمة من الله لهذه الأمّة. أورده مسلم في الصحيح. وفي حديث آخر: كيف بكم إذا نزل فيكم ابن مريم وإمامكم منكم؟ وقيل: إنّ الهاء يعود إلى القرآن ومعناه: إنّ القرآن لدلالته على قيام الساعة والبعث يعلم به؛ وقيل: معناه: إنّ القرآن لدليل الساعة، لأنّه آخر الكتب أنزل على آخر الأنبياء[2].

وقال في قوله: ﴿يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾: وذلك أنّ رسول الله ﷺ دعا على قومه لمّا كذّبوه فأجدبت الأرض فأصابت قريشاً المجاعة وكان الرجل لما به من الجوع يرى بينه وبين السماء كالدخان؛ وقيل: إنّ الدخان آية من أشراط الساعة تدخل في مسامع الكفّار

(١) مجمع البيان، ج ٧ ص ٤٠٣-٤٠٥. (٢) مجمع البيان، ج ٩ ص ٩١.

والمنافقين وهو لم يأت بعد، وإنّه يأتي قبل قيام الساعة فيدخل أسماعهم، حتّى أنّ رؤوسهم تكون كالرأس الحنيذ ويصيب كلّ مؤمن منه مثل الزكمة وتكون الأرض كلّها كبيت أوقد فيه ليس فيه خصاص ويمكث ذلك أربعين يوماً عن ابن عبّاس وابن عمر والحسن والجبائيّ.

﴿يَغْشَى ٱلنَّاسَ﴾ يعني أنّ الدخان يعمّ جميع الناس، وعلى القول الأوّل المراد بالناس أهل مكّة، فقالوا، ربّنا اكشف عنّا العذاب إنّا مؤمنون بمحمّد ﷺ والقرآن قال سبحانه: ﴿أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ أي من أين لهم التذكّر والاتّعاظ، وقد جاءهم رسول مبين أي وحالهم أنّهم قد جاءهم رسول ظاهر الصدق والدلالة ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ﴾ أي أعرضوا عنه ولم يقبلوا قوله وقالوا: ﴿مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ﴾ ثمّ قال سبحانه: ﴿إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ﴾ أي الجوع والدخان ﴿قَلِيلًا﴾ أي زماناً يسيراً إلى يوم بدر ﴿إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ﴾ في كفركم وتكذيبكم، أو عائدون إلى العذاب الأكبر وهو عذاب جهنّم، والقليل مدّة بين العذابين ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾ أي واذكر ذلك اليوم يعني يوم بدر على القول الأوّل وعلى القول الآخر يوم القيامة، والبطش: هو الأخذ بشدّة ﴿إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾ منهم ذلك اليوم[1].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تعالى: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ﴾: أي فليس ينتظرون إلاّ القيامة ﴿أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً﴾ أي فجاءة ﴿فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا﴾ أي علاماتها ﴿فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ﴾ أي فمن أين لهم الذكرى والاتّعاظ والتوبة إذا جاءتهم الساعة[2]؟.

وقال الرازيّ في تفسيره: إنّ موضع السدّين في ناحية الشمال، وقيل: جبلان بين أرمينيّة وبين آذربيجان، وقيل: هذا المكان في مقطع عرض الترك.

وحكى محمّد بن جرير الطبريّ في تاريخه أنّ صاحب آذربيجان أيّام فتحها وجّه إنساناً من ناحية الخزر فشاهده ووصف أنّه بنيان رفيع وراء خندق عميق وثيق متّسع.

وذكر ابن خرداد في كتاب المسالك والممالك أنّ الواثق بالله رأى في المنام كأنّه فتح هذا الردم فبعث بعض الخدم إليه ليعاينوه فخرجوا من باب الأبواب حتّى وصلوا إليه وشاهدوه، فوصفوا أنّه بناء من اللّبن من حديد مشدود بالنحاس المذاب، وعليه باب مقفّل، ثم إنّ ذلك الإنسان لمّا حاول الرجوع أخرجهم الدليل إلى البقاع المحاذية لسمرقند.

قال أبو الريحان: مقتضى هذا أنّ موضعه في الربع الشماليّ في الغربيّ من المعمورة والله أعلم بحقيقة الحال. ثمّ قال: عند الخروج من وراء السدّ يموجون مزدحمين في البلاد يأتون البحر فيشربون ماءه، ويأكلون دوابّه، ثمّ يأكلون الشجر، ويأكلون لحوم الناس، ولا يقدرون أن يأتوا مكّة والمدينة وبيت المقدس، ثمّ يبعث الله عليهم حيوانات فتدخل آذانهم فيموتون[3].

---

(١) مجمع البيان، ج ٩ ص ١٠٣-١٠٥.
(٢) مجمع البيان، ج ٩ ص ١٧٠.
(٣) تفسير الرازي، ج ٢١ ص ٤٩٨.

أقول: قال في النهاية: فيه تخرج الدابّة وعصا موسى وخاتم سليمان فتجلي وجه المؤمن بالعصا وتخطم وجه أنف الكافر بالخاتم أي تسمه بها، من خطمت البعير: إذا كريته خطماً من الأنف إلى أحد خدّيه، وتسمّى تلك السمة الخطام، ومنه حديث حذيفة: تأتي الدابّة المؤمن فتسلّم عليه، وتأتي الكافر فتخطمه.

١ -**ل:** عبد الله بن حامد، عن محمّد بن أحمد بن عمرو، عن تميم بن بهلول، عن عثمان، عن وكيع، عن سفيان الثوريّ، عن فرات القزّاز، عن أبي الطفيل، عن حذيفة بن أسيد قال: اطّلع علينا رسول الله ﷺ من غرفة له - ونحن نتذاكر الساعة - فقال: لا تقوم الساعة حتّى تكون عشر آيات: الدجّال، والدخان، وطلوع الشمس من مغربها، ودابّة الأرض، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب؛ ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس إلى المحشر تنزل معهم إذا نزلوا، وتقبل معهم إذا أقبلوا(١).

٢ -**ل:** الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكريّ، عن عبد الله بن محمّد بن حكيم القاضي، عن الحسين بن عبد الله بن شاكر قال: حدّثنا إسحاق بن حمزة البخاريّ وعمّي قالا: حدّثنا عيسى بن موسى غنجار، عن أبي حمزة بن رقبة وهو ابن مصقلة الشيبانيّ عن الحكم بن عتيبة، عمّن سمع حذيفة بن أسيد يقول: سمعت النبيّ ﷺ يقول: عشر آيات بين يدي الساعة، خمس بالمشرق، وخمس بالمغرب، فذكر الدابّة والدجّال وطلوع الشمس من مغربها وعيسى ابن مريم عليه السلام ويأجوج ومأجوج وأنّه يغلبهم ويغرقهم في البحر، ولم يذكر تمام الآيات(٢).

٣ -**ل:** محمّد بن أحمد بن إبراهيم، عن أبي عبد الله الورّاق محمّد بن عبد الله بن الفرج عن عليّ بن بنان المقري، عن محمّد بن سابق، عن زائدة، عن الأعمش قال: حدّثنا فرات القزّاز، عن أبي الطفيل عامر بن واثلة، عن حذيفة بن أسيد الغفاريّ قال: كنّا جلوساً في المدينة في ظلّ حائط، قال: وكان رسول الله ﷺ في غرفة فاطّلع علينا فقال فيم أنتم؟ فقلنا: نتحدّث، قال: عمَّ ذا؟ قلنا: عن الساعة، فقال: إنّكم لا ترون الساعة حتّى تروا قبلها عشر آيات: طلوع الشمس من مغربها، والدجّال، ودابّة الأرض وثلاثة خسوف تكون في الأرض: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب؛ وخروج عيسى بن مريم عليه السلام، وخروج يأجوج ومأجوج، وتكون في آخر الزمان نار تخرج من اليمن من قعر الأرض لا تدع خلفها أحداً تسوق الناس إلى المحشر كلّما قاموا قامت لهم تسوقهم إلى المحشر(٣).

٤ -**ل:** الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكريّ، عن محمّد بن عبد الله البزّاز، عن أحمد بن محمّد بن إبراهيم العطّار، عن أبي الربيع سليمان بن داود، عن فرج بن فضالة، عن يحيى

(١) الخصال، ص ٤٣١ باب العشرة ح ١٣. (٢) الخصال، ص ٤٤٦ باب العشرة ح ٤٦.
(٣) الخصال، ص ٤٤٩ باب العشرة ح ٥٢.

ابن سعيد، عن محمّد بن الحنفيّة، عن أبيه عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا عملت أُمتي خمسة عشر خصلة حلّ بها البلاء، قيل: يارسول الله وما هي؟ قال: إذا كانت المغانم دولاً، والأمانة مغنماً، والزكاة مغرماً، وأطاع الرجل زوجته، وعق أمّه، وبرّ صديقه، وجفا أباه، وكان زعيم القوم أرذلهم، والقوم أكرمه مخافة شرّه، وارتفعت الأصوات في المساجد، ولبسوا الحرير، واتّخذوا القينات، وضربوا بالمعازف ولعن آخر هذه الأمّة أوّلها فليرتقب عند ذلك ثلاثة: الريح الحمراء، أو الخسف، أو المسخ[1].

٥ - **ل:** محمّد بن الفضل بن محمّد بن إسحاق المذكّر، عن أبي يحيى البزّاز النيشابوريّ، عن محمّد بن خشنام البلخيّ، عن قتيبة بن سعيد، عن فرج بن فضالة مثله.

قال الصدوق رضي الله عنه: يعني بقوله: ولعن آخر الأمّة أوّلها الخوارج الّذين يلعنون أمير المؤمنين عليه السلام، وهو أوّل الأمّة إيماناً بالله عزّوجلّ وبرسوله صلى الله عليه وآله[2].

بيان: قال الجزريّ في حديث أشراط الساعة: إذا كان المغنم دولاً جمع دولة بالضمّ وهو ما يتداول من المال؛ فيكون لقوم دون قوم. والزكاة مغرماً أي يرى ربّ المال أنّ إخراج زكاته غرامة يغرمها انتهى. قوله عليه السلام: والأمانة مغنماً أي يتصرّف فيها كالغنيمة ولا يردّها على مالكها، أو يحرص على أخذها لأنّه لا ينوي ردّها، يقال: فلان يتغنّم الأمر أي يحرص عليه كما يحرص على الغنيمة. وقال ابن الأثير في جامع الأصول: أي يعدّ الخيانة من الغنيمة.

٦ - **فس:** ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ﴾ يعني القيامة ﴿أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ فإنّه حدّثني أبي، عن سليمان بن مسلم الخشّاب، عن عبد الله بن جريح المكّيّ، عن عطاء بن أبي رباح، عن عبد الله بن عبّاس قال: حججنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله حجّة الوداع فأخذ باب الكعبة ثمّ أقبل علينا بوجهه فقال: ألا أُخبركم بأشراط الساعة؟ - وكان أدنى الناس منه يومئذ سلمان رضي الله عنه - فقال: بلى يارسول الله، فقال: إنّ من أشراط القيامة إضاعة الصلاة، واتّباع الشهوات، والميل مع الأهواء وتعظيم المال، وبيع الدين بالدنيا، فعندها يذاب قلب المؤمن وجوفه كما يذوب الملح في الماء ممّا يرى من المنكر فلا يستطيع أن يغيّره. قال سلمان: وإنّ هذا لكائن يارسول الله؟ قال: إي والّذي نفسي بيده.

يا سلمان إن عندها أمراء جورة، ووزراء فسقة، وعرفاء ظلمة، وأُمناء خونة، فقال سلمان: وإنّ هذا لكائن يارسول الله؟ قال: إي والّذي نفسي بيده.

يا سلمان إنّ عندها يكون المنكر معروفاً، والمعروف منكراً، ويؤتمن الخائن ويخون الأمين، ويصدّق الكاذب، ويكذّب الصادق؛ قال سلمان: وإنّ هذا لكائن يارسول الله؟ قال: إي والّذي نفسي بيده.

---

(١) - (٢) الخصال، ص ٥٠٠ باب الخمسة عشر ح ١ وح٢.

يا سلمان فعندها إمارة النساء، ومشاورة الإماء، وقعود الصبيان على المنابر، ويكون الكذب طرفاً، والزكاة مغرماً، والفيء مغنماً، ويجفو الرجل والديه، ويبرّ صديقه، ويطلع الكوكب المذنّب؛ قال سلمان: وإنّ هذا لكائن يارسول الله؟ قال: إي والّذي نفسي بيده.

يا سلمان وعندها تشارك المرأة زوجها في التجارة، ويكون المطر قيظاً، ويغيظ الكرام غيظاً، ويحتقر الرجل المعسر، فعندها تقارب الأسواق إذ قال هذا: لم أبع شيئاً وقال هذا: لم أربح شيئاً فلا ترى إلاّ ذامّاً لله؛ قال سلمان: وإنّ هذا لكائن يارسول الله؟ قال: إي والّذي نفسي بيده.

يا سلمان فعندها يليهم أقوام إن تكلّموا قتلوهم، وإن سكتوا استباحوهم ليستأثروا بفيئهم، وليطؤنّ حرمتهم، وليسفكنّ دماءهم، ولتملأنّ قلوبهم رعباً، فلا تراهم إلاّ وجلين خائفين مرعوبين مرهوبين؛ قال سلمان: وإنّ هذا لكائن يارسول الله؟ قال إي والّذي نفسي بيده.

يا سلمان: إنّ عندها يؤتى بشيء من المشرق وشيء من المغرب يلون أُمّتي فالويل لضعفاء أُمّتي منهم، والويل لهم من الله، لا يرحمون صغيراً، ولا يوقّرون كبيراً ولا يتجاوزون عن مسيء، أخبارهم خناء، جثّتهم جثّة الآدميّين وقلوبهم قلوب الشياطين، قال سلمان: وإنّ هذا لكائن يارسول الله؟ قال: إي والّذي نفسي بيده.

يا سلمان، وعندها تكتفي الرجال بالرجال، والنساء بالنساء، ويغار على الغلمان كما يغار على الجارية في بيت أهلها، ويشبه الرجال بالنساء، والنساء بالرجال، ويركبن ذوات الفروج السروج فعليهنّ من أُمّتي لعنة الله؛ قال سلمان: وإنّ هذا لكائن يارسول الله؟ فقال ﷺ: إي والّذي نفسي بيده.

يا سلمان إنّ عندها تزخرف المساجد كما تزخرف البيع والكنائس، ويحلى المصاحف، وتطول المنارات، وتكثر الصفوف بقلوب متباغضة وألسن مختلفة؛ قال سلمان: وإنّ هذا لكائن يارسول الله؟ قال ﷺ: إي والّذي نفسي بيده.

وعندها تحلى ذكور أُمّتي بالذهب، ويلبسون الحرير والديباج، ويتّخذون جلود النمور صفاقاً، قال سلمان: وإنّ هذا لكائن يارسول الله؟ قال ﷺ: إي والّذي نفسي بيده.

يا سلمان وعندها يظهر الربا، ويتعاملون بالغيبة والرشاء، ويوضع الدين، وترفع الدنيا؛ قال سلمان: وإنّ هذا لكائن يارسول الله؟ فقال ﷺ: إي والّذي نفسي بيده.

يا سلمان وعندها يكثر الطلاق، فلا يقام لله حدّ، ولن يضرّ الله شيئاً؛ قال سلمان: وإنّ هذا لكائن يارسول الله؟ قال ﷺ: إي والّذي نفسي بيده.

يا سلمان وعندها تظهر القينات والمعازف، ويليهم أشرار أُمّتي؛ قال سلمان: وإنّ هذا لكائن يارسول الله؟ قال ﷺ: إي والّذي نفسي بيده.

يا سلمان وعندها تحجُّ أغنياء أُمّتي للنزهة، وتحجّ أوساطها للتجارة، وتحجّ فقراؤهم

للرياء والسمعة، فعندها يكون أقوام يتعلّمون القرآن لغير الله، ويتّخذونه مزامير[١]، ويكون أقوام يتفقّهون لغير الله، ويكثر أولاد الزنا، ويتغنّون بالقرآن، ويتهافتون بالدنيا؛ قال سلمان: وإنّ هذا لكائن يارسول الله؟ قال ﷺ: إي والّذي نفسي بيده.

يا سلمان ذاك إذا انتهكت المحارم، واكتسبت المآثم، وسلّط الأشرار على الأخيار، ويفشو الكذب، وتظهر اللّجاجة، وتفشو الحاجة، ويتباهون في اللّباس ويُمطرون في غير أوان المطر، ويستحسنون الكوبة والمعازف، وينكرون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتّى يكون المؤمن في ذلك الزمان أذلّ من الأمة ويظهر قرّاؤهم وعبّادهم فيما بينهم التلاوم، فأولئك يدعون في ملكوت السماوات: الأرجاس والأنجاس؛ قال سلمان: وإنّ هذا لكائن يارسول الله؟ فقال ﷺ: إي والّذي نفسي بيده.

يا سلمان فعندها لا يخشى الغنيّ إلاّ الفقر حتّى أنّ السائل ليسأل فيما بين الجمعتين لا يصيب أحداً يضع في يده شيئاً، قال سلمان: وإنّ هذا لكائن يارسول الله؟ قال ﷺ: إي والّذي نفسي بيده.

يا سلمان عندها يتكلّم الرويبضة؛ فقال: وما الرويبضة يارسول الله فداك أبي وأمّي؟ قال ﷺ: يتكلّم في أمر العامّة من لم يكن يتكلّم، فلم يلبثوا إلاّ قليلاً حتّى تخور الأرض خورة، فلا يظنّ كلّ قوم إلاّ أنّها خارت في ناحيتهم فيمكثون ما شاء الله ثمّ ينكتون في مكثهم فتلقي لهم الأرض أفلاذ كبدها - قال: ذهب وفضّة - ثمّ أومأ بيده إلى الأساطين فقال: مثل هذا، فيومئذٍ لا ينفع ذهبٌ ولا فضّةٌ، فهذا معنى قوله: ﴿فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا﴾[٢].

بيان: قوله ﷺ: ويكون الكذب طرفاً أي يستطرفه الناس ويعجبهم، والكوكب المذنّب: ذو الذنب. وقال الجزريّ: يوم قائظ: شديد الحرّ، ومنه حديث أشراط الساعة: يكون الولد غيظاً، والمطر قيظاً، لأنّ المطر إنّما يراد للنبات وبرد الهواء، والقيظ ضدّ ذلك انتهى. ويقال: استباحهم أي استأصلهم.

قوله ﷺ: يلوّن أمّتي من اللون أي يتلوّنون ويتزيّنون بألوان مختلفة ممّا يؤتى إليهم من المشرق والمغرب. قوله ﷺ: ويتّخذون جلود النمور صفاقاً أي يرقّقونها ويلبسونها؛ والثوب الصفيق: ضدّ السخيف؛ أو يعملونها للدفّ والعود وسائر آلات اللّهو يقال: صفق العود أي حرّك أوتاره؛ والصفق: الضرب يسمع له صوت. والقينة: الأمة المغنّية والمعازف: الملاهي كالعود والطنبور.

---

(١) أقول: مزامير جمع مزمار وهو الآلة التي يزمّر فيها، وزمّر يعني غنى بالنفخ في القصب، كذا في المنجد، وقال في المجمع: زمر الرجل يزمر من باب ضرب زمراً، إذا ضرب المزمار وهو بالكسر قصبة يزمر بها، والجمع مزامير ومنه الحديث: إن الله بعثني لأمحق المعازف والمزامير. [النمازي].

(٢) تفسير القمي، ج ٢ ص ٢٧٩.

قوله صلى الله عليه وآله: يتّخذونه مزامير أي يتغنّون به، قال الجزريّ: في حديث أبي موسى: سمعه النبيّ صلى الله عليه وآله يقرأ فقال: لقد أعطيت مزماراً من مزامير آل داود؛ شبّه حسن صوته وحلاوة نغمته بصوت المزمار انتهى. والتهافت: التساقط، والكوبة بالضمّ: النرد والشطرنج والطبل الصغير المخصّر والبربط.

وقال الجزريّ: في حديث أشراط الساعة أن ينطق الرويبضة في أمر العامّة، قيل: وما الرويبضة يارسول الله؟ قال: الرجل التافه يتكلّم في أمر العامّة، والرويبضة تصغير الرابضة وهو العاجز الّذي ربض عن معالي الأُمور وقعد عن طلبها، وزيادة التاء للمبالغة؛ والتافه: الحقير الخسيس. وقال صلى الله عليه وآله في أشراط الساعة: تقيء الأرض أفلاذ كبدها أي تخرج كنوزها المدفونة فيها، وهو استعارة؛ والأفلاذ جمع فلذ، والفلذ جمع فلذة، وهي القطعة المقطوعة طولاً، ومثله قوله تعالى: ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ انتهى. وخار الثور: صاح.

وقال السيّد المرتضى رضي الله عنه في كتاب الغرر: روى أبو هريرة عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: تقيء الأرض أفلاذ كبدها مثل الأسطوان من الذهب والفضّة، فيجيء القاتل فيقول: في مثل هذا قتلت، ويجيء القاطع للرحم فيقول: في مثل هذا قطعت رحمي، ويجيء السارق فيقول: في هذا قطعت يدي، ثمّ يتركونه ولا يأخذون منه شيئاً. معنى تقيء أي تخرج ما فيها من الذهب والفضّة، وذلك من علامات قرب الساعة؛ وقوله: تقيء تشبيهٌ واستعارةٌ من حيث كان إخراجاً وإظهاراً، وكذلك تسمية ما في الأرض من الكنوز كبداً تشبيهاً بالكبد الّتي في بطن البعير وغيره، وللعرب في هذا مذهب معروف، واختلف أهل اللّغة في الأفلاذ فقال يعقوب بن السكّيت: الفلذ لا يكون إلاّ للبعير، وهو قطعة من كبده، ولا يقال فلذ الشاة، ولا فلذ البقر إلى آخر ما ذكره رحمه الله ونقله[1].

٧ - ما: جماعة، عن أبي المفضّل، عن عبد الله بن سعيد بن يحيى، عن إسماعيل بن عبد الله بن خالد القاضي قال أبو المفضّل: وحدّثنا إسحاق بن إبراهيم بن حمّاد، عن الربيع ابن تغلب قال: حدّثنا فرج بن فضالة، قال: وحدّثني محمّد بن يوسف بن بشير، عن عليّ بن عمرو بن خالد، عن أبيه، عن فرج، عن يحيى بن سعيد الأنصاريّ، عن محمّد بن عليّ[2]، عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: وقال أبوخيثمة: عن محمّد بن عليّ، عن أبيه، عن جدّه عليّ بن أبي طالب عليه السلام، عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: إذا صنعت - وقال أحدهم: إذا فعلت - أُمّتي خمس عشرة خصلة حل بها البلاء: إذا صارت الدنيا عندهم دولاً - وقال أحدهم: إذا كان المال فيهم دولاً - والخيانة مغنماً، والزكاة مغرماً، وأطاع الرجل زوجته، وعقّ أُمّه،

---

(١) أمالي المرتضى، ج ١ ص ٦٥.

(٢) المراد من محمد بن علي، محمد بن الحنفية بقرينة ما تقدم في هذا الباب ح ٤، وما في الخصال أبواب الخمسة عشر [النمازي].

وبرّ صديقه، وجفا أباه، وارتفعت الأصوات في المساجد، وأكرم الرجل مخافة شرّه، وكان زعيم القوم أرذلهم، ولبس الحرير، وشرب الخمور، واتّخذت القيان، وضرب بالمعازف، ولعن آخر هذه الأمّة أوّلها فارتقبوا إذا عملوا ذلك ثلاثاً: ريحاً حمراء، وخسفاً، ومسخاً[(١)].

٨ - **ما:** ابن الصلت، عن ابن عقدة، عن القاسم بن جعفر المعروف بابن الشاميّ، عن عبّاد بن أحمد القزوينيّ، عن عمّه، عن أبيه، عن جابر، عن الشعبيّ، عن أبي رافع، عن حذيفة بن اليمان، عن النبيّ ﷺ عن أهل يأجوج ومأجوج قال: إنّ القوم لينقرون بمعاولهم دائبين، فإذا كان اللّيل قالوا: غداً نفرغ فيصبحون وهو أقوى من الأمس حتّى يسلم منهم رجلٌ حين يريد الله أن يبلغ أمره فيقول المؤمن: غداً نفتحه إن شاء الله فيصبحون ثمّ يغدون عليه فيفتحه الله، فوالّذي نفسي بيده ليمرّنّ الرجل منهم على شاطئ الوادي الّذي بكوفان وقد شربوه حتّى نزحوه فيقول: والله لقد رأيت هذا الوادي مرّة وإنّ الماء ليجري في أرضه؛ قيل: يارسول الله ومتى هذا؟ قال: حين لا يبقى من الدنيا إلاّ مثل صبابة الإناء[(٢)].

بيان: قال الجزريّ: الصبابة: البقيّة اليسيرة من الشراب تبقى في أسفل الإناء.

٩ - **ع:** في خبر عبد الله بن سلام أنّه سأل النبيّ ﷺ عن أوّل أشراط الساعة، فقال: نار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب[(٣)].

١٠ - **ك:** الطالقانيّ، عن الجلوديّ[(٤)]، عن إبراهيم بن فهد، عن محمّد بن عقبة، عن حسين بن حسن، عن إسماعيل بن عمر، عن عمر بن موسى الوجيهيّ، عن المنهال بن عمرو، عن عبد الله بن الحارث قال: قلت لعليّ عليه السلام: يا أميرالمؤمنين أخبرني بما يكون من الأحداث بعد قائمكم؟ قال: يابن الحارث ذلك شيء ذكره موكول إليه، وإنّ رسول الله ﷺ عهد إليّ أن لا أخبر به إلاّ الحسن والحسين[(٥)].

١١ - **ص:** بالإسناد إلى الصدوق بإسناده عن ابن سنان، عن الصادق عليه السلام قال: قال عيسى عليه السلام لجبرئيل: متى قيام الساعة؟ فانتفض جبرئيل انتفاضة أُغمي عليه منها فلمّا أفاق قال: ياروح الله ما المسؤول أعلم بها من السائل، وله من في السماوات والأرض لا تأتيكم إلاّ بغتة[(٦)].

١٢ - **شي:** عن مسعدة بن صدقة، عن جعفر بن محمّد، عن أبيه، عن جدّه عليهم السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: إنّ الناس يوشكون أن ينقطع بهم العمل ويسدّ عليهم باب التوبة،

---

(١) أمالي الطوسي، ص ٥١٥ مجلس ١٨ ح ١١٢٨.

(٢) أمالي الطوسي، ص ٣٤٦ مجلس ١٢ ح ٧١٣.

(٣) علل الشرائع، ج ١ ص ١١٧ باب ٨٥ ح ٣.

(٤) الجلودي: هو عبد العزيز بن يحيىٰ الجلودي [النمازي].

(٥) كمال الدين، ص ٨٢. (٦) قصص الأنبياء، ص ٢٧١.

فلا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً(١).

١٣ - **شي:** عن زرارة وحمران ومحمّد بن مسلم، عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا﴾ قال: طلوع الشمس من المغرب، وخروج الدابّة، والدخان، والرجل يكون مصرّاً ولم يعمل على الإيمان ثمّ تجيء الآيات فلا ينفعه إيمانه(٢).

١٤ - **شي:** عن عمرو بن شمر، عن أحدهما عليهما السلام في قوله: ﴿أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ قال: المؤمن حالت المعاصي بينه وبين إيمانه كثرت ذنوبه وقلّت حسناته فلم يكسب في إيمانه خيراً(٣).

١٥ - **كا:** عليّ، عن أبيه، عن النوفليّ، عن السكونيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله: من أشراط الساعة أن يفشو الفالج وموت الفجأة(٤).

١٦ - **كا:** عليّ، عن أبيه والقاسانيّ جميعاً، عن الإصفهانيّ، عن المنقريّ، عن فضيل بن عياض، عن أبي عبد الله، عن أبيه عليهما السلام قال: بعث الله محمّداً صلى الله عليه وآله بخمسة أسياف: ثلاثة منها شاهرة فلا تغمد حتّى تضع الحرب أوزارها، ولن تضع الحرب أوزارها حتّى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت الشمس من مغربها أمن الناس كلّهم في ذلك اليوم، فيومئذٍ لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً(٥).

١٧ - **كا:** عن حفص بن غياث، عن أبي عبد الله، عن أبيه عليهما السلام مثله.

١٨ - **فس:** أبي، عن صفوان، عن ابن مسكان، عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ قال: نزل: أو اكتسبت في إيمانها خيراً ﴿قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾(٦) قال: إذا طلعت الشمس من مغربها فكلّ من آمن في ذلك اليوم لا ينفعه إيمانه(٧).

١٩ - **ل:** ابن الوليد، عن الصفّار، عن ابن معروف، عن ابن فضّال، عن ظريف بن ناصح، عن أبي الحصين قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: سئل رسول الله صلى الله عليه وآله عن الساعة فقال: عند إيمان بالنجوم، وتكذيب بالقدر(٨).

٢٠ - **ك:** الطالقانيّ، عن الجلوديّ، عن محمّد بن عطيّة، عن عبد الله بن عمر بن سعيد، عن هشام بن جعفر بن حمّاد، عن عبد الله بن سليمان - وكان قارئاً للكتب - قال: قرأت في

---

(١) - (٢) تفسير العياشي، ج ١ ص ٤١٣ ح ١٢٦ و١٢٧ في تفسيره لسورة الأنعام.

(٣) تفسير العياشي، ج ١ ص ٤١٤ ح ١٢٩ في تفسيره لسورة الأنعام.

(٤) الكافي، ج ٣ ص ١٣٤ باب ١٦٦ ح ٣٩.

(٥) الكافي، ج ٥ ص ٥٩٧ باب ٣ ح ٢.

(٦) سورة الأنعام، الآية: ١٥٨.

(٧) تفسير القمي ج١ ص ٢٢٨.

(٨) الخصال ص ٦٢ باب الاثنين ح ٨٧.

بعض كتب الله أنّ ذا القرنين - وساق الحكاية الطويلة في ذي القرنين وعمله السدّ على يأجوج ومأجوج إلى أن قال - : فيأجوج ومأجوج يتتابعونه في كلّ سنة مرّة وذلك أنّهم يسيحون في بلادهم حتّى إذا وقعوا إلى ذلك الردم حبسهم فيرجعون فيسيحون في بلادهم فلا يزالون كذلك حتّى تقرب الساعة وتجيء أشراطها، فإذا جاء أشراطها وهو قيام القائم عليه السلام فتحه الله عزّ وجلّ لهم، وذلك قوله عزّ وجلّ : ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ﴾[1].

٢١ - فس: في قوله تعالى: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَن ذِي ٱلۡقَرۡنَيۡنِۖ﴾ في بيان عمل السدّ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: فحال بين يأجوج ومأجوج وبين الخروج، ثمّ قال ذو القرنين: ﴿هَٰذَا رَحۡمَةٞ مِّن رَّبِّيۖ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَۖ وَكَانَ وَعۡدُ رَبِّي حَقّٗا﴾ قال: إذا كان قبل يوم القيامة انهدم السدّ وخرج يأجوج ومأجوج إلى العمران وأكلوا الناس - وساق الحديث إلى أن قال: فلمّا أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله قريشاً عمّا سألوا قالوا: قد بقيت مسألة واحدة: أخبرنا متى تقوم الساعة؟ فأنزل الله سبحانه: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَاۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّيۖ﴾ إلى قوله تعالى - : ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾[2]. .

٢٢ - ع: عليّ بن أحمد، عن الأسديّ، عن سهل، عن عبد العظيم الحسنيّ قال: سمع عليّ بن محمّد العسكريّ عليه السلام يقول: عاش نوح ألفين وخمسمائة سنة، وكان يوماً في السفينة نائماً فهبت ريح فكشفت عورته فضحك حام ويافث فزجرهما سام عليه السلام ونهاهما عن الضحك، وكان كلّما غطّى سام شيئاً تكشفه الريح كشفه حام ويافث، فانتبه نوح عليه السلام فرآهم وهم يضحكون فقال: ما هذا؟ فأخبره سام بما كان فرفع نوح عليه السلام يده إلى السماء يدعو ويقول: اللّهم غيّر ماء صلب حام حتّى لا يولد له إلاّ السودان، اللّهم غيّر ماء صلب يافث؛ فغيّر الله ماء صلبهما فجميع السودان حيث كانوا من حام، وجميع الترك والصقالبة ويأجوج ومأجوج والصين من يافث حيث كانوا، وجميع البيض سواهم من سام[3].

٢٣ - كا: الحسين بن محمّد، عن أحمد بن محمّد بن عبد الله، عن العبّاس بن العلاء، عن مجاهد، عن ابن عبّاس قال: سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن الخلق فقال: خلق الله ألفاً ومائتين في البرّ، وألفاً ومائتين في البحر، وأجناس بني آدم سبعون جنساً، والناس ولد آدم ما خلا يأجوج ومأجوج[4].

بيان: الخبر الأوّل الدالّ على كون يأجوج ومأجوج من ولد آدم أقوى سنداً، ويمكن

---

(١) كمال الدين، ص ٣٥٨ باب ٣٨ ح ١.

(٢) تفسير القمي، ج ٢ ص ١٥ في تفسيره لسورة الكهف.

(٣) علل الشرائع، ج ١ ص ٤٥ باب ٢٨ ح١.

(٤) الروضة من الكافي، ص ٧٧٦ حديث يأجوج ومأجوج ح ٢٧٤.

حمل هذا الخبر على أنّ المعنى أنّه ليس غير الناس من ولد آدم ما خلا يأجوج ومأجوج فإنّهم ليسوا من الناس وهم من ولد آدم.

٢٤ - **نوادر الراوندي:** بإسناده عن موسى بن جعفر بن محمّد، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: القرون أربعة: أنا في أفضلها قرناً، ثمّ الثاني، ثمّ الثالث، فإذا كان الرابع اتّقى الرجال بالرجال، والنساء بالنساء، فقبض الله كتابه من صدور بني آدم، فيبعث الله ريحاً سوداء ثمّ لا يبقى أحد - سوى الله تعالى - إلا قبضه الله إليه(١).

٢٥ - وبهذا الإسناد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا يزداد المال إلاّ كثرة، ولا يزداد الناس إلاّ شحّاً، ولا تقوم الساعة إلاّ على شرار الخلق(٢).

٢٦ - وبهذا الإسناد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: بعثت والساعة كهاتين - وأشار بإصبعيه صلى الله عليه وآله: السبّابة والوسطى - ثمّ قال: والّذي بعثني بيده إنّي لأجد الساعة بين كتفيّ(٣).

٢٧ - وبهذا الإسناد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: بعثت والساعة كفرسي رهان يسبق أحدهما صاحبه بأذنه إن كانت الساعة لتسبقني إليكم(٤).

٢٨ - وبهذا الإسناد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا تقوم الساعة حتّى يطفر الفاجر، ويعجز المنصف، ويقرب الماجن، وتكون العبادة استطالة على الناس، وتكون الصدقة مغرماً، والأمانة مغنماً، والصلاة منّاً(٥).

٢٩ - وبهذا الإسناد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: اذا طفّفت أُمّتي مكيالها وميزانها واختانوا وخفروا الذمّة وطلبوا الآخرة فعند ذلك يزكّون أنفسهم ويتورّع منهم(٦).

٣٠ - وبهذا الإسناد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا تقوم الساعة حتّى يذهب الحياء من الصبيان والنساء، وحتّى تؤكل المغاثير كما تؤكل الخضر(٧).

بيان: قال في القاموس: المغثر كمنبر: شيء ينضحه الثمام والعشر والرمث كالعسل والجمع مغاثير.

٣١ - **دعوات الراوندي:** قال النبيّ صلى الله عليه وآله: إذا تقارب الزمان انتقى الموت خيار أُمّتي كما ينتقي أحدكم خيار الرطب من الطبق.

٣٢ - **نهج:** قال أمير المؤمنين عليه السلام: إنّه سيأتي عليكم زمان يكفأ فيه الإسلام كما يكفأ الإسلام بما فيه(٨).

---

(١) نوادر الراوندي، ص ١٢٥ ح ١٤٦.
(٢) - (٣) النوادر للراوندي، ص ١٢٦-١٢٧ ح ١٤٨ و١٤٩.
(٤) النوادر للراوندي، ص ١٢٦-١٢٧ ح ١٥٠.
(٥) النوادر للراوندي، ص ١٢٧ ح ١٥٢ و١٥١.
(٦) النوادر للراوندي، ص ١٣٠ ح ١٥٩.
(٧) الدعوات للراوندي، ص ٢٣٥ ح ٦٥٠.
(٨) نهج البلاغة، ص ٢٢٦ خطبة رقم ١٠٢ وفيه: كما يكفأ الإناء بما فيه، وهو الصحيح.

٢ - باب نفخ الصور وفناء الدنيا وأن كلّ نفس تذوق الموت

الآيات: آل عمران «٣»: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ «١٨٥».

الإسراء «١٧»: ﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا﴾ «٥٨».

الكهف «١٨»: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا﴾ «٩٩».

طه «٢٠»: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ «١٠٢».

الأنبياء «٢١»: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

المؤمنون «٢٣»: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾ «١٥»، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ «١٠١».

النمل «٢٧»: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾.

العنكبوت «٢٩»: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ «٥٧».

يس «٣٦»: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾﴾.

ص «٣٨»: ﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ﴾ «١٥».

الزمر «٣٩»: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾ وقال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِا۟ىٓءَ بِٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾﴾.

ق «٥٠»: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾﴾ وقال: ﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ

ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًاۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾﴾.

الرحمن «٥٥»: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾.

المدثر «٧٤»: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾﴾.

تفسير: قال البيضاويّ: ﴿إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ بالموت والاستئصال ﴿أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا﴾ بالقتل وأنواع البليّة ﴿كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ في اللّوح المحفوظ ﴿مَسْطُورًا﴾ مكتوباً[1].

وقال الطبرسيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ﴾: اختلف في الصور فقيل: هو قرن ينفخ فيه؛ وقيل: هو جمع صورة فإنّ الله يصوّر الخلق في القبور كما صوّرهم في أرحام الأمّهات، ثمّ ينفخ فيهم الأرواح كما نفخ وهم في أرحام أمّهاتهم؛ وقيل: إنّه ينفخ إسرافيل في الصور ثلاث نفخات: النفخة الأولى نفخة الفزع، والثانية نفخة الصعق الّتي يصعق من في السماوات والأرض بها فيموتون، والثالثة نفخة القيام لربّ العالمين فيحشر الناس بها من قبورهم ﴿فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا﴾ أي حشرنا الخلق كلّهم يوم القيامة في صعيد واحد[2].

وفي قوله تعالى: ﴿أَفَإِيْن مِّتَّ﴾: أي على ما يتوقّعونه وينتظرونه ﴿فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ﴾ أي إنّهم يخلدون بعدك يعني مشركي مكّة حين قالوا: نتربّص بمحمّد ريب المنون[3].

وفي قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ﴾: قيل: إنّ المراد به نفخة الصعق عن ابن عبّاس، وقيل: نفخة البعث عن ابن مسعود؛ والصور جمع صورة عن الحسن؛ وقيل: قرن ينفخ فيه إسرافيل بالصوت العظيم الهائل على ما وصفه الله تعالى علامةً لوقت إعادة الخلق عن أكثر المفسّرين. ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾ أي لا يتواصلون بالأنساب ولا يتعاطفون بها مع معرفة بعضهم بعضاً، أي لا يرحم قريب قريبه لشغله عنه؛ وقيل: معناه: لا يتفاخرون بالأنساب؛ والمعنى: أنّه لا يفضل بعضهم بعضاً يومئذ بنسب، وإنّما يتفاضلون بأعمالهم؛ وقال النبيّ ﷺ: كلّ حسب ونسب منقطع يوم القيامة إلاّ حسبي ونسبي ﴿وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ أي ولا يسأل بعضهم بعضاً عن حاله وخبره كما كانوا يسألون في الدنيا لشغل كلّ واحد بنفسه؛ وقيل: لا يسأل بعضهم بعضاً أن يحمل عنه ذنبه، ولا تنافي بينها وبين قوله: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ لأنّ للقيامة أحوالاً ومواطن فمنها حال يشغلهم عظم الأمر فيها عن المسألة، ومنها حال يلتفتون فيها فيتساءلون، وهذا معنى قول ابن عبّاس لمّا سئل عن الآيتين فقال: هذه تارات يوم القيامة. وقيل: إنّما يتساءلون بعد دخول الجنّة[4].

وفي قوله تعالى: ﴿فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي ماتوا لشدّة الخوف والفزع كما

---

(١) تفسير البيضاوي، ج ٢ ص ٤٥٢.
(٢) مجمع البيان، ج ٦ ص ٣٩١.
(٣) مجمع البيان، ج ٧ ص ٨٤.
(٤) مجمع البيان، ج ٧ ص ٢١١.

قال: ﴿فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ وقيل: هي ثلاث نفخات كما مرّ ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ من الملائكة الّذين يثبّت الله قلوبهم وهم جبرئيل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل، وقيل: هم الشهداء فإنّهم لا يفزعون في ذلك اليوم، روي ذلك في خبر مرفوع (وَكُلٌّ) من الأحياء الّذين ماتوا ثمّ أحيوا ﴿أَتَوْهُ﴾ أي يأتونه في المحشر ﴿دَٰخِرِينَ﴾ أي أذلّاء صاغرين ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾ أي واقفة مكانها لا تسير ولا تتحرّك في مرأى العين ﴿وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ أي تسير سيراً حثيثاً سير السحاب، والمعنى: أنّك لا ترى سيرها لبعد أطرافها كما لا ترى سير السحاب إذا انبسط لبعد أطرافه، وذلك إذا أزيلت الجبال عن أماكنها للتلاشي ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ﴾ أي صنع الله ذلك صنعاً ﴿ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ أي خلق كلّ شيء على وجه الإتقان(١).

وفي قوله: ﴿مَا يَنظُرُونَ﴾ أي ما ينتظرون ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ يريد النفخة الأولى يعني أنّ القيامة تأتيهم بغتةً ﴿تَأْخُذُهُمْ﴾ الصيحة ﴿وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ أي يختصمون في أمورهم، ويتبايعون في الأسواق؛ وفي الحديث: تقوم الساعة والرجلان قد نشرا ثوبهما يتبايعانه فما يطويانه حتّى تقوم، والرجل يرفع أكلته إلى فيه فما تصل إلى فيه حتّى تقوم، والرجل يليط حوضه ليسقي ماشيته فما يسقيها حتّى تقوم؛ وقيل: وهم يختصمون هل ينزل بهم العذاب أم لا؟ ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾ يعني أنّ الساعة(٢) إذا أخذتهم بغتة لم يقدروا على الإيصاء بشيء ﴿وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ أي ولا إلى منازلهم يرجعون من الأسواق، وهذا إخبار عمّا يلقونه في النفخة الأولى عند قيام الساعة، ثمّ أخبر سبحانه عن النفخة الثانية فقال: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾ وهي القبور ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ أي إلى الموضع الّذي يحكم الله فيه لا حكم لغيره هناك ﴿يَنسِلُونَ﴾ أي يخرجون سراعاً فلمّا رأوا أهوال القيامة ﴿قَالُواْ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَاۜ﴾ أي من حشرنا من منامنا الّذي كنّا فيه نياماً؟ ثمّ يقولون: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ فيما أخبرونا عن هذا المقام وهذا البعث. قال قتادة: أوّل الآية للكافرين وآخرها للمسلمين؛ قيل: إنّهم لمّا عاينوا أهوال القيامة عدّوا أحوالهم في قبورهم بالإضافة إلى تلك رقاداً؛ قال قتادة: هي النومة بين النفختين لا يفتر عذاب القبر إلّا فيما بينهما فيرقدون، ثمّ أخبر سبحانه عن سرعة بعثهم فقال: ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ أي لم تكن المدّة إلّا مدّة صيحة واحدة ﴿فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ أي فإذا الأوّلون والآخرون مجموعون في عرصات القيامة ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾ أي لا ينقص من له حقّ شيئاً من حقّه من الثواب أو غير ذلك، ولا يفعل به ما لا يستحقّه من العذاب، بل الأمور جارية على مقتضى العدل وذلك قوله: ﴿وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾(٣).

وفي قوله: ﴿مَا لَهَا مِن فَوَاقٍ﴾ أي لا يكون لتلك الصيحة إفاقة بالرجوع إلى الدنيا؛ وقيل:

---

(١) مجمع البيان، ج ٧ ص ٤٠٨.
(٢) مجمع البيان، ج ٨ ص ٢٧٩.
(٣) مجمع البيان، ج ٨ ص ٢٨١-٢٨٢.

معناه: ما لها مثنوية أي صرف وردّ؛ وقيل: ما لها من فتور كما يفتر المريض[1].

وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ أي ما عظّموا الله حقّ عظمته ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ القبضة في اللّغة: ما قبضت عليه بجميع كفّك؛ أخبر الله سبحانه عن كمال قدرته فذكر أنّ الأرض كلّها مع عظمها في مقدوره كالشيء الّذي يقبض عليه القابض بكفّه فيكون في قبضته، وهذا تفهيم لنا على عادة التخاطب فيما بيننا لأنّا نقول: هذا في قبضة فلان وفي يد فلان إذا هان عليه التصرّف فيه وإن لم يقبض عليه، وكذا قوله: ﴿وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ أي يطويها بقدرته كما يطوي أحد منّا الشيء المقدور له طيّه بيمينه، وذكر اليمين للمبالغة في الاقتدار والتحقيق للملك، كما قال تعالى: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ وقيل: معناه إنّها محفوظات مصونات بقوّته، واليمين: القوّة ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ أي عمّا يضيفونه إليه من الشبيه والمثل ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ وهو قرن ينفخ فيه إسرافيل، ووجه الحكمة في ذلك أنّها علامة جعلها الله ليعلم بها العقلاء آخر أمرهم في دار التكليف فشبّه ذلك بما يتعارفونه من بوق الرحيل والنزول ﴿فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ﴾ أي يموت من شدّة تلك الصيحة الّتي تخرج من الصور جميع من في السموات والأرض، يقال: صعق فلان إذا مات بحال هائلة شبيهة بالصيحة العظيمة ﴿إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ﴾ قيل: هم جبرئيل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت وهو المرويّ، وقيل: هم الشهداء ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ﴾ يعني نفخة البعث وهي النفخة الثانية، قال قتادة في حديث رفعه: إنّ ما بين النفختين أربعين سنة، وقيل: إنّ الله تعالى يفني الأجسام كلّها بعد الصعق وموت الخلق ثمّ يعيدها ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ﴾ إخبار عن سرعة إيجادهم لأنّه سبحانه إذا نفخ الثانية أعادهم عقيب ذلك، فيقومون من قبورهم أحياءاً ﴿يَنظُرُونَ﴾ أي ينتظرون ما يفعل بهم وما يؤمرون به ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ أي أضاءت الأرض بعدل ربّها يوم القيامة لأنّ نور الأرض بالعدل؛ وقيل: بنور يخلقه الله عزّوجلّ يضيء به الأرض يوم القيامة من غير شمس ولا قمر ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾ أي كتب الأعمال الّتي كتبتها الملائكة على بني آدم توضع في أيديهم ليقرأوا منها أعمالهم ﴿وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ﴾ هم الّذين يشهدون للأنبياء على الأمم بأنّهم قد بلّغوا، وأنّ الأمم قد كذّبوا؛ وقيل: هم الّذين استشهدوا في سبيل الله، وقيل: هم عدول الآخرة يشهدون على الأمم بما شاهدوا؛ وقيل: هم الحفظة من الملائكة؛ وقيل: هم جميع الشهداء من الجوارح والمكان والزمان[2] وهي قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ﴾ أي ذلك اليوم يوم وقوع الوعيد الّذي خوّف الله به عباده. ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ﴾ أي تجيء كلّ نفس من المكلّفين في يوم الوعيد و﴿مَّعَهَا سَائِقٌ﴾ من الملائكة يسوقها أي يحثّها على السير إلى الحساب ﴿وَشَهِيدٌ﴾ من الملائكة يشهد عليها بما يعلم من حالها وشاهد بما كتبه لها وعليها، فلا يجد إلى الهرب ولا إلى الجحود سبيلاً؛ وقيل:

---

(١) مجمع البيان، ج ٨ ص ٣٤٧. (٢) مجمع البيان، ج ٨ ص ٤١٥-٤١٧.

السائق من الملائكة، والشهيد الجوارح تشهد عليه ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ﴾ أي يقال له: لقد كنت في سهو ونسيان من هذا اليوم في الدنيا ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ﴾ الّذي كان في الدنيا يغشى قلبك وسمعك وبصرك حتّى ظهر لك الأمر ﴿فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ أي فعينك اليوم حادّة النظر لا يدخل عليها شكٌّ ولا شبهة؛ وقيل: معناه: فعلمك بما كنت فيه من أحوال الدنيا نافذ، ولا يراد به بصر العين كما يقال: فلان بصير بالنجوم والفقه[1].

وفي قوله تعالى: ﴿وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ أي اصغ إلى النداء وتوقّعه يعني صيحة يوم القيامة والبعث والنشور، ينادي به المنادي وهي النفخة الثانية ويجوز أن يكون المراد: واستمع ذكر حالهم يوم ينادي المنادي، وقيل: إنّه ينادي مناد من صخرة بيت المقدس: أيّتها العظام البالية والأوصال المنقطعة واللّحوم المتمزّقة قومي لفصل القضاء وما أعدّ الله لك من الجزاء؛ وقيل: إنّ المنادي إسرافيل عليه السلام يقول: يامعشر الخلائق قوموا للحساب عن مقاتل؛ وإنّما قال: ﴿مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ لأنّه يسمعه الخلائق كلّهم على حدّ واحد فلا يخفى على أحد قريب ولا بعيد فكأنّهم نودوا من مكان يقرب منهم ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ﴾ الصيحة المرّة الواحدة من الصوت الشديد، وهذه الصيحة هي النفخة الثانية؛ وقوله: ﴿بِالْحَقِّ﴾ أي بالبعث، وقيل: يعني إنّها كائنة حقّاً ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾ من القبور إلى أرض الموقف؛ وقيل: هو اسم من أسماء القيامة ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ﴾ أخبر سبحانه عن نفسه أنّه هو الّذي يحيي الخلق بعد أن كانوا جماداً أمواتاً، ثمّ يميتهم بعد أن كانوا أحياءاً، ثمّ يحييهم يوم القيامة، وهو قوله: ﴿وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ﴾ ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ﴾ أي تتشقّق ﴿الْأَرْضُ عَنْهُمْ﴾ وتتصدّع فيخرجون منها ﴿سِرَاعًا﴾ يسرعون إلى الداعي بلا تأخير ﴿ذَٰلِكَ حَشْرٌ﴾ الحشر: الجمع بالسوق من كلّ جهة ﴿عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ أي سهل علينا غير شاقّ مع تباعد ديارهم وقبورهم[2].

وفي قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ أي كلّ من على الأرض من حيوان فهو هالك يفنون، ويخرجون من الوجود إلى العدم ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ أي ويبقى ربّك الظاهر بالأدلّة ظهور الإنسان بوجهه ﴿ذُو الْجَلَالِ﴾ أي ذو العظمة والكبرياء واستحقاق الحمد والمدح ﴿وَالْإِكْرَامِ﴾ يكرم أنبياءه وأولياءه بألطافه[3].

وفي قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ﴾ معناه: إذا نفخ في الصور هي كهيئة البوق؛ وقيل: إنّ ذلك في النفخة الأولى وهو أوّل الشدّة الهائلة العامّة؛ وقيل: النفخة الثانية، وعندها يحيي الله الخلق وتقوم القيامة، وهي صيحة الساعة ﴿فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾ أي شديد على الكافرين لنعم الله، الجاحدين لآياته ﴿غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ غير هيّن، وهو بمعنى قوله: عسير، إلاّ أنّه أعاده بلفظ

---

(١) مجمع البيان، ج ٩ ص ٢٤١ و٢٤٣.
(٢) مجمع البيان، ج ٩ ص ٢٥٠-٢٥١.
(٣) مجمع البيان، ج ٩ ص ٣٣٧.

آخر للتأكيد، وقيل: معناه: عسير في نفسه غير عسير على المؤمنين لما يرون من حسن العاقبة(١).

١ - فس: قوله: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ إلى قوله: ﴿يَخِصِّمُونَ﴾ قال: ذلك في آخر الزمان يصاح فيهم صيحة وهم في أسواقهم يتخاصمون فيموتون كلّهم في مكانهم لا يرجع أحد منهم إلى منزله، ولا يوصي بوصيّة، وذلك قوله: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾. قال عليّ بن إبراهيم: ثمّ ذكر النفخة الثانية فقال: ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾(٢).

٢ - فس: قوله: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ فإنّه حدّثني أبي، عن الحسن بن محبوب، عن محمّد بن النعمان الأحول، عن سلام بن المستنير، عن ثوير بن أبي فاختة، عن عليّ بن الحسين عليه السلام قال: سئل عن النفختين كم بينهما؟ قال: ما شاء الله، فقيل له: فأخبرني يابن رسول الله كيف ينفخ فيه؟ فقال: أمّا النفخة الأولى فإنّ الله يأمر إسرافيل فيهبط إلى الدنيا ومعه صور، وللصور رأس واحد وطرفان، وبين طرف كلّ رأس منهما ما بين السماء والأرض، قال: فإذا رأت الملائكة إسرافيل وقد هبط إلى الدنيا ومعه الصور قالوا: قد أذن الله في موت أهل الأرض وفي موت أهل السماء، قال: فيهبط إسرافيل بحظيرة بيت المقدس ويستقبل الكعبة، فإذا رأوا أهل الأرض قالوا: أذن الله في موت أهل الأرض، قال: فينفخ فيه نفخة فيخرج الصوت من الطرف الّذي يلي الأرض فلا يبقى في الأرض ذو روح إلاّ صعق ومات، ويخرج الصوت من إسرافيل، قال: فيقول الله لإسرافيل: يا إسرافيل مت؛ فيموت إسرافيل، فيمكثون في ذلك ما شاء الله، ثمّ يأمر الله السماوات فتمور، ويأمر الجبال فتسير، وهو قوله: ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾﴾ يعني تبسط، و﴿تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ﴾ يعني بأرض لم يكتسب عليها الذنوب بارزة ليس عليها الجبال(٣) ولا نبات، كما دحاها أوّل مرّة، ويعيد عرشه على الماء كما كان أوّل مرة مستقلاً بعظمته وقدرته، قال: فعند ذلك ينادي الجبّار جلّ جلاله بصوت جهوريّ يسمع أقطار السماوات والأرضين: ﴿لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾؟ فلا يجيبه مجيب، فعند ذلك ينادي الجبّار جلّ جلاله مجيباً لنفسه: ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ وأنا قهرت الخلائق كلّهم وأمتّهم، إنّي أنا الله لا إله إلاّ أنا وحدي، لا شريك لي ولا وزير، وأنا خلقت خلقي بيدي وأنا أمتّهم بمشيّتي، وأنا أحييهم بقدرتي، قال: فنفخ الجبّار نفخة في الصور يخرج الصوت من أحد الطرفين الّذي يلي السماوات فلا يبقى في السماوات أحد إلاّ حيّ(٤) وقام كما كان، ويعود حملة العرش، ويحضر الجنّة والنار، ويحشر الخلائق للحساب؛

---

(١) مجمع البيان، ج ١٠ ص ١٧٦.
(٢) تفسير القمي، ج ٢ ص ١٩٠.
(٣) في المصدر: جبال، وهو الصواب.
(٤) في المصدر: حيي.

قال: فرأيت عليّ بن الحسين صلوات الله عليهما يبكي عند ذلك بكاءاً شديداً[١].

بيان: قوله عليه السلام: مستقلاً بعظمته أي بلا حامل. والجهوريّ: العالي.

أقول: سئل عن المفيد رحمه الله في المسائل السرويّة عن قوله تعالى: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ إنّ هذا خطاب منه لمعدوم لأنّه يقوله عند فناء الخلق ثمّ يجيب نفسه فيقول: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ وكلام المعدوم سفه لا يقع من حكيم، وجوابه عن سؤاله لمعدوم أو تقريره إيّاه خلاف الحكمة في المعقول؛ فأجاب المفيد رحمه الله: بأنّ الآية غير متضمّنة للخبر عن خطاب معدوم، وهو قوله عزّ وجلّ: ﴿لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ۝١٥ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ﴾ ويوم التلاق هو يوم المحشر عند التقاء الأرواح والأجساد، وتلاقي الخلق بالاجتماع في صعيد واحد، وقوله: ﴿يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ﴾ تأكيد لذلك، إذ كان البروز لا يكون إلاّ لموجود، ثمّ ليس في الآية أنّ الله هو القائل لذلك فيحتمل أن يكون القائل ملكاً أمر بالنداء فأجابه أهل الموقف، ويحتمل أن يكون الله تعالى هو القائل مقرّراً غير مستخبر والمجيبون هم البشر المبعوثون، أو الملائكة الحاضرون؛ ووجه آخر وهو أنّ قوله: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ﴾ يفيد وقوعه في حال إنزال الآية دون المستقبل ألا ترى إلى قوله: ﴿لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ﴾ الآية، فكان قوله: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ﴾ تنبيهاً على أنّ الملك لله تعالى وحده يومئذ، ولم يقصد به إلى تقرير ولا استخبار، وقوله تعالى: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ تأكيدٌ للتنبيه والدلالة على تفرّده تعالى بالملك دون من سواه انتهى.

أقول: هذه الاخبار دافعة لتلك الاحتمالات، والشبهة مندفعة بأنّ الخطاب قد يصدر من الحكيم من غير أن يكون الغرض إفهام المخاطب أو استعلام شيء، بل لحكمة أُخرى كما هو الشائع بين العرب من خطاب التلال والأماكن والمواضع، لإظهار الشوق أو الحزن، أو غير ذلك، فلعلّ الحكمة ههنا اللّطف للمتكلّفين من حيث الإخبار به قبل وقوعه ليكون أدعى لهم إلى ترك الدنيا وعدم الاغترار بملكها ودولاتها، وإلى العلم بتفرّد الصانع بالتدبير وغير ذلك من المصالح للمكلّفين.

٣ - **فس:** قوله: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ قال: حدّثني أبي، عن ابن أبي عمير، عن زيد النرسيّ، عن عبيد بن زرارة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إذا أمات الله أهل الأرض لبث كمثل ما خلق الخلق، ومثل ما أماتهم وأضعاف ذلك؛ ثمّ أمات أهل السماء الدنيا ثمّ لبث مثل ما خلق الخلق ومثل ما أمات أهل الأرض وأهل السماء الدنيا وأضعاف ذلك؛ ثمّ أمات أهل السماء الثانية ثمّ لبث مثل ما خلق الخلق ومثل ما أمات أهل الأرض وأهل السماء الدنيا والسماء الثانية وأضعاف ذلك، ثمّ أمات أهل السماء الثالثة ثمّ

(١) تفسير القمي، ج ٢ ص ٢٢٢.

لبث مثل ما خلق الخلق ومثل ما أمات أهل الأرض وأهل السماء الدنيا والسماء الثانية والسماء الثالثة وأضعاف ذلك، في كلّ سماء مثل ذلك وأضعاف ذلك؛ ثمّ أمات ميكائيل ثمّ لبث مثل ما خلق الخلق ومثل ذلك كلّه وأضعاف ذلك؛ ثمّ أمات جبرئيل ثمّ لبث مثل ما خلق الخلق ومثل ذلك وأضعاف ذلك؛ ثمّ أمات إسرافيل ثمّ لبث مثل ما خلق الخلق ومثل ذلك كلّه وأضعاف ذلك؛ ثمّ أمات ملك الموت ثمّ لبث مثل ما خلق الخلق ومثل ذلك كلّه وأضعاف ذلك؛ ثمّ يقول الله عزّ وجلّ: ﴿لِمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ فيردّ على نفسه: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ أين الجبّارون؟ أين الّذين ادّعوا معي إلهاً؟ اين المتكبّرون؟ ونحوهما، ثمّ يبعث الخلق. قال عبيد ابن زرارة: فقلت: إنّ هذا الأمر كلّه كائن؟ طوّلت ذلك! فقال: أرأيت ما كان هل علمت به؟ فقلت: لا، قال: فكذلك هذا[1].

ين: ابن أبي عمير مثله[2].

٤ - **كتاب زيد النرسي:** عنه، عن عبيد بن زرارة، عنه عليه السلام مثله إلى قوله: ومثل ما أمات أهل الأرض والسماء الدنيا والسماء الثانية والسماء الثالثة وأضعاف ذلك، ثمّ أمات أهل السماء الرابعة ثمّ لبث مثل ما خلق الخلق ومثل ما أمات أهل الأرض وأهل السماء الدنيا والسماء الثانية والسماء الثالثة والسماء الرابعة وأضعاف ذلك؛ ثمّ أمات أهل السماء الخامسة ثمّ لبث مثل ما خلق الخلق ومثل ما أمات أهل الأرض وأهل السماء الدنيا والثانية والثالثة والرابعة والخامسة وأضعاف ذلك؛ ثمّ أمات أهل السماء السادسة ثمّ لبث مثل ما خلق الخلق ومثل ما أمات أهل الأرض وأهل السماء الدنيا والثانية والثالثة والرابعة والخامسة والسادسة وأضعاف ذلك؛ ثمّ أمات أهل السماء السابعة ثمّ لبث مثل ما خلق الخلق ومثل ما أمات أهل الأرض وأهل السماوات إلى السماء السابعة وأضعاف ذلك؛ ثمّ أمات ميكائيل. - وساق الحديث إلى قوله: أين المتكبّرون؟ ونحو هذا - ثمّ يلبث مثل ما خلق الخلق ومثل ذلك كلّه وأضعاف ذلك؛ ثمّ يبعث الخلق أو ينفخ في الصور. قال عبيد بن زرارة: قلت: هذا الأمر كائن؟ طوّلت ذلك! فقال: أرأيت ما كان قبل أن يخلق الخلق أطول أو ذا؟ قال: قلت: ذا، قال: فهل علمت به؟ قال: قلت: لا، قال: فكذلك هذا[3].

بيان: كأنّ المراد بقول الراوي: (ذا) الإشارة إلى الزمان قبل خلق الخلق لأنّه غير متناه، وإن كان مراده هذه الأزمنة لم ينبّهه عليه السلام على خطئه وأجاب بوجه آخر رفع استبعاده، وظاهره أنّهم لا يحسّون بتلك الأزمنة الطويلة إمّا لانعدامهم بالمرّة كما سيأتي أو لكونهم منعمين لا يضرّهم طول الأزمنة والأوّل أظهر؛ ثمّ إنّه ينافي ظواهر الآيات والأخبار الدالّة على أنّ موت أهل السموات بالنفخة دفعة، ويمكن التوفيق بينهما بتكلّفات بعيدة؛ لكنّ هذا

(١) تفسير القمي، ج ٢ ص ٢٢٨ وفيه: أين المتكبّرون ونحوهم... فقلت: إن هذا الأمر كائن طول ذلك.
(٢) الزهد، ص ١٦٦ باب ١٧ ح ١.
(٣) الأصول الستة عشر، ص ٤٧.

الخبر لجهالة النرسيّ لا يصلح لمعارضة تلك الآيات والأخبار.

٥ - **فس:** قال عليّ بن إبراهيم في قوله: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ ۝٧﴾: قال: تنشقّ الأرض بأهلها؛ والرادفة: الصيحة؛ والزجرة: النفخة الثانية في الصور(١).

٦ - **فس:** ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ قال: يشيب الولدان من الفزع حيث يسمعون الصيحة(٢).

٧ - **ن:** بالأسانيد الثلاثة عن الرضا، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا كان يوم القيامة يقول الله عزّ وجلّ لملك الموت: ياملك الموت وعزّتي وجلالي وارتفاعي وعلوّي لأذيقنّك طعم الموت كما أذقت عبادي(٣).

صح: عنه، عن آبائه عليهم السلام مثله(٤).

ما: ابن الصلت، عن ابن عقدة، عن عليّ بن محمّد، عن داود، عن الرضا عليه السلام مثله. وفيه: في علوّ مكاني(٥).

٨ - **ن:** بالأسانيد الثلاثة عنه عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا نزلت هذه الآية: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ قلت: يا ربّ أيموت الخلائق ويبقى الأنبياء؟ فنزلت: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾(٦).

صح: عنه عليه السلام مثله. وفيه: وتبقى الملائكة.

بيان: الصواب ما في صحيفة الرضا عليه السلام، وما في العيون لا يستقيم إلاّ بتكلّفات بعيدة.

٩ - **يد:** ابن المتوكّل، عن محمّد العطّار، عن محمّد بن أحمد، عن عبد الله بن محمّد، عن عليّ بن مهزيار قال: كتب أبو جعفر عليه السلام إلى رجل بخطّه وقرأته في دعاء كتب به أن يقول: ياذا الّذي كان قبل كلّ شيء، ثمّ خلق كلّ شيء، ثمّ يبقى ويفنى كلّ شيء. الخبر(٧).

١٠ - **ع:** عليّ بن حبشيّ بن قونيّ، عن حميد بن زياد، عن القاسم بن إسماعيل، عن محمّد بن سلمة، عن يحيى بن أبي العلاء الرازيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: يوم الوقت المعلوم يوم ينفخ في الصور نفخة واحدة فيموت إبليس ما بين النفخة الأولى والثانية. الخبر(٨).

---

(١) تفسير القمي، ج ٢ ص ٣٩٦. (٢) تفسير القمي، ج ٢ ص ٣٨٣.

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢ ص ٣٢ باب ٣١ ح ٥٠.

(٤) صحيفة الإمام الرضا، ص ٩٨ ح ١٧٩. (٥) أمالي الطوسي، ص ٣٣٦ مجلس ١٢ ح ٦٨٢.

(٦) عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢ ص ٣٢ باب ٣١ ح ٥١.

(٧) التوحيد، ص ٤٧ ح ١١.

(٨) علل الشرائع، ج ٢ ص ١٠٥ باب ١٤٢ ح ٢ وللحديث صدر وذيل.

١١ - شي: عن محمّد بن مسلم قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا﴾ قال: إنّما أمّة محمّد من الأمم، فمن مات فقد هلك(١).

١٢ - شي: عن ابن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله: ﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ قال: هو الفناء بالموت أو غيره. وفي رواية أخرى عنه قال: بالقتل والموت وغيره(٢).

١٣ - م: إنّ الله ينزل بين نفختي الصور بعدما ينفخ النفخة الأولى من دوين سماء الدنيا من البحر المسجور الّذي قال الله: ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ وهي من منيّ كمنيّ الرجل، فيمطر ذلك على الأرض فيلقى الماء المنيّ مع الاموات البالية فينبتون من الأرض ويحيون(٣).

١٤ - كا: محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن الحسين بن سعيد، عن فضالة بن أيّوب، عن أبي المغرا قال: حدّثني يعقوب الأحمر قال: دخلنا على أبي عبد الله عليه السلام نعزّيه بإسماعيل، فترحّم عليه ثمّ قال: إنّ الله عزّ وجلّ نعى إلى نبيّه صلى الله عليه وآله نفسه فقال: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ وقال: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ ثم أنشأ يحدّث فقال: إنّه يموت أهل الأرض حتّى لا يبقى أحد، ثمّ يموت أهل السماء حتّى لا يبقى أحد إلاّ ملك الموت وحملة العرش وجبرئيل وميكائيل، قال: فيجيء ملك الموت حتّى يقوم بين يدي الله عزّ وجلّ فيقال له: من بقي؟ - وهو أعلم - فيقول: يا ربّ لم يبق إلاّ ملك الموت وحملة العرش وجبرئيل وميكائيل؛ فيقال: قل لجبرئيل وميكائيل: فليموتا، فيقول الملائكة عند ذلك، يا ربّ رسولاك وأميناك، فيقول: إنّي قد قضيت على كلّ نفس فيها الروح الموت؛ ثمّ يجيء ملك الموت حتّى يقف بين يدي الله عزّ وجلّ فيقال له: من بقي؟ - وهو أعلم - فيقول: يا ربّ لم يبق إلاّ ملك الموت وحملة العرش، فيقول: قل لحملة العرش: فليموتوا، قال: ثمّ يجيء كئيباً حزيناً لا يرفع طرفه، فيقال له: من بقي؟ فيقول: يا ربّ لم يبق إلاّ ملك الموت، فيقال له: مت يا ملك الموت فيموت، ثمّ يأخذ الأرض بيمينه والسماوات بيمينه، ويقول: أين الّذين كانوا يدعون معي شريكاً؟ أين الّذين كانوا يجعلون معي إلهاً آخر(٤)؟.

ين: فضالة مثله؛ وفيه: والسماوات بيمينه فيهزّهن هزّاً مرّات، ثم يقول(٥).

١٥ - ج: عن هشام بن الحكم في خبر الزنديق الّذي سأل الصادق عليه السلام عن مسائل إلى أن قال: أيتلاشى الروح بعد خروجه عن قالبه أم هو باق؟ قال: بل هو باق إلى وقت ينفخ في

---

(١) - (٢) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٣١٩ في تفسيره لسورة الإسراء ح ٩٠ و٩١.
(٣) تفسير الإمام العسكري عليه السلام، ص ٢٨٢. (٤) الكافي، ج ٣ ص ١٣١ باب ١٦٦ ح ٢٥.
(٥) الزهد، ص ١٥١ باب ١٦ ح ٩.

الصور فعند ذلك تبطل الأشياء وتفنى، فلا حسّ ولا محسوس، ثمّ أُعيدت الأشياء كما بدأها مدبّرها، وذلك أربعمائة سنة تسبت فيها الخلق وذلك بين النفختين[1].

بيان: هذا الخبر يدلّ على فناء الأشياء وانعدامها بعد نفخ الصور، وعلى أنّ الزمان أمر موهوم وإلاّ فلا يمكن تقديره بأربعمائة سنة بعد فناء الأفلاك ويمكن أن يكون المراد ما سوى الأفلاك، أو ما سوى فلك واحد يتقدّر به الأزمان.

١٦ - **نهج:** هو المفني لها بعد وجودها حتّى يصير موجودها كمفقودها، وليس فناء الدنيا بعد ابتداعها بأعجب من إنشائها واختراعها، وكيف ولو اجتمع جميع حيوانها من طيرها وبهائمها وما كان من مراحها وسائمها وأصناف أسناخها وأجناسها ومتبلّدة أممها وأكياسها على إحداث بعوضة ما قدرت على إحداثها، ولا عرفت كيف السبيل إلى إيجادها؟ ولتحيّرت عقولها في علم ذلك، وتاهت وعجزت قواها، وتناهت ورجعت خاسئة حسيرة عارفة بأنّها مقهورة، مقرّة بالعجز عن إنشائها، مذعنة بالضعف عن إفنائها وأنّه سبحانه يعود بعد فناء الدنيا وحده لا شيء معه كما كان قبل ابتدائها كذلك يكون بعد فنائها بلا وقت ولا مكان ولا حين ولا زمان، عدمت عند ذلك الآجال والأوقات، وزالت السنون والساعات، فلا شيء إلاّ الواحد القهّار الّذي إليه مصير جميع الأُمور بلا قدرة منها كان ابتداء خلقها، وبغير امتناع منها كان فناؤها، ولو قدرت على الامتناع لدام بقاؤها لم يتكّاده صنع شيء منها إذ صنعه، ولم يؤده منها خلق ما خلقه وبرأه، ولم يكوّنها لتشديد سلطان، ولا لخوف من زوال ونقصان، ولا للاستعانة بها على ندّ مكاثر، ولا للاحتراز بها من ضدّ مثاور، ولا للازدياد بها في ملكه، ولا لمكاثرة شريك في شركه، ولا لوحشة كانت منه فأراد أن يستأنس إليها؛ ثمّ هو يفنيها بعد تكوينها لا لسأم دخل عليه في تصريفها وتدبيرها، ولا لراحة واصلة إليه، ولا لثقل شيء منها عليه، لم يملّه طول بقائها فيدعوه إلى سرعة إفنائها، لكنّه سبحانه دبّرها بلطفه وأمسكها بأمره، وأتقنها بقدرته، ثمّ يعيدها بعد الفناء من غير حاجة منه إليها، ولا استعانة بشيء منها عليها[2].

أقول: قد مرّت الخطبة بتمامها وشرحها في كتاب التوحيد.

تتميم: اعلم أنّ ظاهر هذا الخبر فناء جميع المخلوقات عند انقضاء العالم كما هو مذهب جماعة من المتكلّمين، قال شارح المواقف: قد سبقت في مباحث الجسم إشارة إلى أنّ الأجسام باقيةٌ غير متزايلة على ما يراه النظّام، وقابلة للفناء غير دائمة البقاء على ما يراه الفلاسفة قولاً بأنّها أزليّة أبديّة، والجاحظ وجمع من الكرّاميّة قولاً بأنّها أبديّة غير أزليّة، وتوقّف أصحاب أبي الحسين في صحّة الفناء، واختلف القائلون بها في أنّ الفناء بإعدام معدم أو بحدوث ضدّ أو بانتفاء شرط، أمّا الأوّل فذهب القاضي وبعض المعتزلة إلى أنّ الله

---

(١) الاحتجاج، ص ٣٥٠. (٢) نهج البلاغة، ص ٣٨٢ خطبة رقم ١٨٤.

تعالى يعدم العالم بلا واسطة فيصير معدوماً كما أوجده كذلك فصار موجوداً، وذهب أبو الهذيل إلى أنّه تعالى يقول له: افن فيفنى، كما قال له: كن فكان، وأمّا الثاني فذهب جمهور المعتزلة إلى أنّ فناء الجوهر بحدوث ضدّ له هو الفناء، فذهب ابن أُخشيد إلى أنّ الفناء وإن لم يكن متحيّزاً لكنّه يكون حاصلاً في جهة معيّنة، فإذا أحدثه الله تعالى فيها عدمت الجواهر بأسرها، وذهب ابن شبيب إلى أنّ الله تعالى يحدث في كلّ جوهر فناءاً ثمّ ذلك الفناء يقتضي عدم الجوهر في الزمان الثاني، وذهب أبو عليّ وأتباعه إلى أنّه يخلق بعدد كلّ جوهر فناءاً لا في محل فتفنى الجواهر؛ وقال أبو هاشم وأشياعه: يخلق فناءاً واحداً لا في محلّ فينفي به الجواهر بأسرها؛ وأمّا الثالث وهو أنّ فناء الجوهر بانقطاع شرط وجوده فزعم بشر أنّ ذلك الشرط بقاء يخلقه الله تعالى لا في محلّ، فإذا لم يخلقه الله تعالى عدم الجوهر؛ وذهب الأكثرون من أصحابنا والكلبيّ من المعتزلة إلى أنّه بقاء قائم به يخلقه الله حالاً فحالاً، فإذا لم يخلقه الله تعالى فيه انتفى الجوهر، وقال إمام الحرمين: إنّها الأعراض الّتي يجب اتّصاف الجسم بها، فإذا لم يخلقها الله تعالى فيه فني، وقال القاضي في أحد قوليه: هو الأكوان الّتي يخلقها الله في الجسم حالاً فحالاً، فمتى لم يخلقها الله فيه انعدم؛ وقال النظّام: إنّه ليس بباق بل يخلق الله حالاً فحالاً فمتى لم يخلق فني؛ وأكثر هذه الأقاويل من قبيل الأباطيل، سيّما القول بكون الفناء أمراً محقّقاً في الخارج ضدّاً للبقاء قائماً بنفسه أو بالجوهر، وكون البقاء موجوداً لا في محلّ، ولعلّ وجه البطلان غنيّ عن البيان. ثمّ القائلون بصحّة الفناء وبحقّيّة حشر الأجساد اختلفوا في أنّ ذلك بالإيجاد بعد الفناء أو بالجمع بعد تفرّق الأجزاء؟ والحقّ التوقّف، وهو اختيار إمام الحرمين حيث قال: يجوز عقلاً أن تعدم الجواهر ثمّ تعاد، وأن تبقى وتزول أعراضها المعهودة ثمّ تعاد بنيتها ولم يدلّ قاطع سمعيّ على تعيين أحدهما، فلا يبعد أن يغيّر أجساد العباد على صفة أجسام التراب، ثمّ يعاد تركيبها إلى ما عهد، ولا يحيل أن يعدم منها شيء ثمّ يعاد؛ والله أعلم.

احتجّ الأوّلون بوجوه: الأوّل الإجماع على ذلك قبل ظهور المخالفين كبعض المتأخّرين من المعتزلة وأهل السنّة، وردّ بالمنع كيف وقد أطبقت معتزلة بغداد على خلافه؟ نعم كان الصحابة يجمعون على بقاء الحقّ وفناء الخلق بمعنى هلاك الأشياء وموت الأحياء وتفرّق الأجزاء لا بمعنى انعدام الجواهر بالكلّيّة لأنّ الظاهر أنّهم لم يكونوا يخوضون في هذه التدقيقات.

الثاني هو قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ﴾ أي في الوجود، ولا يتصوّر ذلك إلاّ بانعدام ما سواه، وليس بعد القيامة وفاقاً فيكون قبلها؛ وأجيب بأنّه يجوز أن يكون المعنى: هو مبدأ كلّ موجود وغاية كلّ مقصود، أو هو المتوحّد في الألوهيّة، أو في صفات الكمال، كما إذا قيل لك: هذا أوّل من زارك أو آخرهم؟ فتقول: هو الأوّل والآخر، وتريد أنّه لا زائر سواه؛ أو هو الأوّل والآخر بالنسبة إلى كلّ حيّ، بمعنى أنّه يبقى بعد موت جميع الأحياء، أو هو الأوّل

خلقاً والآخر رزقاً، كما قال: ﴿خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ﴾ وبالجملة فليس المراد أنّه آخر كلّ شيء بحسب الزمان للاتّفاق على أبديّة الجنّة ومن فيها.

الثالث قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ فإنّ المراد به الانعدام، لا الخروج عن كونه منتفعاً به لأنّ الشيء بعد التفرّق يبقى دليلاً على الصانع، وذلك من أعظم المنافع. وأجيب بأنّ المعنى أنّه هالك في حدّ ذاته لكونه ممكناً لا يستحقّ الوجود إلاّ بالنظر إلى العلّة، أو المراد بالهلاك الموت، أو الخروج عن الانتفاع المقصود به اللاّئق بحاله كما يقال: هلك الطعام إذا لم يبق صالحاً للأكل وإن صلح لمنفعة أخرى، ومعلوم أن ليس مقصود الباري تعالى من كلّ جوهر الدلالة عليه وإن صلح لذلك كما أنّ من كتب كتاباً ليس بكلّ كلمة الدلالة على الكاتب؛ أو المراد الموت كما في قوله تعالى: ﴿إِنِ امْرُؤٌا هَلَكَ﴾ وقيل: معناه: كلّ عمل لم يقصد به وجه الله تعالى فهو هالك أي غير مثاب عليه.

الرابع قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾ والبدء من العدم فكذا العود، وأيضاً إعادة الخلق بعد إبدائه لا يتصوّر بدون تخلّل العدم؛ وأجيب بأنّا لا نسلّم أنّ المراد بإبداء الخلق الإيجاد والإخراج عن العدم، بل الجمع والتركيب على ما يشعر به قوله تعالى: ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ﴾ ولهذا يوصف بكونه مرئيّاً مشاهداً كقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ﴾ «أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف بدأ الخلق»[1] وأمّا القول بأنّ الخلق حقيقة في التركيب تمسّكاً بمثل قوله تعالى: ﴿خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾ أي ركّبكم ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ أي تركّبونه، فلا يكون حقيقة في الإيجاد دفعاً للاشتراك فضعيف جدّاً، لإطباق أهل اللّغة على أنّه إحداث وإيجاد مع تقدير، سواء كان عن مادّة كما في خلقكم من تراب، أو بدونه كما في خلق الله العالم.

الخامس قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ والفناء هو العدم، وأجيب بالمنع بل هو خروج الشيء من الصفة الّتي ينتفع به عندها كما يقال: فني زاد القوم وفني الطعام والشراب، ولذا يستعمل في الموت مثل أفناهم الحرب؛ وقيل: معنى الآية: كلّ من على وجه الأرض من الأحياء فهو ميّت، قال الإمام: ولو سلّم كون الفناء والهلاك بمعنى العدم فلا بدّ في الآيتين من تأويل، إذ لو حملتا على ظاهرهما لزم كون الكلّ هالكاً فانياً في الحال وليس كذلك، وليس التأويل بكونه آيلاً إلى العدم على ما ذكرتم أولى من التأويل بكونه قابلاً له، وهذه منه إشارة إلى ما اتّفق عليه أئمّة العربيّة من كون اسم الفاعل ونحوه مجازاً في الاستقبال، وأنّه لا بدّ من الاتّصاف بالمعنى المشتقّ منه؛ وإنّما الخلاف في أنّه هل يشترط بقاء ذلك المعنى؟ وقد توهّم صاحب التلخيص أنّه كالمضارع يشترك بين الحال والاستقبال، فاعترض بأنّ حمله

---

(١) هذا نقل للآية بالمعنى وهي هكذا: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ...﴾ [العنكبوت: ٢٠].

على الاستقبال ليس تأويلاً وصرفاً عن الظاهر.

واحتجّ الآخرون بوجوه: الاول: أنّه لو كان كذلك لما كان الجزاء واصلاً إلى مستحقّه، واللاّزم باطل عندنا سمعاً للنصوص الواردة في أنّ الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً، وعقلاً عند المعتزلة لما سبق من وجوب ثواب المطيع وعقاب العاصي، وبيان اللّزوم أنّ المنشأ لا يكون هو المبتدأ بل مثله لامتناع إعادة المعدوم بعينه. وردّ بالمنع وقد مرّ بيان ضعف أدلّته، ولو سلّم فلا يقوم على من يقول ببقاء الروح أو الأجزاء الأصليّة وإعدام البواقي ثمّ إيجادها وإن لم يكن الثاني هو الأوّل بعينه بل مغايراً له في وصفه الابتداء والإعادة أو باعتبار آخر، ولا شكّ أنّ العمدة في الاستحقاق هو الروح على ما مرّ، وقد يقرّر بأنّها لو عدمت لما علم إيصال الجزاء إلى مستحقّه لأنّه لا يعلم أنّ ذلك المحشور هو الأوّل أعيد بعينه أم مثل له خلق على صفته؛ أمّا على تقدير الفناء بالكلّيّة فظاهر، وأمّا على تقدير بقاء الروح والأجزاء الأصليّة فلانعدام التركيب والهيئات والصفات الّتي بها يتمايز المسلمون سيّما على قول من يجعل الروح أيضاً من قبيل الأجسام، واللاّزم منتف لأنّ الأدلّة قائمة على وصول الجزاء إلى المستحقّ.

لا يقال: لعلّ الله يحفظ الروح والأجزاء الأصليّة عن التفرّق والانحلال، بل الحكمة تقتضي ذلك ليعلم وصول الحقّ إلى المستحقّ لأنّا نقول: المقصود إبطال رأي من يقول بفناء الأجساد بجميع الأجزاء بل أجسام العالم بأسرها ثمّ الإيجاد وقد حصل ولو سلّم فقد علمت أنّ العمدة في الحشر هو الأجزاء الأصليّة لا الفضليّة وقد سلّمتم أنّها لا تتفرّق فضلاً عن الانعدام بالكلّيّة؛ بل الجواب أنّ المعلوم بالأدلّة هو أنّ الله تعالى يوصل الجزاء إلى المستحقّ ولا دلالة على أنّا نعلم ذلك عند الإيصال البتّة وكفى بالله عليماً. ولو سلّم فلعلّ الله تعالى يخلق علماً ضروريّاً أو طريقاً جليّاً جزئيّاً أو كلّيّاً.

الثاني وهو للمعتزلة أنّ فعل الحكيم لا بدّ أن يكون لغرض لامتناع العبث عليه ولا يتصوّر له غرض في الإعدام إذ لا منفعة فيه لأحد لأنّها إنّما تكون مع الوجود بل الحياة، وليس به أيضاً جزاء المستحقّ كالعذاب والسؤال والحساب ونحو ذلك وهذا ظاهر، وردّ بمنع انحصار الغرض في المنفعة والجزاء، فلعلّ لله في ذلك حكماً ومصالح لا يعلمها غيره، على أنّ في الإخبار بالإعدام لطفاً للمكلّفين وإظهاراً لغاية العظمة والاستغناء والتفرّد بالدوام والبقاء، ثمّ الإعدام تحقيق لذلك وتصديق.

الثالث النصوص الدالّة على كون النشور بالإحياء بعد الموت والجمع بعد التفريق كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ﴾ الآية[1]، وكقوله تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٦٠.

مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ - إلى قوله -: ﴿وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا﴾[1] وكقوله تعالى: و﴿كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾ و﴿كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ و ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ بعدما ذكر بدء الخلق من الطين وعلى وجه نرى ونشاهد مثل ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ﴾ «أولم يسيروا في الأرض فينظر كيف بدأ الخلق»[2] وكقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝٥﴾ إلى غير ذلك من الآيات المشعرة بالتفريق دون الإعدام.

والجواب أنّها لا تنفي الانعدام وإن لم تدلّ عليه، وإنّما سيقت لكيفيّة الإحياء بعد الموت والجمع بعد التفريق لأنّ السؤال وقع عن ذلك، ولأنّه أظهر في بادئ النظر والشواهد عليه أكثر، ثمّ هي معارضة بالآيات المشعرة بالإعدام والفناء انتهى كلامه.

والحقّ أنّه لا يمكن الجزم في تلك المسألة بأحد الجانبين لتعارض الظواهر فيها، وعلى تقدير ثبوته لا يتوقّف انعدامها على شيء سوى تعلّق إرادة الربّ تعالى بإعدامها، وأكثر متكلّمي الإماميّة على عدم الانعدام بالكلّيّة لاسيّما في الأجساد قال المحقّق الطوسيّ رحمه الله في التجريد: والسمع دلّ عليه ويتأوّل في المكلّف بالتفريق كما في قصّة إبراهيم عليه السلام انتهى.

وأمّا الصور فيجب الإيمان به على ما ورد في النصوص الصريحة، وتأويله بأنّه جمع للصورة كما مرّ من الطبرسيّ وقد سبقه الشيخ المفيد رحمه الله فهو خروج عن ظواهر الآيات بل صريحها، إذ لا يتأتّى ذلك في النفخة الأولى، ويأبى عنه أيضاً توحيد الضمير في قوله تعالى: و﴿نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ﴾ واطراح للنصوص الصحيحة الصريحة من غير حاجة، وقد قال سيّد الساجدين صلوات الله عليه في الدعاء الثالث من الصحيفة الكاملة: وإسرافيل صاحب الصور الشاخص الّذي ينتظر منك الإذن وحلول الأمر فينبّه بالنفخة صرعى رهائن القبور.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٩.

(٢) هنا أيضاً نقل للآية بالمعنى.

فهرس الجزء الخامس

الموضوع الصفحة

فهرس الجزء السادس

رموز الكتاب

ب : لقرب الاسناد.
بشا : لبشارة المصطفى.
تم : لفلاح السائل.
ثو : لثواب الاعمال.
ج : للاحتجاج.
جا : لمجالس المفيد.
جش : لفهرست النجاشي.
جع : لجامع الاخبار.
جم : لجمال الاسبوع.
جنة : للجنة الواقية.
حة : لفرحة الغري.
ختص : لكتاب الإختصاص.
خص : لمنتخب البصائر.
د : للعدد القوية.
سر : للسرائر.
سن : للمحاسن.
شا : للإرشاد.
شف : لكشف اليقين.
شي : لتفسير العياشي.
ص : لقصص الأنبياء.
صا : للإستبصار.
صبا : لمصباح الزائر.
صح : لصحيفة الرضا (ع).
ضا : لفقه الرضا (ع).
ضوء : لضوء الشهاب.
ضه : لروضة الواعظين.
ط : للصراط المستقيم.
طا : لامان الأخطار.
طب : لطب الأئمة.

ع : لعلل الشرائع.
عا : لدعائم الاسلام.
عد : للعقائد.
عدة : لعدة الداعي.
عم : لاعلام الورى.
عين : للعيون والمحاسن.
غر : للغرر والدرر.
غط : لغيبة الشيخ الطوسي.
غو : لغوالي اللئالي.
ف : لتحف العقول.
فتح : لفتح الأبواب.
فر : لتفسير فرات الكوفي.
فس : لتفسير علي بن ابراهيم.
فض : لكتاب الروضة.
ق : للكتاب العتيق الغروي.
قب : لمناقب ابن شهرآشوب.
قبس : لقبس المصباح.
قضا : لقضاء الحقوق.
قل : لإقبال الأعمال.
قية : للدروع الواقية.
ك : لإكمال الدين.
كا : للكافي.
كش : لرجال الكشي.
كشف : لكشف الغمة.
كف : لمصباح الكفعمي.
كنز : لكنز جامع الفوائد وتأويل الآيات الظاهرة معاً.
ل : للخصال.
لد : للبلد الأمين.

لي : لأمالي الصدوق.
م : لتفسير الإمام العسكري (ع).
ما : لأمالي الطوسي.
محص : للتمحيص.
مد : للعمدة.
مص : لمصباح الشريعة.
مصبا : للمصباحين.
مع : لمعاني الأخبار.
مكا : لمكارم الأخلاق.
مل : لكامل الزيارة.
منها : للمنهاج.
مهج : لمهج الدعوات.
ن : لعيون أخبار الرضا (ع).
نبه : لتنبيه الخاطر.
نجم : لكتاب النجوم.
نص : للكفاية.
نهج : لنهج البلاغة.
ني : لغيبة النعماني.
هد : للهداية.
يب : للتهذيب.
يج : للخرائج.
يد : للتوحيد.
ير : لبصائر الدرجات.
يف : للطرائف.
يل : للفضائل.
ين : لكتابي الحسين بن سعيد أو لكتابه والنوادر.
يه : لمن لا يحضره الفقيه